وديع جويده



الحركة القومية الكردية

نشأتها وتطورها

تصوير

أحمد ياسين





الحركة القومية الكردية

نشأتها وتطورها

Wadie Jwaideh

The Kurdish National Movement

Its Origins and Development



Syracuse University Press

وديع جويده

الحركة القومية الكردية

نشأتها وتطورها

قدّم له: مارتن فان بروينسن

ترجمة: مجموعة من المترجمين

إشراف وتدقيق: غازي برّو

دار الفارابي

أراس



الكتاب: الحركة القومية الكردية

المؤلف: وديع جويده

الترجمة: مجموعة من المترجمين

إشراف وتدقيق: غازي برو

الغلاف: فارس غصوب

الناشران: * دار الفارابي - بيروت - لبنان

ت: 301461(01) فاكس: 307775(01)

ص.ب: 11/3181 - الرمز البريدي: 2130 1107

www.dar-alfarabi.com

e-mail: info@dar-alfarabi.com

*** دار أراس للطباعة والنشر**

شارع جولان - أربيل - اقليم كردستان العراق

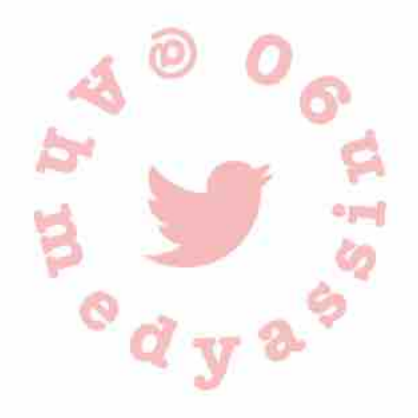
www.araspublishers.com

e-mail:aras@araspress.com

الطبعة الأولى: نيسان 2013

ISBN: 978-9953-71-969-6

قبل وفاته عـام 2001، عمل الدكتور وديع إلياس جويده ولخمس وعشرين سنة في جامعة إنديانا. نال عام 1972 جائزة هِرمَن ليبر (Herman Lieber) التذكارية كأستاذ متميز. تقاعد عام 1987. وكان لا يزال أستاذاً للتاريخ ورئيساً لقسم لغات الشرق الأدنى وآدابه الذي أسسه. حتى بعد تقاعده، استمر في التعليم كأستاذ مساعد للتاريخ في جامعة كاليفورنيا في سان دييغو حتى العام 1990. تلقى البروفسور جويده علومه في العراق والولايات المتحدة الأميركية. أطروحته لنيل شهادة الدكتوراه- التي هي أساس هذا الكتاب- جعلته واحداً من أشهر خبراء المسألة الكردية، أوائل الستينيات. اطلاعه الواسع على تاريخ الشرق الأوسط وثقافته، كان وراء الدعوة التي وجهت إليه لمقابلة الرئيس الأميركي جيمي كارتر أثناء أزمة الرهائن في إيران، كما كان سبباً لمشاركته في حفلات افتتاح العديد من الجامعات الجديدة في العالم العربي: بما فيها جامعة الكويت، وجامعة دولة الإمارات العربية المتحدة. نشر الكثير من المقالات في المجلات الجامعية المتخصصة وفي موسوعة بريتانيكا(*Encyclopedia Britanica*)، وكشارح لترجمة الفصول الأولى من كتاب ياقوت الحموي: معجم البلدان.



@Ahmedyassin90

مقدمة

ما هو التاريخ الذي على المرء أن يحدد فيه بداية الحركة القومية الكردية كحركة جماهيرية حديثة مع أحزاب سياسية منظمة جيداً وواضحة البرامج والأهداف، لحشد الدعم الجماهيري المتخطي مفهوم القبائلية الضيق والحدود المناطقية؟ هناك عدة تواريخ قد تعتمد، وكذلك هناك عدة أحداث مهمة، وهناك أيضاً تبريرات مهمة نظراً لاعتبار العام 1961، عام انطلاق تلك الحركة. كان هذا العام بداية حرب العصابات الكردية ضد الحكومة المركزية في بغداد؛ هذه الحرب، التي أدت – ولو على الورق – إلى الاعتراف بالحقوق الثقافية لكرد العراق، وبالحكم الذاتي، مع حق المشاركة في الحكومة المركزية. إن حركة كرد العراق الشديدة الظهور في الستينيات لم تعزز الوعي بأهمية الهوية الكردية عند كرد العراق فقط، بل وحتى بين كرد الدول المجاورة.

في تركيا كان عام 1961، عام تأسيس أول حزب اشتراكي شرعي عرف باسم حزب العمال التركي (WPT)، الذي – ولأول مرة – وضع المسألة الكردية على الأجندة السياسية من خلال خطاب يساري متطور، والذي سوف تبقى مدينة له جميع الأحزاب الكردية التي تأسست لاحقاً، وكذلك التنظيمات الكردية في تركيا. على وعكس الانتفاضات الأولى، فالحركة السياسية العسكرية بقيادة ملّا مصطفى بارزاني في العراق وحركات اليسار

الكردي في تركيا، كانت حركات متينة التماسك. لم تنهر عند أول انتكاسة، بل بقيت تنمو وتوسع مدى نطاقها الجغرافي: وهي مستمرة بثبات منذ الستينيات وحتى اليوم.

إذا كان عام 1961 يشكل المنعطف المهم، فما هي صلة دراسة أُنجزت قبلها بسنتين عن القومية الكردية؟ تأريخ وديع جويده لبروز الحركة القومية الكردية وتطورها – الذي ينشر الآن – كتب أساساً ليكون أطروحة لنيل الدكتوراه من جامعة سيراكوز أوائل عام 1960، واستند إلى أبحاث أجريت أواسط خمسينيات القرن الماضي. بالرغم من ذلك، فقد قدم جويده ملاحظات مهمة جداً عن التطورات العراقية التي أدت إلى انقلاب عام 1958 الذي مهد الطريق إلى تعبئة كردية واسعة وانطلاق حرب العصابات. هذه الدراسة – الأطروحة لم تنشر وجويده على قيد الحياة حيث اكتسبت شهرة واسعة تناقلتها الألسن، وكذلك أدرك العديد من الأكاديميين – لاحقاً – بمن فيهم أنا، أهميتها، ليس كدراسة للمرحلة المبكرة للقومية الكردية، بل، كإطار – أيضاً – لها ولاستيعاب التطورات اللاحقة، مما أكسبها سمعة أسياسية في مجال الدراسات الكردية، حتى غدا أنه يستحيل على أي باحث مهتم بالموضوع تجاهلها أو عدم قراءتها.

عام 1999 صدرت الترجمة التركية (*Kürt Milliyetçili in Tarihi: Kökeni ve Geli imi [Istsanbul: leti im Yayinlari*)، وهكذا أصبحت، ولأول مرة في متناول أكبر عدد من القراء الكرد، ووصلت شهرتها إلى آذان المدعي العام التركي الذي أمر بمنع بيعها ومصادرة جميع النسخ الموجودة في المكتبات. فعل هذا بالرغم من وجود كتب سياسية عديدة تتناول موضوع الكرد من دون أن يتحرك أحد لمنع توزيعها؛ (لاحقاً، رفع الحظر، وعاد الكتاب ينشر من جديد).

أمر واحد قد يكون أزعج المدعي العام التركي، والذي قد يكون استرعى انتباه فئة واسعة من القراء الترك المثقفين، وهو أن جويده، كتب كتابه تعبيراً عن قناعة كاملة بقوة الحركات الكردية المعاصرة وتجذّرها في التاريخ، وتعبيراً عن الظلم اللاحق بالكرد منذ زمن، بالرغم من مطالباتهم المستمرة. لذلك، فإنّ معظم الانتفاضات الكردية في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، لم تكن حركات منعزلة جاءت ردة فعل عن استياء من تردي الأوضاع الاقتصادية أو السياسية.

في خلاصته، حذر جويده القراء من أنه مهما كانت الأسباب الاقتصادية والاجتماعية للإحساس بعدم الرضا والاستياء «فيجب أن يكون معلوماً أن القومية التي هي أساس المسألة الكردية، هي في طبيعتها سياسية ونفسية.» إن الاهتياج القومي الذي طفا على السطح في العراق، بعد استيلاء العسكر على الحكم عام 1958، يجب أن يؤخذ بجدية تامة، لأنه كان متجذراً في عملية تاريخية عميقة، وكثيراً ما كان الفاعلون فيها متيقظين لها. وبالرغم من أن جويده انتهى من دراسته هذه عام 1959، فإنّ تطورات العقود اللاحقة بدت حتمية للقارئ النبيه.

لم تتوقّف دراسة جويده عند نقطة تحول زمني وحسب، بل مثلت تحولاً جذرياً في مفهوم الدراسات عن الكرد، لا تختلف كلياً عن تلك الدراسات التي أجريت عن مرحلة الاستعمار وما بعده في أماكن أخرى من العالم. خلال وجوده في بريطانيا أواسط خمسينيات القرن العشرين لإجراء بعض الأبحاث، قابل اثنين من أوائل الذين وضعوا دراسات عن الكرد: ڤلاديمير مينورسكي (V. Minorsky) وسسيل جون إدموندس (Cecil J. Edmonds)؛ وكلّ منهما مهتمّ بدراسة الثقافات الشرقية، ويمتلك معلومات واسعة عن الكرد، منذ كانا يعملان لمصلحة حكومتي بلديهما: الإمبراطورية الروسية بالنسبة إلى ڤلاديمير

مينورسكي، والإدارة البريطانية في العراق بالنسبة إلى إدموندس، وقد وطّدا علاقتيهما مع كبار الشخصيات الكردية (وليس بالضرورة مع القوميين الكرد؛ كان الشيخ محمود برزنجي مصدر أوجاع رأس بالنسبة إلى إدموندس)، وكما أصدرا دراسات تظهر تعاطفهما مع الشعب الكردي.

مقالة مينورسكي المطولة والمتفقهة عن كردستان والكرد التي نشرت في الإصدار الأول للموسوعة الإسلامية، إيفرت يان بريل 1913-36 (E.J. Brill 1913-36)، بينت مدى سعة اطلاعه على الموضوع. أما إدموندس، فقد نشر ملاحظاته، وخلاصة تجربته كضابط، في إقليم كردستان العراق بين العامين 1920 و1925 في كتاب بعنوان: الكرد، الترك والعرب (منشورات جامعة أوكسفورد، 1957) تحدث فيه بصدق وبالتفصيل عن الظروف الاجتماعية والسياسية والشخصيات، وعن مهامه المحلية في الأقاليم التي خدم فيها. وأبدى كلاهما اهتماماً خاصاً بمختلف البدع الدينية التي كانت سائدة أثناء خدمتهما في كردستان وبخاصة جماعة أهلي حق والإيزدية.

علاقة وديع جويده بالكرد كانت مختلفة جداً وكذلك مقاربته لموضوعه. ولد في البصرة، جنوب العراق في عائلة مسيحية تتحدث العربية، ثم انتقل مع عائلته إلى بغداد، حيث درس في جامعتها وتخرج منها عام 1942 حاملاً إجازة في الحقوق. خلال سنوات الحرب التي تلت ذاك التاريخ، عمل في وزارة الداخلية كمشرف على تزويد المقاطعات الشمالية بالمؤن، مما جعله يكثر الترحال في إقليم كردستان العراقي، ويتعرف، بالتالي، إلى العديد من الشخصيات الكردية. هذه العلاقة المباشرة مع الأرض وسكانها، عرف جويده كيف يستعملها في بحثه التاريخي فيما بعد. أما تعمقه في فهم المجتمع الكردي والسياسة، والذي بدا واضحاً خلال هذا الكتاب فمما لا شك فيه أنه نتيجة هذه التجربة.

قدم جويده نفسه باعتزاز على أنه عراقي عربي لكنه كان قلقاً بسبب انتمائه إلى أقلية دينية، وهذا، ما قد يكون سبب تقديره لوضع الكرد، كأقلية في الدول التي يعيشون فيها ولعلاقاتهم مع غيرهم من جيرانهم. وفيما كان الكتّاب الأوائل، يحاولون تحليل القومية الكردية استناداً إلى وجهات نظر الإدارة والمجموعات التي تشكل أغلبية سكان الدولة كان وديع جويده يبذل جهداً قوياً، ليقدم لقرائه وجهة النظر الكردية، فجاء كتابه واحداً من أكثر الدراسات تعاطفاً مع الموضوع وواحداً من الأكثر تفهماً لما يحرك الكرد، واعتبر كتابه أول دراسة جدية تركز على القومية الكردية كحركة قائمة في حدّ ذاتها، وليست مجرد ردة فعل لعملية تحديث أو إصلاح إداري.

الوضع كما رآه جويده كان مأسوياً بالنسبة إلى الكرد والشعوب التي يعيشون في وسطها والتي استيقظ لديها الشعور بقوميتها، وإن جاء ذلك متأخراً. الترك والفرس والعرب كانوا أعلى رتبة، والنظام الذي وضع للدول التي تضم أجزاء من كردستان، بعد الحرب العالمية الأولى، بني على أساس برامج لبناء أمة. وهكذا تحول الكرد إلى مواطنين، إنما ليسوا متساوين في الحقوق مع الترك والإيرانيين والعراقيين والسوريين، وأي جهد سيبذلونه من أجل إقامة دولة قومية لهم، سيجعلهم في مواجهة الأكثرية التركية والإيرانية والعربية، وفي مواجهة جيوش دول حديثة. هذا الوضع أثار استياء الكرد وغضبهم. أما الإحساس بعدم المساواة مع غيرهم من المواطنين الذين ينتمون إلى الأكثرية، فتسبب بانتعاش فكرة القومية الكردية التي أصبحت كما وصفها جويده «أكثر راديكالية، ورافضة لمبدأ المساومة.» والانقسام بين الأحلام والبراغماتية، جعل السياسيين الكرد أمام أمرين: إما الكفاح من أجل الحصول على استقلال تام، وإما الاستمرار في مهادنة الحكومات المركزية.

الحركة الإصلاحية التي أشار جويده إليها، كانت واضحة جداً في العراق

بعد الانقلاب العسكري عام 1958. المواطنون الكرد العاديون كانت لديهم مطالب أكثر إصلاحية وأكثر تقدماً من تلك التي ينادي بها القادة السياسيون، الذين كان عليهم الانتباه إلى تنامي الأصوات المعارضة لهم والمطالبة بحق تقرير المصير. جويده كان أكثر إنصافاً من معظم السياسيين الكرد حين تحدث عن الواقع العقلي للشعب الكردي وخصوصاً عن الطموحين منهم الذين تفصل بينهم جبال وعرة يتعذر اجتيازها، إذْ شتتوا في أماكن عديدة تفصل بينها حدود دولية لكنهم كانوا يرغبون أن يكونوا كغيرهم من الشعوب المحظوظة، أن تكون لهم دولة تعبر عن هويتهم القومية.

أكدت تطورات السنوات الخمس والأربعين الأخيرة، بعد انتهاء جويده من كتابة أطروحته صحة توقعاته من أن انخفاض نسبة الأمية وازدياد عدد المثقفين والتواصل مع الحركات الثورية سيؤدي حكماً إلى زيادة عدد الكرد العاملين الملتحقين بالحركة القومية. وهكذا أصبحت القومية الكردية قوة، على دول المنطقة أخذها في عين الاعتبار، ليس على المستوى المحلي فقط، بل وعلى المستوى العالمي أيضاً. هذا لا يعني أن الانقسامات القبلية واللغوية والدينية التي أشار جويده إليها، لم تعد تشكل عائقاً أمام القومية الكردية، على العكس، فبعض تلك المشكلات قد أفرزت حركات تقوم على هويات متميزة ضمن الحركة الكردية الأوسع، مثال الحركة الإيزدية والعلوية أو الزازائية التي ذهب بعض ممثليها حتى إلى المطالبة بقومية مستقلة لهم.

بالنسبة إلى كرد العراق حافظ الإقليم الكردي على هويته وقوته، وكذلك فعلت الأحزاب السياسية التي أخذت توسع نفوذها وسط القواعد الشعبية. وينطبق هذا القول- إلى حد ما- على كرد إيران خلال الفترة القصيرة التي سمح فيها للأحزاب أن تمارس نشاطاتها علانية. إن عملية التمدين التي مارستها الحكومات الإقليمية، من خلال توطين القبائل الرحالة، ساهمت إلى حد بعيد في تراجع الإحساس بالهوية القبلية، لكن السياسات الحكومية، في

العراق وتركيا بخاصة، عملت وبشكل ممنهج على تقوية العصبيات القبلية لتأسيس ميليشيات تحارب الحركة القومية الكردية.

رغم تجزئة الأراضي الكردية وتوزعها بين إيران والعراق وتركيا وسوريا، كان من السهل على أي كردي عبور تلك الحدود، حيث، وفي كل بلد من تلك البلاد، شارك الكرد في العمل الحكومي، وفي القوى السياسية الأخرى. إن الاختلاف في انتهاج سياسات ثقافية في تلك البلدان، وكذلك الاختلاف في انتهاج سياسات اجتماعية واقتصادية أعطى الحركة الكردية ميزة خاصة بها في كل بلد منها.

في كتابه، يلاحظ جويده تطورات إيجابية برزت ضمن تركيا خلال خمسينيات القرن العشرين، حيث تبذل حكومتها جهداً جدياً لإنماء المناطق الريفية وكذلك في إقليم كردستان أيضاً. بالرغم من هذا، رأى جويده «أن المسألة الأساسية التي هي مثار اهتمام الكرد، لا تحظى بعناية الحكومة التركية التي ترفض رفضاً باتاً الاعتراف بالكرد كقومية خاصة، أو السماح لهم بممارسة نشاطاتهم الثقافية بحرية.» مطالب الكرد الذين انخرطوا في حزب العمال التركي خلال ستينيات القرن العشرين تمحورت حول أمرين: الإنماء الاقتصادي والاعتراف بالكرد كشعب له خصوصيته كما الاعتراف بحقوقه الثقافية. كذلك كانت هي مطالب الأغلبية الكردية غير المنضوية تحت لواء أي حزب سياسي تركي.

الرد التركي بالقمع أدى إلى جعل الحركة الكردية أكثر راديكالية، فارتفعت خلال سبعينيات القرن المذكور، أصوات كردية تنادي بحق تقرير المصير والحكم الذاتي. حزب العمال الكردي (PKK)، الذي هو أكثر الأحزاب الكردية راديكالية أخذ يطالب باستقلال إقليم كردستان بكامله. لكنه، وبعد البدء بممارسة حرب العصابات، عام 1984، ركز عمله ضد تركيا (وكان عناصره ينطلقون من سوريا، والعراق وإيران). لكن هذا الحزب، ورغبة

منه بالتفاوض مع الحكومة التركية، أخذ يبدي تساؤلات ويتراجع عن مطالب سبق له أن طرحها. ليس هذا وحسب، بل وخلال سبعينيات القرن العشرين أخذ يتحدث عن حل ضمن الإطار التركي. ومنذ اعتقال زعيمه أوجلان، عام 1998، أخذ حزب العمال الكردي يتراجع عن المزيد من المطالب، حتى كاد ينسى الحقوق الثقافية وحرية العمل السياسي. وأصبح واحداً من أهم المدافعين عن انضمام تركيا للاتحاد الأوروبي اعتقاداً منه أن اندماج الدولة التركية في تكتل عالمي قوي هو الضمانة الأفضل لحصول الكرد على حقوقهم الثقافية وعلى نوع من الحكم الذاتي.

كرد سوريا أقل عدداً من كرد البلدان الثلاثة الأخرى. إنهم يشكلون عشرة بالمئة من سكان سوريا ليس أكثر (في حين يشكلون ما نسبته 20 % في تركيا وإيران وأكثر من ذلك بقليل في العراق). أما مطالبهم فكانت محصورة بالاعتراف بحقوقهم كبشر ليس إلّا. وتتمثل المسألة الأساسية بعدم منح الجنسية لمئات آلاف الكرد الذين جاء أسلافهم مما يعرف اليوم بتركيا، والذين لايزال ينظر إليهم، على أنهم غرباء، في الوقت ذاته الذي يعتبر فيه كرد سوريا من داعمي النضال ضد العراق وتركيا.

بالرغم من أن الكرد في إيران يشكلون نسبة لا بأس بها، فمن الصعب الحصول على معلومات موثوقة عنهم، وعما يجري في أوساطهم، إلّا من خلال مقارنتهم بكرد العراق أو تركيا، لذا يمكن للقراء، وبهدف المزيد من الاستفادة، عدم الاكتفاء بما كتبه جويده عن كرد إيران، بل الاطلاع على دراسة السياسة الاقتصادية للمنطقة، بما فيها، بعض الملاحظات عن التطورات السياسية خلال فترة خمسينيات القرن العشرين والتي كتبها المثقف والسياسي عبد الرحمن قاسملو [كردستان والكرد – براغ أكاديمية العلوم التشيكوسلوفاكية – عام 1965]، أو دراسة وليم إيغلتُن (William Eagleton) عن جمهورية ماهاباد : الجمهورية الكردية عام 1946 (*The*

(*Kurdish Republic of 1946* [Oxford University Press, 1963]. خلال ستينيات وسبعينيات القرن العشرين قدم الناشطون السياسيون من كرد إيران دعماً لا يستهان به لإخوانهم كرد العراق، بالرغم من أن تزايد اعتماد هؤلاء الآخرين على الحكومة الإيرانية كان يزيد من المخاوف والقلق، بخاصة بعد إقدامهم - أي إقدام كرد العراق - على المساعدة في إخماد انتفاضة بعض الشباب الكرد الإيرانيين عام 1968. مما ساهم في استمرار توتر العلاقة بين البارزاني وكرد إيران.

خلال الثورة الإيرانية عام 1978-1979، أخذ كرد إيران يسعون للحصول على الحكم الذاتي. وبالفعل عرفت أجزاء كبيرة من كردستان إيران نوعاً من الحكم الذاتي - كأمر واقع - لسنوات عديدة. وتأسست أحزاب كردية تطالب بتثبيت هذا الواقع، مثل حزب كردستان الديموقراطي وغيره من الأحزاب الصغيرة التي لعبت دوراً بشكل أو بآخر. ولكن عام 1983، تمكنت الجمهورية الإسلامية - بمساعدة من البارزاني وإن غير معلنة - من إحكام قبضتها على المناطق الحدودية، وطرد آخر مجموعة من الساسة القوميين الكرد والفدائيين إلى إقليم كردستان العراقي. ومنذ ذلك الحين أخذ نشطاء الحركة الكردية القومية يمارسون نشاطهم سراً. لكن هذا لم يمنع من ازدهار الحركة الثقافية الكردية نوعاً ما. وهكذا انخرط الساسة الكرد الباقون في حركات المعارضة المنادية بتعزيز الحياة الديموقراطية في إيران بدلاً من التركيز على مطالب كردية مخصوصة.

عرف إقليم كردستان العراق تطوراً مهماً وملحوظاً. كما أنّ اتفاقية الحكم الذاتي عام 1970 لم تضع حداً لكفاح الشعب الكردي الذي وجد نفسه أمام مشكلات جديدة كمشكلة الترحيل الجماعي للكرد من إقليم كركوك الغني بالنفط، وغيره من الأقاليم التي كانت ترغب الحكومة العراقية بإبقائها خارج منطقة الحكم الذاتي. أميركا وإسرائيل أخذتا تقدمان العون للبارزاني، في

حين أخذت الحكومة العراقية تبدي تقارباً واضحاً نحو الاتحاد السوفياتي، مما حوّل إقليم كردستان العراقي إلى ساحة معركة «ساخنة» في الحرب الباردة بين الشرق والغرب. استمر الوضع كذلك، حتى توصل الطرفان الإيراني والعراقي إلى نوع من التفاهم عام 1975، يقضي بإحلال الاستقرار بين الطرفين. وهكذا انتفت الحاجة للكرد.

أثناء الحرب العراقية - الإيرانية (1980-1988) تعاونت الأحزاب الكردية إلى حد ما مع الجانب الإيراني، وضمت مناطق أخرى إلى منطقة الحكم الذاتي، الأمر الذي كلفهم معاناة رهيبة جراء انتقام الحكومة العراقية. وهكذا، وما إن شارفت الحرب العراقية - الإيرانية على نهايتها، حتى أقدمت الحكومة العراقية على القيام بعدة هجمات مستعملة الأسلحة الكيمياوية، التي زرعت الموت والدمار، وأدت إلى تدمير آلاف القرى فوق رؤوس قاطنيها؛ واختفى ما يزيد عن مئة ألف رجل من كل الأعمار، معظمهم أو كلهم دفنوا في مقابر جماعية في الصحراء الشمالية. لم يعر أحد اهتماماً لمثل هذه الإبادة العرقية إلّا بعد فقدان صدام حسين موقعه كحليف للدول الغربية، في مواجهتها الحركات الإسلامية والمتصاعدة.

أثناء الحرب التي قادتها أميركا عام 1991 لإخراج صدام حسين من الكويت، استغل الكرد الفرصة، وكذلك شيعة جنوب العراق، فانتفضوا على حكم بغداد. وعلى عكس ما جرى سابقاً، كان الكرد هذه المرة، وبفضل التدخل الدولي، في مأمن من انتقام صدام حسين. وهكذا عرفت معظم المناطق الشمالية من العراق نوعاً من الاستقرار والهدوء. وهكذا أيضاً تحول، وبفعل الأمر الواقع، قسم كبير من إقليم كردستان العراق إلى ما يشبه الكيان المستقل ذاتياً، وعرف نمواً اقتصادياً لم تعرفه بقية المناطق العراقية. وفي الوقت ذاته انتعشت الحركة السياسية والثقافية، وعلى المستويات كافة. وتلقى القادة الكرد العراقيون، دعماً دولياً غير محدود، مما جعلهم لاعبين

أساسيين في أي جهد يبذل لبناء العراق الجديد. بعد عقد من تجربة إدارتهم لإقليمهم وبوجود قوة عسكرية مدربة جيداً، صار كرد العراق يشغلون موقعاً قوياً، لم يسبق لهم أن عرفوه من قبل. صاروا يشغلون موقعاً يسمح لهم بإدارة إقليمهم ولعب دور أهم في الحياة العراقية.

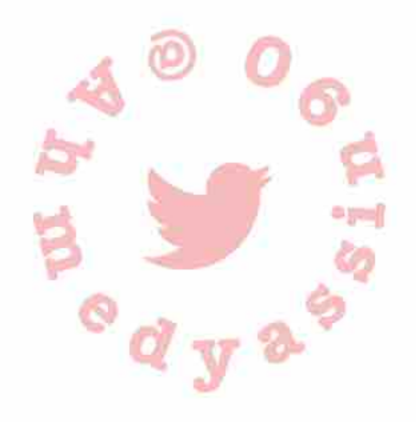
ما قاله وديع جويده، عن أهمية فهم الكرد، ظهرت أهميته، في مرحلة ما بعد انقلاب عام 1958 في العراق، وفي الظروف الحالية أيضاً. «إن تصرفهم هو واحد من العوامل المهمة، لبناء مستقبل مستقر وآمن، ليس للدول التي يسكنها مواطنون كرد وحسب، بل للشرق الأوسط بكامله. لذا، فمن المهم، أن نعرف الكرد وأن نتفهم أهدافهم، وتوجهاتهم السياسية والمنهج الذي يرغبون بانتهاجه.»

في محاولة لفهم ما آل إليه حال العراق بعد الغزو الأميركي بدءاً من العام 2003، لا بد من العودة إلى مرحلتين سابقتين في تاريخ العراق: الاحتلال الإنكليزي بعد الحرب العالمية الأولى، الذي أدى إلى إنشاء المملكة العراقية، وسنوات الثورة التي أعقبت الانقلاب العسكري الذي أطاح رموز الملكية ومناصري الإنكليز. مسائل أساسية، بقيت بلا حلول، إن عند إنشاء الملكية، أو حين تأسيس الجمهورية لاحقاً. أسئلة تتعلق بعلاقة الكرد مع تلك الدولة العربية. أسئلة تتعلق بثقافتهم وحقوقهم القومية. أسئلة تتعلق بطبيعة تمثيلهم. كل هذه تمثل جوهر المسائل الأساسية التي بقيت تبحث عن حلول. معالجة جويده لكل هذه المسائل جعلت دراسته وثيقة الصلة بموضوع معاصر.

مارتن ڤان بروينسن من جامعة أوتريخت.

(Martin Van Bruinessen of the University of Utrecht)

كانون أول/ ديسمبر، 2004.


@Ahmedyassin90

تمهيد

لعب الكرد كشعب موهوب ومفعم بالحيوية دوراً أساسياً في تاريخ الشرق الأوسط. لقد قدموا رجالاً مميزين، كقادة عسكريين ورجال دولة وأساتذة جامعيين، وساهموا في إغناء ثقافة الدول الإسلامية الشرق أوسطية. بعد العرب والترك والفرس، يشكل الكرد مجموعة إثنية هي الأكثر عدداً في منطقة آسيا الغربية. وباعتبارهم مولعين بحب القتال، ولا يزالون حتى اليوم يفتقرون إلى الحياة الحضارية بما لهذه الكلمة من مفهوم عصري، فقد شبهوا أحياناً بالعشائر السكوتلندية خلال القرن السابع عشر. وبالرغم من اعتزازهم بجذورهم التي تميزهم نسبياً عن غيرهم، وحتى أيامنا هذه، فهم لايزالون يلعبون دوراً هامشياً وسط جيرانهم الذين يتفوقون عليهم عدداً وتنظيماً.

كأمة، الكرد، بالنسبة إلى العرب والترك والفرس، هم السكوتلنديون بالنسبة إلى الإنكليز. بالرغم من أنهم أعطوا رجالاً عسكريين كصلاح الدين الأيوبي الذي تولى حكم إمبراطورية إسلامية مترامية الأطراف، ورجال دولة مثل ملّا إدريس البدليسي الذي شغل منصب المستشار الأول للسلطان سليم الأول؛ وكريم خان زند الذي حكم بلاد فارس لمدة عشرين عاماً؛ بالرغم من هذا، لم يتمكنوا من إنشاء إمبراطورية خاصة بهم. إمبراطورية ميديا هي الإمبراطورية الوحيدة، التي يمكن القول إن الشعب الكردي أسسها، لكنها لم تدم طويلاً بالرغم من اتساع شهرتها.

إدراك الكرد لمفهوم القومية جاء متأخراً وهنا تكمن مأساتهم، كما مأساة الشعوب التي يعيشون في وسطها. إنهم يبحثون عن كيفية توحيد ما يعتبرونه وطنهم المقسّم بين الترك والعرب والفرس. إنها مهمة صعبة وخطيرة. البيئة الكردية وكذلك كل الظروف والحالات التي جبل بها الكرد كأفراد، حددت لهم أيضاً مصيرهم كشعب تفصل بينه جبال وعرة تشكل حواجز يصعب تخطيها، ويعيش وسط شعوب لا تجمعها لغة واحدة وتختلف في عاداتها، ومحكوم بالانصياع للولاءات القبلية الضيقة، وتباعد بينه حدود دولية. وبالرغم من هذا كله فهو يحن أو يتمنى، أن يكون مثل غيره من الشعوب المحظوظة التي تمكنت من بناء دولها القومية.

يشغل الكرد اليوم منطقة واسعة ومهمة في قلب الشرق الأوسط، وهم أهم أقلية قومية في المنطقة، ويشكلون نسبة لا بأس بها من مجموع شعوب تركيا والعراق وإيران وسوريا. وبالرغم من فشل حركات التمرد الكردية ضد الترك والعراقيين والإيرانيين، ما انفكت القومية الكردية تعتبر مبعث قلق لحكومات تلك الدول. وتبعاً لنجاح الحركات القومية المحيطة بهم - الترك والفرس والعرب - ومدفوعين بمحاولة لملمة آثار الانتكاسات أصبح القوميون الكرد، أكثر راديكالية وأكثر تشبثاً بمطالبهم. لهذه الأسباب، كان على الكرد أن يلعبوا دوراً مميزاً في الشرق الأوسط، وأكثر تأثيراً في شؤونه. إن تصرفهم هو واحد من أهم عوامل الاستقرار المستقبلي والأمان، ليس بالنسبة إلى المواطنين الكرد، في تلك الدول وحسب، بل وللشرق الأوسط بأكمله. إذن علينا، التعرف إلى الكرد وإدراك أهدافهم وتوجهاتهم السياسية والنمط الذي يريدون انتهاجه.

تهدف هذه الدراسة إلى الإجابة عن التساؤلات التالية:

1- هل هناك قومية كردية قائمة على وعي متطور بالشعور القومي والخصائص المميزة التي يتشاطرها المؤمنون بهذه القومية؟

2- إذا كان الأمر كذلك، فهل الوعي القومي الكردي، وتصميم الكرد على الحفاظ على هويتهم القومية ورغبتهم في الحكم الذاتي سياسياً، هو على قدر من القوة يسمح بالقول، هناك حركة قومية كردية؟

3- فيما إذا كانت الأجوبة عن السؤالين السابقين إيجابية، فما هي علاقة تلك الحركة القومية بالسياسة الدولية في الشرق الأوسط؟

بعد الإجابة عن تلك الأسئلة، على التاريخ الكردي إثبات أنه جدير بأن يحظى باهتمام أولئك المهتمين بمفهوم القومية كحركة جماهيرية معاصرة.

حاولت في هذه الدراسة ربط المسائل الكردية بالماضي السياسي لكل من الدول التي يقيم فيها الكرد والقوى العظمى، لإثبات أن ما من قوة عظمى ملمة بالشرق الأوسط وشؤونه، يمكنها تجاهل المسألة الكردية، أو منع قيام سياسة كردية كجزء من السياسة العامة للشرق الأوسط.

كما نحوت في هذه الدراسة لملء فراغ في الأدبيات الكردية من خلال تقديم صورة متكاملة أقصى ما أمكنني عن المسألة الكردية. لا أنكر أن دراسات سابقة، قدمت أشياء قيمة عن مختلف مظاهر هذه المسألة ككل متكامل، بما فيها التطورات التاريخية وفي سياق تفصيلي دقيق.

اهتمامي بالكرد بدأ عامي 1943-1944، حين كنت أشغل منصب مفتش التموين للمحافظات العراقية الشمالية الخمس، التي - هي وحدها من بين المحافظات العراقية الأربع عشرة - تضم المناطق الكردية. كانت مهمتي تقضي أن أتجول كثيراً في إقليم كردستان، وجعلتني على تواصل مباشر مع الشعب الكردي، وعلى مستوياته كافة، بمن فيهم المسؤولون الحكوميون، وزعماء القبائل ورجال دين.

جمعت الكثير من المواد التي استندت إليها هذه الدراسة، من بريطانيا وفرنسا حيث كنت قادراً على الاستفادة من التسهيلات التي تقدمها مؤسسات

الوثائق العامة: المكتب الاستعماري، والمتحف البريطاني، والمعهد الملكي للشؤون الدولية، ومعهد الدراسات الشرقية والإفريقية في جامعة لندن؛ ومكتبة بودليان (Bodleian)، ومكتبة متحف آشموليان (Ashmolean) الجامعية ومكتبة كلية القديس أنطوني في جامعة أوكسفورد، والمكتبة الوطنية ومدرسة اللغات الشرقية في باريس. كذلك حصلت على المزيد من المعلومات من مكتبة الكونغرس، ومكتبة هوتون في جامعة هارفارد، والمكتبة العامة لمدينة نيويورك ومكتبات معهد الشرق الأوسط، وكلية الدراسات المتقدمة في جامعة جون هوبكنز في واشنطن العاصمة.

وأرغب بتوجيه الشكر لعدد من الباحثين المميزين في الشؤون الكردية، بخاصة س. ج. إدموندس، المحاضر في الشؤون الكردية، في معهد الدراسات الشرقية والإفريقية في جامعة لندن، والمستشار السابق لدى وزارة الداخلية العراقية، كذلك إلى ڤلاديمير مينورسكي الأستاذ المتقاعد في جامعة لندن، اللذين منحاني من وقتهما الكثير لمناقشة العديد من المسائل التي تتعلق بالشؤون الكردية، بالإضافة إلى معلومات قيمة امتلكاها خلال عملهما في العراق وفي إقليم كردستان بخاصة. كذلك أوجه الشكر لكاميران بدرخان، أستاذ اللغة الكردية في مدرسة اللغات الشرقية في باريس، الذي هو، إلى جانب كونه واحداً من الكرد المعروفين، هو قائد من قادة الحركة القومية الكردية.

كما أحب أن أعبّر عن امتناني للسيد هاملْتُن جبّ (Hamilton Gibb) وجويت (Jewett)، أستاذ العربية في جامعة هارفارد، ولوديان (Laudian) أستاذ العربية في جامعة أوكسفورد، الذين ساعدوني في إجراء بعض الأبحاث في مكتبة بودليان، ومكتبة متحف آشموليان الجامعية، وللسيد ألبرت حوراني الأستاذ في كلية القديس أنطوني في جامعة أوكسفورد الذي مكنني

من الاستفادة من التسهيلات التي يقدمها المعهد الملكي للشؤون الدولية، وكذلك في مكتبة كلية القديس أنطوني. كذلك أوجه الشكر للسيدة روز إلفنستُن (Rose Elphinston)، أرملة المرحوم العقيد وليم غراهام إلفنستُن (W. G. Elphinston) التي سمحت لي بالاطلاع على بعض مخطوطات زوجها، وكذلك إلى العقيد كَيلي بِلّ (Colonel Cayley Bell) المفوض السياسي والبريطاني السابق، في شمالي سوريا وجنوب تركيا، لما قدمه من معلومات تعتبر جوهرية.

أخيراً أود التعبير عن تقديري لمؤسسة فورد ولمركز الشؤون الدولية، ولجامعة إنديانا لمساعدتها المالية التي مكنتني من إتمام الأبحاث التي ترتكز عليها هذه الدراسة.

شكر وامتنان

بصفتي أرملة وديع جويده: أود تقديم الشكر للذين ساهموا في نشر أطروحة زوجي عن القومية الكردية. كان وديع يتوقع أن تنشر هذه الأطروحة التي بذل جهداً في إعدادها، وهو على قيد الحياة. ولكن وبعد تقبله منصباً جامعياً، في جامعة إنديانا، وجد نفسه منهمكاً في عمله الجديد وفي تأسيس وتطوير برامج الدراسات الجامعية للشرق الأدنى، ونذر نفسه بالتالي من أجل طلابه ومساعدتهم في أبحاثهم، مما حال دون تحويل أطروحته إلى كتاب.

في مقدمته، شكر زوجي العديد من الباحثين في الولايات المتحدة الأميركية وأوروبا، الذين مدوا له يد العون، بطريقة أو بأخرى. والآن أرغب بشكر البعض من غير أولئك الذين شكرهم زوجي، ممن ساعدوا في عملية إعداد هذا العمل للنشر باللغة الإنكليزية بعد مضي زمن على كتابته.

أولاً، الشكر لشقيقة وديع ألبرتين، الأستاذة في جامعة تورنتو، وزوجها البروفسور جيمس كوكس في جامعة يورك، لمراجعته النصوص والمساعدة في شرح إملاء وتشكيل الكلمات والأسماء العربية. كذلك توجيه الشكر لكاظم شعبان من بلومينغتُن (Bloomington) إنديانا للغرض ذاته، وهو الذي كان أستاذاً في جامعة بيردي (Purdue) وصديقاً عزيزاً لوديع. كذلك، لا بد من شكر البروفسور أمير حسنبور من جامعة تورونتو الذي كان كريماً جداً في منحنا الوقت لشرح معاني وإملاء الأسماء، والمصطلحات الكردية. وكذلك

أشكر ابنتنا دارا (من دايفيس كاليفورنيا) لقراءتها النص مرات عديدة وتقديمها العديد من الاقتراحات القيمة.

كما أشكر المصورة سوزان مسيلاس (Susan Meseilas) ومؤلفة كتاب كردستان: في ظلال التاريخ (*Kurdistan in the Shadow of History*) ومساعدتها مريل لڤين (Meryl Levin) التي قدمت العديد من الصور من مجموعتها الخاصة التي سمحت بإيضاح بعض الأفكار، وكذلك أدين للدكتور برهان الطوران من جامعة إنديانا لسماحه باستخدام عدة صور التقطها عن مشاهد وأماكن سكن في كردستان، والخرائط لإقليم كردستان، ولا سيما تلك التي تتصدر هذا العمل، والتي أعدها مايكل هُلينغزورث (Hollingsworth) من جامعة إنديانا.

الشكر أيضاً للشابة ساندي فنسنت (Sandy Vincent) من بلومينغتُن - إنديانا التي عملت جاهدة وبصبر لتحويل هذا العمل إلى عمل رقمي صالح للطباعة؛ وكذلك ڤاليري نيكيرك (Valerie Nikirk) التي اعتنت بتنضيد مخطوطة تحتوي على كثير من المفردات العربية والكردية والفارسية والتركية؛ وإليزابيت ميلّر مايدي (Elizabeth Miller Maidi) لتوليها تصحيح المخطوطة والبروفة تصحيحاً دقيقاً. كذلك أرغب بتوجيه الشكر لوالدتي آلميدا رعيد التي أمضت أياماً وليالي لا عدلها، جالسة في غرفة طعامها لطباعة ما كتبه وديع بعد تنقيحه وإدخال التعديلات اللازمة عليه، وقد بلغت صفحاته نحواً من 900 صفحة، وإعداد خمس نسخ منه مستخدمة الآلة الكاتبة وورق الكربون.

كما أقدم الشكر للسيد أحمد الهندي صديق زوجي ورفيق دراسته في جامعة سيراكوز، وزوجته بيتي التي ساهمت في التشجيع معنوياً، ومد يد العون مادياً لإخراج هذا الكتاب إلى النور، إضافة إلى العديد من العاملين في

مطبعة جامعة سيراكوز الذين بذلوا جهداً لإنجاز المشروع، وبخاصة آني بارڤا (Annie Barva) لمجهودها بصفتها محررة للكتاب.

بالإضافة إلى الذين سبق وذكرتهم أود تقديم الشكر للبروفسور مارتن ڤان بروينسن (Martin Van Bruinessen) من جامعة أوتريخت لتفضله مشكوراً بكتابة مقدمة قيمة، وهو الذي ساعد في نشر أطروحة زوجي باللغة التركية أولاً، منذ سنوات، وها هو اليوم يساهم في نشرها باللغة الإنكليزية.

بالنيابة عن زوجي، أهدي هذا الكتاب، إلى أولادنا الأحباء وأحفادنا: ابنتنا دارا نارمين جويده پليزانت وابنتنا المرحومة ليل ديان جويده خان، وأحفادنا الثلاثة، ألكسندر جويده-خان، ديڤون جويده پليزانت، وديرك جويده پليزانت، الذين كانوا مصدر سرور زوجي وغبطته في سنوات حياته الأخيرة.

بلومينغتُن – إنديانا

آليس رعيد جويده

آذار/ مارس، 2006.


Yerevan
Erzerum
TURKEY
Dersim
Mush
Lake Van
Van
Bitlis
Tabriz
Lake
Urmia
Diyarbakr
B O H T A N
Urfa
Mardin
Jazirat ibn 'Umar
'Amādiyah
Suwara Tuka
Dohuk
Shaykhān
Aqra
Sauj Bulaq
(Mahābād)
BARZAN
Rawāndūz
Tel 'Afar
Mosul
Arbīl
Rānya
Qala Diza
SYRIA
Altun Kupri
Chamchamāl
Sulaymāniyah
Kirkuk
Halabja
Dair al-Zor
IRAQ
Tuz Khurmatu
IRAN
Khaniqin
Euphrates
Baghdad
Tigris
0
50
100 miles
0
50
100
150 kilometers

الفصل الأول

الخلفية الجغرافية والتاريخية والثقافية

الجغرافيا

الحدود

تضم كردستان(*)، وهي منطقة شاسعة على شكل هلال في قلب الشرق الأوسط، معظم شرق تركيا وشمال العراق وجزءاً كبيراً من شمال غرب إيران وأجزاء من شمال وشمال شرق سوريا، وبعض الأراضي في جنوب وجنوب

(*) اعتمدنا في المراجع المحال إليها الطريقة التالية تسهيلاً على القارئ أو الباحث.
1-مثال: (بالإنكليزية، مرجع 100) (وكذا باللغات الواردة في الكتاب)، تعني أن المرجع باللغة المذكورة ورقمه في القائمة كما هو وارد. وهذا في المرة الأولى التي ترد فيها الإحالة إلى المرجع.
2- في حال تكررت الإحالة إلى المرجع فيتم ذلك بالصيغة التالية:
م س رقم 100، أي أن المرجع سبق أن أحيل إليه وهنا نذكر برقمه في القائمة.
3- في حال ورود الإحالة إلى مرجع بعينه عدة مرات متتالية فنشير إليه بـ م ن. =

شرق أطراف أرمينيا.[1] تواجه الحافة المجوفة أو الداخلية للهلال جنوب غرب، بطرف يستقر على سفوح جبل الكرد (كرد داغ) الغربية قرب خليج اسكندرونة والطرف الآخر على مانيشت كُه عند الطرف الشمالي الغربي لجبال لورستان.

وإذا عرضنا ذلك باختصار، يمكن اقتفاء أثر حدود كردستان كما يلي:[2]

= معظم مقالات الموسوعة الإسلامية التي أشير إليها في هذه الدراسة من الطبعة المعادة للموسوعة الأصلية الأولى، التي كانت تحمل عنوان الموسوعة الإسلامية لإيفرت يان بريل: قاموس جغرافي واثنوغرافي وبيوغرافي للشعوب المحمدية، 4 مجلدات (لايدن: إ. ي. بريل، عام 1913-36) وملحق، أما الطبعة المعادة فتحمل عنوان الموسوعة الإسلامية الأولى لـ أ. ي. بريل، 1913-36 (إ. ي. بريل، عام 1987) 9 مجلدات. تستعمل الإشارات إلى الموسوعة أرقام مجلدات الطبعة المعادة إلّا أن أرقام الصفحات هي نفسها في ط 1 والطبعة المعادة. وهناك مقالات قليلة استشهد بها في هذه الدراسة من المجلد التاسع من الطبعة المعادة بعنوان الملحق (لايدن ولندن: إ. ي. بريل ولوزاك، عام 1935). واستشهد ببعض المقالات من الموسوعة الإسلامية، الطبعة الجديدة، 11 مجلداً (لايدن ونيويورك: إ. ي. بريل ولوزاك، أعوام 1954-2003).

(1) كردستان مصطلح حديث نسبياً يستعمل لوصف المناطق التي تقطنها الشعوب الناطقة باللغة الكردية. وقد استعمل هذا المصطلح أول مرة السلاجقة الترك، الذين طبقوه على منطقة لم تشكل سوى جزء صغير مما يعرف حالياً باسم كردستان. ف. مينورسكي، «كردستان،» في الموسوعة الإسلامية، ط 1، 4: 1130-32 (بالإنكليزية، مرجع 168).

(2) يستند هذا الوصف لحدود كردستان إلى المؤلفات التالية: إ. ب. سون، «حدود كردستان،» في تقرير عن منطقة السليمانية في كردستان: مع بعض الاهتمام بالقبائل الحدودية في تركيا وفارس وتاريخ مسألة الحدود بين البلدين، 1-3 (بالإنكليزية، مرجع 356)؛ لوسيان رامبو، الكرد والقانون: نصوص وأعمال 1-2 (بالفرنسية، مرجع 213)؛ خريطة كردستان في: محمد أمين زكي، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان من أقدم العصور حتى الآن (بالعربية، مرجع 314)؛ خريطة كردستان =

بداية من كرد داغ، تتقوس الحدود باتجاه شمال شرق على طول الأطراف الشرقية لجبال الأمانوس ومقابل سلاسل جبال طوروس، مارة قرب ماراش ومن هناك إلى ملاطية، وعلى طول ضفة نهر الفرات الغربية. وهي تمتد إلى الشمال ثم تستدير بحدة إلى الشرق، وعلى طول الحلقة الكبيرة التي يشكلها نهر قره صو (الفرات الغربي) الذي يحيط بمرتفعات دَرْسِيم. ومن هناك، تمتد على طول الأطراف العليا لنهر قره صو، مارة قرب أرضروم. ومن هذا المكان، تتجه إلى الشمال الشرقي لتضم أجزاء من إقليم قارص في تركيا، وتعبر الحدود التركية - السوڤياتية، مارة بجبل الغز (الأغوز) في أرمينيا. ثم تنعطف بحدة إلى جنوب يريڤان لتضم ناخشڤان في أرمينيا، وتمتد منها إلى الجنوب متجهة شرق كوي وتجري على طول الشواطئ الغربية لبحيرة أورميا، لتضم سالاماس وأورميا وأشنو. ومن جنوب بحيرة أورميا تتجه إلى الشرق مارة وراء مياندواب إلى بيژار (جروس). وتمتد باتجاه الجنوب إلى كانغافار، مارة عبر الأطراف العليا لنهر قزل أوزِن. ومن هناك، تنعطف باتجاه جنوب غرب في قوس واسع لتضم كرمنشاه، وتنتهي عند مانيشت كُه على الحدود الشمالية للورستان.

ومن هذا المكان، تمتد الحدود على طول الحافة الداخلية للهلال في اتجاه شمالي غربي، مارة قرب الحدود العراقية الفارسية في خانقين لتضم سهول زوهاب وماهيَدشت. ثم تعبر نهر ديالى قرب قزل رباط وتتحرك باتجاه شمال - شمال غرب، مارة قرب كِفْري وكركوك، وتساير نهر الزاب الأصغر إلى آلتون كوبري. ومن هنا، تنعطف باتجاه الغرب لتطوق جبل قره تشوك وسهل أربيل، عابرة الزاب الأكبر عند أسكي كِلِك، وتتحرك على طول

= التي نشرتها الرابطة الكردية، ف. ر. مونسل، «كردستان،» المجلة الجغرافية، 8-82 (بالإنكليزية، مرجع 156).

الحافة الجنوبية لجبل المقلوب إلى دهوك ومن هناك إلى سميل. ثم تعبر نهر دجلة وتتحرك باتجاه الجنوب ثم باتجاه الشمال مارة قرب فيشخابور لتطوق جبل سنجار، ثم باتجاه الغرب، مارة عبر الجزء الشمالي من الجزيرة العليا. ومن هناك، تلتف حول السفوح الجنوبية لطور عبدين وقراجة داغ وتقترب من الحدود التركية السورية في اتجاه غربي، مارة قرب ماردين وفيرنشهر وأورفة وكلّس منتهية في جبل الكرد (كرد داغ).



الصورة 1. جبال الحدود الكردية في العراق. من إ. ب. سون، إلى بلاد ما بين النهرين وكردستان متنكراً. بترخيص من جون موراي، لندن.

الجغرافيا الطبيعية

أوضح فيشر أن الوحدة الطبيعية ضئيلة في شرق تركيا.[1] ويمكن تطبيق هذا على كردستان كلها. فالسلاسل الجبلية العديدة التي تغير اتجاهها فجأة

(1) وليم بين فيشر، الشرق الأوسط: جغرافيا طبيعية واجتماعية وإقليمية، 303 (بالإنكليزية، مرجع 82).

كما في كردستان الوسطى، وأحواض الأنهار الكبيرة مثل حوضي دجلة والفرات، المحاطة بالسهول كما في منطقتي موش وخينيس، والأحواض المنحدرة (البييضات) كما في أورميا وكوي، والاندفاعات الكبيرة للحمم البركانية الحديثة مثل تلك التي تغطي معظم سهول أرمينيا العليا يمكن أن تُقدَّم كدليل على التنوع الكبير وفقدان الوحدة الطبيعية التي تميز كردستان.

الطبوغرافيا. يمكن القول إن كردستان تتشكل من ثلاث سلاسل جبلية رئيسة هي: الأرمينية أو طوروس الشرقية وطوروس الداخلية[1] وزاگروس. الاتجاه الجنوب غربي - الشمال شرقي لجبال طوروس الوسطى أو المعاكسة لطوروس تتغير إلى اتجاه شرق - غرب بشكل عام في كل طوروس الشرقية أو الأرمينية وطوروس الداخلية. تساير هاتان السلسلتان الجبليتان إحداهما الأخرى في البداية، ثم تتباعدان تدريجاً. تمتد جبال طوروس الداخلية على شكل قوس شمال بحيرة ڤان (وان) وتستمر بقيتها على هذا المنوال في اتجاه شمال شرق، في حين أن جبال طوروس الأرمينية، التي تنعطف قليلاً إلى جنوب تلك البحيرة، تمتد في اتجاه جنوب شرق.

تبدأ الجبال الكردية المأهولة بالسكان في دَرْسِيم، وهي سلسلة طوروس الداخلية، بجبل منذر (منذر داغ) الكبير وامتداده شرقاً، ومرجان داغ باتجاه شرق - غرب.[2] وعلى طول خط يمتد إلى شمال شرق هذه المنطقة يقع بينجول داغ (جبل الألف بحيرة)، وجبل تندروك وجبل آرارات بينما يقع،

(1) لغرض التطابق استعملت في هذه الدراسة المصطلحات التي يطلقها الأطلس السوڤياتي الكبير على مختلف سلاسل جبال طوروس في تركيا: طوروس الغربية (زابادني تافر)، طوروس الوسطى (تسينترالني تافر)، طوروس الشرقية أو الأرمنية (فوستوتشني أرمينيانسكي تافر) وطوروس الداخلية (فنوتريني تافر).

(2) لويس مولينو - سيل، «رحلة في دَرْسِيم،» المجلة الجغرافية 44، عدد 1 (تموز/ يوليه، عام 1914): 49-68 (بالإنكليزية، مرجع 178).

جنوب شرق هذه المنطقة، جبل نمرود وجبل سيپان وألا داغ. وهذه الجبال كلها بركانية.[1]

جبال طوروس الشرقية أو الأرمينية، التي تبدأ بجبال ملاطية والعزيز، تستمر جنوب بحيرة ڤان (وان) في جبل أغروف (أغروف داغ) الشامخ، وجبل أرنوست مِلِتو وجبل باشي (باشي داغ) وإلى جنوب هذه المنطقة يقع حوض نوردوز، الذي هو مجموعة من المراعي الجبلية العالية (يايلا). في هذه المنطقة يُظهِر الاتجاه النظامي لهذه الجبال حتى اليوم إشارات تغير مفاجئ. وإحدى الميزات الملحوظة في هذه المنطقة هي الجدار الهائل من الصخور المعروفة باسم: دهازر أو دريا - إي - زير، التي تمتد باتجاه جنوبي غربي، ويصل ارتفاعها إلى نحو 10.500 قدم.[2] وما بعد هذا الموقع، في الجنوب الشرقي تبدأ منطقة جبل هكّاري، وهي كتلة من الجبال الوعرة الشاهقة والممرات والوديان الضيقة، التي تبلغ الذروة في جبلَيْ جلو وسات، اللذين يصل ارتفاع كل منهما إلى أكثر من 14.000 قدم. وفي هذه المنطقة تنعطف جبال طوروس الشرقية فجأة باتجاه الجنوب وتندمج في شبكة جبال زاگروس، التي تبدأ بسلسلة باشي - روان، وهي كتلة من الصخور السوداء

(1) ذكر أوزوالد أن صدعاً يعبر أرمينيا ممتداً من قراجه داغ عبر نمرود وسيبان وتاندورك وأرارات إلى شماخى في القوقاز. فليكس أوزوالد، بحث في جيولوجية أرمينيا، 10 (بالإنكليزية، مرجع 202). وقبل ذلك بعشرين عاماً اعتقد كليتُن بوجود اتصال في باطن الأرض بين هذه البراكين، إ. كليتُن «جبال كردستان،» ألپاين جورنال 22، عد. 97 (آب/ أغسطس عام 1887)، 296 (بالإنكليزية، مرجع 41).

(2) للاطلاع على دراسة ممتازة للمنطقة الجبلية جنوب بحيرة ڤان، انظر جون فرودين، «مورفولوجية جنوب شرقي تركيا،» الحوليات الجغرافية (ستوكهولم) 19 (1937): 1-28 (بالفرنسية، مرجع 85).

البازلتية التي يصل ارتفاعها إلى أكثر من 11.000 قدم في قمة گمرياز كفدان.[1]

وفاقاً لفيشر، أشكال الأرض في الجزء الشمالي الغربي من جبال زاگـروس المجاورة لهضبة الأناضول «تطورت بالدرجة الأولى نتيجة للحركات التكتونية المتعاكسة على طول الصدوع الأرضية البارزة للعيان.»[2] وهو يبين أن الكتل المتصدعة والأحواض المُزاحَة هي ميزة هذه المنطقة، على الرغم من أنه في حالات كثيرة كيّف الحت الشديد تخومها.[3] أما في جبال زاگروس الوسطى فالوضع مختلف. حيث إن النموذج مُصرَّع أكثر منه مصدعاً. عدد كبير من الممرات الضيقة العميقة، المعروفة محلياً باسم تانگ، تقطع تلك الجبال، لأن أية شبكة تصريف للمياه تتبع نموذجاً ما معقداً.[4]

دراسة المياه. ينبع الجدول الرئيس لنهر دجلة من جنوب بحيرة جولچوك في مكان يدعى ديڤبويونو (ممر الجمل)، ليس بعيداً من ارغانة، وبسبب ذلك يدعى أحياناً ارغانة صو. وبعد نحو عشرين ميلاً أسفل مصدره، ينضم إليه نهر سبِّينِه (تبِّنِه). ويشكل هذان الجدولان نهر دجلة. وهكذا نرى أن المصدر الرئيس لنهر دجلة يُصرِّف مياه السفوح الجنوبية لجبال طوروس الشرقية أو الأرمينية. تبعاً لڤيتال كوينيه، ينضم إلى نهر دجلة أكثر من أربعة

(1) للاطلاع على وصف ممتاز لمنطقة هكّاري انظر وليم أنغر ويغرام وإدغار توماس أنغر ويغرام، مهد البشرية: الحياة في كردستان الشرقية، 262-310 (بالإنكليزية، مرجع 273)؛ انظر بازيل نيكيتين، الكرد، دراسة سوسيولوجية وتاريخية، 30 (بالفرنسية، مرجع 187).

(2) فيشر، 256، م س رقم 82.

(3) م ن.

(4) م ن، 258-95؛ جورج بابكوك كريسي، أراضي آسيا وشعوبها: جغرافية ثلث الأرض وثلثي سكانها، 404 (بالإنكليزية، مرجع 43)؛ جورج مارتن ليس، «الشرق الأوسط،» في جغرافية النفط العالمية، 164-65 (بالإنكليزية، مرجع 134).

وثلاثين رافداً بين هذا الموقع والتقائه بنهر بوتان صو قرب تِلّ. والأكثر أهمية بين هذه الروافد، التي ينضم معظمها إليه من الضفة اليسرى، هي باطمان تشاي وتشكلاتِه صو وغارزان صو. وهذه الروافد تصرف مياه مرتفعات ساسون ودوروش، وقسم من جبال طوروس الشرقية أيضاً. بعض الروافد يتلقاها من الضفة اليمنى في هذه المنطقة حيث تصرف مياه جبلي قراجة وطور عبدين. ودجلة في ممره عبر هذه الجبال يتلوى خلال سلسلة من الممرات الضيقة العميقة. ينبع نهر بوتان صو، الذي يسمى لدى بعضهم أحياناً باسم دجلة الشرقي، من هضاب فاراشين، التي تقع في حوض نوردوز، أحد مجمعات الأمطار الرئيسة في غرب آسيا. يصرف هذا النهر حوض نوردوز والجبال العالية جنوب بحيرة ڤان المعروفة باسم سلسلة أرنوست، وترفده منها أنهار مُوكس (موكسين) وشاتّاخ وبدليس تشاي وكزر.

بعد تلقيه بوتان صو، يتدفق نهر دجلة ماراً بجزيرة ابن عمر ويظهر في السهل الشمالي لبلاد ما بين النهرين، متدفقاً عبر مجرى واسع. وقريباً من فيشخابور يتلقى نهر الخابور الذي، بالإضافة إلى رافده هازل، يصرف حوض نوردوز.

ينضم نهر الزاب الأكبر إلى نهر دجلة على بعد خمسة وثلاثين ميلاً جنوب الموصل. هو ينبع من جبال چوك تشوخ على طول الحدود التركية الإيرانية شمال شرق باش قلعة. والزاب الأكبر، بالإضافة إلى روافده العديدة، يصرف مياه جبال هكّاري، التي هي الجزء الجنوبي الشرقي من جبال طوروس الشرقية، من خلال روافده الكوشانس والچولامرك والروباري شين والروكشك، وهي تصرف مياه حوض نوردوز عبر اللاون والسفوح الشرقية لجبال زاگروس عبر روباري راوندوز.

وعلى مسافة تقارب ثلاثين ميلاً من التقائه بالزاب الأكبر، يتلقى دجلة

نهر الزاب الأصغر، الذي يصرف مياه النجد الإيراني وجبال زاگروس. وعلى مسافة ثمانين ميلاً من هذا الموقع يتلقى مياه نهر الدائم، الذي يصرف مياه سفوح التلال الشرقية لجبال زاگروس في إقليم كركوك العراقي. وينضم نهر ديالى، المعروف في أطرافه العليا باسم سيروان إلى دجلة على بعد عشرة أميال جنوب بغداد.[1] يصرف نهرا الزاب الأصغر وديالى مياه النجد الإيراني وجبال زاگروس.

يتشكل نهر الفرات من مصبي نهرين كبيرين قره صو (الفرات الغربي ومراد صو (الفرات الشرقي). ينبع قره صو من جبل دوملو شمال أرضروم من علو 8625 قدماً. ويتدفق نحو الغرب-جنوب غرب باتجاه إرزينجان. بين منبعه والبلدة الأخيرة، يرفده عدد من الروافد، أكثرها أهمية هي أوفاجيك صو ومرجان صو وتشاندوخو صو على الضفة اليمنى، وتوزلا صو على الضفة اليسرى. ما بعد إرزينجان، يتدفق قره صو باتجاه جنوب غربي عبر مضيق صخري إلى كُماخ، حيث يستقبل نهر كومو (كومو صو). ويتابع من هذا المكان حتى يلتقي بمراد صو ومضيقه المشهور بجماله الرائع.

ينبع نهر مراد صو من الجانب الشمالي لألا داغ جنوب غرب ديادين، من على ارتفاع 11.500 قدم. ويتدفق باتجاه الغرب نحو سهل آرش كرد حيث يلتقي بنهر شاريان (شاريان صو). وبعد جريانه في الجبال، يرفده نهر پاتروتز على اليسار وخنيس صو على اليمين. ومن هنا، يأخذ اتجاهاً جنوبياً غربياً، ماراً أولاً خلال سهل بولامك ومن ثم خلال سهل موش، حيث يلتقي بنهر

---

(1) ڤيتال كوينيه، تركيا الآسيوية، الجغرافية الإدارية والإحصائية والوصفية والقياسية لكل إقليم في آسيا الصغرى، مجلدان، 427-29 (بالفرنسية، مرجع 44)؛ دليل بلاد ما بين النهرين، 1: 22 (بالإنكليزية، مرجع 96)؛ ر. هارتمان، «ديكل ديكلا،» في الموسوعة الإسلامية، 3: 582-85 (بالتركية، مرجع 300) ؛ فيشر، 340 وما بعدها، م س رقم 82.

قره (قره صو) الصغير. أسفل سهل موش، يصبح وادي مراد صو ضيقاً جداً، ويأخذ اتجاه غرب - جنوب غرب، ويشق طريقه عبر المضائق الصخرية. وهنا يلتقي بغونگ صو، ثم يتسع وادي نهر مراد بعد پالو. وعلى مسافة عشرة أميال تقريباً شرق- شمال شرق خاربوت، يتلقى نهر مراد رافده الأكبر، پري صو الذي يصرف مياه منطقة دَرْسِيم كلها. ويلتقي نهر مراد بقره صو في موقع ليس بعيداً من منجم كبان (كبان مادن). يبلغ طول نهر مراد من منبعه إلى نقطة التقائه بنهر قره صو 415 ميلاً، في حين أن طول قره صو هو 275 ميلاً. وعلى الرغم من أنه أطول كثيراً من قره صو، إلّا أنه لم تكن لنهر مراد صو الأهمية التجارية التاريخية التي امتلكها قره صو، ربما بسبب مجراه الأضيق والأكثر انغلاقاً. وربما لهذا السبب اعتُبِر قره صو، وليس مراد صو النهر الرئيس عادة.

ما بعد موقع التقاء النهرين، يتدفق الفرات في اتجاه جنوب غربي وراء مناجم الرصاص في منجم كبان (كبان مادن). وهنا يستدير حول جبل موشر (موشر داغ)، مشكلاً منعطفاً كبيراً، ويلتقي أولاً بكارو تشاي ومن ثم بعد نحو سبعة أميال بتوكما صو. بعد هذا الموقع، يخترق جبال طوروس ويجري في المضائق الأكثر عمقاً ووعورة في كل مجراه. ثم يتابع باتجاه جنوب شرق إلى أن يقترب من منابع دجلة فينعطف فجأة ويتدفق في اتجاه جنوب غرب، تاركاً الجبال بعدة أميال فوق سميساط (ساموساط).

لا يتلقى الفرات بعد هذا الموقع إلّا رافدين هامين، هما البليخ والخابور. ولا نهتم لهذين الرافدين كثيراً لأنهما يتدفقان في القسم الأعظم منهما في أراضٍ غير كردية،[1] والاستثناء الوحيد هو أن الأطراف العليا للخابور وروافده

(1) «الفرات» في الموسوعة البريطانية، الطبعة 11، 9: 894-98 (بالإنكليزية، مرجع 76)، ر. هارتمان، «الفرات» في الموسوعة الإسلامية، ط 1، 3: 118-20 (بالإنكليزية، مرجع 76)، فيشر، 340 وما بعدها، م س رقم 82.

جبجب وزركان وجغجغ تقع منابعها في السفوح الجنوبية لجبل قراجة وطور عبدين.

الجغرافيا الحيوية

القسم الأكبر من النجد الأرميني شمال بحيرة ڤان من دون أشجار لأن معظم المنطقة مغطاة بالمقذوفات البركانية الحديثة إلى حد كبير. لكن هناك عدة استثناءات، وعلى نحو ملحوظ جبال سوغانلي في الشمال. أما جنوب بحيرة ڤان، في كردستان المعروفة، على الرغم من واقع أن الأرض قد عانت كثيراً من قطع الغابة وتجاهلها لقرون، إلّا أن النبات أكثر نماءً. وفي مناطق كثيرة في هذا الجزء من كردستان، تغطي الجبال أنواع مختلفة من أشجار البلوط الصغيرة، التي تحمل العفص الجوزي للتجارة. أما الأشجار الأخرى الموجودة في هذه المنطقة فهي البتولا والحور والصفصاف. معظم الأشجار هي من النوع المتساقط الأوراق، على الرغم من وجود الصنوبر والتنوب في بعض الأماكن.

ثمار المناطق المعتدلة بما فيها العنب والتين والتفاح والأجاص والمشمش والرمان والدراق والتوت، بالإضافة إلى الجوز موجودة بوفرة في كل أنحاء كردستان. كما يُزرَع القمح والدخن والشعير والذرة والأرز بالإضافة إلى التبغ الذي هو أحد المحاصيل الرئيسة للنقد. ويوجد عرق السوس أيضاً في أجزاء كثيرة من كردستان. والخضراوات التي تُزرَع في المنطقة تشمل الباذنجان والقرع والسبانخ والباميا والفاصولياء بالإضافة إلى الخضراوات الأخرى الموجودة عادة في المناطق المعتدلة. وفي الربيع، تزدهر هذه المنطقة على نحو خاص بالأزهار البرية مثل زهور الربيع (اللؤلؤية) والحوذان الأصفر

والورد وشقائق النعمان. أما في مراعي المرتفعات فتوجد أنواع مختلفة من الجنطيانا الألبية والسوسن والحوذان والتوليب وزهر الربيع (كعب الثلج).

الحيوانات المنزلية التي توجد لدى الكرد، تشمل أغنام العواس والماشية والخيول والبغال والماعز والجواميس في مناطق معينة والكلاب (ولا سيما التانجي الذي يحبه الكرد كثيراً ونوعاً من كلاب الحراسة الكوشر الشديدة الوحشية) والطيور الداجنة التي تشمل التركي والدجاج. وبين الحيوانات البرية الموجودة في كردستان نجد الذئاب والدببة ونمور الثلج والوشق والثعلب والجقل وتيس الجبل والخراف البرية والمفلون والخنزير البري والدلق والسنجاب والزواحف التي تشمل السلاحف وأنواعاً مختلفة من الأفاعي والعظاءات الكبيرة جداً. أما الطيور الموجودة في المنطقة فتشمل أحمر القدمين والحجل بالإضافة إلى الحجل العملاق المعروف بأزكيكليك والطيهوج واللقلق والحبارى والبكاسين وأنواع مختلفة من الطيور الجارحة كالصقور والنسور. وبين الأسماك الموجودة في كردستان نجد الترويت في الجداول الجبلية، ونوعاً من السلمون الداخلي (المحلي) والشبوط وبعض أنواع البِزّ الرائعة موجود في الزاب الأكبر.[1]

---

(1) للتفاصيل عن نباتات وحيوانات المناطق المختلفة في كردستان، انظر وليم ربرت هيّ، عامان في كردستان: تجارب ضابط سياسي، 1918–1920، 13–34 (بالإنكليزية، مرجع 101)؛ مولينو - سيل، 49–50، م س رقم 178؛ ليسْ، «الشرق الأوسط» 129، م س رقم 134؛ إلبسورث هنتنغتن، «وادي نهر الفرات الأعلى وسكانه،» نشرة الجمعية الجغرافية الأميركية 34، عد. 4 (1902)، 306–8 (بالإنكليزية، مرجع 107)؛ والتر ب. هاريس، «رحلة في كردستان الفارسية،» المجلة الجغرافية 6، عد. 5، 453–57 (بالإنكليزية، مرجع 98)؛ رامبو، 13–14، م س رقم 213؛ كاميران بدرخان، «المشكلة الكردية،» مجلة جمعية آسيا الوسطى الملكية، 36، الجزءان 3 و4، 238–39 (بالإنكليزية، مرجع 21).

المناخ. مناخ كردستان قاري، تسوده شتاءات باردة طويلة وأصياف جافة حارة. والخاصة القارية واضحة، ولا سيما في شمال بحيرة ڤان (وان)، أرمينيا بالمعنى الضيق للكلمة في أزمنة ما قبل الحرب العالمية الأولى. في هذه المنطقة، الشتاءات قاسية إلى درجة أن معظم المنازل التي يعيش فيها الفلاحون هي مجرد أكواخ تحت الأرض. بلدة أرضروم، التي تُعرَف أحياناً باسم «سيبيريا تركيا» ذات ستة أشهر شتاء بمعدل حرارة أدنى من 15 درجة فهرنهايت. والمعروف أن درجة الحرارة تهبط إلى ما دون 17 درجة فهرنهايت كل ليلة لثلاثة أسابيع. ودرجات الحرارة الدنيا 30 درجة تحت الصفر مسجلة في النجود العليا، وأرقام مثل 40 درجة تحت الصفر ليست غير معروفة. منطقة أخرى باردة إلى درجة قصوى هي حوض نوردوز جنوب بحيرة ڤان، حيث تُهجَر عملياً في الشتاء. فصول الصيف حارة وقاحلة، ولا سيما في الشمال والشرق. فدرجات الحرارة القصوى في الصيف تتجاوز 100 درجة فهرنهايت وقد تصل إلى 110 و120 درجة فهرنهايت في وديان معينة.[1]



2. جبال قرب إقليم ڤان الكردي (في تركيا). مقدمة من برهان الطوران.

---

(1) لورنس دَدلي ستامب، آسيا: تاريخ إقليمي و اقتصادي، 81 (بالإنكليزية، مرجع 248)، فيشر، 309، م س رقم 82.

الموارد المعدنية. كردستان غنية بالموارد المعدنية. فقد جاء في تقارير الرحالة وآخرين وجود عدد من المعادن في أجزاء مختلفة من كردستان. لكن، لأنه في حالات كثيرة لا النوعية ولا هذه المعادن كانت ثابتة، أنا أركز هنا على المخزونات المعدنية المستثمرة. الكروم موجود في گلمان، غرب بحيرة ڤان، فلزات گلمان مسؤولة عن 60 % من الإنتاج التركي الإجمالي من الكروم. ويستخرج النحاس من مناجم ارغانة (ارغانِه مادني) قرب منابع نهر دجلة. أما الرصاص وكبريتات الزنك فموجودة في مناجم باليا (باليا مادني) وكبان مادن. عملت هذه المناجم لبعض الوقت لكن الفلز المتبقي هو من نوعية متدنية كما يشاع. ويوجد الرصاص والزنك أحياناً معاً ومع كميات قليلة من الذهب والفضة أو مع النحاس، كما في ارغانِه مادني. كما يوجد الكبريت في كل أنحاء المنطقة، والأسبستوس في قارص.

يوجد النفط في بابا كركر قرب كركوك في العراق، وفي منطقة نفط خانة - نفط إيشة على الحدود الفارسية العراقية. ويوجد أيضاً في عدد من الأماكن الأخرى المبعثرة مثل نفط داغ قرب الصلاحية (كفري) في العراق وفي جوار زاخو في العراق أيضاً، وعلى طول نهر بوتان صو في تركيا. وأبلغ عن الفحم الحجري المختلف النوعيات أيضاً. والفحم الحجري القاري موجود قرب الصلاحية وشارانيش في العراق. وأنواع مختلفة من حجارة البناء تشمل الغرانيت والحجر الكلسي والرخام والكلس موجودة في كل أنحاء كردستان. عدد كبير من ينابيع المياه المعدنية والحارة تنتشر في كل أرجاء المنطقة. الملح الصخري موجود في أمكنة مختلفة قرب طوز خورماتو والجفصين يكثر في الهضاب السفلى من كردستان العراقية.[1]

(1) فيشر، 324-26 (بالإنكليزية، مرجع 82)؛ سون، تقرير عن منطقة السليمانية، 14-15، م س رقم 356؛ رامبو، الكرد والقانون: النصوص والوثائق، 14-15 (بالفرنسية، مرجع 213)؛ ك. بدرخان، 239، م س رقم 21.

السكان

تتباين تقديرات عدد السكان الكرد كثيراً. وانعدام التوافق على هذه المسألة ليس جديداً. هناك تناقض شديد بين الأرقام المعطاة من مصادر مختلفة قبل الحرب العالمية الأولى وبعدها مباشرة.[1] على الرغم من واقع أن الكرد معروفون في الوقت الحاضر أفضل مما كانوا في الماضي، إلّا أن حجم السكان الكرد يستمر في كونه مسألة مثيرة للجدل. كان هذا على نحو خاص ملحوظاً في الصحافة اليومية، حيث التقديرات اختلفت ليس بين الصحف،[2] بل بين المسائل المختلفة في الصحيفة ذاتها أيضاً.[3]

---

(1) قدر الكتاب الأصفر الذي نشرته الحكومة الفرنسية عام 1892 عدد الكرد في الإمبراطورية العثمانية بــ3.210.978 نسمة، وقدر عدد الكرد في الإمبراطورية العثمانية قبل الحرب العالمية الأولى في المطبوع البريطاني الرسمي أرمينيا وكردستان بـ1.5 مليون شخص. راجع تشارلز وليم ويلسن وهنري كرسويك رولينسن، «كردستان،» في الموسوعة البريطانية، ط 11، 5: 949-51 (بالإنكليزية، مرجع 276)، التي تقدر العدد بـ1.650.000 شخص. للاطلاع على مناقشة مفصلة حول أرقام السكان المبكرة في كردستان، انظر مينورسكي «كردستان،» (بالإنكليزية، مرجع 168).

(2) يذكر عدد من الصحف التي اختيرت عشوائياً التقديرات التالية لمجموع عدد الكرد: شيكاغو ديلي نيوز (20 آذار/ مارس، عام 1946)، 8 ملايين؛ مانشستر غارديان (21 آذار/ مارس، عام 1946) 2.5 مليون شخص؛ تايمز (لندن) (6 أيار/ مايو، عام 1946)، 3 ملايين؛ تريبون دي ناسيون (10 كانون الأول/ ديسمبر، عام 1948) 9 ملايين؛ ذا سكوتسمان (9 كانون الثاني/ يناير، عام 1951)، 2.5 مليون شخص؛ نيويورك تايمز (7 نيسان/ أبريل، عام 1952)، 3-6 ملايين؛ البورصة المصرية (8 تشرين الأول/ أكتوبر، عام 1952)، 4 ملايين.

(3) على سبيل المثال، قدرت صحيفة لوموند في 4 كانون الأول/ ديسمبر، عام 1945، عدد الكرد الكلي بـ8-9 مليون نسمة، إلّا أنها أوردت في 7 كانون الأول/ ديسمبر، عام 1951، تحليلاً لعدد السكان حسب الأقطار ولم يزد المجموع الكلّي عن 3.130.000 نسمة.

وهذا ناتج جزئياً من واقع أنه حتى الخمسينيات لم توجد أرقام لعدد السكان يمكن الاعتماد عليها بالنسبة إلى البلدان التي يعيش فيها الكرد. وحكومات هذه البلدان، بالإضافة إلى كونها ترفض أن تقدم هذه المعلومات، فقد كانت تميل إلى تقليل عدد سكانها الكرد.[1] أما المصادر القومية الكردية، في المقابل، فقد مالت إلى تضخيم عدد الكرد. وثمة عامل آخر أسهم في هذه المشكلة هو انعدام التوافق على تعريف الكردي. فعلى سبيل المثال، يزعم القوميون الكرد أن مجموعات مثل اتحاد قبائل اللُّور الكبيرة في بلاد فارس هم كرد، في حين أن الحكومة الفارسية ترفض أن يكون اللُّور كرداً. والخبراء لايزالون منقسمين على هذه المسألة. لكن، في كثير من الأحيان، تستثني الأرقام المعطاة عن السكان الكرد في بلاد فارس سكان اتحاد قبائل اللُّور، أي اللُّور والبختياريين والمماسانيين. ويوجد عدم توافق في ما يتعلق بالمجموعات التي تتكلم اللهجات الديملية المختلفة، أي الزازا في تركيا

---

(1) لعل الأرقام الأكثر جدارة بالاعتماد لعدد السكان الكرد في الشرق الأوسط حتى عام 1960 هي الأرقام في العراق. وقدر سسيل جون إدموندس عام 1957 عدد السكان الكرد في العراق على نحو دقيق ومفصل وقدم تحليلاً حسب النواحي والأقضية والألوية للبلاد برمتها على أساس التعداد العام للسكان عام 1947. سسيل جون إدموندس، الكرد والترك والعرب: الحياة السياسية والسفر والبحث في شمال شرقي العراق، 1919-1925، 438-40 (بالإنكليزية، مرجع 63)؛ راجع س.ج. إدموندس، «كرد العراق،» مجلة الشرق الأوسط 11، عد. 1، 52 (بالإنكليزية، مرجع 62)؛ ألبرت حبيب حوراني، «الأقليات في العالم العربي،» 12-13 (بالإنكليزية، مرجع 103)؛ وبيير روندو، «الأمة الكردية في مواجهة الحركات العربية،» مجلة الشرق 2، عد. 7، 61 (بالفرنسية، مرجع 223)؛ بالنسبة إلى تركيا وعلى الرغم من عدم إعطاء أرقام بعدد الكرد في تعداد السكان الرسمي، فقد ذكر أن 1.900.000 نسمة يتكلمون الكردية كلغة أم.

والهاورمان على الحدود الفارسية العراقية والگوران في بلاد فارس، على الرغم من أن هذا الجدل يتقلص تدريجاً، وهذه المجموعات قد تم التوصل إلى التوافق على أنها لا تتحدث اللغة الكُرمانجية الكردية.

قدّر الموظف الرسمي البريطاني إدموندس، وهو أحد الخبراء البارزين في المسألة الكردية، في خمسينيات القرن الماضي، العدد الإجمالي للكرد، بمن فيهم هؤلاء الذين يعيشون في سوريا والاتحاد السوڤياتي، بأكثر من خمسة ملايين.[1] وقد بيّن أن عدد الكرد في العراق يمكن تقديره بدقة بمليون ومائة ألف، وهم يشكلون من خمس إلى سدس عدد السكان الإجمالي في البلد. وتبعاً لإدموندس، فإنّ عدد الكرد في إيران أكثر منه في العراق، لكن معدلهم في عدد السكان الإجمالي هو أقل منه في العراق. وقدّر عدد الكرد في تركيا بـ2.5 مليون نسمة.[2]

وعدد السكان الكرد التالي قدمه و. غ. إلفنستُن[3]:

تركيا	1.500.000
العراق	800.000
إيران	600.000
سوريا	250.000

---

(1) س. ج. إدموندس، «التركيز الشرق أوسطي على الكرد،» ديلي تلغراف، 22 تموز/يوليه، عام 1958 (بالإنكليزية، مرجع 64).

(2) م ن.

(3) وليم غراهام إلفنستُن، «الكرد والمسألة الكردية،» مجلة جمعية آسيا الوسطى الملكية، 35، القسم 1، 41 (بالإنكليزية، مرجع 72)؛ استندت أرقام عدد السكان الكرد المعطاة في الشرق الأوسط: مسح سياسي واقتصادي، ط 2 (بالإنكليزية، مرجع 161)، إلى تقديرات إلفنستُن.

أرمينيا السوڤياتية	20.000
العدد الإجمالي	3.170.000

لم يوافق بيير روندو على هذه الأرقام، وعدَّها متدنية جداً.[1]

يقدر روبيرت زايدنر (Zeidner Robert)، عدد الكرد عام 1959 بنحو من ثلاثة ملايين وثمانماية ألف موزعين كالتالي:[2]

تركيا	2.000.000
العراق	750.000
إيران	750.000
سوريا	250.000
أرمينيا وأذربيجان (الاتحادالسوڤياتي)	بحدود 100.000
المجموع	3.800.000

على عكس تقديرات إلفنستُن وزايدنر. تقدر الرابطة الكردية عدد الكرد عام 1949

بما يلي:[3]

(1) بيير روندو، «المسألة الكردية في الشرق المعاصر،» النشرة الشهرية لمركز الدراسات الكردية، 12، 4 (بالفرنسية، مرجع 226).

(2) روبرت زيدنر، «القومية الكردية والحكومة العراقية الجديدة،» شؤون الشرق الأوسط 10، عد. 1، 26 (بالإنكليزية، مرجع 282).

(3) الرابطة الكردية، مذكرة عن وضع الكرد ومطالبهم، 5 (بالإنكليزية، مرجع 123 وبالفرنسية مرجع 122). قدمت أرقام قريبة للغاية من هذه الأرقام في «مذكرة عن المسألة الكردية مقدمة إلى الدول العظمى في 30 آب/ أغسطس، 1943» (بالفرنسية، مرجع 122)؛ انظر نشرة مركز الدراسات الكردية 6 (بالفرنسية، مرجع 122)؛ راجع «مذكرة مقدمة إلى وزراء خارجية الدول العظمى المجتمعين =

تركيا	3.800.000
العراق	3.800.000
إيران	1.200.000
المجموع	8.000.000

لوسيان رامبو (Lucien Rambout)، أعطى عام 1947 أرقاماً قريبة جداً من أرقام الرابطة الكردية وأوضح النسبة التي يمثلونها بالنسبة إلى إجمالي عدد السكان:[1]

الجدول 1.1

نسبة عديد السكان الكرد

البلد	عدد الكرد	النسبة المئوية
تركيا	4.000.000	% 25
إيران	3.500.000	% 23
العراق	1.000.000	% 28

وبحسب تقديرات لوسيان رامبو [الملقب الأب توماس بوَا (Thomas Bois)] يبلغ عدد الكرد في سوريا نحو 250.000 كردي، بالإضافة إلى 160.000 كردي يعيشون داخل الاتحاد السوڤياتي. وهكذا يصبح العدد الإجمالي للكرد في العالم بحدود 8.910.000 كردي.

= في باريس في 26 حزيران/ يونيه، عام 1946،» نشرة مركز الدراسات الكردية 25 (بالفرنسية، مرجع 122). واللافت أن الرابطة الكردية قدرت منذ العام 1930 أن مجموع عدد الكرد يبلغ 8.387.280 نسمة. بله ج شيركوه، المسألة الكردية: أصولها وأسبابها، 8 (بالفرنسية، مرجع 39).

(1) رامبو، 19، م س رقم 213.

الأرقام التالية، توضح عدد الكرد وفاقاً لطبعتي الموسوعة السوڤياتية الكبرى لعامي 1937 و1953.[1]

الجدول 1.2

عدد السكان الكرد – الموسوعة السوڤياتية الكبرى

البلد	عام 1937	عام 1953
تركيا	1.700.000	3.000.000–2.500.000
إيران	1.200.000	2.500.000–2.000.000 (بما فيهم 300.000 يقيمون في خراسان)
العراق	500.000	500.000
سوريا	200.000	300.000
الاتحاد السوڤياتي	80.000	45.866
أفغانستان وباكستان	—	200.000
المجموع	3.680.000 (بين 3.5 و4 ملايين)	7.245.866 (٦ ملايين)

من الملاحظ مضاعفة عدد الكرد الإجمالي المعطى في الطبعة الأخيرة عما كان في طبعة 1937. ومن المفيد الإشارة إلى أن المقالة التي أوردت هذه الأرقام تبدو في لهجتها متعاطفة مع الكرد أكثر مما هي مع حكومات البلدان التي يقيمون فيها.

(1) «كردي،» في الموسوعة السوڤياتية ط 2 (بالروسية، مرجع 125).

تاريخ الكرد

أصل الكرد وتاريخ تسميتهم كرد

بالرغم من التشابه والتجانس بين اللغتين الكردية والفارسية، إلّا أنه لا يمكن اعتبارهم - أي الكرد - فرساً أقحاحاً ولا بأي شكل من الأشكال. إنهم يشغلون منطقة عرفت سيطرة شعوب كثيرة، وتعرضت لغزوات، حتى أنّ البدو الرحل مروا من هناك. وكل شعب بين تلك الشعوب، ترك أثراً - ولو بسيطاً - على النقاء العرقي لسكان هذه المنطقة ولغتهم وثقافتهم وخصائصهم.

هناك دلائل عديدة تبدو واضحة في تنوع الأنماط الجسدية للكرد، مع الأخذ في عين الاعتبار، شكل الرأس، والشعر ولون العيون والبنية. وكذلك تأثرت اللغة بلغات كثيرة أخرى. فالسامية واضحة كل الوضوح في مطلع بعض الكلمات مثل *(Hawt)* و *(asp)*. أما السكيثيون فأثرهم واضح في لهجة كرد الشمال الذين يضيفون «تي» إلى الكلمة للتدليل على صفة الجمع - مثال كَلَش، تعني لصاً أو قاطع طريق؛ وكَلَشتي، وتعني لصوصاً أو قطاع الطرق[1]. ليس هذا وحسب بل إنّ أثر السكيثيين يظهر حتى في ديانات سكان منطقة كردستان، فترى تأليه الشمس عند الإيزدية، وعبادة الأشجار والأحجار عند الدَرْسِيميين، وكل هذا يدل على أن هناك مدوّنات متنوعة لايزال سكان المنطقة يتناقلونها جيلاً بعد جيل.

---

(1) ڤلاديمير مينورسكي، «الكرد» في الموسوعة الإسلامية، ط 1، 4: 1132-55 (بالإنكليزية، مرجع 169)؛ ڤ. مينورسكي، «أصول الكرد» في قرارات مؤتمر المستشرقين الدولي العشرين في بروكسل 5-10 أيلول/ سبتمبر، عام 1938، 152 (بالفرنسية، مرجع 171).

أول من استوطن كردستان، هم السكان الأصليون لجبال زاگروس وطوروس الشرقية الذين كانوا ممثلين لمجموعات عرقية ثلاث - الگوتيون واللولبيون والكشُّيون، وكل هؤلاء يعودون في جذورهم الأساسية إلى العيلاميين. والجدير بالذكر، أن السكان الأوائل لجبال طوروس هم الحوريون وينتسبون في أصلهم إلى العيلاميين.[1]

كان تطور الشخصية الإيرانية لدى الكرد عملية بطيئة وتدريجية في البداية. بدأت الغارات الهندو-أوروبية في غرب آسيا في الألفية الثالثة قبل الميلاد على نطاق ضيق جداً. ولم يظهر الهندو-أوروبيون بقوة في تلك المنطقة حتى الألف الثاني قبل الميلاد، حيث اجتاح الحثيون، وهم شعب هندو-أوروبي، معظم الأناضول وأرمينيا وكردستان وبلاد ما بين النهرين والمشرق. حدث الانتشار الإيراني في سلسلتي جبال زاگروس وطوروس مع ظهور الميديين والفرس وشعوب إيرانية أخرى.

لربما نجد أفضل تفسير لأصل الكرد في دراسات الاشتقاق اللغوية والتاريخية التي أجريت حول أصول اسم «كورد.» هذا ما قاله وغودفري رولز درايفر (G. R. Driver) في دراسة مشهورة مستنداً إلى دراسات علم اللغة، وتوصل إلى نتيجة وافق عليها كبار الباحثين في هذا المجال، باستثناء ما اعتقده أنه أول إشارة إلى كلمة كرد وردت على لوح من طين يعود إلى الألفية الثالثة قبل الميلاد.[2]

(1) للحصول على التفاصيل، انظر إفرايم أڤيغدور سبايسر، أصول بلاد ما بين النهرين: السكان الأساسيون في الشرق الأوسط، في أماكن متفرقة (بالإنكليزية، مرجع 244).

(2) غودفري رولز درايفر، «اسم الكرد وصلاته اللغوية.» مجلة الجمعية الآسيوية الملكية، 393-403 (بالإنكليزية، مرجع 55).

في كتاب أناباسيس لأكسنوفان – الشاعر الإغريقي االشهير – وردت كلمة كردوخ كأوّل إشارة نمتلكها إلى الكرد. وترد الكلمة بعدها – ولو نادراً – في الكتابات الإغريقية والرومانية. استناداً إلى درايفر فإن كاردكس كلمة «كاردكس» مشتقة في الأساس من كردوخ أو فئة من المرتزقة الآسيويين يبدو أنها جندت في مناطق مأهولة من الكردوخ. ويعيد درايفر ذلك إلى ما ورد في بحث عن المؤرخ سترابون يفيد بأن أولئك السكان سموا بالكارداكس «لأنهم يعتاشون من اللصوصية والسطو؛ وكاردە تسمية لطبقة من المحاربين تعني الشجاعة و'المبادرة إلى القتال'.»[1] ومن المفيد الإشارة إلى أن كلمة قاردو الآشورية تعني «القوي» أو «البطل»، وكلمة قارادو الآشورية تعني «عليك أن تكون قوياً أو بطلاً»[2]. هذا الشكل للاسم يتوافق إلى حدٍّ كبير مع «بيت قاردو» أو «باقاردە» الموجودين في المصادر السريانية والعربية. تشير كلمة «بيت قاردو» إلى الأراضي بين دجلة وجبل جودي. ليس بعيداً من هذه المنطقة تقع پاكتيكا لدى الكتاب الكلاسيكيين، حيث أسس الأرمن وسكان پاكتيكا، تبعاً لهيرودوتس، المرزبانية الثالثة عشرة للإمبراطورية الفارسية.

هناك اسم آخر جدير بالذكر ألا وهو الخلديون (أو الكلدان) الذي اعتبره البروفسور ڤلاديمير مينورسكي، أنه يحمل الإيقاع الصوتي المشابه للاسم «كورد.» الخلديون قوم أسسوا مملكة الڤان (الأورارتو) بحلول نهاية القرن التاسع قبل الميلاد، واستمرت حتى ظهور الأرمن كقوة قادرة على السيطرة أثناء القرن السابع قبل الميلاد. وتمكن هذا الشعب، وهو في أوج عزه، من حكم معظم أرمينيا شمالي كردستان، حتى أنه نجح أحياناً في الاستيلاء على أجزاء من أراضي الإمبراطورية الآشورية. والهضاب الموجودة على أعلى قمم

(1) م ن، 394.

(2) م ن. راجع مينورسكي، «الكرد،» 1133، م س رقم 169.

جبل كِلِشن بين راوندوز وأشنويه هي خير شاهد على عظمة ذاك الشعب.[1]

وحتى بعد زوال الخلديين كسلطة وقوة، استمر هذا الاسم ومشتقاته منتشراً في المنطقة المحيطة ببحيرة ڤان: مثل الخييلات (الأخـلات)، چالديران، چالدير، وما شابه. ويشير مينورسكي إلى انتشار ما يشابه هذه الألفاظ/الأسماء في مناطق شمال القوقاز. ولهذا فالجورجيون يسمون بالكارتڤيلي (كايرد باللغة الساڤانية وكورتو باللغة المنغرلية.[2]

إذا كان الكردوخوي أو القاردو، ساميين أيضاً، أو السكان الأصليين القدماء فإنهم كانوا يعيشون في المنطقة ذاتها التي يعيش الكرد فيها حالياً. والخلاصة، القاردو والكورد، هما واحد، استناداً إلى مينورسكي، فقد أصبحا «كذلك منذ مطلع القرن العشرين.»[3]

كذلك عرف سكان تلك المنطقة باسم آخر «كورتي» أو كيرتويه. وقد ذكرهم سترابون وحدد موقع إقامتهم في ميديا الصغرى وبلاد فارس. وحتى العرب أشاروا في كتاباتهم إلى أن الكرد كانوا يقيمون في هاتين المنطقتين. أطلق العرب على تلك الشعوب اسم «كرد» أو «أكراد» [مفردهما كردي]. وهو الاسم ذاته الذي كان يطلقه الساسانيون عليهم. وقد أشاروا في كارنامه ي اردشير پاپكان (أعمال أردشير بن باباك)، سيرة أردشير الأول مؤسس السلالة الساسانية، إلى اسم «الكرد» (كردان بالجمع) وإلى أن ملكهم يسمى «كردان شاه ماديگ».[4]

---

(1) درايفر، «اسم الكرد،» 394، م س رقم 55.

(2) أدونتز، أرمينيا في إيبوخو يستينيانا، 398، أورده مينورسكي، «الكرد،» 1133، م س رقم 169.

(3) ڤ. مينورسكي، «الكرد،» 1133، م س رقم 169.

(4) م ن؛ انظر أيضاً أرشاك سفرستيان، الكرد وكردستان، 16 (بالإنكليزية، مرجع 230).

ويلفت مينورسكي الانتباه، إلى أن تسمية كرد كانت مرادفة – في وقت قديم – «للبدو الرحل.» وينقل عن المؤرخ العربي حمزة الأصفهاني أن «الفرس كانوا يسمون الديلميين 'بكرد طبرستان،' كما يسمون العرب 'كرد سورستان'.»[1] وهكذا يستنتج مينورسكي أن مفهوم الكرد عند المؤلفين العرب، لم يكن يعني الشعب الذي يتكلم الكردية حصراً، بل يشمل جميع الرحل الإيرانيين.

ويتحدث مينورسكي عن اللهجة الكُرمانجية، ويرى أنها موحدة الأصل ويقول: إن الكرد يتكلمون إحدى لغات شمال غرب إيران التي يعتقد أنها خليط من اللغة البارثية واللغة الميدية. ويتوصل بعد البحث والتدقيق، إلى أن الميديين والپارثيين لعبوا دوراً مهماً في تحديد خصائص العرق واللغة الكردية.[2]

وينتقل مينورسكي إلى الحديث عن الوضع السياسي في الشرق الأوسط خلال القرن التاسع قبل الميلاد. حيث سمعنا لأول مرة عن دخول عناصر إيرانية بقوة إلى هذه المنطقة لتلعب دوراً فيها. في ذلك الزمان كانت الساحة مقتصرة على المتنافسين الوحيدين المتمثلين بآشور وأورارتو. وكانت المناطق الممتدة على طول الحدود الجبلية الشرقية مسكونة من عدة أقوام غير إيرانية، مثل الخارخار والإلليپي، وما إلى ذلك. وفي أقصى الشرق كانت هناك ممالك صغرى مثل المملكة الفرثية جنوب بحيرة أورميا (رضائية)؛ وإلى الشرق من

---

(1) ڤ. مينورسكي، «الگوران،» نشرة كلية الدراسات الشرقية والأفريقية 11، عد. 1 (1943)، 75 (بالإنكليزية، مرجع 167).

(2) ڤ. مينورسكي، «الكرد،» 1133–34، م س رقم 169. راجع يانوش هارماتا، «دراسات في لغات القبائل الإيرانية في جنوب روسيا»؛ أكتا أورينتاليا 261–314 (بالهنغارية، مرجع 97).

تلك المملكة، كانت مملكة ماني، وإلى الشرق من هذه المملكة كانت المملكة الميدية. لكن كل هذه الممالك أخذت تنهار منذ القرن السابع قبل الميلاد أمام غزو القبائل الرحل، السمّيريين أولاً والسكيثيين ثانياً، الذين تمكنوا من السيطرة على جميع المناطق جنوب القوقاز، وطردوا بعيداً مملكتي الڤان وأورارتو وبالتالي تمّ منع الآشوريين من التمدد شرقاً. ولكن قدوم السمّيريين باكراً، أعاد ملاحقيهم السكيثيين إلى المسرح من جديد ونجحوا لفترة قصيرة في فرض حكمهم على مختلف الممالك الواقعة جنوب بحيرة أورميا وخصوصاً مملكتي الميتانيين والميديين. لكن الإمبراطورية الميدية سرعان ما استعادت قوتها وأخذت تلعب دوراً على الساحة السياسية من جديد، ونظمت مجزرة بحق القادة السكيثيين. وتمكنت ميديا باكراً من استعادة ما يكفي من القوة لتشكيل تحالف ومهاجمة آشور متسببة بسقوطها. إن انهيار الآشوريين أحدث نوعاً من الفراغ قدم لملئه الميديون والعناصر الفارسية المختلفة أو العناصر الأرمنية. غير أن بروز الأرمن كقوة مسيطرة على شمال بحيرة ڤان، وضع حداً للزحف الإيراني باتجاه المنطقة الواقعة جنوب البحيرة.[1]

الكرد والفتوحات الإسلامية

بدا واضحاً أن الكرد تمتعوا بقوة مكنتهم من التأثير في ما حولهم، أثناء فترة حكم الساسانيين[*]. ومع بداية نهاية تلك المرحلة، أخذ الكرد يتوسعون

(1) مينورسكي، «أصول الكرد،» 147 وما بعدها (بالإنكليزية، مرجع 171).

(*) الساسانيون أسرة مالكة فارسية تولت الحكم عام 224م وقضى العرب عليها عام 642م، أشهر ملوكها سابور الأول الذي دام حكمه من عام 241 حتى العام 272 وفي عهده توسعت المملكة من نهر السند شرقاً إلى نهر دجلة غرباً. كذلك سابور الثاني (309-379) في عهده بلغت الإمبراطورية أوج قوتها (المترجم).

في المناطق الجبلية الواقعة غرب بلاد فارس، ليس هذا وحسب، بل وتمكنوا من فرض سيطرتهم على تلك المناطق حتى أنهم شكلوا عائقاً أمام حملات الفاتحين العرب المتجهة نحو بلاد فارس في البدء، ومن ثم تحولوا إلى متمردين يشكلون خطراً على الجيوش العربية.

في الواقع، يمكن القول إن الكرد خرجوا إلى التاريخ مع الفتوحات العربية، إذ أخذ الكتّاب العرب يتحدثون عنهم وعن واقعهم السياسي والاجتماعي بخاصة، وإن مقاومتهم خلال الفترة الأولى للفتوحات العربية جعلت الكتّاب العرب يهتمون بهم، ويهتمون بالتعرف إليهم عن كثب كي يتمكن القادة العرب من التعامل معهم فيما بعد. من هنا، فمعلوماتنا عن الكرد مستمدة، إلى حد بعيد، من الكتابات العربية التي قدمت لنا سرداً واقعياً ودقيقاً عن أدبياتهم وعاداتهم وتقاليدهم بالإضافة إلى جغرافية بلادهم.

يبدو أن أول احتكاك بين الكرد والعرب حصل بعد سيطرة هؤلاء الأخيرين على تكريت شمالي العراق، وعلى حلوان (هلون) في الجهة الغربية للهضاب الإيرانية عام 15هـ/ 637م. بعد ثلاث سنوات، طلب من حاكم الزَوزَن (مقاطعة شمالي الحدود العراقية الحالية) أن يدفع للفاتحين العرب ضريبة الخراج تأكيداً على ولائه لهم. عام17هـ/ 639م أقدم العرب على مقاتلة الكرد، عقاباً لهم على مساعدتهم للهرمزان حاكم منطقة الأهواز جنوب بلاد فارس، وبعد معركة واجعة عام 22هـ/ 643م تمكن العرب من الاستيلاء على منطقة شهرزور. في هذه الأثناء عرفت المنطقة انتفاضات كردية متعددة حيث تضامن الكرد في حينها مع الفرس والمسيحيين، وأبرزها تلك التي حدثت في

كريط قرب الأهواز في إقليم فارْس(*) وتم قمعها بشكل دموي. وارتد الكرد بنحو واسع حينها عن دين كانوا قد اعتنقوه إكراهاً.[1]

خلال فترة حكم الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، ساهم الكرد بفعالية في ثورة عبد الرحمن بن الأشعث. ومن المعروف أن الأخير قد تحالف مع كرد صبوران في فارْس عام 83هـ/ 702م. عام 90هـ/ 708م، أقدم الحاكم الأموي على العراق، الحجاج بن يوسف الثقفي على تلقين الكرد درساً صعباً، لقيامهم بمشاغبات في تلك المنطقة. أما في العام117هـ/ 735م، فقد زج الكرد أنفسهم في الصراعات الداخلية لبني أمية فقاتلوا إلى جانب مروان الثاني ضد الخليفة سليمان بن عبد الملك، الذي خرج من المعركة مهزوماً.[2]

إن اسم الكرد ارتبط تاريخياً بتأسيس السلالة العباسية الذي شكل حدثاً من أكثر الأحداث أهمية في التاريخ الإسلامي. وبرز من بينهم اسم أبو مسلم الخراساني الذي قاد جيوش بني عباس للقضاء على حكم الأمويين. وقيل إن أبا مسلم هذا، يعود في جذوره إلى إحدى العائلات الكردية.

غير أن الكرد شكلوا الرقم الصعب طوال فترة حكم العباسيين. فغزو الخزر لأرمينيا عام 147هـ/ 765م، تم بمساعدة عدد من المتمردين الكرد. كذلك أقدم كرد الموصل على الثورة ضد الخليفة المعتصم عام 220هـ/ 835م وكانت بقيادة جعفر بن فهرجيس. وكذلك فعلوا أثناء ثورة الزنج التي ساهمت في القضاء على حكم العباسيين، إذ تحالف الكرد فيها مع المتمردين وكان يقودهم محمد بن عبد الله بن هزرمرد. وفي تمرد القائد ديسام بن ابراهيم،

(*) فارْس أو فارسستان، مقاطعة في الجزء الجنوبي الغربي من إيران عاصمتها شيراز (المترجم).

(1) مينورسكي، «الكرد،» م س رقم 169.

(2) م ن.

الكردي الخارجي جزئياً، استولى المتمردون، الذين كانوا في معظمهم من الكرد، على أذربيجان في 327–328هـ/ 938م.

السلالات الكردية

كان بروز السلالات الكردية المحلية الحاكمة في القرون التاسع والعاشر والحادي عشر بعد الميلاد جزءاً من ظاهرة عامة تجلّت في كل أرجاء الأراضي الإيرانية في الخلافة الشرقية. هذا النهوض المفاجئ في الطاقة الإيرانية، الذي جلب الخراسانيين والديالمة والكرد إلى مقاعد السلطة، ابتكر نموذجاً كان بالنسبة إلى كل تكوينه المحلي المختلف متماثلاً في الإلهام والبنية. وصف البروفسور مينورسكي بذكاء هذه الفترة من النهضة والسطوة الإيرانية بأنها «الفاصل الموسيقي الإيراني» لأنها – كما أوضح، شكلت الانتقال بين فترتين هامتين في التاريخ الإسلامي: انهيار الهيمنة العربية ونهوض السلطة التركية.[1]

السلالة الشدادية التي أسسها محمد بن شداد بن قرطق في الخلفية الجغرافية والتاريخية والثقافية. بعد انهيار سلطة حكم المظفريين في أذربيجان سنة 340 هـ/ 951م، حكم الشدايدة شرق ما وراء القوقاز في الأراضي التي يحيط بها نهرا كور وأراكس. كان لأحد فروع الشدادية عاصمتهم في گانجا وفي العاصمة الأرمينية القديمة دڤين (دبيل في العربية). كان هناك عشرة حكام في فرع گانجا من الشدادية. انتهى حكم هذه السلالة في عام 468هـ/ 1075م على يد السلطان السلجوقي ألب أرسلان. حكم فرع متأخر من هذه الأسرة في آني، عاصمة أرمينية قديمة أخرى. كان هناك سبعة حكام في آني، واستمرت سلالتهم من عام 465 هـ/ 1072م إلى 596 هـ/ 1199م.[2]

---

(1) ف. مينورسكي، دراسات في التاريخ القوقازي، سلسلة كيمبرج الشرقية عد. 6، 109 وما بعدها (بالإنكليزية، مرجع 174).

(2) م ن، 1–104؛ أيضاً إدوارد دنيسن روس، «شداد،» في الموسوعة الإسلامية،

أسس السلالة المروانية الكرد باد (أو باده) أبو عبد الله الحسين بن دوستاق الهربختي، أحد أبناء جبال باهاسنا قرب خيزان. بدأت شهرة هذا الأمير في سنة 374 هـ/ 984م، عندما استولى، بعد وفاة الأمير البويهي عضد الدولة، على مدينة مايافاريقين واحتفظ بها، مع بقية إقليم دياربكر، ضد صمصام الدولة البويهي وضد أولاد ناصر الدولة الحمداني. باد، الذي قتل في معركة ضد الحمدانيين، خلفه ابن اخته أبو علي الحسين بن مروان بن لكاك الهربختي. الأخير، الذي رسخ نفسه في دياربكر، يمكن القول إنه الحاكم المرواني الأول. وقد ضمت حاكميته نصيبين والجزيرة وطور عبدين.

من أبرز وجوه السلالة المروانية كان ناصر الدولة: أبو نصر أحمد الذي دام حكمه ما يقارب الواحد والخمسين عاماً، من 401-402هـ/ 1012م إلى العام 453هـ/ 1061م. ويميل المؤرخون إلى التعريف عنه بأنه كان حاكماً متنوراً عادلاً. بنى الجسور والجوامع والمستشفيات وكان مشجعاً للشعراء والعلماء. استمر حكم السلالة المروانية التي عرفت خمسة حكام، حتى العام 476هـ/ 1083م.[1]

الإمارة الحسنوية أسسها عام 384هـ/ 959م حسنويه بن حسن زعيم قبائل البرزيكان (البرزنجة)، وكان حسنويه قد بدأ حياته السياسية متعاوناً مع ركن

ط 7،1: 246 (بالإنكليزية، مرجع 229).

(1) هنري فريدريك أمدروز، «السلالة المروانية في ميافاريقين في القرنين العاشر والحادي عشر» مجلة الجمعية الآسيوية الملكية (يناير، عام 1903): 123-54 (بالإنكليزية، مرجع 5)؛ أيضاً كارل ڤيلهلم زيترستين، «المروانيون» في الموسوعة الإسلامية، ط 1، 5: 309-10 (بالإنكليزية، مرجع 283).

الدولة البويهي. شمل حكم الإمارة الحسنوية مناطق امتدت من خوزستان حتى شهرزور. انتهى حكم هذه السلالة عام 488هـ/ 1095م.[1]

الإمــارة العنازية التي دام حكمها منذ الـعـام 381هــ/ 991م، حتى العام 511هـ/ 1117م. أسسها أبو الفتح محمد بن عناز، وجعل حلوان (هلون) عاصمة لها وامتد نفوذها على المناطق الواقعة بين العراق وإيران وبلغ عدد حكامها سبعة حكام.[2]

الإمارة الكردية الأهم، والتي لعبت دوراً مهماً في تاريخ منطقة الشرق الأوسط عامة، والإسلام بخاصة، هي الإمارة الأيوبية التي أسسها صلاح الدين يوسف بن أيوب المعروف بصلاح الدين الأيوبي الذي تمكن من دحر الصليبيين في الشرق. وقد اتخذت هذه الإمارة اسمها من اسم والد صلاح الدين، نجم الدين أيوب. وتجمع كل المصادر على أن هذه العائلة هي عائلة كردية صرف من مدينة دوين وكان أفرادها يعملون في خدمة أمراء تلك المدينة الشداديين. وتشير المصادر إلى أن جد صلاح الدين، شاذي بن مروان، قرر مغادرة دوين مسقط رأس العائلة والتوجه نحو بغداد ورافقه ولداه أسد الدين شيركوه، ونجم الدين أيوب الذي تولى حكم تكريت منذ العام 512هـ/ 1137-1138م وهكذا، في العام 532هـ/ 1137-38م ولد صلاح الدين في تكريت العراق.[3]

---

(1) مينورسكي، «الكرد،» 1137، م س رقم 169.

(2) ف. مينورسكي، «الأنّزيديون،» في الموسوعة الإسلامية، الطبعة الجديدة، 1: 512-13 (بالإنكليزية، مرجع 166).

(3) عن تاريخ صلاح الدين المبكر، انظر مينورسكي، دراسات في التاريخ القوقازي، 107-57 (بالإنكليزية، مرجع 174).

لكن العائلة ولظروف طارئة اضطرت إلى مغادرة تكريت والتوجه إلى الموصل للعمل في خدمة نور الدين زنكي - أتابك الموصل. وبعد سنوات أمضاها صلاح الدين والياً على سوريا من قبل نور الدين زنكي، عينه الخليفة الفاطمي في مصر العاضد وزيراً له خلفاً لعمه شيركوه.[1] استغل صلاح الدين فرصة مرض الخليفة العاضد ليعلن وفاة الخليفة المخلوع ويأمر خطباء المساجد أن تكون خطبهم باسم الخليفة العباسي في بغداد، الأمر الذي أدى إلى إلحاق مصر بالخلافة العباسية في بغداد، وتسلم صلاح الدين حاميتها. بعدها توجه نحو المناطق السورية غير الخاضعة لحكم الصليبيين، وأخذ يستولي عليها، واحدة تلو الأخرى. ولما شعر أنه وصل إلى مرحلة متقدمة من القوة، أخذ يعد العدة لقيادة جيوش المسلمين في قتالهم ضد الصليبيين.

وسطع نجم صلاح الدين في معركة حطين 583هـ/ 1187م التي انتصر فيها على الصليبيين وفتحت له الطريق نحو القدس.[2] بعدها بسنوات ست (589هـ/ 1193م) توفي صلاح الدين. وقبل وفاته، كان قد قسم مناطق حكمه بين أبنائه وإخوته الذين ما إن أغمض صلاح الدين عينيه حتى أخذوا يتقاتلون ويتصارعون، كل في سبيل القضاء على الآخر، حتى تمكن أخوه الملك العادل من الانتصار على الكل وإعادة توجيه الإمارة الأيوبية. لكنه عاد ووقع في الخطأ ذاته الذي وقع فيه أخوه صلاح الدين، إذ أقدم على توزيع الإمارة بين أولاده فجعل ابنه الكامل، والياً على مصر، والمعظم والياً على الشام والفائز

---

(1) رتب ضياء الدين عيسى، الكردي من هكّاري، تعيين صلاح الدين للمنصب الوزاري، م ن، 137-38؛ انظر أيضاً ستانلي لين - بول، صلاح الدين (بالإنكليزية، مرجع 128)، ومورتن سوبرنهايم، «صلاح الدين» في الموسوعة الإسلامية، ط 1، 7: 84-89 (بالإنكليزية، مرجع 242).

(2) للاطلاع على مناقشة تنظيم جيش صلاح الدين، انظر هاملْتُن ألكساندر روسكين غيب، «جيوش صلاح الدين،» دفاتر التاريخ المصري (القاهرة) 3 (أيار/ مايو، عام 1951): 304-20 (بالإنكليزية، مرجع 89).

والياً على العراق. وبدوره الفائز خلفه أخوه الأوحد ولاحقاً الأشرف. ولكن في الواقع، وحدها حلب بقيت تحت حكم أخلاف صلاح الدين.[1]

المغول والكرد

تسبب الغزو المغولي، بسبب مباغتته ووحشيته بدمار هائل، وتهجير للسكان، أكثر بكثير مما تسببت بها الغزوات التركية. وعلى الرغم من هذا فآثاره لم تدم طويلاً، وبدا واضحاً أن المغول كانوا يعرفون مسبقاً أن الكرد رجال أشداء ومولعون بالقتال. لذا أجد من المفيد جداً الإشارة إلى أن مانجو خان الكبير، أعطى شقيقه هولاكو خان - الذي كان مكلفاً القيام بمهمة اجتياح غرب آسيا بهدف إلحاق الهزيمة بالخلافة - التعليمات التالية: «كن رحوماً مع كل من يقدم لك الولاء والطاعة! واسحق كل العصاة المتمردين! سوِّ بالأرض حصونهم ومدنهم وقراهم، هكذا تفتح الطريق أمامك... امضِ من طوران إلى إيران، ومن ثم تابع سيرك نحو العراق؛ اقضِ على اللُّور والكرد ودمر حصونهم في كرده كوه ولمبِه سِر ذلك أنهم - أي الكرد - قطاع طرق يرعبون المسافرين ويستولون على أموالهم ويعيقون الحركة التجارية.»[2]

إن الدمار الذي تسبب به الغزو المغولي لكردستان، تسبب - وفاقاً لمصادر تاريخية مختلفة - بإخلاء مناطق عدة كردستانية عديدة من سكانها إما بسبب عملبات الإبادة الممنهجة، وإما بسبب الهجرة أو قل الهرب خوفاً. وأفادت المصادر أن عدة قبائل من قبائل شهرزور توجهت نحو مصر.

---

(1) للاطلاع على مناقشة شاملة للسلالة العبيدية، انظر كلود كاهين، «الأيوبيون،» في الموسوعة الإسلامية الجديدة، ط 2، 1: 796-807 (بالإنكليزية، مرجع 38).

(2) أرشاك سفرستيان، 37، م س رقم 230.

فالخوف من وحشية الغزو المغولي أجبر بعض القبائل الكردية على تخطي حدود مصر والتوجه نحو الجزائر. واستناداً إلى ابن خلدون، فإن قبيلتي لاوِن وبادِن، قصدتا الجزائر حيث تم استقبالهما بحفاوة من قبل الخليفة المرتضى الموحدي.[1] وقد شهدت الفترة الفاصلة بين انهيار حكم المغول وصعود السلالة الصفوية صعود وسقوط سلالتين تركمانيتين، دولة الأق قوينلو (أي دولة الخروف الأبيض) ودولة القره قوينلو (أي دولة الخروف الأسود) في الأراضي الكردية، وظهور تيمورلنك الذي نافس غزو المغول في أعمال التدمير.[2]

الكرد منذ القرن السادس عشر

بعد قيام الحكم العثماني في تركيا والدولة الصفوية في إيران، تحولت بلاد كردستان إلى مسرح نزاع بين هاتين الدولتين القويتين. فالصفويون الذين نجحوا في انتزاع معظم أراضي كردستان من السلالتين التركمانيتين اضطروا للتخلي عن مكتسباتهم للعثمانيين. لكن، تعتبر معركة چالديران عام 1514 نقطة تحول مهم في تاريخ الكرد. فبالرغم من تمكن العثمانيين من الانتصار على الصفويين، فإنهم لم يتمكنوا من القضاء عليهم وكسر شوكتهم نهائياً. لكن هذا الانتصار أجبر الصفويين على التخلي عن معظم المناطق الكردية التي كانت تحت سيطرتهم. وعلى مدى ثلاثة قرون، استمر النزاع - وإن بشكل متقطع - بين الدولتين، هذا النزاع أرخى بظلاله على أرض كردستان فتحولت إلى مسرح له، وتحول الكرد كشعب إلى وقود له أيضاً.

---

(1) مينورسكي، «الكرد،» م س رقم 169.

(2) م ن؛ أيضاً ف. مينورسكي، «أق قويونلو،» في الموسوعة الإسلامية، ط جديدة، 1: 311-12 (بالإنكليزية، مرجع 165).

بعد معركة چالديران، اتبع العثمانيون بقيادة السلطان سليم الأول طريقة تعامل مع الكرد مناقضة جداً لتلك الطريقة التي اتبعها الفرس بقيادة الشاه اسماعيل الذي - وفاقاً للمصادر التاريخية - أقدم أثناء تراجعه عن المناطق الكردية إلى تدمير المدن والأرياف الكردية بطريقة ممنهجة، وألقى القبض على أحد عشر قائداً كردياً ونفاهم إلى أذربيجان. على العكس من ذلك عمد السلطان التركي[1] إلى إظهار الاحترام للكرد، وانتهج في التعامل معهم سياسة بعد النظر، إلى حد الوثوق بالزعيم الكردي إدريس البدليسي، وتكليفه إدارة شؤون إقليم كردستان، بما يشبه إدارة حكم ذاتي، ضمن الإمبراطورية العثمانية، وقد تأكد ذلك في الفرمان الذي أصدره السلطان العثماني عام 921هـ/ 1515م.[2]

عـام 1639م عقد الطرفان: السلطان مراد الرابع والشاه صفي الدين معاهدة زهاب، بين الترك والإمبراطورية الفارسية والتي تم بموجبها تقسيم بلاد الكرد إلى الأبد، بين هاتين الإمبراطوريتين.[3]

سياسة الود والصداقة التي انتهجها السلطان سليم الأول تجاه الكرد، وبعد تيقن العثمانيين أن الفرس ما عادوا يشكلون خطراً عليهم سرعان ما تحولت إلى نقيضها، إذ أقدم العثمانيون بين عامي 1650-1730م، على إلغاء الأغلب الأعم من بنود اتفاقية الحكم الذاتي في منطقة دياربكر-ڤان (وان).

(1) مينورسكي، «الكرد،» م س رقم 169.

(2) للاطلاع على النص الكامل لهذا الفرمان، انظر زكي، خلاصة تاريخ الكرد، 184-90، م س رقم 314.

(3) للاطلاع على مناقشة المسألة الشائكة للحدود التركية - الفارسية، بما فيها ترجمة ديباجة هذه المعاهدة، انظر إدموندس، الكرد والترك والعرب، 125-39، م س رقم 63.

واكتملت عملية تصفية هاتين الإمارتين الكرديتين خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر.

انهيار حكم الصفويين، واغتصاب نادر شاه عرش بلاد فارس، وضعا الكرد أمام مرحلة حياتية جديدة كلياً. فعدا عن إقدام هذا المغتصب للعرش، على استعمال الكرد في حروبه وحملاته العسكرية ضد العثمانيين، مما تسبب في تدمير حياتهم وقتل الآلاف منهم، أقدم من بين الإجراءات التي اعتمدها أيضاً، على ترحيل آلاف العائلات الكردية إلى خراسان بهدف حماية الحدود الشرقية لبلاد فارس من الهجمات التركمانية.[1]

إن فترة الفوضى وعدم الانتظام التي أعقبت وفاة نادر شاه عام 1747، عرفت بروز شخصية كردية مميزة، هي شخصية كريم خان زند الذي حكم بلاد فارس ما يقارب الثلاثين عاماً كوصي على العرش، والذي عرف بتنوره وتسامحه وحبه للسلام. وهكذا أمضت البلاد الثلاثين عاماً 1750-1779، وهي تعيش بأمان واستقرار بعيداً عن الفسق وإراقة الدماء[2]. بعد كريم خان، جاء لطفي علي خان الذي كان عليه أن يخوض صراعاً مريراً مع وزيره آغا محمد خان - مؤسس سلالة القاجار - انتهى بانتصار هذا الأخير نتيجة الغدر والخيانة[3].

---

(1) للاطلاع على بيان السيرة المفصل لنادر شاه، انظر لورنس لوخارت، نادر شاه: دراسة نقدية مستندة خصوصاً إلى مصادر معاصرة (بالإنكليزية، مرجع 139).

(2) إدوارد غرانفيل براون، عام بين الفرس: انطباعات تتعلق بحياة شعب إيران وطبيعته وفكره، ط 3، 94، 124 (بالإنكليزية، مرجع 33)؛ نيكيتين، الكرد، 178، 187، م س رقم 187.

(3) براون، عام بين الفرس، 310 وما بعده، م س رقم 33؛ راجع نيكيتين، الكرد، 169، م س رقم 187.

لا يبدو أن الكرد كانوا أفضل حظاً تحت حكم أوّل حاكم قاجاري متمثلاً برجل بطاش وانتقامي هو الآغا محمد خان الذي أقدم على إبادة كل قبيلة زند وجميع من تعاون معها في إدارة شؤون البلاد.[1] أما خلفه ناصر الدين شاه فقد وضع حداً لحكم الكرد على بلاد قبيلتي أردلان وموكري. ويبدو أن انتساب آل أردلان إلى الأسرة المالكة لم يكن يحدث فرقاً ذا شأن.

آخر أمراء الأسرة الأردلانية كان غلام شاه خان الذي تولى الحكم عام 1865، وبعد وفاته منع ناصر الدين شاه، بصفته أكبر الذين كانوا على علاقة مع العرش، ولي العهد من اعتلائه سدة الملك. وهكذا يكون قد تم القضاء نهائياً على حكم الكرد.[2] خانات موكري (أو بابا ميري) الذين حكموا بلاد الموكري من العاصمة صاوچبولاق (ماهاباد) عرفوا المصير عينه. إذ تنحى عن الحكم على يد الشيخ عبيد الله (انظر الفصل الرابع).[3]

من الغريب، أن القضاء على هاتين الإمارتين الكرديتين لم يترك آثاراً مهمة في بلاد فارس، بقدر ما ترك في تركيا.

الدين

الإسلام هو الدين السائد حالياً بين الأغلبية الكردية التي في أغلبها الأعم

---

(1) كليمنت هوارت و لورنس لوخارت، «آغا محمد شاه،» في الموسوعة الإسلامية، الطبعة الجديدة، 1: 246–47 (بالإنكليزية، مرجع 106).

(2) إ. ب. سون، إلى بلاد ما بين النهرين وكردستان متنكراً، مع ملاحظات تاريخية عن القبائل الكردية والكلدانيين في كردستان، ط 2، 218 و 378 و378–79 (بالإنكليزية، مرجع 241).

(3) ميرزا محمد جواد الكازي، «دراسات في القوانين المطبقة في كردستان،» 22، جزء 3، 345 (بالألمانية، مرجع 114).

هي من أهل السنة وتتبع المذهب الشافعي. أما فيما مضى،[1] فالزرادشتية كانت هي الديانة السائدة بين الكرد، إلى جانب الوثنية والمسيحية، وهي ديانات لا تزال لها أتباعها حتى اليوم.

يبدو أن المسيحية دخلت بلاد كردستان، مع بداية مرحلة انتشار المسيحية، على يد مار ماري الأورفي المتوفى عام 226م، الذي تمكن من إدخال ملك شاغرت وشعبها إذ كانوا «يعبدون الأشجار والأصنام المصنوعة من النحاس.»[2] كما أن هناك وثائق تشير إلى أن إيشو يابا بنى معبداً بالقرب من ثمانين في ضاحية جزيرة ابن عمر «كان الكرد يتعبدون فيه للشيطان ويقدمون له القرابين.»[3]

أما الكرد الذين حولهم القديس سابا المتوفى عام 485م إلى المسيحية، فكانوا من عبدة الشمس، وعن هؤلاء يتحدث المؤرخ العربي المسعودي الذي عاش في القرن الرابع للهجرة فيقول: إنهم كانوا يعيشون على مقربة من جبل جودي.[4] وفي مرجع آخر، غاية الحكيم للمجريطي (كتب حوالى القرن

(1) مينورسكي، «الكرد،» 1151، م س رقم 169. وفاقاً لسير مارك سايكس، أبلغه بعض الكرد أن أجدادهم كانوا زرادشتيين قبل ظهور الإسلام. مارك سايكس، تراث الخلفاء الأخير: تاريخ موجز للإمبراطورية التركية، 425 (بالإنكليزية، مرجع 252). وفي مناقشة انتشار البدع الإسماعيلية والقرامطة في العالم الإسلامي يبين فقيه إسلامي مشهور القبول السهل لهذه الأفكار لدى «كرد عنيفين وأبناء الزرادشتيين.» عبد القاهر ابن طاهر البغدادي، مختصر كتاب الفَرق بين الفِرق، 141 (بالعربية، مرجع 287).

(2) هوفمان، الموجز، 270 (مرجع ألماني)، أورده مينورسكي، «الكرد،» م س رقم 169.

(3) مينورسكي، «الكرد،» 1151، م س رقم 169.

(4) المسعودي، مروج الذهب، مج 3، 254، ذكره مينورسكي، «الكرد،» 1135، م س رقم 169.

الخامس للهجرة)، نتعرف إلى قصة كردي مسيحي غريبة، في ظاهر الأمر مهتد أراد أن يصبح ساحراً.[1]

حتى في الكتابات الحديثة. هناك إشارات عديدة إلى أن المسيحية كانت - في وقت ما - منتشرة بين الكرد. واستناداً إلى كتّاب كرد حديثين، هناك عدة قبائل كردية لا تزال حتى اليوم تضع إشارة الصليب على العجين حين يترك ليختمر قبل خبزه.[2] ويخبرنا ويغرام وويغرام (Wigram and Wigram) أنه خلال موسم الترحال السنوي لقبيلة الهركي الكبرى كان هؤلاء يأخذون معهم أينما رحلوا وارتحلوا صندوقاً خشبياً يحتوي على ذخائر يفترض أنها رأس القديس جاورجيوس.[3] بازيل نيكيتين الخبير في الأنتروبولوجيا الكردية، يخبرنا الرواية ذاتها ويضيف أن هناك قبائل كردية أخرى، مثل قبيلتي عبده ونساناي، لاتزالان محتفظتين بعاداتهما المسيحية.[4] واستناداً إلى كتابات نيكيتين، هناك عدة قبائل في بوتان ومديات وساسون والكثير غيرها من المناطق لاتزال محافظة على ذكرى أسلافهما المسيحيين القدماء. ويقول: في السوسان، يسمى هؤلاء «أولئك الذين تنكروا للصليب.»[5]

ألقت الاكتشافات الحديثة للأدعية المسيحية باللغة الكردية، الضوء

---

(1) توجه رجل غير عربي من الكرد إلى شيخ بابلي وقال له: «سيدي، أريد منك تعليمي السحر.» فقال له الشيخ: «ما هو دينك؟» فأجاب الرجل، «أنا الآن من أتباع دين المسيح.» انظر هلموت ريتّر، «بيكاتريكس» أي «غاية الحكيم» للمجريطي 316 (بالألمانية، مرجع 217).

(2) إحسان نوري، تاريخ الأصل العرقي للكرد، 117 (بالفارسية، مرجع 307).

(3) ويغرام وويغرام، 162-62، م س رقم 273.

(4) بازيل نيكيتين، «الكرد والمسيحية،» مجلة تاريخ الأديان 85، عد.3 (بالفرنسية، مرجع 187).

(5) م ن. توليت ترجمة المواد بغير اللغة الانكليزية ما لم يشر إلى خلاف ذلك.

على المسيحية وسط المجتمع الكردي. مينورسكي الذي أبدى اهتماماً زائداً بمثل هذه المخطوطات العائدة إلى القرن الخامس عشر، يعتقد أن أصولها تعود إلى ما قبل ذلك العصر بكثير. واستناداً إلى تحليلات مينورسكي، فهذه الصلوات كتبت باللغة المحكية لكرد الشمال الذين كانوا يعيشون في حوض نهر آراكس.[1]

بالعودة إلى التاريخ، نرى أن تحول الكرد عن دياناتهم القديمة، واعتناقهم الإسلام، لم يتم بسرعة إنما بعملية بطيئة ومتدرجة. باستثناء المناطق التي وجد الكرد أنفسهم فيها على تماس مبكر مع المسلمين العرب - بمن فيهم القبائل التي كانت تقيم في فارْس وحلوان (هلون) وشهرزور وجزيرة ابن عمر ودياربكر - فقد استمر الكثير من الكرد منعزلين في محوطات ومحافظين على معتقداتهم الدينية كالزرادشتية والوثنية والمسيحية. وهذا ما تشير إليه فقرة لافتة عند المؤرخ جورج أبو الفرج المعروف باسم بار هيبرايوس تفيد بأن تحول الكرد لاعتناق الإسلام لم يكن مكتملاً حتى في بدايات القرن الثالث عشر، إذْ يقول:

> **وفي السنة الثانية بعد الستماية للتقويم العربي [1205م]، نزلت سلالات كردية مقيمة في جبال ماداي (مادي/ ميديا) والتي تسمى تيره هايTirahaye إلى تلك البلاد وأوقعت فيها دماراً هائلاً. وكان**

(1) وفاقاً لمينورسكي عثر البروفسور الجيورجي أبو العز على هذا المخطوط في مكتبة بطريركية إخميادزن الأرمنية في أرمينيا السوفياتية عام 1937. ويعتقد أنه لا يوجد شك في صحة المخطوط الذي استنسخ برعاية مؤرخ تيمورلنك المشهور المتوفى عام 1446. وتقرأ الصلاة، التي كتبت بالأبجدية الأرمنية، كما يلي عندما تكتب بالأحرف اللاتينية «الطاهر (الذي هو طيب أيضاً) والطاهر (الذي هو قوي) والطاهر (الذي هو خالد)، أنت من صلبت بسبب رحمتك ورأفتك بنا.» ڤ. مينورسكي، «أقدم نص كردي،» النشرة الشهرية لمركز الدراسات الكردية، عد. 10، 8-10 (بالفرنسية، مرجع 172).

هناك عساكر فرس على استعداد لمناصرتهم، وبالفعل شاركوهم في القتال. حتى تلك السنة، كان سكان تلك الجبال لم يعتنقوا الإسلام بعد، وكانوا لايزالون متمسكين بالوثنية البدائية (لبلادهم) وبالموغية (المزدكية/ الزرادشتية)، وكان كلما وقع مسلم بين أيديهم، يكون الموت مصيره وبطريقة شنيعة.[1]

عام 1596م، كتب المؤرخ والشاعر الكردي شرف خان شمس الدين البدليسي كتابه شرفنامة واصفاً قبائل البازوكي (باشوكي)، بأنهم «بشر غير متمسكين بديانة معيّنة، ولا يتقيدون بالوصايا التي تحدد المحللات والمحرمات.»[2] وحتى في القرن التاسع عشر، لاحظ بعض الكتاب وجود عشائر البالك الكردية في مرتفعات ساسون، لا هي مسلمة ولا مسيحية ولا قزلباش.[3]

قد يكون لطبيعة بعض المناطق الكردية التي تبدو وكأنها منعزلة عن العالم، وللتحول اللفظي لبعض الكرد في العصور الأولى للإسلام أثر كبير في استمرار العديد من الكرد بالحفاظ على عاداتهم وتقاليدههم الدينية الموروثة، بالإضافة إلى استمرار البعض، وإن بعدد قليل في التعلق بديانته القديمة. هذا وقد يكون لإلقاء الضوء على بعض الفئات الدينية التي لاتزال موجودة في

---

(1) بار هيبراويس، التسلسل الزمني لجورج أبو الفرج بن هارون، الطبيب اليهودي، المعروف باسم بار هيبرايوس، مج 1، ترجمه من السريانية إرنست واليس بادج، 362، بالإنكليزية، مرجع 18).

(2) أمير شرف خان البدليسي: تاريخ الدول والإمارات الكردية، نقله محمد جميل بندي روزبياني من الفارسية إلى العربية مع تعليقات، 359 (بالعربية، مرجع 290). راجع مينورسكي، «الكرد،» م س رقم 169.

(3) جون جورج تيلور، «رحلات في كردستان، مع ملاحظات عن منابع نهر دجلة الشرقي والغربي والخرائب القيمة في الجوار،» مجلة الجمعية الجغرافية الملكية مج 35، 28-29 (بالإنكليزية، مرجع 255).

كردستان، وبين الشعب الكردستاني، أثر في فهم الواقع الاجتماعي والديني للشعب الكردي.

الإيزديون

الإيزديون، فئة فريدة، لاتزال نشأتهم، حتى اليوم، وبالرغم من كل الأبحاث، سراً من أسرار الغموض.[1] الإيزدية، دين توفيقي، تحتوي على عناصر إيمانية مستمدة من الزرادشتية والمانوية[*] والإسلام والمسيحية واليهودية والصابئية والشامانية.

يعتقد الإيزديون أن العالم خلق على يد سبعة ملائكة. وترتكز الديانة الإيزدية على فكرة الثنائية بين الله والملاك: الطاووس - أي الشيطان. والله عند الإيزديين هو مجرد كيان خامد؛ إنه الخالق ليس أكثر، وليس حامياً لهذا العالم. الملاك طاووس هو العضو الفاعل للمشيئة الإلهية. والشيخ آدي (عَدِي) الذي يقال إنه بلغ درجة الألوهة عبر انتقال الروح، يعتقد أنه والملاك طاووس صنوان. وخلافاً للمعتقد الشعبي لا تحارب الإيزدية الشيطان لأن الملاك طاووس يعتبر ملاكاً ساقطاً سوف يعود الله ويحتضنه بعد توبته في الوقت المقرر. وينكرون وجود الأفعال الشريرة، ولا يؤمنون بالعقاب بنار جهنم. يعتقد الإيزديون بتفردهم في خصائصهم دون غيرهم من الجنس الآخر

---

(1) تيودور منتزل، «الإيزديون،» في الموسوعة الإسلامية، ط 1، 8: 1163-70 (بالإنكليزية، مرجع 160)، والببليوغرافيا المتضمنة فيها، صديق الدملوجي، الإيزدية (بالعربية، مرجع 294)؛ فريتس ماير، «اسم الإيزدية،» في (*Westostliche Abhandlungen Rudolf Tschudi*)، 244-57 (بالألمانية، مرجع 159).

(*) المانوية دين أسسه في القرن الثالث للميلاد النبي الفارسي مانو ويتألف من عناصر مسيحية وبوذية وزرادشتية وتدعو إلى الإيمان بثنائية العقيدة القائمة على الصراع بين النور [الخير] والظلام [الشر].

البشري وهم ليسوا من سلالة آدم وحواء، بل هم من نسل طفل يدعى شديد بن جرة الذي هو من بزرة آدم فقط، حفظت لمدة تسعة أشهر في جرة مغلقة.

سعى الإيزديون إلى التكاثر وإلى أن يكونوا أقوياء، أصحاب نفوذ. كان ذلك حتى مطلع القرن التاسع عشر، لكن استمرار المجازر الممنهجة التي ارتكبها العثمانيون بحقهم، قلص أعدادهم بشكل كبير. لايزال هناك اليوم نحو السبعماية ألف إيزدي بين العراق وسوريا وتركيا والاتحاد السوفياتي. تقيم المرجعية الروحية والدينوية الإيزدية في ناحية شيخان في محافظة الموصل، حيث مرقد الشيخ عَدِي، مزارهم المقدس الأبرز.

الصارلية

الصارلي (أو السارلي) الموجودون في منطقة الموصل هم قوم يعتنقون ديناً غير كل الأديان التي يعتنقها الآخـرون.[1] إنهم يؤمنون بالإله الواحد ويعترفون بوجود بعض الأنبياء، يؤمنون بالموت والقيامة وبوجود الجنة وجهنم، لكنهم لا يصومون ولا يصلون ولا يتذرعون. إنهم يشترون أمكنة لهم في الجنة من رجال الدين. يتهمهم أعداؤهم، بأنهم يجتمعون مع بداية العام القمري، يذبحون ديكاً يأكلونه معاً: نساء ورجالاً. ويقال: إنه بعد الانتهاء من الطعام يطفئون الأضواء، ويمارسون حفلات الجنس الجماعي كنوع من الطقوس الدينية.

القزلباش

القزلباش، هم الشيعة المتطرفون الذين يقيمون في تركيا، وفي المنطقة

(1) يوهانس هندريك كرامرس، «صارلية» في الموسوعة الإسلامية، ط 1، 7: 174 (بالإنكليزية، مرجع 119): أيضاً عبد المنعم الغلامي، بقايا الفرق الباطنية في لواء الموصل (بالعربية، مرجع 297).

الواقعة بين موش وغربي ضفاف الفرات، بما فيها مرتفعات دَرْسِيم.[1] قزلباش (وتعني الرأس الأحمر) تسمية أطلقها عليهم مسلمو تركيا السنّة: تعبيراً عن احتقارهم لهم وازدرائهم. أما هم فيدعون أنفسهم «يُل وشاغي» (أبناء طريق الحق).

يؤمن القزلباش بوحدانية الله الكلي القدرة الذي لا «ابن له ولا شريك». وفي الوقت ذاته يؤمنون بقيامة المسيح الذي هو مجرد نبي مساوٍ لعلي. إنهم يعترفون بنبوة آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، والمسيح ومحمد، وعلي كأعظم الأبنياء. يؤمنون بوجود اثني عشر إماماً الذين هم رسل المسيح الإثنا عشر. إنما بتسميات مختلفة، ويضعون الحسن والحسين، ابنيْ علي بمرتبة القديس بولس ذاتها. ويعترفون بالعهد الجديد من الكتاب المقدس وأسفار موسى الخمسة والقرآن، وليس لديهم كتاب مقدس، بل يتلقون إرشاداتهم الدينية من السيّاد الذين هم رجال الدين وزعماؤهم الدينيون، وهؤلاء السياد هم من نسل الإمام باقر مؤسس ديانتهم. واستناداً إلى تقاليدهم، فالإمام باقر مولود من عذراء أرمنية، ابنة كاهن أرمني. الغريب أن القزلباش يجلّون الأشجار والصخور والكثير مما في الطبيعة. يجتمعون في الأول من كانون الثاني/ يناير من كل عام، يصلون، ثم يبارك «السيد» الخبز الذي يسمى لقمة الحق ويوزع عليهم جميعاً. يتهمهم أعداؤهم أنهم يقيمون هذا الاحتفال السنوي، ليس بهدف الصلاة بل لممارسة الجنس الجماعي.

أهلي حق

«أهلي حق»، شعب الحقيقة، كلها تسميات تشير إلى أنهم مؤلهو علي «علي إلهي» ويشير في الوقت ذاته إلى أنهم فئة شيعية متطرفة. يرتكز إيمان

(1) توجد أفضل مناقشة لمعتقدات القزلباش وممارساتهم في: مولينو - سيل، 49-68، م س رقم 178.

أهلي حق على خلود الذات البشرية، وهناك سبعة أنبياء أولهم خوندكار خالق هذا العالم الذي كان مسجوناً في لؤلؤة، أما ثانيهم فهو علي. أما الأهم في هؤلاء السبعة فهو السلطان سوحاق (إسحاق) أو المتجسد الرابع، والذي يشكل نقطة ارتكاز مذهب أهلي حق.

استناداً إلى التعاليم الدينية لأهلي حق، الناس نوعان خيّرون مخلوقون من طين أصفر، وشريرون مخلوقون من طين أسود. يشكل التناسخ[*]- انتقال الروح من جسد إلى آخر - إحدى ركائز إيمان أهلي حق. تدل الشعائر والطقوس التي تمارسها هذه الجماعة، على أنها شعائر وطقوس مأخوذة من عدة مصادر، مما يجعل الأمر واضحاً، أن هناك تأثيراً للغنوزية، والزرادشتية، والهندروسية، واليهودية، والمسيحية والإسلام، على مفاهيم هذه الجماعة ومعتقداتها، التي وجد الباحثون بعضاً من آثار الوثنية في ديانتهم: التي تدل إلى بدع مسيحية وإسلامية. أهم ما في معتقدات أهلي حق، أنه في يوم القيامة - المفترض أن يحدث في سهل شهرزور جنوب كردستان - سيعتبر جميع السلاطين مجرمين ويلقون العقاب على جرائمهم.

دين أهلي حق، هو دين الناس البسطاء المتواضعين الفقراء والطبقات الاجتماعية الدنيا. لذا فهو منتشر بين الرحل وسكان إيران في گوران ولورستان. وهناك فئات صغيرة في أذربيجان، ما وراء القوقاز، مازندران، خراسان، وطهران ونمادان. وهناك محوطات مهمة يقيم فيها أهلي حق أيضاً في مناطق كركوك والسليمانية والموصل، في العراق حيث يعرفون بالكاكا يي (كاكه).[1]

(*) Metempsychosis تعني التناسخ أي انتقال النفس البشرية بعد موت صاحبها إلى جسد آخر، سواء أكان هذا الجسد، بشرياً، أم حيوانياً أم نباتاً. وبذلك يتحقق لها وجود جديد، أو أكثر أحياناً. فالتناسخ إذاً، يختلف عن التقمص (Réincarnation) الذي هو انتقال النفس البشرية بعد موت صاحبها إلى جسد بشري فقط.

(1) للاطلاع على التفاصيل، انظر ف. مينورسكي، «أهلي حق،» في الموسوعة =

الأدب الكردي والنشاطات الثقافية

الأدب التقليدي: الفولكلور والشعر

غدا مجال الأدب الكردي وأهميته جلياً على نحو متزايد كنتيجة للبحث المستمر الذي يقوم به الأوروبيون والباحثون في القضايا الكردية الأصلية. وقد خَبِرت معرفتنا بأدب الكرد المكتوب والشفوي تغييراً عميقاً. قدر كبير من التقدم الذي تحقق في هذا الاتجاه يمكن أن يكون قد أُحرِز من واقع أن ألكساندر جابا لا يشير في عمله: مجموعة ملخصات وحكايات كردية تخدم معرفة اللغة (سانت بطرسبرغ، 1860) سوى إلى أسماء ثمانية شعراء كرد، في حين أن علاء الدين سجادي يناقش أعمال 24 شاعراً بطول كبير ويدرج أسماء 212 شاعراً آخر في تاريخه للأدب الكردي: تاريخ الأدب الكردي (بغداد، 1952). المعرفة التي نمتلكها في الوقت الحاضر عن غنى وتنوع الفولكلور الكردي تقدّم تبايناً مثيراً لجهلنا لهذه القضية في منتصف القرن التاسع عشر.

إنه لمثير للاهتمام أن نتذكر أن جيمس فريزر، وهو كاتب محترف زار معظم مناطق كردستان في ثلاثينيات القرن التاسع عشر، أخفق في محاولاته لاكتشاف أي دليل للاعتقاد بالجنيات وكائنات فوق طبيعية أخرى بين الكرد.[1]

= الإسلامية، الطبعة الجديدة 1: 206-63؛ أيضاً ڤلاديمير إيڤانوڤ، المحرر، عابدو الحقيقة في كردستان: نصوص أهلي حق، سلسلة الجمعية الإسماعيلية، رقم 7 (بالإنكليزية، مرجع 110). للاطلاع على أفضل دراسة عن الكاكا يي في العراق، انظر إدموندس، الكرد والترك والعرب، 182-201، م س رقم 63.

(1) ذكر فريزر، «إلاّ أنني شعرت بخيبة الأمل بسبب هؤلاء الكرد في مسألة عقائدهم الخرافية عن الجنيات والسحر وما أشبه ذلك...لم تكن لديهم، بقدر ما أستطيع أن أرى، سوى روح ضعيفة لهذه الأمور، أو أنها تنكشف في بلد يتوقع أن يجد المرء فيه ألف خرافة بديعة وأعمالاً شيطانية، إلّا أن كل شيء مقتصر كما يبدو على أوهام الساعات المحظوظة وغير المحظوظة - تأثير العين البشرية - وبعض النذر =

لكن هذا هو حجم ونطاق المادة الفولكلورية الكردية لدينا في الوقت الحاضر، الأمر الذي جعل أحد الباحثين السوڤيات في الأدب الكردي، تبعاً لنيكيتين، يصف وفرته كحالة «تضخم.»[1] يعزو المصدر السوڤياتي التطور المفرط لهذا النوع من الأدب الكردي، على حساب الأدب المكتوب، إلى الأمية التي كانت شاملة تقريباً بين الكرد وأنه في أمثلة محددة، كما بين الإيزديين، هي مطلب ديني مفروض على الجميع إلّا مجموعة قليلة مختارة.

نحن مدينون كثيراً في معرفتنا للفولكلور الكردي لعدد من الكتاب الذين جلبوا إلى الضوء قدراً كبيراً من المواد التي لم تُنشَر حتى الوقت الحاضر. بين هؤلاء بازيل نيكيتين، والأمراء ثريا وجلادت وكاميران بدرخان وروجيه لسكوت وعرب شاميلوف وعلاء الدين سجادي وتوماس بوَا.

الفولكلور الكردي في أشكاله المختلفة - القصص والخرافات وحكايات الجن والملاحم والغنائيات والأمثال والنوادر والتعويذات والألغاز - يتنوع كثيراً في موضوعاته. فالحب والوطنية والحرب والضيافة موضوعات مفضلة. يمكن القول إن موضوعات الفولكلور الكردي تنقسم إلى ثلاث فئات هي: (1) هذه التي هي نتاج التجارب الكردية، و(2) تلك التي تستند إلى التراث الفولكلوري لكل الشرق الأوسط، و(3) تلك التي استعيرت وعُدِّلت من الشعوب المجاورة. وعلى الرغم من أن الكتلة الأكبر من القصص والخرافات وحكايات الجن الكردية لا تزال غير مسجلة، إلّا أن المجموعات،

= المستمدة من حوادث مثل العطاس مرة أو مرتين. جيمس بايلي فريزر، رحلات في كردستان، بلاد ما بين النهرين وغيرها، بما في ذلك وصف لأجزاء من تلك البلدان التي لم يسبق لأوروبيين زيارتها، مع تخطيطات لشخصية وسلوك القبائل الكردية والعربية، مج 2، 140-41 (بالإنكليزية، مرجع 83).

(1) ب. نيكيتين، «الشعر الغنائي الكردي،» مجلة الأثنوغرافيا، 45 (39) (بالفرنسية، مرجع 191).

التي نملكها في الوقت الحاضر، تمثل، بلا شك، الفولكلور الكردي بإنصاف.

تتسم طريقة القص الكردية بالبساطة، وفي أحيان كثيرة، بحس قوي من الفكاهة. فبعض القصص التي بين أيدينا، مثل «قصة سوتو وتاتو،»[1] تظهر مهارة كبيرة في السرد. وعلى الرغم من ضراوتها إلّا أنها تخفف ذلك بفكاهة مفعمة بالحياة ولو أنها غير مصقولة فنياً. تخبرنا هذه القصة عن العواطف العنيفة التي أطلقها حقد شديد نشأ عن اضطهاد قبيلة لقبيلة أخرى. يستمر الحقد الشديد بسبب القسوة والغدر والشجاعة الشديدة. قصص كردية كثيرة موحية مثل هذه، كما أوضح نيكيتين، تقدم «صورة واضحة للذهنية الكردية.»[2]

قصة «الشيخ سليمان،»[3] عن محتال ولص تنكر بصفة شيخ تقي وينتهي بسرقة ضريح أحد القديسين، هي، من ناحية، انتقاد لاذع يتسم بعدم الاحترام موجّه إلى هذه الطبقة من رجال الدين، ومن ناحية أخرى، تعبير عن الإعجاب غير المقنَّع بالسرقة، حتى في الظروف الأكثر تطلباً للرقابة. بالنسبة إلى اللص الجريء والواسع الحيلة، لا شيء مقدساً، ولا حتى ضريح أحد القديسين الكبار. إنه لشيء مثير أن نلاحظ كيف أن اللص يحاول أن يطمئن وجدانه القوي، وربما ضمير أتباعه، بالتسويغ التالي لفعله: إذا كان القديس قديساً حقيقياً، فهو يعرف بالتأكيد أن الحي أكثر استخداماً للأشياء في هذا العالم من الميت، وإذا كان قديساً مزيفاً، فعندئذٍ لا شيء لديّ يجب أن أخشى منه.[4]

---

(1) ب. نيكيتين وإ. ب. سون «قصة سوتو وتاتو،» نشرة كلية الدراسات الشرقية 3، الجزء 1، 69–106، م س رقم 200.

(2) ب. نيكيتين، «قصص كردية من مجموعتي،» نشرة كلية الدراسات الشرقية 4، الجزء 1 (1926)، 121 (بالإنكليزية، مرجع 189).

(3) م ن، 126–28.

(4) م ن، 128.

وفي قصة «حسن بگ (بيه) وأمير هكّاري وخبر طائر الربيع الطيب،»[1] يُطرى العقعق أكثر من كل طيور الربيع المهاجرة، لأنه ببساطة، عكس الطيور الأخرى، ليس صديق الطقس المعتدل. ففي كلمات الأمير، «العقعق القذر دائماً معنا، في الأوقات السهلة والأوقات الصعبة...إنه صديق جدير بالثقة، لا يخاف البرد قطّ. إنه صديقنا، لأنه في السراء والضراء يشاركنا دائماً قدرنا بالطريقة ذاتها.»[2] يرمز العقعق في هذه القصة إلى تعلق رجل القبيلة الشديد بقبيلته وإخلاصه لإخوته رجال القبيلة. وفي الأدب الكردي، العقعق رمز متواتر للشخص الرزين والحساس.

قصة «الديك والثعلب» تنويع لخرافة فارسية تحمل العنوان ذاته.[3] إنها قصة ضد رجال الدين تستهدف الشيوخ والرؤساء الأكثر احتراماً في الأخويات الدينية في كردستان. إنها تكشف نفاق وجشع بعض الشيوخ بالفطنة والفكاهة الماكرة. يتظاهر الثعلب بأنه سيد، يغري ديكاً وهدهداً وبطة وعقعقاً لمرافقته في الحج إلى مكة. وبسبب ثقتها العمياء، تقع هذه الطيور كلها إلّا العقعق ضحية مكره. وفاقاً لنيكيتين، يمثل الديك في هذه القصة الفلاح الساذج المستغَلّ، ويمثل الهدهد رب الأسرة الذي يعمل جيداً في البحث عن المكانة المحترمة الرابحة، ويحتمل أن تكون البطة رمزاً لرجل القبيلة المتحمس الذي يُخدَع بالإطراء بسهولة، أما العقعق، وهو متشرد مبتذل، فيمثل الشخص الداهية والعملي، الذي، لأنه لم يثق بكلمات الثعلب، كان الناجي الوحيد.

القصيدة القصصية حول حصار قلعة دِمدِم هي إحدى الملاحم الكردية

(1) م ن، 132-33.

(2) م ن.

(3) ب. نيكيتين، «موضوع الخرافة: نصوص كردية وفارسية مختلفة،» مجلة الأثنوغرافيا والتقاليد الشعبية 3، رقم 10، 129-40 (بالفرنسية، مرجع 196).

الأكثر تمجيداً. إنها قصة مجموعة من الكرد المستميتين الصلبين الذين أسبغوا على أنفسهم المجد في حصار قلعة دمدم قرب أورميا عام 1608. في الدفاع عن القلعة المحاصرة، عرقل رئيس القبيلة أمير خان ورجال قبيلة البرادوست المخلصون له القوات المتفوقة للشاه عبّاس الأول الصفوي لعدة شهور وهم يعانون من جراح خطيرة أصيبوا بها. واستمر المدافعون في القتال حتى قتلوا جميعاً.[1]

أما ممي ئالان (الأم آلان) فهي الملحمة الكردية الخالدة الأكثر شعبية. من كل الأدب الشفهي الكردي، هي وحدها التي تمتلك خاصية الملحمة الوطنية الحقيقية. لا توجد نسخة مُجازة لهذه الملحمة، على الرغم من أنها معروفة في كل أرجاء كردستان، من قره داغ إلى بحيرة أورميا. ليست النسخ مختلفة من منطقة إلى أخرى وحسب، بل لدى كل شاعر غنائي كردي (دنگبێژ) نسخته الخاصة أيضاً. ممي ئالان هي الملحمة الكردية الوحيدة التي تلعب فيها المعجزة دوراً مهماً، والأحداث متخيلة وليست تاريخية أيضاً. أشار لِسكوت إلى أن الكرد ربما تبنوا هذه الملحمة القديمة جداً من شعب آخر، ويظن أن أصولها سومرية.[2]

اختار الشاعر الكردي العظيم أحمدي خاني، الراغب بإبداع أدب قومي

(1) للاطلاع على نسخة فرنسية، انظر ألكساندر جابا، مجموعة ملخصات وحكايات كردية تخدم معرفة اللغة، 87-90 (بالفرنسية، مرجع 112). ذكر جابا أن الشاعر الكردي ملاي باتي نظم قصيدة تحتفل بهذا الحدث.

(2) نسخة ليسكوت من ممي ئالان تستند إلى ثلاثة مصادر رئيسة حدد بأنها ميشو، الشاعر المتجول الكردي، وصبري، الكاتب الكردي، وهَوار، المجلة الكردية التي تنشر في سورية. كما أنه تلقى القدر الكبير من المساعدة من الأمير جلادت بدرخان. روجيه ليسكوت، نصوص كردية، مج 2: ممي ئالان، 3-23، م س رقم 137.

كردي حقيقي، ممي آلان كأساس لرائعته المثنوية (قصيدة لكل بيتين فيها القافية عينها) سماها مَمْ وزينْ. وفي إعادة صياغة هذه الأسطورة، اتبع خاني النموذجين الفارسي والعربي وأسبغ عليها انطباعاً إسلامياً شاملاً.[1]

الأغاني الشعبية الكردية، مثل الأغاني الشعبية لدى الشعوب الأخرى، هي تعبير غنائي لنموذج الحياة والنشاط الوطني والمزاج عادة ما يرتبط به.[2] البِيچوك أو أغاني الخريف هي التي يغنيها رجال ونساء وشباب في وقت هبوط الرحّل من منتجعاتهم الصيفية في جبال زوزان الشاهقة إلى السهول.

تغنى أغاني الرقص التي تشمل الديلوك برفقة الطبل والزمر، والبليت التي تغنى في رقصات شبابية دائرية، والبردولاو التي تغنيها شابات على عجلة الغزل وهنّ يغزلن السجادات المتعددة الألوان. أما اللَّوْري فهي أغاني المهد التي تتميز بالجدة والبساطة. وبين الأغاني الشعبية الكردية اللاوج أيضاً، وهي قصائد صغيرة تصور أفعالاً ملموسة ومآثر بطولية وقضايا غرامية.

ثمة مدارس محددة تدرب الشعراء أو التروبادور الذين يتخصصون في قصّ الأساطير الشعبية وقصص كردستان. يُسمّى هؤلاء الشعراء (دنگبژ) في شمال غرب كردستان وشاير (من العربية شاعر) في منطقة موكري وجنوب كردستان. يلتزم الشعراء الطلاب، الذين يُفترض أن تكون أصواتهم حلوة، بحفظ مجموعاتهم من الأغاني والأساطير والقصائد لأن معظمهم أمّيون، ولأنّ جزءاً كبيراً من الأدب الشعبي الكردي لايزال غير مكتوب.[3]

(1) للاطلاع على موجز لـ مَمْ وزينْ، انظر توماس بوَا، «نظرة في الأدب الكردي،» مجلة المشرق 49 (بالفرنسية، مرجع 28).

(2) لمناقشة الأغاني الشعبية الكردية، انظر توماس بوَا، روح الكرد في ضوء فولكلورهم (بالفرنسية، مرجع 27).

(3) نيكيتين، «الشعر الغنائي الكردي،» 51، م س رقم 191.

يشكل الشعر إلى الآن القسم الأعظم من الأدب الكردي المكتوب. هذا طبيعي لدى شعب، الأمية فيه شديدة الانتشار، لأن الشاعر، بعكس زملائه الآخرين في الأدب - كتّاب المقالة، والنقاد، والمسرحيين والروائيين - لا يحتاج إلى جمهور متعلم ومثقف خاص. الشعر الكردي غني ومتنوع كثيراً، وبالإضافة إلى أشكال الأدب الأخرى، يطوَّر في الوقت الحاضر ويزداد غنى من خلال النهضة الأدبية الكردية.

الشعراء الكرد مهتمون تقليدياً بموضوعين توأمين للحب الرومانسي والتعلق الشديد بأرضهم الأم. يُعَدّ شاعر القرن السابع عشر أحمدي خاني وشاعر القرن التاسع عشر حاجي قاير الكويي الشاعرين الكرديين الأكثر عظمة. الأول أحمدي، من مواليد هكّاري عاش وتوفي في بايزيد، هو مؤلف الملحمة العظيمة مَمْ وزين التي أشرنا إليها سابقاً. بالنسبة إلى الكرد، هو ما يمثله الفردوسي بالنسبة إلى الفرس. هو أيضاً مؤلف القصيدة الدينية «إكويد إيماني» إضافة إلى معجم كردي - عربي مقفى يدعى نوبار (الباكورات) مُعَدّ للأطفال.[1] حاجي قادر الكويي (1815-1892) معروف بقصائده الوطنية العاطفية، ولهذا السبب يُعَدّ أحد آباء القومية الكردية. بعض قصائده ذات نكهة مادية وغنوصية، وهذا ما يمكن أن يفسر شعبيته الراهنة في الأوساط اليسارية الكردية.[2]

النشاطات الثقافية في كردستان

العراق وسوريا هما المركزان المهمان للنشاطات الثقافية الكردية. عمل

(1) لمناقشة حياة أحمدي خاني وأعماله، انظر علاء الدين سجادي، تاريخ الأدب الكردي، 189-213 (بالكردية، مرجع 311).

(2) م ن، 9-10؛ بوَا، «نظرة في الأدب الكردي،» 210-11، م س رقم 31؛ وزكي، خلاصة تاريخ الكرد، 359-60، م س رقم 314.

المناخ السياسي ضد تطور مماثل في تركيا وقلّص مداها في إيران إلى حد كبير. وعلى الرغم من الحجم الصغير للجماعة الكردية في أرمينيا وأذربيجان السوڤياتيتين، فقد شجّع الاتحاد السوڤياتي وروّج النشاطات الثقافية الكردية في ذلك البلد. في العراق، حيث يوجد عدد كبير من الكرد، كان النشاط الثقافي (كمعارض للنشاط السياسي) الذي يقوم به الكرد مرخصاً، على الرغم من أنه، ربما لا يُشجّع بشكل خاص. منذ أوائل القرن العشرين، ازدهرت حركة ثقافية قوية في العراق في اللهجة الكردية للسليمانية، ارتبطت بقوة بلهجة موكري في بلاد فارس.

حتى وفاته في عام 1950، كان حاجي توفيق بيرامرد في العراق الشخصية الأدبية الأكثر أهمية في كردستان. كان شاعراً وقاصاً وصحفياً ورجلاً متعدد الاهتمامات والأذواق المتحررة وشمل عمله الأدب والتاريخ والسياسة. وفي سياق عمل أدبي طويل أنتج بيرامرد عدداً كبيراً من القصائد والقصص والمقالات وبعض الترجمات. وترجمته الرائعة لملحمة أحمدي خاني «مَمْ وزِين» إلى لهجة السليمانية، التي تعتبر في هذه الأيام اللغة الأدبية المعترف بها في كردستان الجنوبية، تُعَدّ عمله الأكثر جمالاً.[1] كان شاعراً موهوباً ذا حس فكاهي قربه إلى كل هؤلاء الذين عرفوه. ولسنوات كثيرة كان محرراً لمجلة «زين» المجلة الأدبية البارزة في كردستان العراقية.[2]

نشر حسين حزني موكرياني الغزير الإنتاج والمجتهد، الذي سماه

(1) معروف خزندار، «ملحمة مَمْ وزين،» الرسالة الجديدة (بالعربية، مرجع 303).

(2) س. ج. إدموندس، «ببليوغرافيا اللغة الكردية الجنوبية، 1937-1944،» 32: 185-91 (بالإنكليزية، مرجع 59)؛ بوَا، «نظرة في الأدب الكردي،» 218-19، م س رقم 31؛ ويتولد راجكوفسكي، «زيارة إلى كردستان الجنوبية،» المجلة الجغرافية، 107، 128 (بالإنكليزية، مرجع 210).

إدموندس كاكستون الكردي، لسنوات كثيرة المجلة الأدبية والتاريخية زاري كُرمانجي في أربيل بالعراق. طُبِعَت أعماله، كاملة على بلاكات خشبية، على صحف صغيرة يدوية.[1] الكولونيل توفيق وهبي، عضو مجلس الشيوخ لمدة طويلة وعضو في الوزارة في العراق، وباحث كردي بارز، كتب في التاريخ والفولكلور والمعاجم والدين. خلال الحرب العالمية الثانية، ارتبط بمجلة أخبار الحرب وهي مجلة كانت تصدرها السفارة البريطانية في بغداد. وكانت هذه النشرة متميزة بأسلوب نثرها الواضح والمؤثر، اهتمت على نحو خاص بصوغ كلمات فنية جديدة باللغة الكردية.[2]

ربما كان عبد الله سليمان، المعروف باسم گوران، الشاعر الكردي الأكثر موهبة في العراق. عمله الأكثر أهمية هو بوهُشت و باديغار (الجنة والتذكار). يقارن الباحث المثقف الدومينيكي في الشأن الكردي الأب توماس بوَا قصيدة گوران «وردة الدم الحمراء» بقصيدة شيلي Shelley «أغنية للقبرة» «Ode to the Skylark». أحد الإنجازات الأدبية الكردية الأكثر تميزاً في العراق هو تاريخ الأدب الكردي الذي كتبه علاء الدين سجادي. يصف بوَا هذا العمل بأنه «مَعلَم التعليم والثقافة.»[3]

الحركة الكردية الأدبية في سوريا هي نتاج أحداث خاصة. ازدهرت هذه الحركة منذ مطلع عشرينيات القرن الماضي مدينة بوجودها وحيويتها ونكهتها لوجود عدد كبير من المهاجرين الكرد من تركيا. فالمنظمة القومية الكردية خويبون (الاستقلال)، التي كانت لديها مقراتها العامة في سوريا منذ عام 1927، خدمت كنواة ونقطة حشد للنشاط الكردي الأدبي والسياسي.

(1) إدموندس، «ببليوغرافيا اللغة الكردية الجنوبية، 1937–1944،» 185، م س رقم 59.

(2) م ن، 187.

(3) بوَا، «نظرة في الأدب الكردي،» 219، م س رقم 31.

كان الأخوة بدرخان: ثريا وجلادت وكاميران، أرواحها البارزة. بالإضافة إلى لعبهم أدواراً بارزة في الحركة القومية الكردية، كانوا كتاباً كباراً في لغات متعددة.

الأمير جلادت بدرخان، الذي كان رائداً في الحركة الأدبية الكردية في سوريا، ابتكر أبجدية لاتينية بسيطة ومناسبة للغة الأم. ومن خلال نشرتيه هاوار وروناهي نجح في إغراء كرد سوريا بتبني هذه الأبجدية. وقد كتب باسمه الحقيقي وباسم هيراكول إزيران المستعار عدداً كبيراً من الدراسات الأدبية والمعجمية والنحوية في الكردية والفرنسية.

أما أخوه كاميران بدرخان، الذي كان بروفسوراً في مدرسة اللغات الشرقية في باريس، فقدم لسنوات كثيرة نتاجاً أدبياً غزيراً ومتنوعاً. ترجم القرآن وإنجيلي القديس متى والقديس يوحنا إلى الكردية. وعمل أيضاً، كما جاء في التقارير، على معجم فرنسي - كردي. لكن، كما أوضح بوَا، كان بالدرجة الأولى شاعر الصورة الدقيقة ذات الحس الفكاهي الفرح.

أما الشاعر الأكثر شهرة بين كل الشعراء الكرد في سوريا فهو جكرخوين، الذي قيل إنه تدرب ليغدو ملّا، لكنه تخلى عن الدين لمصلحة الأدب. يعالج شعره، الذي يصفه بوَا أنه نابض بالحياة ووطني، الموضوعات الاجتماعية والسياسية.[1]

الشخصيات الأدبية الأكثر تميّزاً بين الكرد السوڤيات هم وزير نادري وآتام تير وجاسم جليل وعرب شاميلوف. تتحدث أعمال وزير نادري الشاعر والقاص عن الصداقة الأبدية بين الكرد والأرمن والأذربيجان، وتنشد مدائح للكولخوز (المزرعة التعاونية) وطريقة الحياة السوڤياتية. عدد من قصائده

(1) م ن، 223-29.

موجه إلى «ستالين العظيم.» كان آتام تير وجاسم جليل مترجمين. ترجم الأول أعمال بوشكين وليرمنتوف وتولستوي وغوركي إلى اللغة الكردية. أما عرب شاميلوف، الذي كتب كتباً عديدة في الروسية، فيحتفى به لسيرته التي أخذت عنوان الراعي الكردي، التي ترجمت أيضاً إلى العربية. باختصار، الأدب الكردي السوڤياتي يشبه أدب الشعوب الإسلامية الأخرى التي سكنت تلك المنطقة.[1]

لم يكن النشاط الكردي الأدبي في إيران مؤثراً جداً، جزئياً، بسبب عدم التشجيع الرسمي لهذه النشاطات، لكن أيضاً بسبب الجاذبية القوية التي حظي بها الأدب الفارسي لدى الكرد دائماً. والشاعران الكرديان المعاصران الأبرز في إيران هما هيمان وهِزار، اللذان خلال وجودهما في جمهورية مهاباد القصير الأجل (نوقش في الفصل 15) شاركهما مؤسس الجمهورية ورئيسها قاضي محمد. نشر محمد موكري، وهو موظف كبير في وزارة التعليم الإيرانية، مجموعة من الأغاني الكردية مع ترجمة فارسية. ونشر الشيخ آية الله كردستاني كتاب تاريخ الكرد في كردستان في أواخر خمسينيات القرن العشرين.[2]



(1) 103 م ن، 226-28.

(2) م ن، 222-23.

الفصل الثاني

التنظيم الاجتماعي للكرد

العناصر القبلية وغير القبلية

قد يجوز القول إن الكرد ينقسمون - على وجه التقريب - إلى فئتين أساسيتين: الفئة الأولى، هم رجال القبائل، الذين يعيشون حياة البداوة أو ما يشبهها، ويهتمون بتربية الماشية والدفاع عنها. أما الفئة الثانية، فهي فئة الفلاحين[1]. وبالرغم من أن هؤلاء يشكلون أغلبية الشعب، فهم الفئة المحكومة ورجال القبائل هم الفئة الحاكمة المسيطرة.

كلاوديوس جيمس ريتش (Claudius James Rich) الخبير بالشؤون الكردية، أشار إلى هذا الانقسام عام 1836 فكتب يقول:

> **اليوم تأكد لي، من مصادر موثوقة ما كنت أتوهمه لفترة طويلة، أن فلاحي كردستان هم من عرق مختلف عن العرق الذي ينتمي إليه**

(1) يبين مينورسكي أن سترابو قد أشار إلى وجود الزراعة بين السيرتيين في فارس، الذي يعتقد أنهم من أسلاف الكرد. انظر مينورسكي، «الكرد،» 1133، م س رقم 169. راجع غودفري رولز درايفر، «دراسات في التاريخ الكردي،» نشرة كلية الدراسات الشرقية 2، رقم 3، 491-511 (بالإنكليزية، مرجع 56).

رجال القبائل الذين نادراً - أو أبداً - ما اهتموا بالأرض والتراب. بينما الآخرون، وبخاصة الفلاحين، ما اهتموا قطّ بالشؤون القتالية وحياة الترحال. ويسمي الكرد العشائريون أنفسهم بالـ(سپاه) أو الكرد المحاربين على نقيض الفلاحين الذين لا صفة لهم سوى صفة المزارعين العاشقين للأرض والتراب. أخبرني أحد رجال العشائر - بفخر واعتزاز - أن الفلاحين يتناسلون لخلق أجيال تكون خدماً لهم - لرجال العشائر - لأنهم فئة غير جديرة بالاحترام، إنهم يشبهون إلى حد بعيد العبيد السود في المجتمعمات الغربية، أو أسوأ منهم حالاً أحياناً. والغريب في الأمر، أن رجال العشائر يتباهون - بدلاً من أن يخجلوا - بمعاملتهم الوحشية لأولئك الخاضعين لسلطتهم.[1]

يرى العديد من الكتاب، أن القبائل الكردية هي أشبه بالغزاة القادمين من أعالي الجبال لاستعباد السكان الأصليين على الأرض التي يصلون إليها. ويعتبر ريتش أول من ألقى الضوء على هذه المشكلة فقال: «يبدو أن هؤلاء ليسوا هم السكان الأصليون لتلك البلاد، وإلّا لما سمحوا لرجال القبائل بالسيطرة على أرضهم وعليهم.»[2] وهذا ما كاد باحثو القرن العشرين من أن يثبتوا صحته. استناداً إلى مينورسكي، «يبدو أن الكرد المستوطنين أراضيهم، يمثلون الناس الذين ينهزمون أما جنود العشائر فيتقبلون سيطرتهم عليهم حماية لهم من جيرانهم.»[3] وهذا ما يتطرق إليه بارث (Barth) أيضاً من خلال كتاباته عن استعباد رجال قبائل هماوند للفلاحين المساكين نحو منعطف القرن المنصرم.[4]

(1) كلوديوس جيمس ريتش، حكاية إقامة في كردستان، مجلدان، 1: 88-89 (بالإنكليزية، مرجع 216).

(2) م ن، 153.

(3) مينورسكي، «الكرد،» 1150، م س رقم 169.

(4) فريدريك بارث، مبادئ التنظيم الاجتماعي في كردستان، 53 وما بعدها (بالإنكليزية، مرجع 19).

انقسام المجتمع الكردي بين فئة العشائر (عشيرة)، المسيطرة، وفئة الفلاحين، المحكومين (الراية)، ينسحب على مناطق عديدة في كردستان.[1] في السليمانية حيث قبائل جاف وبلباس يعرف الفلاحون باسم الگوران.[2] وعند قبائل صوران وبهدينان وهكّاري يعرفون باسم كُرمانج،[3] بينما يطلق عليهم الهماوند اسم مسكين.[4]

---

(1) على الرغم من أنّ الكثير من الأدلة نقيض لذلك، وقف قاض كردي واسع الاطلاع في صاوچبولاق (مهاباد) ضد هذا الرأي، الأرجح لدوافع وطنية. وقد يبدو أن تقسيماً يعتدي على وحدة الشعب الكردي. انظر الكازي، 329 (بالإنكليزية، م س 114).

(2) قبل أكثر من قرن واحد كتب ريتش: «كان في صفوف البلباسيين أناس من الأتباع أو الفلاحين، الذين لا صوت لهم في شؤونهم ويعتبرون طبقة أقل شأناً. يوجد هؤلاء الناس منتشرين في أنحاء كردستان كافة وهم ليسوا قبيلة أو عشيرة. ويطلق عليهم القبليون اسم « القبعات البيض» وكذلك گوران. يطلق أفراد العشيرة الاسم الثاني، الذي هو التسمية الصحيحة للناس من سِنَه، بوصفه مصطلح توبيخ وخصوصاً على الناس الفزعين.» انظر ريتش، حكاية إقامة في كردستان، 1: 152-53، م س رقم 216. وهو أيضاً اسم اتحاد قوي للقبائل التي تحتل الجبال في منطقة كرند-زوهاب عبر طريق كرمنشاه-بغداد. ويشك مينورسكي، الذي يبين أن الگوران قد ذكروا بوصفهم أفراد قبيلة ميالة للقتال منذ القرن العاشر بعد الميلاد، في وجود أي علاقة مباشرة بين السكان الفلاحين والقبيلة التي تحمل الاسم نفسه. للاطلاع على مناقشة مفصلة للاسم «گوران» وأصولهم وأدبهم، انظر مينورسكي، «الگوران،» 75-103 (بالإنكليزية، مرجع 167).

(3) عن وضع الكُرمانجيين بين القبائل الصورانية في منطقة أربيل، انظر س. ج. إدموندس، «ببليوغرافيا اللغة الكردية الجنوبية، 1920-1936،» مجلة جمعية آسيا الوسطى الملكية، 24، 488، م س رقم 58. وبالنسبة إلى قبائل بهدينان في منطقة الموصل، انظر صديق الدملوجي، إمارة بهدينان الكردية أو إمارة العمادية، 123 (بالعربية، مرجع 293). وتبين إشارة تنم على الاحتقار إلى الكُرمانجيين في حكاية لمنطقة أورامار-هكّاري إلى وضعهم الأقل شأناً في ذلك الجزء من كردستان. نيكيتين وسون، 103 (بالفرنسية، مرجع 200).

(4) يعود أصل هذه الكلمة إلى الماضي البعيد. طبقت في قوانين حمورابي على الناس =

التنظيمات القبائلية ومؤسساتها

القبيلة، والعشيرة، والنسب

يبدو أن هناك نوعاً من الغموض يكتنف المصطلحات التي تطلق على الوحدات القبلية المختلفة بين منطقة وأخرى، وحتى بين أفراد القبيلة الواحدة أحياناً.[1] سوف توضح لنا بعض الأمثلة المأخوذة عشوائياً طبيعة هذا الغموض في المصطلحات.

قبائل البالك المقيمة في منطقة راونـدوز، تستعمل مصطلح عشيرة وطائفة وتيرة للتدليل على التراتبية الأنثروبولوجية المعتادة: القبيلة والعشيرة والنسب أو الذرية،[2] بينما قبيلة سنجابي في كردستان الإيرانية تستعمل في

= الذي شغلوا وضعاً بين وضع العبيد ووضع الأشخاص المتمتعين بالمواطنة الكاملة. ويقول ليونارد وليم كينغ إنها لفظة تطبق على الأحرار غير المنتمين إلى العرق الحاكم بالمعنى ذاته، وكذلك في اللغات الآشورية والعبرية والعربية الشمالية والعربية الجنوبية والإثيوبية. وانتقلت من العربية إلى الإيطالية والفرنسية. وترد الكلمة في القرآن والحديث. وقد اختلف المجتهدون المسلمون بشأن معناها الدقيق. ويورد المالكية معناها بوصفها «الأكثر عوزاً» والشافعية بمعني «المعوز ولكن ليس المعدم» وتعني في اللغة العربية «المتواضع» أو «االبائس.» فرانتس بول، الموسوعة الإسلامية، ط 1، 5: 520 (بالإنكليزية، مرجع 35). وللاطلاع على مناقشة وضع الفلاحين المساكين في منطقة هماوند انظر بارث، 53-59، م س رقم 19.

(1) للاطلاع على حالات استعمال أفراد القبائل الكردية هذه الكلمات، انظر إدموند رونالد ليتش، التنظيم الاجتماعي والاقتصادي لكرد راوندوز، نشرات كلية لندن للاقتصاد والعلوم السياسية في الأنثروبولوجيا الاجتماعية، عد. 3، 14 (بالإنكليزية، مرجع 133)؛ وبارث، 37، م س رقم 19.

(2) ليتش، 13-14، م س رقم 133.

مقابل ذلك مصطلحات إل وتيرة وطائفة.[1] أما المصطلحات المتعارف عليها عند قبائل أورامار وريكان التي تعيش على طول الحدود التركية - العراقية، فهي عشيرة وأوجاغ وملا،[2] بينما نجد عند قبائل جاف التي تعيش شمال العراق، تسميات عشيرة وتيرة وهوز [فخذ][*].[3]

استناداً إلى بارث، تنقسم عشيرة أو قبيلة جاف إلى عدد من التِيَر [البطون] والتي بدورها تتفرع إلى عدد من الِهوَز [الأفخاذ].[4] تشكل التيرة وحدة سياسية واقتصادية من حيث امتلاك الأراضي، أما الِهوَز [الأفخاذ] فهي المجموعات المتحدرة بالتسلسل الذكوري. إذاً كل أفراد هوزي كاكه حَمُه متحدرين من نسل رجل واحد يدعى كاكه حَمُه. مهما يكن فليس من الضروري أن تكون الأسماء التي تشير إلى نسب معين منطبقة عند بعض القبائل حصراً على هوز [فخذ]. مثال على ذلك تعني عبارة هوزي جارِوز عائلة أو آل جارويز، وهي تيرة، بسبب انتظامها كمجموعة سياسية[5].

يتحدث بارث عن كيفية تفرع التيرة [البطن] إلى مجموعات جديدة. وبرأيه، إن المجموعات المتفرعة ستحافظ على ارتباطها بالمرتبة القرابية التي تحدرت منها، مع احتفاظها في الوقت ذاته باستقلالها وخصوصيتها. مثال على ذلك، فصيلة بنه جووت التي انفصلت من تيرة الشيخ اسماعيلي. ومهما

---

(1) محمد موكري، عشائر الكورد، 58-108 وأماكن أخرى (بالفارسية، مرجع 305).

(2) نيكيتين وسون، 68-106، م س رقم 200.

(*) وفاقاً لتسلسل التنظيم العربي (المترجم).

(3) بارث، 35-38، م س رقم 19.

(4) م ن، 36. يوضح بارث أن كل تيرة يرأسها زعيم قبيلة وراثي أو رئيس وأن لكل هذه المجموعات القبلية حقوقاً تقليدية في مراع معينة ومواقع مخيمات، 37، م س رقم 19.

(5) م ن.

يكن من أمر فإن هذه التفرعات عن تِيرَ (الأفخاذ) ستواصل تعاونها وتعاضدها كمتساوين في المكانة. فهم يفعلون ذلك تأكيداً على رابطة الدم التي تجمعهم ولأنهم «أبناء أب واحد». وتواصل التيرة [الأفخاذ] التعاون السياسي ومواجهة التحديات الخارجية، إذ يجتمع زعماء المجموعات [الأفخاذ] المختلفة فيما يشبه مجلس العشائر بهدف الوصول إلى اتخاذ القرارات أو إيجاد الحلول لبعض المشكلات، علماً أن ليس لهذا المجلس أي سلطة تنفيذية رسمية.[1]

الخِل

الخِل (بالكردية) وحدة قبلية تقوم على أغراض اقتصادية. حقوق الرعي للتيرة تبقى مشتركة، لكن حيث يستحيل على التيرة إقامة مضرب خيم واحد تقيم فيه، تنقسم إلى مجموعات مرتبطة بصلة الدم والقربى والهدف الاقتصادي.[2] وكل مجموعة تسمى الخِل ويترأسها العضو الأكبر سناً من المشهود لهم بحسن السيرة ونفاذ البصيرة، الأمر الذي يجعله صاحب نفوذ ومكانة.

استناداً إلى ما جاء في كتابات بارث، يتألف الخِل من عدد من الأسر يتراوح عددها بين ثلاث وعشرين وثلاثين. وكل أسرة تشغل خيمة مستقلة تجاور إحداها الأخرى. أما قطعان الماشية فتسرح في المراعي، ضمن مجموعات لا يتعدى عدد المجموعة الواحدة منها الخمسماية رأس. وما تجدر الإشارة إليه هو التفاوت في توزع الثروة الحيوانية بين أسرة وأخرى ضمن الخِل الواحد، إذ قد تمتلك أسرة واحدة ألفي رأس من الماشية في حين لا تمتلك أسرة أخرى سوى خمسين. وفي حال كانت الأسرة لا تمتلك ما

(1) م ن، 37-38.
(2) م ن، 38.

يكفي لتشكيل وحدة رعائية، تجمع ما تملك مع غيرها من الأسر ويكلف أحد أعضائها برعايتها [راعٍ]. الرعاة والعمال رغم أنهم أفراد في الخِل إلّا أنهم لا يعتبرون عناصر فاعلة في القبيلة. بكلمة واحدة، يسخّر هؤلاء وغيرهم من الفقراء لخدمة الآخرين.(1)

الخِل في جنوب كردستان يشبه إلى حد بعيد الأوبا في المنطقة الوسطى والشمالية من كردستان.(2) استناداً إلى نيكيتين، يتراوح عدد رؤوس الماشية في الأوبا بين خمسماية وعشرة آلاف رأس. ويضيف أن الأوبا تتألف عادة من مجموعة خيم يتراوح عددها بين الثمانية والخمس عشرة. أما في الجنوب، واستناداً إلى نيكيتين أيضاً، فيترواح عدد خيم الأوبا، بين الخمس عشرة والعشرين. ويتراوح عدد الحيوانات التي تمتلكها كل وحدة بين ألف وألفي رأس.(3)

الزعامة القبلية

يترأس كل **تيرة** رئيس أو آغا، وهو مركز وراثي يعتبر ممثلاً لها وحامياً لمكانتها ويكون مرتبطاً برابطة الدم بسائر أفراد التيرة. وتندر حالات الزواج بين أقسام التيرة المنتسبة إلى الأشراف وأقسام تيرة أخرى ضمن القبيلة

---

(1) م ن.

(2) من الغريب أنه لا بارث، الذي كتب عن الخِل، ولا نيكيتين، الذي كتب عن الـ أوبا (Oba)، قد ربطا إحدى الكلمتين بالأخرى. وأكد ليتش، الذي ذكر هذين اللفظين، أن خِل بين البدو (الرحل) تعني طائفة بين القبائل المستقرة. كما أنه ذكر أن الـ هوبا (بالطبع أوبا) «مضرب صغير من الخيم في مكان واحد،» تعني وفاقاً له غوند (قرية) للقبائل المستقرة. ليتش، 26-27، م س رقم 133.

(3) للاطلاع على مناقشة مفصلة لكلمة أوبا وأهميتها، انظر نيكيتين، الكرد، 148 وما بعدها، م س رقم 187.

الواحدة. فالقاعدة المتبعة هو الزواج ضمن كل أسرة من الأشراف وارتكازه على زواج ابن العم من ابنة عمه. غني عن القول إن من شأن هذا التزاوج زيادة نفوذ الزعيم ضمن عشيرته[1]. أما الزواج من خارج المجموعة فهو نادر الحدوث، وإن حدثت مصاهرة فتكون بين الزعيم وأحد الأغنياء من «العامة» ضمن التيرة ذاتها.

ينتمي الزعيم في قبائل جاف إلى البگزاده أو «الأسرة الأميرية».[2] ويؤكد بارث أن هؤلاء الزعماء يصوَّرون في كثير من الأحيان على أنهم يشكلون تيرة مستقلة خاصة بهم، لكنهم في الواقع أقرب لأن يوصفوا كعائلة أو هوز. تنقسم الأسرة الأميرية إلى ثلاث فصائل: فصيلة كيخسرو بيگى، فصيلة بهرام بيگى وفصيلة الوه لدبيگى. تعود فصيلتا الكيخسرو بيگى والبهرام بيگى في نسبهما المشترك إلى الجيل السابع بينما يعود نسب فصيلة الوه لدبيگى المشترك إلى أبعد من ذلك. جميع البگزاده مستقرّون الآن ويعيشون بعيداً عن أراضيهم. والجدير بالذكر أن علاقتهم بالجناح الرحّال لقبائل جاف غير واضحة ويصعب تحديدها.[3]

للأسرة الأميرية، [البگزاده] في قبائل جاف مجلس يسمى پشتماله [السلطة إلى أبعد من حدود الأسرة] كوسيلة رقابة على سلطة البگزاده فوق مختلف تيرَ قبائل جاف، كونه يضم رجالاً يمثلونها مجتمعين ومهمتهم حماية

(1) بارث، 40، م س رقم 19.

(2) يذكر العزاوي أنه وفاقاً لتقليد عائلي، يعود أصل أفراد قبيلة جاف بگزاده إلى عليّ. وهم يتحدرون من سيد پير خضر الشاهوي، وينسب معظم السادة الكرد، بمن فيهم جاف، أصلهم إليه. وشاهو جبل في جوار جوانرود. ويبدو أن هذه الصلة تشير إلى أن أجدادهم كانوا شيوخاً وأصبحوا تدريجاً أمراء علمانيين. انظر عباس العزاوي، عشائر العراق، مج 2: القبائل الكردية، 31 (بالعربية، مرجع 286).

(3) بارث، 41، م س رقم 19.

البگ أوالزعيم الأعلى مكانة في القبيلة، والقيام بالمعاملات التي يكلفه البگ بها. ويذهب بارث إلى مقارنة تلك المؤسسة بالـ(hird) (فريق حراسة وحماية خاص) عند قبائل الڤايكنغ شكلاً ووظيفة. وكون أعضاء هذا المجلس يمثلون جميع اِلتِيرَ فهذا يخولهم صلاحية مناقشة كل الأمور، وتأمين وحدة القبيلة ومنع التعدي على إقطاعاتها.[1]



أحمد إيزدي آغا. من جبل سنجار، نحو 1935. من كتاب الإيزديين: دراسة في بقائهم، (The Yezidis: A Study in Survival, 1987. Kegan Paul: London and New 1987 York). **بترخيص من كيغان پول إنترناشنال.**

(1) م ن.

السياسة: مفاهيم وممارسات

رغم أن ما نملك من وثائق عن مفاهيم السياسة الكردية وممارساتها، هو غير كافٍ، إلّا أنه يسلط الضوء على التفكير السياسي لدى الكرد. والجدير بالذكر أن النسق السياسي المستقل الجامع للكرد لم يشهد يوماً تطوراً في اتجاه تخطي المرحلة القبلية. وأولئك الزعماء الكرد الذين تعاقبوا في مسعاهم لإرساء مثل تلك النظم الجامعة والمستقلة قد استوحوا الأنماط والنماذج الإسلامية عوضاً عن تلك الخاصة بالكرد. لذا بقيت المؤسسات السياسية الكردية المبنية على أسس قبلية هي السائدة على حساب المؤسسات السياسية التابعة للدولة. وقد ساهم تمدد الإدارات الغريبة (التركية والفارسية والعراقية والسورية والروسية) داخل كردستان مترافقاً مع سيرورة التخلي عن نمط الحياة القبلي في تصفية المؤسسات السياسية الكردية. مهما يكن من أمر، من شأن دراستها إيضاح بعض مسارات السياسة الكردية حاضراً ومستقبلاً.

تتميز المؤسسة القبلية الكردية، بالدور المهم الذي تلعبه الهيئات الاستشارية في تقرير شؤون القبيلة؛ وباتباع مبدأ الانتخاب في تعاقب الزعماء؛ وبالعلاقة الواضحة والمنظمة بين أفراد القبيلة وزعمائهم. عن هذا الموضوع يتحدث ريتش (Rich) عن إدارة الشؤون العامة وسط اتحاد عشائر بلباس الكبير فيقول «عند القبائل التي تتشكل منه الأمة البلباس لكل رجل حتى لو كان ينتمي إلى الطبقة الوضيعة، حق إبداء الرأي في الشؤون العامة. وإن صادف أن وقف أحدهم وقال «أنا لا أوافق على هذا الاقتراح» في معرض إرساء اتفاق حول عمل أو تجارة ما فهذا كافٍ لنسف كل الجهود المبذولة وإفشال المشروع[1].»

---

(1) ريتش، حكاية إقامة في كردستان، 1: 150، م س رقم 216.

وإيضاحاً لهذه الفكرة، يروي ريتش قصة رجل من القبيلة اعترض على مشروع تفاهم يقضي بوقف النزاع بين قبيلته، وإمارة بابان ومقرها السليمانية. ففي لقاء ضم ممثلي الطرفين، وافق جميع ممثلي قبيلة بلباس على إيفاد زعيم القبيلة إلى السليمانية للتفاوض مع أمير بابان على أن يبقى شقيق الأخير رهينة لدى قبيلة بلباس. لكن هذه الترتيبات سقطت استجابة لاعتراض أحد أعضاء قبيلة بلباس.[1] مما يعني أن كل فرد من أفراد قبيلة بلباس يتمتع بما يعتبر حق النقض.

ويتحدث كتّاب آخرون مختلفون عن أهمية المجالس في إدارة الشؤون القبلية عند الكرد. فالزعيم، استناداً إلى نيكيتين، يساعده مجلس يضم كبار السن في القبيلة مهمته مناقشة جميع شؤون القبيلة وإحقاق العدالة وفاقاً للعادات والتقاليد القبلية.[2] إنه يناقش أموراً مثل الحرب وأمور الثروة الحيوانية ورعاية المواشي، وإعادة الممتلكات المسروقة، والتحكيم في قضايا اختطاف النسوة، وحق الرعي والسقي. ويحق لهذا المجلس فرض العقوبة الأقصى وهي الطرد من القبيلة.[3]

ويذكر بارث ممارسة جديرة بالاهتمام وجدها عند عشائر الشاتري التابعة لاتحاد قبائل جافوهو تتعلق بعقد اجتماعات لمجلسهم. فيقول: إن رؤساء التِيرَ المختلفة يجتمعون في خيمة أحد أفراد القبيلة من العوام وليس في خيمة أحد الزعماء حتى لا يكون لأي منهم امتياز على الآخرين.[4]

---

(1) م ن.

(2) بازيل نيكيتين، «المشكلة الكردية»، السياسة الخارجية 11، عد. 3، 254 (بالفرنسية، مرجع 192). راجع ريتش، حكاية إقامة في كردستان، 1: 152، م س رقم 216، الذي ينسب المهام ذاتها إلى مجالس الشيوخ بين أفراد قبيلتي بلباس وجاف.

(3) نيكيتين، «المشكلة الكردية،» 254، م س رقم 192. انظر أيضاً مقاله المعنون «نظام الإقطاع الكردي،» مجلة العالم الإسلامي 60، 4، م س رقم 184.

(4) بارث، 38، م س رقم 19.

وسوف تلعب الجماعة، عبر مجالس الشيوخ أو الجمهور بمجمله، دوراً حاسماً، في غالب الأحيان، لتحديد الخلفاء على زعامة القبيلة. من المتعارف عليه عند القبائل مجتمعة أن الزعامة تنتقل من الأب بعد وفاته إلى ابنه البكر، لكن البكورية هذه ليس شرطاً ملزماً عند الكرد. يتحدث ريتش عن تعاقب الزعامة عند قبائل بلباس فيقول: «حين يتوفى الزعيم، يخلفه الرجل الأفضل والأشجع في عائلته بعد موافقة الجميع. وهكذا، فإن كان ابنه البكر لا يتحلى بالصفات المطلوبة، فقد يخلفه أحد الأشقاء المستوفين الشروط.»[1]



4. زعماء كرد. صورة من مجموعة ميرون بيمنت سميث. Freer Gallery of Art and Arthur M. Sadder Gallery Archives, Smithsonian Institution, Washington, D.C.: **هدية من كاتارين دنيس سميث. المصور أنطوان سيڤروغين.**

(1) ريتش، حكاية إقامة في كردستان، 1: 152، م س رقم 216.

لا يختلف الأمر عند قبائل جاف كثيراً، واستناداً إلى ما كتبه ريتش: «حين يموت الزعيم، وابنه لايزال صغيراً، تنتقل الزعامة إلى شقيق أو عم الزعيم المتوفى، لأن العشيرة لا يمكن أن يحكمها قاصر.»[1] أما في إمارة الهكّاري، فالمجلس القبلي هو من يقرر من يكون الخلف. كما يحق لهذا المجلس استبعاد المرشحين غير المؤهلين لمنصب الزعامة، ويتبعون في ذلك طريقة غير مألوفة. واستناداً إلى الرائد إيلي بانيستر سون (E B. Soane) أحد رجالات الإدارة البريطانية في العراق بعد الحرب العالمية الأولى:

هناك عادة عجيبة غريبة تتعلق في تعيين خلف للخان إذ يقضي العرف أن يكون ذلك وراثياً، ولكن إذا ظنّ أن الابن غير جدير باستلام هذا المنصب يدعى الرجال المهمون في القبيلة إلى الاجتماع. وإذا رأى المجتمعون، بعد التداول، أنه غير جدير بتولي مثل هذا المنصب، يوضع زوج من الأحذية أمامه، عليه انتعالهما والرحيل. وهكذا يتم التداول باسم مرشح آخر. أما الخان المستبعد، فلا تنتزع منه أملاكه المنقولة أوغير المنقولة.[2]

في منطقة واحدة على الأقل من مناطق كردستان يكون إلى جانب الزعيم، مجلس منتخب يمثل الشعب كافة. واستناداً إلى كاميران بدرخان، «في الحياة السياسية الكردستانية، عرفنا نوعاً من الحكم الجمهوري في مقاطعة شرنخ حيث الشعب ينتخب الزعيم.»[3]

---

(1) م ن، 1: 112.

(2) سون، إلى بلاد ما بين النهرين وكردستان، 374، حاشية 1، م س رقم 241.

(3) ك. بدرخان، 242، م س رقم 21. وصفه انتخاب زعيم قبلي في منطقة شرنخ مثير للاهتمام. «وقف المسنون، الذين اصطفوا لهذا الغرض يحملون مسبحات الصلاة في أيديهم، أمام المرشحين المختلفين. وإذ فعلوا ذلك انحنوا باحترام أمام المرشح الذي اختاروه ووضعوا المسبحات عند قدمية وعبروا بذلك عن ثقتهم به والصوت الذي منحوه له.» نشرة مركز الدراسات الكردية 1، 12-13.

كثر هم الكتّاب الذين تحدثوا عن العلاقة بين الكرد وزعمائهم. ومنهم من أشار إلى أن رجال القبائل الكرد يثقون ثقة عمياء بزعمائهم، حتى أنهم مستعدون للمخاطرة بحياتهم، إذا طلب منهم الزعيم ذلك، من دون التساؤل، لماذا؟ عام 1918 نقل سون أنه التقى عدداً من المقاتلين الكرد، عائدين من معركة دموية أصيب فيها بعض الرجال فأصبحوا عاجزين عن القتال. وعندما سأل أحدهم عن سبب النزاع تبين أن لا أحد من المجموعة بأسرها كان يعرف السبب. والجواب الذي تلقاه هو: «لا أعرف، لقد طلب منا الزعيم مقاتلة رجال حَمُه بگ ونحن لبينا النداء.»[1]

يلعب رجال الدين، في حياة الكرد دوراً يوازي الدور الذي يلعبه الزعماء، إن لم يكن أكبر وأكثر فعالية. وحتى اليوم لايزال لرجل الدين أو الشيخ مكانة الصدارة، لذا أفردت للمسألة قسماً تفصيلياً في هذا الفصل.

عام 1921 وأثناء مناقشة العلاقة بين الكرد وزعمائهم، تحدث الرائد وليم ربرت هيّ (W. R. Hay)، وهو واحد من الإنكليز الذين عملوا في الإدارة البريطانية في العراق فقال: ينقسم زعماء الكرد إلى «آغوات حسني السيرة والسلوك» و« آغوات سيئين». الأوائل يعاملون أتباعهم وكأنهم أبناؤهم. أما الآخرون، فسيتغلون أتباعهم ويقمعونهم أنّى تسنى لهم ذلك.»[2]

ويشير هيّ إلى أن زعماء المناطق النائية، هم أقرب إلى مواطنيهم من زعماء المناطق القريبة من المراكز الرسمية للحكومة.[3] والسبب يعود إلى أن أولئك المقيمين في المدينة التي هي مركز الإدارات الرسمية هم قوم لا يخضعون للتنظيم القبلي المتعارف عليه في المناطق النائية حيث التعاضد

(1) سون، تقرير عن منطقة السليمانية، 40، م س رقم 356.

(2) و. ر. هيّ، عامان في كردستان، 62، م س رقم 101.

(3) م ن.

مطلوب لا بل هو واجب على رجال القبائل وزعمائهم. ويتحدث الدملوجي، الذي تناول المسائل ذاتها فيما خص منطقة بهدينان، عن أن طواعية كرد الحضر وخضوعهم تعودان إلى أنهم مرتبطون بالأرض التي تشكل مورد حياتهم، وبالتالي لا يمكنهم الإفلات بالتنقل من منطقة إلى أخرى هرباً من المعاملة السيئة التي يعاملهم بها زعماؤهم.[1] ويتضح من نص الدملوجي أن ما ورد في باله أولاً هو ما يتعلق بالكرد الذين ضعفت عندهم العلاقات القبلية.

الحس القبلي

يتميز المجتمع الكردي بتمسكه الشديد بالرابط القبلي الذي أثبتت الأحداث أنه أقوى بكثير من الرابط الديني.[2] وهو ميل وإن بدا للوهلة الأولى غير مألوف في منطقة الشرق الأوسط، إلّا أنه، على عكس ما يتبدى في الظاهر، واقع حقيقي قائم.[3]

قبل الحرب العالمية الأولى وعلى الضفة اليسرى لنهر الزاب، كانت قبيلة الهرْتوشي البدوية الكردية الكبرى وقبيلة التيارية المسيحية تعيشان جنباً إلى جنب وخاضتا معاً - بسبب تحدّرهما من نسل واحد - حرباً ضد المسيحيين النساطرة والكرد المسلمين المقيمين على الضفة اليمنى لنهر الزاب. الأولون كانوا يسمون باسكي تشِپْ أي سكان الضفة اليسرى، والآخرون يسمون

(1) الدملوجي، إمارة بهدينان، 135، م س رقم 293.

(2) نيكيتين، «نظام الإقطاع الكردي،» 5 (بالفرنسية، مرجع 184).

(3) للاطلاع على مناقشة لهذه المسألة، بما في ذلك مقارنات مع مختلف المناطق الجبلية في الشرق الأوسط مثل الجبال اللبنانية، انظر بيير روندو، «قبائل جبليي آسيا الوسطى. بعض الجوانب الاجتماعية للسكان الكرد والآشوريين،» نشرة دراسات الاستشراق | المعهد الفرنسي في دمشق 6 (1936)، 5 وما بعدها (بالفرنسية، مرجع 227).

باسكي راستْ أي سكان الضفة اليمنى.[1] وقبل ذلك بكثير، حين قضي الأمر على الإمارة الكردية، حارب المسيحييون الأرمن، جنباً إلى جنب مع الكرد المسلمين المقيمين في جبال ساسون في مواجهة الجيوش العثمانية بقيادة رشيد محمد باشا، حتى انهزما معاً.[2]

ولربما المثل الأكثر غرابة الذي يمثل تجاوز الكرد للرابط الديني، قدمه مسلمو إمارة هكّاري ومسيحيوها التي عرفت المجد والعز أوائل القرن التاسع عشر.[3] في إمارة هكّاري، وفي حال غياب أميرها المسلم، كانت المسؤولية تنتقل إلى البطريرك النسطوري المسيحي، فيتولى إدارة شؤون البلاد كافة، من دون اعتراض من أحد، حتى أنه كان يستقبل موفدي السلطان، مما يعني موافقة الباب العالي على التقليد المتبع في إمارة هكّاري، بين المسلمين والمسيحيين.

خصومة الدم والأخذ بالثأر

كما في كل المجتمعات القبلية، تعتبر خصومة الدم، هي الحالة الاجتماعية الأكثر انتشاراً في كردستان، لكن مدة هذه الخصومة تختلف من مكان لآخر وفاقاً لعوامل متعددة ومتنوعة. فهي أكثر حدة في الأماكن التي تقطنها القبائل وأقل حدة في المدن والمناطق الحضرية حيث يتقلص الارتباط بالقبيلة حتى يصل أحياناً إلى حدود الانعدام.

ومما لا شك فيه أن الزواج بين أفراد العائلة الواحدة، والقبيلة بشكل عام، يغذي الإحساس بهذه الخصومة، إذ تعتبر القبيلة نفسها وحدة متكاملة

(1) العراق (الإدارة البريطانية)، مكتب المفوض المدني، تقرير الإدارة لمنطقة الموصل لعام 1921 (بالإنكليزية، مرجع 345).

(2) جيمس برانت، «ملاحظات عن رحلة عبر جزء من كردستان، في صيف عام 1838،» مجلة الجمعية الجغرافية الملكية 10، 357-60 (بالإنكليزية، مرجع 29).

(3) ب. روندو، «قبائل جبليي آسيا الوسطى...،» 7 وما بعدها، م س رقم 227.

متماثلة متضامنة، وهكذا يعتبرها الآخرون، مما يساهم في انتشار فكرة المسؤولية الجماعية. يتحدث ليتش (Leach) عن هذا المفهوم للمسؤولية فيقول: «يمكن اختصار سبب خصومة الدم، في اعتبار 'العائلة مجتمعة وأبناءها وأقرباءها مسؤولة عن أي خطأ يرتكبه أحد أفرادها'. ويمكن الإشارة في الوقت ذاته إلى أن نظاماً من التموضع السكني الأبوي المنحى ومن الزواج الداخلي للمجموعات يشكل سبباً خاصاً لتأبيد مثل هذا التناقض.»[1]

يعتبر نيكيتين الـ تو لا وتعني الانتقام إحدى أهم ركائز الفكر السائد في المجتمع الكردستاني وهو ما يحدد تصرف الأفراد ويبين مدى الولاء للقبيلة.[2] وارتكاب أي جريمة هو إشارة إلى البدء في النزاع والخصومة، وتعتبر سرقة الحيوانات والتعدي على المياه والمراعي وقضايا الشرف، خصوصاً تلك المتعلقة بالنسوة سبباً لحدوث النزاع والخصومة.[3] واستناداً إلى نيكيتين الذي تحدث عن كرد وسط كردستان، يحق لعائلة الضحية الأخذ بالثأر من المجرم الذي عاقبته قبيلته بالإبعاد لخمس سنوات أو أكثر. وقد يسمح لهذا المجرم بالعودة إلى مرابع قبيلته بعد انتهاء الفترة المذكورة ووفاقاً لتسوية يتوصل إليها شيوخ القبيلة ويصادق عليها زعيم القبيلة. ولكن وحتى في هذه الحالة، تبقى عائلة الضحية محتفظة بحق الأخذ بالثأر.[4]

يسعى زعماء القبائل جاهدين إلى منع تفاقم النزاع من خلال تسويات

---

(1) ليتش، 55، م س رقم 133.

(2) وفاقاً لنيكيتين، هذه الأشياء هي تو لا (الانتقام)، مالا (القبيلة) وكويستان (منطقة جبلية)، التي يقصد بها الكرد الأرض المحلية. نيكيتين، «نظام الإقطاع الكردي،» 4، م س رقم 184.

(3) راجع ليتش، 55–56، م س رقم 133.

(4) بازيل نيكيتين، «بعض الملاحظات عن الكرد،» صحيفة مير كور دو فرانس، 145، عد. 543، 669 (بالفرنسية، مرجع 193).

عديدة متعارف عليها بين القبائل. وخصومة الدم قد يقحم فيها الزعماء أنفسهم فتصبح التسوية عندها أصعب.[1] الفصل (تسوية وضع خصومة الدم) يقضي بدفع مبلغ محدد (فدية) لأجل الضحية وتسمى عند الكرد: خويْن (أي الدم).[2] وهناك عادة أخرى، يتبعها الكرد تهدئة للنفوس، وتقضي بإقدام عائلة المعتدي على زيارة أهل الضحية وتقديم عدد من الخيول كهدية، وتزويج إحدى بناتها لأحد شباب العائلة المعتدى عليها، بهدف تهدئة المشاعر والحؤول دون الأخذ بالثأر (التولا) والأهم من هذا، بهدف توحيد العائلتين المعنيتين.[3]

توكل مهمة إجراء تسوية خصومة الدم، إما إلى أحد وجهاء المجتمع وإما إلى مجلس زعماء القبائل أو شيوخها، شرط أن تنحصر مناقشات المجلس بإيجاد التسوية دون غيرها. مهما يكن فالسلطات تصر على توثيق

---

(1) و. ر. هيّ، عامان في كردستان، 73، م س رقم 101؛ وليتش، 56-57، م س رقم 133. يذكر العزاوي أن اغتيال فخذ كرم ويسي من عشيرة شاتري محمد پاشا جاف أدى إلى انتقام وحشي بحيث دمر معظم الفصيلة ولم يسلم منها حتى النساء والأطفال. العزاوي، 2: 41، م س رقم 286. ويؤكد وصف سون هرب هذه العشيرة للجوء إلى قبيلة هماوند نظراً لشدة العقوبة التي فرضت عليها. سون، تقرير عن منطقة السليمانية، 15، م س رقم 356.

(2) استناداً إلى العزاوي، تباين مبلغ الدية بين الكرد الفقراء عام 1947 بين عشرين وأربعين جنيهاً. العزاوي، 2: 241، م س رقم 286. وذكر و. ر. هيّ عام 1921 أن «قيمة مزارع كُرمانجي أو كردي من الطبقة الوسطى قدرت بتسعين جنيهاً وقيمة إحدى نسائه بخمسة وأربعين جنيهاً وقيمة ساقه أو ذراعه بعشرين جنيهاً.» و. ر. هيّ، عامان في كردستان، 72، م س رقم 101؛ راجع ليتش، 56، م س رقم 133. ويجب بيان أن كُرمنجي مصطلح يطلق على الفلاحين في منطقة راوندوز وليس كرد الطبقة الوسطى.

(3) العزاوي، 2: 241، م س رقم 286. وفاقاً لـ و. ر. هيّ، تزوج فتاة علاوة على بعض رؤوس الماشية بدلاً من الدية وليس علاوة عليها.

هذه التسوية فقط.[1] ولكن، وفي غالب الأحيان، لا يكون لمثل هذه التسويات أي آثار مستقبلية. وخير مثال على هذا هو عودة تأجج خصومة الدم، بين سوتو آغا أورماري وتاتو آغا ريكاني. إذ بالرغم من اتخاذ سوتو آغا المبادرة لوضع حد للنزاع مع تاتو آغا وتزويج ابنته له، أقدم أحد مناصري هذا الأخير على قتل صهر سوتو آغا وشقيق الصهر غدراً وهما يحلان ضيفين عليه.[2]

وهناك عادة متصلة بإيجاد حل لخصومة الدم، ترتكز على منح الحماية (پانه) للمعتدي، وأي خرق لشروط هذه الحماية يجعل المعتدي عرضة للانتقام من الشخص الذي منحه الحماية، والذي يجب أن يكون شخصية بارزة لها سمعتها الطيبة ونفوذها. وقد تتم تسوية لهذا الخرق يتعهد خارق شروط الحماية بموجبها دفع مبلغ من المال - ووشير، كتعويض عن الإهانة التي ألحقها بمانح الحماية وما سببه له من حرج.[3]

كتب بارث عن «عدم وجود خصومة دم أو عدم إعطائها أهمية في جنوبي كردستان.»[4] واستناداً إليه، فالمنطقة تعرف نوعاً من الانتقام الشخصي: غير المبني على الثأر ومفهوم المسؤولية الجماعية.[5] وعلى عكس هذا، يرى بارث أن التعامل مع مبدأ خصومة الدم لايزال معمولاً به في مناطق راوندوز حيث تستمر المفاهيم القبلية سائدة، في حين لا وجود تقريباً لمثل هذه المفاهيم في ظل إدارة بابان الإقطاعية في جنوب كردستان حيث لا يعتد بمبادئ النسب والقرابة.[6]

---

(1) م ن، 72-73.

(2) للاطلاع على وصف مفصل لهذا الصراع، انظر نيكيتين وسون، 69-102.

(3) العزاوي، 2: 242، م س رقم 286.

(4) بارث، 73، م س رقم 19.

(5) م ن.

(6) م ن، 77.

إن الأسس التي بنى بارث عليها ما سبق وأعلنه، تستوجب طرح سؤال عن مدى أهمية هذه الأسس التي هو يجدها بذاته «غير مكتملة بكل ما للكلمة من معنى.»[1] بعد ذلك يبدو أن في ذهنه على الأرجح الحالة في المناطق الخالية من القبلية في جوار السليمانية. والسبب الذي استخلصه قد لا ينطبق على الفصائل شبه الرحل ذات التنظيم القبلي المنتمية إلى اتحاد قبائل جاف في الجزء الجنوبي الشرقي لهذه المنطقة أو على اتحاد قبائل پيشدار في الجزء الشمالي الشرقي. بالإضافة إلى أنه من المشكوك فيه أن حكم البابان قد أضعف على الدوام التنظيم القبلي في جنوب كردستان. إذ من المعروف أنه بعد انحلال دولة بابان الإقطاعية، دخلت المنطقة في حالة من عدم الاستقرار الشديد كان من نتيجتها أن العناصر القبلية المختلفة ارتدت إلى السبل القبلية القديمة. حتى بارث نفسه يتحدث عن تزايد قوة قبائل جاف، مستوعبة غابرة القبائل الأخرى، بينما راحت قبائل هماوند تقوم بأعمال اللصوصية وقطع الطرق والخروج عن القانون.[2] ويصف سون عام 1918 قبائل جاف بالقبائل الأساسية الأكثر نفوذاً في جنوب كردستان، فيقول:

> **قبيلة جاف (المقصود عامة هنا جاف المراديين) متمردة خارجة عن القانون، همجية، محبة للقتال، تخوض حروباً دموية عند الحاجة. تمكنت من السيطرة على جميع القبائل المتفرعة منها، والتي ليس بمقدورها القيام بأي عمل جماعي، بسبب وجود خصومة دم في ما بينها.**[3]

لا تقتصر الخصومة أحياناً، على العائلتين المعنيتين فقط، بل تتعداها إلى

(1) م ن، 73.

(2) م ن، 14.

(3) إ. ب. سون، ملاحظات عن قبائل كردستان الجنوبية، 20 (بالإنكليزية، مرجع 355).

الحلفاء والأنصار. ولعله أفضل مثال على هذا هو الخصام بين عائلتي باويل آغا وعبد الله پاشا، المعروفتين في إقليم راوندوز. بداية كانت هذه العداوة قبل الاحتلال البريطاني لإقليم كردستان العراق، واستمرت، وإن ليس في العلن، لمدة طويلة. مع بداية الاحتلال وجد الإنكليز أنفسهم عاجزين عن إدارة المنطقة من دون الاستعانة بوجهائها وكبار الشخصيات المعروفة فيها. وهكذا فتعيين اسماعيل بگ (بيه)، الابن الأكبر لعبد الله پاشا، حاكماً للمنطقة جعل عائلة باويل آغا تتحالف مع قبائل سورچي التي اعتبرت هذا التعيين إهانة لها فأعلنت التمرد وتمكنت من طرد الإنكليز ولو موقتاً من معظم أراضي منطقة راوندوز.[1] ويخبرنا أرشيبالد ميلن هاملْتُن الذي عمل مهندساً في العراق أنّ هذه الخصومة كانت لا تزال تؤخذ في عين الاعتبار حين كان يشرف على الطريق الكبرى لمنطقة راوندوز في أواخر العشرينيات من القرن الماضي.

هذه الخصومة، أدت إلى مقتل اسمعيل بگ في كمين نصب له وهو في طريقه إلى راوندوز.[2] ويخبرنا ليتش عن ضحية أخرى لهذا الصراع، وهو ابن شقيق حميد أمين آغا الدركلي الذي سقط عام 1937، وضحية ثالثة عام 1938 وهي الأخيرة ضمن مسلسل القتل الذي تحدث عنه ليتش.[3]

وانعكست هذه الخصومات والعداوات على بدء التفكير بالقومية الكردية، «إذ أخذ الأطراف يتهمون بعضهم، بالعمالة للإنكليز أو العراقيين، وحتى للعرب؛ ولسوء حظي لم أتمكن من حل لغز تلك الخلافات أو أتعرف

(1) و. ر. هيّ، عامان في كردستان، أماكن متفرقة، م س رقم 101.
(2) أرشيبالد ميلن هاملْتُن، الطريق عبر كردستان: حكاية مهندس في العراق، 270-309 (بالإنكليزية، مرجع 95).
(3) ليتش، 57، م س رقم 133.

إلى المستفيد منها.»[1] وقد أشير إلى هذه الخصومات، أثناء الحديث عن النشاطات السياسية لاسمعيل بگ في كتاب لكاتب كردي صدر عام 1954.[2]

وقد يكون من المفيد الحديث عن مدى تفشي الرغبة في الانتقام بين معظم القبائل الكردية. واستناداً إلى ريتشارد ترنوالد (R. Thurnwald) «كان الانتقام يطاول الحيوانات أحياناً، وكل ما تقع عليه اليد، كالمعدات والأسلحة.»[3] يتحدث السير أوستن هنري لايارد (Sir Austen Henry Layard)، أنه رأى «عام 1853 بعينه حاوي أفاع إيزدي يقطع رأس أفعى انتقاماً من إسالتها دم ابنه البالغ من العمر سبع سنوات والذي كان يساعده في عروضه.»[4] ويخبرنا فريزر رواية مشابهة عن محمد پاشا الراوندوزي، الذي أمر بقتل الذئاب بعد تعذيبها، انتقاماً لقتلها أحد رجاله.[5]

بالرغم من أن وجود مثل تلك الممارسات في حدّ ذاتها لدى الكرد على المستوى الفردي يسترعي الاهتمام، فإن الطريقة التي تعبّر فيها عن نفسها مثل تلك الممارسات على المستوى الجمعي لها دلالة خاصة. ويورد نيكيتين حادثة كاشفة لها صلة بهذا الموضوع فيقول: «أرسل العثمانيون حملة

(1) م ن.

(2) معروف جياووك، مأساة بارزان المظلومة، 128-29 (بالعربية، مرجع 302).

(3) ريتشارد ترنوالد، «صراعات الانتقامات الدموية،» في موسوعة العلوم الاجتماعية، 2: 598-99 (بالإنكليزية، مرجع 259).

(4) سير أوستن هنري لايارد، اكتشافات في خرائب نينوى وبابل: مع رحلات في أرمينيا، كردستان والصحراء، 2: 257، م س رقم 131.

(5) الأرجح أن هذه القصة أسطورة هدفت إلى تأكيد شعور محمد الراوندوزي (الملقب بمير كور) الصارم بالعدل. وواضح من القصة أن فعل المير هدف إلى تخويف القرويين الذين شاهدوا تعذيب الذئاب لغرض كشف القتلة الحقيقيين. إلّا أن مفهوم معاقبة الذئاب هو لقتلها رجلاً مهماً في حدّ ذاته. للاطلاع على تفاصيل القصة، انظر فريزر، رحلات، 1: 66-67، م س رقم 83.

بقيادة الجنرال فاضل پاشا، لتأديب جماعة الشيخ عبد السلام بارزاني، فوقع الجنود العثمانيون في كمين نصبه لهم مريدو الشيخ عبد السلام، وتمكنوا من قتل أو أسر جميع أفراد القوة. وصادف أن واحداً من المدفعين اللذين كانا بحوزة فاضل پاشا، قد انفجر عند بدء المعركة، وبعد انتصار المريدين تجمع هؤلاء حوله وأخذوا يرثونه واصفين إياه بالنصير المخلص، واعتبروه شهيداً، بسبب رفضه، على ما اعتقدوا مقاتلة أنصار الشيخ، بينما عوقب المدفع الآخر (الكافر الملعون) بتفكيكه قطعة قطعة. أما طاقم المدفع - النصير المخلص - فقد عوملوا باحترام وأطلق سراحهم، بينما عومل طاقم المدفع - الكافر الملعون - بفظاظة واقتيدوا إلى السجن.[1]

المركز الاجتماعي

مفهوم «الوظيفة والمنصب والمقام - المنزلة الرفيعة» في النظام القبلي الكردي كما في كل نظام مبني على عادات تقليدية، لم يحاول أحد تطويره أو إحداث تغيير فيه: وبالتالي ينطوي المركز الاجتماعي على أهمية بالغة بالنسبة إلى صاحبه. لن استفيض بالحديث عن الطبيعة السوسيولوجية للمقام، المنزلة أو المركز الاجتماعي هنا، باستثناء القول، إنها مستقاة من عناصر عديدة، كالاحترام والثروة وامتلاك القوة والنفوذ. ويعبر الكرد يومياً عن مدى تقديرهم لأصحاب المقامات الذين عليهم بدورهم أن يتميزوا عن غيرهم. فيتقنون آداب المخاطبة والمعاشرة، وطريقة إلقاء التحية وكيفية مخاطبة بعضهم بعضاً. ليس هذا وحسب، بل لهم حق الجلوس في الصفوف الأمامية أثناء الاحتفالات وفي الأماكن العامة.

---

(1) بازيل نيكيتين، «الحكايات الكردية كما يرويها الكرد أنفسهم،» آسيا الفرنسية، 153-54 (بالفرنسية، مرجع 188).

في كردستان عادة مثيرة للاهتمام تظهر بوضوح لدى التدقيق في إظهار المساواة بين شخصين متعادلين في المستوى والمنزلة الاجتماعية. واستناداً إلى الدملوجي نعرف أنه حين التقى الزعيمان النقشبنديان، الشيخ عبد السلام بارزاني والشيخ بهاء الدين باميرني، في العمادية عام 1905 قبّل كل منهما يد الآخر، كما تقضي العادات.[1] والمبشر الأميركي جاستين پركينز (Justin Perkins) يحدثنا عن مشاهداته في منطقة راوندوز نحو عام 1850، عن كيفية تخاطب الكرد مع بعضهم بعضاً: «وعن كيفية إلقاء التحية وهي فعلاً لافتة للنظر. فحين يلتقي رجلان، يمسك كل واحد منهما اليد اليمنى للآخر، ومن ثم يرفعان يديهما ويقبل كل واحد منهم يد الآخر».[2]

الكرد شديدو الحساسية حيال الأسبقية كتأشير على المقام. يقول بارث: «في الثقافة الكردية، كما في غيرها من الثقافات، يعتبر حق أولوية شخص على آخر بصورة عامة نوعاً من الحالة الرمزية المرتبطة بمنزلته الاجتماعية.»[3] ويخبرنا التاريخ عن كثير من الأمثلة التي توضح مدى اهتمام الكرد بحق الأولوية أو الأسبقية. يخبرنا المؤرخ الكردي شرف خان، عن نزاع حدث بين عدة أمراء كرد، بسبب الأولوية في ديوان الوالي العثماني إسكندر پاشا، الذي أخذ الحادثة على محمل الجد، فأرسل يخبر السلطان سليمان العظيم (القانوني) بما حدث، والذي أصدر بدوره مرسوماً يحدد فيه الأولوية بين كل

---

(1) الدملوجي، إمارة بهدينان، 90 م س رقم 293.

(2) جوستين پركنز، «يوميات جولة من أورميا إلى الموصل عن طريق الجبال الكردية، و زيارة إلى خرائب نينوى،» مجلة الجمعية الشرقية الأميركية 2، 101 (بالإنكليزية، مرجع 206). لم يوضح پركنز أهمية هذه الممارسة كما لم يفعل ذلك عالم أنثروبولوجي استشهد به فيما بعد. راجع ويستن لابار،«القاعدة الثقافية للمشاعر والإيماءات،» مجلة الشخصية 16، عد. 1، 55 (بالإنكليزية، مرجع 126).

(3) بارث، 114، م س رقم 19.

الأمراء المعنيين.[1] ويروي ريتش حالة مشابهة، يوضح فيها أنّ زعماء عشيرة الميزوري لهم حق الأولوية بالوراثة على غيرهم من الزعماء في ديوان أمراء بهدينان.[2]

إن تجذر احترام الكرد لأصحاب المقامات يقترن باحترام التقاليد، وحتى باستمرار إظهار الاحترام لبيوتات فقدت نفوذها وثروتها وإمكاناتها السابقة، لكنها لا تزال تحتفظ بمكانتها التي كانت لها من قبل. وفي حديثه عن العائلات البارزة في قبيلة الهركي، يقول نيكيتين: «معظم العائلات القديمة مثل عائلة (مالا) شابة آغا، في شيوا هركي، التي لم تعد تتمتع بنفوذها السابق وثروتها، لكنها لا تزال تحتفظ بمكانتها التي كانت تمتع بها سابقاً، ولا تزال لها الصدارة في جميع اجتماعات كرد هركي».[3]

عام 1919 جرت محادثات بين الضابط السياسي الإنكليزي، النقيب وولاي (Woolley) والزعيم الكردي عبد الرحمن آغا خرطاوي كشفت عن أهمية كبيرة في هذا الصدد، ففي الوقت الذي كان يجري الحديث فيه عن إقامة مملكة كردية، تطرق الحديث بالطبع عن سعي البريطانيين إلى ترشيح العائلات الكردية المؤهلة لمثل هذا المنصب. وبعد استعراض أسماء مختلف العائلات الجديرة بتولي عرش المملكة أوضح عبد الرحمن آغا أنه إلى جانب عائلة بدرخان، فالزعماء الكرد كلهم «كأسنان المشط متساوون، إنما كل واحد يتمتع بميزة. فهذا قد يكون متمتعاً بالثروة والقوة وذاك بالوجاهة من دون أن

---

(1) البدليسي، 319، م س رقم 290. راجع الدملوجي، إمارة بهدينان، 107، م س رقم 293.

(2) ريتش، حكاية إقامة في كردستان، 1: 154، م س رقم 216.

(3) بازيل نيكيتين، «شمدينان،» في الموسوعة الإسلامية، ط 1، 7: 303-6 (بالإنكليزية، مرجع 195).

يتطرق إلى تعداد الأسماء، أو الأسبقية التاريخية لكل منهم.»[1] الجدير بالذكر أن تلك الزعامة حصلوا عليها في بوتان معقل قبيلة بدرخان.

الحياة اليومية للكرد

الارتحال طلباً للماء والكلأ

عند نهاية كل ربيع ترتحل القبائل الكردية عن السهول والوديان، قاصدة منتجعاتها الصيفية في أعالي الجبال، في منطقة زوزان،[2] طلباً للماء والكلأ لمواشيها وحيواناتها، وما إن يقترب الخريف من نهايته، حتى تقوم هذه القبائل برحلة عكسية إلى منتجعاتها الشتوية في الأراضي الواطئة، طلباً للدفء والماء والكلأ أيضاً.

بالرغم من أن لكل قبيلة منتجعها الصيفي والشتوي الخاص بها، الأمر الذي يحول دون حدوث نزاعات فيما بينها، إلّا أن هذه النزاعات تحدث من حين لآخر، خصوصاً وأن القبائل التي تمتلك القوة، هي التي تختار، عادة، منتجعاتها الصيفية والشتوية، لأنها قادرة على فرض إرادتها وحماية هذه المنتجعات.[3] وبالرغم من أن طرق الانتقال إلى الجبال ومنها محددة سلفاً، ومنذ زمن، فإن نزاعات تحدث أحياناً بين السكان المتجولين والسكان

(1) غودفري رولز درايفر، كردستان والكرد، 22 (بالإنكليزية، مرجع 57).

(2) يطلق على المراعي الصيفية اسم سارا‌ن (حرفياً قمم الجبال) في منطقة موكري، ويايلا لدى الشعوب الناطقة بالتركية في فارس/ إيران وآسيا الصغرى، و زوما لدى النساطرة الجبليين.

(3) شغل القسم الرحّال الأقوى من الاتحاد الأرْتوشي الكبير، بزعامة حاجي بگ، مرتفعات فاراشين، أراضي المراعي المفضلة في منطقة زوزان. ف. ر. مونسل، «كردستان الوسطى،» المجلة الجغرافية 18، 124، م س رقم 155.

المستقرين في المناطق التي يعبرون خلالها.[1] وكذلك تحدث مثل هذه النزاعات بين القبائل في حد ذاتها.[2] الأغلب الأعم من المراعي الجبلية والشتوية لا تبعد عن بعضها كثيراً، وهي تقع بين الحدود التركية – العراقية وبحيرة ڤان، وتعرف هذه المنطقة باسم زوزان. والجدير بالذكر أن المراعي غنية بالموارد المائية، خصوصاً في هضاب الميروانيين والفاراشين.[3]

بعد الحرب العالمية الأولى، ونظراً للعلاقات المتوترة أحياناً، وغير الودية أحياناً أخرى، بين تركيا والعراق، اضطرت القبائل المتجولة الكردية إلى التوقف عن التنقل عبر تلك الحدود واستمر هذا الوضع على حاله، حتى بعد تحسن العلاقة بين الدولتين. ويعزو المحللون هذا إلى تنامي النزعة القومية الكردية في كردستان العراق.

السكن

البيوت الكردية نوعان، نوع للمقيمين الدائمين في المدن والحواضر، وآخر للقبائل المتجولة ومن هم في منزلتهم. يقيم سكان الحواضر في بيوت مبنية من الحجر والطين مسقوفة برواند من شجر الحور وفوقها أغصان وجص

---

(1) للاطلاع على وصف للاضطراب الذي أحدثه الرحل أثناء مرورهم عبر أراضي القبائل المستقرة، انظر ويغرام وويغرام، 127–28، 159–60، م س رقم 273؛ هاملتُن، 89–91، م س رقم 95؛ و. ر. هيّ، عامان في كردستان، 79–80، م س رقم 101؛ ليتش، 27، م س رقم 133؛ الدملوجي، إمارة بهدينان، 74، م س رقم 293.

(2) وصف تقرير رسمي بريطاني الظروف غير المستقرة في منطقة الحدود التركية–العراقية بأنها نتيجة القتال بين القبائل بسبب الهجرات السنوية. بريطانيا العظمى، المفوض المدني، تقرير الإدارة عن ولاية الموصل لعام 1921، 8، م س رقم 345.

(3) للاطلاع على وصف ممتاز لهذه المنطقة، انظر مونسل، «كردستان الوسطى،» 121–40، م س رقم 155.

مجبول مع الطين. وتبنى هذه البيوت على المنحدرات عادة، ويشكل سقف كل بيت شرفة للبيت الذي يعلوه.[1] وفي مناطق معينة من كردستان مثل أعالي دَرْسِيم[2] وجزء من مرتفعات هكّاري[3] تبنى البيوت من الحجر والجص، وهي قوية جداً مقارنة مع غيرها من البيوت في المناطق الأخرى.



قرية كردية في أديامان (تركيا) تظهر فيها المنازل النموذجية ذات الأسقف المسطحة. بترخيص من برهان الطوران.

(1) بارث، 102، م س رقم 19؛ ليتش، 48، م س رقم 133؛ و. ر. هيّ، عامان في كردستان، 45-46، م س رقم 101؛ بازيل نيكيتين، «الحياة الداخلية الكردية،» مجلة الاثنوغرافيا والتقاليد الشعبية 3، عد. 12، 334-35 (بالفرنسية، مرجع 199).

(2) ل. مولينو - سيل، 49، م س رقم 178.

(3) بيرترام ديكسن، «رحلات في كردستان،» المجلة الجغرافية 35، عد. 4، 375 (بالإنكليزية، مرجع 50).

أما المتجولون فيعيشون في خيم سوداء مصنوعة من شعر الماعز، وهناك من هم أشباه رحل يقضون الشتاء في البيوت والصيف في الخيم. قسم كبير من الكرد، يمضي فصل الصيف في خيم يطلق عليها الشاردالك[1] وهي عبارة عن كوخ ريفي له ثلاثة جوانب مصنوعة من عوارض خشبية مغطاة بأغصان الشجر.

المأكل والطعام

يتكون النظام الغذائي الكردي، بشكل أساسي من الحبوب والحليب ومشتقاته مثل: الأجبان وعدة أنواع من اللبن الرائب (مثل دو، ماسْت، وماستاو) والزبدة المصفاة.[2] العدس والشعير والدخن والذرة والبرغل والأرز هي الحبوب الأكثر استهلاكاً من قبل الشعب الكردي. ويعتبر الزبيب جزءاً مهماً من النظام الغذائي الكردي. استناداً إلى و. ر. هيّ، الأطعمة الأساسية عند الكرد، هي خبز القمح، الزبيب، الخضروات اللبن الرائب والبرغل.[3] أما خبز الشعير فهو الأكثر استهلاكاً عند الإيزديين. وفي الجبال، حيث الأراضي الزراعية نادرة، يشكل ثمر البلوط مصدراً لصنع الطحين والخبز في أزمنة القحط.[4] أما الفاكهة والخضار فتؤكل حينما تكون متوافرة؛ هذا وقد أشار عدد من الكتاب إلى البصل كمكوّن أساسي في النظام الغذائي الكردي.[5] أما الطعام المفضل، فهو المن والسلوى. وأخيراً تعرف الشعب الكردي إلى الشاي، فأصبح جزءاً مهماً في يومياته.

---

(1) و. ر. هيّ، عامان في كردستان، 46-47، م س رقم 101.

(2) م ن، 56.

(3) م ن.

(4) م ن.

(5) نيوِنْ (C. Newin) «عدد الوجبات لدى الكرد،» هاوار 1، عدد 13، 8-10 (بالإنكليزية، مرجع 181)؛ الدملوجي، الإيزدية، م س رقم 294.



6. صورة مهجع تحت الأرض في قرية موكس بمحافظة موش (تركيا). بترخيص من برهان الطوران.

يمكن القول إن الأغنياء وحدهم يأكلون اللحوم.[1] وهؤلاء يفضلون لحم الضاني في الدرجة الأولى، ومن ثم لحم الماعز فلحوم الدواجن. والجدير بالذكر، أن الكرد مولعون بالصيد، حيث تكثر الغزلان في السهول والوعول والماعز البري في المناطق الجبلية. وكذلك يصطاد الكرد عدداً من الطيور، مثل البط والحجل والسمان والفري ودجاج الأرض.[2] أما الخنزير فهو متوافر جداً في عدة مناطق كردستانية، ويتكاثر عاماً بعد عام، بسبب امتناع المسلمين والإيزديين وجماعة أهلي حق عن تناول لحمه، لأنه محرم دينياً. وهناك اعتقاد أن الكرد الآخرين لا يأكلون هذا النوع من اللحوم، إنما هذا لا يعني أنه ليس هناك فئات تخرق هذه المحرمات ولو ظرفياً.[3]

---

(1) و. ر. هيّ، عامان في كردستان، 52-53، م س رقم 101؛ ليتش، 30، م س رقم 133.

(2) ليتش، 29-31، م س رقم 133.

(3) الدملوجي، الإيزدية، 51، م س رقم 294؛ إيفانوف، 97، م س رقم 109؛ و. ر. هيّ، عامان في كردستان، 29-30، 38، م س رقم 101؛ راجع ويغرام وويغرام، 281، م س رقم 273؛ وفريزر، رحلات، 1: 186-89، م س رقم 83.

معروف عن الكرد، اقتصادهم في تناول الطعام.[1] ويشير و. ر. هيّ إلى أن كرد أربيل يتناولون وجبتين يومياً، عند الظهر وعند المساء، باستثناء الأغنياء الذين يتناولون طعام الفطور أيضاً.[2] مهما يكن، فهناك كتّاب كرد، يشيرون إلى أن كرد بوتان، كانوا في أوائل الثلاثينيات من القرن العشرين، يتناولون ست وجبات يومياً، أولاها باكراً في الصباح وآخرها قبل الإيواء إلى النوم، أما سكان المدن فيتناولون المزيد من الوجبات.[3]

الملابس الكردية

تختلف الأزياء الكردية بشكل ملحوظ، بين منطقة وأخرى.[4] ويتجلى هذا الاختلاف في شكل العمامة التي هي لباس للأغلب الأعم من الكرد. الهكّاريون، وكرد الموكري، يضعون على رؤوسهم عمامة حريرية أو مصنوعة من القطن فوق قبعة مدببة الرأس مع شرابة تصل إلى حدود العينين أحياناً.[5] أما في وسط كردستان وجنوب فيرتدون العمامة الحريرية ذاتها.[6] في بعض القبائل يضعون على رأسهم غطاء قد لا يشبه العمامة، وهو عبارة عن قطعة

(1) نيكيتين، «الحياة الداخلية الكردية،» 335، م س رقم 199؛ الرائد إدوارد وليم تشارلز نوئيل «طبيعة الكرد كما توضحها أمثالهم وأقوالهم المأثورة،» 83-84 (بالإنكليزية، مرجع 201).

(2) و. ر. هيّ، عامان في كردستان، 56، م س رقم 101.

(3) نيون، 8-10، م س رقم 181. يقدم هذا المؤلف وصفاً مفصلًا لهذه الوجبات.

(4) ڤ. مينورسكي، «صاوچبولاق،» في الموسوعة الإسلامية، ط 1، 7: 186-92 (بالإنكليزية، مرجع 173)؛ سون، إلى بلاد ما بين النهرين وكردستان، 41، م س رقم 241.

(5) فريزر، رحلات، 1: 86 م س رقم 83؛ راجع و. ر. هيّ، عامان في كردستان، 41، م س رقم 101.

(6) مارك سايكس، 582، م س رقم 252.

صغيرة من الحرير مربوطة من الخلف،[1] بينما الكرد الشكاك يرتدون عمامة صوفية أو قلنسوة مع ما يشبه الواقي من الشمس.[2] والحقيقة أن الخبير في الشؤون الكردية، بمقدوره التعرف من خلال نوع عمامته وكيفية وضعها على الرأس، إلى المنطقة التي ينتمي إليها هذا الكردي أو ذاك.[3]

المعروف عن كرد أرمينيا حبهم لركوب الخيل فيلبسون سراويل ضيقة.[4] أما في جنوب ووسط وشمال كردستان، فيلبسون سراويل واسعة فوق الركبة وضيقة عند الكاحل، وهو ما يعرف باسم الشلوار (الشروال).[5] وفي منطقة بهدينان وبعض مناطق راوندوز، فيلبسون سراويل أشبه بتلك التي يلبسها البحارة تسمى رانك.[6]

وهناك لباس خاص بالرجال، إنه الزنار الذي يلف الخصر، وقد يصل طوله عند البعض عدة ياردات، وملفوف بطريقة معقدة.[7]

يتميز القميص الذي يرتديه الكرد بلونه الأبيض وأكمامه الطويلة التي

---

(1) بوَا، روح الكرد، انظر الصورة المقابلة للصفحة 20، م س رقم 27.

(2) راجع و. ر. هيّ، عامان في كردستان، 41، م س رقم 101؛ سون، إلى بلاد ما بين النهرين وكردستان، 401، م س رقم 241؛ علي سيدو الگوراني، من عمان إلى العمادية، 152 (بالعربية، مرجع 299).

(3) ديكسن، 362، م س رقم 50.

(4) ويغرام وويغرام، 9، م س رقم 273؛ و. ر. هيّ، عامان في كردستان، 41، م س رقم 101؛ هنري بيندر، إلى كردستان من بلاد ما بين النهرين ومن فارس، بعثة علمية لوزارة التعليم العام، 109-10 (بالفرنسية، مرجع 24)؛ فريزر، رحلات، 1: 86، م س رقم 83؛ سير أوستن لايارد، نينوى وخرائبها، مج1، 206-7، م س رقم 132.

(5) الگوراني، 152، م س 299؛ و. ر. هيّ، عامان في كردستان، 41، م س رقم 101.

(6) و. ر. هيّ، عامان في كردستان، 40، م س رقم 101؛ هاملتُن، 137، م س رقم 95.

(7) و. ر. هيّ، عامان في كردستان، 42، م س رقم 101. مينورسكي، « صاوجبولاق،» م س رقم 173.

تطوى إلى الخلف، أثناء العمل والأكل أو القتال.[1] فوق القميص، يرتدي الكرد عدة أنواع من السترات، بما فيها تلك التي لا أكمام لها المنتشرة في جنوبي كردستان والمعروفة باسم سالتا.[2] وفي الشتاء موسم البرد والصقيع، يرتدون معطفاً صوفياً سميكاً.

الحذاء الكردي يتخذ شكل القدم، وكثيراً ما يكون بلا أكعاب، ومصنوعاً من جلد الجاموس. وهناك عدة أنواع من الأحذية، منها زرغول وخالك وذلك لنوعية المادة التي يصنع منها. كذلك هناك أحذية مخصصة لراكبي الخيول المنتشرين في شمالي كردستان والسهوب الأرمينية، وقبائل دزه في أربيل.[3] والجيواه الفارسي حذاء مصنوع من القطن أو الحرير عادة، بالإضافة إلى الحذاء ينتعل أفراد راوندوز وعقرة ورانية جوارب صوفية تصل إلى ما دون الركبة بقليل.

أما في المناطق التي يتشارك الكرد العيش فيها مع العرب، مثل جنوب كردستان وأعالي الجزيرة وكراج داغ (جبال باسيوس) وطور عبدين، فيرتدي الكرد الثوب العربي الفضفاض، وكثيرون منهم استبدلوا العمامة بلباس الرأس العربي الكوفية والعقال.[4]

---

(1) سون، إلى بلاد ما بين النهرين وكردستان، 401، م س رقم 241؛ ويغرام وويغرام، 9-10، م س رقم 273.

(2) و. ر. هيّ، عامان في كردستان، 41، م س رقم 101؛ ديكسن، 362، م س رقم 50؛ نيكيتين، «الحياة الداخلية الكردية،» 336-37، م س رقم 199.

(3) ويغرام وويغرام، 9، م س رقم 273؛ سون، إلى بلاد ما بين النهرين وكردستان، 401، م س رقم 241. الگوراني، 41، م س رقم 299.

(4) للاطلاع على وصف للباس الكرد الموكريين، انظر مينورسكي، «صاوجبولاق،» م س رقم 173؛ فريزر، رحلات، 186 م س رقم 83؛ وسون، إلى بلاد ما بين النهرين وكردستان، 401، م س رقم 241؛ و. ر. هيّ، عامان في كردستان، 40-42، =

الواقع الاجتماعي للمرأة الكردية

يكاد جميع الباحثين يجمعون على أن المرأة الكردية تتمتع بمقدار كبير من الحرية، مقارنة مع المرأة العربية. فالمرأة الكردية، خلافاً عن جميع النساء المسلمات، لا تعاني من العزلة، ولا ترتدي الحجاب أو البرقع، إنها تختلط بالرجال وتمزح معهم بحرية وبلا خجل وليس كغيرها من النساء اللواتي فرضت العزلة عليهن.[1] أثناء الاحتفالات الدينية أو الخاصة، كالأعراس، تشبك المرأة الكردية يدها بيد الرجل وترقص معه جنباً إلى جنب.[2] وهذا ما اعتبره سون أمراً، ليس غير مألوف، بل غير طبيعي في العالم الإسلامي المحافظ، الذي يمنع مثل هذه الاختلاط بين الرجل والمرأة. لهذا، فهو يرى أن الكرد، من هذه الناحية يشبهون شعوب أوروبا الشرقية، أكثر بكثير مما يشبهون شعوب منطقة الشرق الأوسط.[3] وليس مستغرباً، أن تتصرف المرأة الكردية كرب البيت أثناء غياب زوجها، فتدير أمور العائلة وتتولى شؤون

= م س رقم 101؛ هاملْتُن، 137–38، وصور، م س رقم 95. عن كرد هكّاري، انظر لايارد، نينوى، 1: 306–7 (بالإنكليزية، مرجع 132)؛ بيندر، 109–10، م س رقم 24؛ الگوراني، 152، م س رقم 299؛ ويغرام وويغرام، 112–13، م س رقم 273. عن كرد بهدينان انظر ويغرام وويغرام، 112–13، م س رقم 273؛ بيندر، 109–10، م س رقم 24؛ والگوراني، 152، م س رقم 299. وعن منطقة السليمانية، انظر 1: 86، م س رقم 216. وعن منطقة هضبة أرمينيا، انظر ديكسن، 362، م س رقم 50.

(1) ك. بدرخان، 241، م س رقم 21؛ بوَا، روح الكرد، 32، م س رقم 27؛ سون، تقرير عن منطقة السليمانية، 92–93، م س رقم 356؛ نيكيتين، «بعض الملاحظات،» م س رقم 193.

(2) بوَا، روح الكرد، 38–39، م س رقم 27؛ إ. ب. سون، «الكردي الجنوبي،» مجلة جمعية آسيا الوسطى الملكية 9، القسم 1، 45، م س رقم 240.

(3) سون، «الكردي الجنوبي،» 45، م س رقم 240.

المنزل وتستقبل الضيوف.[1] ونادراً ما يقيد رجل حرية زوجته، وإن حدث، فهذا يحدث في جميع المجتمعات الأوروبية والغربية.



7. إمرأة كردية. صورة من مجموعة ميرون بيمنت سميث. Freer Gallery of Art and Arthur M. Sackler Gallery Archives, Smithsonian Institution, Washington, D.C.: **هدية من كاتارين دنيس سميث. المصور أنطوان سيڤروغين.**

(1) ك. بدرخان، 241، م س رقم 21؛ نيكيتين، «بعض الملاحظات،» 671، م س رقم 193؛ بازيل نيكيتين، «المشكلة الكردية،» السياسة الخارجية 11، عد. 3، 255، م س رقم 192؛ سون، إلى بلاد ما بين النهرين و كردستان، 397، م س رقم 241؛ سون، تقرير عن منطقة السليمانية، 92–93، م س رقم 356؛ لايارد، نينوى، 1: 153، م س رقم 132؛ لايارد، اكتشافات، 315، م س رقم 131.

برغم كل هذه الحرية، فالمرأة الكردية هي إنسانة تمتاز بالطهر والعفاف، فالدعارة غير معروفة بين الكرد. هذا وقد لاحظ عدد كبير من الكتاب والباحثين، خلو اللغة الكردية من كلمات «عهر، مومس، فاجرة، أو بغاء».[1] هذا ويعتبر الموت لدى بعض الفئات الكردية الملتزمة، العقاب الطبيعي لكل من ينتهك الأعراف الأخلاقية.[2]

المرأة الكردية هي سيدة منزلها، وتأثيرها يتخطاه إلى حدود العائلة ورأيها محترم ومطاع.[3] استناداً إلى و. ر. هيّ «معظم زعماء القبائل واقعون بشكل آو بآخر، تحت تأثير نسائهم اللواتي، على حسب اعتقادي يسعين كل جهدهن لإبقاء أزواجهن بعيدين عن الخطأ أو القيام بتصرفات حمقاء.[4]

تقوم المرأة الكردية، إن في الوسط القبلي المتجول، أو الوسط الحضري، بمهمام شاقة وصعبة.[5] مهما يكن، يلاحظ سون أن المرأة لا تكدح فيما زوجها كسول غير منتج، إذ هناك تقاسم للعمل بين الرجال والنساء. فالرجال، عادة يهتمون بأمور الحقول ورعي القطعان، ويفلحون الأرض، ويعتنون بالأشجار

(1) سون، إلى بلاد ما بين النهرين وكردستان، 397، م س رقم 241؛ نيكيتين، «بعض الملاحظات،» 670، م س رقم 193؛ إدوارد ميجور نوئيل، مفكرة الرائد إدوارد ميجور نوئيل، عن المهمة الخاصة في كردستان، من الرابع عشر من حزيران/يونيه، إلى الحادي والعشرين أيلول/سبتمبر، 1919، 10 (بالإنكليزية، مرجع 350).

(2) سون، إلى بلاد ما بين النهرين وكردستان، 397، م س رقم 241؛ و. ر. هيّ، عامان في كردستان، 69-70، م س رقم 101؛ ليتش، 56، م س رقم 133.

(3) سون، تقرير عن منطقة السليمانية، 93، م س رقم 356؛ نيكيتين، «بعض الملاحظات،» 670، م س رقم 193؛ و. ر. هيّ، عامان في كردستان، 43، م س رقم 101؛ ك. بدرخان، 241، م س رقم 21.

(4) و. ر. هيّ، عامان في كردستان، 69-70، م س رقم 101؛ ليتش، 56، م س رقم 133.

(5) سون، تقرير عن منطقة السليمانية، 93، م س رقم 356؛ سون، إلى بلاد ما بين النهرين وكردستان، 397، م س رقم 241.

المثمرة وزراعة التبغ، ونقل المحاصيل إلى الأسواق المجاورة بهدف البيع، فيما تتولى النسوة، تجفيف الفاكهة وأوراق التبغ وتحيك السجاد، بالإضافة إلى الواجبات العادية لربة المنزل.[1] وهذا ما يأتي بارث على تأكيده فيقول:



8. رجل كردي من منطقة هَوْرامان بزيه المحلي. لم يعد هناك سوى أفراد عائلة مسيحية واحدة في كردستان يحيكون يدوياً نوع السروال من الصوف الذي يرتديه هذا الرجل. المصور مجهول الهوية/ بترخيص من سوزان مسيلاس : كردستان: في ظل التاريخ.

(1) 118 سون، «الكردي الجنوبي،» 45، م س رقم 240.

تعتبر الأسرة مستقلة اقتصادياً، وتتألف من الزوج والزوجة والأولاد. والأعمال مقسمة فيما بينهم، كما هي الحال في الأرياف الأوروبية. وغني عن سرد ذلك وإعطاء تفاصيل. فالرجل يمضي معظم أوقاته في الحقول ويهتم بتربية الخيول، أما بقية الحيوانات فهي من مسؤولية المرأة التي تحلب الحيوانات الحلوبة، وتعد الطعام، بالإضافة إلى الواجبات المنزلية الأخرى، بما فيها تطيين المنزل من الداخل كل شتاء. أما الاعتناء بالأسقف فهو من مهمة الرجال. وفي مواسم العمل الجدي، تساعد المرأة زوجها في حصاد الحبوب بخاصة، وقطف أوراق التبغ.[1]

وهناك نساء كرديات ضاهين الرجال في ركوب الخيل، وشاركن في خوض المعارك، بشجاعة نادرة، جنباً إلى جنب مع رجال القبيلة.[2]

كما احتلت المرأة مناصب رفيعة في المجتمع الكردي، حتى وصل البعض منهن إلى تولي منصب زعامة القبيلة.[3] ويمكننا تقديم لمحة عن نساء كرديّات كان لهن تأثير واضح على الحياة اليومية للمجتمع الكردي.

---

(1) بارث، 24-25، م س رقم 19.

(2) سون، إلى بلاد ما بين النهرين وكردستان، 396-97، م س رقم 241؛ جياووك، 24، م س رقم 302. يذكر هاملْتُن نشوب قتال شديد بين رجال قبائل سورچي المستقرين في ممر سبيليك والهركيين الرحّالة في أواخر عقد العشرينيات وشاركت فيه بعض النساء الهركيات. وفاقاً لمخبره قتل أحد عشر رجلاً وأربع نساء. هاملْتُن، 90، م س رقم 95.

(3) يورد بارث نفسه: «انخفاض المواليد» بوصفه عائقاً في وجه الزعامة ويورد أمثلة عن سليم بگ، الذي عرض عليه نادر شاه الفارسي وظيفة حاكم كردستان الجنوبية إلّا أنه رفض العرض لأنه «عرف مكانه.» بارث، 121-22، م س رقم 19. إلّا أنه يجب بيان أن بارث عدّل نظريته بالقول إنه لا «جنس الأنثى» ولا «انخفاض المواليد» عائق في وجه الزعامة لأنه يمكن تعويض العاملين كليهما بعوامل أخرى.

استناداً إلى كوينيه الذي وضع كتابه أواخر القرن التاسع عشر، كانت حليمة خانم الهكّارية حاكمة مدينة باش خالص لفترة طويلة، لكن العثمانيين أقدموا على عزلها بعد القضاء على ثورة بدرخان عام 1845.[1]

عام 1909، تولت فاطمة ابنة الستةوالثلاثين سنة زعامة قبيلة إيزدينان بعد وفاة زوجها الثاني الذي خلف أخاه، زوج فاطمة الأول، بزعامة القبيلة، وفاقاً للعرف المعمول به. وقد أطلق عليها وسط القبيلة اسم كرالستا (الملكة).[2] مريم خانم، ابنة عائلة شيوخ النهري الشهيرة، تميزت بالكثير من صفات القيادة وهي التي تولت المفاوضة مع الجيش الروسي أثناء الحرب العالمية الأولى، للسماح للجنود الروس بعبور المناطق القبلية الخاضعة لسيطرة عائلتها. نيكيتين الذي كان يعمل مستشاراً لدى الجيش الروسي آنذاك، أظهر إعجاباً زائداً بحكمتها وقدراتها على التفاوض من دون التنازل عن كرامة شعبها، وشهد لها أنها كانت تعرف كيف تتحمل مسؤولية أتباعها.[3]

لسنوات طويلة، كانت عديلة خانم زوجة عثمان پاشا جاف، صاحبة النفوذ الأقوى في إدارة شؤون قبائل جاف، إن خلال حياة زوجها بصفة مستشارة وممثلة له، أو بعد مماته، حين أخذت المسؤولية على عاتقها، باعتبار أن هذا الحق شرعي لها، مكتسبة نفوذاً كبيراً في سهل شهرزور والمناطق المجاورة للحدود التركية الإيرانية. وبفضل دهائها ونشرها العدالة استعادت مدينة حَلَبْجَة موقعها التجاري في المنطقة، وساد القانون في مقاطعات كانت تعمها الفوضى.[4] حفصة خان ابنة عم الشيخ محمود وشقيقة زوجته، هي

---

(1) كوينيه، 2: 717، م س رقم 44.

(2) علي حسنياني، «الضيافة الكردية،» هوار 1: 7-8 (بالفرنسية، مرجع 93).

(3) نيكيتين، «بعض الملاحظات،» 670، م س رقم 193؛ ونيكيتين، «المشكلة الكردية،» 255، م س رقم 192.

(4) سون، إلى بلاد ما بين النهرين وكردستان، أماكن متفرقة، م س رقم 241؛ ج. م. =

سيدة أخرى من سيدات جنوبي كردستان اللواتي ذاع صيتهن، إذ بادرت إلى حماية عدد من الجنود الإنكليز الأسرى لدى ابن عمها الشيخ محمود أثناء تمرده على البريطانيين، فبادرها الإنكليز بإلغاء أحكام الإعدام التي صدرت بحق العديد من الزعماء الكرد، بعد التمكن من القضاء على تمرد الشيخ محمود.[1]

وأخيراً، لدينا الأميرة الإيزدية مايان خاتون، المرأة المتميزة بطاقاتها وقدراتها، مما سمح لها أن تبسط نفوذها على الإيزديين ما يقارب النصف قرن من الزمن. شاركت زوجها علي بگ في إدارة شؤون الإيزديين، واستمرت كذلك حتى اغتياله عام 1913. لكن هذا، لم يحل دون استمرارها باحتلال مكانتها العليا في المجتمع الإيزدي أو الحد من نفوذها وبخاصة خلال فترة حكم ابنها سعيد بگ الذي تحول إلى حاكم صوري، وهي الحاكمة الفعلية، وخلال فترة حفيدها، تحسين بگ الذي تولت حضانته بعد وفاة والده عام 1949. واستناداً إلى دملوجي، إنها المرأة الخارقة الذكاء، الواسعة الحيلة والمرأة الأكثر احتراماً ومهابة في المجتمع الإيزدي.[2]

الزواج

الزواج في القبائل الكردية، تحكمه الشريعة الإسلامية والعادات والأعراف الكردية. وكما يحق للرجل المسلم الزواج من أربع نساء، كذلك

= ليسْ، «عامان في جنوب كردستان،» مجلة جمعية آسيا الوسطى الملكية 15، الجزء 3، 253-77 (بالإنكليزية، مرجع 135)؛ وسون، «الكردي الجنوبي،» 44-45، م س رقم 240.

(1) بارث، 120-21، م س رقم 19؛ عن حفصة خان، انظر الحاشية (2)، الفصل 10 من هذا الكتاب.

(2) الدملوجي، الإيزدية، 32-33، كذلك 18، 20، م س رقم 294.

يحق للرجل الكردي، لكن تعدد الزوجات نادر جداً في المجتمع الكردي، وحدهم الأثرياء قادرون على فعل هذا؛ وبالتالي فإن الكردي المتوسط أحادي الزواج.[1] وكنتيجة للحرية المعطاة للمرأة الكردية فالزواج يكون، في الأغلب الأعم، نتيجة حب، وليس بناء لتدبير عائلي.[2] بشكل عام، الرجل الكردي إنسان عطوف، حنون، مخلص لعائلته. لذا فالطلاق، مثله مثل تعدد الزوجات، نادر جداً في أوساط الطبقات المتوسطة والفقيرة، أما عند الأغنياء فهو يحدث وفاقاً للثروات والرغبات.[3]

حين يرغب الرجل الكردي بالزواج، يرسل أحد كبار عائلته، أو أحد الأصدقاء من ذوي المقامات ليطلب يد الفتاة التي اختارها أن تكون شريكة حياته. ويتفاهم هذا المندوب مع والد الفتاة، على جميع أمور الاستعداد للزواج بما فيها تحديد قيمة المهر أو الصداق[4] الذي هو مبلغ من المال

(1) «كردستان.» في موسوعة البعثات التبشيرية: الوصفي، التاريخي، البيليوغرافي والإحصائي، ط 2، تحرير إدوين بليس، وهنري دوايت وهنري آلَن تَبِر، 530 (بالإنكليزية، مرجع 124)؛ سون، إلى بلاد ما بين النهرين وكردستان، 396 م س رقم 241؛ و. ر. هيّ، عامان في كردستان، 44، م س رقم 101؛ نيكيتين، «بعض الملاحظات،» 670، م س رقم 193؛ بوَا، روح الكرد، 31–32، م س رقم 27؛ والدملوجي، إمارة بهدينان، 170، م س رقم 293.

(2) ك. بدرخان، 241، م س رقم 21؛ سون، إلى بلاد مابين النهرين وكردستان، 237، 397، م س رقم 241؛ الدملوجي، إمارة بهدينان، 170، م س رقم 293.

(3) الدملوجي، إمارة بهدينان، 170، م س رقم 293؛ ك. بدرخان، 241، م س رقم 21؛ بوَا، روح الكرد، 32، م س رقم 27.

(4) بارث، 26، م س رقم 19، قدم و. ر. هيّ وصفاً شيقاً لتجربته مع عضو في وفد أرسله آغا كردي لطلب شقيقة شيخ قبلي. ناقش مبلغ المهر وذكر أن بعض شيوخ القبائل دفعوا خمسمائة جنيه مهراً لسيدة من منزلة عالية. عامان في كردستان، 257–59، 44، م س رقم 101. واعتبر ليتش هذا الرقم مرتفعاً للغاية. ووفاقاً له، كان يبالغ غالباً في المهر لغرض إظهار المرأة بأحسن من حقيقتها. ليتش، 44–45، م س رقم 133.

يقدمه العريس لوالد الفتاة أو ولي أمرها. ويجمع الكتاب على أنه يحق للوالد أو لولي أمر الفتاة الاحتفاظ بهذا المبلغ لنفسه.[1] ووفاقاً لكاميران بدرخان، يحتفظ الأهل بهذا المبلغ لفترة من الزمن ليضمنوا أن الصهر سيعامل ابنتهم باللين والحسن، ومن ثم - وبعد سنوات - يعيدون المبلغ إلى العريس.[2] دملوجي يتحدث عن هذا الصداق، لكنه لا يشير إلى من يحتفظ به.[3] بالإضافة إلى المهر، يقدم العريس عادة بعض الهدايا للعروس ووالدها، أو والديها معاً. ويتحدث و. ر. هيّ عن مبلغ يدفعه العريس فيما بعد، في حال حصول طلاق.[4]

تبدأ احتفالات الزواج بقراءة بعض الآيات القرآنية ذات الصلة، يتلوها ملّا (الشيخ)؛ وتعتبر احتفالات الزواج مناسبة مهمة يشارك فيها الأهل والأقارب وأهل الضيعة بكاملها. وهناك عادة متعارف عليها في المجتمع

---

(1) بارث، 28، م س رقم 19؛ ليتش، 44-45، م س رقم 133؛ وو. ر. هيّ، عامان في كردستان، 44، م س رقم 101.

(2) ك. بدرخان، 241، م س رقم 21.

(3) الدملوجي، إمارة بهدينان، 169، م س رقم 293. وفاقاً للشريعة الإسلامية، يعود المهر أو الصداق للمرأة. وفي بلاد العرب قبل الإسلام، كان الصداق يعطى إلى الزوجة غير أن المهر كان يعطى إلى أبيها أو ولي أمرها. وبعد ظهور الإسلام، أدمج الاثنان وأصبحت كلمتا المهر والصداق تستعملان على نحو متبادل. ثمة نوعان من المهر وفاقاً للشريعة الإسلامية: مهر المثل، أو المهر غير المحدد، الذي يتناسب مع مركز العروس وثروتها وصفاتها، والمهر المسمى أو المهر المتميز. يمكن أن يقسم النوع الثاني إلى قسمين: المقدم، وهو المهر السريع أو الفوري وهو واجب للدفع قبل إكمال الزواج؛ والمهر المؤجل، الواجب الدفع لدى انحلال الزواج بسبب موت الزوج أو الطلاق. أو. سپيس، «المهر»، في الموسوعة الإسلامية، ط 1، 5: 137-38 (بالإنكليزية، مرجع 246)؛ وجوزيف شاخت، «النكاح»، في الموسوعة الإسلامية، ط 1، 6: 912-14 (بالإنكليزية، مرجع 233).

(4) و. ر. هيّ، عامان في كردستان، 44، م س رقم 101. من الواضح أن هذه «التسوية» التي يشير إليها و. ر. هيّ هي المهر المعجل المذكور في الحاشية السابقة.

الكردي، تقضي بوقوف البرازافا (أي أخ العريس) على باب غرفة العروسين ليلة الدخلة. وهو من يعلن انتهاء عملية النكاح.[1] واستناداً إلى نيكيتين يطلق هذا الرجل طلقاً نارياً، وفي الأغلب الأعم، العريس هو من يفعل ذلك.[2] إشبينة العروس، البربوري، تتولى مهمة السماح للأهل والأصدقاء رؤية «أمارة العذرية».[3]

يعتبر زواج الفتاة من ابن عمها هو الزواج الأكثر شيوعاً في المجتمع الكردي[4] خصوصاً في أوساط المجتمعات القبلية. هذا الزواج المبني أساساً على رابطة الدم والمصالح السياسية بشكل عام،[5] يوفر للطرفين نوعاً من التفوق في المجالين الاقتصادي والسياسي، خصوصاً أن ابن الأخ، يدفع مهراً أقل من الغرباء، وأحياناً لا يدفع. وفي هذه الحال يكتفي والد العروس بالدعم السياسي والمعنوي الناتج من هذا الزواج.[6] فوق هذا فزواج الفتاة من ابن عمها هو عرف إسلامي متوارث منذ قرون،[7] لكن انتشاره في المجتمع الكردي، لا يعني أبداً أنه مأخوذ عن جذور إسلامية.[8]

(1) بوَا، روح الكرد، 39، م س رقم 27. يلفت بوَا الانتباه إلى وجود الممارسة بين قدماء اليهود المذكورة في سفر التثنية 22: 15.

(2) نيكيتين، «الحياة الداخلية الكردية،» 342، م س رقم 199.

(3) بوَا، روح الكرد، 39، م س رقم 27.

(4) ليتش، 19-21، م س رقم 133؛ وبارث، 26 والصفحات التالية، م س رقم 19.

(5) بارث، 28، م س رقم 19.

(6) م ن.

(7) للاطلاع على مناقشة جيدة عن ممارسة زواج أبناء العمومة بين العرب والساميين عموماً وانتشار هذه المؤسسة بوصفها تنظيماً اجتماعياً إسلامياً، انظر برندا ز.سليغمان، «دراسات في القرابة السامية. 2. زواج أبناء العمومة،» نشرة مدرسة الدراسات الشرقية، 3: 263-79 (بالإنكليزية، مرجع 237).

(8) يشك بارث أن الميل نحو زواج الأقارب في المنطقة نتيجة التأثير الإسلامي. ويتفق =

هناك نوع آخر من الزواج زين - با - زين *zhin-ba*-، أي امرأة مقابل امرأة. بمعنى أوضح، أن يتزوج شابان، كل من شقيقة الآخر، وفي هذه الحال يتم الاستغناء عن دفع المهر، وهذا مفيد للعريسين معاً[1]. الزواج ضمن العائلة، شائع في المجتمعات القبلية، بينما الزواج من خارج العائلة فهو أكثر شيوعاً في المجتمعات الحضرية التي أخذت تتخلى عن العادات والأعراف القبلية.

أحكام المذهب الشافعي هي التي تحدد كيفية إتمام الزواج. وتعطي للوالد الحق بتزويج ابنته من دون أخذ موافقتها. سواء أكانت قد بلغت سن الرشد أم لم تبلغه. واستناداً إلى المذهب الشافعي، الزواج الشرعي هو عقد يتم بين العروس وولي أمر الفتاة. وفي حال وفاة الأب، تنتقل هذه الولاية - ولاية أمر العروس - إلى أحد الأقارب الذكور من جهة الأب وللجد الأفضلية في حال كان لايزال على قيد الحياة، وإلّا يصبح الأخ هو ولي الأمر. والجدير بالذكر، أنه يحق للوالد وحده أو للجد إجبار الفتاة على الزواج ممن وافقا عليه، ولهذا السبب سمي «بالولي الملزم أو المجبر».[2]

= مع لوتزبيتاك (Lutzbetak) (الزواج والأسرة في بلاد القوقاز) أن الأنماط غير الإسلامية أو ما قبل الإسلامية لزواج الأقارب موجودة في الشرق الأوسط. ويعرف أن زواج الأقارب قد وجد في مصر وسومر وعيلام والجزيرة العربية وفارس حيث كان زواج الأخ من الأخت سمة شائعة للنسل الملكي، وفي منطقة القوقاز-أرمينيا، حيث زواج الأقارب حقيقة أساسية للتنظيم الاجتماعي. بارث، 136 وما بعدها، م س رقم 19.

(1) م ن، 27.

(2) محيي الدين أبو زكريا يحيى بن حزام النووي، منهاج الطالبين: دليل الفقه الإسلامي بموجب حكم الشافعية، مج 2، النص العربي والترجمة الفرنسية للودفيك وليم ڤان دين بيرغ، 321-23 (بالعربية، مرجع 306)؛ شاخت، «النكاح.» راجع، بارث، 30، م س رقم 19.

مهما يكن، فهناك خرق لهذه العادات، إما من قبل الأب وإما من له حق الولاية على الفتاة، وقد تكون لهذا الخرق أسباب خاصة. كذلك قد يتم هذا الخرق من قبل العروسين. في منطقة بارزان؛ واستناداً إلى جياووك، يتم الزواج بحضور الاثنين الراغبين به أمام أحد شيوخ بارزان ويعترفان هنا أنهما يحبان بعضهما بعضاً ويرغبان بالزواج. فيرسلهما الشيخ إلى ملّا – شيخ الدين – الذي يقيم مراسم عقد القران، «سواء أكان الوالد، أو ولي الأمر، موافقاً عليه أم لا.» ويضيف جياووك إن الزواج يتم في معظم الحالات بموافقة أولي الأمر.[1]

وهناك «زواج الخطيفة» الذي يتم عادة في حال عدم موافقة الوالد أو ولي الأمر، وفاقاً لما تقتضيه الشريعة، ويتم هذا النوع الذي هو أقرب إلى التحايل بتشجيع من أناس قادرين على التقليل من معارضة ولي الأمر. واستناداً إلى دملوجي، رغم أن زواج الخطيفة لا يلقى تشجيعاً في مناطق كردية معينة إلّا أنه منتشر في مناطق أخرى.[2] ويشير إلى أن هذا الزواج هو نتيجة حب متبادل، ولا يسمح لطرف أن يجبر الطرف الآخر عليه.

واستناداً إلى دملوجي أيضاً، تقضي الأعراف أن يأخذ الخاطف الفتاة إلى مسافة مرحلتين بعيدة عن أهلها، حيث يتزوجان. ووفاقاً للشريعة الشافعية، سلطة الأب أو ولي الأمر للموافقة على الزواج، لا تمتد إلى مسافات بعيدة. ولهذا يفترض بالخاطف، أخذ عروسه إلى مناطق لا تصل إليها سلطة الأب أو ولي الأمر. بعد الزواج يتدخل وسطاء من أصحاب المقامات لإجراء مصالحة بين العائلتين: عائلة أهل العريس وعائلة أهل العروس، بعد دفع المهر أو الصداق الذي بالإضافة إليه، يدفع العريس مبلغاً إضافياً يسمى حق

(1) جياووك، 54، م س رقم 302.

(2) وفاقاً للدملوجي، يقبل الإيزديون هذه الممارسة خصوصاً. انظر الدملوجي، إمارة بهدينان، 168، م س رقم 293، وخصوصاً كتابه الإيزدية، 280–81، م س رقم 294.

كريتي أو التعويض عن الإساءة والإهانة التي لحقت بأهل العروس نتيجة عملية الاختطاف. والجدير بالذكر أن هناك استحالة أحياناً، في إتمام هذه المصالحة، خصوصاً في حال عدم التكافؤ الاجتماعي بين الطرفين مما قد يؤدي إلى أعمال عنف.[1]

اختطاف امرأة متزوجة، وهو نادر جداً، يعتبر قمة الإهانة.[2] يخبرنا دملوجي عن كيفية التحايل في مثل هذه الحالات النادرة جداً فيقول: منعاً للإحساس برجمة العار وتوجيه تهمة الزنى، يتم التحايل بمساعدة رجل دين يقبل الرشوة، إذ تحضر أمامه ويطلب منها التنكر للدين الإسلامي، واعتناق المسيحية أو اليهودية. وهكذا يصبح زواجها من زوجها الأول باطلاً بطلاناً كاملاً بسبب ارتدادها عن الإسلام. وتعود المرأة ذاتها في اليوم التالي أو بعد يومين على أبعد تقدير إلى مجلس ملّا (الشيخ) وتعلن إسلامها من جديد. فيزوجها من الرجل الذي هربت من بيتها لأجله.[3] في منطقة وشنوه واستناداً إلى نيكتين، في حال اختطاف امرأة متزوجة أو فتاة يلزم الخاطف بدفع مبلغ

---

(1) الدملوجي، إمارة بهدينان، 168-69، م س رقم 293.

(2) يشيع هرب النساء المتزوجات مع رجال يتمّ اختيارهم بين الإيزدية أكثر منه بين الكرد. ويرى الدملوجي أنه يجب البحث عن السبب في وضع النساء الإيزديات الاجتماعي الأقل شأناً حيث يزوجهن أولياء أمورهن وهن في سن شابة وغالباً ما يكون ذلك ضد إرادتهن إلى أزواج يخضعونهن إلى معاملة قاسية. الدملوجي، الإيزدية، 281-82، م س رقم .294

(3) الدملوجي، إمارة بهدينان، 169-70، م س رقم 293. من اللافت للاهتمام في هذا الصدد أنه في الهند وإندونيسيا تلجأ النساء الراغبات في إنهاء زواجهن إلى الخداع بالارتداد عن طريق التواطؤ مع المحاكم الشيعية. ج. شاخت، «الطلاق،» في الموسوعة الإسلامية، ط 1، 8: 636-40 (بالإنكليزية، مرجع 234). للاطلاع على تفاصيل الوضع في الهند، انظر أسعد علي أصغر فيزي، مختصرات الشريعة المحمدية، 156-57 (بالإنكليزية، مرجع 86).

من المال، لزوج المرأة، أو لوالد الفتاة يسمى الدويتانه وهي كلمة مشتقة من كلمة دِوِتْ التي تعني «دواة» أو محبرة.[1]

الولادة

حين تشعر امرأة حامل أنها على وشك الولادة تهرع النسوة الجارات، وكبيرات السن عادة للمساعدة ويلعبن دور القابلة القانونية.[2] واستناداً إلى بارث، توضع الأم والمولود الجديد، خصوصاً إذا كان صبياً، تحت الحراسة لسبعة أيام بنهاراتها ولياليها، لحمايتهما من روح شريرة معينة تسمى شاوا التي يعتقد أنها امرأة عاقر، تحسد النساء اللواتي ينجبن أطفالاً وتسعى لإيقاع شرها عليهن أو على مواليدهن، إذا كانوا ذكوراً بخاصة. ولتأمين الحماية الزائدة للطفل المولود، توضع في سريره سكين وإبرة كبيرة، أو ورقة بصل. كما وهناك اعتقاد أن المشعوذة هذه لا تتعب نفسها كثيراً، بالمواليد الإناث، لذا يكتفى بوضع السكين أو ورقة البصل في سرير الطفلة.[3]

واستناداً إلى نيكيتين الذي كتب عن العادات لمثل هذه الأحوال في كردستان الوسطى، يحرس المولود الذكر ستة أيام من دون انقطاع من قبل نساء من الأقارب. وفي الليل تشدد الحراسة، لأن الروح الشريرة المسماة شِشِه (وهي كلمة مشتقة من الكلمة الكردية شاش وتعني الرقم ستة) لأن هذه الروح الشريرة كما يعتقد تأتي ليلاً لتقتل الطفل المولود، وأنه لهذا توقد النار أمام مدخل البيت أو الخيمة وتضاء الأنوار، لإبعاد تلك الروح. وفي الوقت

(1) نيكيتين، «الحياة الداخلية الكردية،» 341، م س رقم 199.
(2) للاطلاع على مناقشة مفصلة للمعتقدات والممارسات المرتبطة بالولادة في كردستان الوسطى، انظر م ن، 339-40.
(3) بارث، 112، م س رقم 19.

ذاته، وعند بداية الأيام الستة هذه، توضع قطعة ثياب، يباركها الشيخ، في المنزل لتطرد الأرواح الشريرة والأبالسة.[1]

يختن الأطفال عادة في أي وقت قبل سن البلوغ، ويقوم الحلاق عادة بعملية الختان هذه لثلاثة أطفال على الأقل في الوقت ذاته. وجرت العادة أن يدفع الأب الميسور كل التكاليف.[2] وهناك كرد يجرون عملية الختان للفتيات أيضاً وتسمى (خفض).[3]

الشيوخ

إن الدور الذي يلعبه الشيخ في الحياة الاجتماعية والسياسية عند الكرد، يقتضي إجراء مناقشة واقعية عن مكانته في المجتمع الكردي. إن إلقاء نظرة، ولو سطحية على تاريخ كردستان، تكشف أن زعامة الشيوخ في الحياة الكردية لا تعود إلى أكثر من مئة سنة. وتحديداً إلى تاريخ اختفاء آخر إمارة كردية كانت تتمتع بالحكم الذاتي. فوق هذا كله تفهم شخصية الشيخ وطبيعة المشيخة يلقي الضوء على الخصائص الدينية الكردية، خصوصاً وأن الشيخ هنا، يلعب دور قائد ديني وسياسي.

(1) نيكيتين، «الحياة الداخلية الكردية،» 340، م س رقم 199. توجد العقائد والممارسات نفسها المتعلقة بـ الشيشة بين النساطرة في سهل أورميا. انظر بازيل نيكيتين، «خرافات الكلدانيين في سهل أورميا،» مجلة الاثنوغرافيا والتقاليد الشعبية 4، عد. 14، 16 وما بعدها (بالفرنسية، مرجع 197). تعرف هذه الروح الشريرة بين النساطرة الجبليين باسم خواراها. ويراقب الطفل كذلك نهاراً وليلاً ويحمى ببصلة ومشط حديدي. ويغرام وويغرام، 306، م س رقم 273.

(2) بارث، 150، م س رقم 19.

(3) هـ. أراكليان، «الكرد في فارس،» في جلسات مؤتمر المستشرقين الدولي الثالث والعشرين – هامبورغ، أيلول| سبتمبر، عام 1902، 150 (بالألمانية، مرجع 7).

أصول الشيوخ ونشأتهم

بالعودة إلى بداية تاريخ مؤسسي عائلات الشيوخ في كردستان، تبين لنا أنهم رجال يتمتعون بمزايا لا يتمتع بها غيرهم، مثل الصفات الحسنة، والمزاج السلس، والتمتع بالطاقة التي تجعلهم مختلفين إيجابياً عن غيرهم. هكذا ولربما، هذه الصفات هي التي خولتهم القيام بمهام القادة الدينيين السياسيين.

في أواسط الثلاثينيات من القرن العشرين، بحث بيير روندو في تاريخ عدد من العائلات التي أنجبت الشيوخ، فتوصل إلى أن هناك قاسماً مشتركاً يجمع بينها، ألا وهو التمتع بصفات مميزة. واستناداً إليه، معظم هذه العائلات هي عائلات وافدة استوطنت أماكن معينة، جمع أفرادها عدداً من المناصرين والمؤيدين، واشتهروا بالورع والتقوى، وأقاموا علاقات مصاهرة مع العائلات صاحبة النفوذ والسلطة.[1] إن الهدايا المتنوعة التي لا تحصى، والتي تلقوها من أنصارهم ومؤيديهم، مكنتهم من تكديس الثروات، مادياً وعقارياً، مما عزز من نفوذهم وسلطتهم وتأثيرهم.[2] إن ما توصل إليه روندو يؤكد النتائج التي توصل إليها كتاب آخرون، أولوا اهتماماً لدراسة تاريخ العائلات المشيخية.

معظم العائلات المشيخية، بلا استثناء، هي عائلات وافدة، لا تنتمي إلى أي قبيلة، وحتى لم تولد في المكان الذي اكتسبت شهرتها فيه. واستناداً إلى روندو، إن الميل نحو الهجرة الذي يلقي الضوء على بداية تاريخ الشيوخ، يقدم برهاناً على صحة القول المأثور «ما من نبي مكرم في بلده.»[3] والأمثلة التالية تثبت صحة ما اعتقده روندو.

شيوخ النهري في القسم التركي من شمدينان يعودون في نسبهم إلى

(1) روندو، «قبائل جبليي آسيا الوسطى...،» 42–47، م س رقم 227.

(2) م ن.

(3) م ن، 44.

الشيخ عبد العزيز ابن الشيخ عبد القادر الگيلاني البغدادي،[1] فيما يعود شيوخ برزنجة في القسم العراقي من السليمانية في نسبهم إلى أخوين أتيا كردستان قادمين من بلاد فارس، قبل نحو من ستة قرون.[2] كذلك الشيخان، عبيد الله الخالاني وعبيد الله الشيخ زينو الراوندوزي يعودان في نسبهما إلى شيخ أتى من منطقة لاهيجان في بلاد فارس.[3] شيوخ پالو في تركيا، يعودون في الأصل إلى عائلة كانت تقيم في السليمانية.[4]

أول ما على الشيخ فعله حين يأتي إلى مكان إقامة جديد، هو اكتساب سمعة أنه إنسان تقي ورع، وفاعل خير. لا شك أيضاً، أن الصلاة بانتظام والصوم والتواضع، خصائص تترك أثرها في نفوس الكرد الجبليين المعروف عنهم تمردهم واعتدادهم بالقوة والقدرة على البطش.[5] واستناداً إلى مراقب

(1) م ن، 45. للاطلاع على تاريخ مفصل عن الشيخ نهري، انظر نيكيتين، «شمدينان،» م س رقم 195.

(2) بارث، 62، م س رقم 19.

(3) و. ر. هيّ، عامان في كردستان، 257، م س رقم 101. الشيخان المشار إليهما هنا هما الشيخ عبيد الله والشيخ علاء الدين. وصف هيّ على نحو خاطئ بأنهما «أولاد عم،» على الرغم من أن الأول هو في الحقيقة ابن عم الثاني. ليتش، 8، م س رقم 133.

(4) روندو، «قبائل جبليي آسيا الوسطى...،» 46، م س رقم 227.

(5) للاطلاع على الصلوات المجهدة والتمارين الدينية التي يمارسها الصوفية، انظر لويس ماسينيون، «الطريقة،» في الموسوعة الإسلامية، ط 1، 8: 667 (بالإنكليزية، مرجع 153)؛ ماسينيون، «التصوف،» في الموسوعة الإسلامية، ط 1، 8: 681 (بالإنكليزية، مرجع 154)؛ ديڤيد بروس مكدونالد، «الذِكْر،» في الموسوعة الإسلامية، ط 1، 2: 958 (بالإنكليزية، مرجع 144)؛ مكدونالد، «الدرويش،» في الموسوعة الإسلامية، ط 1، 2: 949-51، والببليوغرافيات المتضمنة فيها (بالإنكليزية، مرجع 144).

عاشر الكرد لفترة ليست قصيرة، «يلعب الزهد دوراً مهماً في إعطاء الشيخ هالة من الاحترام والإكبار والتبجيل. عرف أن شيخاً، تعود أن يصوم أربعين يوماً لتسع سنوات متوالية، فلا يأكل يومياً، إلّا ثمرة تين واحدة ويشرب القليل من الماء.»[1]

مؤسسو المشيخة لعائلتي الخالاني والشيخ زينو، أقاموا تكايا لمساعدة المسافرين أيام البرد القارس عبر الجبال المؤدية إلى خالان.[2] «وهكذا» واستناداً إلى ما كتبه و. ر. هيّ، «اكتسبوا شهرة واسعة، إنهم فاعلو خير وأناس تقاة ورعون.»[3]

ويوفد الشيوخ عادة، رسلاً من قبلهم لإجراء مصالحات بين العائلات المتنازعة، وعن هذه الأشياء يقدم ريتش مثلاً يتعلق بالصراع بين أفراد عائلة بابان في السليمانية.

وأخيراً، وقبل أن ينفذ محمود باشا قراره بالاستسلام للترك، ذهب لزيارة الشيخ خالد، أو ناسك السليمانية، يرافقه عمه عثمان وأخوه سليمان، حيث أعلن هؤلاء الثلاثة تحالفهم مع محمود باشا. وأقسموا على السيف والقرآن، وبطلاق زوجاتهم،[4] أن أي رسالة

(1) صموئيل غراهام ويلسن، الحياة والتقاليد الفارسية، 103 (بالإنكليزية، مرجع 277).

(2) و. ر. هيّ، عامان في كردستان، 257، م س رقم 101. يبدو أن هذه القرية كانت تعرف بدار الأمان في زمن و. ر. هيّ. وبيّن ليتش أنها مجرد اسم آخر لخالان. ليتش، 8، م س رقم 133.

(3) و. ر. هيّ، عامان في كردستان، 257، م س رقم 101.

(4) يعترف بهذه الأشكال من القسم في الدول الإسلامية. وعندما يؤدي رجل القسم ويعلن طلاقه، تطلق منه زوجته تلقائياً ما لم يرجع عن القسم في غضون أربعة أشهر. جوس بِدرسِن، «القَسَم،» في الموسوعة الإسلامية، ط 1، 4: 783–85 (بالإنكليزية، مرجع 205).

تأتي إلى أي منهم، إن من الترك أو من الفرس، لن تفض إلّا في منزل الشيخ خالد وبحضور جميع الأطراف التي عقدت هذا الاتفاق.[1]

كذلك على الشيخ جمع الأنصار حوله والمحاسيب، لإظهار هيبته من جهة وحماية منزله وممتلكاته. كذلك عليه حماية أتباعه، وما فعله شيوخ آل البارزاني خير دليل على ذلك، إذ وقفوا إلى جانب فلاحي منطقة زيبار، في مواجهة الآغا الذي تعود اغتصاب ملكيتهم وحرمانهم من القسم الأكبر من محاصيلهم؛ وبعد العديد من المعارك الدموية تمكن الشيخ بارزاني من القضاء على نفوذ الآغا، ليصبح هو سيد منطقة زيبار بأكملها.[2] واستناداً إلى بارث كان هناك عدد كبير من المساكين - غير القبليين - في عداد أنصار الشيخ بارزاني.[3]

على الشيخ أيضاً معرفة كيفية الحفاظ على مكانته ومهابته بين المناصرين والأتباع. يروي ريتش أن محمود باشا والقسم الأكبر من أفراد عائلة بابان كانوا من أنصار الشيخ خالد النقشبندي.[4] وامتداد نفوذ الشيخ عبيد الله في أوساط جميع القبائل الكردية، حصل أثناء الحملات الفارسية على بلاد الكرد، الذين وجدوا أنفسهم في حالة من الضعف، فأقدم عدد كبير من زعماء القبائل والآلاف من أتباعهم على وضع أنفسهم تحت تصرفه ورهن إشارته. حمزة آغا زعيم قبائل المنگور المشهود لها بقدراتها، أرسل للشيخ عبيد الله

(1) ريتش، حكاية إقامة في كردستان، 1: 147-48، م س رقم 216. انظر أيضاً الحاشية (4) من هذا الكتاب.

(2) الدملوجي، إمارة بهدينان، 131-32، م س رقم 293.

(3) بارث، 83، م س رقم 19. المساكين هم الفلاحون غير المنتمين إلى قبيلة والقاطنين في أراضي هماوند في منطقة السليمانية.

(4) ريتش، حكاية إقامة في كردستان، 1: 141، م س رقم 216.

رسالة يرجو فيها مساعدته بالرجال والسلاح، وعنون الرسالة قائلاً «يا صاحب السمو»، وختمها ملتمساً «كلي ثقة أنك ستذكرني في صلواتك.»[1]

للمصاهرة مع الأعيان والوجهاء دور كبير في إثبات شخصية الشيخ الوافد حديثاً إلى منطقة ما،[2] وبعد إحرازه السمعة الطيبة، ونشر نفوذه، يأخذ بالتطلع إلى مصاهرة العائلات الأكثر تعداداً ومكانة وهكذا يرتفع مقامه، ومقام عائلته إلى مستوى العائلات التي يحسب لها حساب، وذات المهابة، وبهذه الطريقة، تمكنت العائلات المشيخية الشمدينانية والبرزنجية المشهود لها في كردستان، من إقامة تحالف من خلال المصاهرة والتزاوج مع أمراء العمادية البهدينانيين الشهيرين.[3] ويعطي و. ر. هيّ رواية مفيدة عن المفاوضات لإتمام زواج كان الشيخ محمود آغا شيخ منطقة والاش [4] قد طلب منه الانضمام إلى الوفد الذي أرسله لطلب يد أخت الشيخ عبيد الله الخيلاني وزينو الشيخ.[5]

اتباع سياسة المصاهرة، تتطلب حكمة وبعد نظر تمكن من خلاله الشيخ سعيد برزنجي من تقدير أهمية قبائل الهماوند المستقبلة، واستناداً إلى ما قاله سون:

---

(1) المرفق في الرسالة رقم 84 الموجهة من السيد تومسن، الوزير المفوض البريطاني في فارس، إلى إيرل غرانفيل، وزير الخارجية البريطاني، طهران، 23 كانون الأول/ ديسمبر، 1880، في بريطانيا العظمى، مراسلات بشأن الغزو الكردي لفارس، تركيا الرقم 5 (1881)(من الآن فصاعداً تركيا الرقم 5) (بالإنكليزية، مرجع 319).

(2) روندو، «قبائل جبليي آسيا الوسطى...» 44، م س رقم 227.

(3) سون، تقرير عن منطقة السليمانية، 98، م س رقم 356. وفاقاً لسون، بعد أن تحالف الشيوخ البارزانيون مع أمراء العمادية عن طريق المصاهرة، احتفظوا لبناتهم وقريباتهم بلقب «خان»، الذي كان لا يحق حمله لغير عضو من الأسر الرفيعة المقام.

(4) لم يكن الشيخ محمد من قبيلة باليك رجل دين. منحه قريب كان شيخاً حقيقياً لقب الشيخ محمد لدى ولادته. ليتش، 3، م س رقم 133.

(5) و. ر. هيّ، عامان في كردستان، 257-59، م س رقم 101.

نتيجة لأحداث 1881، تبيّن أن الهماوند كانوا قاب قوسين أو أدنى من السيطرة على السليمانية والقضاء على العائلة [عائلة الشيوخ البرزنجة]، أدرك الشيخ سعيد أهمية هذه القبيلة الصاعدة، كما أدرك أهمية جعلها سلاحاً بيده، وإمكانية جعلها تحت سيطرته، من خلال إقامة علاقة تزاوج ومصاهرة معها. هذه السياسة الحكيمة التي اتبعها الشيخ سعيد، نجحت عام 1918، حين وجدت القبائل نفسها غير قادرة على عدم إطاعة الشيخ الذي أعلن الثورة.[1]

عام 1944، حين كان شيوخ بارزان في حالة ثورة ضد الحكومة العراقية: توصلوا إلى ضرورة التحالف مع أعدائهم آغوات زيبار لعدة أجيال، وكنتيجة لهذا التصرف الذكي، «تضاعفت قوتهم وثروتهم»، استناداً إلى ما يقوله لونگريگ.[2]

إحدى أهم الحقائق بداهة، إنّ الثروة هي العنصر الأهم في امتلاك القوة، خصوصاً في مجتمع بدائي - شبه متخلف - كالمجتمع الكردي، حيث تلعب القوة دورها في نسيج المجتمع وتحدد له نشاطاته. والثروة هي أهم مفاتيح القوة، وتبطل أهمية الضمير عند الفرد. وهكذا يصبح امتلاك الثروة هو الشغل الشاغل لفعل وتفكير الشيخ الوافد حديثاً إلى منطقة معينة.

امتلاك الثروة يجعل الشيخ قادراً على اجتذاب الأنصار والاهتمام بهم وإطعام قومه وتسليحهم، والاهتمام بعدد كبير من الآتين إلى مراكز العناية التي أقامها طلباً للمساعدة والحماية. ثروة الشيخ، تتكون في الأساس من الهدايا التي يقدمها الأنصار، كباراً أو صغاراً. وقد جرت العادة، وليس إلزاماً،

(1) سون، إلى بلاد مابين النهرين وكردستان، 190، م س رقم 241. كذلك، سون، تقرير عن منطقة السليمانية،99، م س رقم 356.

(2) ستيفن لونگريگ، العراق، 1900-1950: التاريخ السياسي والاقتصادي. 326 (بالإنكليزية، مرجع 141).

أن يقدم الأنصار هدية، ولو متواضعة، للشيخ لدى زيارتهم له.[1] مهما يكن، فزعماء القبائل والأمراء، هم المصدر الأساسي لتلك الهدايا، والثمينة منها بخاصة.

استناداً إلى بارث إن ثروة شيوخ البرزنجة، تعود إلى ما أهدته لهم عائلة بابان من أملاك واسعة وقرى بما فيها سكانها.[2] ويمضي بارث مقدماً بعض التفاصيل عن امتلاك شيوخ البرزنجة لتلك الثروة ويقول:

منذ البداية المتواضعة في زمن نفوذ آل بابان، وثروة تلك العائلة - برزنجة - تنمو باضطراد. ويبدو أن أساليب شراء الأراضي، أو وضع اليد عليها، التي كانت سائدة أيام العثمانيين، كانت تتبع بدقة حيث بإمكان المقربين من السلطان شراء الأراضي الأميرية بأبخس الأسعار. ومصدر الدخل الرئيس الذي يجعل بالإمكان القيام بمثل تلك العمليات متمثل في امتلاك بازار السليمانية (حتى اليوم، [ربع] البازار تمتلكه عائلة الشيخ والربع الثاني ملكية بلدية).[3]

امتلاك الضيع والأراضي، يعطي الشيخ القدرة على التحكم بالسكان والمزراعين؛ وتأمين حمايتهم، من خلال إسكانهم في أملاك الشيخ، والإحساس أنهم مقربون جداً لهذا الرجل المقدس، يجعلهم أكثر ولاء له وإطاعة. هذه القرى وتلك المساكن تصبح خزان قوة الشيخ، لذا نرى بوضوح، أن الشيخ عبيد الله، وقبيل غزواته على بلاد فارس، كان ناشطاً في شراء الأراضي والقرى على امتداد الحدود التركية - الفارسية.[4]

---

(1) بارث، 84، م س رقم 19.

(2) م ن، 62.

(3) م ن، 63.

(4) المرفق 2 في رسالة من القنصل العام أبوت إلى إرْل غرانفيل، تبريز، 13 تموز/ يوليه، عام 1880، تركيا الرقم 5 (1881)، 9، م س رقم 319.

نفوذ الشيوخ

يجمع أغلب الذين تعاملوا مع الكرد، على أن الإنسان الكردي العادي متسامح دينياً، إن لم نقل لا يهتم كثيراً بالأمور الدينية. وبالرغم من هذا، للشيوخ تأثير كبير عليه. واستناداً إلى البروفسور مينورسكي الكردي ليس متعصباً دينياً، لكنه يقتنع بكل ما يقوله الشيخ.[1] واستناداً إلى كوينيه «بالرغم من أن الإنسان الكردي ميال بطبعه إلى التسامح الديني، لكنه وبسبب بساطته وجهله ينجرف بسهولة وراء الغلو في الدين والإيمان الشديد بالأعاجيب والمعجزات.»[2]

عدم انتشار المعرفة والثقافة بين الأوساط الكردية، جعل الإنسان الكردي مؤمناً بالقضاء والقدر، وخاضعاً لنفوذ الشيوخ، وهذا ما أشار إليه أحد المسؤولين في الإدارة الإنكليزية الذي كان على علاقة متينة مع الكرد في عشرينيات القرن العشرين إذ قال: «الإنسان الكردي، بشكل عام، لا يعطي الفرائض الدينية اهتماماً، لكن جهله لأمور الحياة، واعتقاده بالخرافات جعلاه واقعاً تحت تأثير الشيوخ، إن سلباً أو إيجاباً.»[3] في ثلاثينيات القرن التاسع عشر، كتب ريتش واصفاً حفل تكريم وتبجيل أقامه أهل السليمانية للشيخ خالد النقشبندي المؤسس الكبير للعائلة الخالدية كفرع من الطريقة النقشبندية في كردستان.

كان هناك ناسك يقيم في السليمانية اسمه الشيخ خالد؛ كان الكرد

(1) مينورسكي، «الكرد،» م س رقم 169.
(2) كوينيه، 2: 638، م س رقم 44.
(3) ليس، «عامان في كردستان الجنوبية،» 254، م س رقم 134؛ راجع هيّ، عامان في كردستان، 38، م س رقم 101؛ وسفرستيان، 92، م س رقم 230.

ينادونه باسم«حضرة مولانا» ويعتبرون أقواله وكأنها جزء من الحديث أو أن الله أوحى له بها. لذلك فالكل يعتبره ولياً ويضعه في مصاف نبيهم. أخبرني عثمان بگ، وآخرون غيره من الأمراء الكرد مريدي الشيخ خالد، أنهم يعتبرونه في منزلة الناسك المسلم الذائع الصيت الشيخ عبد القادر على الأقل.[1]

ويؤكد ريتش أقوال غيره، بالإشارة إلى أن پاشا السليمانية وحده «كان يحق له الجلوس في حضرته».[2]

وقد أثبتت الأيام أن هؤلاء المريدين، مستعدون للتضحية بحياتهم استجابة لطلب الشيخ. أتباع الشيخ بارزاني عرفوا «بالرجال المجانين (ديوانا)» الذين هم على استعداد لرمي أجسادهم عن شفير الهاوية، استجابة لطلبه.[3] إنها الطاعة العمياء[4] على حسب ما يرى بعض الكتاب الذين يعيدون تصرف المريدين هذا إلى شجاعة وبسالة هذا الشيخ القائد - الزعيم وفطنته ومكانته الاجتماعية، كما إلى قدرته واستعداده للدفاع عن مصالح أتباعه ومناصريه، وهذا أمر مهم جداً.

سحر شخصية الشيخ وجاذبيتها

يُعتقد أن الشيوخ يتمتعون بهالة من القداسة، والقدرة وبصفات غير

---

(1) ريتش، حكاية إقامة في كردستان، 1: 140-41، م س رقم 216.

(2) م ن، 320.

(3) جياووك، 54، م س رقم 302.

(4) زكي، خلاصة تاريخ الكرد، 291، م س رقم 314؛ الدملوجي، إمارة بهدينان، 135، م س رقم 293؛ العزاوي، 2: 16؛ راجع و. ر. هيّ، عامان في كردستان، 65، م س رقم 101.

اعتيادية تجعلهم في مصاف أصحاب الكرامات[1] القادرين على اجتراح المعجزات. لذا فهم رجال مقدسون، يفترض بالآخرين تقديرهم وتبجيلهم، حتى أن مريديهم يعتقدون حسبما يذكر كوينيه عام 1891 أنهم على تواصل روحي مع أنبياء الإسلام وحتى مع الله في حد ذاته. يعتقد أن ما من أحد قادر على أذيتهم أو إهانتهم. إنهم معجزة في حد ذاتها. صلوات الشيخ هي شفاء للمرضى من كل عللهم. فلا عجب، إذاً أن نرى الأتباع يقسمون «برأس الشيخ» من دون أن يجرؤ أحد على الحنث بهذا القسم.[2]

ريتش كان من أوائل الذين تحدثوا عن هذه العلاقة بين الأتباع والشيوخ فيروي ما قاله له الدرويش[*] المشهور وهو أحد مريدي السلطان حسان:

قال، وهو يعني الدرويش، «سمو السلطان يعرف كل شيء، سيفهم ما نقوله حتى ولو كلمته بلغتك التي لا يعرف منها، أو عنها، شيئاً، يدرك ما يدور في ذهنك. إن جئته طالباً النصح فستجده يقدم النصيحة لك، قبل ان تتفوه ببنت شفة. إنه يعرف أننا - الآن - نتحدث عنه، ويأتي إلى الناس في أحلامهم أو حتى شخصياً، ولو كانوا في الهند أو بلاد فارس.»[3]

القدرات على فعل الخوارق، قد تكون ميزة متوارثة ومشتركة بين أفراد

---

(1) وفاقاً لمكدونالد، الكرامات هي النعم العجائبية والأفضال التي يحيط بها الله أولياءه الصالحين ويحميهم ويساعدهم. ويبين أن المصادفة في الاشتقاق وفي المعنى بين هذه الكرامات وبين «النعم الروحية» للكنيسة المسيحية المبكرة لافت للغاية، ولا يمكن أن يكون عرضياً. ديڤيد بروس مكدونالد، «الكرامة،» في الموسوعة الإسلامية، ط 1، 4: 744 (بالإنكليزية، مرجع 146).

(*) الدرويش عضو في جماعة إسلامية تقيم حلقات الذكر، وتستغرق في الإنشاد الديني بشكل انفعالي صاحب يُفقده وعيه في الكثير من الأحيان.

(2) كوينيه، 2: 638.

(3) ريتش، حكاية إقامة في كردستان، 1: 141، الحاشية، م س رقم 216.

العائلة التي تمتاز بها وأنسبائهم ويعتمد هذا على جاذبية الشخص في حد ذاته التي تجعله مختلفاً عن الآخرين.[1]

كتب بارث، متحدثاً عن شيوخ برزنجة: «كمتحدرة من نسب النبي، تعتبر عائلة الشيخ متمتعة بقوة خارقة، مستمدة أيضاً من جدها صاحب الهامة المقدسة كاكة حَمُه. وهذا يمنح الشيخ محمود قدرة مميّزة على كتابة تعويذة تحصن حاملها من الإصابة بالرصاص أو السكاكين.»[2] بالإضافة إلى مميزات قداسة أخرى تولد معه. وعن قدرة الشيخ محمود يقول: «إنه قادر على قراءة أفكار الآخرين والتعرف إلى خصائصهم؛ ويدرك سبب مجيئك إليه، حتى قبل أن تنطق بكلمة.»[3]

شجاعة الشيخ محمود، بالإضافة إلى انتصاراته في معارك عديدة، أكسبته لقب الشيخ الذي لا يقهر، استناداً إلى مقولة أحد المدعين أنه شاهد عيان، الشيخ محمود ليس كغيره من البشر وليس بمقدور الرصاص إلحاق الأذى به: «'أمام الله'، تابع شاهد العيان يقول: 'لقد رأيت الرصاصة تخترق جسده، وتصرع الرجل الذي كان يقف خلفه بينما هو لم يصب بأي أذى، فالشيخ محمود لن يموت في ساحات المعارك'.»[4]

لا أحد من أتباعه يحق له مناقشته، فهو الآمر الناهي، لا يتقبل أي معارضة، ولا يطلب من مريديه الانصياع الكامل لإرادته. الإخلاص له يعني

(1) للاطلاع على مناقشة كاملة لطبيعة الجاذبية الجماهيرية والسلطة المستندة إلى الجاذبية الجماهيرية والعلاقة بين صاحب الجاذبية الجماهيرية وبين أتباعه، انظر ماكس ڤيبر، نظرية التنظيم الاجتماعي والاقتصادي، 358-92 (بالإنكليزية، مرجع 269).

(2) بارث، 63-64، م س رقم 19.

(3) م ن، 64.

(4) اقتبس في هاملْتُن، 201، م س رقم 95.

الطاعة المطلقة. إنه معصوم عن الخطأ وهذا ما يوجب على الأتباع إظهار الإجلال والتقدير له.

لطالما دعا الشيخ محمود أنصاره للنزول إلى ساحات الوغى، ولطالما وجد آذاناً صاغية. وحده يحدد المهام وهم عليهم القيام بها ببسالة من دون خوف أو وجل. عليهم تنفيذ ما يطلب منهم من دون سؤال وبحماسة لا توصف تقترب من حدود اجتراح الأعاجيب.

بهدف زيادة شهرته، وتعزيز نفوذه، ليس في الداخل وحسب، بل وخارج حدود إقطاعيته، كان الشيخ يلجأ إلى التماس موعد مع الخليفة، يستهله بالحديث عن طريقته الصوفية وشعائرها وطقوسها، وبالطبع يتكرم الخليفة عليه بدعم معنوي يزيد من قوته، ويهديه أطياناً، تكون عادة، في أماكن ومقاطعات خارج مكان إقامة الشيخ.[1]

قد يكون اتساع منطقة نفوذ آل النقشبندي في كردستان عائداً إلى شخصية الشيخ خالد المؤثرة وقدرته على جذب الأنصار بحماسة واندفاع؛ وإلى مبادراته المتكررة في إعلان مواقف الدعم للخلافة، والجدير بالذكر أن معظم زيارات الشيخ خالد لمقر الخلافة، كانت تصادف وجود الشيخ عبيد الله نهري،[2] والشيخ تاج الدين بارزاني.[3] وكلاهما أسسا لما يمكن اعبارهما سلالتين كان لهما التأثير الكبير على الأحداث في هذه المنطقة من العالم.

ضمان سلطة الشيخ على مناصريه في الظروف العادية، لا يعفيه من عواقب الفشل إذا تكرر، وهذا ما أراد ڤيبر (Weber) الإشارة إليه بقوله: إن

---

(1) عن تعيين الخليفة لدى جماعة القادرية والتيجانية، انظر توماس ولكر آرنولد، «الخليفة،» في الموسوعة الإسلامية، ط 1، 7: 303-6 (بالإنكليزية، مرجع 9).

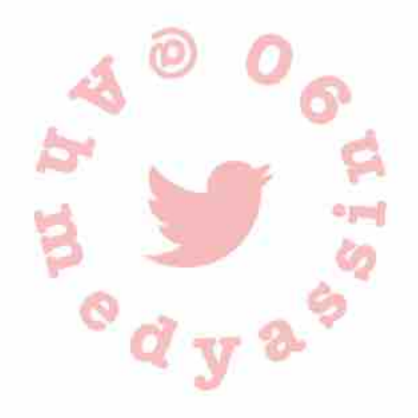
(2) نيكيتين، «شمدينان،» 7: 303-6، م س رقم 195.

(3) الدملوجي، إمارة بهدينان، 6، م س رقم 293.

بداية انحسار قوة القائد وجاذبيته، تنتهي بخسارته لجاذبيته كصاحب سلطة.[1] ولقد شكل السقوط المفاجئ للشيخ خالد وهروبه من السليمانية صدمة، تعتبر مثلاً على ما يعني فقدان السلطة. ريتش الذي صادف أنه كان موجوداً في السليمانية في ذاك الوقت، يصف كيف أخذ أنصاره - بعد اختفائه- ينهالون عليه بالسباب واللعنات، ويقارن هذا بما أبدوه له سابقاً من مظاهر التكريم والتقدير. ويعيد ريتش سبب سقوط الشيخ خالد المفاجئ، إلى وفاة ابن الپاشا الذي كان يمنحه الدعم، فقال لنفسه «لأنجو بنفسي، وكأنه يحاول الهروب مما كتب الله له.»[2]

(1) ڤيبر، نظرية التنظيم الاجتماعي والاقتصادي، 360، م س رقم 269.

(2) ريتش، حكاية إقامة في كردستان، 1: 320، م س رقم 216.


@Ahmedyassin90

الفصل الثالث

القضاء على ما يشبه الحكم الذاتي في كردستان

الخلفية

مع بداية القرن التاسع عشر، بدا ضعف الإمبراطورية العثمانية واضحاً للعيان. الأوروبيون بدورهم، لم يتركوا الفرصة تفلت من بين أيديهم فأخذوا يستغلون هذا الواقع لتوسيع رقعة نفوذهم حتى داخل حدود السلطنة. وأدرك الترك بدورهم أهمية المأزق الذي يواجهونه، وأنهم أمام خيارات صعبة جداً، فإما الكارثة وإما الاستمرار في اتباع سياسة التسويات مع الأصدقاء والأعداء معاً، إن في الداخل أو في الخارج.

لكنَّ للترك تاريخاً عسكرياً ممتداً على مدى قرون ولإمبراطوريتهم مكانة لا يستهان بها، وإن بدأ الوهن يتسلل إليها. الترك شعب لا تعوزه الصفات التي جعلت منه أمة عظيمة ولا يفتقر إلى رجال أشداء، قادرين على إيجاد الحلول لما يعانون من مشكلات. السلطان محمود الثاني بالرغم اعتلائه العرش في سن مبكرة، أخذ على عاتقه إصلاح الإدارة المدنية وتطهيرها من الفساد والفاسدين، وإعادة تنظيم هيكلية الجيش وفاقاً للنظم الحديثة.

وهكذا استعادت الدولة هيبتها واستردت مكانتها السابقة. أولى وأهم نقاط برنامج السلطان محمود الثاني الإصلاحي كانت كسر شوكة نفوذ أصحاب الإقطاعات وولاة الأقاليم الذين صار واضحاً أنه لا يثق بهم، وأنهم تحولوا إلى مصدر قلق للسلطة.

عند بداية العقد الثالث من القرن التاسع عشر بدا جلياً أن السلطان محمود الثاني اتخذ قراره بالقضاء على ما يشبه نظام الحكم الذاتي المعمول به منذ زمن في كردستان. قراره هذا، لم يكن محاولة قمع تمرد وتثبيت سلطة العثمانيين، بقدر ما كان قراراً بإخضاع تلك المناطق إلى سلطة الدولة المباشرة؛ وتحقيقاً لهذا الهدف أرسل رشيد محمد باشا، والي سيواس وهو صدر أعظم سابق[1] على رأس جيش كبير إلى كردستان. وطلب من علي رضا باشا - والي بغداد -[2] وأنجه بيرقدار محمد باشا[3] أن يكونا على أهبة الاستعداد للمساعدة في حال اقتضت الظروف. وبعد وفاة رشيد محمد باشا، تولى حافظ باشا[4] إكمال

(1) حمل رشيد محمد باشا، الذي كان من أصل جورجي، رتبة سر عسكر أو مارشال الشرق في الجيش العثماني، وكان القائد العام للجيش العثماني في معركة قونية (تشرين الأول/ أكتوبر، عام 1832)، التي اندحر فيها أمام إبراهيم باشا وأسر. زكي، خلاصة تاريخ الكرد، 246، م س رقم 314.

(2) كان السلطان قد اختار حاجي علي رضا، وأصله من قوم اللاز، قمع داود باشا، آخر حكام بغداد من المماليك الجورجيين. كان والي بغداد من عام 1831 إلى عام 1842. ستيفن لونگريگ، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، 26 وما بعدها (بالإنكليزية، مرجع 140).

(3) حكم محمد باشا، المعروف باسم إنجه بيرقدار أو «حامل اللواء النحيف» الموصل من عام 1853 حتى وفاته عام 1843، م ن، 283.

(4) كان حافظ محمد باشا، مارشال الجيش العثماني، شركسياً. وكان القائد العثماني في معركة نصيبين (حزيران/ يونيه، عام 1839) التي أوقع فيها إبراهيم باشا هزيمة حاسمة أخرى في جيش السلطنة. زكي، خلاصة تاريخ الكرد، 251، م س رقم 314.

المهمة وإلى جانبه معاونون رأوا أن لا وجود لأمير قوي أو إقطاعي يتحدى هيبة الدولة في كردستان بعد اليوم.

قبل البدء بالحملة للقضاء على أمراء كردستان، وضع رشيد محمد باشا نصب عينيه، أموراً عديدة، أهمها بلا ريب، ضرورة القبض على محمد باشا حاكم راوندوز وإبعاده إلى إسطنبول. ولتحقيق ذلك - كما سنرى لاحقاً - لجأ رشيد محمد باشا إلى استعمال الأساليب الديبلوماسية، بدلاً من خوض المعارك ضد حاكم راوندوز القادر على المقاومة وخوض المعارك.

ومن إنجازات رشيد باشا القضاء على التمرد في ماردين،[1] والسيطرة على اتحاد أمراء أعالي بلاد ما بين النهرين،[2] والقبض على سفوك زعيم قبائل شمّر وإبعاده إلى إسطنبول، وإنزال العقاب بأبناء الطائفة الإيزدية في سنجار وقبائل التركمان في تلّعفر،[3] والبدء بالسيطرة على منطقة ساسون - موتكان وهذا ما أتمه حافظ باشا.

في تلك المنطقة الوعرة، كان على رشيد باشا مواجهة قوات تحالف عدد كبير من زعماء القبائل الكردية ذوي النفوذ، رجب بگ الحازوي، حسين آغا آل عيّة (العجة)، تامر بگ هيني، وميرزا آغا بانوكي زعيم قبائل سليفان؛ كل

(1) بعد أن دحر الجيش المصري الجيش العثماني، يبدو أن ماردين كانت من المدن الأولى التي تمردت ضد الإصلاحات، التي اعتبرت مصدر كل الشرور. نشب التمرد بعد فترة قصيرة من معركة قونية، التي نشبت في تشرين الأول/ أكتوبر، عام 1832. انظر وليم اينسورث، «ملاحظات دونت عن رحلة من القسطنطينية إلى الموصل، في عام 1839-1840،» مجلة الجمعية الجغرافية الملكية 10، 524 (بالإنكليزية، مرجع 2).

(2) هاجم رشيد باشا اتحاد عشائر المِللي عام 1834. انظر لونگريگ، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، 286، م س رقم 140.

(3) م ن، 285.

هؤلاء أجمعوا على ضرورة مقاومة العثمانيين، ويبدو أنهم كانوا مدعومين من كرد أرمينيا، لكنهم هزموا ونفيوا إلى أدرنة في تركيا الأوروبية.[1] في دياربكر، توفي رشيد محمد پاشا عام [2]1836 متأثراً بمرض الكوليرا فخلفه حافظ پاشا الذي زحف على نارجي وأخضع زعيمها حاجي زلال آغا، أحد أهم زعماء القبائل، والمصير ذاته كان من نصيب قبائل الخرزان.[3]

محمد پاشا حاكم راوندوز

بروز محمد پاشا

لا شك أبداً، أن محمد پاشا هو ألمع وأبرز أمراء صوران.[4] وبالرغم من هذا فلا أحد يعرف شيئاً عن حياته السابقة لتوليه الحكم وتحوله إلى فاتح النصر حليفه. ولد عام 1198هـ/ 1783م في راوندوز وتتلمذ على يد ملّا أحمد بن آدم، أحد أشهر الوجهاء الكرد المحليين.[5] في سن الواحدة والثلاثين، وفي

---

(1) من المثير للاهتمام ملاحظة أنه يقال إن رجب بگ وحسين آغا وتامر بگ كانوا في حرب عادة مع ميرزا آغا، إلّا أنهم فيما يبدو قاموا بتسوية خلافاتهم وحاربوا معاً ضد الجيش العثماني. ويقال إن الأرمن، الذين كانوا يعاملون على قدم المساواة مع الكرد، قد قاتلوا كذلك. ولدى استسلام ميرزا آغا، الذي كان الأقوى، استسلم البكوات الآخرون. للمزيد من التفاصيل، انظر برانت، 358-60، م س رقم 29.

(2) زكي، خلاصة تاريخ الكرد، 246، م س رقم 314.

(3) .برانت، 376، م س رقم 29.

(4) يعرف محمد پاشا لدى الكرد باسم ميرا كورا («الأمير الأعمى») أو پاشاي كورا («الپاشا الأعمى»). أصيب بالتهاب في إحدى عينيه والأصح وصفه بالأعور.

(5) الگوراني، 130، م س رقم 299. راجع محمد أمين زكي، تاريخ الدول والإمارات الكردية في العهد الإسلامي ترجمه من الكردية إلى العربية محمد علي عوني، 207 (بالعربية مرجع 315).

العام 1814م تولى الحكم خلفاً لوالده مصطفى بگ الذي كان لايزال على قيد الحياة.[1] وهذا ما أثار التساؤلات؛ هناك من قال، إن والده الطاعن في السن وضعيف الشخصية تخلى له عن الحكم طوعاً، خصوصاً بعد أن بدأت الإمارة تتعرض للاهتزازات والاضطرابات. ومنهم من قال: إن الابن أرغم والده على التخلي عن الحكم لمصلحته.[2] كما وسرت شائعات إلى أن محمداً أقدم على فقء عيني والده، لكن طبيباً بريطانياً عاين الوالد، نفى ذلك نفياً قاطعاً، إذ جزم أن الأمير المخلوع لم يتعرض لأي تعذيب جسدي أو نفسي[3] مما يثبت القول بأن مصطفى پاشا قد تخلى طوعاً عن كرسي الحكم.[4]

سرعان ما أحس هذا الأمير الشاب الطموح العنيد الذي لا يتراجع عن قرار اتخذه، أن عليه التخلص من الذين هم - لسوء طالعهم - يحيطون به أو مقربون منه، وهذا ما حدث، وحتى للأقرباء والمقربين منه.[5] لم يتوان عن

(1) م ن.

(2) فريزر، رحلات، 1: 64 م س رقم 83.

(3) وجد الدكتور روس، طبيب المقيمية البريطانية في بغداد، الذي سافر إلى قلعة دمدم بالقرب من راوندوز حيث عاش مصطفى بگ في عزلة، الرجل العجوز مصاباً بالعمى الذي لا شفاء منه لأسباب طبيعية. نفى روس التهمة أن المير قد أصاب والده بالعمى باستعمال قلم فولاذي (ميل) أو أكواب حديدية بأنها لا يمكن الدفاع عنها، م ن، 1: 72.

(4) 16. علاوة على وصف فريزر في هذه المسألة، انظر زكي، خلاصة تاريخ الكرد، 248، م س رقم 314؛ زكي، تاريخ الدول والإمارات الكردية في العهد الإسلامي، 406، م س رقم 315؛ الگوراني، 130، م س رقم 299. لونگريگ، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، 285، م س رقم 140.

(5) نال المير سمعة منحوسة بحيث إن بعض الكرد لم يترددوا في تكرار الشائعات بشأن معاملته الوحشية لإخوته. ووفاقاً لشير، لدى تسنم محمد پاشا الإمارة، قتل المير إخوته باستثناء رسول بگ. آداي شير، «حكايات من تاريخ كردستان،» المجلة الآسيوية 15، 133 (بالفرنسية مرجع 235). وذكر فريزر أن المير تخلص من عدة

اتهام عبد الله آغا وزير الخزانة في عهده كما في عهد أبيه، من التآمر ضده مع خاله تامر خان بگ ويحيا بگ: فكان أن أعدم،[1] ولم يضيّع محمد پاشا الوقت فقرر شن حملة تأديبية ضد خاله.

في الأول من محرم عام 1320هـ/ الرابع عشر من كانون الأول/ ديسمبر، عام 1814م، مشى الأمير محمد على رأس جنده، قاصداً هديان حيث يوجد خاله تامر خان بگ الذي أسرع إلى قلعة الشيطانة، حيث تحصن فيها، مع عائلته وأنصاره، ولكن وبعد حصار لأربعة أسابيع ليس أكثر، تمكن الأمير محمد من دخول القلعة في العاشر من كانون الثاني/ يناير، عام 1815، وإلقاء القبض على تامر خان وابنه محمود اللذين أعدما لاحقاً. بعد التخلص من خاله، قرر التوجه للقضاء على عمر يحيا بگ الذي اعتقل مع ولده، ويقال إنه رفض إبقاءهما كرهائن بل أمر بإعدامهما أيضاً. كذلك استغل وجوده في المنطقة ليهاجم قلعة روست ويقتل حاكمها.[2]

بعد القضاء على من اعتبرهم أعداء الداخل، وسيطرته الكاملة على جميع مناطق الإمارة، وجد الأمير نفسه مشدوداً للتفكير بالقبائل المجاورة، فهاجم قبائل برادوست وشيروان، وسورچي، وخوشناو.[3] كان الأمير مصمماً على

= أشقاء إلّا أنه ذكر في مكان آخر (1: 72) أنه كان للمير أربعة إخوة أحياء. ويقال إن اثنين منهم هما تامر خان وسليمان بگ قيدا بالسلاسل في قلعة نائية. وتولى أحمد بگ منصب حاكم أربيل وارتبط رسول بگ (پاشا لاحقاً) ارتباطاً وثيقاً بالمير واعتبر عموماً خليفته.

(1) الگوراني، 130، م س رقم 299.

(2) م ن.

(3) لونگريگ، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، 285، م س رقم 140؛ زكي، خلاصة تاريخ الكرد، 243، م س رقم 314؛ زكي، تاريخ الدول والإمارات الكردية في العهد الإسلامي، 412، م س رقم 315؛ الگوراني، 131، م س رقم 299.

إعدام كل من يجرؤ على معارضته والوقوف في وجه طموحاته، فأقدم على إعدام زعماء ثلاثة أبرز فصائل اتحاد قبائل خوشناو القبيلة الأم، وهي فصائل المير محملي والمير يوسفي والپشت گالي.[1] وأفادت التقارير أيضاً، أنه أقدم على قتل حمزة آغا. الزعيم الذائع الصيت لقبيلة مامش وتشتيت شمل عائلة هذا الزعيم.[2]

بدا واضحاً، أن محمداً پاشا، قرر أن يكون الزعيم الأوحد لمنطقة ما بين النهرين الزاب الأصغر والأكبر، ابتداء من نهر دجلة، وحتى حدود بلاد الفرس. وهذا لن يتحقق إلّا بالصدام مع الأمراء البابانيين الذين هم في الأصل القوة الوحيدة الغريبة عن المنطقة. عام 1822م استولى على مدينة حرير العاصمة القديمة لإمارة صوران طارداً حاكمها الباباني. في تشرين الأول/ أكتوبر، عام 1823، استولى على كويسنجق ورانية خلال شهر شباط/ فبراير، 1824. أما أربيل وآلتون كوبري فقد سقطتا خلال شهر أيلول/ سبتمبر، 1823. وهكذا

(1) شير، 133، م س رقم 235. وفاقاً لكاتبين، واصل أحفاد الشيخ القبلي البارز مير محملي التحدث عن اغتيال المير جدهم عثمان بگ وارتداد ابنه محمود بگ إلى الحكومة العثمانية عندما هاجمت قوات السلطنة عثمان بگ. انظر الگوراني، 46، م س رقم 299 والعزاوي، 2: 133، م س رقم 286.

(2) وفاقاً للعزاوي، قتل محمد پاشا حمزة آغا واثنين من أبنائه واثنين من إخوته وأربعة أقارب. العزاوي، 2: 108، م س رقم 286. ويوضح فريزر وحشية مير في التعامل مع قبيلة مامش المهزومة، الذي صادف وجوده في المنطقة بعد فترة قصيرة من هذه الأحداث. وذكر فريزر أن أربعين من شيوخ قبيلة ماميش، الذين احتجزوا مقيدين بالسلاسل في راوندوز بعد تقليص قبائلهم، تمكنوا من الهرب أثناء تفشي الطاعون في المدينة. ووفاقاً لفريزر، قبض على معظم هؤلاء الرجال وقتلوا جميعاً مع سجانيهم. فريزر، رحلات، 1: 102، م س رقم 83. انظر أيضاً هنري كرسويك رولينسن، «ملاحظات عن رحلة من تبريز عبر كردستان الفارسية إلى خرائب تخت سليمان،» مجلة الجمعية الجغرافية الملكية10، 32 (بالإنكليزية، مرجع 215).

أصبح نهر الزاب الأصغر يشكل حدوداً بين إمارة الأمير محمد وإمارة بابان. والي بغداد، علي رضا پاشا، الذي لم يكن في وضع يمكنه من مجابهة طموح الأمير محمد وصد هجماته وجد نفسه مجبراً على الاعتراف له بسيطرته على كل المناطق التي تمكن من الاستيلاء عليها، ويتكرم عليه بمنحه رتبة الپاشاوية.[1]

فتوحات محمد پاشا الراوندوزي

الهجوم على الإيزديين: بعد الانتهاء من المرحلة الأولى، انتقل الأمير محمد إلى المرحلة الثانية التي بدأها بغزو منطقة الزاب الأكبر باطشاً بسكانها زارعاً الرعب في صفوفهم. وادعى أن هذه الحملة جاءت على أثر غدر علي بگ زعيم الإيزديين بعلي آغا البلطي زعيم عشيرة الكوشي أحد بطون قبيلة مزوري.

من المعروف أن عداءً تقليدياً كان قائماً بين الإيزديين وقبائل المزوري. إنما وذات يوم، أرسل علي بگ - زعيم الإيزديين - وفداً لعلي آغا البلطي، يعبر له من خلالها عن رغبته في إنهاء الصراع بينهما والتوجه إلى العيش بسلام معه، ودعاه ليكون عراب (كريف)[2] ابنه يوم ختانه. استجاب علي آغا للدعوة

---

(1) الگوراني، 131، م س رقم 299؛ لونگريگ، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، 285، م س رقم 140؛ زكي، خلاصة تاريخ الكرد، 243، م س رقم 314.

(2) ألكساندر، جابا، معجم كردي-فرنسي، 310 (بالفرنسية، مرجع 111). وفاقاً لجابا (parrain) المكافئ الفرنسي لكلمة كريف وتعني في الانكليزية (sponsor) «الراعي» أو «العراب.» وتعني الكلمة لدى الإيزدية الشخص الذي يتصرف بوصفه الراعي في احتفال الختان. يحمل الطفل في حضنه أثناء عملية الختان، التي يؤديها حلاق عادة. وهكذا تدعى العلاقة كريف خوني أو كريف الدم. تؤسس علاقة كريف رابطة قوية بين أسرة راعي الطفل وبين أسرة الطفل الذي يجري ختانه. ويولي الإيزديون أهمية =

وقصد قصر الأمير الإيزدي في باعذرة، يرافقه عدد قليل من الحراس.[1] فعل علي آغا ذلك تأكيداً من ثقته بمضيفه.[2] وهكذا وجد الأمير الإيزدي خصمه اللدود بين يديه، فاستغل الفرصة وغدر به. لم يكتفِ بهذا وحسب، بل استدعى أربعين زعيماً إيزدياً وطلب إليهم طعن جسد المغدور. فعل ذلك، لكي يجعل الشعب الإيزدي كله مشاركاً في تحمل مسؤولية تلك الجريمة.[3]

هكذا، بدا واضحاً أن هناك من أخذ يقرع طبول الحرب. زعماء قبائل المزوري الذين أحسوا بالإهانة، أخذوا يعدون العدة لمهاجمة قصر علي بگ الإيزدي، وفي المقابل تجمع آلاف الإيزديين أمام منازل زعمائهم لحمايتهم من الهجوم المتوقع.[4] لكن باشا العمادية أبلغ الفريقين ضرورة اتباع أسلوب

= كبيرة لهذه العلاقة ويراعون على نحو دقيق الالتزامات المتبادلة التي تنشأ عنها. ويتوقع من العائلات التي لها تلك العلاقة مساعدة الواحدة الأخرى في أوقات الخطر وحماية شرف نساء كل من الأسرتين وتقديم المساعدة المالية عند الحاجة. ويمكن إنشاء تلك العلاقة بين إيزدي وبين غير إيزدي وكذلك بين إيزديين اثنين. إنها الوسيلة الوحيدة التي تمكن الشخص الخارجي أن يصبح مرتبطاً بالإيزديين وبالتالي كسب القبول الجزئي لدى الجماعة الإيزدية الضيقة. وتشكل علاقة كريف حاجزاً في وجه الزواج حيث إنها تضع الأسرتين ضمن الدرجات المحظورة، عادة لحد خمسة أجيال وفي بعض الحالات حتى أكثر. انظر الدملوجي، الإيزدية، 64، 68، م س رقم 294.

(1) الدملوجي، إمارة بهدينان، 43، م س رقم 293؛ انظر أيضاً الدملوجي، الإيزدية، 461، م س رقم 294.

(2) وفاقاً للدملوجي، اختار زعماء قبيلة مزوري أن يكون لهم حاشية صغيرة بدافع العنجهية والغرور. الدملوجي، إمارة بهدينان، 43، م س رقم 293.

(3) الدملوجي، الإيزدية، 461، م س رقم 294؛ راجع الدملوجي، إمارة بهدينان، 43، م س رقم 293.

(4) الدملوجي، الإيزدية، 462، م س رقم 294؛ الدملوجي، إمارة بهدينان، 44، م س رقم 293.

التهدئة. والجدير بالذكر، أن هذا الپاشا بصفته أمير بهدينان يعتبر زعيماً مطلق الصلاحية لقبائل المزوري والإيزديين معاً، ولا شك أن ما من أحد يقدر على تجاهل رغباته. ليس هذا وحسب، بل نقل عن لسان أمير بهدينان لومه لعلي آغا، لقبوله دعوة علي بگ الإيزدي وذهابه لزيارة أحد أعدائه من دون تأمين حراسة مشددة.[1] موقف الزعامة في العمادية أغضب ملاّ يحيا المزوري، رجل الدين المشهود له وقاره، وقريب الزعيم المغدور، الذي بقي مصراً على ضرورة الأخذ بالثأر من الإيزديين حتى ولو أدى ذلك إلى إشعال حرب ضروس.

أشارت التقارير، أن ملّا يحيا، اتصل بوالي بغداد طالباً مساعدته للقضاء على أمير العمادية والإيزديين معاً، ويقال إن والي بغداد، زوده برسالة توصية لمحمد پاشا حاكم إقليم راوندوز، يحثه فيها على مساندة ملّا للاقتصاص من الإيزديين.[2] وهناك تقارير تقول، إن ملاّ يحيا قصد محمد پاشا مباشرة[3] ووضعه في أجواء مقتل نسيبه على يد الإيزدي أمير شيخان، وشرح له معاناة المسلمين اليومية في بهدينان. ويقال إنه دعا الپاشا لحماية المسلمين من جور الإيزديين الظالمين وطغيانهم، وأكد للپاشا، أن موقف أمراء بهدينان كان موقفاً متخاذلاً. ولربما كان ذلك المشارك الخفي في ارتكاب الجريمة. وأوضح

(1) الدملوجي، إمارة بهدينان، 44، م س رقم 293؛ راجع، الدملوجي، الإيزدية، 462، م س رقم 294.

(2) الدملوجي، الإيزدية، 462، م س رقم 294؛ راجع، الدملوجي، إمارة بهدينان، 44-45، حاشية 1، م س رقم 293.

(3) يقال إن ملاّ يحيى كان يضع المير الراوندوزي على علم بشؤون بهدينان وغالباً ما كان يشجعه على غزوها. الدملوجي، إمارة بهدينان، 44، م س رقم 293. انظر الدملوجي، الإيزدية، 462، م س رقم 294.

للپاشا، أن وضع الإمارة مهتز جداً، وكأنها ثمار أينعت وآن أوان قطافها.[1] كلام ملّا يحيا جاء ليعطي الپاشا سبباً للقيام بحملة تأديبية ضد أعداء الدين الإسلامي المارقين. وكي يعطي لحملته ضد الإيزديين، بعداً دينياً، طلب من ملّا محمد خاتي إصدار فتوى تعتبر حملته المنوي القيام بها، حرباً مقدسة ونوعاً من الجهاد في سبيل الله.[2]

عبر محمد پاشا نهر الزاب الأكبر عند ميدنة كلك،[3] على رأس جيش كبير عام 1831.[4] بعد إخضاعه سكان القرى الإيزديين بالقوة، توجه شمالاً، ليعمل السيف في رقاب الإيزديين سكان بلاد شرق الموصل، من نهر الزاب الأكبر حتى نهر الخابور. ألقي القبض على آلاف الرجال والنساء والأطفال، ولم يسلم منهم أحد، حتى بيوتهم دمرت وأحرقت ونهبت. قلائل هم الإيزديون المحظوظون الذين تمكنوا من اللجوء إلى الغابات المجاورة والجبال الوعرة،

---

(1) الدملوجي، الإيزدية، م س رقم 294؛ الدملوجي، إمارة بهدينان، 44، م س رقم 293.

(2) وفاقاً للدملوجي، ربما كان ملاّ يحيى نفسه هو الشخص الذي أصدر الفتوى موضوع البحث، إمارة بهدينان، 45، م س رقم 293؛ والإيزدية، 462، م س رقم 294؛ راجع، زكي، خلاصة تاريخ الكرد، 243، م س رقم 314؛ الگوراني، 60، م س رقم 299.

(3) تعرف هذه القرية كذلك باسم كلك الدواسن. الدملوجي، الإيزدية، 463، م س رقم 294؛ الدملوجي، إمارة بهدينان، 45، م س رقم 293. ويذكرها العزاوي بتسمية كلك ياسين. العزاوي، 2: 13، م س رقم 286.

(4) ذكر تاريخ هذا الحدث على نحو متنوع كما يلي: يذكر الدملوجي في إمارة بهدينان، 45، م س رقم 293، أن السنة كانت 1247هـ/ 1831م، إلّا أنه يذكر في كتابه الإيزدية، 463، م س رقم 294، أن الحدث وقع «في بداية خريف السنة 1248هـ/ 1832م.» ويذكر زكي في كتابه خلاصة تاريخ الكرد، 243، م س رقم 314، تاريخ 1247هـ/ 1831م. ويذكر سليمان الصائغ، تاريخ الموصل، 1: 306 (بالعربية، مرجع 310)، أن السنة كانت 1247هـ/ 1831م. ويذكر الگوراني السنة 1247هـ/ 1831م. إلّا أن شير، 133-34 يذكر التاريخ 9 آذار/ مارس، عام 1832.

وآخرون تمكنوا من الوصول إلى أماكن جد بعيدة، مثل طور عبدين، وجبل جودي وجبل سنجار.[1] وآخرون كانوا متوجهين نحو الموصل، لكن الپاشا قطع لهم طريقهم فقضي عليهم جميعاً فيما سمي بمجزرة كويونجيك[2] على الضفة الشرقية لنهر دجلة مقابل الموصل.[3] مما لا شك فيه أن الإيزديين، وبسبب معاناتهم وعذاباتهم، كانوا يلعنون الساعة التي ولدوا فيها.[4] وحدهم الناجون، باستثناء أولئك الذين تمكنوا من الفرار، كانوا نساء وأطفالاً أخذوا كأسرى. واستناداً إلى دملوجي، لعب جمال النسوة دوراً كبيراً في بقائهن أحياء.[5]

يبدو أن الپاشا، لم ينتقم من الإيزديين وحدهم، بل عامل المسيحيين

(1) الصائغ، 1: 307، م س رقم 310؛ زكي، خلاصة تاريخ الكرد، 244، م س رقم 314.

(2) قوينجق سلسلة من التلال الواسعة التي تضم بقايا مدينة نينوى القديمة. وتعني كلمة قوينجق التركية «الحمل.» ووفاقاً لويغرام وويغرام، 102، م س رقم 273، يعني الاسم «مجزرة الخراف» ويفترض أنها تشير إلى مذبحة الإيزدية في ذلك المكان.

(3) وفاقاً للايارد، كان جسر الزوارق قد أزيل بسبب الفيضان. لايارد، نينوى، 1: 229، م س رقم 132، غير أن مؤلفين آخرين يقولون إن والي الموصل سعيد پاشا كان قد تعمد قطع الجسر خوفاً من قوات راوندوز. انظر الصائغ، 1: 307، م س رقم 310؛ زكي، خلاصة تاريخ الكرد، 244، م س رقم 314؛ الدملوجي، الإيزدية، 463، م س رقم 294.

(4) يبالغ أحد المصادر في الخسائر الإيزدية إلى حد القول إنها لم تزد عن 5 في المائة من المائة ألف شخص الذين نجوا من المذبحة. الدملوجي، الإيزدية، 463، م س رقم 294.

(5) الدملوجي، إمارة بهدينان، 45، م س رقم 293. أصبح أسر الإيزديين وبيعهم فيما يبدو ممارسة واسعة الانتشار بعد هذه الأحداث. ونعلم من لايارد أن سير ستراتفورد، السفير البريطاني في القسطنطينية، استخدم نفوذه لدى السلطات العثمانية لوقف بيع الأسرى الإيزديين. لايارد، نينوى، 1: 230 وما بعدها، م س رقم 132؛ لايارد، الاكتشافات، 4، م س رقم 131.

الذين صادف أنهم يسكنون في قرى على طريق حملته بالعنف ذاته الذي عامل الإيزديين به. فارتكبت المجازر بحقهم أو طردوا من بيوتهم. قرية الكوش نهبت بيوتها ثم أحرقت وأعمل السيف في رقاب أهلها.[1] كما تمت مهاجمة دير ربان هورمزد المجاور، ودمر، وقتل عدد كبير من الرهبان بمن فيهم رئيس الدير، الأسقف غبريال دامبو. ثم عاث المهاجمون فساداً في عدد كبير من المخطوطات التاريخية القيمة والتي لا تقدر بثمن.[2] وفعلوا الأمر ذاته بدير الشيخ متى.[3]

استناداً إلى آداي شير (Addai Scher)، تم القبض على علي بگ أمير شيخان، وسيق مأسوراً إلى راوندوز، حيث رفض اعتناق الإسلام فكان الموت مصيره.[4] واستناداً إلى دملوجي، لقد تمكن علي بگ من الفرار قبل وصول قوات محمد پاشا ولجأ إلى جبال عقرة حيث اختبأ لسنوات لكن إنجه بيرقدار محمد پاشا، والي الموصل، تمكن من إلقاء القبض عليه وقطع رأسه في محلة تسمى كير محمد عرب على نهر كوميل.[5]

(1) وفاقاً لشير، قتل 172 شخصاً عدا النساء والأطفال والغرباء. ذكر أن تاريخ الهجوم كان 15 آذار/ مارس، عام 1832. شير، 134، م س رقم 235؛ الصائغ، 1: 307، الدملوجي، الإيزدية، 464، م س رقم 294.

(2) شير، 134، الصائغ، 1: 307، جورج پيرسي بادجر، النساطرة وطقوسهم، مع حكاية بعثة إلى بلاد ما بين النهرين في 1842-1844، وزيارة متأخرة لتلك البلدان عام 1850، مجلدان، 1: 265 (بالإنكليزية، مرجع 15).

(3) بادجر، 1: 265، م س رقم 15؛ بار هيبرايوس، l:lix (بالإنكليزية، مرجع 18).

(4) شير، 134 حاشية 3، م س رقم 235.

(5) يذكر الدملوجي أنه وفاقاً للسالنامة أو التقويم السنوي لولاية الموصل لسنة 1313هـ، أعدم علي بگ على النحو الموصوف مع عدد من آغوات الانكشارية وزعماء القبائل الكرد. ويحدد تاريخ إعدام علي بگ بالعام 1838. الدملوجي، الإيزدية، 464-69، م س رقم 294.

غزو إمارة بهدينان والقضاء عليها. بعد القضاء على الإيزديين، من دون اعتراض أحد، حتى من حليفهم أمير بهدينان، أو الدولة العثمانية، اتجه محمد باشا، الذي صار يتمتع بقوة لا تقهر، نحو عقرة إحدى إقطاعيات إمارة بهدينان التي تمكن، بعد حصار قلعتها لأيام، من دخولها وإجبار حاكمها اسماعيل باشا على الهرب.[1] مهما يكن، تابعت قبائل زيبار الكردية مقاومة الغزاة السزرانيين بشراسة لا مثيل لها. لكن الغزاة، تمكنوا في النهاية من القضاء على هذه المقاومة.[2]

وهكذا قيض لمحمد باشا التوجه نحو مدينة العمادية، عاصمة إقليم بهدينان، التي لم تصمد كثيراً. سقوط العمادية وفرار حاكمها سعيد باشا، مكنا محمد باشا من السيطرة الكاملة على المنطقة بين نهر الزاب الأكبر ونهر الخابور بما فيها دهوك وزاخو.[3] لم يكن موسى باشا، أحد أقرباء سعيد باشا على علاقة طيبة بالأخير، فعينه محمد باشا حاكماً على العمادية، مكافأة له على مساعدته له أثناء حصار المدينة.[4]

هذه الانتصارات جعلت محمد باشا أكثر طموحاً واعتزازاً بالنفس، فوضع إمارة بوتان الواقعة شمالي إمارة بهدينان نصب عينيه. وبعد احتلاله

---

(1) لونگريگ، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، 285، م س رقم 140؛ الصائغ، 1: 309، م س رقم 310؛ الدملوجي، إمارة بهدينان، 46، م س رقم 293.

(2) بازيل نيكيتين، «راوانديز-رويندیز،» في الموسوعة الإسلامية، ط 1، 6: 913-14 (بالإنكليزية، مرجع 194).

(3) لونگريگ، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، 286، م س رقم 140؛ الدملوجي، إمارة بهدينان، 46، م س رقم 293.

(4) الصائغ، 1: 309، م س رقم 310؛ زكي، خلاصة تاريخ الكرد، 245، م س رقم 314؛ الدملوجي، إمارة بهدينان، 46، م س رقم 293.

جزيرة ابن عمر من دون مقاومة تذكر وجد محمد پاشا نفسه وجهاً لوجه مع الأمير بدرخان حاكم إمارة بوتان الذائع الصيت. فتوجه شمالاً، زارعاً الرعب في قلوب المدافعين عن حصن كيف، وكذلك فعل بسكان نصيبين وماردين.(1) حاصر قلعة أزيخ لكنه فشل في الاستيلاء عليها. وهناك من أعاد هذا الفشل إلى مقاومة السكان المحليين بشراسة من جهة و إلى قيام الاضطرابات في العمادية من جهة أخرى،(2) مما اضطره للعودة إلى هناك لقمع ثورة حاكمها السابق سعيد پاشا الذي أجبر الحاكم المعين من قبل محمد الپاشا على الفرار.(3)

بعد حصار العمادية لمدة. وبعد قتال متقطع، تمكن محمد پاشا من دخولها مجدداً، ليصب جام غضبه على السكان الذين قتل العديد منهم، فيما آخرون ماتوا جوعاً، أو بسبب تفشي مرض الطاعون جراء الحصار.(4)

لم يعر محمد پاشا أي اهتمام لمشاعر السكان أو معاناتهم، فأعلن إلحاق

(1) لونگريگ، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، 286، م س رقم 140؛ زكي، خلاصة تاريخ الكرد، 245، م س رقم 314؛ الدملوجي، إمارة بهدينان، 46، م س رقم 293.

(2) الصائغ، 1: 307، م س رقم 310.

(3) 52. زكي، خلاصة تاريخ الكرد، 245، م س رقم 314؛ الصائغ، 1: 309، م س رقم 310.

(4) تحدث غرانت، الذي صادف وجوده في العمادية بعد هذه الأحداث عن تدمير المدينة. وفاقاً له، لم يبق سوى 250 بيتاً من مجموع ألف بيت كانت تضمها المدينة قبل مجيء كرد راوندوز. انظر أشاهيل غرانت، النساطرة أو القبائل المفقودة وأدلة على هويتهم ووصف لسلوكهم وعاداتهم واحتفالاتهم مع مخططات السفر في بلاد آشور وأرمينيا وبلاد مابين النهرين القديمة ورسوم لنبوءة الكتاب المقدس، 60-61 (بالإنكليزية، مرجع 91).

المنطقة بكاملها بإمارة راوندوز، وعين أخاه رسول بگ حاكماً لها بدلاً عن موسى پاشا حاكم إقليم بهدينان المقال،[1] وبذلك وضع حداً لوجود ولاية بهدينان الذي استمر قروناً.

سقوط محمد پاشا الراوندوزي

بدا واضحاً أن محمد پاشا يقترب من نهايته، فالدولة العثمانية التي - حتى الآن - لم تكن تبدي اهتماماً بتحركاته ونشاطاته، بدأت تستشعر أنه أخذ يشكل خطراً. وإن لم يكن مهماً، ولكن من غير الممكن تجاهله، وصوصاً وأن "هناك أموراً كثيرة تحدث في الجانب الآخر من الإمبراطورية.

وجدت الإمبراطورية العثمانية نفسها في مواجهة تهديدت من مصر، مصدره محمد علي پاشا؛ ولا شك أن الصراع مع هذه العائلة، سيستنزف كل طاقات الإمبراطورية وقدراتها. لكن هذا لم يمنع الحكومة العثمانية من التنبه إلى الخطر الآتي من ناحية الحاكم الكردستاني الذي قيل إنه على تواصل مع ابراهيم پاشا بن محمد علي پاشا والي مصر، والذي يخوض معارك ضارية ضد الجيوش العثمانية.[2] ولا شك أن هذا الاتصال، إن ثبت حصوله، سيجعل الحكومة العثمانية في عجلة من أمرها للقضاء على الپاشا الكردستاني حاكم راوندوز.

عام 1834 بدأت طلائع الجيش العثماني بقيادة رشيد محمد پاشا المكلف بقمع حركة تمرد الأمير الكردي، تنطلق من شمالي بلاد ما بين النهرين جنوباً نحو سنجار وتلّعفر وتقضي على كل من يقاوم تقدمها. بعد عبوره نهر دجلة

---

(1) الصائغ، 1: 309، م س رقم 310؛ زكي، خلاصة تاريخ الكرد، 244، م س رقم 314.
(2) الگوراني، 132، م س رقم 299.

بالقرب من الموصل تقدم رشيد پاشا نحو بلاد صوران وتوقف في سهل الحرير حيث انضمت إليه قوات بقيادة أنجه بيرقدار محمد پاشا والي الموصل وعلي رضا پاشا والي بغداد.[1]

في هذا الوقت كان والي راوندوز الكردي ينسحب من مدينته ليتحصن في الممرات الضيقة الموصلة إليها والجبال الوعرة المحيطة بها في محاولة يائسة للدفاع عنها. أدرك رشيد محمد پاشا أن خسائر بشرية جمة ستصيبه إن خاض المعارك ضد الوالي الكردي، فقرر اتباع أسلوب الديبلوماسية، وأرسل إلى محمد پاشا صديقه القديم ينصحه بتفادي خوض المعارك الدامية وعقد اتفاق مع الحكومة العثمانية، متعهداً له - في حال وقف القتال واستسلامه للحكومة العثمانية - أن يعامل كأمير وأن يعود والياً على راوندوز. وافق محمد پاشا على نصيحة صديقه، ولما جاء للتفاوض معه ألقي القبض عليه وسيق مخفوراً إلى القسطنطينية.[2]

واستناداً إلى مصادر أخرى، تمكن رشيد پاشا من كسب ود عدد كبير من الشيوخ الموالين لمحمد پاشا ومن بينهم مفتي راوندوز الذي أصدر فتوى حرّم فيها القتال ضد الجيش العثماني، وأن كل من يفعل ذلك تعتبر زوجته بحكم الطالقة. هذه الفتوى أثرت كثيراً في نفوس قادة قوات محمد پاشا

---

(1) لونگريگ، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، 285، م س رقم 140؛ زكي، خلاصة تاريخ الكرد، 245، م س رقم 314؛ الگوراني، 132، م س رقم 299؛ الدملوجي، إمارة بهدينان، 47، م س رقم 293.

(2) زكي، خلاصة تاريخ الكرد، 245، م س رقم 314؛ الدملوجي، إمارة بهدينان، 47، م س رقم 293؛ فريدرك ميلينغن، الحياة البرية بين الكرد، 185-86 (بالإنكليزية، مرجع 163)؛ وليم إينسورث، رحلات وبحوث في آسيا الصغرى وبلاد ما بين النهرين، وبلاد الكلدانيين وأرمينيا، 1: 323 (بالإنكليزية مرجع 3).

وجنوده فأخذوا ينصرفون عنه واستغل رشيد پاشا الوضع المستجد وعرض عليه الاستسلام للسلطة العثمانية ومحاولة إجراء تفاهم معها.[1]

وقيل إن استقبالاً حافلاً جرى له لدى وصوله إلى القسطنطينية. واستناداً إلى ما ذكره فريديريك ميلنغن (Frederick Millingen) عام 1870 «طلب السلطان من الوالي الكردي أن يكون عينه الساهرة في كردستان، وعيَّنه حاكماً عاماً عليها مع صلاحيات واسعة.»[2]

هذا يعني أن رشيد پاشا وفّى بتعهده للأمير الكردي الذي من سوء حظه، توفي رشيد پاشا قبل مغادرته القسطنطينية. وحان وقت العودة إلى الديار. وقيل إنه ودّع بمثل ما استقبل به من حفاوة، وأقلعت السفينة العثمانية التي كانت تقله إلى ميناء طرابزون أو صمصون على البحر الأسود، لكنه لم يصل إلى راوندوز قطّ. وهناك من يقول إنه قتل وهو لايزال على ظهر السفينة وهناك من يقو إنه أعدم في سيواس.[3]

---

(1) قدم المؤرخ الكردي حسين حزني موكرياني الوصف السابق، وفاقاً لگوراني، في كتابه میرانی صوران. انظر الگوراني، 132-34، م س رقم 299. ويذكر زكي هذا الوصف نفسه في شكل مختصر، ذاكراً أن محمد پاشا قد أرغم على الاستسلام بعد أن بين وجيه كردي معين، في سياق خطبة الجمعة، عدم شرعية مقاومة قوات الخليفة وأعلن أن تلك المقاومة تعني لعنة الله. انظر زكي، خلاصة تاريخ الكرد، 247، م س رقم 314. وقد أكد فريزر صحة هذا الوصف، الذي كتب قبل أكثر من 120 عاماً وكان شاهد عيان على تلك الأحداث. وفاقاً له «منعت بقايا التبجيل لخليفة النبي ورئيس دينهم الكرد من المعارضة المسلحة لقوات السلطان.» انظر فريزر، رحلات، 1: 81-82، م س رقم 83؛ زكي، خلاصة تاريخ الكرد، 245، م س رقم 314.

(2) ميلينغين، 186، م س رقم 163.

(3) م ن، 186-87؛ الدملوجي، إمارة بهدينان، 47-48، م س رقم 293؛ زكي، خلاصة تاريخ الكرد، 247-48، م س رقم 314؛ الگوراني، 134، م س رقم 299؛ إينسورث، رحلات وبحوث، 323، م س رقم 2.

وقيل إن إعدام محمد پاشا كان بناء لطلب علي رضا پاشا والي بغداد الذي أبلغ الباب العالي أنه يستحيل عليه التعايش مع هذا الوالي. ويبدو أيضاً أن السيد وود (Mr. Wood) القنصل البريطاني في دمشق لعب دوراً مهماً في إعدام محمد پاشا، الذي كان قد قابله وهو لايزال في عز مجده.[1]

نهاية إمارة بهدينان

كلمات قليلة تكفي لوصف نهاية اسماعيل پاشا آخر أمراء إمارة بهدينان المستقلة. هنا لا بد من التذكير أنه سبق لمحمد پاشا أن غزا بهدينان مرتين: الأولى للقضاء على نفوذ الإيزديين واختبار ردة فعل إمرائها؛ والثانية في محاولة للقضاء على تلك الإمارة وجعلها جزءاً من إمبراطوريته التي كان يحلم بها فتمكن من إلحاق الهزيمة باسماعيل پاشا ومحمد سعيد پاشا وإبعادهما عن البلاد. لكن اسماعيل پاشا استغل غياب الأمير الراوندوري عن عاصمته فزحف على رأس قواته وأبعد موسى پاشا المعين من قبل محمد پاشا لكن هذا الانتصار لم يدم طويلاً.

لم يحاول اسماعيل پاشا الذي تمكن من الهرب العودة إلى القوة مرة ثانية. لكن قضاء العثمانيين على محمد پاشا أمير راوندوز مكّنه من العودة إلى عاصمته العمادية إنما ليس لوقت طويل أيضاً، إذ أقدم والي الموصل أنجه بيرقدار محمد پاشا على مهاجمته واحتلال العمادية، وهكذا عاد اسماعيل پاشا إنساناً مطارداً ومطلوباً للمحاكمة.[2]

لم يحل ذلك دون محاولاته لاستعادة حكمه فطلب من والي الموصل

---

(1) إينسورث، رحلات وبحوث، 33، م س رقم 2.

(2) وفاقاً لزكي فإنه هرب إلى نيروة وهي قرية في شمال شرقي العمادية. زكي، خلاصة تاريخ الكرد، 248، م س رقم 314.

السماح له بالعودة إلى العمادية، لكن هذا الأخير لم يتعب نفسه مشقة الرد عليه. ولم ييأس اسماعيل باشا فتحالف مع بدرخان والي جزيرة ابن عمر واتجه على رأس عدد كبير من أنصاره نحو العمادية التي تمكن من استعادتها.[1]

ما إن علم والي الموصل بالأمر حتى أعد العدة لمهاجمته من جديد. لكن اسماعيل باشا أرسل إلى بطريرك النساطرة مار شمعون كتاباً يطلب فيه المساعدة على وقف زحف والي الموصل فأرسل البطريرك له ثلاثة آلاف مقاتل سرعان ما اضطروا إلى العودة من حيث أتوا بناء لطلب والي الموصل.[2]

بعد معركة غير متكافئة تمكن والي الموصل من دخول العمادية وإلقاء القبض على اسماعيل باشا الذي أرسل إلى بغداد حيث أمضى بقية حياته مع عائلته.[3] وهكذا يكون قد تم القضاء على إمارة كردية ثانية.[4]

بدرخان أمير بوتان

بروز اسم بدرخان

لا شك أبداً أن بدرخان هو الأشهر في العائلة العزيزية، التي، استناداً إلى المؤرخ الكردي شرف خان البدليسي، تعود في نسبها إلى عبد العزيز أحد أبناء

(1) م ن، 248-49.
(2) بادجر، 1: 265، م س رقم 15.
(3) لايارد، نينوى، 1: 143 - 44، م س رقم 132.
(4) يكن الكرد احتراماً كبيراً لأسرته، التي ادعت أنها من نسل الخلفاء العباسيين. ويورد ريتش، حكاية إقامة في كردستان، 1: 153 وما بعدها، م س رقم 216، أحد أفضل الأوصاف لسلطات الحاكم البهديناني ونظام مراسيمه في بلاطه في أوائل القرن التاسع عشر. راجع الدملوجي، إمارة بهدينان، 18-23 و32 وما بعدها، م س رقم 293.

خالد بن الوليد القائد الإسلامي المشهور وأحد صحابة النبي. واستناداً إلى هارتمان (Hartmann) فهذه العائلة تدين في أغلبها الأعم بالإيزدية.[1]

تسلم بدرخان مسؤولية الإمارة وهو لايزال صغير السن[2] ولم يبرز اسمه إلّا مع بداية مرحلة الإصلاحات العثمانية التي تجلت في القيام بحملات إلغاء كل ما كان يتمتع به الكرد مما يشبه الحكم الذاتي. قبل ذلك لم يكن قادراً على لعب دور يؤثر في مجريات الأحداث لكنه كان يراقب ما يجري حوله بعناية.

عام 1835 أشار السير أوستن هنري لايارد (Austen Henry Layard) إلى بداية تاريخ الأمير بدرخان فقال: إن الأمير كان يحكم باسم الأمير سيف الدين الوريث الشرعي لإمارة بوتان، وظل كذلك لوقت طويل من دون إعلان ذلك.

> **كان الأمير سيف الدين شير الوريث الشرعي لإمارة بوتان وباسمه حكم الأمير بدرخان، وكان ابنه الأمير أسد الدين (أردشير) محط اهتمام جميع الحكام الترك. أما الأمير بدرخان فقد أصر ألّا يعلم أحد من أتباعه الكرد باسم من يحكم.**[3]

من المفيد القول إن اسم الأمير الذي أشار إليه لايارد على أنه ابن سيف الدين شير لم يكن أسد الدين شير بل عزالدين شير (يزدان شير).

---

(1) ر. هارتمان، «جزيرة ابن عمر،» في الموسوعة الإسلامية، ط 1، 2: 1030-31 (بالإنكليزية، مرجع 99). للمزيد من المعلومات عن منطقة بوتان، انظر م. ستريك، «بوتان،» في الموسوعة الإسلامية، ط 1، 2: 739-40 (بالإنكليزية، مرجع 250).

(2) وفاقاً لزكي، كان بدرخان شاباً في الثامنة عشرة عندما أصبح أمير بوتان. زكي، خلاصة تاريخ الكرد، 250، م س رقم 314. ويذكر شيركوه تاريخ تسنم بدرخان الإمارة هي سنة 1821 غير أنه لا يشير إلى سنه في ذلك الوقت. شيركوه، المسألة الكردية، 14، م س رقم 39.

(3) لايارد، الاكتشافات، 54، م س رقم 131.

اذا كان ما جاء على لسان لايارد صحيحاً فإنه يلقي الضوء على أمور لاتزال غامضة حتى اليوم. أولاً: تشير إلى أن السنوات الأولى من حكم الأمير بدرخان والتي كانت هادئة نسبياً استغلها الأمير لإعداد نفسه للمستقبل آخذاً في عين الاعتبار الصعوبات التي تحيط به. ثانياً: تساعد على فهم التطورات المهمة المتعلقة بهزيمة بدرخان خصوصاً إلى خيانة عزالدين شير في الوقت الذي كان فيه الأمير بدرخان يخوض معركة حياة أو موت في مواجهة العثمانيين. إذا كان ما جاء على لسان لايارد بخصوص سيف الدين شير وابنه عزالدين صحيحاً فإنه يوضح أسباب تخلي عز الدين عن الأمير بدرخان ولماذا اتهم بالخيانة للقضية الكردية.[1] لقد فعل ذلك انتقاماً من بدرخان على معاملته لوالده الأمير سيف الدين الذي كان يحكم باسمه وأبقاه بعيداً عن الأنظار.

بالرغم من أن المعلومات عن بداية عهده شحيحة فإنها مفيدة نوعاً ما. فقد علمنا أنه عام 1838 كان مستعداً للقيام بحملة ضد عبد الله آغا شقيق محمود خان. وعين عام 1839 ضابطاً في الجيش العثماني وشارك على رأس قوة من إمارة بوتان في معركة نيزيب التي انتصر فيها الأمير المصري ابراهيم باشا وألحق بالعثمانيين هزيمة نكراء.[2] بعد تلك الهزيمة انكفأ بدرخان مع رجاله إلى جزيرة ابن عمر وأخذ يعزز قواته مستغلاً ضعف العثمانيين.[3]

ولا ينكر أحد أن الظروف ساعدته على تحقيق ما كان يصبو إليه. إذ تمكن

---

(1) مينورسكي، «الكرد،» م س رقم 169؛ شيركوه المسألة الكردية، 17، م س رقم 39؛ نيكيتين، الكرد، 134، م س رقم 187؛ زكي، خلاصة تاريخ الكرد، 252-62، م س رقم 314؛ سفرستيان، 60، م س رقم 230؛ الدملوجي، إمارة بهدينان، 48-49، م س رقم 293. تتفق كل هذه المصادر على أن عز الدين شير كان أحد أقارب بدرخان. وتتهمه المصادر الثلاثة الأخيرة بالخيانة.

(2) إ. م. نوئيل، مفكرة...، 53، م س رقم 350.

(3) م ن. 72

محمود باشا الراوندوزي من قمع التمرد في الجنوب والقضاء على إمارة صوران مما أدى إلى إضعاف إمارة بهدينان. كذلك تمكن الأمير الراوندوزي الأعور من سحق الإيزديين في شيخان، أما إيزديو سنجار فباتوا لا حول لهم ولا وقوة ولم يعد يحسب لهم حساب. في الشمال تمكن رشيد محمد باشا من القضاء على نفوذ الكرد. شرقاً خسر نورالله بگ أمير هكّاري النفوذ الذي كان لأسلافه إذ كان عليه مواجهة منافسه سليمان بگ الذي أطاح به واستلم الحكم محله.

كل هذه الأحداث، لا شك أنها جعلت من بدرخان الزعيم الكردي التقليدي الأوحد في المنطقة؛ والجدير بالذكر أن ما من حاجة إلى إنكار أنه كان هناك اتفاق ضمني بين بدرخان والعثمانيين.

في هذا السياق تحدث الدكتور أوستن رايت والسيد إدوارد بريث (Edward Breath) الموفدان الأميركيان إلى بلاد فارس أنهما لبيا دعوة الأمير بدرخان وأخبرهما عن تحالف ضمني مع العثمانيين:

> **أخبرنا أنه قبل ثماني سنوات كان ضعيفاً والترك أقوياء فتحالف معهم سراً وها هو اليوم سيد مهاب....أُخبرنا أيضاً أنه قبل ثماني سنوات كان فقيراً، عديم السلطة، لا أحد يعرفه، فأخذ الترك بيده وها هو اليوم يمتلك أموالاً لا تحصى.**[1]

أياً كانت طبيعة الاتفاق بين الأمير بدرخان والترك فإنه يشير إلى أنه اتفاق مصالح للطرفين معاً؛ ومن المفيد الإشارة إلى أن هذا الاتفاق تم في الوقت الذي كانت الحكومة التركية قد توصلت فيه إلى اتفاق تهدئة مع الكرد. وفي

---

(1) الدكتور أوsتن رايت وإدوارد بريث (تقرير عن زيارتهما إلى بدرخان بوصفهما ممثلين للبعثة الأميركية في فارس)، ميشنري هيرالد، 42، عدد. 11،381 (بالإنكليزية، مرجع 280).

الوقت ذاته كان محمد علي باشا لايزال يشكل خطراً عليها أي على الحكومة التركية. فمما لا شك فيه أن اتفاقاً كهذا استفاد منه العثمانيون، إذ خففوا عدد أعدائهم واحداً على الأقل. كما وهناك سبب يدعو إلى الاقتناع بما قاله الموفدان الأميركيان، ذلك أنهما صاغا حديثهما عن الأمير بدرخان بما يوحي بالتقدير والاحترام الزائد.

صفات الأمير بدرخان

ما من شك أن بدرخان واحد من أعظم الزعماء الكرد الذين عرفهم التاريخ. فالطريق التي تمكن خلالها من انتشال نفسه من الحضيض والوصول إلى قمة النفوذ والثروة كافية للاقتناع أنه يمتلك صفات جد مميزة. بالنسبة إلى الكرد، كان الزعيم المثالي الذكي، له حضوره ويتمتع بإطلالة خاصة تجعل الآخرين يهابونه ويحترمونه في آن. كان إنساناً شجاعاً حازماً في اتخاذ قراراته طموحاً، تقياً، وورعاً. لا شك أن اجتماع كل هذه الصفات برجل واحد ستجعل منه عظيماً ولكن في الوقت ذاته قد يتحول هذا الشخص إلى نقيضه، إذ تتحول الشجاعة إلى تهور والعزم إلى عناد والتقى إلى تعصب أعمى.

في الوقت ذاته كان بدرخان يتصرف كمجرم أحياناً، وأكبر دليل على ذلك تصرفه الوحشي في قمع النساطرة المقيمين في أعالي الجبال، الذي بيّن عدم امتلاكه الحكمة الكافية للتعامل مع الآخرين. هذه الحملة التي لم يكن من داع للقيام بها قربت من نهايته وبينت أنه لم يتعظ مما حدث لمحمود باشا الراوندوزي من قبل، والذي أدى هجومه على الإيزديين العزل إلى القضاء على ولايته وحياته معاً.

اندفع بدرخان وراء طموحه من دون الأخذ في عين الاعتبار الظروف التي تحيط به، فعل ذلك اقتناعاً منه أن لديه القوة الكافية لردع كل من تسوله نفسه التحرش به.

انساق بدرخان وراء طموحاته، فلم يأخذ في عين الاعتبار أنه ليس وحيداً في هذا المنطقة. كان معتزاً بنفسه وقوته. حزمه وتدينه وتجاهله، أو لربما تناسيه أن هناك مخاطر، بالإضافة إلى أمور كاريزمية أخرى جعلت منه مقتنعاً، كما الأغلب الأعم من أنصاره، أن الله يلهمه على فعل ما يفعله، ولهذا فالتوفيق حليفه الدائم.

حين زاره الموفدان الأميركيان كان في ذروة مجده. كان كما يقولان:

يمتد نفوذه من حدود فارس شرقاً، إلى بلاد ما بين النهرين غرباً ومن دياربكر حتى الموصل. كان واسع النفوذ، هذا ما لمسناه حين كنا في زيارته. لقد رأينا الأغلب الأعم من زعماء شمال كردستان يأتون إليه، طالبين رضاه، ويقدمون الهدايا من كل الأنواع: الأموال النقدية والخيول والبغال وغيرها من الأشياء الثمينة كالممتلكات والضيع. حتى زعماء الهكّاري، الذين هم أعلى منه منزلة، والذين هم أشراف كردستان - كما قال أحد الرحالة الإنكليز - كانوا يعتبرون أنفسهم محظوظين جداً إذا وافق بدرخان على استقبالهم. كان أنصاره يعتقدون أن الله منحه القوة والنفوذ، وهو - الله أيضاً - يصيب بالشلل، كل يد ترتفع في وجهه. حتى الزعماء الروحيون ورجال الدين ترسخ في أذهانهم «أن الله أعطاه القدرة والنفوذ، لذا ليس بمقدور أحد الوقوف في وجهه.»[1]

هكذا، ليس عجباً، أن يتكون من هذا الانطباع ما مفاده أن التوصيف الذي أعطاه ماكس ڤيبر (Max Weber) ينطبق على بدرخان الذي يتمتع بشخصية خارقة، وهذا ما كانت تدل عليه بعض أفعاله. تحدث رايت وبريث عن إجباره الإيزديين للعودة إلى الدين الحنيف، يقولان:

أجبر عدداً كبيراً من الإيزديين على اعتناق الإسلام. فعل ذلك، إما

---

(1) م ن.

> **بالإقناع وإما بالسيف. كان إلى جانبه ما يقارب الخمسين أو الستين إنساناً من هؤلاء الذين تركوا الإيزدية واعتنقوا الإسلام. وبالرغم من أنهم بمثابة عبيد عنده،[1] فإنهم كانوا يلبسون ثياباً فخمة ويتناولون أطيب الطعام. ويعاملون وكأنهم من أفراد أسرته، وممنوع على أي كان، حتى الذين ولدوا لأبوين مسلمين، إزعاج أي منهم.[2]**

هذه المعاملة للإيزديين الذين تحولوا إلى الإسلام تبين أن بدرخان كان يحاول إظهار نفسه وكأنه لا يميز بين هؤلاء وأنصاره المولودين من أبوين مسلمين.[3]

كذلك أبدى الموفدان الأميركيان، رايت وبريت، إعجابهما بحزم بدرخان في تطبيق القوانين والشريعة:

> **عبثاً أن يتمكن المجرم من إيجاد مـأوى، لا مكان للمرتشين والمحسوبيات. فالقانون هو فوق الجميع والعدالة للجميع. ذات صباح، وفيما نحن نجتمع بالأمير بدرخان، جيء إليه برجل قطعت يده اليمنى، لأنه ضبط بالجرم المشهود وهو يسرق. كنا نسافر في**

---

(1) كلمة العبد، التي تقابل في الانكليزية غلام مضللة. يطلق تعبير غلام عادة على حاشية الزعيم الكردي من الأفراد المسلحين من دون ربط أي ازدراء به. عمل هؤلاء الرجال، في الحقيقة، بصفة حراس الأمراء الكرد الشخصيين. نيكيتين، «النظام الإقطاعي الكردي،» 2، م س رقم 187.

(2) رايت وبريث، 382، م س رقم 280.

(3) بين ڤيبر أن الزعيم الشعبي يكسب سلطته ويحافظ عليها بإثبات نفسه. عليه بوصفه نبياً تحقيق المعجزات وبوصفه زعيم حرب أداء أعمال بطولية. «غير أنه قبل كل شيء يجب أن 'تثبت' مهمته الإلهية حيث إن من يتبعونه بإخلاص يجب أن ينجحوا. وإذا لم ينجحوا فمن الواضح أنه ليس السيد المرسل من الآلهة.» ماكس ڤيبر، مقالات في علم الاجتماع الاقتصادي، تحرير ريتشارد سويدبيرغ، 249 (بالإنكليزية، مرجع 268).

مناطق كردستان الوعرة، ونحن نشعر بأمان، لا نشعر به، حتى أثناء تجوالنا في مناطق نعرفها جيداً. حتى أننا كنا لا نصدق أننا في منطقة، سمعنا أو قرأنا عنها، أنها موئل للصوص والمجرمين.[1]

كان بدرخان يقدم نفسه على أنه إنسان صادق ومحب للحق والعدالة، وفاقاً لما قاله الدكتور رايت ومرافقوه، كان إنساناً مؤمناً بالله، وبالعهد الذي يقطعه على نفسه. قال لهم «يمكنكم الوثوق بي، فإن أعطيتكم وعداً، فثقوا أني لن أنكث بما وعدت».[2]

بدرخان، مثله مثل الكثيرين من ذوي الشخصيات الساحرة، في ذاك الزمان، كان الدين يلعب دوراً مهماً في حياته، وفي تفكيره. ووفاقاً لرايت وبريت «كان يمضي وقتاً طويلاً في التعبد لله، يصلي الصلوات الخمس في مواعيدها، حتى ولو أثناء العمل. وكان دائم التضرع والدعاء.»[3] كان بادياً دون شك، أن هناك عدداً من رجال الدين يؤثرون على اتخاذه القرارات الحاسمة، وهكذا تمكنوا من إقناعه، أن يتعامل مع النساطرة بقسوة وشدة، وألّا يكون رحوماً بهم ولا شفوقاً عليهم.[4]

---

(1) رايت وبريث، 381-82، م س رقم 280.

(2) م ن، 381. يبدو أن ذلك يتعارض مع تأكيد لايارد أن بدرخان، بعد تقديم تعهدات صارمة أمام حشد كبير من النساطرة الذين لجأوا إلى جرف لا يمكن الوصول إليه أن يحقن دماءهم، تراجع عن وعده وأمر بقتل كل واحد منهم أو إلقائه في الوادي.

(3) م ن، 382.

(4) ادعى الدكتور أشاهيل غرانت أنه في وقت زيارته إلى بدرخان، عشية هجوم الأخير على الآشوريين، «قيل إن بعض الدراويش والملالي أشاروا بشن حرب إبادة.» الدكتور غرانت، رسالة مؤرخة في 5 تموز/ يوليه، عام 1843، بشأن زيارته بدرخان، ميشنري هيرالد 39، عد. 11، 434. كما نعلم من لايارد أنه قبل هجوم بدرخان الثاني على النساطرة، كان سيد طه الأول يحث الأمير على إثبات حماسته الدينية بسفك دماء أولئك التعساء. لايارد، نينوى، 1: 193، م س رقم 131.

العوامل التي أكسبت حملة بدرخان على بلاد النساطرة أهميتها

حملة بدرخان على بلاد النساطرة، وما تبعها من مجازر ومذابح، استدعت اهتمامنا، لأسباب عديدة، أولاها، أن هناك شبهاً، بينها وبين حملة محمود باشا الراوندوزي على الإيزديين؛ وثانيها أنها كانت بمثابة الدعوة للآخرين للتدخل في الشؤون العثمانية، ليس عسكرياً، بل قدمت فرصة للقوى العظمى أن تتدخل بشدة في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية. والأهم من هذا كله، هو أن هذه الحملة، تحولت إلى ذريعة استعملها العثمانيون لمهاجمته للقضاء عليه وعلى إمارته.

كثيرون هم الذين حاولوا تبرير أو إعطاء تفسير لمجازر بدرخان بحق النساطرة. أعادها بعضهم إلى نفسية الأمير المتدينة إلى حدود التعصب، وهناك من قال إنها تمت بتحريض من رجال الدين الذين كانوا يحيطون به ويمارسون الضغوط عليه، وكذلك إلى تأييد أمير الهكّاريين نور الله بگ. كذلك هناك من ربطها بالصراع الأميركي الإنكليزي حول المنطقة. وهناك فريق قال بنظرية المؤامرة العثمانية ضد الأمير بدرخان. هذا خارجياً، أما داخلياً، فقد لعبت الخلافات بين النساطرة أنفسهم، والقرارات غير المسؤولة التي كان يتخذها زعيمهم البطريرك مار شمعون، دوراً مهماً في التسبب بالمأساة التي حلت بهم. بالفعل؛ إن وراء غزوة بلاد النساطرة، وما تبعها من مجازر، عدة دوافع، اجتمعت معاً وأدت إلى ما أدت إليه.

تضارب المصالح بين الأفراد، والرغبة في اتساع مناطق النفوذ، أدت إلى الصراع من أجل البقاء، ولو على حساب إنهاء الآخرين. الأخطاء القديمة، التعصب الديني، الطمع والجشع، والرغبة في اكتساب المزيد من النفوذ والقوة. كل هذه، ساهمت في ازدياد الأوضاع خطورة، حتى وصلت إلى مرحلة اتخاذ القرار المشهور بالغزو وارتكاب المجازر. بطريرك النساطرة،

مار شمعون، كان يحاول بشتى الطرق البقاء في منصبه، وخائفاً جداً من أية تدخلات خارجية قد تضعف موقفه بين أبناء تلك البلاد. لم يكن يثق بالأميركيين، وهذا ما أغضب الموفدين الذين قصدوه، محاولين تهدئة مخاوفه. كذلك كان على خصام مع العديد من زعماء النساطرة. المبشرون الإنكليز والأميركان، الذين كانوا يتنافسون لفرض سيطرتهم الروحية على النساطرة. ولهذا انحاز كل منهم إلى فريق من فريقي النزاع. الإنكليز ساندوا البطريرك، في حين ساند الأميركيون خصومه وأعداءه.

الأمير الهكّاري نور الله بگ، كان متشوقاً جداً لفرض سيطرته على البطريرك مار شمعون، مخافة انحياز هذا الأخير، مع ما له من مكانة، إلى جانب خصمه وعدوه اللدود سليمان بگ. البطريرك، بدوره، أغضب الأمير الهكّاري، ليس بسبب رغبته في البقاء يتصرف باستقلالية، بل بسبب انحيازه، ولو قلبياً، لسليمان بگ، الذي أحب أن يرد له – للبطريرك – الجميل، فسانده سراً في صراعه ضد الأعداء المشتركين.

نور الله، كان غاضباً جداً من البطريرك، بسبب تعجرفه وعدم التعاون معه، لكنه لم يكن راغباً أن يكون وحيداً في مواجهته، ولهذا طلب مساعدة بدرخان، الذي أسعده جداً هذا الطلب، وهذا ما أدى إلى التعاون الوثيق، بين إمارة هكّاري التي تتمتع بالقوة والنفوذ، وتحالف الإقطاع الكردي بزعامة بدرخان. إن مجرد التفكير بالقيام بالحملة، جعل بدرخان يحلم بالمغانم التي سيجنيها والتي ستسمح له بزيادة عدد المناصرين وفي الوقت ذاته تمنحه فرصة إثبات تمسكه بأهداب الدين، كل من الأمرين كان مهماً بالنسبة إليه.

باشا الموصل الذي كان طامعاً ببلاد النساطرة، كان مهتماً فقط بضمها إلى مناطق نفوذه. وبالرغم من أنه كان قلقاً من معاملة النساطرة بعنف وقسوة، لكنه لم يفعل شيئاً لمنع تلك الغزوة، هذا إن لم يكن، ولو عن غير قصد، ساعد

في الإعداد لها. پاشا أرضروم، الذي كانت بلاد النساطرة خاضعة لنفوذه السياسي، بدا واضحاً، أنه لم يكن أكثر إجراماً بحق النساطرة من منافسه پاشا الموصل.

خلف هؤلاء كلهم، كان يقف العثمانيون منتظرين بداية الحروب بين القبائل، من دون اكتراث لما ستخلفه هذه الحروب من دمار وضحايا. فالعثمانيون، كانوا يرحبون بالتخلص من الزعماء غير المتعاونين معهم، وفي الوقت ذاته يسعون وراء الحجج والذرائع لإنزال العقاب بالآخرين.

إن البحث عن الأسباب الحقيقية التي أدت إلى المجزرة، ساعدنا، بالإضافة إلى التعرف على مدى فداحتها ووحشيتها، إلى التعرف على الأوضاع الداخلية لبلاد كردستان الوسطى في ذلك الزمن.

التفكك النسطوري. هناك من يعتقد أن الخلافات بين النساطرة أنفسهم، زمن الإعداد للحملة، ساهمت بفعالية في حصول حملة بدرخان. وهنا علينا التذكر، أنه وقبل سنوات قليلة، أن الأمير الراوندوزي، الذي لا يقل شأناً عن الأمير بدرخان، فشل في محاولته الاستيلاء على بلاد النساطرة الذين تصدوا له متحدين، ودافعوا عن جبالهم وكأنهم يد واحدة.[1]

الخلافات النسطورية الداخلية، واتساع رقعة نفوذ المعارضين للبطريرك شمعون، سهّلت، بطريقة أو بأخرى، في نجاح حملة بدرخان. الصراع بين البطريرك مار شمعون، والزعيمين المعارضين له الشاماشا - الشماس - هينو، والكاشا - الكاهن جندو والذي أدى إلى إقدام البطريرك على إلقاء الحرم

(1) توماس، لوري والدكتور أزاريا سميث، رسالة بشأن بدرخان ومسائل أخرى، ميشنري هيرالد 41، عد. 6 (نيسان/ أبريل، عام 1845)، 120 (بالإنكليزية مرجع 130). راجع پركنز، 92، م س رقم 206.

الكنسي على الأول، أي الشماس هينو، شكل عنصراً جوهرياً في هذه القضية. إذ أقدم الشماس هينو، وبعد إلقاء الحرم الكنسي عليه، على الاتصال بالأمير بدرخان، مؤكداً له، ليس التحالف معه فقط، بل ومساندته، حين يبدأ بحملته. بدرخان الذي أسعدته هذه الخيانة، لم يكتفِ بالعفو عن الشماس هينو وحسب، بل أغدق عليه الهدايا. في المقابل، تفيد التقارير، أن الكاشا جيندو، أقدم على فتح قنوات اتصال مع نور الله بگ الذي أغدق عليه الهدايا.[1]

تخوما، أحد زعماء القبائل النسطورية، كان بدوره حاقداً على البطريرك، ووثيق الصلة بنور الله، حتى أنهما كانا يتقاسمان العشر الذي يفرضه الأول على مناصريه.[2] ومن المفيد أن نلاحظ أن بدرخان، أثناء حملته الثانية على بلاد النساطرة صب جام غضبه على هذا الزعيم القبائلي.

علاقة النساطرة بالزعماء الكرد. بدا واضحاً، أن النساطرة عموماً، والبطريرك مار شمعون خصوصاً، شكلوا مصدر إزعاج لكبار الزعماء الكرد الذين كانت لهم يد، بنسب مختلفة، في الحملة على جبال النساطرة. اسماعيل پاشا العمادي، نور الله بگ الهكّاري، وبدرخان بگ البوتاني. هذا لا يعني أبداً، أن النساطرة وحدهم مسؤولون عما حدث.

1- اسماعيل پاشا العمادي. غضب هذا الزعيم على النساطرة مرده إلى فشل مار شمعون في التصرف كزعيم يوثق به، ويفي بالتزاماته، أثناء مواجهة الأول للحملات العثمانية. باختصار هذا ما حدث: حين ترامى إلى مسامع اسماعيل پاشا أن إنجه بيرقدار محمد پاشا، والي الموصل، يعد العدة لمهاجمته، اتصل بصديقه البطريرك مار شمعون طالباً المساعدة، فما كان من

(1) م ن، 118-19.

(2) م ن، 122.

البطريرك إلّا أن استجاب للطلب، من دون تردد، وبمعرفة وموافقة نور الله بگ، الذي إليه تتبع بلاد النساطرة، فأرسل ثلاثة آلاف رجل للمقاتلة إلى جانبه.[1] وما إن وصل خبر هذه المساعدة إلى مسامع إنجه بيرقدار محمد پاشا، حتى أرسل من يبلغ البطريرك مار شمعون، أنه مصمم على تأديب اسماعيل پاشا، ويطلب منه سحب الرجال الذين أرسلهم لمساندته. مار شمعون الذي لم يكن راغباً بإغضاب العثمانيين، أسرع وسحب القوات التي كان قد أرسلها. هذا التصرف، أثار غضب اسماعيل پاشا، الذي، وحين حان وقت تقرير مصير بلاد النساطرة، لم يتوان على إلقاء كل ثقله لتحقيق ذلك.[2]

أما بالنسبة إلى أمير هكّاري، فمرد غضبه على البطريرك إلى رفض هذا الأخير مساعدته في حملته على العمادية. ولا يغربن عن البال أنه حين كان جميع الزعماء الكرد، متحدين في مواجهة العثمانيين، كان البطريرك يغازل هؤلاء الأخيرين[3] علانية أحياناً وسراً أحياناً أخرى، فاعتبروا تصرفه هذا نوعاً من العدائية لهم.[4]

---

(1) بادجر، 1: 265، م س رقم 15.

(2) م ن.

(3) رسالة موجهة من الدكتور غرانت مؤرخة في 12 أيلول/ سبتمبر، عام 1842، ميشنري هيرالد 39، عد. 2، 67، م س رقم 91.

(4) تصور حكاية يرويها المبشران الأميركيان لوري وسميث على نحو واضح موقف الكرد تجاه الحكومة العثمانية، من ناحية، وتجاه زعمائهم، من الجهة الأخرى. وفاقاً للمبشرين، لدى وصولهما إلى أشيتا، بعد الغزو الثاني لبلاد النساطرة، توجها لمقابلة الزعيم الكردي الشاب الذي كان يعمل بوصفه وكيل بدرخان في تلك المنطقة. دقق الزعيم الكردي وثائقهما المؤلفة من فرمان صادر عن الباب العالي ووثيقة زودهما بها پاشا الموصل ورسالة من إسماعيل پاشا. نظر إلى الوثيقتين الأولى والثانية ورماهما باحتقار «إلّا أن (وكيل بدرخان) رفع رسالة إسماعيل پاشا إلى جبهته ونهض وكأن الزعيم نفسه كان حاضراً.» لوري وسميث، 118، م س رقم 130.

2- بدرخان بگ البوتاني: بالإضافة إلى أسباب عديدة، أثار غضب بدرخان ضد النساطرة، أن هؤلاء الأخيرين أقدموا عمداً ومن دون أي سبب على قتل شخصين من إمارة بوتان، فما كان من بدرخان إلّا أن أمر بقتل أربعة نساطرة، ليأخذ بالثأر للاثنين اللذين قتلا على يد النساطرة، الذين هم بدورهم أقدموا على قتل ثمانية أفراد من حاشية الأمير، وتزامن ذلك مع طلب نور الله الهكّاري من الأمير بدرخان المساعدة في حملته ضد النساطرة.[1]

3- نور الله بگ الهكّاري: أيا كانت نوعية خلافات النساطرة مع اسماعيل پاشا وبدرخان، فخلافاتهم مع نور الله بگ، أمير هكّاري، كانت أعمق وأكثر تعقيداً. من المعروف أن جبال النساطرة، كانت تشكل جزءاً من إمارة هكّاري. إذ إنّ أمير هكّاري هو السيد الأعلى، والبطريرك هو مجرد إقطاعي. هذا الوضع خلف نوعاً من التوتر بين الرجلين، خصوصاً حين كان الأمير يلح على البطريرك بزيادة الأموال التي يرسلها إليه، والتي تعتبر حقاً من حقوقه، بينما يحاول البطريرك التخلص من ذلك.

كانت الأمور بين الاثنين في الأصل معقدة، إذ حدث أنه بعد وفاة الأمير السابق لهكّاري، تولى الإمارة قريبه نور الله وليس ابنه سليمان الذي احتال عليه نور الله وأبعده عن سدة الإمارة وعينه في وظيفة أدنى مطلقاً عليه لقب «مدبر شؤون الإمارة»، لكن مار شمعون، الذي كان على علاقة طيبة مع الأمير

(1) م ن، 122. مهما تكن حقيقة هذه القصة من المثير للاهتمام ملاحظة أن هذه القصة، شأنها شأن قصة أخرى ذكرت بعد سنوات كثيرة لاحقاً، تنسب هجوم بدرخان على النساطرة إلى رغبة في الانتقام. ذكر الكاتبان أنه بالإشارة إلى هذه الأحداث، «قد يكون حقيقياً أو غير حقيقي أن سبب مجازر بدرخان كانت سنوات كثيرة من التمرد في اجتثاث قرية سيديس.» انظر أيضاً العراق (الإدارة البريطانية)، مكتب المفوض المدني، تقرير الإدارة لمنطقة الموصل لعام 1921، 10، م س رقم 345.

المتوفى، اعتبر ما حدث نوعاً من الظلم. وكان منحازاً لمصلحة ابن الأمير الراحل، الأمر الذي جعل نور الله يحنق عليه ويشك في صدق نيّاته.[1]

نور الله، بقي مسكوناً بفكرة، أنه قد يأتي يوم، ويتمكن سليمان بگ من استعادة ما هو حقه، ومخافة إقدام الإقطاعيين على الوقوف إلى جانب سليمان، أخذ يغريهم بتخفيض قيمة الأموال التي عليهم دفعها سنوياً له. لكن هذا التصرف انعكس سلباً عليه، إذ شحت موارده المالية.[2] مشكلات نور الله المالية، عمقت إحساسه بعدم الارتياح، وحولته إلى رجل يرتاب بكل المحيطين به، والبطريرك مار شمعون على رأسهم، فأخذ يطالبه بدفع زيادة الضرائب ومستحقاته.

لكن البطريرك، لم يكتفِ بعدم الاستجابة لمطالبه - الأمير - بل فكر في عدم إرسال المعلوم السنوي الذي يتوجب على النساطرة لأمير هكّاري.[3]

دور المبشرين الأميركيين: عامل آخر زاد مخاوف نور الله بگ وأثار اهتمامه، هو وجود المبشرين الأميركيين في بلاد النساطرة. إنه كغيره من الزعماء الكرد، كان يعارض وجود المبشرين، من أي جهة أتوا، مخافة نشر الثقافة بين النساطرة وتعليمهم الفنون الأوروبية - كانوا في ذاك الوقت ينظرون إلى الأميركيين على أنهم أوروبيون - الأمر الذي يمكنهم من التفوق على الكرد والتحرر من قبضتهم.[4]

---

(1) لوري وسميث، 121-22، م س رقم 130.

(2) م ن، 122.

(3) وفاقاً للوري وسميث، فإن نورالله بگ «لم يهمل ولم ينس» هذه الإشارة غير الودية من مار شمعون، م ن، 121-22.

(4) رسالة من الدكتور غرانت مؤرخة في 26 كانون الأول/ ديسمبر، عام 1842، ميشنري هيرالد 39، عد. 8، 317-18. رسالة من الدكتور غرانت مؤرخة في 5 تموز/ يوليه، عام 1843، ميشنري هيرالد 39، عد. 11، 435، م س رقم 91.

بالإضافة إلى ذلك، كان الزعماء الكرد متخوفين، من أن يكون هؤلاء المرسلون، على علاقة ما مع إسطنبول ولو صح ذلك، فهذا يعني أنهم قد يتحولون إلى جواسيس لمصلحة الباب العالي. ولن يكون هؤلاء الزعماء مسرورين برؤية الجيوش العثمانية في بلادهم.[1]

بيت المبشرين الذي بناه الدكتور أشاهل غرانت (Ashahel Grant) في بلاد النساطرة، وفي أشيتا تحديداً، أثار الكثير من التساؤلات والمخاوف، إذ قد سرت شائعات على أنه سيكون قلعة، تنطلق منها الأعمال العدائية ضد الكرد. ومنهم من قال إنه قد يكون سوقاً تجارياً يحل محل أسواق جولامريك وغيرها من المراكز التجارية الكردية، وهكذا يغتني النساطرة على حساب إفقار الكرد، الأمر الذي أثار حفيظة نور الله بگ شخصياً، فاستدعى الدكتور غرانت وطلب منه توضيحاً لما يجري. لكن الدكتور غرانت أكد له، أن البيت بني ليكون مدرسة ومركزاً لإقامة المبشرين ليس أكثر. نور الله طلب منه تعهداً خطياً بذلك، وكان له ما أراد.[2]

لم يكن الكرد وحدهم معارضين لإقامة هذا المبنى، بل الترك أيضاً، حتى أنه جاء من يخبر الدكتور غرانت أن والي الموصل يخطط لاغتياله.[3]

(1) كان نورالله بگ قبل ذلك ببضع سنوات مسؤولًا عن اغتيال رحّالة وعلامة ألماني يدعى شولتز للارتياب أنه كان يبحث عن كنز أو أحجار ثمينة مدفونة مما يجعل السلطات العثمانية تتقدم إلى المنطقة. لايارد، نينوى، 1: 179، م س رقم 132. انظر أيضاً الاكتشافات، 77، م س رقم 131.

(2) رسالة من الدكتور غرانت مؤرخة في 26 كانون الأول/ ديسمبر، عام 1842، ميشنري هيرالد 39، عد. 8، م س رقم 91.

(3) م ن، 318، انظر أيضاً رسالة من الدكتور غرانت مؤرخة في 18 نيسان/ أبريل، عام 1843، ميشنري هيرالد 39، عد. 8، م س رقم 91.

لقد أعطى الكرد والترك معاً، بالرغم من نفي المبشرين، أهمية للبناء، توحي بأنه كان سبباً من أسباب الحملة على بلاد النساطرة وما تلاها من مجازر.[1]

حاول العديد من المبشرين الإنكليز التعاطي مع مسألة تشييد البناء، بهدف تحميل المبشرين الأميركان مسؤولية المجازر. ووفاقاً للمصادر الإنكليزية، فبناء بيت الإرسالية، أثار مخاوف الكرد والترك وشكوكهم معاً، في حين كان لمحاولة المبشرين الأميركان كسب ودّ النساطرة دور في زرع الشقاق بين النساطرة أنفسهم.[2] قد يكون في مثل تلك التصورات شيء من الحقيقة، سمح للبعض بتحميل المبشرين الأميركان مسؤولية ما جرى. والحقيقة، أنهم ليسوا وحدهم مسؤولين عما جرى. هذا ما يشير إليه لايارد في كتابه: \اكتشاف آثار نينوى وبابل الصادر عام 1853. في هذا الكتاب يحاول لايارد تفنيد مزاعم المبشرين الإنكليز، حيث نستشف أن الإنكليز، لم يكونوا أبرياء – إلى حد – من دماء النساطرة. ومن خلال ما يورده لايارد عن أحاديثه مع البطريرك مار شمعون، يلقي الضوء على تلك المسألة:

> **حدثني، فأحسست أنه عاتب على المبشرين الأميركيين أكثر بكثير مما هو عاتب على مضطهديه، الكرد والترك. وأبدى أسفه لأنه تعلم على يد رجال من الكنيسة الإنكليزية. كانوا يسعون لتثقيف أبناء**

---

(1) ميشنري هيرالد 40، عد. 3، 82، م س رقم 91. أكدت هذه الرسالة من الدكتور غرانت أن دار البعثة التبشيرية لم تكن سبب المذابح بل إنها أنقذت أشيتا. وأورد الدكتور روبنسن هذا القول مع الموافقة في مذكرته التمهيدية الموجهة إلى الطبعة الأميركية لكتاب لايارد نينوى، 1: 7–8، م س رقم 132. ويجب بيان أنه على الرغم من الإبقاء على أشيتا أثناء الغزو الأول إلّا أنها لم تنقذ أثناء الغزو الثاني. كما يبدو أن أشيتا دانت بخلاصها أثناء الغزو الأول إلى حقيقة أن قائديها الرئيسين تحالفا مع بدرخان ونورالله بگ، وفاقاً للوري وسميث.

(2) بادجر، 1: 260، م س رقم 15.

رعيته، وجعلهم يتخلون عن أرثوذكسيتهم، وجعلهم يرفضون سر القربان المقدس، والأسرار الإلهية الأخرى التي هي جوهر الإيمان الحقيقي، وكأنهم يهدفون إلى جعل النساطرة غارقين في اليأس الذي قد يصيبهم نتيجة الإلحاد والكفر. كان خائفاً من أن يؤدي ما ينشرون من أفكار ومفاهيم بين أفراد رعيته إلى إضعاف وجوده الروحي والزمني. وجدته لم يعد قادراً على تحمل الضغوطات التي تمارس عليه، وبخاصة حالات الاضطهاد الديني الذي يتعاظم خطره يوماً بعد يوم. كان خائفاً على شعبه ونفسه في آن، لذا حاولت جاهداً إقناعه بالتخلي عن مخاوفه غير المبررة.[1]

كان واضحاً أن أفراد الإرسالية الأميركية، هم رجال أتقياء، ورعون ويهدفون إلى فعل الخير، لكن سوء التوجيه تسبب بوقوع المشكلات لأنفسهم ولغيرهم أيضاً. ومشكلتهم الأساسية، تكمن في اقتناعهم أن ديانتهم هي الأسمى، وأنهم، قليلاً ما كانوا متيقظين، أو لم يكونوا متيقظين على الإطلاق، إلى ضرورة التعامل بحذر مع أبناء البلاد لئلّا يساء فهم قصدهم، وعدم إثارة المتاعب للبطريرك، لأنه من الضروري جداً تجنب المشكلات مع إنسان في موقعه، له كلمة مسموعة ونفوذ واسع بين أفراد رعيته، ومن الأفضل التعاون معه ولو رغماً عنهم.

في المقابل، اعتبر الظهور المفاجئ للمبشرين الأميركان، في جبال كردستان الوعرة، أمراً مستغرباً أثار الكثير من التساؤلات والشكوك والظنون في الأوساط الكردية، خصوصاً بعد أن تبين أن وجودهم هذا لم يكن بمعرفة السلطات العثمانية، ولا بموافقتها، ومتى؟ في الوقت الذي تحيط به الشكوك

(1) لايارد، الاكتشافات، 424، م س رقم 131.

حول عمل هؤلاء المبشرين بين السكان النساطرة البسطاء.[1] فوق هذا، فموقع البناء وضخامته كان موضع تساؤل. خلال نيسان/ أبريل، 1845، أرسل توماس لوري (Thomas Laurie) والدكتور عازارية سميث (Azariah Smith) رسالة إلى صحيفة ميشانيري هيرالد *(Missionary Herald)*أشارا فيها إلى موقع البناء، على رأس تلة، وعلى أنقاض بناء قديم يسميه الكرد «بالقلعة».[2] وقد علق لايارد، المدافع عن المبشرين والمنحاز إليهم، على مسألة البناء فقال: «إنه يقع على قمة تلة شبه معزولة، وتشرف على كامل الوادي. كان من الأفضل اختيار موقع آخر لا يثير الريبة. لقد جاء هؤلاء للعمل بين أفراد القبائل لذا عليهم الإقامة بينهم، وليس ارتكاب مثل هذا العمل الطائش.»[3]

دور الحكومة العثمانية: من غير الممكن تجاهل الاعتقاد أن الحكومة العثمانية، كانت تسعى إلى إحداث الفتن بين الكرد والنساطرة، خصوصاً وأن كلا الطرفين، لم يكونا، ومنذ زمن طويل، محط ثقة الحكومات العثمانية. هذه الفتن، بالإضافة إلى أنها ستضعف النساطرة وتقضي على الحكم الذاتي الذي كان يتمتع به النساطرة، فإنها ذريعة للتدخل في الشؤون الكردية.

وما تصرف والي الموصل، أثناء غزوة بدرخان لبلاد النساطرة، إلّا خير دليل على ذلك. كانت قواته منتشرة على معظم حدود بلاد النساطرة، وليست بعيدة عن حدود المناطق الكردية. ومع ذلك، لم يحاول التدخل لمنع ما ارتكب من مذابح ومجازر؛ وبالرغم من تعهد الپاشا محمد إنجه بيرقدار للبطريرك مار شمعون بحمايته وحماية شعبه، فإنه أقدم على فرض ما يشبه

---

(1) رسالة موجهة من غرانت مؤرخة في آب/ أغسطس، 1843، ميشنري هيرالد 40، عد. 1، 24، م س رقم 91.

(2) لوري وسميث، 118، م س رقم 130.

(3) لايارد، نينوى، 1: 156–57، م س رقم 132.

الحصار عليه بدلاً من أن يمد له يد العون، مما سهل للغزاة مهمتهم أكثر.[1] بالطبع كانت هناك شكوك حول إمكانية مشاركته في الذي جرى. وهذا ما تشير إليه رسائل الموفدين الأميركيين، إن قبل بدء الغزوة أو بعدها، إذ يستفاد منها أنه كان راضياً عما يجري، ونال نصيبه من غنائم تلك الأحداث.[2]

غزوتا بدرخان ضد جبال النساطرة

الغزوة الأولى حصلت في تموز/ يوليه، 1843، ورغم أنها كانت تستهدف عشائر التياري والديز إلّا أن شظاياها أصابت جميع العشائر الأخرى. وبدا واضحاً أن حملة بدرخان هذه، كانت تحظى برضا والي أرضروم الذي كانت حدود إمارته تحيط بالأغلب الأعم من حدود إمارة الهكّاري.[3] واستناداً إلى معلومات والي الموصل، فبدرخان، جمع جيوشه من مناطق عديدة، وبلغ عديدها نحو من مئة ألف رجل، في حين قدرها النساطرة أنفسهم بنحو من سبعين ألفاً.[4]

---

(1) رسالة من الدكتور غرانت مؤرخة في 5 تموز/ يوليه، عام 1843، ميشنري هيرالد 39، عد. 11، 435-37، م س رقم 91.

(2) رسالة من الدكتور غرانت مؤرخة في آب/ أغسطس، 1843، ميشنري هيرالد 40، عد. 1، 23-24، م س رقم 91.

(3) وفاقاً لغرانت، تصرف بدرخان بموجب أوامر والي أرضروم، المسؤول العثماني مباشرة عن بلاد النساطرة. كوفئ هذا الوالي على جهوده بمنحه وساماً. انظر رسائل من الدكتور غرانت في ميشنري هيرالد 39، عد. 11، 436 و40، عد. 1، حيث يستشهد بوالي الموصل، الذي أصر على أن الحرب ضد النساطرة قد نفذت بموجب أوامر والي أرضروم.

(4) رسالة من الدكتور غرانت مؤرخة في 12 آب/ أغسطس، عام 1843، ميشنري هيرالد 39، عد. 12، 453، م س رقم 91. وفاقاً لشيركوه بلغ تعداد الجيش الذي قاده أمير بوتان ضد النساطرة عشرة آلاف رجل. شيركوه، المسألة الكردية، 16، م س رقم 39.

أعتقد أنه ليست هناك حاجة للتذكير بمعاناة النساطرة، ولا بوصف الدمار الذي أصاب بلادهم. كل هذه الأشياء، وردت تفاصيلها في كتابات لايارد وغيره من أفراد البعثات الأميركية الذين كانوا أشبه بشهود عيان.[1] فالناجون اعتبروا كأسرى وعوملوا معاملة العبيد، وقلائل هم الذي تمكنوا من الهرب إلى الموصل أو أورميا.[2] أما الاستنكارات الإنكليزية الشديدة اللهجة وجهود السفير البريطاني السير ستافورد كانينغ (Stafford Canning)، فقد أدت إلى تحرير عدد من الأسرى.[3]

عام 1846، كان عام الحملة الثانية التي استهدفت تخوما مباشرة والذي كان حليفاً لبدرخان في حملته الأولى، كذلك طاولت هذه الحملة أشيتا ووضعت رقاب ساكنيها تحت حد السيوف، بالإضافة إلى ما حل بها من دمار وما ارتكب من مجازر.[4]

---

(1) قدر لايارد عدد من فقدوا حياتهم نتيجة المذابح بعشرة آلاف. لايارد، نينوى، 1: 153، م س رقم 132. وفاقاً للمبشر الأميركي إدوارد بريث بلغ العدد سبعة آلاف. رسالة من بريث مؤرخة في 27 تموز/ يوليه، عام 1846، ميشنري هيرالد 42، عد. 12، 407، م س رقم 91. وفاقاً لويغرام وويغرام، قرر أحد أشقاء بدرخان بگ الذي خشي الكساد الاقتصادي في نهاية المطاف إذا سمح باستمرار المذابح من دون وقفها، عرض المسألة على شقيقه على نحو مثير. دخل يوماً قاعة استقبال الأمير بوصفه فلاحاً نسطورياً يحمل مجرفة على كتفه. تحير كل الحاضرين بمن فيهم الأمير، الذي قال، «ما شاء الله، ما معنى هذه المسخرة؟» أوضح شقيق الأمير آنذاك أنه إذا أبيد كل النساطرة كما بدا الأمير مصمماً على ذلك فسيضطر كل كردي إلى حرث الأرض. وقال إنه لذا قرر البدء بممارسة مهنته المستقبلية. ويغرام وويغرام، 318، م س رقم 273.

(2) رسائل من الدكتور غرانت، ميشنري هيرالد 40، عد. 2، 58 و40، عد. 3، 82-83، 40، عد. 4، 165 و40، عد. 5، 166، م س رقم 91.

(3) لايارد، نينوى، 1: 153، م س رقم 132.

(4) م ن، 1: 189، 201.

نهاية بدرخان

احتجت كل من بريطانيا وفرنسا بشدة على ما جرى، وطلبت من الباب العالي وضع حد فوري لما يلحق بالنساطرة من أذى، وإبعاد بدرخان عن منصبه ونفيه. وقيل إن حكومتي البلدين، وعدتا السلطان العثماني بالوقوف إلى جانبه في تنفيذ ما طلب منه. وهكذا وجد الباب العالي الفرصة سانحة للقيام بما كان يحلم به من زمن، ألا وهو القضاء على بدرخان.[1]

لكن هذه، لم تكن مهمة سهلة، إذ تمكن بدرخان وعلى مر السنين من تحقيق اتحاد كردي قوي، ومن خلال سلسلة من التحالفات مع قبائل الهكّاري، وألڤان، والموكس، وبدليس.[2] كذلك، تمكن بدرخان من إغراء حكام بعض المناطق النائية مثل قارص وأردلان للتحالف معه.[3] وكانت قواته على جهوزية عالية عدداً وعدة وتدريباً وتجهيزاً، حتى قيل إنه أنشأ معامل للأسلحة والذخائر في جزيرة ابن عمر.[4]

---

(1) شيركوه، المسألة الكردية، 16، م س رقم 39.

(2) م ن. كان هؤلاء الرجال هم نورالله بگ وخان محمود وشقيقه خان عبدول وشريف بگ على التوالي. سبق ذكر نورالله بگ في تلك الصفحات ونتناول شريف بگ لاحقاً. وكان خان محمود قد صعد من موقع مغمور ليصبح الشخصية الأكثر هيجاناً في كردستان الشمالية والوسطى. وسيطر مع إخوته العديدين طويلاً على معظم المنطقة جنوبي بحيرة ڤان. وكان شقيقه خان عبدول، الذي اختلف مع بدرخان في وقت ما وانضم إلى اتحاده في نهاية المطاف، يسيطر على قلعة المحمودية (خوش أب) والريف المجاور. وكان خان محمود نفسه قد أفلح في الاستيلاء على ڤان واحتلالها. ج. شيل، «ملاحظات عن رحلة من تبريز عبر كردستان عن طريق ڤان وبدليس وسعرت (سيرت) وأربيل إلى السليمانية في تموز/ يوليه وآب/ أغسطس، عام 1836. مجلة الجمعية الجغرافية الملكية 8، 63-64 (بالإنكليزية، مرجع 238)؛ برانت، 386-88، م س رقم 15.

(3) شيركوه، المسألة الكردية، 14، م س رقم 39.

(4) بله ج شيركوه، القضية الكردية، ماضي الكرد وحاضرهم، نشرة خويبون، عد. 5، 27 (بالعربية، مرجع 292).



9. عائلة بدرخان: (جلوساً من اليسار إلى اليمين) أمين علي بگ (والد جلادت، وكاميران وثريا)، علي شامل پاشا وبحري؛ (وقوفاً من اليسار إلى اليمين) مراد رمزي بگ، حسن، مقداد مدحت بگ وكامل، نحو 1880. مصور مجهول/ بترخيص من سيف ث. بدرخان. كردستان: في ظل التاريخ.

هكذا تمكن من إلحاق الهزيمة بالجيش العثماني الذي أرسل لتأديبه. بعد هذا النجاح، قرر بدرخان قطع كل الاتصالات مع الإمبراطورية العثمانية، وأعلن استقلال بلاده وأصدر عملة خاصة بها كتب عليها «بدرخان أمير بوتان.»[1]

ولكن وبعد تمكنها من وضع حد للتهديد الذي كان يشكله محمد علي پاشا والي مصر، انصرفت الحكومة العثمانية للاهتمام بتأديب بدرخان مجدداً، فأرسلت جيشاً عرمرماً، بقيادة المارشال عثمان پاشا، يساعده الجنرالان عمر

(1) شيركوه، المسألة الكردية، 16، م س رقم 39.

پاشا وصبري پاشا. المعركة الأولى والمهمة، جرت بالقرب من أورميا، تمكن خلالها بدرخان من صد هجوم الجيش التركي، لكن الذي حدث أن الأمير عزالدين (يزدان) شير، أحد أقرباء بدرخان وأحد كبار قادته، انشق عنه وانضم إلى القتال في صفوف القوات العثمانية. خيانة عز الدين مكنت العثمانيين من احتلال مدينة جزيرة ابن عمر عاصمة إمارة بدرخان. هذا التطور أجبر بدرخان على الإنكفاء غرباً لإعادة تجميع قواته والعودة إلى عاصمته جزيرة ابن عمر مكللاً بالنصر مطهراً إياها من الجيوش التركية وأنصار عز الدين.[1]

فرصة بدرخان باستعادة السيطرة على عاصمة إمارته، لم تدم طويلاً. إذ عاد الجيش العثماني لمهاجمته، ومطاردته حتى في مخبئه في قلعة أروخ.[2] في هذا الوقت، أسرع محمود خان لمساندته - بدرخان - لكن قواته انكسرت في موقعة تِل (كذلك تلا وتلو) عند ملتقى نهري بوتان ودجلة، واضطرت إلى التراجع، بعد اعتراض طريقها من قبل القوات العثمانية بمساندة من المقاتلين الإيزديين.[3]

في حصنه المنيع المحاصر من القوات العثمانية ومقاتلي الأمير عز الدين، تمكن بدرخان من الصمود لمدة ثمانية أشهر، إلّا أن شح الموارد المعيشية والنقص في الذخيرة، اضطره إلى طلب عقد الصلح، مشترطاً أن يكون استسلامه استسلاماً مشرفاً، فكان له ذلك. فأرسل أولاً إلى القسطنطينية، ومن ثم نفي إلى كانديا في جزيرة كريت،[4] وسمح له باصطحاب عائلته ومئتين

---

(1) م ن، 17.

(2) م ن.

(3) لايارد، الاكتشافات، 1: 50، م س رقم 131.

(4) شيركوه، المسألة الكردية، 17، م س رقم 39. وليم غراهام إلفنستُن، «العزيزان أو أمراء بوتان،» مجلة جمعية آسيا الوسطى الملكية 36، الجزءان 3-4، 250

من مناصريه، شكلوا فيما بعد القوة التي ساهمت في قمع تمرد اليونانيين في كريت عام 1856.[1] تقديراً لما قام به، سمح له بالعودة إلى القسطنطينية ومنها إلى دمشق حيث بقي حتى وفاته عام 1868.[2] كثيرون هم الذين يعودون في نسبهم إلى بدرخان، والذين لعبوا دوراً كبيراً في إحياء الفكر القومي للكرد.[3]

بعد القضاء على بدرخان، أخذت الحكومة العثمانية على عاتقها مهمة القضاء على حلفائه السابقين، واحداً تلو الآخر. محمود خان، الذي أجبر على الاستسلام، تم إعدامه إنما بعد تعذيبه وتوجيه الإهانات إليه.[4] نور الله بگ أمير هكّاري، وبالرغم من مقاومته المستميتة، فقد قبض عليه ونفي.[5] شريف بگ البدليسي، الذي تمكن من المقاومة طويلاً، وقع أخيراً في يد أعدائه ونفي عام 1849.[6]

(بالإنكليزية، مرجع 69).

(1) إ. م. نوئيل، مفكرة...، 53، م س رقم 350.

(2) م ن. إلفنستُن، «العزيزان،» 250، م س رقم 69؛ شيركوه، المسألة الكردية، 17، م س رقم 39.

(3) على الرغم من أنه يعرف أن بدرخان خلف أسرة كبيرة جداً فقد تباينت التقارير بشأن عدد أبنائه. ووفاقاً لأحد المصادر أنجب أربعين ابناً وأربع عشرة ابنة. رسالة من الرائد تروتر إلى ماركيز سالزبري مؤرخة في 28 كانون الأول/ ديسمبر، عام 1878، في بريطانيا العظمى/ وزارة الخارجية، مراسلات بشأن احتزام حالة السكان في آسيا الصغرى وسورية وتركية رقم 10 (1879)، C 2432، 12 (بالإنكليزية، مرجع 332). ووفاقاً لإلفنستُن («العزيزان،» 250، م س رقم 69، كان لدى بدرخان خمسة وستون ابناً. ووفاقاً لـ إ. م. نوئيل (مفكرة...، 53، م س رقم 350) كان عدد أبنائه تسعين.

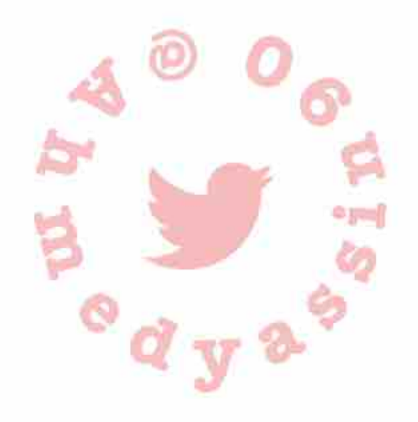
(4) سفرستيان، 58-59، م س رقم 230.

(5) لايارد، الاكتشافات، 1: 36، م س رقم 131. ووفاقاً للايارد، نفي نورالله إلى كانديا في جزيرة كريت.

(6) م ن، 1: 35-36؛ مينورسكي، «الكرد،» م س رقم 169.

بعد القضاء على بدرخان، نصب عزالدين شير أميراً على بوتان، ولكن وبعد أقل من عقد، وأثناء حروب القرم، ثار عز الدين على الترك، لكن ثورته هذه قمعت بشدة.[1]

(1) مينورسكي، «الكرد،» م س رقم 169؛ نيكيتين، الكرد، 194، م س رقم 187؛ زكي، خلاصة تاريخ الكرد، 255-56، م س رقم 314.


@Ahmedyassin90

الفصل الرابع

شيخ عبيد الله نهري

الخلفية: ظهور الشيوخ بوصفهم زعماء قوميين

تبع كبح الإمارات الكردية الوراثية شبه المستقلة في الإمبراطورية العثمانية وإلغاؤها في نهاية المطاف انفلات أمني واضطراب في أرجاء كردستان. ولا يصعب تحديد أسباب هذه الحالة. كان العثمانيون قد أدخلوا نظام التنظيمات بهدف فرض نظام مركزي للإدارة. وعلى الرغم من نجاحهم في تحقيق الهدف الأول وهو المركزية فإنهم أخفقوا، عموماً، في تحقيق الهدف الثاني وهو الإدارة. أدى عجز الحكومة عن النفاذ إلى الأجزاء الأصعب من كردستان، علاوة على فشلها في ممارسة سيطرة فعالة على معظم المناطق المحكومة على نحو سيئ أو المتمردة في الإمبراطورية، إلى جعل نظام الإدارة الجديد غير قابل للتشغيل.

نتيجة لذلك، جرى التخلي عن أجزاء واسعة من أراضي أمراء بابان وصوران وبوتان وبهدينان وهكّاري السابقين لتعاني من عمليات السلب والنهب التي قام بها الكثيرون من الشيوخ القبليين الصغار، الذين كان الأمراء

الأقوياء قد كبحوا جماحهم حتى ذلك الحين، وأصبحوا أحراراً في ممارسة كل أشكال التمرد على القانون. ولم يمض وقت طويل حتى تفشى العنف المنفلت الذي يقارب الفوضى في الكثير من هذه المناطق مثل منطقة هماوند في قلب الإمارة البابانية ومنطقة زيبار في منطقة هكّاري-بهدينان.

كانت هذه الحالة نتيجة إخفاق الحكومة العثمانية في ملء الفراغ الذي حدث بسبب تصفية القيادة الكردية المحلية القوية. ويبدو أن الحل الوحيد أمام الحكومة لمعالجة الوضع تمثل في إرسال الحملات التأديبية الدورية ضد مثيري الشغب. وقد ضمت هذه الحملات غالباً وحدات قبلية كبيرة سببت مراراً انهيار حكم القانون والنظام. فشلت الحملات في أغلب الأحيان في تحقيق أهدافها ولم تخضع معظم المناطق المضطربة على نحو دائم. وكثيراً ما أدت إلى المزيد من أعمال العنف وسفك الدماء وازدياد الصراع بين القبائل. ولم يكن ممكناً تحمل هذا الوضع طويلاً إذ تفشى الافتقار إلى الأمن وتوقفت التجارة تماماً ودمرت أجزاء واسعة من البلاد أو شهدت وضع الانحلال.

كان المسرح مناسباً لظهور نوع جديد من القادة. وبرز الشكل الجديد غير المألوف للشيخ في كل مكان من مقاعد السلطة للأمراء الكرد السابقين ليلقي ظلالاً جديدة من السلطة السامية على المناطق المضطربة. وشعر الناس لأول مرة بقوة أكبر من قوة زعماء القبائل الكرد المتخاصمين الصغار.

هكذا صعد شيوخ شمدينان، الذين هيمنوا بإمرة الشيخ عبيد الله على أجزاء من مناطق خضعت سابقاً إلى أمراء بوتان وبهدينان وهكّاري في تركيا العثمانية وأردلان في فارس القاجارية. وطالب شيوخ برزنجة بإرث أمراء بابان ونال شيوخ بارزان السيطرة على أرجاء في إمارات هكّاري-بهدينان. وأفلح شيوخ آخرون أقل قوة من هؤلاء وإن كان تبجيل أتباعهم لهم ليس أقل،

مثل شيوخ القادرية في بريفكان وشيوخ النقشبندية في بامرني في السيطرة على إمارة بهدينان.

يظهر تولي الشيوخ مركز القيادة الوطنية بين الكرد ليس التبجيل الكبير الذي كان يحاط به الشيوخ بسبب شخصيتهم الدينية فحسب، بل يشير كذلك إلى أنه بعد الإطاحة بالأمراء الكرد العظام لم يكن يوجد زعماء دنيويون للكرد قادرون على امتلاك ما يكفي من القوة والسمعة لملء المقاعد الفارغة للسلطة. ويدل استعداد الكرد لقبول الشيوخ بوصفهم قادة على مدى الحاجة إلى ملء فراغ القوة الذي تركه اختفاء الأمراء. كما أنه يكشف عن الفراغ النفسي الذي أحدثه في العقل القومي الكردي. ومنذ استسلام بدرخان للعثمانيين عام 1847، كان غياب شخصية بارزة تجسد كل الأفكار المتعلقة بصفات الرجولة في مجتمع قبلي، أمراً غير طبيعي وغير مفهوم للكرد. لقد سبب ذلك عنفاً ضد نظامهم القيمي وتركت بلا تلبية واحدة من حاجاتهم النفسية الأعمق. الكرد، شأنهم شأن معظم الشعوب البدائية والميالة إلى القتال، من عبّاد الأبطال الراسخين. تاق أفراد هذا الشعب الضيق التفكير، الذي كان لايزال في عصره البطولي عموماً، إلى واحد من أبناء جلدتهم لممارسة السلطة العليا بينهم.

صعود الشيخ عبيد الله

مثلما سبقت الإشارة، يمثل صعود الشيخ عبيد الله بروز نوع جديد من الزعامة بين الكرد. كان أول وأفضل زعماء كردستان الدينيين – العلمانيين، وقد ساعت جملة من الظروف ليصعد الشيخ عبيد الله إلى مركز الزعامة العليا بين أبناء شعبه. وكما أشرنا بشّر كبح الأمراء الكرد بحقبة جديدة من الاضطراب والضيق الاقتصادي في كل أنحاء الأراضي الكردية في الإمبراطورية العثمانية. وتدهورت الأمور على نحو أكبر نتيجة الحرب الروسية – التركية

العام 1877 – 1878. ونجم عن الاضطراب الذي أحدثته الحرب في المناطق الشمالية الشرقية من الإمبراطورية تخلخل اجتماعي واقتصادي غير مسبوق في ذلك الجزء من كردستان. بحث السكان، الذين أنهكهم العنف والافتقار إلى الأمن وموت الكثيرين منهم بسبب المجاعة والأوبئة، عن منقذ بلا جدوى. وبالنظر إلى عجز الحكومة – كما يبدو – عن تقديم النجدة اللازمة على نحو عاجل تاق الشعب الكردي، ربما أكثر من أي وقت مضى، إلى زعيم من بين صفوفه.

وعند تلك النقطة ظهر الشيخ عبيد الله على مسرح الأحداث. كان سليل أسرة شمدينان القوية من الشيوخ وابن الشيخ سعيد طه المحاط بالتبجيل الواسع، وورث سمعة أسرته الدينية الواسعة عندما خلف عمه الشيخ صالح رئيساً لجماعة النقشبندية في شمدينان. بدا في نظر السكان، الذين كابدوا كثيراً بمرارة وشعروا بالسخط، أنه إله واعتقد هو نفسه أنه كذلك. ويمكن أن ينسب نجاح الشيخ عبيد الله لاحقاً – على نحو واسع – إلى قناعته الراسخة أن وضع الأمور قد أصبح لا يحتمل، وأنه كان الشخص الذي دعي لتحقيق نظام جديد. ولا يوجد شك أن الشيخ عبيد الله قد تصور نفسه رجلاً صاحب رسالة، ونظر إليه الأنصار والأتباع الكثيرون الذي التفوا حوله أنه كذلك.

جمع الشيخ عبيد الله في شخصه دور الزعيم القومي الذي كرس نفسه لمصلحة شعبه مع دور المسلم الورع المصمم على إعادة تأسيس النقاء الأصلي للإسلام في وطنه. كان اعتقاده الراسخ أن الحكومات الفاسدة والأشخاص الأشرار قد سببوا المعاناة الواسعة الانتشار والأسى في أرجاء كردستان، وأن واجبه كان إحلال العدل وقمع انتهاك القانون ووضع نهاية للشر بكل أشكاله. كان لظهور زعيم في تلك الأوقات المضطربة يتحدث بصوت نبي وسلطة أمير، وبدا أنه معني كثيراً برفاهية مواطنيه، تأثير طاغ في

الشعب الكردي. وبفضل قدسية ذكرى أسلافه المبجلين علاوة على ورعه أوقع الرهبة في نفوس مواطنيه بقوة شخصيته ودفعهم إلى التأسي بفعل كلماته المشحونة بالعاطفة.

فرضت الحرب الروسية – التركية العام 1877 – 1878 والأحداث التي أعقبتها على الشيخ عبيد الله أن يتولى على نحو مفاجئ دوراً تحمس كثيراً لتوليه. وكان لتعيين السلطان – الخليفة له في منصب قائد القوات القبلية الكردية المكلفة بالدفاع عن الأقاليم الشمالية الشرقية من الإمبراطورية آثار بعيدة المدى في مسار الأحداث اللاحقة في كردستان، وربما كانت حاسمة في صعوده بوصفه زعيماً إسلامياً وكردياً معاً، وهو دور لم يتولاه أي شخص آخر منذ زمن صلاح الدين الأيوبي الذي حارب الصليبيين. لم يدع تعيينه أي شك في مركزه البارز في كردستان. وكان لتعيينه بموجب قرار رسمي تأثير مراسيم تقليد منصب منحه ما حرم منه أي كردي آخر منذ عام 1847.

بعد أن وجد الشيخ عبيد الله نفسه في موقع القيادة العليا لعدد كبير من مواطنيه لم يكن في وسعه التخلي بسهولة عن الدور الذي تولاه عندما وضعت الحرب أوزارها. لقد دعاه القدر وأصبح من الآن فصاعداً، شأنه شأن كل رجال الأقدار، مستنهض قوى لا تستكين، وأداتها معاً. وفي غضون بضع سنوات أصبح الزعيم الكردي المعترف به بلا منازع.

أشار بعض الكتاب في أواخر القرن التاسع عشر إلى أهمية العنصر الديني في صعود الشيخ عبيد الله إلى السلطة. كتب اللُّورد جورج كيرزن (George Curzon)، «نال شيخ قبلي يدعى الشيخ عبيد الله سمعة واسعة لورعه الشخصي... وأصبح ينظر إليه تدريجاً بوصفه زعيم القومية الكردية.»[1] وذكر

(1) جورج كيرزن، فارس والمسألة الفارسية، 1: 53 (بالإنكليزية، مرجع 45).

الرائد تروتر (Trotter)، القنصل العام البريطاني في أرضروم ومعاصر الشيخ عبيد الله، التبجيل الذي أحاطه به مواطنوه: «من المؤكد أن الشيخ عبيد الله هو الرجل الأكثر نفوذاً في كردستان، ويحيط كرد الحدود شخصه وسلطته بالقداسة أكثر من السلطان.»[1] ويلخص ستيفن ج. ويلسُن مركز الشيخ عبيد الله الديني قائلاً: «كان في مرتبة تلي السلطان وشريف مكة بوصفه الشخص الأكثر قداسة بين السنة في كردستان. وكان الآلاف مستعدين لاتباعه ليس بوصفه زعيماً فحسب بل كذلك مفوضاً من الله.»[2] ووفاقاً لصديق كان يعرف الشيخ عبيد الله جيداً اعتبر الشيخ عبيد الله نفسه ثالث أهم رجل في المرتبة الدينية في الإسلام، علاوة على كونه ملك كردستان المدني.»[3]

شخصية الشيخ عبيد الله وطباعه

على الرغم من امتلاكنا بيانات كثيرة عن شخصية الشيخ عبيد الله وطباعه، إلّا أنه ليس سهلاً تصوير هذا الرجل المتسم بالغرابة والتعقيد. لم يصلنا عن مظهره الخارجي سوى النزر اليسير. ومن الأوصاف القليلة التي

---

(1) المرفق في العدد 22، تروتر إلى گوتشن، ثيرابيا، 20 تشرين الأول/ أكتوبر، عام 1880، في بريطانيا العظمى، تركيا الرقم 5 (1881)، 17، م س رقم 319.

(2) ص. غ. ويلسن، الحياة والتقاليد الفارسية، 110، م س رقم 277. انظر أيضاً روبرت إليوت سپير، «الحكيم صاحب،» الطبيب الأجنبي: سيرة حياة جوزيف پلمب كوچران، طبيب في فارس، 74 (بالإنكليزية، مرجع 243).

(3) تقرير للدكتور كوچران في 1 حزيران/ يونيه، عام 1880، مقدم إلى مجلس البعثات التبشيرية اقتبسه سپير، 75، راجع الملحق 4 في رقم 8، مقطع مقتبس من رسالة القنصل العام أبوت، أورميا، 8 تموز/ يوليه، عام 1880. بريطانيا العظمى، تركيا الرقم 5 (1881)، 9، م س رقم 319. على الرغم من أن اسم الدكتور كوچران لا يظهر في المرجع الأخير، تثبت المقارنة بين الرسالتين من دون شك أن كوچران قد كتب الرسالة الثانية أيضاً.

لدينا ما ذكره الدكتور جيمس پ. كوچران (James P. Cochran)، المبشر والطبيب الأميركي الذي اعتنى به أثناء مرضه في منزله في نهري. لم يقل الدكتور كوچران الكثير عن شخصية الشيخ عبيد الله وطباعه سوى القليل عن مظهره الخارجي. «يبلغ الشيخ الثالثة والخمسين من العمر؛ إنه جذاب في شكله وسلوكه، ويرتدي ملابس فضفاضة ويعتمر عمامة بيضاء.»[1]

يبدو أن الشيخ عبيد الله قد خلق انطباعاً إيجابياً لدى معظم من عرفوه أو عرفوا عنه. ويبدو أن كل المصادر تتفق بشأن ورعه الشديد واستقامته وتفانيه لواجباته. ووفاقاً للدكتور كوچران، «تبرز شخصيته على النقيض تماماً مما شهدناه في المسؤولين الفرس علاوة على الترك. يقابل هو أو ابنه كل من يتوجهون إليهما مهما كان الأمر تافهاً... ومنذ الصباح الباكر إلى وقت متأخر ليلاً كان هو وولي عهده يعملان لخدمة مصالح الحكومة والشعب.»[2] ويبدو أن طبيعة الشيخ المتعففة وعاداته القانعة بالقليل أثارت إعجاب المبشرين الأميركيين. وأشار كوچران إلى حياة الشيخ عبيد الله المنزلية المتسمة بالبساطة وبين أنه «لا يسمح بدخول أي مشروب كحولي إلى مدينته.»[3] ووصفه ويلسُن بأنه «بسيط في الملبس والمأكل.»[4]

اتسم سلوك هذا الشخص الأبوي بالنزاهة وبشعور غير متحيز ولو أنه صارم. وكتب ويلسُن، «بوصفه مشرعاً وقاضياً اشتهر بعفته علاوة على عدله غير المتحيز.»[5] وبسبب الفساد والرشوة المتفشيين في فارس القاجارية

(1) اقتبس في سپير، 79، م س رقم 243.
(2) المرفق 4 في رقم 8، مقطع مقتبس من رسالة إلى القنصل العام، أورميا، 8 تموز/ يوليه، عام 1880، بريطانيا العظمى، تركيا الرقم 5 (1881)، 9، م س رقم 319.
(3) م ن.
(4) ص. غ. ويلسن، الحياة والتقاليد الفارسية، 110، م س رقم 277.
(5) م ن.

وتركيا العثمانية كان جديراً بالملاحظة أن الشيخ عبيد الله أصر على فرض معايير عالية من النزاهة والاستقامة بين أتباعه ونجح في ذلك. ولا ريب أنه كان أحياناً قاسياً أكثر مما يجب في فرض تلك المعايير على شعب غير معتاد عليها. ووفاقاً لكوچران، «يقال إنه حاكم وقاض عادل. لا يتقاضى رشى ولا يسمح للموظفين أن يفعلوا ذلك. ويحكم بعقوبة الإعدام على كل من ينتهك القانون.»[1]

إلّا أنه يبدو أن الشيخ عبيد الله لم يميز على نحو واضح بين إرادته وبين القانون. وكثيراً ما أدت معارضة إرادته إلى فرض عقوبة سريعة وعاجلة. وذات مرة لدى إبلاغ الشيخ عبيد الله أن بعض أتباعه قد سطوا على قرية على الرغم من وعده بحمايتها أمر بصلب اللصوص تعيسي الحظ.[2] ولعل هذا الحادث كان في ذهن كوچران عندما وصف الشيخ أنه قاض عادل وحاكم رحيم لشعبه «إذا أطاعوا إرادته وبخلاف ذلك فإنه قاس للغاية.»[3] غير أنه يجب تذكر أن تلك القسوة لم تكن غير مألوفة في ذلك الوقت في كردستان.

على الرغم من كون الشيخ عبيد الله صارماً وكثير التدقيق نحو أفراد شعبه فإنه كثيراً ما أظهر درجة مدهشة من التسامح وعدم التحيز نحو الآخرين. لاحظ بعض المبشرين الذين عرفوا الشيخ عبيد الله هذه الخاصية بإعجاب عميق. أطرى عليه سپير (Speer) واصفاً إياه بأنه «رجل ذو عطف واسع ومتسامح»، وأشار إلى موقفه الودّي نحو الأجانب ومعاملته المنصفة للمسيحيين. وروى

(1) المرفق 4 في رقم 8، مقطع مقتبس من رسالة إلى القنصل العام أبوت، أورميا، 8 تموز/ يوليه، عام 1880، بريطانيا العظمى، تركيا الرقم 5 (1881)، 9، م س رقم 319.

(2) 11 مقطع من رسالة موجهة من شقيقة كوچران مقتبس في سپير، 96، م س رقم 243.

(3) رسالة موجهة من كوچران إلى صديقه السيد كليمنت نشرت في بفالو كوميرشيال أدفرتايزر، 26 تموز/ يوليه، عام 1880، مقتبس في سپير، 80، م س رقم 243.

كيف طلب السلطان منه، عندما كان سجيناً في القسطنطينية، كتابة وصف لأحوال الناس في كردستان.



10. الدكتور كوچران مع زعيم قبلي كردي (غير محدد). المصور مجهول الهوية/ بترخيص من أسرة روسويل مور. كردستان: في ظل التاريخ.

كتب الشيخ في صحيفته الكثير عن المسيحيين النساطرة هناك مادحاً إياهم بوصفهم أفضل أتباع السلطان. اعترض السلطان على تلك اللغة وأعاد الرسالة ثلاث مرات للتصحيح. وأخيراً قال الشيخ: «لا أعرف الكثير عن السياسة إلّا أنني أعرف شيئاً عن قول الحق وهذه هي الحقيقة.»[1]

يبدو أن الشيخ بوصفه زعيماً دينياً عظيماً كان غزير العلم في ما يعرف في البلدان الإسلامية بالعلوم الدينية.[2] ونحن نعرف من الدكتور كوچران أنه كان متبحراً في الأدب العربي والفارسي، وكان من بين ما قرأ الإنجيل الذي أرسل له الطبيب نفسه نسخة منه. وشأنه شأن معظم الكرد المتعلمين، الأرجح أنه مطلع بمقدار كبير على الفولكلور والأدب الكردي. أطرى كوچران كثيراً على ذكائه وتعطشه إلى المعرفة: «بدا أنه يستمتع بالحديث في كل المواضيع معي. وأثناء الأسبوع الذي أمضيته في منزله أجريت معه أحاديث ممتعة كثيرة. كان مهتماً كثيراً بالاستماع إلى الاختراعات الجديدة والأعاجيب الأخرى في العالم الغربي.»[3]

أهداف الشيخ عبيد الله وأنشطته

توحيد الكرد وتشكيل دولة كردية

كان هدف الشيخ عبيد الله الرئيس توحيد الكرد وتأسيس دولة كردية مستقلة. لا نعرف بالضبط متى اتخذ قراره إلّا أننا نعرف أن تصميمه قد تأثر

(1) سپير، 74-75، م س رقم 243.

(2) تتضمن تفسيرات قرآنية وأحاديث نبوية وقضايا شرعية وأدباً دينياً إسلامياً وأدباً صوفياً وما إلى ذلك.

(3) مقطع مقتبس من رسالة موجهة من شقيقة الدكتور كوچران، في سپير، 80، م س رقم 243.

بالأحداث التي أعقبت حرب العام 1877–1878. ويبدو أن صعود صوفي متحمس ومتطرف في التزمت إلى مركز القيادة العليا بين شعبه في تلك الأوقات المتسمة بالاضطراب حمل معه تحولاً عميقاً وراسخاً في تفكيره. آمن أن ذلك علامة الرعاية الإلهية التي أثبتت استقامته وأكدت إيمانه بالسمة الجذابة والشعبية لزعامته. ولا بد أن تجربة استخدام القوة الواسعة قد غيرت على نحو جذري طبيعة طموحات الشيخ ونطاقها. وإذ تراجعت المصالح الضيقة لزعيم محلي أمام اهتمام أكثر شمولية برفاهية أمة بأكملها تبلورت فكرة كردستان الموحدة والمستقلة وأصبحت تهيمن على تفكيره.

آمن مراقبون أكفاء كثيرون بهذا الرأي. ذكر نائب القنصل كليتُن (Clayton) ما يلي: «أميل إلى الاعتقاد أن لديه خطة شاملة لتوحيد الكرد كافة في دولة مستقلة برئاسته.»[1] وكتب وليم أبوت (William Abbott)، القنصل العام البريطاني في تبريز أثناء الغزو التركي لفارس ملخصاً نيّات الشيخ عبيد الله: «إن مشروعه هو تولّيه رئاسة إمارة كردية وضم كل كردستان في تركيا وفارس.»[2] وعبر تروتر عن رأي مشابه وذكر مدى طموحات الشيخ عبيد الله في توسيع رقعة الأراضي تحت سيطرته: «ليس هناك شك أن الهدف الوحيد لهذا الرجل هو تخليص البلاد من موظفي السلطان وتولّيه بنفسه حكم كردستان، أي الجزء الجنوبي من منطقة ڤان (وان) والجزء الشمالي من ولاية الموصل، وأبعد من ذلك في كل اتجاه يتمكن من مد نفوذه إليه.»[3]

(1) رقم 54، كليتُن إلى تروتر، ڤان، 27 تشرين الأول/ أكتوبر، عام 1880، بريطانيا العظمى، تركيا الرقم 5 (1881)، 33، م س رقم 319.

(2) المرفق 1 في رقم 61، أبوت إلى تومسن، أورميا، 7 تشرين الأول/ أكتوبر، عام 1880، في م ن، 47.

(3) المرفق في رقم 22، تروتر إلى گوتشن، ثيرابيا، 20 تشرين الأول/ أكتوبر، عام 1880، في م ن، 16.

وناقش السيد تومسن (Thomson)، الوزير البريطاني في طهران، خطط الشيخ لتأسيس إمارة كردية مستقلة والوسيلة التي كان ينوي بها تحقيق هذا الهدف:

يبدو أنه لا يوجد شك في هذه التصريحات والمراسلات التي وجهها أخيراً إلى مختلف الشيوخ الكرد على طول خط الحدود الفارسية؛ إن خطته هي فصل السكان الكرد كافة عن ولائهم إلى تركيا وفارس وتأسيس إمارة منفصلة ذات حكم ذاتي تحت سلطته. ولتحقيق هذا الهدف فإنه يسعى من خلال التهديدات والوعود إلى حث القبائل الكردية كافة على الانضمام إليه في حرب مفتوحة مع هذا البلد (فارس).[1]

كانت هذه هي المهمة التي كرس لها الشيخ عبيد الله نفسه وسخر كل طاقاته بمهارة وبصيرة سياسية واسعة.

يبدو أن الحاجة إلى توحيد الكرد في دولة مستقلة قد فرضت ذاتها عليه بقوة واستحوذت على تفكيره، وتمّ ذكر الأسباب المسيطرة لتوحيد الكرد مراراً في مراسلاته وتصريحاته: (1) التشابه العرقي والثقافي واللغوي بين أبناء الشعب الكردي الذين يميزهم بوصفهم قومية منفصلة؛ (2) تفشي الافتقار إلى النظام والقانون في كردستان الناجم عن سوء الحكم التركي والفارسي والمؤدي إلى تردي سمعة الأمة الكردية؛ و(3) الخوف من الصعود الأرمني في كردستان.

التشابه الأساسي للشعب الكردي: للغوص أعمق في تفكير الشيخ عبيد الله من المهم استيعاب مفهومه عن القومية الكردية والأفكار التي كان

---

(1) رقم 61. تومسن إلى إرْل غرانفيل، طهران، 31 تشرين الأول/ أكتوبر، عام 1880، في م ن، 45.

يحملها عن هذه المسألة. ويبدو أن الشيخ قد اقتنع بقوة أن الشعب الكردي يشكل قومية منفصلة. اعتبر الكرد متشابهين على نحو كاف من حيث العرق واللغة وطريقة الحياة علاوة على امتلاك أمور كثيرة مشتركة وهوية متميزة خاصة بهم. وكتب في رسالة إلى الدكتور كوچران يقول فيها: «الأمة الكردية التي تتألف من أكثر من 500.000 أسرة هي شعب مستقل. إن دينهم مختلف (عن الأديان الأخرى) وقوانينهم وعاداتهم متميزة.»[1]

لا يترك هذا الكلام أي شك في قناعته العميقة بالوحدة الأساسية للشعب الكردي. إن رأي الشيخ أن دين الكرد مختلف عن أديان الآخرين مهم للغاية. ويشير ذلك إلى مدى اعتماد هذه القومية على النزعة الخصوصية والاختلاف. فالترك والفرس، الذين كانوا في ذهن الشيخ عبيد الله عندما أطلق هذا الكلام مسلمون شأنهم شأن الكرد. إن أغلبية الكرد سنة شافعية بينما الترك سنة حنفية والفرس اثنا عشرية. وهكذا، لتأكيد تميز الكرد التام ضخّم الشيخ الفروق الطائفية وأطلق هذا الادعاء المبالغ فيه، الذي لا يمكن الدفاع عنه، خصوصاً في حالة الكرد الترك وهم مثلهم سنة.

التأثيرات المدمرة لسوء الحكم التركي والفارسي. اتخذ تدهور القانون والنظام بعد قمع الأنظمة الكردية ذات الحكم الذاتي وفي أعقاب حرب العام 1877-1878 أبعاداً واسعة بحيث أصبح الحكم المنظم مستحيلاً في مناطق شاسعة من الأقاليم الشمالية الشرقية. وعلى الرغم من أن أغلبية السكان المطيعين للقانون استمروا في المعاناة من عمليات السلب والنهب التي قامت بها العناصر الخارجة عن القانون فقد بدت السلطات إما عاجزة وإما غير مستعدة لكبح العنف والدمار اللذين هددا بأن يشملا البلاد بأسرها.

---

(1) المرفق 3 في رقم 61، الشيخ عبيد الله إلى الدكتور كوچران، 5 تشرين الأول/ أكتوبر، عام 1880، في م ن، 47.

لا ريب أن هذا الوضع الذي لا يحتمل كان من أقوى التأثيرات في تقرير مسار تصرفات الشيخ في المستقبل. ولم يمض وقت طويل حتى سمعت كردستان برمتها احتجاجه. عزا الظروف التي صرفت الاهتمام في البلاد إلى سوء حكم الترك والفرس وانتقد موظفي السلطان والشاه بسبب فسادهم وعدم كفاءتهم، بل إنه غامر بتحدي حق الحكومتين العثمانية والفارسية في حكم كردستان. ولم يقتصر التحدي على الكلمات، بل حمل السلاح - كما سنرى - ضد تركيا أولاً ثم ضد فارس.

كان قلق الشيخ عبيد الله العميق من سوء السمعة التي لوثت السمعة الكردية أحد الجوانب اللافتة لإدانة الافتقار إلى القانون والنظام. وفي رسالة موجهة إلى إقبال الدولة، حاكم أورميا الفارسي، أوضح الشيخ عشية غزوه فارس أن الأمة الكردية عانت من سمعة لا تستحقها بتفشي انتهاك القانون بالنظر إلى عدم التمييز بين الأبرياء والمذنبين. واتهم الحكومتين التركية والفارسية معاً بعدم امتلاك الإرادة والقوة لحكم أتباعهما الكرد على نحو مناسب، والنتيجة أن هؤلاء فقدوا كل احترام لحكامهم.[1] ثم أبلغ الشيخ الحاكم، «بسبب هذه الحالة قرر الكرد الفرس والترك أن يتحدوا ويشكلوا أمة واحدة وحفظ النظام فيما بينهم والتعهد كتابةً بعدم حدوث اضطراب في بلادهم.»[2]

وفي رسالة موجهة إلى الدكتور كوچران بعد الغزو بقليل، خاض الشيخ بتفاصيل أكثر في إساءات الحكومتين التركية والفارسية التي دفعته إلى تنفيذ هذه العمليات العسكرية. وعبر مرة أخرى عن قلقه بسبب سمعة الأمة الكردية التي عزاها إلى كلتا الدولتين الماكر والسيئ:

---

(1) المرفق 5 في الرقم 61، ملخص رسالة من الشيخ عبيد الله إلى إقبال الدولة، حاكم أورميا، 15 أيلول/ سبتمبر، 1880، في م ن، 49.

(2) م ن.

إن (كردستان) معروفة بين الأمم جميعاً بأنها مثيرة للشغب وفاسدة. هكذا صورت كردستان. وإذا ارتكب شخص من كردستان عملاً شريراً يوصم ألف شخص مسالم وملتزم بالنظام بهذه السمعة السيئة. غير أنه يجب أن يكون معروفاً لكم بالتأكيد أن سبب هذا كله هو قيود السلطات التركية والفارسية، لأن كردستان في الوسط بين هاتين الدولتين ولا تميز الدولتان لأسباب خاصة بهما بين الشخصيات الطيبة والشريرة.[1]

مضى الشيخ عبيد الله في سرد أعمال السلب والنهب التي ترتكبها قبيلتان كرديتان هما شكاك في فارس وهركي في تركيا. وحمّل الحكومتين التركية والفارسية مسؤولية انتهاك القبيلتين النظام لأنهما عاجزتان أو غير راغبتين في السيطرة عليهما.[2] ووفاقاً للشيخ أصبح الكرد وزعماؤهم مقتنعين بعقم الاستمرار في تحمل هذا الوضع. «إن شيوخ كردستان وحكامها، سواء أكانوا أتباعاً تركاً أم فرساً، وسكان كردستان مجمعون كلهم ومن دون استثناء أنه لا يمكن للأمور أن تستمر على هذا النحو مع الحكومتين، وأنه يجب القيام بعمل ما لكي تفهم الحكومات الأوروبية المسألة وتتقصى وضعنا.»[3]

عند هذه النقطة طالب الشيخ عبيد الله بالسماح للكرد جميعاً بالسيطرة على كردستان قائلاً: إن ذلك يخدم قضية القانون والنظام، «نريد أن نمسك زمام شؤوننا بأيدينا لكي نكون أقوياء ومستقلين في معاقبة المذنبين منا، ولكي نتمتع بالامتيازات مثل الأمم الأخرى. وفي ما يتعلق بالمذنبين منا نحن مستعدون للتعهد بعدم إلحاق أذى أو ضرر بأية أمة.»[4]

---

(1) 23. المرفق 3 في الرقم 61، الشيخ عبيد الله إلى الدكتور كوچران، في م ن، 47-48.

(2) م ن، 48.

(3) م ن.

(4) م ن.

يتضح مما ورد أعلاه أن الرغبة في سيادة القانون والنظام في كردستان احتلت حيّزاً مهماً في تفكير الشيخ عبيد الله. كان إصراره على أن تشكيل دولة كردية هو العلاج الوحيد للخروج عن القانون إصراراً ذا دلالة، ولو أن الأمر كان يعتبر محض حجة. وبدت إمكانيات تأسيس حكومة عادلة ومنظمة تحت الحكم الفارسي أو التركي بعيدة المنال للغاية بحيث إن مطالبة الكرد لترتيب شؤونهم بدت مبررة تماماً.

خشية الصعود الأرمني في كردستان. يبدو أن الخوف من الصعود الأرمني في كردستان كان أحد الأسباب الأقوى وراء محاولة الشيخ عبيد الله توحيد الكرد. وكانت معاهدة برلين قد أدت إلى بدء الكثير من الحديث عن الطموحات الأرمنية في الأقاليم الشرقية، وهي المنطقة الأكثر رجحاناً أن تشهد تأسيس دولة كردية. انتشرت على نطاق واسع شائعات مثيرة للقلق بشأن منح الأرمن وضعاً يتفوق على وضع الكرد. نشأت هذه المخاوف من المادة 61 من معاهدة برلين، التي وعدت الأرمن بمنحهم «تحسينات وإصلاحات» معينة وضمنت لهم «الأمن ضد الشركس والكرد.»[1] ارتيب في أن الترك، كما سنلاحظ، كانوا ينشرون تلك الشائعات بين الكرد ويثيرون المعارضة الكردية ضد الإصلاحات لدوافع خاصة بهم.

زاد وصول قناصل عسكريين بريطانيين إلى كردستان مشاعر القلق الكردية. وذكر نائب القنصل كليتُن، استناداً إلى مصادر نسطورية معينة، أن «الكرد قد تأثروا تأثراً عميقاً بقدوم القناصل الأوروبيين إلى ڤان. إنهم ينظرون إلى الحدث بمشاعر مختلطة تنطوي على السخط من جهة وعلى الخوف

(1) تناقش معاهدة برلين وميثاق التحالف السري بين بريطانيا العظمى وتركيا في قسم الرسائل في هذا الفصل.

من جهة أخرى، لأنهم لا يعرفون ما قد يحمل الحدث لهم.»[1] وفاقاً لهذه المصادر، يكون رد فعل الكرد معادياً إذا توقعوا إجراءات لم تنفذ. «إذا لم يروا أي نتيجة يخشى أن يشجعوا على اتباع وسائل شريرة.»[2] كانت هناك حتماً مؤشرات معينة على تحول مزاج الكرد المتخوف إلى تحد مبكر. وذكر كليتُن أن الكرد في جوار موش وبدليس «يبلغون، على سبيل التحدي، من يسيئون معاملتهم ويسرقونهم بتقديم شكاواهم إلى القناصل الأجانب.»[3]

وتعكس ملاحظة أبداها الشيخ عبيد الله إلى مسؤول عثماني هذا المزاج على نحو واضح: «ما هذا الذي أسمعه؟ سيحصل الأرمن على دولة مستقلة في ڤان وسيرفع النساطرة العلم البريطاني ويعلنون أنهم رعايا بريطانيون؟ لن أسمح بهذا إطلاقاً حتى لو اضطررت إلى تسليح النساء.»[4] ليس صعباً فهم موقف الشيخ عبيد الله. لقد عارض الإصلاحات لأنها أنذرت بنهاية حلم إقامة دولة كردية، ولأنه اعتقد أن الإصلاحات حملت بذور دولة أرمنية مستقلة يتقلص فيها وضع الكرد إلى وضع أقل شأناً.

كسب تعاون السكان المسيحيين المحليين

على الرغم من معارضة الشيخ عبيد الله الإصلاحات، بدا نهجه معقولاً

(1) المرفق 2 في الرقم 49، كليتُن إلى تروتر، ڤان، 13 أيلول/ سبتمبر، عام 1879، بريطانيا العظمى، وزارة الخارجية، مراسلات بشأن حالة السكان في آسيا الصغرى وسورية، تركيا رقم 4، C 2537، 79 (تركية رقم 4 [1880] من الآن فصاعداً) (بالإنكليزية، مرجع 331).

(2) م ن.

(3) المرفق في الرقم 30، كليتُن إلى تروتر، ڤان، 19 آب، عام 1879، في م ن، 53.

(4) المرفق في الرقم 7، كليتُن إلى تروتر، باش قلعة، 11 تموز/ يوليه، عام 1880، بريطانيا العظمى، تركيا الرقم 5 (1881)، 7، م س رقم 319.

وذكياً. ولا شك أنه أدرك أن الإصلاحات كانت الحصيلة المباشرة للمحنة المحزنة للسكان المسيحيين، إلّا أنه لم يكن مستعداً لرؤية الأمة الكردية تعاقب بسبب ذلك الوضع المؤسف. كان على وعي حتماً بالدمار الذي ألحقه بعض الكرد الخارجين عن القانون بسكان كردستان المسالمين. ويذكر أن الشيخ عبيد الله، في مناسبات مختلفة، أدان أولئك المغيرين الذين كانت أعمال السلب والنهب التي قاموا بها مرهقة للمسيحيين والكرد على السواء. كان استمرار فشل الحكومتين العثمانية والفارسية في فرض النظام والقانون قد أقنعه بعقم الاعتماد عليهما في إيجاد حل.

يبدو أن الشيخ عبيد الله قد توصل إلى الاستنتاج أن السبيل الوحيد للخروج من هذه المشكلة يتمثل في إزالة النفوذ التركي والفارسي، وفي التعاون الأوثق بين الكرد والسكان المسيحيين المحليين. وعلى الرغم من تصميم الشيخ على إفشال الإصلاحات فقد سعى إلى جعلها غير ضرورية. بوضع هذا الهدف نصب عينيه حاول في مناسبات كثيرة إقامة اتصال بالزعماء المسيحيين المحليين. ويقال إنه اتصل بالبطريرك النسطوري مار شمعون علاوة على كبير القساوسة الأرمن في منطقة ڤان–هكّاري وحثهما على الانضمام إليه ضد الحكومتين العثمانية والفارسية،[1] ووعدهم مقابل تعاونهم بحماية السكان المسيحيين المحليين.

---

(1) قيل في وقت التمرد الكردي في تركيا أن الشيخ عبيد الله كان على اتصال بمار شمعون. انظر المرفق في الرقم 41، كليتُن إلى تروتر، ڤان، 6 أيلول/ سبتمبر، عام 1879، بريطانيا العظمى، تركيا رقم 4 (1880)، 68، م س رقم 331. ذكر لاحقاً في وقت غزو الشيخ عبيد الله فارس أنه اتصل بمار شمعون وأوهانس ڤارتابد، الأسقف الأرمني في باش قلعة. ووفاقاً للأسقف، على الرغم من عدة دعوات ملحة من الشيخ موجهة له «للقدوم لمقابلته والتشاور معه بشأن وضع البلاد والخطوات الواجب اتخاذها،» فقد رفض مقابلته. انظر رقم 68، كليتُن إلى تروتر، ڤان، 2 تشرين الثاني/ نوفمبر، عام 1880، بريطانيا العظمى، تركيا الرقم 5 (1881)، 54، م س رقم 319.

يجب التوضيح هنا أنه لا يوجد تناقض حقيقي بين نية الشيخ عبيد الله المعلنة بمعارضة أي معاملة تفضيلية للأرمن والنساطرة وبين محاولته كسبهم إلى جانبه. ولدى متابعة السياسة الأخيرة كانت في ذهنه عدة أهداف. وبإقناع الأرمن والنساطرة التعاون معه، يضمن جبهة داخلية موحدة وقوة مادية وبشرية أكبر في متناوله للصراع المتوقع مع تركيا، وفي الوقت ذاته تحاشي صعود العناصر غير الكردية في المنطقة. كما أنه بالترابط مع السكان المسيحيين المحليين بوصفه حليفاً وحامياً لهم أمل الشيخ في كسب عطف الدول المسيحية في أوروبا ودعمهما، إذ يصبح بعدها في وضع يمكنه من تأسيس الهيمنة الكردية على المنطقة برمتها بزعامته. وهكذا كان وعد الشيخ بتأمين الحماية للمسيحيين ثمناً صغيراً لكل المنافع التي توقع أن يجنيها.[1]

تلقى الأرمن عرض الشيخ عبيد الله بالتعاون بقلق وحذر شديدين.[2] وعلاوة على ترددهم بالمشاركة في حركة تمردية فقد اعتبروا المشروع خطة أوحى بها الترك وصممت لحرمانهم من المزايا التي وعدوا بها في معاهدة برلين. كما تردد النساطرة في إلزام أنفسهم. إلّا أنهم عندما شن الشيخ عبيد الله لاحقاً هجومه ضد فارس ضمت قواته وحدة مسلحة من النساطرة الجبليين بقيادة أسقف، وكان جميع أفراد فرقته الموسيقية العسكرية منهم.[3] بالإضافة

---

(1) وفاقاً لتروتر، كانت سياسة الشيخ «استمالة المسيحيين ليس حباً بهم بل لاستخدامهم كأدوات في تنفيذ رغباته.» المرفق في رقم 22، تروتر إلى گوتشن، ثيرابيا، 20 تشرين الأول/ أكتوبر، عام 1880، في بريطانيا العظمى، تر كيا\الرقم 5 (1881)، 17، م س رقم 319.

(2) رقم 68، كليتُن إلى أبوت، ڤان، 2 تشرين الثاني/ نوفمبر، عام 1880، في م ن، 54.

(3) المرفق 2 في رقم 56، أبوت إلى تومسن، تبريز، 7 تشرين الثاني/ نوفمبر، عام 1880، في م ن، 40.

إلى ذلك رافق وجيه أرمني يدعى سيمون آغا كلف بمهام الاتصالات قوات الشيخ بهدف ضمان حماية السكان الأرمن على طريق الجيش الغازي.[1]

كسب الدعم الأوروبي

يبدو أن الشيخ عبيد الله تمتع ببصيرة نافذة في طبيعة سياسات القوة والدبلوماسية. ويبدو أنه أولى أهمية كبيرة إلى جعل أهدافه المشروعة معروفة لممثلي الدول الكبرى والرأي العام الأوروبي عموماً. قال ويلسُن عن الشيخ عبيد الله: «لقد رعى الأجانب وسعى إلى كسب الرأي العام العالمي إلى جانبه.»[2] وفي رسالة إلى الدكتور كوچران عبر الشيخ عن الأمل في تولي الحكومات الأوروبية التحري بشأن الوضع في كردستان.[3] أدرك أهمية كسب دعم إنكلترا بخاصة، لأن تلك الدولة كانت مسؤولة عن تنفيذ الإصلاحات المنصوص عليها في معاهدة برلين. وربما سعت جهوده المتواصلة لرعاية صداقة المبشرين الأميركيين ومجاهرته بصداقة مسيحيي كردستان إلى تحقيق هذا الهدف.

كان اختيار الشيخ عبيد الله الحكيم لأصدقائه من بين المبشرين الأميركيين مفيداً له لأنه أفلح من خلالهم في تأسيس علاقات غير نظامية مع الممثلين البريطانيين.[4] على سبيل المثال، برهن الدكتور كوچران أنه

---

(1) ص. غ. ويلسن، الحياة والتقاليد الفارسية، 113، م س رقم 277.

(2) م ن، 110-111.

(3) المرفق 3 في الرقم 61، الشيخ عبيد الله إلى الدكتور كوچران، 5 تشرين الأول/ أكتوبر، عام 1880، في بريطانيا العظمى، تركيا الرقم 5 (1881)، 17، م س رقم 319.

(4) ربما كانت رغبة الشيخ عبيد الله تأسيس علاقات وثيقة بالمبشرين الأميركيين بسبب حقيقة أنهم يتحدثون الإنكليزية ويتمتعون بالحماية الدبلوماسية البريطانية ولذا =

لا يشكل صلة وصل قيمة للموظفين القنصليين البريطانيين فحسب، بل كان كذلك ناطقاً موثوقاً به ومتعاطفاً. وتثبت أوجه الشبه اللافتة بين تقرير فيه إطراء شديد عن الشيخ عبيد الله وحركته قدمه الدكتور كوچران إلى مجلس الإرساليات المسيحية البرسبيتيرية،[1] وبين تقرير لا يعرف كاتبه تسلمه القنصل العام البريطاني في تبريز،[2] أن كوچران هو من وضع هذا التقرير بالتأكيد.

ليس معنى هذا القول إن الشيخ عبيد الله كان انتهازياً متجرداً من المبادئ حاول استغلال أصدقائه الأميركيين وخداع السلطات البريطانية. على النقيض من ذلك، ثمة أدلة وافية على أنه كان نزّاعاً إلى التدقيق الشديد في الالتزام بتعهداته. أظهر إخلاص وعوده بحمايته للسكان المسيحيين في سهل أورميا طوال حملته في كردستان الفارسية. وهناك كان مؤشر آخر على إخلاص الشيخ عبيد الله ونيته الحسنة - كما سنشاهد لاحقاً، هو قراره تأخير هجومه على أورميا بطلب من الدكتور كوچران.

= اعتبروا نوعاً آخر من الإنكليز. وذكر توماس لوري عدة حالات أشار فيها الكرد والنساطرة إلى الأميركيين بوصفهم إنكليزاً. على سبيل المثال، أشار عقد لشراء أرض في منطقة النساطرة إلى الدكتور غرانت وفريقه من المبشرين الأميركيين بأنهم «حكيم غرانت و....شركاؤه، إنكليز أميركا.» وبمقارنة غرانت، الذي اشتهر بورعه، مع مبشري كنيسة إنكلترا، «أرى أنك مختلف كلياً عن الإنكليز الآخرين لأنك ترغب في المحافظة على السلام مع الناس جميعاً.» توماس لوري، الدكتور غرانت والنساطرة الجبليون، الطبعة الثالثة، 266، 285 (بالإنكليزية، م س رقم 130).

(1) تقرير للدكتور كوچران، 1 حزيران/ يونيه، عام 1880، إلى مجلس البعثات التبشيرية، اقتبسه سبير، 75، م س رقم 243.

(2) المرفق 4 في الرقم 8، مقطع مقتبس من رسالة إلى القنصل العام أبوت، أورميا، 8 تموز/ يوليه، عام 1880، بريطانيا العظمى، تركيا الرقم 5 (1881)، 9، م س رقم 319.

أهداف الشيخ وسياساته كما ذكرها خليفته

لعل أفضل بيان عن أهداف الشيخ عبيد الله وسياساته هو ما ذكره خليفته وصهره الشيخ محمد سعيد، في مؤتمر عقد خارج أورميا في وقت الحصار الكردي لتلك المدينة. كان غرض المؤتمر الرئيس شرح أهداف الشيخ لأبوت القنصل العام البريطاني. حضر المؤتمر المبشرون الأميركيون ومطران ناوتشيا النسطوري وبعض أنصار الشيخ عبيد الله والأرجح الوجيه الأرمني سيمون آغا.

أعلن الشيخ محمد سعيد أنه إذا نجح الشيخ عبيد الله فإنه يتعهد بقمع قطع الطرق واستعادة النظام ضمن حدود تركيا وفارس ومعاملة المسيحيين والمسلمين على قدم المساواة ودعم التعليم والسماح ببناء الكنائس والمدارس. ووفاقاً لأبوت مضى الخليفة قائلاً:

> **كل ما أراد الشيخ فعله هو الحصول على الدعم المعنوي من الدول الأوروبية، بخاصة إنكلترا، التي حمل لها أعظم الصداقة والتقدير. وطلب الشيخ أن يحاكم إذا أخفق في تنظيم كردستان وإقامة حكومة مستقرة هناك، وأضاف إنه مستعد أن تحكم عليه محكمة أوروبية وأن يلتزم بالنتائج.**[1]

الرابطة الكردية

بعد أن أصبحت بنود الإصلاحات[2] في معاهدة برلين معروفة في

---

(1) المرفق 2 في رقم 56، أبوت إلى تومسن، تبريز، 7 تشرين الثاني عام 1880، في م ن، 39.

(2) تذكر المادة 61 من معاهدة برلين ما يلي: «يتعهد الباب العالي أن ينفذ، من دون تأخير، تطبيق تحسينات وإصلاحات تفرضها المتطلبات المحلية في الأقاليم التي يسكنها الأرمن وضمان أمنهم ضد الشركس والكرد. ويتولى الباب العالي دورياً =

كردستان بفترة قصيرة، أشارت شائعات بين السكان إلى الشكل غير المريح لسير الأمور وتنبأت بعواقب وخيمة للكرد. كان رد فعل هذا الشعب غير المبالي سياسياً حتى ذلك الوقت هو الحماسة الشديدة إزاء ما اعتقد أنه شكل تهديداً لوجوده كقومية في المستقبل. وقبل مضي وقت طويل قامت الحركة في أرجاء الأقاليم الشرقية لتنظيم الكرد وتنسيق جهودهم في معارضة تطبيق الإصلاحات التي كان يخشى منها. وأصبح هذا النشاط السياسي غير المسبوق، الذي تركز حول الشيخ عبيد الله، يعرف بالرابطة الكردية.

في بداية الأمر، بدت هذه المحاولة لقلب قرارات الدول العظمى، كما هي مبينة في معاهدة برلين، عقيمة مثلما هي جسورة. وبدا من غير المحتمل أن ينجح كيان عديم الشكل يضم جبليين غير متعلمين وغير متّحدين ومتخاصمين فيما أخفقت فيه تركيا. ويعود النجاح المحتمل لهذه الحركة إلى عدد من العوامل ليس أقلها موقف تركيا العطوف كما ذكر. كانت هناك ريبة في أن تركيا تحرض وتدعم جهود الشيخ عبيد الله لتعبئة الكرد، وكانت التقارير المبكرة عن التعاون التركي – الكردي مربكة نوعاً ما ولا تقدم صورة واضحة للأحداث الجارية في كردستان آنذاك. وحتى المصادر البريطانية المطلعة جيداً عادة لم تتفق بشأن طبيعة الدعم العثماني للنشاط السياسي الكردي ومداه.

انتقد مستر أبوت، القنصل العام البريطاني في تبريز، في رسالة موجهة إلى وزير الخارجية البريطانية، السلطات العثمانية بسبب تساهلها نحو الشيخ

= إعلام الدول بالخطوات المتخذة في هذا الصدد، وتتولى هذه الدول الإشراف على تطبيقها.» انظر سير إدوارد هرتْسلِت، خريطة أوروبا حسب المعاهدة: تظهر التغييرات السياسية والإقليمية المختلفة التي حدثت منذ السلام العام، عام 1814، 4: 2796 (بالإنكليزية، مرجع 102).

عبيد الله، الذي حمل السلاح ضد الحكومة قبل ذلك بسنة واحدة: «بدلاً من فرض الحكومة التركية العقاب على الشيخ عبيد الله بوصفه متمرداً، أغدقت الأفضال عليه وأصبح الآن ينفذ مشروعه الطموح في مأمن من العقوبة كما يبدو.»[1] وعزا أبوت سياسته التصالحية هذه إلى حقيقة أن الشيخ كان «ينفذ رغبات الحزب الرجعي في تركيا.»[2] واختتم القنصل العام أبوت رسالته بتأكيد ضرورة مراقبة عبيد الله مراقبة شديدة.

وتبنى مسؤول بريطاني آخر هو الرائد تروتر، القنصل العام في كردستان التركية، وجهة نظر مختلفة، وعبر عن شكوك جدية إزاء احتمال الدعم التركي الرسمي لأنشطة الشيخ عبيد الله على أساس أن تلك السياسة ستكون غير متوافقة مع مصالح تركيا وأمنها. وفاقاً لتروتر، كان التعاون التركي – الكردي مجرد شيء من صنع خيال بعض المطبوعات الصحفية في القسطنطينية. وفي رسالة إلى السيد گوتشن، الوزير البريطاني في تلك المدينة، كتب الرائد تروتر: «لا أستطيع الاعتقاد أن الحكومة التركية مذنبة بارتكاب حماقة من هذا القبيل وتنظيم رابطة، إن شكلت، لا بد أن توجه ضد الحكومة ذاتها.»[3] وبين أن سياسة الحكومة العثمانية استندت دائماً إلى تحريض قبيلة ضد أخرى. وأورد مثال تمردات كردية نشبت حديثاً والتي قُمعت بمساعدة شيوخ القبائل الأصدقاء.

لا ريب أن اعتبارات الحس العام قد دعمت ارتياب الرائد تروتر بدور

---

(1) المرفق في الرقم 2، القنصل العام أبوت إلى إرْل غرانفيل، تبريز، 13تموز/ يوليه، عام 1880، بريطانيا العظمى، تركيا\الرقم 5 (1881)، 8، م س رقم 319.

(2) م ن، 9.

(3) المرفق في الرقم 22، تروتر إلى السيد گوتشن، ثيرابيا، 20 تشرين الأول/ أكتوبر، عام 1880، في م ن، 16.

تركيا في تشكيل الرابطة الكردية. إلّا أن هذه الاعتبارات لا تسود دائماً في مجالس الدول. كانت تركيا قد خرجت توّاً من حرب كارثية كلفتها الكثير من الدماء والأموال والأراضي. والإصلاحات التي ذكرت الترك بهزيمة مذلة أثارت خشيتهم أن يخسروا مزيداً من الأراضي. وليس صعباً في هذا الضوء فهم دعم تركيا لرابطة كردية مكرسة للوقوف في وجه هذه الإصلاحات.

على الرغم من رفض الرائد تروتر تصديق وجود رابطة كردية تدعمها تركيا فقد أدرك وجود «قدر معين من التهييج بين الكرد، مع الإشارة إلى مسألة الحكم الذاتي الأرمني التي كثر الحديث عنها في وقت ما.»[1] كان وصفه مناخ الرأي الذي ساد آنذاك في كردستان دقيقاً وكاشفاً معاً: «من المحتمل أنه إذا منحت امتيازات استثنائية إلى الأرمن ويستثنى منها الترك والكرد، فقد يتجمع الكرد ضد المسيحيين وضد الحكومة التي طبقت تلك الابتكارات.»[2]

على الرغم من حقيقة أن هذين المسؤولين البريطانيين اختلفا بشأن مسألة الدعم التركي للحركة الكردية، شاطر تروتر مخاوف أبوت بشأن الأخطار المتأصلة في أنشطة الشيخ عبيد الله. واختتم رسالته إلى السيد گوشن بالملاحظات التالية: «إذا كان الباب العالي حكيماً في اتباع مصلحته، فعليه اغتنام الفرصة الحالية لسحق الشيخ، الذي إذا بقي في بلده الأصلي، فسيبقى شوكة في خاصرتهم.»[3] لقد استندت أقوال الرائد تروتر كما يبدو إلى الافتراض أن تركياة لم تكن واعية لمضمون أنشطة الشيخ السياسية ولم تكن طرفاً فيها حتماً. ولا تؤيد التطورات والمعلومات الأوسع لاحقاً وجهة

---

(1) م ن، 17.

(2) م ن.

(3) م ن.

نظره في الوضع لأن تركيا، - كما سنرى بعد قليل - كانت مشاركة في الحركة الكردية على نحو أعمق مما أدرك تروتر في حينه.

يلقي تقرير قدمه أسقف منطقة كريميان النسطوري إلى البطريرك الأرمني بعض الضوء على تشكيل الرابطة الكردية وأهدافها. وقد ذكرت مسؤولية تركيا عن تأسيس الرابطة ودوافعها لاتباع هذه السياسة على نحو موضح: «إن رابطة كردية على وشك التشكيل بحثّ من الحكومة المركزية، التي رغبت في كبح المسألة الأرمنية عن طريق إثارة مسألة جديدة هي مسألة الكرد.»[1] وبين التقرير الوسائل التي تنوي الحكومة من خلالها تحقيق هذا الهدف: «لرفع سمعة العرق الكردي في أوروبا تبذل الحكومة العثمانية في أوروبا جهوداً استثنائية لإثارة حركات تمردية في الوقت ذاته في تركيا وفارِس، حيث ترغب الرابطة أن تؤسس لذاتها مركز عمليات ثانياً والسيطرة بين أسما وسلماس.»[2]

ووفاقاً لتقرير كردي، «إن السياسة العثمانية هي روح هذه الرابطة، والشيخ عبيد الله هو المركز الاعتيادي وبحري بگ هو مبعوثها المثابر.»[3] إلّا أن هذا القول لا يقدم صورة مناسبة للحالة لأن الشيخ، كما سنرى، لم يكن مجرد أداة للسياسة العثمانية، كما يبدو وينطوي عليه هذا القول. وبغض النظر عن دور الحكومة التركية في تأسيس الرابطة الكردية كان لدور الشيخ، كزعيم لها، أهمية جوهرية. وربما كان هذا القول محاولة متعمدة من جانب الكاتب لإلقاء المسؤولية على الحكومة التركية، أو ربما كشف عن جهل الكاتب بالطبيعة الحقيقية لدور الشيخ عبيد الله وأنشطته.

---

(1) المرفق في الرقم 6، رسالة من الأسقف كريميان إلى البطريرك الأرمني، ڤان، 20 حزيران/ يونيه، عام 1880، في م ن، 6.

(2) م ن، 7.

(3) م ن، 6.

إن الدور المهم الموكل في هذا التقرير إلى بحري بگ بوصفه مبعوث الحكومة العثمانية ذو أهمية خاصة لأنه يدعم نظرية الأسقف كريميان عن الرعاية العثمانية للرابطة الكردية. ويقال إن بحري بگ، ابن الأمير بدرخان، كان يتصل بمختلف الشيوخ الكرد، «باستخدام الوعود والتوسلات والتهديدات» بهدف توحيدهم بزعامة الشيخ عبيد الله. ووفاقاً لتقرير الأسقف، أرسلت الحكومة العثمانية بحري بگ إلى هكّاري بوصفه الحامل الرسمي للوسام الذي منحته إلى الشيخ. غير أن الطبيعة الحقيقية لمهمته ليست واضحة. تحدث أحياناً بوصفه ممثلاً حكومياً ذا سلطات واسعة، إلّا أنه تصرف في أوقات أخرى بوصفه وكيل الشيخ ونصيره.[1] ويقال إنه قال، في إحدى المناسبات، «سأكتب إلى الشيخ لكي يتوجه إلى القسطنطينية، وإذا قاوم سأزحف ضده مع القوات الإمبراطورية.»[2] غير أنه، وفاقاً للمصدر عينه، حالما وصل بحري بگ إلى الشيخ، استدعى لمقابلته ليس الشيوخ الكرد من أرمينيا وحدهم بل كذلك الشيوخ من فارِس. وذكر التقرير أن شيوخاً كثيرين تحالفوا مع الشيخ عبيد الله، على الرغم من أن البعض بقي غير راغب في الانضمام إليه «على الرغم من كل جهود بحري بگ.» غير أن التنبؤ كان توجه شيوخ القبائل هؤلاء إلى الشيخ في نهاية المطاف.

يبدو أن مهمة بحري بگ بوصفه مجرد حامل لوسام غير متوافقة مع

(1) يبلغنا سفرستيان، الذي لا يشير إلى بعثة بحري بگ الرسمية إلى الشيخ، أن بحري بگ كان نشيطاً جداً في طلب المساعدة لحركة الشيخ بين القبائل. غير أنه لا يورد أي مصدر لهذه المعلومات. سفرستيان، 81، م س رقم 230.

(2) المرفق في الرقم 6، رسالة من الأسقف كريميان إلى البطريرك الأرمني، ڤان، 20 حزيران/يونيه، عام 1880، بريطانيا العظمى، تركيا الرقم 5 (1881)، 6، م س رقم 319.

مشاركته العميقة في الشؤون الكردية. وإذا كانت التصريحات والأنشطة التي نسبت إليه في التقرير الأرمني صحيحة، لا بد أن الحكومة التركية قد عهدت إليه بمهمة أكثر أهمية من مجرد حمل وسام. ويبقى الاحتمال، أنه بالتعاون مع الشيخ فعل ذلك من دون موافقة الحكومة التركية، أمراً طبيعياً. إلّا أن ذلك في تلك الحالة كان مصادفة غريبة أن تختار الحكومة ممثلاً لها ترسله إلى الشيخ هو ابن الأمير الكبير بدرخان، الذي لم يكن لسمعته وشهرته منافس في أنحاء كردستان.

تمرد الشيخ عبيد الله في تركيا

حمل الشيخ عبيد الله السلاح ضد تركيا عام 1879. كانت انتفاضة متسمة بالحذر بدا فيها أن الشيخ لم يترك شيئاً للمصادفات. كانت هذه الانتفاضة، كما سنرى، النموذج الذي اتخذه غزوه اللاحق لفارِس.

وفاقاً لقائمقام غفر، هدف الشيخ عبيد الله من تشكيل «إمارة مستقلة في البلاد التي يقطنها الكرد، متعهداً بأن يدفع كجزية المبلغ المفروض في شكل ضرائب من جانب الحكومة التركية.»[1] لتأكيد مطالبه بالاستقلال بالنظر إلى ضعف الإدارة التركية في كردستان نتيجة الحرب في العام 1877-1878.

يبدو أنه كانت هناك شكوك لبعض الوقت أن الشيخ عبيد الله يخطط للقيام بتمرد. وحسب نائب القنصل كليتُن كان الشيخ يحضر للانتفاضة طوال سنتين.[2] وأشيع في وقت التمرد أن والي ڤان قد تلقى إنذاراً من دياربكر قبل

(1) المرفق 1 في الرقم 49، كليتُن إلى تروتر، ڤان، 6 أيلول/ سبتمبر، عام 1879، بريطانيا، وزارة الخارجية في م ن، 68.

(2) المرفق في الرقم 41، كليتُن إلى تروتر، ڤان، 6 أيلول/ سبتمبر، عام 1879، م ن، 68.

عام واحد بشأن نيّات الشيخ، إلّا أنه لم يأخذ التحذير على محمل الجد.[1] وربما انعكس مزاج الشيخ المتسم بالقلق في حقيقة أنه كان كتب في وقت سابق من تلك السنة إلى والي ڤان «مطالباً بالأوسمة والمكافآت الأخرى عن خدماته المقدمة أثناء الحرب الروسية – الركية.»[2]

كانت هناك إشارات كثيرة على ازدياد المناخ النفسي في كردستان توتراً، وكانت التحضيرات ذات الطبيعة الحربية واضحة في المنطقة. وذكر أن منطقة هكّاري تخضع على نحو كامل إلى سلطة الشيخ.[3] وإنه على اتصال بمار شمعون، البطريرك النسطوري، علاوة على عدد من مسلمين ذوي نفوذ واسع في مدينة ڤان.[4] ووفاقاً للمبشر الأميركي الدكتور رينولدز (Reynolds)، أصبح النساطرة، الذين كانوا حتى ذلك الوقت على علاقة ودية طيبة بالمبشرين، فجأة معادين لهم.[5] وكان التطور المهم الآخر هو ابتياع الكرد كميات كبيرة من الذرة في ڤان.[6]

ويذكر أن الشيخ عبيد الله كان مزوداً بكميات كبيرة من البنادق الجيدة. ويعتقد أنه اشترى كميات كبيرة من الأسلحة النارية في كوي وفي أورميا.[7]

---

(1) م ن.

(2) الرقم 41، تروتر إلى ماركيز سالزبري، أرضروم، 19 أيلول/ سبتمبر، عام 1879، في م ن، 67.

(3) م ن.

(4) المرفق في الرقم 41، كليتُن إلى تروتر، ڤان، 6 أيلول/ سبتمبر، عام 1879، في م ن، 68.

(5) م ن.

(6) م ن، 69.

(7) المرفق في الرقم 71، أبوت إلى تومسن، تبريز، 25 أيلول/ سبتمبر، عام 1879، في م ن، 101.

كما يقال إن قوات الشيخ كانت تمتلك بنادق زود الباب العالي بها في الأصل القبائل الكردية أثناء الحرب الروسية – التركية. وذكر القنصل العام أبوت أنه لم يعد سوى القليل جداً من العشرين ألف بندقية التي قدمت إلى الكرد في ذلك الوقت، على الرغم من مطالبة الحكومة بإعادتها: «ليس من غير المرجح أن الشيخ عبيد الله وأتباعه يستخدمون حالياً ضد الحكومة التركية الكثير من تلك الأسلحة ذاتها، التي جهزت أصلاً للدفاع عنها.»[1] وذكر والي ڤان في تقرير له أنه كان لدى الشيخ أربعة آلاف رجل بإمرته، وأن المسلحين الكرد استمروا في عبور الحدود من فارِس.[2]

يبدو أن التمرد قد اندلع عندما عاقب قائمقام غڤر مجموعة من كرد هكّاري كانوا قد نهبوا قرية. وعندما وصلت الأخبار إلى الشيخ عبيد الله اتصل بمختلف الزعماء الكرد «يحثهم على الثورة قائلاً: إنه لم تعد هناك حكومة تركيا، وإنه ينوي في غضون ثمانية أيام الزحف على العمادية.»[3] وكان بين من اتصل بهم الشيخ محمد بردشاني، الذي يقال إنه لم يضيّع وقتاً في إبلاغ نيّات الشيخ إلى والي الموصل.

وبعد خمسة أيام وصلت كتيبة من القوات الحكومية أرسلت من الموصل إلى جوار العمادية. وهاجمت قوة من تسعمائة كردي جمعهم الشيخ عبيد الله ووضعهم تحت قيادة ابنه عبد القادر القوة العثمانية فدحرت.[4] ويبدو أن ذلك كان الاشتباك الحاسم، إذ على الرغم من استمرار القتال العابر

---

(1) م ن.

(2) الرقم 49، تروتر إلى ماركيز سالزبري، أرضروم، 27 أيلول/ سبتمبر، عام 1879، في م ن، 77.

(3) المرفق في الرقم 41، كليتُن إلى تروتر، ڤان، 6 أيلول/ سبتمبر، عام 1879، في م ن، 68.

(4) م ن.

والمناوشات غير الحاسمة في أماكن مختلفة أدرك الكرد أنهم هزموا. وعندما أصبحوا يدركون تصميم الحكومة وقدرتها على قمع التمرد المسلح سرعان ما تلاشى هذاالتمرد.

بينما كان ابن الشيخ وأتباعه في الميدان وكان مبعوثوه يحثون سراً مختلف شيوخ القبائل على التمرد، التزم الشيخ عبيد الله نفسه جانب الحكمة وبقي في الظل يماطل الحكومة واحتفظ عموماً بموقف التحفظ.[1] وجه رسالة إلى والي ڤان مدعياً براءته ومعبراً عن عدم رضاه عمّا حدث ومؤكداً ولاءه للحكومة. قال لوالي ڤان «أبلغوا الحكومة أنني مخلص أكثر من أي وقت مضى.»[2] وذكر أنه استدعى ابنه لكي يجبره على الاستسلام إلى الحكومة.»[3]

كان موقف الحكومة العثمانية نحو الشيخ عبيد الله محيراً. وعلى الرغم من تسلم أوامر من إسطنبول تؤكد ضرورة التعامل بحزم مع المتمردين، وعلى الرغم من أن كبار الموظفين العثمانيين مثل واليي ڤان والموصل لم يثقوا بالشيخ وكانوا يعرفون نيّاته،[4] أظهرت الحكومة المركزية الكثير من الضبط وطول الأناة معه. وعبر له والي ڤان، أثناء التمرد وبعده، عن تقدير كبير. وحتى الصدر الأعظم العثماني وجه إلى الشيخ برقية ودية تحثه على التفاهم مع السلطات المحلية. وقد سلم مفتي ڤان هذه البرقية إليه شخصياً

(1) المرفق 1 في الرقم 49، كليتُن إلى تروتر، ڤان، 10 أيلول/ سبتمبر، عام 1879، في م ن، 78.

(2) المرفق 3 في الرقم 49، الشيخ عبيد الله إلى والي ڤان مؤرخة في الثاني والعشرين من رمضان، في م ن، 79–80.

(3) الرقم 49، تروتر إلى ماركيز سالزبري، أرضروم، 27 أيلول/ سبتمبر، عام 1879، في م ن، 77.

(4) م ن.

باسم الحكومة.[1] ونحي عن منصبه قائمقام غقر، الذي كان قد تسبب في عدم رضا الشيخ بمعاقبة مجموعة من كرد هكّاري الذين قاموا بعملية نهب.[2] وبعد قمع التمرد استقبل الشيخ في مدينة ڤان وسط مظاهر التبجيل. ويبدو أن أحد مطالب الشيخ لإجراء التسوية النهائية لخلافاته مع الحكومة كان حصوله على راتب شهري يبلغ عشرين ألف قرش تركي. ووفاقاً لتروتر أوصى والي ڤان بزيادة راتبه.[3]

من الغريب أن هذا التمرد الفاشل شهد بداية سيرة الشيخ عبيد الله السياسية وليس نهايتها. وبعد الأحداث بفترة قصيرة أصبح الزعيم المعترف به لحركة قومية كردية واسعة هدفت إلى تأسيس دولة كردية مستقلة. وكان أتباعه ومبعوثوه مشغولين في أنحاء كردستان كلها في كسب الأنصار لقضيته.

احتفظت الحكومة العثمانية، التي لا بد أنها كانت على وعي بأنشطة الشيخ عبيد الله وطموحاته، بموقف ودي وساعدته بدلاً من إعاقة جهوده. إما الحكومة لم تجرؤ، كما يبدو، على معاقبة شخص قوي ومقدس وإما اعتبرته حليفاً محتملاً قادراً على أداء خدمات قيمة في المستقبل. وحتى عندما توجت

(1) م ن.

(2) المرفق 1 في الرقم 49، كليتُن إلى تروتر، ڤان، 10 أيلول/ سبتمبر، عام 1879، في م ن، 78.

(3) الرقم 73، تروتر إلى ماركيز سالزبري، أرضروم، 18 تشرين الأول/ أكتوبر، عام 1879، في م ن، 102. يثير بيان للقنصل الفارسي في ڤان الاهتمام في هذا الصدد. ذكر أن تمرد الشيخ نتيجة فشل تركيا في دفع الإعانة الموعود بها. ووفاقاً للقنصل، كان الشيخ أصلاً من رعايا فارس ويتلقى إعانة من الحكومة الفارسية. ورغبة في مراعاة الحياد الصارم أثناء الحرب الروسية – التركية، سحب القنصل هذه الإعانة عندما التحق الشيخ بالترك. ولم تف الحكومة العثمانية، التي وعدته بالحصول على مبالغ، بوعدها، مما أزعج الشيخ وأدى إلى سخطه. انظر المرفق في الرقم 56، كليتُن إلى تروتر، ڤان، 19 أيلول/ سبتمبر، عام 1879، في م ن، 87.

أنشطته بغزو فارس المسلح استمرت الحكومة العثمانية، كما سنرى، في الدفاع عن الشيخ وادعاء براءته. ولا شك أن هذه الحقيقة قد دعمت مزاعم فارس أن تركيا كانت وراء حركة الشيخ عبيد الله.

غزو فارس لتركية

أسباب الغزو

يمكن تتبع أصول الغزو الكردي لفارِس على نحو جزئي إلى الحرب الروسية – التركية في العام 1877–1878. وكما ذكر سابقاً، اتخذ الترك خطوة حاسمة بتسليح آلاف رجال القبائل الكرد بأسلحة حديثة. كان الشيخ عبيد الله زعيم المجموعة العسكرية الأكبر من رجال القبائل أولئك في الجهاد ضد روسيا.[1] غير أن هذه القوات لم تشكل طويلًا مشكلة للروس، الذين سرعان ما نجحوا في دحرهم وتشتيتهم.

أدى تسليح الكرد، الذي كانت له عواقب خطيرة على تركيا، إلى عواقب خطيرة على فارس. واحتفظ المحاربون الكرد بأسلحتهم، والأمر الأكثر أهمية هو روح الجهاد. وأظهر غزو فارِس أن توجيه رجال القبائل هؤلاء ضد الفرس المسلمين الشيعة سهل مثلما كان توجيههم ضد الروس المسيحيين الأرثوذكس. وفي الحقيقة أنه خلال تمرد الشيخ عبيد الله في تركيا لم يتردد رجاله في القتال ضد جيش السلطان – الخليفة، رئيس كل المسلمين السنّة.

ربما يمكن اعتبار أحكام الإصلاحات في معاهدة برلين، وهي من نتائج

---

(1) وفاقاً لنيكيتين، كان لدى الشيخ نحو سبعين ألفاً من رجال القبائل من الحدود التركية–الفارسية بقيادته. بازيل نيكيتين، «أفسار أورميا،» المجلة الآسيوية 34، 99 (بالفرنسية، مرجع 182).

حرب العام 1877-1878، سبباً غير مباشر آخر للغزو. أحدثت طموحات الأرمن التي تناولتها الشائعات في الأقاليم الشرقية وحدة غير مسبوقة بين الكرد وهم شعب معروف بخلافاته وافتقاره إلى التماسك. ويذكر أنه هكذا ولدت الرابطة الكردية، الحركة القومية المتشددة. يبدو أن الرابطة، لأسباب سبقت مناقشتها، قد تمتعت بتعاطف الحكومة التركية، إن لم يكن دعمها الفعال. ولم يضيّع الشيخ وقتاً في استثمار الرابطة لتوسيع نفوذه وتعزيز قوته في أرجاء كردستان. وبحلول الوقت الذي تراجعت فيه مسألة الإصلاحات برز عبيد الله بوصفه الزعيم الكردي بلا منازع في وقته. وتعززت سمعته ولم تتضاءل طموحاته، وشعر الآن أن الوقت مناسب لتحقيق حلمه المستمر مدى الحياة بتأسيس دولة كردية مستقلة. وبعد أن حاول وفشل في تركيا حوَّل اهتمامه إلى فارِس.

لا شك أن ضعف فارِس كان من العوامل الرئيسة التي جعلتها هدفاً مغرياً. إن تعليق مراقب قريب من مشهد هذه الأحداث مثير للاهتمام: «يمكن أن يكون تحرك الشيخ الأخير إلى فارس قد اتخذ بموجب الانطباع أن الحكومة الفارسية أكثر فساداً من الحكومة التركية، وأن نيل سلطة مستقلة هناك أسهل منه في تركيا. وبعد نيل تلك السلطة يستخدم قوته المتزايدة ضد المسؤولين العثمانيين.»[1]

لا يوجد شك أن ما أقنع الشيخ أخيراً للشروع في مشروعه المتسم بالمخاطر كان ضعف فارس علاوة على كراهية الكرد السنة ومريدي الشيخ ودراويشه المخلصين لذلك البلد عموماً بسبب العقيدة الشيعية السائدة في فارس خصوصاً.

---

(1) المرفق في الرقم 22، تروتر إلى كوچران، ثيرابيا، 20 تشرين الأول/ أكتوبر، عام 1880، في بريطانيا العظمى، تركيا\الرقم 5 (1881)، 17، م س رقم 319.

ذكر الشيخ عبيد الله السبب المباشر لغزوه فارس في رسالة إلى الدكتور كوچران مؤرخة في 25 أيلول/ سبتمبر، 1880.[1] وعدد الشيخ في هذه الرسالة المظالم الكردية ضد فارس، المظالم التي عانى منها هو والكرد الآخرون. وتشمل هذه الشكاوى الاغتيال الوحشي لبعض الكرد وسوء معاملة آخرين وفرض غرامات باهظة واغتصاب أموال بعض شيوخ القبائل واختطاف الموظفين الكرد ونساء كرديّات وانتشار العنف والتمرد على القانون مما أضر برفاهية الأمة الكردية وسمعتها. شكلت هذه الأفعال، في نظر الشيخ، السبب المبرر للحرب.

قوات الشيخ عبيد الله ومعداتهم

حتى فترة قتال قصيرة، بغض النظر عن النتائج، تكفي لإحداث تأثير قوي على تماسك قوة قبلية أو انضباطها. وما لم يسيطر على هذه القوة سيطرة صارمة يؤدي النجاح عملياً النتائج ذاتها مثل نتائج النكسة. وينتهي الاندحار بالتدمير الواسع وتشتيت العدو، ويتدهور النصر غالباً إلى انغماس في ممارسة النهب والسلب والتجاوزات. إن المحاربين القبليين المثقلين بالغنائم والمرهقين بدنياً وعقلياً بثروتهم التي حصلوا عليها حديثاً يميلون إلى الانسلال والعودة إلى بيوتهم في أول فرصة. وهكذا في الحرب القبلية تكون قوة الوحدة القبلية المسلحة في حالة تدفق مستمر. وحتى عندما تكون القوة القبلية ناجحة قد تكون أعداد أولئك الذين يتخلون عن الصراع كبيرة بقدر أعداد الملتحقين الجدد بالقوة الذين تجتذبهم إمكانية تحقيق الثراء السريع. تجعل هذه الحقائق، علاوة على الافتقار إلى الأرقام الموثوق بها، من الصعب للغاية وضع تقدير دقيق للعدد الكلي لمجموع أفراد القوات الكردية المشاركة في غزو الشيخ عبيد الله فارس.

(1) المرفق 2 في الرقم 61، الشيخ عبيد الله إلى الدكتور كوچران، في م ن، 47.

بالنظر إلى ضعف القوات الفارسية في أذربيجان في وقت الغزو فقد كان رجال الشيخ جيدي التسليح نسبياً من حيث عدد أسلحتهم ونوعيتها. وكما ذكرنا آنفاً جرى الحصول على الكثير من المواد الحربية في أيدي الكرد الغزاة أثناء حرب العام 1877–1878، عندما وضع الشيخ مسؤولاً عن قوات قبلية واسعة. شملت المعدات التي احتفظ بها رجال القبائل بعد اندحارهم وتشتيتهم أمام الروس كميات كبيرة من البنادق من طراز مارتيني وأمشاط الطلقات.[1]

استناداً إلى مصدر أرمني، كان تحت تصرف الرابطة الكردية بزعامة الشيخ عبيد الله عشية غزو فارس 4.000 بندقية منها 200 بندقية من أصل فارسي والبقية من أصل تركي.»[2] ووفاقاً لنيكيتين كان ألف رجل من بين الاثني عشر ألف رجل هاجموا أورميا مسلحين ببنادق من نوع جديد.[3] ويبدو أنه كانت لدى الشيخ وسائله لتلبية جزء من حاجاته إلى التجهيزات العسكرية. وقد وصف السفير الفارسي في القسطنطينية الشيخ بأنه «صاحب عدد كبير من أمشاط الرصاص.»[4] إن حقيقة تجهيز الشيخ تجهيزاً جيداً بالأسلحة والذخيرة

(1) نيكيتين، «أفسار أورميا،» 99، م س رقم 182.

(2) المرفق في الرقم 6، رسالة من الأسقف كريميان إلى البطريرك الأرمني، ڤان، 20 حزيران/ يونيه، عام 1880، في بريطانيا العظمى، تر كيا الرقم 5 (1881)، 6، م س رقم 319.

(3) واضح أن هذه إشارة إلى «بندقية دك». انظر نيكيتين، «أفسار أورميا،» 102–3، م س رقم عام 182. وصف القنصل العام أيضاً الشيخ بأنه «جيد التجهيز ببنادق مارتيني.» المرفق 2 في الرقم 8، أبوت إلى إرْل غرانفيل، تبريز، 15 تموز/ يوليه، عام 1880، في بريطانيا العظمى، تر كيا الرقم 5 (1881)، 9، م س رقم 319.

(4) المرفق 2 في الرقم 74، مذكرة من السفير الفارسي في القسطنطينية إلى القائم بالأعمال البريطاني، تر كيا الرقم 5 (1881)، 60، م س رقم 319.

واستمرار تلقيه الذخيرة تأكدت في الإفادة عن واقعة استيلاء تيمور پاشا خان على حمولة 160 جملاً تضم بنادق وأمشاط رصاص في منطقة برادوست في تشرين الثاني/ نوفمبر، 1880.[1]

العمليات الحربية

إن إعلان الشيخ عبيد الله الرسمي الوحيد عن قراره بغزو فارس إشارة خفية المعنى إلى توجه ابنه إلى صاوچبولاق، تظهر في فقرة غامضة الصياغة في إحدى رسالتين موجهتين من الشيخ إلى الدكتور كوچران عشية مشروعه الخطير. تبدأ الرسالة بما يلي: «أرسل ملّا إسماعيل ليشرح على نحو سري، كما شرحت له، وضع الأمور هنا، وأطلب بخاصة أن تبلغوا الحكومة الإنكليزية بحقائق قضية كردستان واحترام توجه ابني إلى صاوچبولاق.»[2] وكما برهنت الأحداث اللاحقة كانت مهمة الشيخ إبلاغ الدكتور كوچران سراً أن ابن الشيخ «كان متوجهاً إلى صاوچبولاق،» على رأس جيش!

عبر مقاتلو الشيخ عبيد الله الحدود الفارسية في أوائل تشرين الأول/ أكتوبر، عام 1880. ووفاقاً لتقارير معاصرة تألف جيشه من ثلاث وحدات مسلحة. قاد إحدى الوحدات ابنه عبد القادر، الذي انتقل في الاتجاه العام للشواطئ الجنوبية لبحيرة أورميا نحو صاوچبولاق.[3] وكانت الوحدة

(1) المرفق 2 في الرقم 70، أبوت إلى تومسن، تبريز، 25 تشرين الثاني/ نوفمبر، عام 1880، في م ن، 57.

(2) المرفق 4 في الرقم 61، الشيخ عبيد الله إلى الدكتور كوچران، في م ن، 47.

(3) ص. غ. ويلسن، الحياة والتقاليد الفارسية، 111، م س رقم 277. يتباين تقدير هذه القوة كثيراً. وذكر نائب القنصل كليتُن أن هذه القوة قدرت بعشرين ألف رجل، إلّا أنه حذر من الاعتماد على هذا الرقم. انظر المرفق 2 في الرقم 54، كليتُن إلى تروتر، ڤان، 25 تشرين الأول/ أكتوبر، عام 1880، بريطانيا العظمى، تركيا الرقم 5 =

الثانية بقيادة الشيخ صديق، ابن الشيخ الأكبر مرابطة في مرگاوار، «لحماية انسحاب عبد القادر فيما يبدو.»[1] وقيل إن عدد أفراد القوة الثالثة بقيادة الشيخ محمد سعيد، صهر عبيد الله وأحد خلفائه، بلغ خمسة آلاف رجل.[2]

انضمت إلى قوة عبد القادر في طريقها إلى صاوچبولاق وحدات كردية محلية من منطقتي أشنويه وسولدوز. وسرعان ما انضم إليهم كرد المنگور بقيادة حمزة آغا وشيوخ عشائر آخرين أعلنوا أنهم أقسموا على القرآن أن يقاتلوا حتى الموت. استولوا على صاوچبولاق من دون مقاومة بعد منح الحكومة الحامية ترخيصاً بالخروج من المدينة. ولدى سقوط صاوچبولاق في أيدي الكرد، أصدر زعيمها الشيخ السني فتوى[3] تعلن الجهاد ضد الشيعة.[4]

كان هدف الشيخ عبد القادر التالي مدينة مياندواب. ويبدو أنه أرسل بعض الرسل إلى المدينة بهدف الحصول على التجهيزات واستطلاع آراء

= (1881)، 32، م س رقم 319. يقدر نيكيتين مستشهداً بعرض متسلسل للأحداث غير منشور أن قوة صاوچبولاق بين أربعين وخمسين ألفاً. نيكيتين، «أفسار أورميا،» 95، م س رقم 182. وفاقاً للقنصل العام أبوت تضاءلت هذه القوة، التي قدر أصلاً أنها بين عشرة وثلاثين ألف رجل، إلى خمسة عشر ألفاً في سياق الحملة نتيجة عودة الرجال إلى بيوتهم. المرفق 2 في الرقم 56، أبوت إلى تومسن، تبريز، 7 تشرين الثاني/ نوفمبر، عام 1880، في بريطانيا العظمى، تركيا الرقم 5 (1881)، 40، م س رقم 319.

(1) المرفق 2 في الرقم 54، كليتُن إلى تروتر، ڤان، 25 تشرين الأول/ أكتوبر، عام 1880، بريطانيا العظمى، تركيا الرقم 5 (1881)، 32، م س رقم 319.

(2) الرقم 61، تومسن إلى غرانڤيل، طهران، 31 تشرين الأول/ أكتوبر، عام 1880، في م ن، 45.

(3) انظر ديڤيد بروس مكدونالد، «الفتوى،» في الموسوعة الإسلامية، ط 1، 3: 92–93 (بالإنكليزية، مرجع 145).

(4) ص. غ. ويلسن، الحياة والتقاليد الفارسية، 111، م س رقم 277.

السكان. قبض على الرسل وقتلوا، الأمر الذي أثار سخط الشيخ كثيراً بحيث إنه قرر مهاجمة المدينة فوراً.[1] أخفى نصف السكان بضائعهم ومقتنياتهم الثمينة وهربوا خشية الأعمال الانتقامية. وذبح النصف الآخر من السكان، وبلغ عددهم نحو ثلاثة آلاف رجل وامرأة وطفل عندما نهبت قوات عبد القادر المدينة.[2] وتعرض الريف المحيط بالمدينة إلى تخوم بناد ومراغة بأفعال الحرق والقتل.

أثبت تدمير مياندواب أنه انتصار فارغ لأن أغلبية المحاربين المحملين بالغنائم تفرقوا بعد ذلك وعادو إلى منازلهم. كما أنه شدد مقاومة الفرس وألحق أضراراً كبيرة بقضية الشيخ ككل. وفاقاً لويلسُن، «أثبت هذا التشتت أن الكرد غير قادرين على خوض الحرب النظامية. ولم تكن المجزرة جريمة فحسب بل غلطة لأنها دفعت الفرس إلى المقاومة الشديدة وقوضت أي تعاطف نحو الكرد.»[3]

حول الشيخ عبد القادر بعد ذلك اهتمامه إلى مراغة، وذكر أنه بعد

(1) المرفق 1 في الرقم 61، أبوت إلى تومسن، أورميا، 7 تشرين الأول/ أكتوبر، عام 1880، في بريطانيا العظمى، تر كيا الرقم 5 (1881)، 47، م س رقم 319.

(2) ص. غ. ويلسن، الحياة والتقاليد الفارسية، 111، م س رقم 277. قدر أبوت عدد الفرس الذين قتلوا في مياندواب بألفي شخص. المرفق 2 في الرقم 56، أبوت إلى تومسن، تبريز، 7 تشرين الثاني/ نوفمبر، عام 1880، بريطانيا العظمى، تر كيا الرقم 5 (1881)، 40، م س رقم 319. وفاقاً لرسالة السيد كوچران في 11 تشرين الأول/ أكتوبر، عام 1880، بلغ عدد القتلى في وحول مياندواب أكثر من أربعة آلاف. سپير، 84، م س رقم 243. قدر لورد كيرزن، شأنه شأن ويلسن، العدد بثلاثة آلاف. كيرزن، 1: 553، م س رقم 45.

(3) ص. غ. ويلسن، الحياة والتقاليد الفارسية، 112، م س رقم 277.

الاستيلاء عليها وصل إلى جوار تبريز.[1] شهد ذلك نهاية تقدم الشيخ عبد القادر.

في الوقت ذاته، انضمت إلى الشيخ صديق، الذي ذكر أنه كان يهدد أورميا بألف رجل،[2] قوات جديدة يقودها أبوه الشيخ عبيد الله نفسه. قدر مجموع أفراد هذه القوات مجتمعة، التي تقدمت لتحاصر أورميا بثمانية آلاف رجل.[3] وبعد أيام قليلة من القتال غير الحاسم، قرر سكان المدينة المحاصرة، الذين كانوا قد سمعوا بمصير مياندواب، طلب السلام. لذا أجرى عدد من الوجهاء ورجال الدين اتصالات مع الشيخ عبيد الله وعرضوا تسليم المدينة بشرط أن يتعهد بحقن دماء السكان. وافق الشيخ وحدد موعداً لاستسلام المدينة.[4] إلاّ أنه عندما أزف الموعد طلبت السلطات الفارسية التأجيل. رفض الشيخ منح التأجيل في بداية الأمر غير أن الدكتور كوچران أقنعه بالقبول وكان هذا، كما شهدنا، على علاقة ودية بالزعيم الكردي.[5]

استغلت السلطات الفارسية التأخير لتعزيز دفاعات المدينة. وعندما علم حاكم المدينة إقبال الدولة أن رتل نجدة كان في طريقه إلى أورميا قرر مقاومة

---

(1) الرقم 68، كليتُن إلى تروتر، ڤان، 2 تشرين الثاني/ نوفمبر، عام 1880، في بريطانيا العظمى، تركيا الرقم 5 (1881)، 54، م س رقم 319.

(2) الرقم 61، تومسن إلى إرْل غرانڤيل، طهران، 31 تشرين الأول/ أكتوبر، عام 1880، في م ن، 46.

(3) المرفق 2 في العدد 56، أبوت إلى تومسن، تبريز، 7 تشرين الثاني/ نوفمبر، عام 1880، في م ن، 39.

(4) نيكيتين، «أفسار أورميا،» 101-2، م س رقم 182.

(5) ص. غ. ويلسن، الحياة والتقاليد الفارسية، 114، م س رقم 277؛ سپير 86، م س رقم 243؛ كيرزن، 1: 553، م س رقم 45.

الشيخ.[1] وعندما شن الكرد هجومهم في النهاية صدوا وتكبدوا خسائر جسيمة. ويبدو أن تلك النكسة الشديدة قد أضعفت معنويات قوات الشيخ عبيد الله إذ إنها تراجعت في اضطراب نحو الجبال قبل مضي وقت طويل.[2]

انتهى بذلك حصار أورميا بعد عشرة أيام من الخوف الشديد والشك. وشهد إخفاق الشيخ في أورميا نهاية الغزو الكردي لفارس. وسرعان ما تراجع الغزاة في كل مكان أمام الروس الزاحفين. وتعاونت وحدات الجيش التركي المرابطة على الحدود التركية – الفارسية مع الجيش الفارسي بقطع تراجع القوات الكردية.[3]

نقل الشيخ عبيد الله، الذي نجح في شق طريقه إلى ناوتشيا، أخيراً إلى القسطنطينية في تموز/ يوليه، عام 1881، نتيجة الضغط الشديد الذي مارسته الدول العظمى على الباب العالي. ومن المثير للاهتمام ملاحظة أن الشيخ قوبل بالترحاب بوصفه بطلاً في طريقه إلى العاصمة.[4] وبعد إقامة استمرت بضعة أشهر في القسطنطينية هرب وشق طريقه عائداً إلى منزله الجبلي في نهري. واستجابة لرغبة الرأي العام الأوروبي أرسلت قوات تركية ضد الشيخ وطلبت استسلامه. وعندما أدرك الشيخ عبيد الله الحالة الميئوس منها سلم نفسه وفي هذه المرة نفي إلى الحجاز حيث توفي في مكة عام 1883.[5]

(1) في تنظيم الدفاع عن المدينة ساعد الأسقف كلوزيل، رئيس البعثة التبشيرية الكاثوليكية الفرنسية في أورميا، إقبال الدولة مساعدة كبيرة. ومن خلال جهود الأسقف جمعت مبالغ كبيرة من تجار أورميا لدفع تكاليف الدفاع. انظر نيكيتين، «أفسار أورميا» 103، م س رقم 182.

(2) ص. غ. ويلسن، الحياة والتقاليد الفارسية، 114، م س رقم 277.

(3) انظر ص. غ. ويلسن، الحياة والتقاليد الفارسية، 117، م س رقم 277.

(4) كيرزن، 1: 554، م س رقم 45؛ راجع ص. غ. ويلسن، الحياة والتقاليد الفارسية، 119، م س رقم 277.

(5) يبدو أنه يوجد بعض الاختلاف في الرأي المتعلق بالمكان الذي توفي فيه الشيخ. =

عواقب الغزو

الأرجح أن صد فارس غزو الشيخ تجاوز في وحشيته تجاوزات الغزاة الكرد. لاحق الجنود الفرس الكرد والسنة وذبحوهم بلا رحمة مثلما فعل رجال القبائل الكرد بالفرس والشيعة. وتدل على طبيعة الرد الفارسي بلا تمييز حقيقة أنه على الرغم من عدم فقدان سوى عدد قليل من النساطرة في سهل أورميا أرواحهم نتيجة أعمال السلب والنهب الكردية فقد ذبحت القوات الفارسية أعداداً كبيرة من الكرد.[1]

أحدث الغزو الكردي والإجراءات التي اتخذت لصده الفوضى في فارس الشمالية. وعلاوة على الخسائر الكبيرة في الأرواح، استحال بعض أغنى الأراضي الفارسية إلى يباب. ودمر سهل أورميا، الذي عرف باسم «حديقة فارس». وكانت الكارثة كبيرة للغاية، حتى إن فارس برمتها أحست بآثارها سنوات كثيرة تالية. ويذكر ستاك عام 1882 أنه عندما تنقل عبر ولاية فارْس في جنوب بلاد فارس علم أن «الشعب كان يدفع إعانة فرضت بسبب الغزو الكردي لأذربيجان.»[2] كان تأثير الغزو هائلًا بحيث إنه كما قالت إحدى المبشرات الأميركيات وهي السيدة ميري شِدّ (Mary Shedd) التي وصفت

= بين من قالوا إنه مات في مكة كيرزن، 1: 554، م س رقم 45؛ ص. غ. ويلسن، الحياة والتقاليد الفارسية، 122، م س رقم 277. و. غ. إلفنستُن، «المسألة الكردية،» مجلة الشؤون الدولية 22، عد. 1 (بالإنكليزية، مرجع 71). غير أن زكي، خلاصة تاريخ الكرد، 120، م س رقم 314؛ يذكر الطائف ويذكر شيركوه (المسألة الكردية، 18، م س رقم 39) المدينة.

(1) ص. غ. ويلسن، الحياة والتقاليد الفارسية، 115-116، م س رقم 277.

(2) إدوارد ستاك، ستة أشهر في فارس، 250-51 (بالإنكليزية، مرجع 247).

التأثير كما يلي: «حتى نشوب الحرب العالمية الأولى أرخت كل الأحداث من 'قدوم الشيخ'».[1]

بعد هزيمة الكرد أصبح وضع المبشرين الأميركيين في أورميا يتصف بالخطر بسبب تهم لا أصل لها عن تواطئهم مع الغزو الكردي. وكان المبشرون يحتفظون بعلاقات ودية مع الشيخ عبيد الله، ولذا اتهمهم الفرس بتشجيعه ودعمه. وأنقذت الإجراءات الدبلوماسية السريعة، كما سنرى، المبشرين من مصير مشكوك فيه.

الجوانب الدولية للغزو الكردي لفارس

تأسيس علاقات دبلوماسية بين الولايات المتحدة وفارس

كانت إحدى أهم العواقب الدولية المهمة للغزو الكردي لفارس تأسيس علاقات دبلوماسية بين الولايات المتحدة وبين تلك الدولة. تركز اهتمام الحكومة الأميركية على فارس نتيجة الأخطار التي تعرض لها المبشرون الأميركيون أثناء غزو الشيخ عبيد الله وبعده. أولى عضو الكونغرس الأميركي روفوس روبنسن دوسّ من ماريتّا بولاية أوهايو، الذي كانت شقيقته السيدة سارة جين شِدّ من أعضاء إرسالية أورميا التبشيرية، اهتماماً خاصاً بالمسألة. عرض المسألة على وزير الخارجية إيڤارتس في رسالة مؤرخة في 20 تشرين الثاني/ نوفمبر، عام 1880. أبلغ دوس وزير الخارجية إيڤارتس بالخطر الشديد الذي وجد المبشرون أنفسهم فيه نتيجة الأحداث الأخيرة في فارس، واقترح الطلب إلى الحكومة الفارسية توسيع حمايتها لتشمل أولئك المواطنين الأميركيين.

(1) ماري لويس شِدّ، اعتدال رجل: حياة وليم أمبروس شدّ، مبشر في فارس، 45 (بالإنكليزية، مرجع 237).

واختتم رسالته ببيان أن شقيقته وأسرتها ضمن مجموعة المبشرين أولئك.[1]

أرسلت محتويات هذه الرسالة إلى جيمس رسل لويل (James Russell Lowell)، الوزير المفوض الأميركي في لندن، الذي أتصل بدوره بلورد غرانفيل [جورج ليفسن- غاور (George Leveson-Gower)] وزير الخارجية البريطاني طالباً منه استخدام المساعي الحميدة لممثل بريطانيا في فارس من أجل حماية المواطنين الأميركيين هناك. ثم حول عضو الكونغرس الأميركي اهتمامه بأن «يمرر الكونغرس بعض الإجراءات من أجل تحسين حماية المواطنين الأميركيين في فارس.»[2] ووجد دوس أن من الضروري ممارسة قدر كبير من الضغط من أجل تحقيق أهدافه لأن الجمهور كان غير مطلع على المسألة، ولذا لم يكن هناك رأي عام يساند تلك الإجراءات. وفي الوقت ذاته، واصل المبشرون أنفسهم حث دوس على العمل لإرساء علاقات دبلوماسية بين الولايات المتحدة وبين فارس.[3]

كانت الخطوة الأولى التي اتخذها عضو الكونغرس دوس قراراً عرضه في 6 شباط/ فبراير، 1882، يدعو إلى تأسيس ممثلية دبلوماسية أميركية في فارس. تحدث في هذا القرار بالتفصيل عن المزايا التجارية لتلك الممثلية، وأكد أهمية تلك الدولة بوصفها سوقاً في المستقبل للمنتجات الأميركية. وبعد أسبوع من عرض هذا القرار أقر في 13 شباط/ فبراير، عام 1882،

(1) روفوس روبنسون دوسّ (إعداد)، تاريخ تأسيس العلاقات الدبلوماسية مع فارس، 5 (بالإنكليزية، مرجع 48).

(2) م ن، 27.

(3) م ن، 25-26. انظر أيضاً رسالة من جوزيف پلمب كوچران والأب المحترم و. ل. ويپل إلى سعادة ر. ر. دوسّ، أورميا، 6 تموز/ يوليه، عام 1882، م ن، 33-34، م س رقم 48.

بالإجماع في مجلس النواب.[1] أخيراً في 3 آب/ أغسطس، عام 1882، قبل خمسة أيام من تأجيل الكونغرس اجتمع مجلس النواب لبحث مشروع القانون الذي يخول بتأسيس العلاقات الدبلوماسية. مرر المجلس لائحة القانون في 5 آب/ أغسطس، عام 1882، بعد إضافة مجلس الشيوخ تعديلاً عليه. وعين السيد صموئيل غرين ويلر بنجامين (S. G. W. Benjamin) بمنصب الممثل الدبلوماسي الأميركي الأول في فارس بعنوان القائم بالأعمال والمدير العام.[2] وغيرت تسميته لاحقاً إلى وزير مفوض.

مواقف الدول الأوروبية

أدت حركة الشيخ عبيد الله إلى عواقب دولية بعيدة المدى. وشكلت طبيعة مشروعه بغزو فارس مشكلة دولية خطيرة. وكان محتماً أن يشرك هذا الغزو تركيا، التي كان الشيخ من رعاياها وأطلق هجومه من أراضيها. ووجدت روسيا المهتمة اهتماماً عميقاً بالشؤون الداخلية لتركيا وفارس في حركة الشيخ محاولة لتقويض الوضع القائم في منطقة ذات أهمية حيوية لروسيا. وخلافاً لذلك كانت إنكلترا مهتمة للغاية في المحافظة على سلامة الإمبراطورية العثمانية، وتابعت بخوف سير الأحداث التي هددت بجعل روسيا تقف إلى جانب فارس، وبالتالي توريط تركيا في صراع غير متكافئ على نحو يائس. وشاركت حتى النمسا دبلوماسياً.

الوعود الروسية لمساعدة فارس. كان لا بد أن يؤدي غزو الشيخ عبيد الله لفارس إلى جعل فارس أقرب إلى روسيا لعدة أسباب. أدى إذلال فارس بسبب انتهاك أراضيها وازدراء سلطتها وذبح رعاياها إلى مشاعر عميقة

(1) دوسّ، 27-33، م س رقم 48.

(2) م ن، 42-55.

بحيث إن الفرس كانوا مستعدين للإمساك بأي شيء يعد بالانتقام والإنصاف. أثار السخط واليأس، الذي شعر به الإيرانيون نتيجة عجزهم الأولي عن صد الغزو والتجاوزات التي ارتكبها الغزاة ضد المواطنين الفرس بوصفهم فرساً وشيعة، نيران التطرف الطائفي في الصدور الفارسية. وبالنظر إلى حقيقة أن الغزو قد خطط له ونظمه على الأراضي التركية أحد رعايا تركيا فقد ارتابت فارس بالمشاركة التركية في حركة الشيخ. ووصف لورد كيرزن جيداً مزاج فارس في ذلك الوقت: «ناشد الشاه روسيا تقديم المساعدة وإنكلترا تقديم المشورة وتركية تعديل الأمور.»[1]

كانت روسيا في متناول اليد وفي وضع يمكنها من تقديم المساعدة، وليس بسبب العداء الروسي – التركي التقليدي فحسب، بل لأن حركة الشيخ هددت بحرمان الروس من بعض ثمار حرب العام 1877–1878. لهذا السبب شهد الروس ليس أقل من الفرس يد تركيا في الغزو الكردي. كما أنهم شعروا أن الاضطرابات الجديدة قد تقود إلى تعاظم النفوذ البريطاني في الأقاليم الشرقية حيث كلفت بريطانيا بموجب معاهدة برلين بالإشراف على الإصلاحات. وكان سبب آخر لمعارضة روسيا الحركة الكردية هو رغبتها في الاستمرار في أداء دور حليف فارس وحاميتها.

أخيراً، خشي الروس أنه ربما تكون للحركة آثار مضادة على السكان الكرد في إقليمي قارص وأردهان اللذين حصلوا عليهما حديثاً. ولم تعجبهم حتماً فكرة بعث الحركة المريدية في منطقة قريبة للغاية من منطقة القوقاز المضطربة. كان الشيخ عبيد الله، الذي قاد متطوعين كرداً ضد القوات الروسية قبل عامين في الحرب الروسية – التركية، قائد النقشبندية مثل الثائر القوقازي الشهير شامل.

---

(1) كيرزن، 1: 557، م س رقم 45.

على الرغم من تصميم الروس على وضع حد للمغامرة الكردية في فارس، في حال أثبت الفرس عجزهم عن مواجهة الوضع، فقد امتنعوا عن اتخاذ أي إجراء قد يسيء إلى البريطانيين أو يثير غضبهم. واصلوا تتبع سير الأحداث على نحو وثيق في المنطقة المضطربة واتخذوا كل الاحتياطات الضرورية إلّا أنهم كانوا حذرين من اتخاذ أي إجراءات متسرعة أو سيئة التقدير قد تفاقم صراعاً مع تركيا. وواصلوا الاتصال الوثيق بالبريطانيين بينما ركزوا قواتهم بهدوء على طول حدود القوقاز.

أعطيت للسيد پلَنكت (Plunkett)، الممثل الدبلوماسي البريطاني في سانت بطرسبرغ، التعليمات لاستطلاع موقف وزارة الخارجية الروسية. وفي 3 تشرين الثاني/ نوفمبر 1880 ذكر في تقريره أن المستشار الروسي البارون الجنرال أنطوان هنري دو جوميني (Baron A. G. Jomini)[1] عزا الاضطرابات الكردية على الحدود التركية – الفارسية إلى الدسائس التركية، وخشي أنها قد تقود إلى تعقيدات خطيرة. وفي رسالة موجهة إلى وزير الخارجية البريطاني، أشار پلَنكت إلى احتمال التدخل الروسي. وأوضح أن الحكومة الروسية قد تجد ذاتها على نحو مباشر «معنية بالمسألة أكثر مما هي في الوقت الحاضر»،[2] إذا امتدت الاضطرابات إلى الحدود الروسية.

بعد ثلاثة أيام رددت الصحيفة الروسية بيريغ *(Bereg)* هذه المشاعر بلغة أكثر صراحة. فقد عبرت الصحيفة بلا شك عن الموقف الروسي الرسمي عندما قالت ما يلي:

(1) تولى البارون الجنرال أنطوان هنري دو جوميني منصب مستشار أكبر في وزارة الخارجية الروسية من عام 1856 إلى عام 1888.

(2) الرقم 29، پلَنكت إلى إرْل غرانڤيل، سانت بطرسبرغ، 3 تشرين الثاني/ نوفمبر، عام 1880، بريطانيا العظمى، تركيا الرقم 5 (1881)، 20، م س رقم 319.

ثار الكرد ضد فارس. ألا يحتمل أنه كانت لتركيا كذلك يد في اللعبة؟ ألا يأمل الباب العالي في فرض وضع جديد يمكنه استغلاله كحجة لعدم الالتزام بقرار مؤتمر برلين بقدر ما يتعلق الأمر بأرمينيا؟ ربما ينوي الدبلوماسيون في إسطنبول استغلال الكرد بالطريقة عينها التي طبقوها مع الألبان في مسألة الجبل الأسود. وربما يجاب على كل هذه الأسئلة قريباً.[1]

مضت الصحيفة إلى مناقشة المصالح التجارية والسياسية المختلفة لروسيا وإنكلترا في باريس. وأشارت الصحيفة إلى التفاهم الأنكلو- الروسي الذي قام قبل حرب القرم، ودعت إلى استئناف العلاقات الودية القائمة بين الدولتين قبل تلك الحرب. وأوضحت الصحيفة أنه «لا توجد في الواقع أسباب تتطلب أي عداء بين روسيا وإنكلترا في آسيا الوسطى.»[2] وأشارت الصحيفة إلى العلاقات الطيّبة بين روسيا وفارس وأوردت طلب فارس الأخير للحصول على مساعدة عسكرية ضد الكرد. إلّا أن الصحيفة شرحت أنه في حالة اتخاذ الصراع طابعاً أكثر جدية وامتد إلى الحدود الروسية فإن القوات الروسية «سيسمح لها بالمناورة في الأراضي الفارسية لقمع تمرد المغيرين بهدف السلب والنهب.»

رد فعل بريطانيا على سياسة روسيا. يبدو أن بريطانيا العظمى كانت معنية على نحو عميق بشأن تقارير عرض روسيا المساعدات العسكرية على فارس. وزود السيد پلَنكت بتعليمات في برقية موجهة من وزير الخارجية البريطاني إرْل غرانڤيل (Earl Granville) للإبلاغ عن صحة تلك الشائعات. أبلغ

(1) المرفق في الرقم 28، مقطع مقتبس من بيريغ، سانت بطرسبرغ، 7 تشرين الثاني/ نوفمبر، عام 1880، في م ن، 19.

(2) م ن.

پلَنكت وزير الخارجية برقياً أنه زار وزارة الخارجية الروسية مرة أخرى وناقش المسألة مع البارون جوميني. ووفاقاً لپلَنكت فقد أبلغه جوميني أن الشاه هو الذي عبر للوزير الروسي في طهران عن الرغبة في الحصول على المساعدات لاستعادة النظام بين القبائل الكرد. وذكر پلَنكت أن الإمبراطور الروسي «لدى سماع هذا الطلب وافق عليه فوراً مع التحفظ الصريح أن القوات الروسية ستخول ملاحقة الكرد في الأراضي العثمانية.»[1] وأوضح البارون جوميني أن الأخبار الأحدث عن كردستان أفضل كثيراً بحيث لم تعد هناك على الأرجح حاجة إلى المساعدات الروسية. وقال إنه على الرغم من تلك الحقيقة فقد اتخذت خطوات لتحشيد القوات اللازمة على الحدود في حالة تطلب الأمر اشتراكها لاحقاً. ولم يكشف جوميني عدد الجنود المطلوبين.[2]

ناقش السفير الروسي في لندن الأمير أندريه لُبانوف- رستوڤسكي (Andrei Lobanov-Rostovsky) موضوع تقديم المساعدات العسكرية الروسية إلى فارس في سياق مقابلة مع وزير الخارجية البريطاني. وذكر أن الأمير صرح أن الشاه قد طلب من الإمبراطور الروسي الحصول على المساعدات العسكرية وألح عليه لوضع القوات الروسية تحت تصرف الحكومة الفارسية. وفاقاً للُبانوف- رستوڤسكي، «رفض الإمبراطور القيام بذلك على الرغم من أنه وافق على السماح لبعض القوات بالتحشد على الحدود.»[3]

واصلت روسيا متابعة سياستها التصالحية نحو إنكلترا. ووفاقاً لغرانڤيل

---

(1) الرقم 32، پلَنكت إلى إرْل غرانڤيل، سانت بطرسبرغ، 8 تشرين الثاني/ نوفمبر، عام 1880، في م ن، 20.

(2) م ن.

(3) الرقم 35، إرْل غرانڤيل إلى السيد پلَنكت، لندن، 9 تشرين الثاني/ نوفمبر، عام 1880، في م ن، 21.

وجهت التعليمات إلى السفير الروسي بتقديم الضمانات بهذا الصدد أن الإمبراطور «بينما أمر قواته بالاقتراب من الحدود، كان مصمماً على منعها بقدر الإمكان من عبورها لأن جلالته لن يتدخل على نحو مباشر نيابة عن الفرس، خشية الحساسيات الدولية المثيرة.» وأكد الأمير لُبانوف أن نية روسيا كانت البقاء ضمن حدودها و«عدم التقدم داخل الأراضي التركية أو الفارسية.»[1] وقدم وزير الخارجية البريطاني رداً موجزاً وذا مغزى. ووفاقاً لوصفه، «أجبت أن هذا هدف مهم للغاية تجب مراعاته.»[2]

بعد انتشار الشائعات بفترة قليلة من اقتراب الروس إرسال مساعدة عسكرية إلى الفرس وردت تقارير عن تحركات قوات روسية. وكان مسؤولو القنصليات البريطانيون يوردون فوراً كل المعلومات بشأن حجم القوات الروسية وتكوينها ووجهتها في القوقاز.[3] وكان التقدير الأعلى للقوات الروسية المذكورة في هذا الصدد هو ستة آلاف.[4]

غير أن الروس حاولوا تقليل عدد هذه القوات وأهميتها. إن الحساسيات الروسية نحو هذه المسألة موضحة على نحو تام في تقرير پلَنكت عن المحادثة مع وزير الخارجية الروسي السيد دو گيرس (M. de Giers). واقترح پلَنكت أنه بالنظر إلى تحسن الوضع في كردستان لن يكون تحشيد المزيد من القوات الروسية ضرورياً. ورداً على ذلك «أجاب السيد دو گيرس: أنه قد أوليت أهمية

(1) الرقم 41، إرْل غرانفيل إلى السيد پلَنكت، لندن، 16 تشرين الثاني/ نوفمبر، عام 1880، في م ن، 24.

(2) م ن.

(3) 120 م ن، أماكن متفرقة.

(4) المرفق 4 في الرقم 76، أبوت إلى تومسن، تبريز، في م ن، 70.

أكثر مما ينبغي إلى الوحدتين العسكريتين التي قالت روسيا إن من الصواب تحريكهما إلى نخشقان.»[1]

الإصلاحات بوصفها عاملاً في موقف تركيا نحو الشيخ عبيد الله

لا يوجد بالتأكيد أي شيء بعيد الاحتمال بشأن الريبة في الدعم التركي الرسمي لحركة الشيخ عبيد الله. وعلى الرغم من عدم توافق أهداف الشيخ والحكومة التركية في نهاية المطاف، إلّا أنها كانت متشابهة إلى حد ما ومتماثلة في جانب واحد على الأقل. عارض الجانبان كلاهما على نحو غير قابل للتحريف الإصلاحات المتضمنة في المادة 61 من معاهدة برلين وفي ميثاق تحالف الدفاع ستناقش بعد قليل.

لعل البحث الموجز للدوافع التي جعلت الترك يعارضون هذه الإصلاحات يقدم فهماً أوضح للموقف التركي نحو الشيخ. اعتبر الترك، الذين كانوا يشعرون بكره عميق نحو كل المشاريع التي يرعاها الأجانب، الإصلاحات إحدى وسائل تحقيق تلك الغاية ومقدمة إلى المزيد من التدخل الأجنبي. ومنذ بداية القرن التاسع عشر كان التدخل الأجنبي في أشكال مختلفة قد ورط الترك في سلسلة من الحروب الكارثية التي كلفتهم الجزء الأكبر من ممتلكاتهم في البلقان. ولم يكن في وسعهم نسيان أن كارثتهم الأحدث وهي حرب العام 1877-1878 قد سببها مؤتمر القسطنطينية الداعي إلى الإصلاحات. ونجحت البراعة الكبيرة والمهارة الدبلوماسية التامة لسفير روسيا إلى الباب العالي الجنرال نيكولاي إغناتييف (Nikolai Ignatiev) في مناورة تركيا مع موافقة الدول العظمى التامة على اتخاذ موقف إما التسليم

(1) الرقم 71، پلَنكت إلى إرْل غرانڤيل، سانت بطرسبرغ، 14 كانون الأول/ ديسمبر، عام 1880، في م ن، 58.

بالمطالب المتطرفة وغير المقبولة للإصلاحات وإما التوجه إلى الحرب مع روسيا بلا مساعدة.[1]

لم تنبع معارضة تركيا القوية لهذه الإصلاحات فقط من الرغبة في تجنيب الأقاليم الشرقية المصير الذي لحق بممتلكاتها في البلقان. وفي الحقيقة فإن موقف الترك إزاء المنطقتين كان مختلفاً اختلافاً واسعاً. ويبدو أنهم اقتنعوا بخسارة ممتلكاتهم في البلقان حيث أطلقت نزعات قومية متشددة مختلفة هناك عملية تنازل مدعومة بقوة روسيا العسكرية العظيمة. لم يكن للشعوب المسيحية في البلقان – ذات الصلة بروسيا إما بروابط العقيدة الأرثوذكسية، كما في حالة اليونان ورومانيا وإما بالأرثوذكسية والأصل السلافي المشترك، كما في حالة الجبل الأسود وبلغاريا وصربيا – نظراء لها في الأقاليم الشرقية. كان العنصر الوحيد غير المسلم هنا هم الأرمن الغريغوريون والشعوب غير الأرثوذكسية. وبسبب التراث الطويل للهيمنة الإسلامية في هذه المناطق اعتبر العثمانيون هذه الأقاليم جزءاً لا يقبل التصرف من الوطن الإسلامي الذي اعتبروا أنفسهم حماته.

هناك نقطة أخرى ذات أهمية بالغة هي: حيث واجهت تركيا فارس وهي دولة أضعف وأكثر إنهاكاً منها، لا شك أن الآمال راودت تركيا في التعويض عن خسائرها التي لحقت بها في أوروبا. والأرجح أن العثمانيين، الذين هزموا مراراً وكانوا متراجعين دائماً أمام دول أوروبية أقوى، لم ييأسوا قطّ من انتزاع أذربيجان الناطقة باللغة التركية وكردستان التي تتبع المذهب السني من فارِس.[2]

---

(1) سير هنري إليوت وغيرترود إليوت، بعض الثورات والتجارب الدبلوماسية الأخرى، 274-95 (بالإنكليزية، مرجع 67).

(2) كانت هذه المناطق موضوع الخلاف بين تركيا وبين فارس/ إيران أثناء القرون الأربعة الماضية. واجتاحت الجيوش العثمانية الكثير من المناطق في حروبها ضد =

من بين كل الدول العظمى لم تكن سوى بريطانيا العظمى معنية بتنفيذ المادة 61 في معاهدة برلين. ولم تظهر ألمانيا ولا النمسا أي اهتمام في مصير رعايا السلطان الآسيويين؛ واعتبرت فرنسا وإيطاليا المسألة ذات اهتمام خاص لإنكلترا وحدها. وكانت روسيا معادية لفكرة الإصلاحات ليس لأنها لم ترغب في احتمال بعث تركيا فحسب، بل كذلك لأنها خشيت أن هذا المشروع الذي رعته بريطانيا قد يقود إلى زيادة خطرة للنفوذ البريطاني في هذه الأقاليم الحساسة في أقاليمها القوقازية. وخلافاً لذلك، اهتمت إنكلترا للغاية برؤية الإصلاحات تطبق واعتبرتها الوسيلة الوحيدة لإنقاذ الإمبراطورية العثمانية وجعلها حاجزاً في وجه زحف روسيا جنوباً. كان انهيار الإمبراطورية العثمانية يؤدي إلى تهديد مضائق السويس وعدن وهرمز، التي تسيطر ليس على مدخل البحر المتوسط فحسب، بل كذلك على البحر الأحمر والمحيط الهندي والخليج الفارسي والمواصلات المؤدية إلى إمبراطورية إنكلترا في الهند والتجارة العالمية. وهكذا من بين كل الدول الموقعة على معاهدة برلين بدا أن إنكلترا وحدها اعتبرت الإصلاحات مسألة بالغة الحيوية.

= الصفويين ولاحقاً في حروبها ضد نادر شاه، إلّا أنها أخرجت دائماً. ولم يتمسك أي من الطرفين قطّ بمعاهدة أرضروم لعام 1847، التي يفترض أنها ثبتت الحدود التي تقلبت طوال القرن التاسع عشر. وعام 1905 استغلت تركيا ميزة ضعف روسيا الموقت بعد الحرب الروسية – اليابانية واحتلت هذه الأقاليم وبقيت تحتلها عندما تجددت حرب البلقان، عام 1913، وتجدّدت قوة روسيا السياسية والعسكرية فاضطرت تركيا إلى إخلائها. وعادت القوات التركية إلى الأقاليم نفسها، عام 1917، بعد انهيار الجيوش الروسية أثناء الثورة. انظر مينورسكي، «الكرد،» م س رقم 169. من المثير للاهتمام ملاحظة أن موقف شعب أذربيجان الروسية المؤيد لتركيا بقوة أثناء الحرب العالمية الأولى، شأنه شأن سكان أذربيجان الفارسية، حيث كان الشعبان ناطقين باللغة التركية وينتميان إلى المذهب الشيعي. انظر فيروز كاظم زاده، الصراع على البلاد عبر القوقاز، أماكن متفرقة (بالإنكليزية، مرجع 113).

في الواقع، إن إنكلترا علقت أهمية كبيرة للغاية على الإصلاحات بحيث اهتمت على نحو كاف بإضافة فقرة بشأنها في ميثاق الدفاع المشترك في 4 حزيران/ يونيه، 1878،[1] الذي وقعته سراً مع تركيا قبل نحو شهر واحد من توقيع معاهدة برلين. ينص هذا الميثاق على إشارة مثيرة للاهتمام إلى موقف تركيا من الإصلاحات. تعهد السلطان بتطبيق الإصلاحات والسماح باحتلال بريطانيا قبرص مقابل تعهد بريطانيا بأن تقاوم بقوة السلاح احتفاظ روسيا بمدن باطوم وأرداهان وقارص إذا حاولت روسيا أخذ أي أراض عائدة للسلطان.

من تلك الحقائق الساخرة في التاريخ أنه على الرغم من إرغام موقف بريطانيا الثابت في مؤتمر برلين روسيا على التخلي عن أرضروم وبايزيد ووادي الصخور، علاوة على المنطقة الداخلية في باطوم، فقد أخفقت بريطانيا في منع روسيا من الاحتفاظ بباطوم وأرداهان وقارص. ولا حاجة إلى القول إن أمل السلطان خاب كثيراً. ويبدو أن فشل بريطانيا في منع الروس من السيطرة على ثلاثة أماكن مذكورة بالأسماء في الميثاق قد هز ثقة السلطان في قدرة بريطانيا أو استعدادها للوفاء على نحو جاد بتعهداتها المقطوعة.

---

(1) تنص المادة 1 من ميثاق التحالف الدفاعي ما يلي:
إذا احتفظت روسيا بباطوم وأردهان وقارص أو أي منها وإذا بذلت روسيا أي محاولة في المستقبل للاستيلاء على أراض أخرى عائدة لصاحب الجلالة السلطان في آسيا، كما هو مثبت في معاهدة الصلح النهائية، تتعهد انكلترا بالانضمام إلى صاحب الجلالة السلطان بالدفاع عنها بقوة السلاح.
مقابل ذلك، يتعهد صاحب الجلالة السلطان لانكلترا إدخال تطبيق إصلاحات ضرورية يتفق عليها لاحقاً بين الدولتين وحكومتيهما من أجل حماية الرعايا المسيحيين وغيرهم من رعايا الباب العالي في هذه الأراضي.
ولغرض تمكين انكلترا اتخاذ الإجراءات الضرورية لتنفيذ تعهدها، يوافق صاحب الجلالة السلطان كذلك على تولي انكلترا احتلال جزيرة قبرص وإدارتها. انظر هرتْسلِت، 2722:4-23، م س رقم 102.

ليس من غير المرجح أنه بسبب فشل بريطانيا في الوفاء بالتزاماتها شعر السلطان أنه لم يعد ملزماً بتنفيذ الجزء الذي يخصه من الصفقة. ونعرف أنه كانت لدى سير هنري أوستن لايارد، السفير البريطاني إلى الباب العالي، تعليمات من وزير الخارجية البريطاني باستخدام نفوذه الواسع لدى السلطان لإقناعه بقبول خسارة باطوم.[1] وكما نعلم فقد امتنع السلطان عن إصدار فرمان يخول الاحتلال البريطاني لقبرص. وقبل أن يمنح السلطان موافقته كان قد حاول إضافة فقرة في قانون تصديق الميثاق يمنح نفسه الحقوق السيادية فيما يخص أي إصلاح يمكن إدخاله ضمن المناطق التابعة له في آسيا.[2] ولم ينجح لايارد إلّا بعد تأخير طويل في ضمان تبادل وثائق الإبرام من دون الإضافات المقترحة.

استمر النفوذ البريطاني في بالتدهور في تركيا. وبحلول نهاية عام 1879 لم يكد عام واحد يمر على انتهاء الحرب الروسية – التركية حتى تخلى الباب العالي حتى عن التظاهر باتباع المشورة البريطانية.[3] كانت هناك عدة أسباب لهذا التغيير. أنتجت الحرب الروسية – التركية مشاعر قوية معادية للأجانب بين الترك موجهة ضد الدول الأوروبية كافة. أصبحت بريطانيا العظمى بخاصة مشتبهاً فيها لأن سياساتها وإجراءاتها في العامين السابقين كانت غامضة ومخيبة لآمال الترك. وأصبح الباب العالي يرتاب في بريطانيا لأنه لم يثق في دوافع تلك الدولة ونيّاتها. وهكذا أقنع إخفاق بريطانيا في الدفاع عن

(1) كان تأثير لايارد واسعاً في وقت ما بحيث إن السفير الألماني روييز لقبه «نائب السلطان.» انظر وليم نيوتن مدليكوت، مؤتمر برلين وما بعده، 114 (بالإنكليزية، مرجع 158).

(2) م ن.

(3) م ن، 295.

المصالح التركية، كما وعدت في تحالف الدفاع، أوساطاً تركية متنفذة معينة باتهام بريطانيا بعقد تلك الاتفاقية لمجر الاستحواذ على قبرص.

كما أن اهتمام بريطانيا العظمى الرئيس بالمحافظة على وحدة أراضي الإمبراطورية العثمانية والجهود المتواصلة لتحقيق ذلك الهدف جعلها موضع الشك والسخط من جانب السلطان وحاشيته. لم يكن ذلك الشك من دون أسباب على نحو تام. أصبح البريطانيون في وقت ما حريصين للغاية على المحافظة على وحدة الأراضي العثمانية حتى أن بريطانيا درست فرض حماية على تركيا.[1] رغب اللورد سالزبري (Lord Salisbury)، الذي كانت لديه خطة شاملة لأمن تركيا وبعثها،[2] في الحصول على موافقة السلطان على ذلك، «بينما كان خوف السلطان من روسيا لايزال مستحوذاً عليه.»[3] كان يدرك أن الوقت عنصر جوهري في هذه المسألة. واعتقد أن السلطان، الذي كان بطبيعته ميالاً إلى الارتياب وحساساً إزاء نفوذ حاشيته الفاسدة والمرتشية،

(1) انظر جيمس كارليل ماكّ كون، محميتنا الجديدة: تركية في آسيا (بالإنكليزية، مرجع 157)، وأماكن أخرى.

(2) استندت خطة سالزبري إلى ثلاث نقاط رئيسة: حدود عسكرية مرضية في أوروبا، وضمان عسكري بسيطرة انكلترا والنمسا على البلدان التابعة للسلطان والإصلاحات الداخلية الهادفة إلى زيادة كفاءة الإمبراطورية والاستقرار الداخلي والازدهار. وبقدر تعلق الأمر بالإصلاحات طلب من لايارد الحصول على تعهد رسمي من السلطان بشأن النقاط التالية: (أ) تأسيس الجندرمة في الأقاليم الآسيوية على أن ينظمها ويقودها الأوروبيون؛ (ب) تأسيس محاكم مركزية في عدد معين من المدن الآسيوية المهمة وتكون ذات صلاحيات قضائية على المحاكم الأقل مرتبة وتضم محامياً أوروبياً واحداً على الأقل يتمتع بالنزاهة والعلم؛ (ج) تعيين الجامعين في القرى الذي يكلفون بمسؤولية تحصيل الإيرادات وإلغاء الزراعة التي يشترط تقديم عشر إنتاجها. للمزيد من التفاصيل، انظر ميدليكوت، 293، م س رقم 158.

(3) م ن، 292.

سيرفض منح موافقته حالما يصبح في وضع يمكنه من فعل ذلك. وفي رسالة إلى سير هنري لايارد، كتب سالزبري: «إن قوتنا في الإصرار على ذلك ستتضاءل تباعاً، الشهر تلو الآخر.»[1]

أدرك البريطانيون أن سلطات السلطان المطلقة، التي استغلها من كانوا قريبين منه، قد شكلت عقبة لا يمكن تذليلها في وجه أي إصلاحات. أثاروا في بحثهم عن صيغة لكبح هذه السلطات ارتياب الدائرة المحيطة به. واتهم مقال في صحيفة فار دي بوسفور [(*Phare du Bosphore*) (منارة البوسفور)] الحكومة البريطانية بمحاولة انتزاع الحقوق السيادية من السلطان في آسيا الصغرى. ومن الجدير بالذكر أن صحفاً تركية مختلفة أعادت نشر هذا المقال في الوقت ذاته.[2]

لم تكن مخاوف السلطان بشأن الأقاليم الشرقية بلا أسباب. وأظهرت التطورات الحديثة في البوسنة وروميليا الشرقية ومصر، حيث تولت الدول الأجنبية مسؤولية إدارية مباشرة بينما اعترفت بسيادة السلطان الاسمية، عجزها عن المحافظة على السيطرة الفعالة على تلك المناطق.[3]

هناك سبب آخر لسخط تركيا المتزايد ضد إنكلترا هو رفض هذه الدولة توسيع المساعدات المالية لتركيا التي بدت في وقت معين، أنها مستعدة لفعل أي شيء للحصول على ذلك القرض. إلّا أن طلبات السلطان المتكررة للحصول على قرض بريطاني أغفلت، هي حقيقة أزعجت الحكومة العثمانية كثيراً. ويقال إن السلطان نفسه قال، «لتساعدنا حكومة صاحبة الجلالة في إيجاد الأموال وسأتعهد بتحقيق هذا الإصلاح وغيره من الإصلاحات

---

(1) م ن.
(2) م ن، 293.
(3) م ن، 295.

المطلوبة منا.»[1] ومضى أبعد من ذلك إلى القول إنه مستعد لتسمية وكيل إنكليزي لوزارة المالية.[2] وتصرف الباب العالي، الذي شعر بالمرارة العميقة بسبب رفض المساعدات المالية، على نحو لا يصعب فهمه. وربما كان استمرار إنكلترا رفض منح قرض إلى تركيا، على الرغم من تأكيداتها المتكررة بالاستعداد لقبول أي شروط، بسبب الوضع المضطرب للمالية التركية وخشية بريطانيا من انهيار الإمبراطورية العثمانية وحلها علاوة على افتقارها إلى الثقة في نيّات تركيا.

هكذا زادت معارضة الترك، الذين كانوا ضد الإصلاحات في معاهدة برلين منذ البداية، مع تدهور علاقاتهم مع إنكلترا.[3] ويحتمل جداً أن تكون معارضة الحكومة العثمانية الشديدة للإصلاحات مسؤولة على نحو واسع عن موقفها المتسامح نحو الشيخ عبيد الله. أدت أنشطة الشيخ، كما بيّن الأسقف كريميان، إلى هزيمة الإصلاحات وتحويل الاهتمام عن الأرمن إلى الكرد. كما أنه من وجهة نظر تركيا، لم يشكل غزو الشيخ فارس استئناف أنشطته الناجحة المناهضة للإصلاحات فحسب، بل كذلك ربما ارتأت تركيا إمكانية جعل المناطق المسكونة من الكرد في فارس تحت السيطرة التركية.

(1) م ن، 302.
(2) م ن، 306.
(3) م ن، 291.

الفصل الخامس

تأثير ثورة تركيا الفتاة في القومية الكردية

جمعية الاتحاد والترقي وثورة تركيا الفتاة

لا يمكن إجراء أي مناقشة للتاريخ السياسي الكردي أو التاريخ السياسي لأي مجموعة إثنية عثمانية أخرى من دون ذكر ثورة تركيا الفتاة في تموز/ يوليه، 1908، التي كانت لها آثار عميقة في مصائر شعوب البلدان التي شكلت الإمبراطورية العثمانية.

توجت هذه الثورة سنوات كثيرة من النشاط السري، في تركيا وخارجها، لجمعية الاتحاد والترقي[1] التي كان أتباعها من أصول قومية متنوعة وذوي

(1) أسست جمعية الاتحاد والترقي في إسطنبول عام 1889 على يد إبراهيم تيمو وعبد الله جودت وإسحاق سكوتي ومحمد رشيد. يوسف حكمت بايور، تاريخ الثورة التركية، 1: 66 (بالتركية، مرجع 289)؛ إسماعيل حامي دانيشمند، شرح الترتيب الزمني للتاريخ العثماني، 9: 325 (بالتركية، مرجع 289). قدم أول وصف مهم للتاريخ المبكر لحركة تركيا الفتاة پول فِش (Paul Fesch)، الذي يبدو أنه تمتع بثقتهم الكاملة. ومن المثير للاهتمام ملاحظة أنه لدى مناقشة تأسيس جمعية الاتحاد والترقي ذكر فِش تيمو وجودت، اللذين كانا آنذاك في أوروبا، وسكوتي، الذي كان =

مطامح متناقضة غالباً.[1] إلاّ أنه على الرغم من الفروق كان يوحدهم إعجابهم المشترك بالمؤسسات الغربية وكراهيتهم الشديدة للسلطان- الخليفة عبد الحميد الثاني. وكان الأعضاء الرئيسون للجمعية، الذين هربوا من الطغيان الحميدي واستقروا في أوروبا، متشبعين بالأفكار الاجتماعية والسياسية الغربية. وكانوا متأثرين بخاصة بمثل المساواة والتحرر التي دعت إليها الثورة الفرنسية والنزعة القومية المتشددة ومذهب الوضعية الكونتية (نسبة إلى أوغست كونت A. Comte).[2] وتأثرت جمعية الاتحاد والترقي، بوصفها منظمة سرية تآمرية، بعدد من الجمعيات السرية الأوروبية، خصوصاً الكاربوناري (Carbonari) والمنظمة الثورية المقدونية الدولية (IMRO) والماسونيين.[3]

لعب الكرد أو الأشخاص من أصل كردي دوراً مهماً في الجمعية منذ تأسيسها. وكان اثنان من الأعضاء المؤسسين لجمعية الاتحاد والترقي الأولى،

= ميتاً، إلّا أنه أغفل اسم الشخص الرابع وهو رشيد، الذي كان في تركيا في ذلك الوقت. بول فِش، القسطنطينية في أيام عبد الحميد الأخيرة، 369 (بالإنكليزية، مرجع 80). انظر أيضاً إرنست إدموندسن رامسور الابن، أعضاء حركة تركيا الفتاة: تمهيد لثورة عام 1908، دراسات جامعة برنستن الشرقية، العلوم الاجتماعية رقم 2، 14-51 (بالإنكليزية، مرجع 214).

(1) تقدم الخلافات التي أفسدت مؤتمر أحرار تركيا الفتاة المنعقد عام 1902 في باريس فكرة عن الفروق الأساسية القائمة بين الزمر المختلفة. رامسور، 66 وما بعدها، م س رقم 214.

(2) تناقش هذه العناصر في تفكير أعضاء حركة تركيا الفتاة في كتاب رامسور، أماكن مختلفة، م س رقم 214.

(3) للاطلاع على مناقشة تأثير الكاربوناري والمنظمة المقدونية الثورية الداخلية والماسونية في حركة تركيا الفتاة، انظر م ن، 15، 101 و103-9، على التوالي.

هما إسحاق سكوتي[1] وعبد الله جودت،[2] كرديين. وانضم كرد بارزون إلى الحركة وشاركوا مشاركة فعالة فيها. واعتقل عدد من أعضاء تركيا الفتاة عام 1895 وأرسلوا إلى المنفى ومنهم سكوتي الذي نفي إلى رودس وجودت الذي نفي إلى طرابلس.[3] واشترك كردي آخر هو الشيخ عبد القادر نهري وهو ابن الشيخ عبيد الله في مؤامرة فاشلة لجمعية الاتحاد والترقي للانقلاب على السلطان عبد الحميد الثاني عام 1896 ونفي إلى مكة.[4]

في الوقت ذاته واصل كرد آخرون المشاركة في جمعية الاتحاد والترقي التي عقدت مؤتمراً لها في باريس عام 1902 بعنوان «مؤتمر أحرار العثمانية»، واشترك فيه عبد الرحمن بدرخان وحكمت بابان وهما عضوان في أسرتين كرديتين بارزتين.[5] وتولى عدد من الأعضاء في الجمعية بعد الثورة مناصب بارزة كان بينهم إسماعيل حقي بابان[6]، الذي تولى منصب وزير التعليم العام،

(1) كان إسحق سكوتي (1868-1903) طبيباً وزعيما سياسياً. انضم إلى جمعية الاتحاد والترقي عندما كان طالباً في الكلية العسكرية للطب في إسطنبول. إبراهيم علاء الدين غوفسا، موسوعة مشاهير الترك، 192 (بالتركية، مرجع 298)؛ كذلك رامسور، أماكن متفرقة.

(2) عبد الله جودت: طبيب وشاعر وأديب ومفكر سياسي ومن أذكى وأكثر المؤلفين غزارة في تركيا الحديثة. ولد في أرابغير عام 1869 لأسرة كردية. للاطلاع على دراسة ممتازة وغنية بالوثائق، انظر كارل. سوسهايم، «عبد الله جودت،» في الموسوعة الإسلامية، مج 9، الملحق، 55-60 (بالإنكليزية، مرجع 261).

(3) رامسور، 26، م س رقم 214.

(4) فِش، 334، م س رقم 80. انظر كذلك رامسور، 33، م س رقم 214. وفاقاً لرامسور، نفي الشيخ عبيد الله مع عشرين فرداً من أسرته.

(5) انظر قائمة الأشخاص الذين شاركوا في مؤتمر حركة تركيا الفتاة في فِش، 365، الحاشية 1، م س رقم 80. كذلك مجلة أنصار أرمينيا(*Pro-Armenia*)، 1، 30-31.

(6) كان إسماعيل حقي بگ عضواً عن بغداد في مجلس المبعوثان (البرلمان) وعلى صلة وثيقة بصحيفة طنين، لسان حال جمعية الاتحاد والترقي. أندريه ماندلستام، مصير الإمبراطورية العثمانية، 24، 37، م س رقم 148.

وسليمان نظيف[1]، الذي تولى منصب والي بغداد. وقد ذكر أن بابان تمتع بنفوذ واسع في مجالس تركيا الفتاة.

عجلت بثورة تركيا الفتاة الاتفاقية الأنكلو-الروسية في حزيران/ يونيه، 1908، التي عقدت في مدينة ريڤال (تالين) على بحر البلطيق بين الملك إدوارد السابع والقيصر الروسي نيقولا الثاني. ويقال إن العاهلين توصلا إلى تفاهم شامل بشأن تركيا، وإنهما أنجزا خططاً لفرض إصلاحات علاوة على تمزيق أوصال الإمبراطورية العثمانية في نهاية الأمر.[2] صعق أعضاء جمعية الاتحاد والترقي إزاء الأنباء وقرروا التحرك بسرعة. وفي محاولة يائسة للحيلولة دون تنفيذ هذه الاتفاقية أرغم انقلاب مفاجئ قام به ضباط الجيش من حركة تركيا الفتاة السلطان على إعادة دستور 1876 تمهيداً لتطبيق إصلاحات واسعة النطاق. أرادوا بذلك أن يظهروا للعالم استعداد تركيا وقدرتها على ترتيب شؤونها الداخلية من خلال تطبيق إصلاحات على نحو طوعي وجعل التدخل الأجنبي غير ضروري.[3]

قوبلت الثورة بالابتهاج الشديد والتفاؤل في أنحاء الإمبراطورية كافة. وتعهد الترك والألبان والعرب والأرمن والكرد، بمباركة جمعية الاتحاد

---

(1) سليمان نظيف: سياسي وإداري وصحفي بارز كان على الرغم من كونه كردياً مائة في المائة متحمساً لسياسة التتريك. تولى منصب والي الموصل وتولى لاحقاً منصب والي بغداد وكالة. انظر الدملوجي، إمارة بهدينان، 98 وما بعدها، م س رقم 293؛ جياووك، 56، م س رقم 302؛ لونگريگ، العراق، 1900-1950، 50، م س رقم 141؛ وماندلستام، مصير السلطنة العثمانية، 277 (بالفرنسية، مرجع 148).

(2) جون آرثر رانسوم ماريوت، المسألة الشرقية: دراسة تاريخية في الدبلوماسية الأوروبية، 431 (بالإنكليزية، مرجع 150)؛ وليم ميلر، الإمبراطورية العثمانية ومن ورثها، 1801-1927، 474 (بالإنكليزية، مرجع 168).

(3) م ن، 62-63، ماريوت، المسألة الشرقية، 431، م س رقم 150؛ دانيشمند، 355-56، م س رقم 289.

والترقي ونسيان الاختلافات السابقة والعمل معاً من أجل مصلحة الوطن العثماني. وأخيراً، بدا أن تركيا على عتبة حقبة جديدة من الأخوة والتضامن.

غير أن ذلك لم يحدث. وحالما مرت الصدمة الأولية للثورة أصبح واضحاً أن القوى المناهضة لحركة تركيا الفتاة قد شرعت بالعمل داخل البلاد وخارجها. فأعلنت بلغاريا استقلالها في 5 تشرين الأول/ أكتوبر، عام 1908، بتحريض من روسيا. وبعد يومين أعلنت النمسا- المجر رسمياً ضم البوسنة والهرسك إليها.[1] ولم يكن موقف انكلترا وألمانيا واضحاً جداً إلاّ أن انكلترا تحالفت مع روسيا وتحالفت ألمانيا مع النمسا.

في تركيا ذاتها ظهرت علامات التذمر مع تزايد قوة روح المعارضة. وكرس الحزب الرجعي، الذي ضم غالباً عناصر متنافرة موالية للسلطان، وقته في الإعداد للاستيلاء على السلطة. وأصيب الأحرار بخيبة الأمل إزاء نظام حركة تركيا الفتاة وعبروا عن سخط شديد نحو الطابع الاستبدادي للحكام الجدد. وراحت المجموعات القومية المختلفة، التي وسعت على نحو كبير أنشطتها السياسية، تطالب بالمزيد من الحرية والحكم الذاتي.

أثار احتدام النشاط القومي في تلك الأشهر الصعبة التي تلت الثورة تحدياً خطيراً لسلطة جمعية الاتحاد والترقي وخطراً بالغاً على وحدة الإمبراطورية. وكانت الميول الانفصالية المتأصلة في الحركات القومية المختلفة مصدر قلق شديد لحركة تركيا الفتاة، التي خشيت أنه في حالة ترك تلك الحركات من دون كبح ستطالب عاجلاً أم آجلاً بالحصول على الحكم الذاتي، ويلي ذلك التدخل الأجنبي والخسارة المألوفة للأراضي من خلال الانفصال أو الضم.

---

(1) للتفاصيل بشأن إعلان الاستقلال البلغاري في 5 تشرين الأول/ أكتوبر، عام 1908، وضم النمسا البوسنة والهرسك، انظر ميلر، 478، م س رقم 162.

لقد جعلت التجارب المريرة هذا النمط مألوفاً. وحدث أن فُقدت بلغاريا والهرسك منذ وقت قريب للغاية بحيث لا ينسى.

أدت الثورة المضادة في نيسان/ أبريل، 1909، إلى إيصال الأمور إلى مرحلة الأزمة. انتفض أنصار السلطان، في محاولة للاستيلاء على السلطة، في القسطنطينية (إسطنبول) وأفلحوا في تصفية الكثيرين من أعضاء جمعية الاتحاد والترقي في تلك المدينة. وعندما فشل السلطان في معاقبة المسيئين زحفت الوحدات العسكرية التركية المرابطة في مقدونيا إلى إسطنبول بقياد محمود شوكت پاشا وسحقت التمرد وخلعت السلطان.[1]

بعد قمع الثورة المضادة قررت حركة تركيا الفتاة قمع كل معارضة. وأخرست الحركة من الآن فصاعداً كل من اختلفوا معها بوحشية أو تخلصت منهم. شعر الرجعيون والأحرار وخصوصاً القوميين بسطوة جمعية الاتحاد والترقي. وبسحق عناصر المعارضة أطلقت حركة تركيا الفتاة برنامجها المستند إلى التتريك القسري وتأسيس نظام إداري عالي المركزية.

هكذا توقف شهر العسل القصير بين حركة تركيا الفتاة وبين مختلف القوميين العثمانيين غير الترك. وأغلقت الأندية والجمعيات السياسية التي أسست أخيراً ومنعت الصحف وحظر النشاط القومي عموماً تحت طائلة العقاب الشديد. أفلحت هذه الإجراءات القمعية في لجوء القوميين والأحرار إلى العمل السري ولكن يبدو أن القمع أدى إلى تعزيز تصميمهم على مقاومة الهيمنة التركية.

نشوء المنظمات السياسية الكردية

سببت ثورة 1908 هزة سياسية شديدة بين مختلف الشعوب العثمانية.

---

(1) م ن، 480-81.

واستيقظت النزعات القومية المختلفة، التي كانت خامدة وصامتة طويلاً، فجأة، وأصبحت تعبر عن أفكارها بوضوح. أسست في تلك السنة الجمعية أو النادي السياسي الكردي الأول، وتأسست جمعية «كرد تعاون وترقي جمعيتي» (أي جمعية التعاون والتقدم الكردية)، التي عرفت باللجنة القومية الكردية، في إسطنبول. كان مؤسسوها الأمير أمين عالي بدرخان والجنرال محمد شريف باشا والشيخ عبد القادر نهري، (ابن الشيخ عبيد الله) والمارشال ذو الكفل باشا.[1]

وفاقاً لإلفنستُن (Elphinston)، دعمت اللجنة القومية الكردية جمعية الاتحاد والترقي «مقابل ضمانات معينة»[2] ولكن يبدو أن حركة تركيا الفتاة تراجعت عن وعدها عندما شرعت بقمعها العشوائي للحركات القومية المختلفة. حكم بالإعدام على أمين عالي بدرخان والجنرال شريف باشا وأرغما على الهرب من البلاد.[3] كما اضطر ثريا بگ بدرخان، ابن أمين علي البكر، الذي كان قد عاد إلى إسطنبول في أعقاب الثورة واستأنف إصدار الصحيفة القومية الكردية كردستان إلى البحث عن ملجأ في الخارج.[4]

(1) شيركوه، المسألة الكردية، 19، م س رقم 39؛ شيركوه، القضية الكردية، 51، م س رقم 292؛ بازيل نيكيتين، «الكرد» في المعجم الدبلوماسي، 1: 1201 (بالفرنسية، مرجع 185)؛ زكي، خلاصة تاريخ الكرد، 249–50، م س رقم 314. على الرغم من اتفاق المصادر الأجنبية كافة على أن اللجنة الوطنية الكردية كانت الجمعية السياسية الكردية الأولى، يشير محمد علي عوني، مترجم كتاب زكي إلى العربية في حاشية في الصفحة 340 إلى أن جمعية تعرف باسم جمعية العزم الكردي القوي ربما كانت أول جمعية.

(2) و. غ. إلفنستُن، «المسألة الكردية،» الشؤون الدولية، 22، عد. 1، 94، م س رقم 71.

(3) م ن.

(4) يبدو أن طلعت باشا حاول جعل ثريا بگ ينضم إلى جمعية الاتحاد والترقي ولكن من دون جدوى. انظر درايفر، كردستان والكرد، 113، م س رقم 57.

وفي الوقت ذاته، أسست الجمعية الكردية لتعميم المعارف (كورد تعميم معارف جمعيتي) وفتحت مدرسة ابتدائية لأطفال الحي الكردي في تشمبرلي طاش في إسطنبول. وضعت المدرسة تحت إشراف الأمير عبد الرحمن بدرخان. وقد أغلقت حركة تركيا الفتاة هذه الجمعية والمدرسة واللجنة القومية الكردية عام 1909 عندما شرعت في سياسة التتريك.[1]

شكل الطلبة الكرد عام 1910 جمعية الأمل الكردي (كرد هيوي طلبه جمعيتي). وكان بين المنظمين خيالي الموطكي (موتكي) وعمر وقدري من أسرة جمال پاشا زاده من دياربكر وفؤاد تمو بگ الوانلي وزكي بگ الدياربكرلي. واصلت الجمعية أنشطتها حتى نشوب الحرب العالمية الأولى عندما أرغمت على تعليق عملياتها. غير أنها عاودت الظهور في أعقاب الحرب واستأنفت العمل حتى احتلال الكماليين إسطنبول. نشرت جمعية الأمل جريدة بعنوان روج كورد (النهار الكردي).[2] وشكل ثريا بگ بدرخان بعد الهدنة جمعية استقلال الكرد في القاهرة.[3] وبعد هدنة مودروس أسس بعض الزعماء الكرد جمعية التعاون والترقي الكردي (كرد ترقي تعاوني جمعيتي) في إسطنبول وعرفت باللجنة الوطنية الكردية. ضمت الجمعية، التي ترأسها الشيخ عبد القادر عدداً من الزعماء الكرد البارزين: أمين علي ومراد وخليل رامي وكاميران، من آل بدرخان؛ وحكمت وحسين وشكري وفؤاد ومحمود

(1) شيركوه، المسألة الكردية، 19، م س رقم 39؛ شيركوه، القضية الكردية، 51، م س رقم 292؛ زكي، خلاصة تاريخ الكرد، 350، م س رقم 314.

(2) شيركوه، المسألة الكردية، 19–20، م س رقم 39؛ شيركوه، القضية الكردية، 52، م س رقم 292؛ زكي، خلاصة تاريخ الكرد، 350، م س رقم 314؛ ونيكيتين، الكرد، 195، م س رقم 187.

(3) نيكيتين، الكرد، 196، م س رقم 187.

وعلي، من آل بابان؛ وأكرم بگ جميل پاشا زاده الدياربكرلي وأمين زكي بگ ومصطفى پاشا السليماني وعدداً من المشاهير من دَرْسِيم وخاربوط (معمورة العزيز) وملاطية.[1]

شكل الأمراء أمين علي وجلادت وكاميران، من آل بدرخان؛ مع كمال فوزي وأكرم بگ جميل پاشا زاده والدكتور شكري محمد وممدوح سالم بگ جمعية جديدة هي جمعية التشكيلات الاجتماعية لكردستان (كردستان اجتماعي تشكيلاتي جمعيتي).[2] وكانت جمعية أخرى سجل وجودها في هذا الوقت هي كرد مليت فيرقاسي (الحزب القومي الكردي).[3]

الشيوخ والقومية الكردية بعد ثورة تركيا الفتاة

أصبحت الأنشطة القومية الكردية واضحة على نحو متزايد في أرجاء كردستان. وعززت شفوياً الأفكار التي تناقلتها المطبوعات القومية السرية. وأصبحت الأخبار والشائعات ذات النكهة القومية سريعاً مواضيع مفضلة للحديث في التجمعات الكردية. ولم تكن سهلة مهمة نشر الأفكار المحظورة

---

(1) زكي، خلاصة تاريخ الكرد، 350، م س رقم 314؛ شيركوه، المسألة الكردية، 20، م س رقم 39؛ شيركوه، القضية الكردية، 52-53، م س رقم 292.

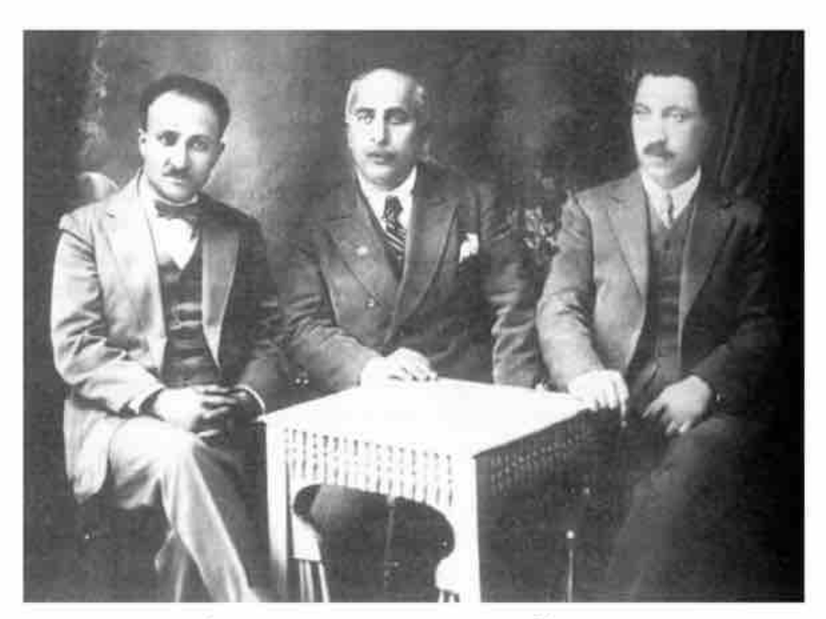
(2) وفاقاً لزكي، انشق الأشقاء بدرخان وعدد من أتباعهم عن جمعية تقدم كردستان (كردستان تعالي جمعيتي) لتشكيل هذه الجمعية الجديدة. زكي، خلاصة تاريخ الكرد، 350، م س رقم 314؛ شيركوه، المسألة الكردية، 20، م س رقم 39؛ شيركوه، القضية الكردية، 52-53، م س رقم 292. راجع نيكيتين، الكرد، 196، م س رقم 187.

(3) زكي، خلاصة تاريخ الكرد، 350، م س رقم 314؛ شيركوه، المسألة الكردية، 20، م س رقم 39؛ شيركوه، القضية الكردية، 52-53، م س رقم 292؛ نيكيتين، الكرد، 195، م س رقم 187.

وغير المألوفة بين شعب أغلبيته من الأميين ذوي الولاءات غير المحددة تحديداً جيداً. كانت الصعوبات التي ووجهت كثيرة والمخاطر المتضمنة كبيرة. ولم يتردد بعض مستلمي المطبوعات القومية غير الشرعية في تسليمها إلى السلطات لإثبات ولائهم للحكومة العثمانية.[1] غير أنه لا يجب الافتراض أن هذه الممارسة كانت شائعة أو مدفوعة في كل الحالات بالنفعية أو الافتقار إلى الوطنية. ولا شك أن بعض مرتكبي هذه الممارسات ربما اعتبروا النشاط القومي الكردي مجرد شكل للتهييج المتسم بالخيانة الموجه ضد السلطة الشرعية للسلطان – الخليفة والدولة الإسلامية.

ووجدت الأفكار القومية طريقاً في نهاية المطاف إلى التكايا (أماكن تجمع جماعات دينية معينة) حيث كسبت في صفوفها بعض الشيوخ الكرد أنصاراً أقوياء. كان هذا التطور ذا أهمية واسعة في تاريخ القومية الكردية. لا يمكن لعدة أسباب المبالغة في أهمية التكايا بوصفها مراكز لنشر الأفكار القومية. ولقيت الأفكار النابعة من هذه النقاط قبولاً مرحباً به وواسعاً لدى الكرد لأنها حملت سمة علم الشيوخ وسلطتهم الدينية المنزهة عن العيب. كما أن طبيعة الشيوخ الدينية ونفوذهم منح التكايا حصانة نسبية من تدخل السلطات ومضايقتها.

(1) الدملوجي، إمارة بهدينان، 94-95، م س رقم 293.



11. كاميران وثريا وجلادت، آل بدرخان. المصور مجهول الهوية/ بترخيص من جويس بلاو، المعهد الكردي في باريس.

كان الشيوخ، بوصفهم طبقة مثلت شريحة مهمة من النخبة الكردية، قوميين متحمسين. وخلافاً للنخبة الكردية التي تعرضت للتتريك إلى حد كبير، ارتبطوا ارتباطاً وثيقاً بالجماهير الكردية واعتبروا أنفسهم مرتبطين بها. كما أنهم، من خلال التدريب والقناعة، دافعوا عن الدولة الإسلامية التقليدية على النقيض للدولة العلمانية الحديثة التي تصورتها حركة تركيا الفتاة. لذا فإنهم لم يثقوا في الحكام الجدد في إسطنبول، الذين اعتبروا أفكارهم وسياساتهم تتويجاً للابتكارات غير الإسلامية التي أدخلها السلطان محمود الثاني، الشخصية غير الشعبية لدى الجماعات الدينية.[1] كانت إطاحة حركة

(1) قادت إصلاحات محمود إلى قمع الإمارات الكردية في النصف الأول من القرن التاسع عشر. إن قضاءه على الانكشارية وجماعة البكتاشية، عام 1826، علاوة على طموحاته الإصلاحية غير الشعبية، جعل اسمه ملعوناً لدى الجماعات الدينية. ويقال إنه بعد وفاته كانت عادة البكتاشية البصاق وإطلاق لعنة عندما يمرون على قبره =

تركيا الفتاة بعبد الحميد الثاني (1876-1909) مصدراً آخر للسخط الشديد لأن سياسات السلطان عبد الحميد المؤيدة للكرد وسياساته الإسلامية في عيون الشيوخ الكرد جعلت منه السلطان - الخليفة المثالي. وهكذا صور الشيوخ، من البداية، في دور المعارضين للنظام الجديد لأسباب سياسة ودينية.

على الرغم من أن أكثرية الشيوخ تعاطفوا مع القضية القومية الكردية، لم يجرؤوا جميعهم على الكشف عن الطبيعة الحقيقية لمشاعرهم. وعبر من شعروا أنهم أقوياء على نحو كاف لفعل ذلك عن دعمهم للقوميين وساهموا علانية في الأنشطة القومية. وحرص آخرون أقل قوة على عدم تعريض أنفسهم للشبهة سواء بالكلام أم بالفعل واقتصروا على الأمل سراً في تحقيق النجاح القومي.

لعل تأثير الأفكار القومية الكردية في تفكير الشيوخ السياسي على أحسن وجه يظهر في التماس قدِّم على شكل برقية إلى الباب العالي والبرلمان العثماني في إسطنبول وجهها عدد من الوجهاء الكرد من منطقة بهدينان.[1] منهم الشيخ عبد السلام بارزاني والشيخ نور محمد الدهوكي، الذي حرر الالتماس في

= في إسطنبول. جون كنغسلي بيرج، جماعة الدراويش البكتاشية، 79 (بالإنكليزية، مرجع 24). وتروى قصة عن درويش أسرع إلى السلطان الذي كان يجتاز جسر غلاطة موجهاً التهديدات والإهانات ودعاه (الملك الكافر) ومتهماً إياه بأنه مدمر الإسلام. جون ب. براون، الدراويش: أو الروحانية الشرقية، 345-46 (بالإنكليزية، مرجع 30) وبيرج، 83، م س رقم 25.

(1) أعطيت نسخ من هذه البرقية إلى الشيخ عبد القادر نهري (ابن الشيخ عبيد الله) وأمين عالي بدرخان والجنرال شريف باشا وهم ثلاثة قوميين قياديين كرد. ووفاقاً للدملوجي، اتخذت هذه الخطوة ضد رغبات الموقعين على الالتماس، الذين أرادوا إبقاء البرقية سرية تماماً. ونعلم أن إعطاء النسخ كان تلبية لرغبة الشيخ عبد السلام. الدملوجي، إمارة بهدينان، 96 الهامش 1، م س رقم 293.

منزله. وطالب مقدمو هذا الالتماس بتطبيق الإصلاحات التالية: (1) تبني اللغة الكردية بصفتها اللغة الرسمية في الأقضية الكردستانية؛ (2) تبني اللغة الكردية لغة للتعليم في المناطق الكردية؛ (3) تعيين القائمقامين ومديري النواحي والموظفين الآخرين من الناطقين بالكردية؛ (4) تطبيق القانون والعمل وفاقاً للشريعة بالنظر لحقيقة أن الإسلام هو دين الدولة؛ (5) ملء منصبي القاضي والمفتي بأتباع مدرسة الفقه الشافعي؛ (6) فرض الضرائب وفاقاً لأحكام الشريعة وإلغاء كل الضرائب التي تتجاوز أو التي تكون غير متوافقة مع المبالغ التي تحددها الشريعة؛ و(7) بقاء الضرائب التي يتمّ تحصيلها بسبب الإعفاء من خدمة العمل لتكون سارية بشرط أن توضع جانباً لتصليح وصيانة الطرق في الأقضية الكردية الخمسة.[1]

من الواضح أن الإصلاحات المقترحة نبعت من دافع قومي واضح حمل الطابع الديني لمؤلفيه الرئيسين. تعبر النقاط الأولى والثانية والثالثة والسابعة عن النزعة القومية الكردية، بينما تعكس النقاط الرابعة والخامسة والسادسة مشاعر دينية. إن النقطة الخامسة ذات أهمية بالغة إذ يلتقي هنا العنصران القومي والديني ويمتزجان الواحد في الآخر. وتعني الأحكام المتعلقة بتعيين القضاة والمفتين من المذهب الشافعي، الطائفة التي ينتمي إليها أغلبية الكرد، المطالبة بتفوق أهمية هذه الطائفة في المنطقة الكردية. ويعني ذلك، طبعاً، إقامة مؤسسة دينية قومية.

لم يكن هناك شيء جديد من حيث الأساس بشأن هذه الأهداف. وكانت الأجيال السابقة من الكرد قد أولت تفكيراً جاداً بأفكار الإصلاح والحكم الذاتي المحلي وحتى الاستقلال. كانت ذكرى الشيخ عبيد الله، الزعيم

(1) م ن.

الكبير الأخير للقومية الكردية، الذي سعى في أوقات مختلفة إلى تحقيق هذه الأهداف، لا تزال حية في أذهان الكثيرين من الكرد. وربما كان محتماً أن يجعل ضعف الدولة العثمانية ومصيرها غير المؤكد الزعماء الكرد وغيرهم يفكرون جدياً في مستقبلهم الوطني الخاص.

كرهت حركة تركيا الفتاة الشيوخ كثيراً بقدر ما كانوا يبادلونها الكراهية ذاتها. وقد صاحب الاحتقار المتبادل هذا العداء المتبادل. وتكفل الوقت بإظهار مدى إساءة تقدير الطرفين أحدهما للآخر ومدى الأسف الكثير الذي كان يمكن تجنبه نحو أنفسهم ونحو شعبهم بالمزيد من الفهم وقدر أكبر من التسامح. سرعان ما انتهى تحدي النزعة القومية التركية بمأساة شخصية لعدد من الشيوخ الكرد، وسرعان ما أظهرت القسوة التركية الطبيعة الشرسة لخصومها.

الصراع المتنامي بين الكرد والترك

أسباب الصراع

يمكن ملاحظة تدهور العلاقات الكردية – التركية بعد ثورة حركة تركيا الفتاة وحتى اندلاع الحرب العالمية الأولى على أوضح وجه في سلسلة الصراعات التي حدثت بين الكرد والحكومة العثمانية أثناء تلك الفترة. إلّا أنه قبل التحول إلى هذه الأحداث قد يكون من المفيد أن نراجع بإيجاز الأسباب الرئيسة التي أدت إلى التنافر بين هذين الشعبين.

1. حطم موقف حركة تركيا الفتاة نحو الخليفة ونحو الدين عموماً الأسطورة التي اعتز بها الكرد كثيراً ودمر الرابطة الأقوى بينهم وبين الدولة العثمانية. كما أنه مع سقوط عبد الحميد، فقد الكرد راعياً قوياً ومركزاً متمتعاً

بالامتيازات لأنه استخدم السمعة العريضة والقوة الكبيرة لمنصبه في منح التكريم والمزايا إلى الشيوخ والزعماء القبليين الذين شكل أتباعهم الوحدات الحميدية.

2. كان محتماً أن تؤدي سياسات حركة تركيا الفتاة في فرض المركزية الإدارية والتتريك القسري إلى التنافر والصراع. وقادت الإدارة المركزية إلى توسيع السلطة العثمانية نحو مناطق تستاء على نحو مرير من ذلك الاقتحام. كما قاوم الكرد طبعاً سياسة التتريك القسري، التي هدفت إلى قمع كل القوميات غير التركية لأنها اصطدمت بالقواعد الأساسية التي أقيم عليها المجتمع.

3. قوضت سلسلة الهزائم الدبلوماسية والعسكرية التي مني بها نظام حركة تركيا الفتاة أساس السلطة العثمانية وأحدثت الفتنة وشجعت رغبة الكرد في الوجود المستقل.

4. أخفقت ثورة حركة تركيا الفتاة، التي أدت إلى إيقاظ المطامح الوطنية للشعوب العثمانية غير التركية، في تحقيق وعودها المبكرة. ولم يؤد الفساد وسوء الحكم علاوة على سياسة تأرجحت بين الاستبداد والضعف سوى إلى إثارة سخط الكرد وتحريضهم على التمرد.

5. فاقم تشديد النزعة القومية الكردية وسعي روسيا القوي لكسب القوميين بالإضافة إلى زعماء القبائل الكردية الساخطين هذه الأسباب الخطيرة على نحو واسع.

انتفاضة الشيخ سعيد برزنجي واغتياله

ظهرت البوادر الأولى للصراع الوشيك بين الكرد وبين حركة تركيا الفتاة بعد فترة قصيرة من النجاح الأولي لثورة تركيا الفتاة. حرض الشيخ سعيد برزنجي السليماني عام 1908 على تمرد قبيلة هماوند تحدياً لحركة تركيا الفتاة

ودعماً للسلطان.[1] ووفاقاً للرائد البريطاني إ. ب. سون، «كان الهدف هنا على نحو واضح التمرد على المجلس (البرلمان) الجديد. كان شيوخ برزنجة طبعاً من الموالين ويدعمهم حسن نية السلطان عبد الحميد إن لم تكن مساعداته العسكرية النشيطة في هذه الحركة.»[2]

دفع هذا التمرد، علاوة على الشكاوى المقدمة من تجار السليمانية الذين كانوا يعانون من اضطهاد الشيخ سعيد السلطات في إسطنبول إلى التحرك. طلب من الشيخ التوجه مع عدد من أقربائه إلى الموصل حيث احتجز. وفي أيار/ مايو، عام 1909، في أثناء أعمال شغب مناهضة للكرد، اغتيل الشيخ المسن على عتبة داره.[3] أوقع هذا العمل، الذي لم يكتشف مرتكبوه، السليمانية في حالة فوضى. ردت أسرته وخصوصاً ابنه الشيخ محمود، الذي خلفه في المشيخة، ببدء حكم الإرهاب في مدينة السليمانية وإطلاق العنان لقبيلة هماوند في الريف، ونتيجة لذلك توقفت فعلياً الحياة الاقتصادية للمنطقة.[4]

بقيت قبيلة هماوند في حالة تمرد حتى تموز/ يوليه، 1910، عندما توصل ناظم باشا، والي بغداد آنذاك، إلى اتفاق مع أفراد القبيلة وقبل استسلامهم

---

(1) كان الشيخ عبد السلام قد أصبح يتمتع بنفوذ كبير على السلطان عبد الحميد بعد شفائه أحد أبناء السلطان الأثيرين لديه بفضل الصلاة. غيرترود لوثيان بِل، أمورات إلى أمورات، ط 2، 249 (بالإنكليزية، مرجع 23). راجع، سون، تقرير عن منطقة السليمانية، 98 (بالإنكليزية، مرجع 356).

(2) م ن، 99–100.

(3) للاطلاع على أوصاف اغتيال الشيخ عبد السلام، انظر بِل، أمورات إلى أمورات، 249–50، م س رقم 23؛ سون، إلى بلاد ما بين النهرين وكردستان، 192؛ سون، تقرير عن منطقة السليمانية، 100–101، م س رقم 364.

(4) يعطي سون، تقرير عن منطقة السليمانية، 192 وما بعدها وصفاً مفصلًا لهذا الوضع، انظر أيضاً سون، تقرير عن منطقة السليمانية100–101، م س رقم 355.

الاسمي. ولكن يبدو أن سياسة المصالحة التي اتبعها ناظم باشا قد نبذت لدى استدعائه إلى القسطنطينية في نيسان/ أبريل، 1911، فاستأنفت قبيلة هماوند أعمال الخروج على القانون كما في السابق. لم ينجح كثيراً ضم بعض أفراد قبيلة هماوند إلى وحدات مسلحة حدودية على غرار الأفواج الحميدية، وذكرت تقارير أن قبيلة هماوند كانت في حالة تمرد لدى نشوب الحرب العالمية الأولى.[1]

انتفاضة إبراهيم باشا المِللي وموته

لعل أكثر الأفعال إثارة من زعيم كردي دعماً للسلطان المخلوع هو الإجراء الذي اتخذه إبراهيم باشا رئيس اتحاد العشائر المِللية وقائد الأفواج الحميدية. عندما وصلت أنباء سقوط عبد الحميد إلى إبراهيم باشا في نيسان/ أبريل، 1909، زحف على دمشق على رأس خمسمائة كردي واحتل المدينة باسم السلطان. إلّا أنه سرعان ما أرغم على الانسحاب. وفي طريق عودته إلى معقله في فيرانشهر، قتل في منطقة جبل عبد العزيز أثناء اشتباك مع قبائل شمّر الذين أرسلتهم حركة تركيا الفتاة للإغارة عليه.[2]

(1) إي. جي. آر. (E. J. R.) (بريطانيا العظمى، مكتب مفوض الإدارة المدنية، العراق). ملخص الشؤون في كردستان الجنوبية أثناء الحرب العظمى (بالإنكليزية، مرجع 318)؛ غيرترود لوثيان بِلّ (بريطانيا العظمى، مكتب مفوض الإدارة المدنية، العراق). استعراض للإدارة المدنية لبلاد ما بين النهرين 1914-1920، 43 (بالإنكليزية، مرجع 317).

(2) إلفنستُن، «المسألة الكردية،» 94، م س رقم 71. لمزيد من التفاصيل بشأن سيرة إبراهيم باشا ونهايته، انظر إڤالد بانسه، في أثر سكة حديد بغداد، 76-94 (بالألمانية، مرجع 17)؛ م. ڤيدمان، «حظ إبراهيم باشا ونهايته،» 34-37، 52-54 (بالألمانية، مرجع 272)؛ م. سايكس، 317-27، م س رقم 252؛ روندو، «قبائل جبليي آسيا الوسطى...،» 34-38، م س رقم 227.

الحوادث التي اشترك فيها زعماء كرد آخرون

لم تؤد الإجـراءات التي تبنتها الحكومة العثمانية في وجه التململ والعناد الكردي المتزايد سوى إلى زيادة غربة الكرد. على سبيل المثال، حاولت الحكومة في نهاية عام 1910 جمع الضرائب من قبيلة جاف، القبيلة الأقوى في جنوبي كردستان، التي لم تدفعها منذ بدء حركة تركيا الفتاة. ودعي الزعيم القبلي البارز محمود پاشا إلى الموصل واحتجز هناك قرابة العام، ثم أطلق سراحه في النهاية، إلّا أن المسألة لم تسوَّ على نحو مرض.[1] واحتجز في بغداد مصطفى پاشا، زعيم كرد باجلان في منطقة خانقين بعض الوقت، عام 1912، إثر الارتياب في ميوله المساندة للبريطانيين، بوصفه مشتبهاً فيه سياسياً.[2] وفي السنة ذاتها قتلت الشرطة التركية في بوتان سليمان بدرخان في سياق اضطرابات أدت إلى محاولة عقد المصالحة بين حركة تركيا الفتاة وبين القوميين الكرد.[3]

التشدد الكردي وحروب البلقان

شكّلت الأحداث الخطيرة لحربي البلقان الأولى والثانية، التي توجت بسلسلة من الهزائم المذلة للقوات العثمانية، ضغطاً غير مسبوق على ولاء

(1) إي. جي. آر.، E. J. R.)1)؛ بِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 43، م س رقم 317. وفاقاً للونگريگ أثناء فترة ولاية ناظم پاشا على بغداد، دعي محمود پاشا إلى تلك المدينة حيث استقبل بالحفاوة والتكريم. لونگريگ، العراق، 1900-1950، 57، م س رقم 141.

(2) حتى قبل ثورة حركة تركيا الفتاة، كان مصطفى پاشا في صراع مع الحكومة العثمانية وأرغم على تمضية بضع سنوات في القسطنطينية منفياً سياسياً. دعمت تهم ميوله الموالية للقضية البريطانية بعد الاستيلاء على بغداد. إي. جي. آر.1 ؛ بِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 43، م س رقم 317؛ سون، ملاحظات عن القبائل، 2، م س رقم 355.

(3) إلفنستُن، «المسألة الكردية،» 94-95، م س رقم 71.

الكرد المتراجع. ووفاقاً لتقرير بريطاني رسمي، عندما استولى الجيش البلغاري على أدرنة القوية في هجوم صاعق في 26 آذار/ مارس، عام 1913، وبدت إسطنبول ذاتها مهددة بمصير مشابه بدا أن عدداً من القبائل الكردية قررت إنهاء الصلة بالعثمانيين. وذكر أن قبائل مِللي وقرقشلي وكيتكان وبرازي وافقت على تشكيل اتحاد بهدف إعلان استقلالها في حالة سقوط إسطنبول بأيدي البلغار.[1] لم تنفذ هذه الخطة لأن الجيش البلغاري أخفق في هجومه وتوقفت الحرب من خلال وساطة الدول العظمى. إلّا أنه من المثير للاهتمام ملاحظة أن تقريراً مزيفاً عن سقوط العاصمة أقنع عبد القادر بن درعي، زعيم قبيلة القرقشلي، بالتحرك، وهاجم مع أتباعه مدينة برجيك ونهبها واجتاز نهر الفرات بهدف توسيع عملياته إلّا أنه اضطر إلى التراجع عندما فشل حلفاؤه في دعمه.[2]

الرد الكردي على المبادرات الروسية

لم يكن محتملاً أن تتغاضى روسيا، جارة تركيا وعدوها، عن تململ الكرد وزيادة اغترابهم. ومنذ مطلع القرن والروس يتابعون باهتمام شديد الاستياء المتزايد لأتباع السلطان من الكرد ويسعون منذ عدة أعوام إلى كسبهم مع درجات نجاح متباينة.[3] وقد لخص موقف أغلبية الكرد نحو المداهنات

(1) درايفر، كردستان والكرد، 30، م س رقم 57.

(2) عندما طلب من الشيخ عبد القادر تفسير أنشطته إلى السلطات العثمانية في حلب، ادعى أنه كان يقود متطوعين لمساعدة تركيا. قبلت الحكومة تفسيره وأمرته وقوته بالمساعدة في الدفاع عن العاصمة. ويبدو أن هذه القوة لم تثبت فائدتها في الخطوط الأمامية وأرجعت إلى موطنها «حيث وصلت محملة بالغنائم من تراقيا» م ن.

(3) وفاقاً للونگريگ، دعي وجهاء كرد إلى روسيا حيث استقبلوا استقبالًا حسناً. انظر لونگريگ، العراق، 1900–1950، 58، م س رقم 141. ويوضح أحمد أمين يلمان أن الروس بذلوا نشاطاً محموماً في كردستان قبل نشوب الحرب. انظر أحمد أمين يلمان، تركيا في الحرب العالمية، 209 (بالإنكليزية، مرجع 281).

الروسية تلخيصاً جيداً في الملاحظة التالية لغرترود بِلّ، التي كانت تعمل في مكتب كضابط مفوض للإدارة المدنية في العراق أثناء الحرب العالمية الأولى:

> **قبل نشوب الحرب لم يكن موقف القبائل الكردية نحو روسيا على طول حدود تركيا الشرقية محدداً تحديداً جيداً. ويمكن القول إنه بينما نشأ هناك شك جوهري في روسيا أدى إلى تردد في الاستجابة لمبادراتها، مال سوء الحكم العثماني إلى ارتماء الكرد ضد أرادتهم في أحضانها. وهكذا اضطر زعماء القبائل في منطقة الموصل، مثل شيخ البارزان، بعد الصمود عدة سنوات ضد الدعوات الروسية، في النهاية، إلى السعي للجوء في الأراضي الروسية. وفي ربيع عام 1914 أشيع أن قبائل هماوند وجاف و دزه يي، على الرغم من حصولها على الإصلاحات المرغوبة من الحكومة العثمانية، كانت مستعدة لطلب المساعدة الروسية.**[1]

لعب الروس، كما سنرى، دوراً بارزاً في تمرد الشيخ عبد السلام شيخ قبيلة بارزان وفي انتفاضة بدليس.

الصراع بين كرد بارزان والترك

الشيخ عبد السلام الثاني شيخ قبيلة بارزان

لعل أبرز زعيم كردي كان على الحكومة العثمانية التعامل معه أثناء هذه الفترة هو الشيخ عبد السلام الثاني زعيم قبيلة بارزان (الشيخ عبد السلام من الآن فصاعداً). كان صراع الشيخ عبد السلام مع حركة تركيا الفتاة تتويجاً للصراع بين شيوخ بارزان والسلطات العثمانية. وكان لا بد أن تقاوم الحكومة بحزم محاولات شيوخ بارزان المتسمة بالتصميم على فرض هيمنتهم على

(1) استعراض للإدارة المدنية، 44، م س رقم 317.

منطقة بارزان – زيبار في وقت نجح فيه الترك عموماً في قمع الإمارات الكردية القوية.

أفلح شيوخ بارزان في دحر أعدائهم باستخدام مجموعات المريدين المندفعين حتى الموت. كانت الحماسة الدينية لهؤلاء المريدين وطاعتهم العمياء للشيخ شديدة بحيث أطلقت عليهم تسمية ديوانا أو «المجانين.»[1] وسببت العقائد الدينية الغريبة تكرار نشوب حالات التطرف الديني، التي قادت حتماً إلى مصادمات عنيفة مع جيرانهم علاوة على الحكومة. وقعت الحالة الأولى[2] أثناء زمن عبد السلام الأول، الذي أعلنه أتباعه بوصفه المهدي.[3] ونشأت حالة أكثر خطورة بعد أن خلفه ابنه محمد بصفته شيخ بارزان.[4]

---

(1) هيّ، عامان في كردستان، 180، م س رقم 101. راجع، نيكيتين، «الحكايات الكردية،» حيث يشار إليهم بأنهم «المجانين،» م س رقم 188.

(2) للاطلاع على وصف لذلك، انظر نيكيتين، «الحكايات الكردية،» 150–51، م س رقم 188؛ الدملوجي، إمارة بهدينان، 90–91، م س رقم 293.

(3) المهدي من الشخصيات المرتبطة بنهاية العالم يفترض أنه سيظهر قبل نهاية العالم رافعاً سيفه لتدمير الشر والطغيان وتأسيس الحق والعدل واستعادة الإيمان. ووفاقاً لأحدى الحكايات يفترض أنه من أسرة النبي ويحمل اسم محمد، إلّا أنه وفاقاً لرواية أخرى فإنه يرتبط بالمسيح. ويفترض أن المهديين قد ظهروا في دول إسلامية مختلفة في أزمنة الاضطراب واليأس. للحصول على تفاصيل عن مفهوم المهدية والحركات المهدوية المختلفة، انظر ديڤيد بروس مكدونالد، «المهدي،» في الموسوعة الإسلامية، ط 1، 5: 111–15 (بالإنكليزية، مرجع 147)، وديڤيد صموئيل مارغوليوث، «المهدي،» في موسوعة الدين والأخلاق، تحرير جيمس هستنكس، 8: 336–40 (بالإنكليزية، مرجع 149)، وعن استمرار الميول المهدوية في الدول الإسلامية، انظر اتش. أي. آر. غيب، اتجاهات حديثة في الإسلام، 153 وما بعدها (بالإنكليزية، مرجع 90).

(4) نيكيتين، «الحكايات الكردية،» 150–51، م س رقم 188؛ الدملوجي، إمارة بهدينان، 91، م س رقم 293.

كانت الحركات البدع والمتطرفة مشحونة بالمضامين الخطرة بالنسبة إلى الحكومة ولم يكن في وسعها سوى النظر إليها بقلق شديد. وعلاوة على حقيقة أنها قادت إلى اضطرابات خطيرة ومثلت تحدياً لسلطة الدولة، فقد شكلت انحرافاً خطيراً عن العقيدة الإسلامية الصحيحة. وفي النظام السياسي الديني للدولة الإسلامية، الذي ادعت السلطنة العثمانية أنها تمثله، يعادل عدم الالتزام الديني الخيانة. لذا كان واجب السلطان العثماني، الذي ادعى توليه سلطة الخلافة، قمع كل الإساءات ومعاقبة كل المسيئين.

اقترح الباحثون أسباباً مختلفة للصراع بين الشيخ عبد السلام وبين الحكومة العثمانية. ويعزو الدملوجي الصراع إلى دسائس آغوات قبيلة زيبار، الأعداء التقليديين لشيوخ بارزان. بعد مكابدة آغوات زيبار سلسلة هزائم ماحقة على أيدي البارزانيين، التزم آغوات زيبار بتحريض الحكومة ضد خصومهم الأقوياء.[1] واستناداً إلى الدملوجي، بمساعدة الموظفين المحليين العثمانيين، استطاعوا في ختام المطاف تحريض الحكومة ضد شيوخ بارزان. كما أنه يذكر عاملين آخرين ساعدا في تصعيد الصراع، هما: كره التطرف الديني البارزاني ونمو النزعة القومية الكردية. ولا ريب أن هذه النزعة قد شددت موقف عبد السلام حيال حركة تركيا الفتاة وأقنعت نظام تركيا الفتاة باتخاذ إجراءات صارمة ضده.

نسب وليم أنغر ويغرام وإدغار توماس أنغر ويغرام (W. A. Wigram and Sir Edgar T. A. Wigram)، عام 1922، النزاع إلى دسائس وجيه من الموصل هو الصابونجي پاشا، الذي سعى بمساعدة موظفين فاسدين وعديمي الذمة إلى امتلاك عدد من القرى العائدة إلى الشيخ عبد السلام. ووفاقاً للكاتبين

(1) الدملوجي، إمارة بهدينان، 92، 131-33، م س رقم 293.

ويغرام كان لتصميم الشيخ عدم التنازل عن ممتلكاته نتائج خطيرة إذ سرعان ما وجهت ضده تهم التآمر ضد الحكومة وأرسلت قوة تأديبية إلى أراضيه.[1]

يرى جياووك أن سبب صراع عبد السلام مع الحكومة كان محاولتها إجراء تعداد شامل للسكان والمواشي في منطقة بارزان. عمل الشيخ وشعبه جاهدين في معارضة هذه الإجراءات، التي أدت في النهاية إلى صراع مسلح مع الحكومة.[2]

لا شك أن أياً من، وكل هذه العوامل، ساعدت بلا شك في نشوب الأعمال العدائية بين الحكومة وبين الشيخ عبد السلام. إن العداء المستحكم المزمن بين آغوات زيبار وشيوخ بارزان حقيقة تاريخية استمرت حتى الوقت الحاضر في تسميم العلاقة بين الأسرتين.[3] كما أن محاولة وجيه من الموصل الحصول على قرى بارزانية بمساعدة الموظفين الحكوميين سبب يمكن فهمه. كانت ممارسة كهذه شائعة في الأزمنة العثمانية.[4] كما اتفقت معارضة بارزان للتعداد المقترح مع موقف معظم القبائل في الشرق الأوسط. لقد قاوم رجال القبائل دائماً أو قبلوا على مضض إجراء التعداد بسبب خشيتهم من أن يؤدي

(1) ويغرام وويغرام، 139 وما بعدها، م س رقم 273. من اللافت في هذا الصدد ملاحظة أن الشيخ عبد السلام، في سياق محادثة مع الدملوجي، شكا قائلاً، «ليست لدينا قرى نقدمها إلى وجهاء الموصل كما يفعل أعداؤنا. نحن المدافعين الوحيدين عن مصالحنا.» انظر الدملوجي، إمارة بهدينان، 92، م س رقم 293.

(2) جياووك، 55-56، م س رقم 302.

(3) عالج الدملوجي، إمارة بهدينان، 92، 92-93، 131-33، م س رقم 293، هذا الصراع على نحو مفصل. راجع استعراض للإدارة المدنية، 73، م س رقم 317؛ م. سايكس، 323-25، م س رقم 252؛ محمد البريفكاني، الحقائق التاريخية بشأن المشكلة البارزانية، 7 (بالعربية، مرجع 291).

(4) للاطلاع على التفاصيل عن هذه الأنشطة في منطقة بهدينان في كردستان، انظر الدملوجي، إمارة بهدينان، 80-81، م س رقم 293.

ذلك إلى التجنيد وزيادة الضرائب؛ وربما زادت هذه المخاوف بسبب سياسة حركة تركيا الفتاة القائمة على المركزية الإدارية.

كانت الحصيلة المفجعة لهذا الصراع، مهما كانت أسبابه، التأثير في سير الأحداث في منطقة بارزان فترة أطول بعد توقف الترك عن السيطرة هناك. وفي الحقيقة ليس من المبالغة القول، كما ذكر الدملوجي، إن كل التمردات البارزانية اللاحقة قد نشأت إلى حد كبير من هذه الأحداث المؤسفة.[1]

المحاولات التركية لقمع الشيخ عبد السلام

بعد فترة قصيرة من سقوط عبد الحميد وتولي حركة تركيا الفتاة السلطة، أمر الجنرال محمد فاضل باشا الداغستاني، قائد القوات العثمانية في ولاية الموصل ونائب الوالي، الشيخ عبد السلام بالمثول أمامه في الموصل للرد على تهم التآمر ضد الحكومة. حثه أتباعه على عدم إطاعة الأمر خشية الوقوع في المصيدة، فأرسل الشيخ رداً متسماً بالمراوغة مشيراً إلى عدم استطاعته التوجه إلى الموصل في الموعد المعين بسبب شؤون شخصية.[2] رد الوالي بمهاجمة الشيخ بقوة من ستة آلاف رجل، بمن فيهم مجندون قبليون من عدد من القبائل الكردية المجاورة. اندلع قتال عنيف ألحق فيه أتباع الشيخ خسائر كبيرة في القوات العثمانية. غير أن الغلبة كانت في النهاية للحكومة الأقوى. اجتيحت قرية بارزان ودمر مسكن الشيخ وتكيته وقتل قائد قواته فقي

(1) م ن، 99–199. وفاقاً للدملوجي، أثار إعدام الشيخ عبد السلام أعمق وأقوى مشاعر البارزانيين وحولهم أعداء عنيدين لكل سلطة حكومية.

(2) نيكيتين، «الحكايات الكردية،» 152، م س رقم 188. راجع ويغرام وويغرام، 139، م س رقم 273.

عبد الرحمن وقبض على أسرته.[1] أرغم الشيخ على الفرار متخفياً إلى جبال هكّاري حيث لجأ إلى الجبليين التيارية.[2]

بعد تعيين ناظم پاشا والياً على بغداد ووفاقاً لسياسته المتسمة بالحكمة والتصالح، أعفى عن الشيخ وأعاده إلى مركزه السابق وعوضه عن الأضرار التي لحقت به جراء الحملة التأديبية ضده.[3] ويبدو أن العقيد صفوت بگ، وهو ضابط تركي دعم الشيخ بانتظام، قد أدى دوراً مهماً في تحقيق المصالحة.[4]

برهنت هذه المهلة على أنها قصيرة الأمد، إذ بعيد هبوط الشيخ

---

(1) نيكيتين، «الحكايات الكردية،» 152، م س رقم 188. راجع الدملوجي، إمارة بهدينان، 97، م س رقم 293؛ وويغرام وويغرام، 139، م س رقم 273.

(2) نيكيتين، «الحكايات الكردية،» 152، م س رقم 188؛ وويغرام وويغرام، 139، م س رقم 273.

(3) لونگريگ، العراق، 1900–1950، 58، م س رقم 141، الدملوجي، إمارة بهدينان، 97–98، م س رقم 293؛ انظر أيضاً المصادر المناقشة في الحاشية التالية.

(4) يعزو نيكيتين، الذي من الغريب أنه لا يشير إلى ناظم پاشا، إلى العقيد صفوت بگ الحصول على عفو الوالي بالدفاع الناجح عن قضيته أمام السلطات في إسطنبول. نيكيتين، «الحكايات الكردية،» 152–54، م س رقم 188. وفاقاً للبريفكاني، تصرف صفوت بگ نيابة عن ناظم پاشا، الذي عينه ممثلاً له في الموصل وكلفه بفرض النظام والاستقرار في تلك المنطقة. البريفكاني، 8، م س رقم 291. ويبدو أن البريطانيين، الذين حثوا على اللين تجاه الشيخ عبيد الله والكياسة نحو الأفراد المحتجزين من أسرته، قد لعبوا دوراً ما في تحقيق التسوية السلمية لهذه المشكلة. وفاقاً لويغرام وويغرام، كان الشيخ «مسروراً بأن يعزو ذلك إلى مساعي البريطانيين الودية.» غير أن هذين المؤلفين يوضحان أن تدخل ناظم پاشا كان حاسماً. انظر ويغرام وويغرام، 140، م س رقم 273. ويبدو أن الشيخ وجد متعاطفين آخرين في شخص أسعد پاشا الدرزي، قائد الفيلق الثاني عشر، الذي عمل فترة قصيرة والياً على الموصل. ويبدو أن أسعد پاشا، بهدف استمالة الشيخ، أوصى بمنح الشيخ الوسام المجيدي من الدرجة الثالثة. انظر الدملوجي، إمارة بهدينان، 98، م س رقم 293.

عبد السلام من جبال هكّاري واتخاذه مقراً له في قرية باب سفان في منطقة مزوري جوري، استدعي نديم پاشا إلى إسطنبول. أمر خصم الشيخ القديم الجنرال محمد فاضل پاشا الداغستاني الزعيم الكردي بالحضور إلى قرية بارزان. وعندما بين الشيخ أن تدمير منزله في تلك القرية حال دونه والذهاب إلى هناك زحف الجنرال عليه. وفي المعركة اللاحقة، التي نشبت في مضيق باب سفان ألحق مريدو الشيخ هزيمة ماحقة بالقوات الحكومية وأسروا فوجين.[1]

وبعد انتصار الشيخ سلم مركزه إلى الحكومة معبراً عن ولائه ومؤكداً براءته وطلب إبعاد الجنرال الداغستاني. أقنع انتصار الشيخ وجهود العقيد صفوت، نيابة عنه، الحكومة بالاستجابة لطلبه. وأعفي مرة أخرى ونقل الجنرال الداغستاني إلى بغداد ليتولى منصب قائد فرقة. وفي أعقاب هذه الأحداث انتقل الشيخ إلى قرية بارزان وأعاد بناء بيته وأسس مدرسة للأطفال. لبت الحكومة سريعاً طلبه تعيين معلم وأرسلت شخصاً مؤهلاً من الموصل. كما أنها عينت قائمقاماً لإدارة منطقة بارزان.[2]

أثناء السنتين التاليتين، بدت علاقات عبد السلام مع الحكومة ومع جيرانه ودية ومتوافقة. إلّا أنه كان على علاقة طيبة للغاية مع الشيخ سيد طه الثاني من شمدينان، الذي كانت أنشطته مصدر قلق شديد للحكومة العثمانية. وذكر أنه بعد زيارة سيد طه لروسيا استقر في قرية راژان في كردستان المحتلة من روسيا في فارس ووضع نفسه تحت سلطة الاحتلال الروسي. وليس مدهشاً أن السلطات العثمانية نظرت إلى الصداقة بين هذين الزعيمين القويين بريبة وراقبت أنشطتهما عن كثب. وكانت بعض الرسائل المتبادلة بين الرجلين

(1) نيكيتين، «الحكايات الكردية،» 1520-54، م س رقم 188. وأشار ويغرام وويغرام، 140-41، م س رقم 273، باختصار إلى معركة باب سفان والإصابات التي وقعت في صفوف القوات الحكومية.

(2) نيكيتين، «الحكايات الكردية،» 154، م س رقم 188.

منطوية على الخيانة. وذكر الشيخ عبد السلام في إحدى هذه الرسائل، «سيحل اليوم عندما سيحتاج الكرد إلى دعم قوي، ومن المؤكد إن ذلك الدعم يكون من الروس.»[1]

مضى صفوت بگ، نصير الشيخ عبد السلام المتحمس، الذي كان قد حذره من غدر العثمانيين ونصحه بعدم التوجه إلى الموصل إلى حد اقتراح أن يتبع هو والشيخ مثال سيد طه وعبد الرزاق بدرخان ويتوجها إلى الروس.[2] لم تبق هذه الأنشطة والاتصالات طويلاً مجهولة لدى الحكومة. أما محمد فاضل پاشا الداغستاني، الذي لم يتوقف قطّ عن تحذير الحكومة ضد الشيخ وصفوت بگ، فلم يضيع وقتاً في اتهام الرجل بعدم الولاء وإحداث الفتنة.[3]

ويبدو أن والي الموصل الجديد، سليمان نظيف، الذي كان من أعضاء حركة تركيا الفتاة المتحمسين، صمم على قمع كل من عارضوا أفكار النظام الجديد وسياساته.[4] ولا شك أنه اعتبر رجالًا مثل الشيخ بمثابة مفارقات تاريخية لا مكان لها في مخطط الأشياء الجديد. وكان أحد أفعاله الأولى دعوة الشيخ عبد السلام للمثول أمامه في الموصل. وعندما لم يمتثل الأخير أعلن أنه متمرد وأرسلت قوة من المجندين القبليين للقبض عليه. وبعد شهر من القتال العنيف قتل الكثير من الجنود والمريدين. وبعد ذلك دحر الشيخ وهرب إلى حدود أورميا حيث أقام علاقة مع الروس.[5]

---

(1) م ن.

(2) يقال إن صفوت بگ نفسه قد اجتاز الحدود وانضم إلى الروس بعد ذلك بفترة قصيرة، م ن.

(3) م ن.

(4) للمزيد من التفاصيل عن السياسات التي اتبعها سليمان نظيف بوصفه والي الموصل، خصوصاً بشأن الشيخ عبد السلام، انظر الدملوجي، إمارة بهدينان، 98-105، م س رقم 293.

(5) نيكيتين، «الحكايات الكردية،» 154، م س رقم 188.

القبض على الشيخ عبد السلام وإعدامه

في أوائل عام 1914، بينما كان الشيخ عبد السلام يسافر في جوار الحدود التركية – الروسية في طريقه لزيارة سِمكو آغا، الزعيم البارز لقبيلة شكاك، تربصت له عصابة من رجال قبائل شكاك وأسرته وسلمته إلى والي ثان على أمل تسلم الثمن الذي أعلنته السلطات العثمانية لرأسه.[1] أرسل الشيخ تحت حراسة مشددة إلى الموصل حيث شنق مع ثلاثة من أتباعه بعد قضاء فترة في السجن.[2] وفاقاً لما كتبه الدملوجي أعدم سليمان نظيف الشيخ من دون الحصول على التخويل اللازم من إسطنبول.[3]

---

(1) م ن.

(2) يقدم الدملوجي وصفاً نابضاً بالحياة للشيخ عبد السلام ورفاقه وكان قد شهد المشهد المؤثر الغريب. كان الدملوجي، الموظف العثماني الذي أثار سخط الوالي، نزيلاً في السجن الذي احتجز فيه الشيخ عبد السلام. وفاقاً للدملوجي، كان يطلب من النزلاء السير في ساحة السجن حيث نصبت أربع منصات شنق وكان رجل دين كردي ينتظر لتلاوة المراسيم الأخيرة للرجال المحكومين بالإعدام (تلقين الشهادة). وإذ اقتيد الشيخ إلى المشنقة قال: «أريد أن أتحدث إلى الوالي.» وعندما سئل عما يرغب أن يقوله للوالي أجاب: «الحياة والموت سيان عندي. وإذا أبقى على حياتي سأقدم المساعدة إلى الجيش – ألف بغل محمل بالمؤن.» كان ذلك عشية دخول تركيا الحرب. أبلغ الشيخ نيابة عن الوالي أن السيف سبق العذل. ثم جاء دور رفاق الشيخ الثلاثة. كان بينهم خادمان شخصيان هما محمود وموسى، وزعيم من قبيلة ريكان هو محمد آغا هياشتي. سار محمود الشاب البالغ من العمر عشرين عاماً ببسالة إلى المنصة صائحاً: «عاش رب بارزان! أنا كبش فدائه، أنا أضحيته!» وقال موسى البالغ من العمر ستين عاماً: «الرماد على رأس الحكومة! لن يفنى البارزانيون بموتي.» وردد محمد هياشتي، الآغا الريكاني البالغ من العمر سبعين عاماً: «أنا ريكاني، أنا لست زيبارياً. أنا محمد هياشتي، لا تخنقوني. لم أفعل شيئاً.» وعندما اقتيد إلى منصة المشنقة غمغم: : «بسم الله الرحمن الرحيم.» انظر الدملوجي، إمارة بهدينان، 103–4، م س رقم 293. راجع نيكيتين، «الحكايات الكردية،» 155، م س رقم 188.

(3) يؤكد الدملوجي أنه لكي يبرر الوالي أفعاله رتب انتفاضة زعم أن أتباع الشيخ قد نفذوها بهدف تحرير الشيخ. وبعد قمع الانتفاضة جعل الوالي الشيخ يحاكم أمام =

في الوقت ذاته، تحرك الوالي ضد شيوخ كرد آخرين في منطقة الموصل. وعلى الرغم من كبر سن الشيخ نور محمد الدهوكي، الذي اشترك مع الشيخ عبد السلام في وضع الالتماس بتطبيق الإصلاحات المذكورة آنفاً، فقد أحضر إلى الموصل وألقي به في السجن حيث توفي. ويبدو أن سليمان نظيف كان يعد مصيراً مشابهاً للشيخ بهاء الدين البامرني إلّا أنه طلب منه تركه.[1]

تمرد البدليسيين

نشب عام 1913 تمرد كردي خطير بقيادة عدد من الزعماء الدينيين في منطقة بدليس.[2] وبعد خمسة عشر عاماً اتهم كاتب تركي معروف الروس بالتحريض على الثورة، التي زعم أنها كانت مقدمة إلى التدخل الروسي. ووفاقاً لهذا الكاتب، «كان من المقرر أن تتبع تمرد البدليسيين، الذي حرض عليه القنصل الروسي المحلي، مجازر أرمنية لإيجاد حجة للتدخل الروسي النشيط إلّا أنه تم تجنبها بمحض المصادفة.»[3]

= محكمة عرفية وحكم عليه بالموت. وهكذا تمكن من إحباط أي محاولة للسلطات في إسطنبول لإنقاذ حياة الشيخ. ووفاقاً للدملوجي، دفن سليمان نظيف الشيخ عبد السلام ورفاقه في قبور مجهولة كي لا يصبح قبر الشيخ مكاناً يحج إليه. الدملوجي، إمارة بهدينان، 104-5، م س رقم 293.

(1) م ن، 99، 165-67.

(2) على الرغم من حقيقة أن عدة مؤلفين يذكرون هذا التمرد فإن المعلومات الشحيحة المقدمة غير متوافقة على نحو غريب بشأن أسماء زعماء التمرد وعناوينهم. وتظهر هذه الأسماء على نحو متباين كما يلي: الملالي سليم وشهاب الدين وعلي، في زكي، خلاصة تاريخ الكرد، وخليفة سليم وعلي آغا، في نيكيتين، الكرد، 195، م س رقم 187، حيث يوصفون بأنهم من أعوان الشيخ عبد القادر نهري. غير أن سفرستيان يؤكد أن من ألهم التمرد وقاده هو الشيخ سعيد علي الخيزاني، وهي منطقة بالقرب من بدليس. انظر سفرستيان، 72-74، م س رقم 230.

(3) يلمان، 209، م س رقم 281.

يقال إن المتمردين الكرد، الذين حققوا نجاحات مهمة في البداية، قد وصلوا بالقرب من مدينة بدليس.[1] وأفلحت تعزيزات قوية أرسلتها الحكومة إلى هناك في سحق التمرد.[2] وأرغم زعيم التمرد الشيخ سليم على السعي للحصول على اللجوء في القنصلية الروسية حيث بقي حتى دخول تركيا الحرب العالمية الأولى. ولدى نشوب الأعمال العدائية، اقتحم الترك بناية القنصلية وأسروا الشيخ وشنقوه علانية.[3]



(1) شيركوه، المسألة الكردية، 19، م س رقم 39؛ زكي، خلاصة تاريخ الكرد، 272، م س رقم 314. راجع سفرستيان، 74، م س رقم 230، حيث ذكر أن الشيخ سعيد علي احتل مدينة بدليس أسبوعاً واحداً.

(2) قمع التمرد بقسوة شديدة وفاقاً لنيكيتين، الكرد، 195، م س رقم 187؛ والرائد إدوارد وليم تشارلز نوئيل، ملاحظة عن الوضع الكردي، 3، م س رقم 351.

(3) للاطلاع على أوصاف لهذا التمرد وأسر الشيخ وشنقه، انظر شيركوه، المسألة الكردية، 19، م س رقم 39؛ زكي، خلاصة تاريخ الكرد، 272، م س رقم 314؛ وسفرستيان، 74، م س رقم 230. وفاقاً لسفرستيان، أسر الشيخ بينما كان يحاول الهرب إلى الجبال المجاورة مع أربعة من أنصاره وقد شنقوا جميعاً معه.

الفصل السادس

سياسة روسيا الكردية

كان جلياً منذ مطلع القرن التاسع عشر أن غزو روسيا للقوقاز سيجلب عاجلاً أم آجلاً ذلك البلد إلى الاحتكاك مع الشعوب المختلفة التي تعيش في المناطق الحدودية في تركيا وبلاد فارس. وكان الكرد هم الأكثر أهمية وعدداً بين تلك الشعوب. وقد حدث الاحتكاك المهم الأول مع الكرد خلال العقد الأول من ذلك القرن نتيجة للنزاعات الروسية الفارسية في الأعوام (1804–1812). وأدت الهزائم الساحقة، التي مُنِيَ بها الفرس في معركتي أرباتش عام (1807) وأسلاندوز عام (1812)، التي توجتها معاهدة گوليستان المذلة عام 1813، إلى تعزيز مكانة الروس في أوساط الكرد كثيراً.[1]

في عام 1828، أنهت الحروب الروسية – الفارسية أكثر من عقد ونصف

(1) وفاقاً لهذه المعاهدة، تتخلى بلاد فارس عن كل مطالبها عبر منطقة القوقاز وتسلم لروسيا الأراضي التي يحكمها خانات في قرة باغ، شكي، شيروان، دربند، القبة، باكو، تاليش. وأكدت المعاهدة أيضاً احتلال روسيا السابق لگنجة (إليزاڤتبول). علاوة على ذلك، تعهدت بلاد فارس ألّا تحتفظ بدور عبادة في بحر قزوين. أدولف دِرّ، «گوليستان،» في موسوعة الإسلام، 3: 182 (بالإنكليزية، مرجع 51).

من العلاقات السلمية الروسية - الفارسية. لكن، هزيمة القوات الفارسية السريعة أجبرت بلاد فارس على أن تتوسل السلام الذي رسخته اتفاقية معاهدة تركمانچاي عام 1828، التي كانت ضربة قاسية لبلاد فارس، ليس لأنها أقصت ذلك البلد كقوة في القضايا القوقازية فحسب، بل لأنها وسمت البداية للامتيازات الأجنبية في بلاد فارس أيضاً.[1] وكما يمكن أن نتوقع، كان لهذه النجاحات الروسية تأثير عميق في الكرد. والسير جيمس فريزر (James Fraser)، الذي قضى ليلة ضيفاً عند بعض الكرد في شمال غرب بلاد فارس بعد سنوات قليلة من تلك الأحداث، يروي حدثاً يكشف عن الاحتقار الذي أخذ الكرد يشعرون به نحو سادتهم الفرس.[2]

سياسات الأمير پاسكيڤتش

يمكن القول إن الأمير إيڤان پاسكيڤتش (Ivan Paskevich) هو الذي

(1) نتيجة لهذه المعاهدة سلمت بلاد فارس يريڤان ونخشڤان، ووافقت على دفع تعويض قدره 20 مليون روبل (5 مليون تومان)، الذي خُفِّض أخيراً، والأكثر أهمية من كل شيء، إبرام اتفاقية تنظيم الوضع القانوني لرعايا روسيا. وقد غدت هذه المعاهدة الأساس التاريخي لشروط استسلام بلاد فارس لأن كل الاتفاقيات التالية بين بلاد فارس والقوى الأوروبية الأخرى اتخذتها أنموذجاً. ف. مينورسكي، «تركمانچاي،» في موسوعة الإسلام، 8: 896 (بالإنكليزية، مرجع 175).

(2) يبدو أن إحدى متع المساء الرئيسة كانت مكونة من الإصغاء إلى أحد الكرد الذي كان يغني أغنيات عن الحروب الروسية الفارسية الحديثة. الأغاني التي كانت تزدري القوى الفارسية وتحكي عن حماقة ولي العهد الفارسي، كانت تُقابَل بارتياح صريح بين عواصف الضحك التي يطلقها الكرد المتجمهرون. جيمس بايي فريزر، رحلة شتاء (تتارية) من القسطنطينية إلى طهران، مع رحلات عبر الأجزاء المختلفة لبلاد فارس، 1: 308 (بالإنكليزية، مرجع 84).

أرسى الأساس لسياسة روسيا تجاه الكرد. ويبدو أنه كان المسؤول الرسمي الروسي الأول الذي أدرك الأهمية الإستراتيجية الهائلة للأراضي الكردية، التي تضم المداخل إلى الإمبراطورية العثمانية وبقية جنوب غرب آسيا. لذلك، أولى أهمية كبيرة للحفاظ على علاقات ودّية مع الكرد الميالين للحرب. وقد انعكست هذه المقاربة في خطته لغزو الأناضول. وكان التوصل إلى تفاهم مع زعماء القبائل الكردية في جبال أرمينيا وأعالي وادي الفرات[1] هو أحد الشروط الأساسية الثلاثة التي وضع عليها خطته.

وباندلاع الحرب الروسية - التركية عامي 1828-1829، تقدم الأمير پاسكيڤتش، الذي يبدو أنه أولى هذه المسألة اهتماماً كبيراً، إلى تنفيذ خططه المرسومة بعناية. فقد أدرك واستثمر بسرعة عدم رضا العناصر المحافظة والإقطاعية الذي أثارته سياسات الإصلاح التي وضعها السلطان العثماني محمود الثاني (1808-1859). كان الكثير من زعماء القبائل الكردية، ولا سيما هؤلاء الذين سكنوا المناطق الحدودية النائية، الذين قادوا عملياً الوجود المستقل، ساخطين بشدة على تلك السياسات، التي عدّوها بدعاً غير تقية وانتهاكاً لحقوقهم المتوارثة غير مبرر.[2]

لقد نجح پاسكيڤتش باستخدام المسلمين لخدمته بطريقة حكيمة، في الفوز بكسب الكثير من شيوخ القبائل الكردية.[3] فعلى سبيل المثال، انضم

(1) كان الشرطان المسبقان الآخران هما: ضمان تدفق التعزيزات إلى جبهة الأناضول والحفاظ على ضمان مطلق للسلام مع بلاد فارس. وليم إدوارد ديڤيد آلن وباول مراتوفّ، ساحات القتال القوقازية: تاريخ الحروب على الحدود التركية القوقازية، 1828-1921، 32 (بالإنكليزية، مرجع 4).

(2) عبر السخط الكردي عن نفسه سريعاً في سلسلة من الانتفاضات في مدن صوران وبهدينان وبوتان وبابان ومناطق أخرى. م ن، 31.

(3) من أجل تفاصيل أكثر عن نجاح الروس في كسب مساعدة زعماء القبائل الكردية =

حسين آغا، الخان أو الشيخ الأعلى لكرد يريڤان، إلى الروس عند اندلاع الأعمال العدائية وخدمهم جيداً طوال الحملة. لم تقتصر خدمات آغا على الثلاثة آلاف فارس الذين أنزلهم إلى الميدان، وعلى مكانته وسلطته العظيمتين، اللتين استخدمتا للتأثير في بقية شيوخ القبائل الكردية وحسب، بل كانت جهوده ذات أهمية حاسمة إلى حد كبير. فقد أقنع باشا محافظة موش، الذي تلقى أوامر من السلطات العثمانية لتجهيز قوة خيالة كبيرة من نحو اثني عشر ألفاً، أن يبقى على الحياد.[1]

قال وليم مونتيث (William Monteith) في عام 1856 معلقاً على نشاطات حسين آغا: «لقد أثبت أنه حليف مغالٍ لروسيا ضد شعبه، وبسبب سلطته ونفوذه أُغري باشا موش بالدخول في معاهدة حياد مع الروس – معاهدة أخلص لها بقوة، مع أنه لم يسمح لرجاله بأن ينضموا إلى رجال حسين آغا في تقدمهم داخل تركيا.»[2]

ويبدو أيضاً أن پاسكيڤتش استخدم، بذكاء، العداءات الدينية والعرقية، لأنه استخدم كلاً من الأرمن والإيزديين، فحسن آغا، وهو شيخ قبيلة إيزدي بارز، كان أحد شيوخ القبائل الأكثر إخلاصاً في خدمته.[3]

= خلال الحرب الروسية التركية عامي 1828–1829، انظر ألكساندر كليوناكوڤيتش أوشاكوف، تاريخ الحملات العسكرية في آسيا الوسطى خلال عامي 1828–1829 (بالألمانية، مرجع 265)؛ وليم مونتيث، قارص وأرضروم في حملات الأمير پاسكيڤتش في عامي 1828 و1829، 231 وفي مواضع مختلفة (بالإنكليزية، مرجع 179).

(1) مونتيث، 220–21، 262، م س رقم 179.

(2) م ن، 264.

(3) أوشاكوف، 2: 18، أيضاً 1: 318 (بالإنكليزية، مرجع 265).

في 23 حزيران/ يونيه، عام 1829، عند وصول پاسكيڤتش إلى كوبرو كوي، حيث تمركزت معظم القوات الروسية، استقبل شيوخ القبائل الكردية من آگري داغ (آرارات) ومناطق البينجول.[1] ويظهر أنهم رحبوا به حيثما ذهب. ووفاقاً لمونتيث: «كان يُستقبَل في كل مكان بالزغاريد والهتافات العالية، التي شاركت فيها الشخصيات الرفيعة المقام بحماسة، تقول: 'استولِ على أرضروم وستنضم إليك كل قبائلنا'.»[2]

حقق نجاح پاسكيڤتش بإنشاء علاقات ودية مع الكرد مكاسب كبيرة. أوضح مونتيث أن عدد الكرد الذين خدموا في الجيش الروسي كان أكثر بكثير من عدد الذين خدموا مع الترك.[3] وبالإضافة إلى الدعم العسكري النشط الذي قدمته بعض القبائل الكردية، ساعدت قبائل أخرى القوات الروسية بتقديم الطعام والإمدادات عند عبورها الأراضي الكردية.[4]

ومع ذلك، كان اعتماد پاسكيڤتش على ولاءات الكرد ضعيفاً مثل اعتماد حكامهم العثمانيين، وقد جاء في التقارير أن الكرد كانوا موزعين بين الطرفين المتحاربين. ووفاقاً لأحد المصادر: «كان الكرد عاملاً مشكوكاً فيه، واستحق پاسكيڤتش التقدير لمهارة سياسته تجاههم. فحيادهم منحه كل المزايا التي حظي بها نابيير (Napier) بعد أربعين سنة في الحبشة، حيث سمح سكان الجبال غير المبالين، لكن الذين يمكن أن يكونوا خطرين، لقوة صغيرة نسبياً بالتقدم.»[5]

(1) آلن ومراتوفّ، 39، م س، مرجع 4.
(2) مونتيث، 263-264، م س رقم 179.
(3) م ن، 264.
(4) آلن ومراتوفّ، 40، م س رقم 4.
(5) م ن، 44.

الكرد والحروب الروسية الكردية

كانت حرب عامي 1828–1829 نقطة انعطاف في العلاقات الروسية الكردية. فقد أرست سياسات پاسكيڤتش الحكيمة والماهرة، التي اتبعها تجاه الكرد خلال ذلك النزاع، أنموذجاً اتبع بنجاح كبير في كل الحروب الروسية التركية.[1] وقد كشفت حرب القرم حجم الاختراقات التي حققتها روسيا في ولاء الرعايا الكرد لتركيا. فخلال هذا النزاع، قاتل فوجان كرديّان إلى جانب القوات الروسية ضد الجيش العثماني،[2] واندلع تمرد خطير قاده الأمير عز الدين شير أو (يزدان شير) في منطقة بوتان.[3] وعلى غرار ذلك، شاركت بعض الوحدات الكردية في عمليات الجيش الروسي العسكرية في جبهة القرم خلال حرب عامي 1877–1878.[4] وعندما كانت هذه الحرب تشير إلى نهايتها، قام حسين پاشا وعثمان پاشا، ابنا الأمير الكبير بدرخان بثورة ضد السلطة التركية شملت معظم منطقة بوتان ونجحت في الاستيلاء عليها لنحو تسعة أشهر. ولم تخمد ثورتهما إلّا بالخداع بعد أن فشلت قوة الجيوش.[5]

---

(1) العمل الأكثر شمولًا حول دور الكرد في الحروب الروسية التركية هو عمل أڤيريانوف الكرد في الحرب الروسية (*Kurdi v Voinakh Rossi*) هذا العمل، الذي نشر في تيفليس، عام 1900 [غير متوافر في الولايات المتحدة] (بالروسية، مرجع 12).

(2) مينورسكي، «الكرد،» م س رقم 169.

(3) م ن؛ نيكيتين، الكرد، 194، م س رقم 187؛ زكي، خلاصة تاريخ الكرد، 255–56 (بالعربية والكردية، مرجع 314).

(4) فرانسيس ڤينتون غرين، الجيش الروسي وحملاته في تركيا في عامي 1877–1878، 384–385 (بالإنكليزية، مرجع 92).

(5) شيركوه، المسألة الكردية، 17–18، م س رقم 39؛ مينورسكي، «الكرد،» م س رقم 169.

ولَّـد النجاح الـذي حققته الجيوش الروسية خـلال الحرب الروسية - التركية انطباعاً عميقاً لدى الكرد. وفي محاولة لتفسير قوة روسيا، التي لا تقهر وحتمية انتصارها، اعتقد العلويون الكرد قزلباش في جبال دَرْسِيم، وهم أنصار طائفة شيعية متطرفة، أن الروس يقاتلون بسيف علي، الذي وضعه لديهم أمانة.[1]

ومع ذلك، سنخطئ كثيراً إذا افترضنا أن الروس كسبوا الشعب الكردي كله. فقد بقيت أكثرية الكرد وقادتهم مخلصة للسلطان العثماني وقاتلت إلى جانبه، كجنود نظاميين وأفراد في القوات القبلية غير النظامية. وفي حرب العام 1877-1878، خدم كرد كثر، مثل بقية رعايا الدولة العثمانية، بإرادتهم في الجيش العثماني، وقاد شيوخ كرد، مثل الشيخ عبيد الله والشيخ ناصر التلاوي، قوات قبلية كبيرة قاتلت إلى جانب العثمانيين.

وخلال الحرب العالمية الأولى، تحالف الكرد بالتأكيد مع الترك على الرغم من جهود الروس لفعل العكس. وفي خيارهم هذا، تأثروا إلى حد كبير بالدعاية الإسلامية العالمية والإعلان العثماني للجهاد، بالإضافة إلى نشاطات العملاء الألمان الذكية والمكانة الرفيعة للأسلحة الألمانية.

سياسة روسيا القيصرية الأرمينية

لم يكن لدى روسيا القيصرية سياسة كردية في المعنى ذاته الذي امتلكته سياستها الأرمينية. ولا ريب في أن التعاطف الروسي مع الأرمن ودعمهم

(1) نيكيتين، الكرد، 242، م س رقم 187. ربما كان هذا إشارة إلى سيف علي الخارق، ذو الفقار. يقال إن هذا السيف يعود للنبي، حصل عليه كغنيمة في معركة بدر ولاحقاً قدمه لعلي. من أجل المزيد من التفاصيل تتعلق بهذا السيف، راجع أوجين ميتفوخ، «ذو الفقار،» «علي بن أبي طالب،» في موسوعة الإسلام، 1: 283-285 (بالإنكليزية، مرجع 176).

من جهة، وعدم القدرة على التوفيق بين المصالح الأرمينية والكردية من جهة أخرى، منعت مثل تلك السياسة. وبالتالي، لم يكن لدى الروس سياسة كردية طويلة الأمد ذات أهداف معرَّفة جيداً لسنين كثيرة. وكثيراً ما وجدت نفسها، ولا سيما في أزمنة الحرب، تقتصر على كسب الكرد أو ضمان حيادهم على الأقل، وغالباً ما نجحت في تحقيق ذلك. كان تعامل روسيا القيصرية مع الكرد مقتصراً على اتفاقيات موقتة مع مختلف شيوخ القبائل، تستهدف إنجاز أهداف محددة. لكن الصراع المستمر مع تركيا حثَّ الروس في النهاية على السعي إلى التفاهم الشامل مع القبائل الكردية المحاربة التي عاشت في تجمعات متراصّة على طول الطرق العسكرية الحيوية التي تقود إلى الأراضي التركية.

لم تضع روسيا سياسة ذات شكل محدد تجاه الكرد حتى الجزء الأخير من القرن التاسع عشر. وما إن بدأت تبرز سياسة منسقة وهادفة حتى هزمها، بعنف، تطوران نجما عن الحرب العالمية الأولى - أي، دعوة تركيا إلى الحرب المقدسة (الجهاد) والثورة الروسية. ولتكون لدينا فكرة عن طبيعة موقف روسيا تجاه الكرد والبروز التدريجي لسياستها الكردية، لا بد من نقاش موجز لسياستها الأرمينية.

دعم روسيا للقضية الأرمنية

المسألة الأرمنية، التي أفسدت العلاقات الروسية التركية خلال معظم القرن التاسع عشر والجزء الأول من القرن العشرين، طوِّرت بمهارة إلى أداة مهمة في سياسة روسيا الخارجية. وفاقاً للُبانوف - رستوفسكي (Lobanov - Rostovsky)، وضعت روسيا سياستها الأرمينية وفي الذهن هدفان رئيسان. كان الهدف الأول هو حماية الأرمن، التي كان دافعها اعتبارات

إنسانية بالإضافة إلى اعتبارات سياسية داخلية.[1] وكان الهدف الثاني هو إقصاء أية إمكانية لتدخل قوة منافسة باسم الأرمن المقموعين - دخول قريب خطير من أقاليم القوقاز الروسية.[2] لكن يجب إضافة هدف ثالث إلى ذينك الهدفين هو: إضعاف تركيا وفصل الأقاليم الأرمنية في شرقي تركيا بشكل نهائي، بعد النماذج التي سبق ونشأت في الأقاليم البلقانية.

استخدمت روسيا تبنيها للقضية الأرمنية على نحوٍ ذكي في تطوير خططها حول تركيا. فقد قدمت لها ذريعة مناسبة للتدخل ووسيلة لممارسة ضغط دائم على الباب العالي (الحكومة العثمانية). وكي تمتلك يداً مطلقة في التعامل مع تركيا، استخدمت روسيا بمهارة دعمها للأرمن المضطهدين للتأثير في الرأي العام الأوروبي لمصلحتها.

أثار الدفاع عن القضية الأرمنية التعاطف والدعم للأرمن في كل مكان أولاً، وطمأن ذلك روسيا لولاء وإخلاص رعاياها من الأرمن الذين سكنوا المناطق الحدودية المحاذية لتركيا، وجعل الأرمن في تركيا ينظرون إلى روسيا كمخلِّصٍ، ويحثّون قادتهم على وضع هدف مشترك معها ثانياً. وأكسبها ذلك دعم الجماعات المؤثرة وذات الصوت المسموع في الاغتراب الأرمني في

(1) أوضح لُبانوف -رستوفسكي، عام 1933 أن روسيا تابعت هذه السياسة لكي تسترضي رعاياها الأرمن، الذين «كانوا يقومون برد فعل بطريقة عصبية على آلام إخوتهم عبر الحدود.» أندريه لُبانوف -رستوفسكي، روسيا وآسيا، 201 (بالإنكليزية، مرجع 138).

(2) م ن. في كلمات لُبانوف -رستوفسكي، «الدفاع عن قضيتهم من خلال بريطانيا العظمى سيعني توسيع النفوذ البريطاني إلى تلك المنطقة الأكثر عرضة للخطر على طول الحدود القوقازية في وقت كانت فيه المنافسة بين القوتين العظميين في مرحلتها الأكثر حدة.» 201 (بالإنكليزية، مرجع 138).

الولايات المتحدة وإنكلترة وفرنسا وإيطاليا ومصر وعدد من البلدان الأخرى ثالثاً.

لكن سيكون مضللاً أن نعزو دوافع أنانية وخفية لتبني روسيا للقضية الأرمنية. فالحقيقة هي أن الجماهير الروسية وحتى الحكومة القيصرية دفعتها مُثُل إنسانية ومسيحية. شأن اسبانيا في الطرف الأبعد الآخر في أوروبا، لم تفقد روسيا الروح الصليبية التي تولدت خلال قرون من الهيمنة التي مارسها الغزاة من عرق ودين غريبين. ومن المفيد أن نتذكر أن ذلك يعود في جزء كبير منه إلى الشعور الديني القوي لدى الجماهير الروسية إلى درجة أن دوقات موسكو الكبار تحولوا من جامعي ضرائب للخان إلى أبطال مدافعين عن الأرثوذكسية الروسية؛ وعدم رؤية هذه الحقيقة يعني أن نسيء فهم إحدى القوى الأساسية في التاريخ الروسي.

أسباب التغير في روسيا تجاه الأرمن

بدأت سياسة روسيا تجاه الأرمن تشهد تغيراً كبيراً بعيد حرب العام 1877-1878. وقد حدث هذا التغير بسبب سلسلة من التطورات التي تلت الحرب والتي تأثرت أقله في ذلك الوقت، بسياسة روسيا تجاه الإمبراطورية العثمانية ومجموعاتها القومية الصغيرة. وقد أسهمت علاقات روسيا مع القوى الكبرى، وخطر الإرهاب العدمي في الوطن، والصعوبات في التعامل مع تابعَيها البلغاري والأرمني في هذا التغيير بدرجات مختلفة. ويمكن لنقاش هذه المسائل بشكل موجز أن يساعدنا على فهم موقف روسيا تجاه الأرمن وقضيتهم على نحوٍ أفضل.

للحفاظ على السلام، الذي كان وقتئذٍ مُهدَّداً بشدة جراء المشكلات المختلفة الناشئة عن انتصار روسيا على الإمبراطورية العثمانية في حرب

العام 1877-1878، اقترح أوتو فون بسمارك (Otto von Bismarck) أن تلتقي القوى في مؤتمر يُعقَد في برلين. وقد لحقت بروسيا هزيمة دبلوماسية قاسية في هذا المؤتمر، حيث نجحت مجموعة القوى، التي ساندها بسمارك، في حرمان روسيا من ثمار نصرها إلى حد كبير. لم يكن ثمة جديد في سياسة إنكلترا التقليدية في الحفاظ على وحدة أراضي الإمبراطورية العثمانية في مواجهة الطموحات الروسية، لكن موقف هنغاريا - النمسا وسلوك بسمارك قبل المؤتمر وخلاله لم تكن مُطَمْئِنة على الإطلاق. كان على روسيا أن تشعر بالعزلة لأنها لم تواجَه من إنكلترا وحسب، بل أيضاً من شريكتيها في دول التحالف الثلاثي (Dreikaiserbund)، ألمانيا والمجر - النمسا، اللتين اعتقدتا بوضوح أن هذا التحالف لم يعد يخدم أغراضهما.[1] وقد قوبل أسلوب سلب النصر الذي كسبته روسيا بصعوبة بالسّخط وخيبة الأمل في كل أرجاء الإمبراطورية.[2]

تضافرت الاضطرابات الداخلية الخطيرة مع المرارة من هزيمة روسيا الدبلوماسية. وعادت موجة الإرهاب العدمية، التي تقلصت خلال الحرب، عندئذٍ إلى الظهور بعنف متزايد، توَّجها اغتيال ألكسندر الثاني (Alexander II) عام 1881. وقد سبب هذا الحدث تأثيراً عميقاً ودائماً في ابنه وخليفته، ألكسندر الثالث (Alexander III) وأثار رد فعل عنيفاً بين دعاة النزعة السلافية والعناصر المحافظة الأخرى، التي استثارتها حمى وطنية عميقة

(1) بالنسبة إلى مناقشة موقف بسمارك تجاه روسيا، راجع جون آرثر رانسون ماريوت، المسألة الشرقية، 390-392، م س رقم 150. وأيضاً جون آرثر رانسون ماريوت، الكومنولث الأوروبي، 276-277 (بالإنكليزية، مرجع 151). من أجل المزيد ورواية ممتازة لمؤتمر برلين والسياسات التي اتبعتها القوى المختلفة التي شاركت في المؤتمر، راجع مدليكوت، في مواضع مختلفة (بالإنكليزية، مرجع 158).

(2) برنارد بارس، تاريخ روسيا، 383 (بالإنكليزية، مرجع 204).

فتجمعت حول السيادة الجديدة، وهاجمت الديموقراطية الغربية وشجبت النزعة الليبرالية كونها أجنبية وغير صحية، ودافعت بقوة عن العودة إلى المؤسسات الوطنية النقية وغير المدنسة بواسطة رجال مثل قسطنطين پَبِيدَنوستسيف (Constantine Pobedonostsev)، المربي السابق لألكسندر الثالث والناصح السياسي له الآن.[1]

عزيت كل التقلبات في روسيا عندئذٍ إلى أوروبا. فالخداع والخيانة في الخارج والإرهاب وقتل الملك في الوطن هي عقوبة الاحتكاك مع الحضارة الأوروبية. وفي كلمات برنارد بارس (Bernard Pares): «صمتت روسيا في ظل حكم ألكسندر الثالث بغضب،» وعلى المرء أن يضيف، ابتعدت عن أوروبا باستياء. ومن الآن فصاعداً، غدت الأوتوقراطية والأرثوذكسية في شكليهما الروسي الأسطونين اللذين ستقوم عليهما القيصرية. وبالتالي، تطلب خلاص الإمبراطورية إلغاء كل شيء ليس روسياً ولا أرثوذكسياً. ولتحقيق هذه الغاية، خضعت كل المجموعات القومية والدينية لسياسة الروسنة القسرية. هذه السياسة التي دُشِّنت في عهد ألكسندر الثالث، لم يتم التخلي عنها بالكامل في عهد نيقولا الثاني (Nicholas II).[2]

إن الموقف المقاوم الذي أظهرته بعض القوميات التي دافعت روسيا عن قضيتها بثبات ضد الترك قد أعطاها سبباً جدياً للقلق. فالصد العنيف الذي عانت روسيا منه على يد البلغاريين عام 1885، الذي كان مدمراً على السواء لمصالحها ومكانتها، كان نتيجة تطرف قومي اتخذ طابعاً متحدياً متزايداً.[3]

---

(1) م ن، 391، 393.

(2) م ن، 409-14، و393-394؛ انظر أيضاً لُبانوف - رستوفسكي، روسيا و آسيا، م س رقم 138.

(3) عن موقف بلغاريا تجاه روسيا ودور ستيڤن ستامبولوفّ، انظر ماريوت، المسألة الشرقية، 399 وما يليها و362، م س رقم 150.

وعلى غرار ذلك، كانت المقاومة الأرمنية لسياسات الروسنة مظهراً جلياً لتأكيد الذات القومية.[1]

غني عن القول، إن سلوك كل من البلغار والأرمن كان مصدراً لخيبة أمل عميقة للروس، الذين لم يستطيعوا إلّا أن يعدّوا ذلك نكراناً شديداً للجميل. فبلغاريا، التي كانت تخدم جسراً لروسيا إلى إسطنبول، غدت حاجزاً بدلاً من ذلك. لكن بلغاريا كانت سابقة في الوجود، ولم تكن جهود روسيا باسمها سوى للتذكير. أما أرمينيا، التي لم تتعافَ بعد وتناضل من أجل الوجود، فلم تكن محظوظة. فقد عزم الروس هذه المرة على ألّا يسمحوا لدولة قومية أرمنية تقف بينهم وبين الأجزاء الرئيسة الأخرى في الإمبراطورية العثمانية إلى الجنوب. ولخصت كلمات القنصل الروسي الأمير لُبانوف: «لا نريد بلغاريا أرمنية»[2] سخط روسيا من عودة الأحداث في بلغاريا وأرمينيا. يمكن أن يكون لتنامي النشاطات الثورية والإرهابية بين الأرمن في تركيا، في وقت كانت فيه روسيا ذاتها مضطربة جراء نشاطات مماثلة، قد زاد من حيف السلطات القيصرية ضد الأرمن وقضيتهم.

توجت السياسات، التي هدفت إلى روسنة الأرمن في المرسوم الصادر عام 1903 الذي حكم بمصادرة أملاك الكنيسة الأرمنية الوطنية وإغلاق المدارس الأرمنية، جملة إجراءات جعلت الأرمن يسخطون بمرارة. ووُجِّه اللوم في المذابح والمذابح المضادة التي انخرط فيها الأرمن والتتار في باكو خلال العقد الأول من القرن العشرين إلى فساد العلاقات بين الروس والرعايا

---

(1) م ن، 398-99.

(2) م ن.

الأرمن.[1] لكن هذه المرحلة البائسة في العلاقات الروسية الأرمينية لم تدم طويلاً. إذ يبدو أن التطورات الدولية أقنعت الطرفين بأن استئناف علاقاتهما الودية السابقة هو في مصلحتهما.

المبادرات الروسية للإصلاحات الأرمنية

في 10 تشرين الأول/ أكتوبر، عـام 1912، حثّ حاكم القوقاز ممثل القيصر الكونت إيلاريون إيڤانوڤيتش ڤورنتسوڤ - داشكوڤ (Count Illarion Ivanovich Vorontsov-Dashkov) القيصر على اتباع سياسة أرمينية نشطة. وفي تقرير سُلّم إلى حكومته، قال: «إن تدخلاً صريحاً لحماية الأرمن الترك أمر جوهري، ولا سيما في الوقت الحاضر...لتحضير السكان المتعاطفين، الذين، وفاقاً للأوضاع في الوقت الحاضر، قد يجدون أنفسهم، شاؤوا أم أبوا، ضمن مجال عملياتنا العسكرية.»[2]

وبعد أكثر من سنة قليلاً، قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى، أخذت روسيا المبادرة في إعادة فتح مسألة الإصلاحات في أرمينيا التركية مع القوى الأوروبية. وقد أعربت فرنسا وبريطانيا عن تعاطفهما مع موقف روسيا وأعلنتا رغبتيهما في دعم هذا المشروع، لكن يبدو أن ألمانيا انضمت إلى القوى الأخرى في النهاية بفتور شديد. وفي كل المفاوضات التي تلت قيل إن ألمانيا دافعت بشدة عن وجهة نظر تركيا والتأكيد على أن القوى «يجب ألّا تتجاهل

(1) لمناقشة العلاقات الروسية - الأميركية في ذلك الوقت، انظر سركيس أطاميان، الجماعة الأرمنية: التطور التاريخي لنزاع اجتماعي وأيديولوجي، 114-117 (بالإنكليزية، مرجع 11). وعن المذابح الأرمنية التاتارية، انظر لويجي ڤيلاري، النار والسيف في القوقاز (بالإنكليزية، مرجع 266).

(2) مجلة كراسني أرخيف 26 (1928)، 118-119، مذكورة في كتاب والتر كولارتز، روسيا ومستعمراتها، 215 (بالإنكليزية مرجع 117).

مصالح الكرد.»[1] وبعد دراسات مطولة تمَّ توقيع الاتفاقية الأرمينية التي مثَّلت نسخة مخففة عن المقترحات الروسية عام 1914.[2]

بروز سياسة روسية أكثر فعالية تجاه الكرد

عند منعطف القرن العشرين، يبدو أنه كان على روسيا في النهاية أن تدشن سياسة كردية أكثر جرأة تشمل هدفاً مزدوجاً يكسب الكرد ويديرهم ضد حكامهم الترك والفرس، وقد استخدم المال والسلاح والوعود لنشر الفوضى والتمرد المثير للاضطراب. وهكذا، حرّض الروس على غارات السلب والنهب التي قام بها سِمكو آغا في شكاك على الأراضي التركية[3] والتمرد في بدليس [4] كما قيل.

قدم بروز النزعة القومية الكردية فرصة غير مسبوقة للنشاط السياسي الروسي بين الكرد حيث تم التحكم بها بحماسة واستخدمت بحكمة. فقد

---

(1) سازونوف، وزير الخارجية الروسي، دافع عن أنه بالرغم من صداقة ألمانيا المعلنة لتركيا وموقفها القوي لمصلحة ذلك البلد خلال تلك المفاوضات، فموقفها قد تأثر باعتبارات أخرى. وفاقاً له، «في رأي سفيرنا، امتعاض الهير فون غوغوف (Herr Von Gogow) كان بسبب واقع أن الحكومة الألمانية نفسها كان مأمولاً منه أن يطرح مسألة الإصلاحات الأرمنية، وبالتالي لم تستطع أن تكون مسرورة لترى نفسها محبطة في تلك الغاية.» سرغي دميتريفتش سازونوف، السنوات المصيرية، 141-146 (بالإنكليزية، مرجع 232).

(2) من أجل رواية أكثر تفصيلًا تقدم الرواية الرسمية للمفاوضات وتوقيع الميثاق الأرمني، انظر روسيا، وزارة الشؤون الخارجية، سبورنيك الوثيقة الدبلوماسية: الإصلاح والأرمن، 15 (بالروسية، مرجع 354).

(3) مورغان فيليبس برايس، «روسيا والكرد،» 15 (بالإنكليزية، مرجع 208).

(4) يالمان، تركيا في الحرب العالمية، 209 (بالإنكليزية، مرجع 281).

شجعت روسيا الحركة القومية الكردية بقوة،[1] ولم يتردد القادة الكرد، الذين لم يشعروا بالرضا، من السعي إلى المساعدة الروسية واللجوء السياسي.[2] ووفرت النزعة القومية الكردية سلاحاً مناسباً لنشاطات الكثير من القادة الكرد المؤيدين للروس. وأخذت تلك النشاطات ذاتها، التي كانت ستُعَدّ، قبل عقود قليلة فقط، أقل قليلاً من عمل خيانة وطنية، تحظى عندئذٍ بطابع بطولي نبيل في عيون الكثير من الكرد.

بعد الاحتلال الروسي لأذربيجان الفارسية، تم الدخول التدريجي إلى كردستان من تلك المراكز التي يهيمن عليها الروس مثل أورميا[3] ومناطق ماكو - خوي.[4] وفيما اكتسبت النشاطات الروسية القدرة على الحركة منذ عام 1910 فصاعداً، تطلع عدد متزايد من شيوخ القبائل الكردية في المناطق الحدودية وما بعدها إلى الروس من أجل الدعم.[5] وكما يوضح ستيفن همسلي لونگريگ (S. H. Longrigg): «لم يكن آل سعيد نهري إضافة إلى الشيخ عبد السلام بارزاني وزعماء جاف والأمراء (الملوك) الآشوريين وأساقفتهم وحيدين في الحفاظ على صلات معهم.»[6]

لم تكن الأهداف النهائية لهذه السياسة واضحة تماماً. قيل إن عبد الرزاق بدرخان قد ذهب إلى سانت بطرسبرغ عام 1909 بمشروع لدولة مستقلة في

(1) إ. و. ت. نوئيل، ملاحظة عن الوضع الكردي، 11، م س رقم 351.

(2) أمثلة على الشخصيات ذات المكانة الرفيعة هي عبد الرزاق بگ بدرخان، وكامل بگ بدرخان، والسيد طه نهري، وآخرون ممن تم التعامل مع نشاطاتهم.

(3) لونگريگ، العراق، 1900-1950، 67، م س رقم 141.

(4) پرايس، «روسيا والكرد،» 15، م س رقم 208.

(5) لونگريگ، العراق، 1900-1950، 67، م س رقم 141.

(6) م ن.

كردستان.[1] ولسوء الحظ لا نمتلك معلومات عن رد الفعل الروسي الرسمي على هذا المشروع. يؤكد بازيل نيكيتين (Basile Nikitine) القنصل الروسي السابق في أورميا وصاحب السلطة البارز على الكرد أن الحكومة الروسية لم تدعم هذه الخطة قطّ. وفي رسالة إلى محرر صحيفة مانشستر غارديان في عام 1950، أنكر بشدة أن تكون حكومته قد أيدت إنشاء حكومة كردية مستقلة.

في هذه الرسالة، دافع نيكيتين عن أنه لا يمكن القول إنه كان لدى روسيا القيصرية ما يمكن أن يُعَدّ سياسة كردية. وفي دعم هذا التأكيد، أوضح أن الجيش القوقازي الروسي، خلال الحرب العالمية الأولى، «لم تكن لديه خرائط دقيقة لكردستان، ولا معرفة باللغة الكردية، إلخ.»[2] علاوة على ذلك، أشار إلى أن القنصل الروسي في أورميا، لم يتلقَ أية تعليمات قط حول كيفية التعامل مع الكرد. واختتم برهانه بالقول: «أنا ميال إلى الاعتقاد بأنه، بعكس قضية الأرمن وبطريقة ما النساطرة، لم يكن لدى وزارة خارجيتنا بالإضافة إلى نائب القيصر في تبليسي سياسة كردية محددة.»[3]

وجهة نظر أخرى معاكسة عبّر عنها قبل ثلاثين سنة الرائد إدوارد وليم تشارلز نوئيل (E. W. C. Noel)، وهو ضابط استخبارات بريطاني كان مهتماً جداً بالنشاطات الروسية في الشرق الأوسط وأحد الخبراء البريطانيين البارزين في الشأن الكردي. في تقرير مؤرخ في تموز/ يوليه، عام 1919، زعم الرائد نوئيل أنه اطلع على وثائق رسمية روسية محددة في تبليسي خلال الحرب، تلقي ضوءاً مثيراً للفضول على جوانب معينة من سياسة روسيا في كردستان «من الوثائق التي وصلت إليها عند هيئة الأركان العامة الروسية في تبليسي

(1) بازيل نيكيتين، رسالة إلى المحرر، مانشستر غارديان، 21 أيلول/ سبتمبر، عام 1950 (بالإنكليزية، مرجع 190).

(2) م ن.

(3) م ن.

عام 1917، تكون لديّ انطباع أنها كانت تبغي استخدام الكرد ضد الأرمن، وأنه لم تكن هناك نية لإعطاء الأرمن كلمة أقوى في القضايا التي تعود إلى تلك المناطق التي يزعم الأرمن أنها لهم، في حين كانت كردية في الغالب.»[1]

أكد نوئيل على إمكانية استعادة روسيا عافيتها وانبعاث اهتماماتها في كردستان وهو يكتب في وقت كانت فيه لا تزال تعاني من دمار الحرب والثورة. وأشار إلى أن روسيا شجعت كثيراً الحركة القومية الكردية في الماضي. وتنبأ بأنها ستجمع خيوط سياستها القديمة حالما تصبح في موقع يمكنها من فعل ذلك. إن اهتمام روسيا الثابت في هذه المنطقة، وفاقاً له، ظهر في مطالب ممثلي الأميرال كولتشاك في باريس بالانتداب على أرمينيا.

كان نوئيل متأكداً جداً من انبعاث الاهتمام الروسي الحتمي في كردستان إلى درجة أنه حثّ حكومته على ألّا تضيع الوقت في تأسيس موقع بريطاني في تلك المنطقة: «في نظرة إلى الصلة الوثيقة بين بلاد ما بين النهرين وكردستان وانضمام الكثيرين من الكرد إلى إدارتنا في بلاد ما بين النهرين، يبدو الأمر مهماً جداً أن علينا أن نعرقل روسيا في كردستان، من خلال المساهمة في حل لهذه المسألة يطوق ميدان عملها هناك.»[2]

تأثير العلاقات السوڤياتية التركية

في سياسة الاتحاد السوڤياتي الكردية

تأثر موقف الاتحاد السوڤياتي تجاه الكرد في الفترة التي تلت الحرب العالمية الأولى بعدد من الاعتبارات الدولية. فالخوف من الحلفاء، ولا سيما

---

(1) إ. و. ت. نوئيل، ملاحظة عن الوضع الكردي، 11، م س رقم 351.

(2) م ن.

بريطانيا العظمى، والشك بنيّاتهم كان قوياً في روسيا. وكانت تركيا الكمالية تحت وطأة مخاوف وشكوك مماثلة. وقد قربت المخاطر التي واجهها النظامان بينهما، ودشنت حقبة من العلاقات الطيبة والتعاون المتبادل الذي يحقق الفوائد للبلدين. قدم الاتحاد السوڤياتي لتركيا الكمالية المواد التي تحتاج إليها بشدة والدعم الأخلاقي.[1] وعززت صداقة تركيا لروسيا، في وقت لم يكن لدى الأخيرة إلّا قلة من الأصدقاء، مكانة الاتحاد السوڤياتي في العالم الإسلامي.[2] علاوة على ذلك، وفرت الصداقة التركية القومية القوية الحماية لجناح روسيا الجنوبي.

لكن هذه الصداقة المتينة، كما يمكن أن تبدو على السطح، لم تخلُ من ضغوط وتوترات داخلية. فمؤتمر لوزان، حيث خدم وزير الخارجية السوڤياتي، شيشرين، تركيا ببراعة، كشف عن التعارض الأساسي بين أهداف الدولتين وأغراضهما. فقد أحبِط الروس وغضبوا من واقع أن الترك فاوضوا بشكل منفصل على المضائق في المؤتمر. ولم يلقَ مطلب السوڤيات بأن يعاد التفاوض على المسألة كلها في لجنة فرعية اهتماماً، وتجاهل الترك الإشارات السوڤياتية إلى المعاهدة السوڤياتية التركية الموقّعة في 16 آذار/ مارس، 1921. وفي الجزء الأول من شباط/ فبراير، عام 1923، ألقى عصمت پاشا (إينونو)، المندوب التركي الرئيس، خطاباً في المؤتمر عبَّر فيه عن موافقة تركيا على عدم عسكرة المضائق وأعلنها مفتوحة لسفن كل الأمم.[3] ولم يتأخر رد الفعل

(1) لويس فيشر، السوڤيات في القضايا الدولية: تاريخ العلاقات بين الاتحاد السوڤياتي وبقية العالم، 1: 391-392 (بالإنكليزية، مرجع 81).

(2) م ن، 394، 412.

(3) إدغار ترلنغتن، «تسوية لوزان،» المجلة الأميركية للقانون الدولي، 702 (بالإنكليزية، مرجع 263). راجع آرنولد جوزيف توينبي وكنيث بورتر كيركوود، تركيا، 111-25 (بالإنكليزية مرجع 261).

السوڤياتي في الوصول. حيث شنَّت الأممية الثالثة هجوماً على الحكومة التركية واتهمتها باضطهاد الشيوعيين.[1]

غير أن ذلك لم يكن إلّا نكسة موقتة، وسرعان ما جمعت تطورات أخرى البلدين معاً ثانية. فقد تمّ توقيع معاهدة روسية-تركية جديدة بعد يومين من منح ولاية الموصل إلى العراق عبر عصبة الأمم في 15 كانون الأول/ ديسمبر، عام 1925.[2] ومهَّد حدث آخر الطريق لاستئناف علاقات وثيقة بين البلدين هو ثورة الشيخ سعيد الكردية في مطلع ربيع عام 1925. كانت المسألة الكردية ذات أهمية بالغة لتركيا، وشكّ الترك بأن بريطانيا العظمى حرضت الكرد على التمرد. وفي هذا، يبدو أن كلاً من الروس والترك فكروا باتجاهات متماثلة. لخص فيشر (Fischer) وجهات نظر السوڤيات بشأن استخدام بريطانيا للكرد كأداة في السياسة البريطانية كما يلي:

> **اعتقدت موسكو بأن سياسة بريطانيا العظمى في ذلك الوقت تميل باتجاه إنشاء دولة كردية مستقلة أو تتمتع بشبه استقلال ذاتي، أو أن الإنكليز، في كل حال، كانوا يستخدمون الكرد لتحقيق أهدافهم الخاصة في الشرق الأدنى وبذر الشقاق بين بلاد فارس وتركيا. وقد اتهمت جريدة الإزڤستيا الموسكوڤية في 6 تشرين الأول/ أكتوبر، عام 1927، بشكل محدد أن الذهب البريطاني هو المسؤول عن الغارات الكردية من تركيا على بلاد فارس ومن بلاد فارس على تركيا. وشاركت أنغورا وجهة النظر هذه، ونقلت الصحافة الأناضولية ذلك على الهواء. وعموماً، كانت موسكو مقتنعة بأن العملاء الإنكليز**

(1) الإزڤستيا، شباط 14، عام 1923.

(2) فيشر. 2: 612، م س رقم 81.

استخدموا القبائل المتمردة في البلدان الشرقية أداة لممارسة الضغط على الحكومات التي تتشكل وهكذا ينجزون سياسات لندن أو دلهي.[1]

وتابع فيشر قوله إن الروس قد حاولوا أن يوضحوا هذه النقطة لمسؤولي الحكومتين التركية والفارسية، وأن الصحافة السوفياتية حذرت من مخاطر العداوة بين تركيا وبلاد فارس الناشئة عن أحداث الحدود الكردية التي حرض عليها البريطانيون.[2]

لا شك بأن الاتحاد السوفياتي استفاد من مخاوف تركيا من الدعم البريطاني للنزعة القومية الكردية واستمرت العلاقات الروسية-التركية ودية بقدر ما كانت المسألة الكردية هي المعنية، ولم يضيع الاتحاد السوفياتي فرصة في عرض دفاعه عن المصالح التركية. وكما سنصف في فصل لاحق، عرض الروس مساعدتهم من أجل تسوية الخلافات التركية الفارسية الناجمة عن التمرد الكردي في آكري داغ (آرارات) عام 1930. لكن خلال الثلاثينيات، وعلى الرغم من استمرار الصداقة الظاهرية، تسبب انزياح سياسات البلدين التدريجي في تباعدهما. فقد بدأت المخاوف، التي أقلقت العقول التركية منذ نهاية الحرب العالمية الأولى، تخف منذ أن غدت تركيا أكثر ثقة بذاتها وأكثر اطمئناناً لنيّات الدول الغربية الطيبة. وكان هذا الموقف المتغير أكثر انسجاماً مع سياسات الغربنة (westernization) التي اتبعتها تركيا منذ تأسيس الجمهورية.

وقد أشار اتفاق مونترو (Montreux) لعام 1936، الذي لم يتوافق مع المصالح الروسية، مرة أخرى، إلى أن تركيا وروسيا غير متفقتين في مسألة

---

(1) م ن، 2: 732.

(2) م ن، 2: 732-33.

المضائق البحرية الحيوية. وكانت تركيا تقترب أكثر إلى دولتي العراق وإيران (بلاد فارس سابقاً) المأهولتين بالكرد، وهو ميل توَّجه عقد ميثاق سعد آباد عام 1937. وقد غضب الروس بشدة من هذه الخطوة. فلن يخفق تكتل إسلامي كبير قرب حدود روسيا الآسيوية والأقاليم الإسلامية في إثارة هذا الشك والمخاوف. عَدّ الروس ميثاق سعد آباد، الذي هدف، بين أشياء أخرى، إلى إعاقة الانتفاضات الكردية، أنه ائتلاف ترعاه بريطانيا وتوجهه ضد الاتحاد السوڤياتي.

وفي الوقت ذاته، كان الاتحاد السوڤياتي قد بدأ بإظهار اهتمام متزايد بالكرد. فقد ابتكر الأكاديميون السوڤيات أبجدية لاتينية حديثة (غيرت لاحقاً إلى أبجدية سيريلية) للغة الكردية، واتخذت خطوات لإنشاء حركة أدبية وثقافية نشطة بين الكرد والاتحاد السوڤياتي. وانعقد المؤتمر اللغوي الكردي، في تموز/ يوليه، عام 1934، في يريڤان.[1]

بدأ الكرد، الذين تجاهلتهم السلطات حتى ذلك الوقت في كل من أذربيجان السوڤياتية وأرمينيا السوڤياتية، يسترعون أهمية جديدة. وفاقاً لمصدر سوڤياتي، أخفقت الجمهوريتان القوقازيتان، ليس فقط في تطوير الرفاهية المادية والثقافية للكرد، بل في «فهم أهمية الكرد ضمن إطار السياسة السوڤياتية البعيدة النظر في الشرق الأوسط أيضاً.»[2] وفي عام 1936، انتقدت

---

(1) بيير روندو، «الأبجدية الكردية في الحروف اللاتينية لأرمينيا السوڤياتية،» مجلة الدراسات الإسلامية، 411-17 (بالفرنسية، مرجع 220). انظر أيضاً روندو، «تبني الأحرف اللاتينية والحركة المثقفة في كرد الاتحاد السوڤياتي،» مجلة الدراسات الإسلامية، 87-96 (بالفرنسية، مرجع 219).

(2) الثورة والقومية، عد. 80، تشرين الأول/ أكتوبر، عام 1936: 55-60، استشهد به كولارتز، 251 (بالإنكليزية، مرجع 117).

الحكومة الشيوعيين الأرمن بقسوة لجهلهم ما يخص معيشة الكرد في جمهورية أرمينيا الاشتراكية السوفياتية واتهمتهم بممارسة سياسات عرقية وشوفينية.[1]

لكن روسيا لم تظهر اهتمامها بالقضايا الكردية حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية والاحتلال الروسي لشمالي إيران. وبعد الحرب، حثَّ الاحتكاك مع الكرد الساخطين، والطاقات التي لا تهدأ، والطموحات التي أطلقتها ولادة القوة الروسية الجديدة بعد هزيمة المحور، الروس على استئناف سياستهم الكردية القديمة.

أعطى الاهتمام الروسي بالكرد بلا شك حافزاً كبيراً لفساد العلاقات الروسية-التركية الذي بدأ في القسم الأخير من الحرب العالمية الثانية واستمر بعدها. ففي ربيع عام 1945، أنهى الاتحاد السوفياتي المعاهدة الروسية-التركية للصداقة والحياد. وبعد ذلك بوقت قصير قدم السوفيات مطالب بأراضٍ غير رسمية في مناطق محددة في أقاليم تركيا الشرقية وطلبوا مراجعة اتفاقية مونترو. هذه التطورات التي ترافقت مع دعم الاتحاد السوفياتي الصريح للنزعة القومية الكردية، حثت تركيا بلا شك على أن تأخذ موقع القيادة في تشكيل حلف بغداد مع العراق وإيران. وقد أكملت هذه الحركة التباعد بين الروس والترك.

غدا الاتحاد السوفياتي، الذي أدرك منذ زمن طويل أهمية الكرد، عندئذ، عازماً على استخدامهم أداة مثيرة للاضطراب ضد الحكومات الموالية للغرب في تركيا والعراق وإيران. وقد ترافق عدم افتتان الكرد بالغرب عموماً وإنكلترا خصوصاً، مع كراهيتهم للدول الثلاث في حلف بغداد حيث يعيش معظم

(1) م ن.

الكرد، ومن الطبيعي أن يلعبوا دوراً يتماشى مع توجهات سياسة السوڤيات. ولم يدع الموقف السوڤياتي خلال تمرد البارزاني في العراق (راجع الفصل 13)، وإنشاء جمهورية مهاباد في إيران (راجع الفصل 15) مجالاً للشك في ما يخص النيّات الروسية المستقبلية في هذه المنطقة.

الفصل السابع

الكرد والحرب العالمية الأولى

تأثيرات الحرب في الشعب الكردي

جلبت الحرب العالمية الأولى الكثير من المعاناة والخسائر الفادحة للشعب الكردي. ولأن الوطن الكردي الأم قُدِّر له أن يقع على طول حدود الإمبراطوريتين العثمانية والروسية، فقد وقع في طريق الجيشين المتحاربين، وغدا قسم كبير من أراضيه ساحة معركة منذ الأشهر الأولى للحرب. ولم يكن ذلك صحيحاً في كردستان التركية وتلك الأراضي الكردية التي تقع ضمن الأراضي الروسية فحسب، بل في كردستان الفارسية أيضاً.[1] وامتد مسرح العمليات من صاري كامش في الشمال إلى خانقين في الجنوب ومن بلد الموكري في الشرق إلى أرضروم وأرزنجان في الغرب. وقد انتقلت مناطق

---

(1) عن اندلاع الأعمال العدائية في بلاد فارس ومشاركة الكرد والفرس في الحرب، انظر السير پيرسي سايكس، تاريخ بلاد فارس، مجلدان، 436 وما يليها (بالإنكليزية، مرجع 254)؛ وغوستاف ديمورني، المسألة الفارسية والحرب، التنافس الأنكلو - روسي في بلاد فارس، 284 ومايليها (بالفرنسية، مرجع 49).

عديدة من سيطرة إلى أخرى، مع نتائج كارثية على السكان. ويبدو أن كلا الطرفين لا بد يتحمل إثم التجاوزات. لم يكن هذا مفاجئاً، إذا أخذنا العواطف التي تنفخ الحياة في المتحاربين بالحسبان. فالحماسة التي ولّدها الجهاد بين القوات التركية كانت تضاهيها عاطفة مماثلة بين الوحدات المساعدة الأرمنية والآشورية التي خدمت مع الجيش الروسي.

لقد سببت الحرب مطالب شديدة الوطأة على القوة البشرية الكردية. وعدد الكرد الذين انخرطوا في الحرب ليس من السهل تحديده. لكن، فكرة ما عن عددهم يمكن الحصول عليها من التقدير التالي الذي قام به المؤرخ الكردي محمد أمين زكي الذي حمل رتبة عالية في الجيش التركي.[1] فوفاقاً له، الجيشان، الجيش الحادي عشر بمقره العام في خاربوط والجيش الثاني عشر بمقره العام في الموصل، كانا من الكرد بالكامل. بالإضافة إلى ذلك، فإن معظم الضباط والرجال في الجيش التاسع، المتمركز في أرضروم، والجيش العاشر المتمركز في سيواس كانوا كرداً. وقاد الكرد أيضاً 135 سرية من الخيالة الاحتياط بالإضافة إلى عدد من وحدات الحدود ومجموعات كاملة من رجال الدرك وقوى الأمن.[2] وقد استجاب متطوعون كثر من القبائل الكردية للجهاد، بمن فيهم هؤلاء الذي قاتلوا تحت قيادة الشيخ محمود وقادة كرد آخرين في معركة الشعيبة في جنوب بلاد الرافدين.[3] وقاتلت قوات قبلية كبيرة ضد الجيش الروسي في كل من تركيا وشمال غرب بلاد فارس. ويقدر

(1) لرواية موجزة عن سيرة زكي المهنية، خلاصة تاريخ الكرد، 469-72، م س رقم 314.

(2) م ن، 274.

(3) م ن. قُدِّرت هذه القوات القبلية بنحو ألف مقاتل. بِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 4، م س رقم 317.

زكي العدد الإجمالي للإصابات في القتال من الكرد بثلاثمائة ألف إصابة.[1]

وعدد الكرد الذين قتلوا جراء الحرب أو المذابح يضاهي، إن لم يتجاوز، عدد هؤلاء الذين ماتوا من البرد والمجاعة والطاعون. فقد افتقر الجيش التركي العامل في كردستان إلى الإمدادات ووسائل النقل المناسبة وعاش بعيداً عن السكان المحليين. أجبرت السلطات العسكرية الناس على بيعها الأغذية والمواد التموينية الأخرى بأسعار منخفضة جداً، غالباً ما دفعت مقابلها أوراقاً نقدية لا قيمة لها وفي بعض الأوقات لجأت إلى المصادرة المباشرة.[2] ونتيجة لهذه الممارسات، هرب الكثير من المزارعين والرعاة الكرد إلى مناطق نائية مع نتاجهم وقطعانهم. وهكذا، انقطع تدفق المؤن إلى المدن والقرى، الأمر الذي أدى إلى القلة والمجاعة بين كل من المدنيين وأفراد القوات المسلحة. عانت الجيوش العثمانية الثاني والثالث والسادس بشدة من المجاعة والمرض، والجيش الثالث، على وجه الخصوص، أهلك وباء التيفوس القسم الأعظم منه.[3] وكانت معاناة المدنيين أشد وطأة. فعام 1917، خبرت منطقة السليمانية مجاعة شديدة، قيل إنها أدّت إلى وفاة 70 % من السكان والجنود في تلك المنطقة.[4]

اتسمت إدارة العمليات العسكرية، في كل من الجيشين في كردستان

---

(1) زكي، خلاصة تاريخ الكرد، 274-75 م س رقم 314.

(2) م ن، 277-278.

(3) م ن، 278.

(4) م ن، 279. تبعاً لسون، عدد سكان السليمانية كان يُقدَّر بنحو عشرين ألف نسمة في تشرين الثاني/ نوفمبر، عام 1914، انخفض إلى 2500 نسمة بحلول تشرين الثاني/ نوفمبر، عام 1918، عندما احتل البريطانيون المدينة. كان الجوع والمرض يقتلان السكان الأحياء بسرعة. انظر العراق (الإدارة البريطانية)، مكتب المفوض المدني، تقرير إداري عن إقليم السليمانية للعام 1919 (بالإنكليزية، مرجع 346).

التركية والفارسية، بانعدام شديد للرحمة، ولم يظهر المحاربون إلّا القليل، إذا أظهروا أي اهتمام بحياة الناس المحليين وأرزاقهم. وقد تفاقمت درجة الدمار الواسعة وبؤس الناس بتبدل مغامرات الحرب. وترافق تبادل تقدم الجيشين المتحاربين وانسحابهما، بشكل حتمي، مع أعمال القتل والاغتصاب والتدمير. مناطق كثيرة في كل أرجاء كردستان أضحت يباباً وهلك معظم سكانها.

بعض الأمثلة تعطي فكرة ما عن الخسائر الفادحة التي تحملها الكرد خلال الحرب. عندما دخل الروس إلى منطقة بايزيد - الشكرد في كردستان الشمالية في كانون الأول/ ديسمبر، عام 1914، قيل إنه لم ينجُ إلّا عشر السكان من ضراوة الوحدات الأرمنية المنضوية تحت لواء الجيش الروسي.[1] وبعد اندلاع الثورة الروسية وانهيار الجيش الروسي في عام 1917، ذبحت الفرق الأرمنية المسلحة التي تحررت من سلطة الضباط الروس التي قيدتها، عدداً كبيراً من الكرد في منطقة أرضروم - أرزنجان.[2] ولقيت المصير عينه مناطق أخرى في كردستان الشمالية، مثل ڤان (وان) وبدليس وموش.

عانت منطقة أخرى هي منطقة شمدنيان - راوندوز في وسط كردستان كثيراً خلال الحرب. لم يبقِ الحريق من مائة قرية لقبيلة البالك سوى ثلاث أو أربع، ومن ثلاثين قرية ونيف في قسم الرواندك في برادوست، «لم يبق رجل

---

(1) يالمان، 218-19، م س رقم 281.

(2) جمال پاشا، أحد الرجال الأقوياء الثلاثة الذين حكموا تركيا خلال الحرب، قدّم رواية مفصلة، لكنها منحازة عن تلك الأحداث. انظر جمال (أحمد) پاشا، مذكرات رجل دولة تركي، 1913-1919، 280 (بالإنكليزية، مرجع 52). زعم أن الأرمن قتلوا 1.5 مليون تركي وكردي. يالمان، في كل حال، اعتبر أن هذا الرقم مبالغ فيه كثيراً وأكد أنه لا يمكن أن يتعدى أربعين ألفاً. يالمان 221-22، م س رقم 281.

ولا امرأة ولا طفل.»[1] وبالنسبة إلى قبيلة برادوست، دمر الروس أو الترك اثنتين وخمسين قرية من ثمانين قرية برادوستية كانت موجودة قبل الحرب، وتقلصت عائلات القبيلة الـ1080 إلى 157 عائلة.[2] وقيل إن قبيلة كوّرك التي كانت تعد 150 عائلة قبل الحرب لم يبقَ منها سوى سبع عائلات بحلول عام 1919.[3] وحُكِيَ أيضاً عن أن 250 منزلًا في نهري لم يبق منها إلاّ سبعة منازل، في حين أن 2000 منزل في راوندوز لم يبقَ منها إلّا ستين منزلاً في نهاية الحرب.[4] كانت هذه الخسائر المؤلمة في الحياة نتيجة المجاعة والتيفوس ووباء الأنفلونزا الكبير في عام 1919، بالإضافة إلى العمليات العسكرية.[5]

عانى سكان خانقين والريف المحيط بها، الذين وقفوا إلى جانب الترك ضد التقدم الروسي في عام 1916، من صعوبات كثيرة خلال الاحتلال الروسي لتلك المنطقة من نيسان/ أبريل إلى حزيران/ يونيه، عام 1917.[6] فقد وضع الجيش الروسي اليد على القطعان والمواد الغذائية، وتدخل في الزراعة

(1) إ. و. ت. نوئيل، ملاحظة على الوضع الكردي، 5، م س رقم 351.

(2) كنيث ماسون، «كردستان الوسطى،» المجلة الجغرافية 54، عد. 6 (1919): 339 (بالإنكليزية، مرجع 152).

(3) م ن، 329.

(4) م ن، 330. أكد ماسون،331، م س رقم 152 أن الوحدات الأرمنية الملحقة بالقوات الروسية تحت قيادة الجنرال تشيرنوزوبوف قتلت خمسة آلاف رجل وامرأة وطفل في راوندوز. لكن، هذا التأكيد يدحضه بازيل نيكيتين، القنصل الروسي في أورميا، الذي رافق الجيش القوقازي في غزوه لكردستان الوسطى. انظر نيكيتين، «نظام الطرق في كردستان،» 363-85 (بالفرنسية، مرجع 198).

(5) مانسون، 330-31، م س رقم 152.

(6) بِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 44-46، م س رقم 317. للمزيد من المعلومات عن الهجوم الروسي على منطقة خانقين عام 1916، انظر إي. جي. آر.، 2، وغودفري رولز درايفر، «المسألة الكردية،» 107 (بالإنكليزية، مرجع 54).

والري، واعتدى على الأفراد ونهب ممتلكاتهم. وعندما أصبح الطعام قليلاً وتفاقم الجوع وقُطِعت الطرق، فرّ عدد كبير من الأشخاص إلى المنطقة التي يحتلها الترك.[1] وقد عزت مصادر بريطانية معاصرة عديدة تصرف القوات الروسية في منطقة خانقين إلى انهيار روحها المعنوية نتيجة الثورة في الوطن.[2]

في نهاية حزيران/ يونيه، عام 1917، جلا الروس من منطقة خانقين، وفي الحال احتلتها القوات التركية، وهذه الأخيرة، التي استخدمت طرقاً قاسية غير عادية في الحصول على الطعام والحاجات الأخرى، استكملت تدمير هذه المنطقة.[3] جلبت هزيمة القوات التركية الرئيسة شمال بغداد، الأمر الذي أدى إلى انسحاب تركي عام، البريطانيين إلى خانقين في كانون الأول/ ديسمبر، عام 1917. وهناك وجدوا السكان في وضع صعب للغاية. ووفاقاً لمصدر رسمي بريطاني، «لم يواجهنا في أي مكان في بلاد الرافدين أي شيء يمكن أن يقارن بالتعاسة التي رحبت بنا في خانقين. فالبلد، الذي حصد غلاله الروس، عمل الترك بجهد على التقاط كل ما تبقى فيه، وعندما انسحبوا، تركوه ملكاً مشاعاً للجوع والمرض.»[4]

---

(1) لوصف مفصل لأعمال السلب والنهب التي قامت بها القوات الروسية في منطقة خانقين انظر إي. جي. آر.، 3 وبِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 44-45، م س رقم 317.

(2) بِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 45، م س رقم 317، وإي. جي. آر.، 4.

(3) بعد عودتهم إلى منطقة خانقين-قزل-رباط، يقال إن الترك أعدموا عدداً من الشخصيات المرموقة المحلية، بمن فيهم عدد من عائلة بارزة في السليمانية، لإرسالهم قطعانهم شمالاً إلى الزاب الأصغر. انظر بِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 46، م س رقم 317.

(4) م ن. لمزيد من التفاصيل عن معاناة سكان هذه المنطقة، الذين يبدو أنهم تقلصوا بسبب الهروب والمرض إلى ثلث عددهم قبل الحرب. انظر العراق (الإدارة البريطانية)، تقارير الإدارة لعام 1918 عن أقاليم ومحافظات الأراضي المحتلة في بلاد الرافدين: 1 مقاطعة خانقين، 32-34 (بالإنكليزية، مرجع 341).

وعلى الرغم من حياد بلاد فارس، أصبحت كردستان الفارسية ساحة معركة بعد وقت قصير من اندلاع الأعمال العدائية بين روسيا وتركيا. ونتيجة للأساليب القاسية التي استخدمها الجيشان، لحق الخراب بالمناطق كلها وخضع السكان لحالة من التعاسة المهينة. حُرم الكثير من هؤلاء، الذين لم يُقتَلوا في سياق القتال، من الطعام والمسكن، ومات آلاف الناس بسبب الجوع والمرض. يقدم الوصف التالي فكرة عن الوضع الصعب في كردستان الفارسية خلال الحرب:

> **دمرت القرى بعبور الجيوش الروسية والتركية. قُطِعت روافد السقوف وكل الأشياء الخشبية واستخدمت وقوداً وأكمل مطر الشتاء وثلجه تدمير الجدران الطينية غير المحمية. لقد اتسعت الحقول غير المحروثة، وإذا بقي أي رجال، فكان ذلك لأنهم هزلوا جداً بسبب الجوع ولم يعودوا قادرين على الهرب. لكن في الواقع، لم يكن ثمة ملاذ أكيد لهؤلاء الذين فروا، ليس في كردستان الفارسية وحسب، بل في كل الإمبراطورية الفارسية لأنها كانت في قبضة المجاعة.**[1]

في نهاية الحرب، بعد أربع سنوات من العنف والتدمير المنفلت من عقاله، كانت المنطقة كلها على شفير الخراب. تدفق آلاف الكرد المرضى والجوعى إلى أورميا في بحث عن الطعام والملجأ. كان حال هؤلاء اللاجئين مثيراً للشفقة إلى درجة أن أعداءهم اللدودين السابقين، الآشوريين، تأثروا لحالهم وقدموا لهم المساعدة التي كان بإمكانهم أن يقدموها ويدافعوا عن قضيتهم أمام لجنة الإغاثة الأميركية. ووفاقاً لأحد شهود العيان الأميركيين «شارك الآشوريون بيوتهم وحصصهم الصغيرة من الحبوب مع الكرد المتضورين جوعاً والمنسحقي القلوب. واتحد رجال الدين الآشوريون

(1) بِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 47، م س رقم 317.

جميعاً، من البطريرك والأسقف إلى راهب الدير في عرائض إلى الأميركيين يطلبون أن ترسل إغاثة إلى الكرد الذين يعانون، الأصدقاء والأعداء سواء.»[1]

وحدثت أعمال اجتثاث كبيرة من الجذور للسكان الكرد خلال الحرب. فبالإضافة إلى هؤلاء الكرد، الذين فروا من منازلهم في كردستان التركية عند اقتراب الجيش الروسي، يبدو أن السلطات العثمانية نظمت أعمال تهجير واسعة. يلخص أحد الفرمانات التي وقعها السلطان محمد الخامس خطة لتهجير السكان الكرد وإعادة توطينهم. كان يجب، وفاقاً لهذه الخطة، تمزيق الكرد إلى مجموعات صغيرة وإسكانهم في مناطق معينة في الولايات التي تتكلم اللغة التركية في غربي الأناضول، حيث يجب ألّا يتجاوز عددهم 5 % من مجموع السكان. وكان يجب إسكان الرجال الكرد ذوي المكانة المرموقة وشيوخ القبائل في المدن أو البلدات، وقطع صلاتهم مع أتباعهم بشكل صارم.[2]

ووفاقاً لبله ج شيركوه، تشير سجلات إدارة اللاجئين التركية إلى إجبار سبعمائة ألف كردي على مغادرة بيوتهم. وتروي المصادر الكردية أن أغلبية هؤلاء الأشخاص ماتوا جوعاً وبرداً ومرضاً قبل وصولهم إلى مقاصدهم المختلفة.[3]

(1) وليم توماس إلّيس، القاضي اليانكي: كونه وصفاً للخدمات المقدمة في بلاد فارس بقلم وليم شِد خلال الحرب العظمى وقبلها (بالإنكليزية، مرجع 68). القنصل الروسي في أورميا، بازيل نيكيتين، طلب أيضاً من لجنة الإغاثة الأميركية أن تفعل ما بوسعها لتخفف من معاناة الكرد. نيكيتين، الكرد، 297–298، م س رقم 187. قدمت اللجنة للكرد ما استطاعت من الطعام، لكنهم «ماتوا مثل الذباب ومع أننا حاولنا أن نساعدهم، قلما لامست جهودنا سطح تعاستهم.» شِد، 236–37، م س رقم 69.

(2) شيركوه، المسألة الكردية، 23، م س رقم 39؛ ث. بدرخان، حالة كردستان في مواجهة تركيا 32–33 (بالإنكليزية، مرجع 22)؛ أيضاً إ. و. ت. نوئيل، ملاحظة على الوضع الكردي، م س رقم 351، حيث تقدم مقتطفات من هذا القانون.

(3) المسألة الكردية، 23، ث. بدرخان، 32–33، م س رقم 22.

نشاطات القوميين الكرد خلال الحرب

أثبت اندلاع الحرب العالمية الأولى أنه أكثر تقييداً للقومية الكردية، حتى أكثر من الإجراءات القمعية التي مارستها تركيا الفتاة. فقد تراجعت الحركة القومية الكردية في تركيا إلى الوراء عندما طرح النزاع الكبير، الذي تورط فيه الكرد مبكراً، مطالب أصعب وأكبر من طاقاتهم ومواردهم. فتورطهم الكبير في مصير الأرمن المأسوي تركهم بلا خيار إلّا التعاون مع الترك لمواجهة المخاطر المشتركة في الحرب. لكن مجموعة صغيرة من القوميين الكرد كانت تعيش في المنفى استمرت بالعمل من أجل استقلال كردستان. عاد بعض أفرادها إلى إنكلترا وآخرون إلى روسيا، حيث كانت القوتان العظميان عندئذٍ في حرب ضد الإمبراطورية العثمانية.

في كانون الأول/ ديسمبر، عام 1914، عرض الجنرال محمد شريف پاشا خدماته على قوات الحملة البريطانية في بلاد الرافدين، بغرض الحصول على بعض التطمينات في ما يخص مستقبل كردستان بوضوح. وقد رُفِض طلبه لأن البريطانيين في ذلك الوقت لم يطرحوا على أنفسهم القيام بعمليات عسكرية في مثل هذه المنطقة النائية جداً.[1] وكما سنرى لاحقاً، سيجدد الجنرال شريف پاشا اتصالاته مع البريطانيين عند نهاية الحرب.

حافظ أعضاء أسرة بدرخان، ولا سيما عبد الرزاق بگ وكامل بگ بدرخان على علاقات وثيقة وودية مع الروس. يروى أن عبد الرزاق بدرخان، الذي صادف أن كان في باريس، في وقت ما بعيد ثورة تركيا الفتاة،

(1) إي. جي. آر.، 2؛ درايفر، كردستان والكرد، 77، م س رقم 57؛ بِلّ، استعراض للإدارة المدنية 60، م س رقم 317؛ آرنولد تالبوت ويلسن، ولاءات: بلاد الرافدين، 2: 1917–1920، 130 (بالإنكليزية، مرجع 275).

سبر الروس في ما يخص نيّاتهم في كردستان.[1] ويظهر عام 1916 أن كامل بدرخان كان منخرطاً بنشاط في الدفاع عن القضية القومية الكردية في تبليسي أمام الغراندوق (الأمير) نيكولاس، نائب الملك في القوقاز والقائد الأعلى للقوات في تلك الجبهة.[2]

خلال الاحتلال الروسي لشرقي تركيا عام 1917، عُيِّن كامل بدرخان والياً على أرضروم وعبد الرزاق بدرخان والياً على بدليس.[3] وجاء في التقارير أن الترك سمموا عبد الرزاق، الذي غدا ثاني شخصية بارزة في القضايا القومية الكردية بعد الحرب، في الموصل عام 1918،[4] في حين كان كامل لايزال في تبليسي في أيلول/ سبتمبر، عام 1919.[5] أما عضو الأسرة الآخر، ثريا بگ، الابن البكر لأمين عالي بدرخان فكان منخرطاً في النشاطات القومية الكردية في القاهرة، حيث أصدر صحيفة كردستان، بموافقة بريطانيا ودعمها من دون شك.[6]

في وقت ما قبل الحرب، ظهر الشيخ سعيد طه الثاني في علاقات رسمية مع الروس. فقد جاء في التقارير أنه سافر إلى روسيا وأنه كان يتكلم اللغة

---

(1) نيكيتين، الكرد، 195، م س رقم 187. بالنسبة إلى نيكيتين، كان عبد الرزاق بدرخان في سانت بطرسبرغ، عام 1909. نيكيتين، رسالة إلى المحرر. مانشستر غارديان، 21 أيلول/ سبتمبر، عام 1950، م س رقم 190. لا شك بأن التماس عبد الرزاق علاقات مع الروس قد تعزز بينما كان يعمل في السفارة التركية في سانت بطرسبرغ. إلفنستُن، «العزيزان،» 250، م س رقم 69.

(2) نيكيتين، الكرد، 195، م س رقم 187.

(3) إ. م. نوئيل، مفكرة...، 54-55، م س رقم 350.

(4) م ن، 63.

(5) م ن، 55.

(6) درايفر، كردستان والكرد، 113، م س رقم 57.

الروسية بطلاقة.[1] وفي أعقاب قضاء بعض الوقت في نوڤو رسّيسك، عاد الشيخ على ما بدا كمحمي من قبل الروس وأقام في قرية راژان في بلاد فارس، عبر الحدود التركية-الفارسية.[2] وتبعاً لتقرير بريطاني رسمي فإن الشيخ سعيد طه «لم يكن ببساطة يرتبط بعلاقة ودية مع الموظفين القنصليين الروس فحسب، بل كانت ثمة فكرة في وقت ما أنه ربما كان يُستخدَم رئيساً صورياً لكردستان مستقلة اسمياً تحت الرعاية الروسية.»[3] وتبعاً لتقرير بريطاني رسمي آخر ناقش نشاطات سعيد طه المؤيدة للروس قبل الحرب «حتى قبل الحرب كان يعمل من أجل استقلال كردستان تحت الحماية الروسية، لأن الروس كانوا الأكثر قدرة على حفظ النظام من الفرس.»[4] لكن، خلال الحرب، قادت رغبة سعيد طه بتملق الجانبين إلى السجن في أوقات مختلفة لدى كل من الترك والروس.[5] ولأنه حرص على الاحتفاظ بعلاقات طيبة مع الألمان، شك الروس بولائه، فدمروا بيته في نهري انتقاماً عندما عَبَرت قواتهم الحدود التركية-الفارسية في عام 1916.[6]

ويخبرنا نيكيتين أنه في نهاية عام 1917، استلم برقية من (جمعية إنقاذ كردستان) على شكل رسالة من سعيد طه. وفي هذه الرسالة، طُلِب من نيكيتين أن يرتب لقاء بين سعيد طه والقادة العسكريين الروس لوضع خطة

---

(1) و. ر. هيّ، عامان في كردستان، 353، م س رقم 101.

(2) وفاقاً لنيكيتين، كان بقاء سعيد في روسيا نتيجة اتهامات مؤكدة بعدم الولاء رُفعَت ضده أمام السلطات في إسطنبول من عمه ومنافسه اللدود الشيخ عبد القادر. نيكيتين، «الحكايات الكردية،» 154، م س رقم 188.

(3) بِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 65، م س رقم 317.

(4) درايفر، كردستان والكرد، 106، م س رقم 57.

(5) م ن.

(6) بِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 69، م س رقم 317.

عمل مشترك ضد الترك بهدف تحرير كردستان.[1] وأشار مصدر بريطاني رسمي إلى صلات الشيخ سعيد طه وعمّه الشيخ عبد القادر مع الممثلين الدبلوماسيين الروس في طهران وتبليسي، واستمر يقول: إن الشيخين «بذلا في الأيام الأولى للصراع كل ما في وسعهما من قوة لإحباط إستراتيجية فون دير غولتز (Von der Goltz) على الحدود الفارسية.»[2]

وجهات نظر شريف باشا بشأن مستقبل كردستان

ينبغي أن نتذكر أنه في كانون الثاني/يناير، عام 1914، سعى الجنرال محمد شريف باشا من دون أن ينجح إلى التوصل لتفاهم مع قوات الحملة البريطانية في بلاد الرافدين. على الرغم من ذلك الفشل لم يفقد أمله بالتعاون الإنكليزي - الكردي. ففي حزيران/يونيه، عام 1918، في وقت كانت فيه نتيجة الحرب لا تزال غير مؤكدة، اتصل شريف باشا بالسير پيرسي كوكس (Sir Percy Cox)،[3] كبير الضباط السياسيين للقوات البريطانية في بلاد الرافدين، واقترح أن يتبنى البريطانيون سياسة جريئة وإبداعية في ما يخص الكرد. ولو تمَّ تبني هذه المقترحات لوفرت أساساً لعلاقات فريدة من الاعتماد المتبادل بين بريطانيا والكرد. في الحقيقة، وصف السير أرنولد ويلسُن (Sir Arnold Wilson) عام 1936، توصيات شريف باشا أنها استباق ذكي لنظام الانتداب.[4]

---

(1) نيكيتين، الكرد، 195، م س رقم 187.

(2) درايفر، كردستان والكرد، 101، م س رقم 57.

(3) وفاقاً لبِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 60، م س رقم 317، حدث اللقاء بين شريف باشا والسير پيرسي كوكس في مرسيليا، لكن وفاقاً للسير آ. ت. ويلسُن، و لاءات...، 2: 130، م س رقم 275، حدث في لندن.

(4) م ن.

في مناقشة هذه المسألة مع كوكس، حثَّ شريف پاشا بقوة البريطانيين على اتخاذ خطوات مباشرة لمؤازرة الكرد من خلال إعلان سياسة بنّاءة في ما يخص الطموحات الكردية. وأشار إلى أنه من أجل إنجاز هذه الغاية، فإن إعلاناً للنيّات البريطانية بالنسبة إلى مستقبل الكرد هو ذو أهمية قصوى.[1] يجب على البريطانيين، كما اقترح، أن يقدموا لكرد الجنوب ضمانات حكم ذاتي تحت الحماية البريطانية، وأنه على المسؤولين البريطانيين أن يعينوا مندوبين للمساعدة في إدارة البلد وفي مراقبة أمواله.[2] لم ينصح شريف پاشا بضم الأراضي - وجهة نظر منسجمة مع التصريحات البريطانية المتكررة خلال الحرب - ودافع عن تأسيس دول تتمتع باستقلال ذاتي تحت الحماية البريطانية في كردستان وبلاد الرافدين وأمكنة أخرى.

وأكد الزعيم الكردي على أهمية إنشاء إدارة عاملة فاعلة في المناطق المحتلة في بلاد الرافدين وكردستان ومواجهة مؤتمر السلام الآتي بواقع قائم. وفي رأيه، إترك الأمور تتصدع حتى الوقت الذي ينعقد فيه مؤتمر السلام هو حماقة سياسية خالصة، لأنه ستكون هناك دعوة بالتأكيد لإثارة الاضطراب والقلاقل في كل أرجاء المناطق المحتلة. وحثَّ شريف پاشا البريطانيين على أن يعملوا للكرد ما اقترحوا أنهم سيعملونه للعرب في بلاد الرافدين.

(1) إي. جي. آر.، 7؛ درايفر، كردستان والكرد، 101-102، م س رقم 57؛ آ. ت. ويلسُن، ولاءات...، 2: 130، م س رقم 275.

(2) إي. جي. آر.، 7؛ درايفر، كردستان والكرد، 101-102، م س رقم 57؛ آ. ت. ويلسُن، ولاءات...، 2: 130، م س رقم 275، هذه المصادر تعزو اهتمام شريف پاشا بجنوب كردستان إلى واقع أنه هو نفسه من كرد الجنوب بالمولد. لكن، يبدو لي أن انشغال شريف پاشا بجنوب كردستان، بالإضافة إلى أية صلات شخصية ربما أقامها مع المنطقة، تأثرت بالدرجة الأولى بواقع أنها تقع في طريق القوات البريطانية المتقدمة شمالاً في اتجاه الموصل.

في تشرين الأول/ أكتوبر، عام 1918، كتب شريف باشا إلى السلطات البريطانية، مشيراً إلى أن الوضع السياسي قد أخذ ينقلب إلى الأسوأ نتيجة نجاح الترك في زرع الكراهية بين الكرد والأرمن. والمهمة الرئيسة، وفاقاً له، هي القيام بمصالحة بين الشعبين تقوم على الاعتراف المتبادل بالمطالب المشروعة لكل من الأمّتين. ولهذا الغرض، أوصى أن تنشأ سريعاً لجنة في لندن تتكون من ممثلين كرد وأرمن.[1] وعلى الرغم من أن مثل هذه اللجنة لم تشكل قط، إلّا أن شريف باشا نفسه، كما سنرى، نجح في التوصل إلى اتفاق مع القادة الأرمن في مؤتمر السلام.

نشاطات الكرد في مؤتمر السلام وفي إسطنبول

اختارت المنظمات القومية الكردية شريف باشا لتمثيل الكرد في مؤتمر السلام. كانت هذه المهمة صعبة تماماً، لأنه قبل أي تقدم يمكن عمله، كان من الضروري تجاوز التحيّز القوي ضد الكرد الواضح للعيان لدى ممثلي الحلفاء المنتصرين - بسبب المذابح الأرمنية. وقد قدَّم شريف باشا نفسه مدافعاً عن قضية شعبه جيداً، وتصرف بكرامة ولياقة إلى درجة أنه نجح في كسب تعاطف القوى الغربية وصداقة الأرمن، قبل وقت طويل من الاتفاق الكردي الأرمني الذي تم التوصل إليه بين شريف باشا الذي يمثل الكرد وبوغوص نوبار باشا (Boghos Nubar Pasha) وأڤتيس أهارونيان (Avetis Aharonian)، اللذين يمثلان الأرمن.[2]

---

(1) إي. جي. آر.، 8؛ درايفر، كردستان والكرد، 102، م س رقم 57.

(2) شيركوه، المسألة الكردية، 24، م س رقم 39. تبعاً لسفرستيان، أبرمت هذه الاتفاقية بين شريف باشا وبوغوص نوبار باشا. لا يشار فيها إلى اسم أهارونيان. سفرستيان، 77، م س رقم 230.

نبهت هذه التطورات الترك الذين لم يضيعوا الوقت في مسعاهم للتوصل إلى اتفاق مع الكرد. وقرروا أن يتعاملوا مباشرة مع مصدر الاضطراب - اللجنة القومية الكردية. ووفاقاً لمصدر كردي، دعا الترك اللجنة القومية الكردية إلى تسمية ثلاثة مندوبين للمشاركة في دراسة المسألة الكردية والمساعدة على صوغ القرارات الضرورية.[1] وتشكل مجلس خاص لهذا الغرض، تكوَّن من ابراهيم أفندي الحيدري (ناظر من دون حقيبة وشيخ الإسلام في السابق)، وعبوق پاشا (ناظر الأشغال العامة وناظر حربية سابق)، وعوني پاشا (ناظر البحرية)، ممثلين للحكومة العثمانية، والشيخ عبد القادر نهري والأميرين أمين عالي بدرخان ومراد بدرخان ممثلين للجنة القومية الكردية. وقرر المجلس، بعد بعض الدراسات التفصيلية، النقاط التالية:

1. الاعتراف بجزء كبير من الحكم الذاتي في كردستان.
2. الإصدار الفوري للقوانين الناشئة عن القرار الذي أشير إليه أعلاه.
3. تنفيذ الالتزامات كافة الناجمة عن هذه القوانين من دون عرقلة.
4. يتعهد الكرد الاستمرار في كونهم جزءاً من الإمبراطورية العثمانية والاستمرار في الاعتراف بحكم الخليفة - السلطان.[2]

قدمت إحدى المطبوعات البريطانية رواية مختلفة لهذه الأحداث. جاء فيها أن الترك لم يوجهوا الدعوة إلى اللجنة الوطنية الكردية لإرسال مندوبين لمناقشة المسألة الكردية، بل طلبت منهم أن يقدموا توضيحاً عن نشاطاتهم

(1) ضم شيركوه صورة وترجمة فرنسية لإحدى رسائل الدعوة المرسلة إلى أعضاء اللجنة الوطنية الكردية. الرسالة موقعة من ابراهيم الحيدري، شيخ الإسلام السابق وأحد أفراد أسرة دينية كردية مرموقة من إقليم أربيل. شيركوه، المسألة الكردية، 25، م س رقم 39.
(2) م ن، 24-25.

ويبينوا بأية صفة يتفاوضون مع البريطانيين في القسطنطينية حول مسائل تتعلق بكردستان. والمسؤولون العثمانيون، تبعاً لهذا التقرير، أوضحوا أن مثل هذه المسائل هي ضمن اختصاص الباب العالي (الحكومة)، التي دافعوا عن أنها في وضع يخولها منح مقدار كبير من الحكم الذاتي للكرد.

يقال إن رفعت بگ، وهو ناطق رسمي باسم الشيخ عبد القادر، الذي لم يحضر في تلك المفاوضات، أجاب إن الكرد قد تصرفوا وفاقاً لمبادئ الرئيس وودرو ويلسُن (Woodrow Wilson)، التي تعطي كل أمة الحق بالعمل على خلاصها الذاتي. والكرد، كما أعلن، كانوا مقتنعين بأن بريطانيا العظمى هي القوة الوحيدة التي يمكنها أن تضمن حرية كردستان وأمنه، ولذلك السبب بدأوا تلك المفاوضات. وعبَّر رفعت بگ عن شكوكه في ما يتعلق بقدرة تركيا على منح حكم ذاتي للكرد في ضوء مستقبلها غير المؤكد هي بالذات. وعند هذه النقطة، يقال إن عبوق نهض غاضباً وأبلغ الناطق الرسمي الكردي أن الحكومة العثمانية أقوى مما مضى، وأنها قررت ألّا تتخلى عن قدم واحدة من أراضيها لأحد، وأن أوامر صدرت للجيش القوقازي التركي أن يواجه كل الجيوش الأجنبية، وأن إعادة توطين اللاجئين الأرمن لم يُسمَح به. وعند هذه النقطة، قاطع عوني باشا، كما يقال، ثائرة عبوق باشا.[1]

معاهدة سيڤر

في غضون ذلك، بدأت جهود شريف باشا في مؤتمر السلام تجني ثمارها. فعلى الرغم من الخضوع لظروف كثيرة مخيبة للآمال، إلّا أن الطموحات القومية الكردية في النهاية كسبت اعترافاً وتصديقاً رسمياً في معاهدة سيڤر غير الناجحة، التي وقعت في آب/ أغسطس، عام 1920. وقد

(1) درايڤر، كردستان والكرد، 99، م س رقم 57.

اعتبرت هذه الاتفاقية، التي أعدت الأساس لإنشاء دولة قومية كردية، حدثاً مهماً ومعلَماً رئيساً في التاريخ الكردي.

ففي القسم الثالث تعالج (المواد من 62 إلى 64) من معاهدة سيفر مسألة كردستان.[1] تنص المادة 62 على أن «لجنة تقيم في القسطنطينية...ستقدم مسودة خطة في غضون ستة أشهر من دخول المعاهدة الحالية حيز التنفيذ لمنطقة حكم ذاتي محلي للمناطق الكردية الرئيسة التي تقع شرق نهر الفرات وجنوب الحدود الجنوبية لأرمينيا، كما يمكن أن تحدد في ما بعد، وشمال حدود تركيا مع سوريا وبلاد الرافدين، كما هي محددة في المادة 27 من القسم الثاني في الفقرتين (2) و(3).»[2] وتوفر هذه المادة الحماية للآشوريين والكلدان والأقليات الدينية والعرقية الأخرى. وهي تطالب بأنه لضمان هذه الحماية، يجب تشكيل هيئة مكونة من ممثلين بريطانيين وفرنسيين وإيطاليين وفرس وكرد لـ«تحديد أية تعديلات، إن وجدت، يجب أن تطرأ على الحدود التركية حيث، بموجب أحكام المعاهدة الحالية، تقع تلك الحدود مع بلاد فارس.»[3] وتوفر المادة (63) قبول وتنفيذ أحكام هذه المادة من الحكومة التركية.[4]

(1) معاهدات السلام، 1919-1923، 2: 807-8 (بالإنكليزية، مرجع 262). لمناقشة الجزء الذي يعالج كردستان في معاهدة سيفر، انظر شيركوه، المسألة الكردية، 25-26، م س رقم 39؛ سفرستيان، 77-78، م س رقم 230؛ ك. بدرخان، 243-44، م س رقم 21؛ نيكيتين، الكرد، 196-97، م س رقم 187؛ زكي، خلاصة تاريخ الكرد، 282-83؛ ومينورسكي، «الكرد،» م س رقم 169.

(2) معاهدات السلام، 2: 807، م س رقم 262.

(3) م ن.

(4) م ن.

أما المادة (64) من معاهدة سيڤر، فأشارت إلى زمن وطريقة مخاطبة مجلس عصبة الأمم، في حال رغبتهم بالحصول على الاستقلال عن تركيا:

> **إذا قدمت الشعوب الكردية ضمن المناطق المحددة في المادة (62) إلى مجلس عصبة الأمم في غضون سنة واحدة من دخول هذه المعاهدة حيز التنفيذ مثلاً لإظهار أن غالبية السكان في هذه المناطق ترغب بالاستقلال عن تركيا، وإذا رأى المجلس عندئذٍ أن هذه الشعوب مؤهلة لهذا الاستقلال وأوصى بأنه يجب أن يُمنح لها، فإن على تركيا وفاقاً لهذه المادة أن تنفذ مثل هذه التوصية وعليها أن تتخلى عن كل الحقوق وسندات الملكية في تلك المناطق.**[1]

وفي النهاية، تشترط المادة (64) أنه بعد تخلي تركيا عن حقوقها ومستنداتها في تلك المناطق، فإن القوى الرئيسة والمتحالفة لن تطرح أي اعتراض على «الانضمام الطوعي للكرد الذين يقيمون في ذلك الجزء من كردستان الذي ألحق قبل الآن بولاية الموصل، إلى هذه الدولة الكردية المستقلة.»[2]

إن معاهدة سيڤر، كما سنرى، قد ولدت ميتة. فقد كنستها جانباً تركيا الكمالية الناهضة، وفي عام 1923، حلت محلها معاهدة لوزان.

(1) م ن، 2: 807-8.

(2) م ن، 2: 808.

الفصل الثامن

وضع الكرد في تركيا وبلاد فارس وسوريا بعد الحرب العالمية الأولى

الوضع في تركيا

كان توقيع الهدنة في مودروس عام 1918 إشارة لانفجار نشاط الحركة القومية الكردية في تركيا. لم ينجم هذا التطور عن جهود القوميين الكرد الذين عادوا من المنفى أو الإقامة في تركيا فحسب، بل من الدعم التركي النشط أيضاً.

كان لاستئناف النشاط القومي الكردي في تركيا وكردستان التي تتحكم فيها تركيا تأثيرات مباشرة وأخرى بعيدة المدى. فقد زاد ذلك من قوة القوى القومية الكردية في كل مكان، وأعطى معنى جديداً لنشاطات المثقفين الكرد، بالإضافة إلى جهود أصحاب المقامات الرفيعة في سعيها إلى الهيمنة المحلية على أجزاء محددة في كردستان.

ارتبطت عناصر متباينة، حتى عندئذٍ، ومختلفة الأغراض ومتنازعة الـولاءات ومصالح لا يمكن التوفيق بينها، معاً بهدف معلن هو تحقيق

الاستقلال الكردي، أو أقله، الحصول على الحكم الذاتي الكردي. كانت دوافع مختلف الأنصار في الحركة وأهدافها كثيرة ومتنوعة بقدر كثرة الأفراد والمجموعات المشاركة وتنوعها. فقد كان لكل من الوطنيين، الذين كرسوا أنفسهم والمقامات الرفيعة الطامحة والأفراد الخائفين من العقوبة جراء دورهم في المذابح الأرمنية، التي نغَّصت وضع أعضاء جمعية الاتحاد والترقي السابقين وضباط الجيش، وحتى لرغبة القوميين العرب في ضم الكرد إلى الدولة العربية المتوقعة، أسبابه الخاصة في دعم هذه الحركة.

مصادر دعم الحركة الكردية

استمدت الحركة الكردية قوتها وإلهامها من مصدرين مختلفين. أحدهما هو الحزب الموالي للترك والوحدة الإسلامية الذي نفخت المشاعر الدينية فيه الحياة ودعمته عناصر الوحدة الإسلامية. وقد تعاون بشكل وثيق مع المسؤولين الترك ضد البريطانيين على نحو نشط. أما المصدر الآخر فلم يكن لا مع الترك ولا حفزته الاعتبارات الدينية. وقد سعى إلى استقلال كردي كامل وتلقى الدعم من القوميين الكرد جميعاً. وعلى الرغم من الصدوع الأساسية الموجودة بين المجموعتين في ما يخص الأهداف النهائية، إلّا أنهما تجاهلتا تلك الخلافات وتجنبتا بحذر التصدع العلني.

كان حزب الوحدة الإسلامية يناهض بثبات فكرة أية دولة أرمنية، لشعور أعضائه بأنه ستنتج عن إنشاء مثل هذه الدولة خسارة أرض تركية لا يمكن استعادتها وإلى قيام جار معادٍ بشدة. وقد أمل الحزب أن يهزم هذا المشروع بتنظيم معارضة شعبية، ولتحقيق هذه الغاية لم يأل جهداً. وعندما بدا هدفه الأساسي أن منع تأسيس دولة أرمنية محكوم بالإخفاق، لم يتردد أعضاؤه بتقديم دعمهم الكامل لفكرة الدولة الكردية المستقلة، التي كان واضحاً

أنها أهون شرين. فدولة كردية مستقلة لا تعمل، كعنصر مضاد مهم لأرمينيا الناهضة من جديد وحسب، بل قد تحول دون قيامها تماماً. علاوة على ذلك، لا تحتاج دولة كردستان المستقلة إلى أكثر من ترتيبات معاصرة مناسبة، ينبغي أن تُتبَع لإعادة الاتحاد مع تركيا في زمن ما في المستقبل.

لم يكن القوميون الكرد جميعاً معادين للاستقلال الأرمني مثل العناصر المؤيدة للوحدة الإسلامية. فكثيرون منهم كانوا يرغبون بالاعتراف بالمطامح الأرمنية، شرط أن تلاقي المطامح الكردية اعترافاً مماثلاً. وفي الحقيقة، سعى بعض القادة القوميين الكرد، كما سنرى، إلى تشكيل جبهة مشتركة مع الأرمن.

نشاطات علي إحسان باشا

في كردستان الشمالية، وسريعاً بعد توقيع الهدنة، أخذت الحركة القومية الكردية شكل اضطراب واسع النطاق. قيل إن الحركة نظمها وأدارها المسؤولون الترك ذوو النفوذ وأعضاء جمعية الاتحاد والترقي بهدف إحراج الحلفاء. إذ يُعتقَد بأن علي إحسان باشا، القائد السابق للجيش التركي السادس، كان منظم الحركة الرئيس في المناطق الواقعة شمال المنطقة المحتلة البريطانية، وقد اتضحت نتائج تلك النشاطات سريعاً. ففي كانون الثاني/ يناير، عام 1919، جاء في التقارير أن أعضاء جمعية الاتحاد والترقي الذين كانوا في خاربوط حثّوا الكرد على المطالبة بالاستقلال في مؤتمر السلام. وفي الوقت ذاته تقريباً، يبدو أن علي إحسان باشا انخرط بنشاط في اضطهاد العناصر المعادية للترك في دياربكر ومناطق أخرى.[1] يقال إنه حرّض قبيلة البارزاني في منطقة سروج على مهاجمة الكيتكان بسبب موقفها المؤيد للبريطانيين، وأنه سجن

---

(1) درايفر، كردستان والكرد، 81-82، م س رقم 57؛ بِل، استعراض للإدارة المدنية، 66، م س رقم 317؛ درايفر، «المسألة الكردية،» 109، م س رقم 54.

أحد رؤساء قبيلة القرقشلي.[1] وقد نجح كما يحكى في كسب رؤساء القبائل المجاورة بإعطائهم المال والسلاح والتجهيزات التي يجب أن تستخدم ضد البريطانيين إذا حاولوا توسيع منطقة احتلالهم.[2] ويبدو أن علي إحسان پاشا كان ناجحاً إلى درجة أن موقفاً معادياً للأجانب كان موجوداً حيثما استطاع أن يصل نفوذه.[3]

كانت جزيرة ابن عمر، حيث قيل إن علي إحسان پاشا كان نشيطاً في مطلع شباط/ فبراير، عام 1919، مركزاً آخر للاضطرابات. وهنا، كما في كل مكان آخر، أنشأ حركة حسب أنها يجب أن تحارب النفوذ البريطاني وتمنع احتلاله. سُجِنت شخصيات عربية وأرمنية مرموقة، وقُطِعت حركة المرور على دجلة بين جزيرة ابن عمر ومناطق جنوب خط الهدنة، وتَمّ تجنيد الكرد وتسليحهم في تحدٍّ صارخ لشروط الهدنة. حيث تجاهل الكرد الأوامر الصادرة من إسطنبول للمشاركة في تطبيق شروط الهدنة بموافقة السلطات التركية المحلية الضمنية، إذا لم يكن بأمرها.[4]

كان الوضع يخرج عن السيطرة سريعاً في كل مكان في المناطق شمال خط الهدنة إلى درجة اضطرت الحكومة التركية إلى اتخاذ إجراء. ففي 21 شباط/ فبراير، عام 1919، عُزِل علي إحسان پاشا نتيجة الاضطرابات، ليس لأنه بدا «غير قادر أو راغب بإخمادها وحسب،» بل كان في الحقيقة مشتبهاً

(1) درايفر، كردستان والكرد، 82، م س رقم 57.

(2) م ن. بِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 66، م س رقم 317.

(3) بِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 66، م س رقم 317.

(4) م ن، 67؛ درايفر، كردستان والكرد، 86، م س رقم 57؛ درايفر، «المسألة الكردية،» 110، م س رقم 54.

فيه بإشعالها. لكن عدداً من أصدقائه وأتباعه تابع عمله بإخلاص وفعالية.[1]

لم يكن علي إحسان پاشا ساخطاً عادياً، بل كان وطنياً وجندياً تركياً. لقد أدرك بوضوح وقدّر بدقة صعوبات الحلفاء وبادر إلى استغلال الوضع لمصلحة بلده. وكما وقّع تحت الرفض شروط الهدنة التي أملاها عليه السير جون مارشال (John Marshall) (راجع الفصل 11)، ليس مفاجئاً أن نجده منخرطاً في إحباط خطط الحلفاء في أجزاء من بلده أبعد مما خضع ممتعضاً لمنتصر صارم وغير رحيم. ربما وصفت كلمات تقرير أحد المسؤولين البريطانيين من معاصري علي إحسان پاشا دوافعه في إشعال الاضطراب بطريقة أفضل: «كان في الحقيقة يعمل لمصلحة كردستان مستقلة؛ سيبدو أنه لا يفعل ذلك إلّا لإرباك الحلفاء، لكنه، في الواقع، كان يرغب في إحباط استيلائهم على كردستان والتحكم بها، حيث سيبذل ما بوسعه لاستعادة ذلك الإقليم إلى الحكم التركي.»[2]

محاولات لتشكيل مقاومة ضد القوات البريطانية بين الكرد

في هذا الوقت، قاد الحركة الكردية في دياربكر بلا شك علي بگ الذي شكّل حزباً من أجل «الاستقلال التركي - الكردي.» يبدو أن هدف هذا الحزب هو منع الكرد من الوقوع تحت سيطرة أية قوة أجنبية في حال لم يتم ضمهم إلى دولة تركيا الجديدة. كان علي بگ، حسب التقارير، «يحاول الحصول على إذن من الحكومة لإصدار صحيفة بهدف رعاية هذه الفكرة.»[3]

---

(1) بِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 67، م س رقم 317؛ راجع درايڤر، كردستان والكرد، 83، م س رقم 57.

(2) درايڤر، كردستان والكرد، 82، م س رقم 57.

(3) م ن، 82-83. راجع درايڤر، «المسألة الكردية،» 110، م س رقم 54.

مبكراً في آذار/ مـارس، عام 1919، اتصل أصحاب شأن بارزون من سيفرك مع السلطات التركية وقادة الفرع المحلي في جمعية الاتحاد والترقي في دياربكر لبحث موضوع اتخاذ اجـراءات مشتركة لمقاومة الاحتلال الأجنبي. وبالنتيجة، جرى الاتفاق على خطة تتوافق مع تلك التي ستتعاون فيها القوات التركية والقبائل الكردية المجاورة في الدفاع عن منطقة سيفرك ودياربكر - أورفا. وبهذا الهدف في الذهن، أطلقوا سراح محمود بن ابراهيم باشا، شيخ قبيلة المِللي الأكبر، وعبد القادر بن درعي، رئيس قبيلة القرقشلي اللذين كانا في السجن بتهم عدم الإخلاص للحكومة. وقد عرضوا إعادة محمود إلى موقعه بصفته الرئيس الأكبر لاتحاد عشائر المِللي وجعله الشيخ الكردي الأقوى شرق الفرات إذا وافق على قيادة قواته والقبائل المجاورة لدفع الحاميات البريطانية إلى خارج أورفا وعبر الفرات.

وافق محمود وبعث رسائل إلى مختلف رؤساء القبائل، بما فيها البادلي وكرد الدكرلي وعرب الجحيش، يدعوهم إلى التعبئة والانضمام إلى الحملة. بعد بعض التردد قررت القبيلتان الكرديتان المشاركة.[1] أما شيوخ القبائل الأخرى فارتكبوا أخطاء فادحة. في 12 آذار/ مارس، عام 1919، التقى رئيس كرد الكيتكان وعدد من الرؤساء المهمين التابعين له مع السلطات العسكرية البريطانية في عرب پونار (كوباني)، حيث ناقشوا الوضع وقرروا تشكيل عصبة معادية للترك.[2]

في محاولة لتعزيز نفوذ محمود، جاء في التقارير أن القوات التركية شاركت كرد المِللي، والسلطات العسكرية التركية قيل إنها قدمت لمحمود

(1) درايفر، كردستان والكرد، 84، م س رقم 57؛ راجع بِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 66، م س رقم 317.

(2) درايفر، كردستان والكرد، 84، م س رقم 57.

مدفعين أو ثلاثة بالإضافة إلى كمية غير محددة من الأسلحة الصغيرة. غير أن كل هذه التدابير أخفقت في إنقاذ حركة محمود من الانهيار. فحلفاؤه الأكثر أهمية، القرقشلي، لم يكونوا جميعاً على قلب واحد في ما يخص هذا التحالف. فقد نشب قتال بين مصطفى القرقشلي وابن أخته، عبد القادر بن درعي، حول مسألة الانضمام إلى خصومهم الألداء، المِللي. ولم تجدِ محاولة السلطات في سيفرك للتوسّط. وسرعان ما صار واضحاً أنه بسبب الانشقاقات وضعف التماسك، كان محكوماً على حركة محمود بالانهيار، والاتحاد الذي عمل على إنشائه بجهد انقسم إلى أجزاء.[1]

وأخفقت محاولة أخرى لدعم حركة المقاومة في منطقة ماردين في إنجاز هدفها. فقد قيل إن الشيخ عبد القادر نهري، رئيس لجنة الاستقلال الكردية في إسطنبول، بالتعاون مع شوكت بگ، عضو مجلس إدارة ماردين، بعث رسلاً إلى القبائل تحضهم على مناهضة التدخل الأجنبي. لكن ما عدا عدد قليل من الشيوخ الذين عبروا عن مناصرتهم للمقترح بدت الأغلبية غير مبالية. وقد أيد هذه النشاطات بقوة كنعان بگ قائد الفوج الخامس التركي في ماردين.[2]

في هذا الوقت تقريباً، قيل إن علي بطي، رئيس قبيلة هافركان، التقى مع عبد الرحمن، رئيس قبيلة الشرنخ، ورمضان رئيس قبيلة صالحان، وتوصل هؤلاء القادة الكرد الثلاثة إلى اتفاق على مقاومة التقدم البريطاني التالي. وكانت ثمة تقارير عن أنه تم الاتصال برؤساء قبائل آخرين لهذا الغرض.[3]

في أورفا وحولها، يبدو أن الوضع كان غامضاً إلى حد ما. خلال الأسبوع

(1) م ن، 85.
(2) م ن، 84.
(3) م ن.

الثاني من آذار/ مارس، عام 1919، أطلق أحد أنصار محمد بگ، شخصية كردية مرموقة من أورفا وأحد المتحمسين للأخوة التركية، حملة ضد تدخل المسيحيين مثل البريطانيين، في قضايا الدولة الإسلامية. وفي الوقت ذاته، قيل إن قائدين من جمعية الاتحاد والترقي، علي أفندي من سيفرك وسعيد بگ من بغداد، انخرطا في تحريض القبائل في جوار المدينة ونظما القوات لمحاربة البريطانيين. كما قيل إن رؤساء القبائل المجاورة جاؤوا إلى أورفا لتأكيد ولائهم للقضية الكردية.[1]

أهداف النادي الكردي ونشاطاته

بحلول هذا الوقت، كان النادي الكردي قد تأسس وأخذ يعمل في كل من دياربكر وماردين.[2] ويبدو أن شخصيات المدينة المرموقة التي نظمت النادي وأدارت نشاطاته كانت مجموعة من الأفراد الفاسدين والأنانيين تبعاً للرائد نوئيل، الذي أكد أن الكثيرين منهم كانوا أعضاء في جمعية الاتحاد والترقي، وأنهم بعد هزيمة تركيا انضموا إلى الحزب القومي الكردي بأمر من الترك، الذين استمروا برسم أفق ساحر للحكم الذاتي الكردي تحت الحماية التركية.[3]

في دياربكر، كما في كل مكان آخر، وجه النادي الكردي نشاطاته باتجاه هدفين. الأول، أعدّ نفسه لمهمة عرقلة نفوذ بريطانيا ومعارضة تدخلها، ومن أجل هذا الغرض تم تجنيد قوة من الترك والكرد بقيت على أهبة الاستعداد

(1) م ن، 84-85.

(2) لم تنجح الجهود لإنشاء نادٍ كردي في أورفا في أواخر تموز/ يوليه، عام 1919، بسبب الموقف المتردد للشخصيات المرموقة في البلدة.

(3) بِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 66، م س رقم 317؛ درايفر، كردستان والكرد، 95، م س رقم 57.

للعمل. والثاني، سعى إلى محاربة النشاط الأرمني وإحباط المطامح الأرمنية. وببقائه محتفظاً بالهدف الأخير في ذاكرته، فقد اغرى مفتي سيفرك لإصدار فتوى جعلت قتل هؤلاء الأرمن الذين، اتهموا المسلمين بالمشاركة في المذابح عام 1915 أمام سلطات الحلفاء في حلب قانونياً. ومرة أخرى أصبح الأرمن موضوعاً للمضايقة، وتعاظمت موجة جديدة من الكراهية الشعبية ضدهم.[1]

لكن الحكومة التركية، التي كانت رسمياً تعارض هذه النشاطات، أمرت باعتقال عدد من القادة المهمين في النادي الكردي. سعى هؤلاء القادة إلى ملجأ لدى القبائل الكردية المجاورة، بين التي سبق لها أن نشرت فكرة الاستقلال الكردي. وعلى الرغم من هذه الاعتقالات، فقد استمرت الحملة ضد البريطانيين والأرمن يقودها أعضاء آخرون في النادي حتى بحماسة أشد. في الواقع، ذهبوا بعيداً إلى دعوة «كل الكرد القوميين للانضمام إلى النادي الكردي.» في 21 آذار/ مارس، عام 1919، دعي أعضاء النادي الكردي إلى اجتماع حضره مندوبون عن زعماء القبائل البارزين وغيرهم من أصحاب المكانات الرفيعة، بمن فيهم شيخ السركجي وشيخ الحزو ومفتي سيفريك وشخصيتان مرموقتان من دريك. وفي هذا الاجتماع، اتخذ قرار بالدفاع عن ماردين ودياربكر ضد التدخل البريطاني مهما كانت كلفة ذلك.[2]

أدارت نشاطات النادي الكردي في ماردين سبع شخصيات مرموقة بارزة. وبقدر ما كان هدفهم الرئيس هو منع الاحتلال البريطاني لماردين،

---

(1) درايفر، كردستان والكرد، 85، م س رقم 57.

(2) م ن.

أخفوا خططهم عن المسيحيين المحليين. وسعوا إلى إغراء قدر ما استطاعوا من الأشخاص لتوقيع وثيقة فحواها أن كل سكان البلدة - كرداً وتركاً ومسيحيين - مجمعون على الرغبة بكردستان متمتع باستقلال ذاتي. رفض أفراد كثر، بمن فيهم مار الياس، بطريرك اليعاقبة، التوقيع بشكل معلن لكي لا يعرضوا أنفسهم للشبهة لدى السلطات التركية في المستقبل. وصيغة البيان كان يجب أن تُغيَّر لتقول إن الموقعين، كونهم رعايا عثمانيين، لا يرغبون بالتدخل البريطاني. غادر البطريرك إلى إسطنبول (القسطنطينية سابقاً) بعد توقيع الوثيقة.[1]

تصفية النادي الكردي

أغرت التطورات الدولية، ولا سيما انتشار أفكار الرئيس ويلسُن حول حق تقرير المصير، أعضاء النادي الكردي بتبني مواقف أكثر استقلالية عن الترك. علّق الرائد نوئيل بسخرية واستياء واضح على الأثر الذي خلفته مبادئ ويلسُن لدى الكرد بقوله:

> **النسخة المغرية لعقيدة الرئيس ويلسُن والقائلة بأن كل شخص يجب أن يفعل ما يروق له، تسربت ببطء إلى أذهانهم مع كل إمكانياتها، والكرد الأتراك، في السابق، هم الآن مقتنعون بأنهم إذا صرخوا عالياً كفاية، فالرئيس ويلسُن سيسمعهم ويسمح لهم بإساءة إدارة دياربكر بأنفسهم، والاستمرار بالسُمْن على نهب أملاك المسيحيين من خلال المذابح، حتى من دون مشاركة الترك بما نهبوه.**[2]

(1) م ن، 85–86.

(2) استشهد نوئيل بيِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 67، م س رقم 317؛ درايفر، كردستان والكرد، 95، م س رقم 57.

نبّه موقف القادة الكرد الأكثر تحدياً السلطات التركية، التي نظرت إلى نشاطات النادي الكردي بكره متنامٍ، وفي النهاية قررت أن تتخلص منه. وقد قدَّم احتلال اليونانيين لإزمير (سميرنا) لهم مادة وفيرة للإثارة، استخدمت بشكل كامل. وقع اللوم في أعمال اليونانيين الوحشية في تلك البلدة على البريطانيين، وطلب من الكرد أن يطبقوا مثال إزمير في دياربكر، حيث سيتبع وصول البريطانيين وصول القوات الأرمنية. وقد استفاق قدر كبير من التعصب، بالإضافة إلى الحذر المشروع، بين الناس. وأمل أعضاء النادي الكردي، الذين كان كثير منهم متورطين في المذابح الأرمنية عام 1915 وكانوا خائفين من العقاب، بمذبحة أخرى تتخلص من بقية الشهود على جرائمهم السابقة. وأرسل المسيحيون، الذين رُوِّعوا بالكامل من هذه التطورات، مندوباً إلى الرائد نوئيل لتوسل التدخل البريطاني.

أسرع الترك، الذين رأوا أن دعايتهم أخطأت هدفها، إلى اتخاذ إجراءات عاجلة لتصحيح الوضع. كانت غايتهم إثارة الرأي العام ضد البريطانيين مفضلين ذلك على إثارته ضد المسيحيين. وأدركوا أيضاً التداعيات الممكنة لمذبحة جديدة. فلم تضيع السلطات التركية وقتاً في استثمار الوضع لمصلحتها. وكان النادي الكردي كبش المحرقة، وبالتالي منظمة غير مرغوب فيها وغير مناسبة، بدأت تظهر نفسها معارضة للسيادة التركية، فقمعت. وجرى التخلص من النادي الكردي بطريقة مأسوية. نُصِبت المدافع على القلعة، وأُمرت القوات بالضرب، وتمَّ اعتقال قادة النادي، الذي أغلِق أخيراً في 4 حزيران/ يونيه، عام 1919.[1]

(1) بِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 67-88، م س رقم 317؛ درايفر، كردستان والكرد، 95-96، م س رقم 57.

الوضع في بلاد فارس

تأثيرات سلطان العالم الإسلامي وسياسات العالم الكردي

بعد الهدنة، انتشرت الحركة القومية الكردية إلى كردستان الفارسية، حيث وجدت أنصاراً متحمسين. وتبعاً لنوئيل، غادر كرد كثر من السليمانية إلى بلاد فارس بعد وقت قصير من توقف الأعمال القتالية للتبشير بفكرة كردستان المتحدة.(1)

كان هذا ذروة سياق أحداث أطلقتها في الأصل دعوة السلطان عبد الحميد إلى الوحدة الإسلامية والسياسات المحابية للكرد. كانت سياسة الوحدة الإسلامية التي استندت إلى مفهوم الطابع العالمي لسلطة السلطان – الخليفة العثماني، التي غالباً ما استخدمها عبد الحميد بمهارة بارعة أداة في السياسة الخارجية يُعتمَد عليها للتأثير في قرارات القوى العظمى. وقد صممت سياسة الوحدة الكردية لتكسب الكرد الميالين للحرب، الذين رغب عبد الحميد أن يستخدمهم حاجزاً ضد عدوان روسي محتمل وكابحاً ضد الطموحات الأرمنية. وقعت هذه السياسات على أرض خصبة في كردستان الفارسية، المنطقة التي كانت تركيا تشتهي السيطرة عليها بقوة. وقد استجاب الكرد في بلاد فارس بحماسة لعرض الحاكم العثماني. اعتقدوا، كونهم سنّة، أن واجبهم تقديم ولائهم للخليفة – السلطان، وكونهم كرداً فقد تمَّ إطراؤهم وتعظيم شأنهم من خلال رعاية شخص جليل مثل السلطان. وقد تابعت الحكومة التركية هذه السياسات، التي وُضِعت بدهاء، حتى بعد الإطاحة بعبد الحميد ولعبت دوراً حاسماً في توحيد كرد بلاد فارس وكرد الإمبراطورية العثمانية.

---

(1) إ. و. ت. نوئيل، ملاحظة على الوضع الكردي، 18، م س رقم 351.

وإلى حد كبير ونتيجة لهذه السياسات، جُلِب كرد بلاد فارس مرتين إلى ظل الحكم العثماني - أي، خلال الاحتلال التركي من عام 1906 إلى عــام 1911،[1] وخلال الحرب العالمية الأولى. وفي المناسبتين، كانت أراضيهم عملياً تذهب إلى هؤلاء الأقارب الأكثر عدداً الذين يعيشون في الإمبراطورية العثمانية. وهكذا، يعود الفضل إلى الجهود التركية المتواصلة، في شد كرد بلاد فارس إلى التيار الرئيس في الحياة الكردية.

الرغبة المتنامية من أجل كردستان مستقلة

بدأت مسألة الاستقلال الكردي تشغل عقول القادة المسؤولين في كردستان الفارسية حتى قبل نهاية الحرب العالمية الأولى. ففي تموز/ يوليه، عام 1918، يقال إن أحد رؤساء قبيلة موكري البارزين في منطقة مهاباد، ناقش خطة لدولة كردية مستقلة تحت حماية بريطانية مع العقيد الركن روجر لوُيد كنيون (R. L. Kennion,)، القنصل البريطاني في كرمانشاه، عندما كان الأخير في جولة قرب ساقز.[2] ويقال إن زعيم قبيلة موكري قد أوضح أنه حالما يصبح الكرد أحراراً بالعمل لأنفسهم، فسيسعون إلى التوصل لتسوية سلمية مع الأرمن عبر العلاقات الطيبة مع الحكومة البريطانية.[3] وفي الحقيقة، يبدو أنه جعل الأمر واضحاً أن أرمينيا حرة في الأقاليم الشمالية في تركيا ستكون مقبولة لدى الكرد شرط أن يسمح لهؤلاء أن ينشئوا دولتهم المستقلة الخاصة جنوب دولة أرمينيا وشمال الدولة العربية.[4]

(1) مينورسكي، «الكرد،» م س رقم 169.

(2) إي. جي. آر.، 7؛ درايفر، كردستان والكرد، 75، م س رقم 57؛ آ. ت. ويلسُن، ولاءات...، 2: 130، م س رقم 275.

(3) إي. جي. آر.، 7؛ درايفر، كردستان والكرد، 75، م س رقم 57.

(4) آ. ت. ويلسُن، ولاءات...، 2: 130، م س رقم 275.

بعد أقل من سنة كان معروفاً أن القائدين الكرديين المهمين اللذين كانا في كردستان بلاد فارس، اسماعيل آغا (سِمكو) الشكاكي والشيخ سعيد طه نهري يعملان معاً بشكل وثيق على خطة لضم كرد بلاد فارس إلى دولة كردية مستقلة.

في آذار/ مارس، عام 1919، جاء سعيد طه إلى بغداد بهدف الحصول على دعم السلطات البريطانية لتلك الخطة، لكنه أخفق في تحقيق غرضه. كتبت المسؤولة عن الإدارة المدنية البريطانية غرترود بِل وصفاً مثيراً للاهتمام عن رد فعل سعيد طه على إخفاق مهمته «عندما غدا واضحاً له أنه لا يستطيع أن يتوقع منا مساعدة على تحقيق مشروعه ما دام كرد بلاد فارس هم المعنيون، عبّر عن خيبة أمل كبيرة ولاحظ أن انفصال كردستان بلاد فارس عن بلاد فارس سيحدث بالتأكيد حتى لو لم نعطِ موافقتنا.»[1] وعلى الرغم من خيبة أمل سعيد طه، فقد قيل إنه أعلن رغبته بمساعدة بريطانيا في كل الطرق الممكنة لإنشاء نظام حكم كردي مستقل.[2]

هبَّ سِمكو آغا للعمل في الوقت ذاته تقريباً. ففي مطلع أيار/ مايو، عام 1919، أرسل رسالة، كتبت بلغة ودية، إلى السير أرنولد ويلسُن، الذي يقوم بأعمال المستشار المدني في بلاد ما بين النهرين، والذي عرفه قبل الحرب. على الرغم من الهدف الحقيقي لرسالته، فقد تحدث فيها مطولاً عن أمر شخصي بدا من خلاله أنه منزعج من محاولة اعتداء جديدة على حياته، التي وجه اللوم فيها إلى أحد المسؤولين في بلاد فارس، وعلى هذا الحادث

(1) بِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 69، م س رقم 317. راجع إ. و. ت. نوئيل، ملاحظة على الوضع الكردي، 18، م س رقم 351.
(2) بِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 69، م س رقم 317.

كان التركيز الأكبر في الرسالة.[1] أما نشاطات سِمكو آغا التالية فسنعالجها في قسم لاحق.

أسباب الاضطراب في كردستان بلاد فارس

عند نهاية الحرب، قيل إن كردستان بلاد فارس كانت في حالة اضطراب قريبة من الفوضى. كان التشوش شديداً إلى درجة أنه حتى المصادر الرسمية البريطانية وجدت أنه من الصعب معرفة ما كان يحدث هناك فعلاً. غني عن القول إن السلطات البريطانية في بلاد الرافدين نظرت إلى هذه الحال للقضايا بقلق شديد، خائفة من انتشار اضطرابات خطيرة إلى المناطق المجاورة التي تقع تحت سيطرتها.[2]

عزا رسميون بريطانيون مسؤولون هذا الاضطراب إلى عاملين رئيسين: (1) معارضة الكرد الشديدة لإعادة توطين اللاجئين الآشوريين والأرمن، حيث ساد اعتقاد بأن الحركة الإسلامية العالمية التي تتخذ من تبريز مقراً لها هي التي رعتها وأن المسؤولين في بلاد فارس قد أيدوها إلى حد ما؛ و(2) كراهية الكرد الشديدة «للحكم الفارسي العاجز»، الذي كان ضعيفاً جداً لأن يحافظ على القانون والنظام.[3]

---

(1) م ن، 70. بِلّ، إحدى الأعضاء النافذات في طاقم المفوض المدني، ربما أفضل من نقلت الملاحظة الهزلية مندهشة من هذه الرسالة الغريبة: «مظلَمة شخصية، كانت من وجهة نظرنا مسألة هامشية، كانت تشغله جداً. أحد سيئي الطوية، الذي أخذ منه كثيراً (في هذه المناسبة كان موظفاً رسمياً فارسياً)، تصور فكرة إرسال قنبلة إليه ملفوفة في حزمة. وصف سخطه من الحدث لا يمكن أن تُسجَّل أفضل من كلماته الشخصية: 'لم يكد يكون لدي وقت،' شكا، 'لأنفقه على أخي عندما رحل.'»

(2) إي. جي. آر.، 14؛ بِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 62، م س رقم 317.

(3) م ن. درايفر، كردستان والكرد، 83، 89، 93، م س رقم 57.

في شباط/ فبراير، عام 1919، تمت مناقشة مسألة التمرد ضد الحكم الفارسي في اجتماع حضره عدد كبير من رؤساء القبائل الكردية في بلاد فارس. وقد قيل إن هؤلاء القادة قرروا أن مثل هذا التمرد يجب أن يحدث، وأنه يجب ألّا يُتَّخَذ أي إجراء حتى يتم التأكد من موقف القوى العظمى تجاه الكرد في بلاد فارس وإعادة توطين اللاجئين.[1]

يبدو أن الاهتياج والاضطراب قد استمر في كامل زخمه في كردستان بلاد فارس. ففي 23 أيار/ مايو، قيل إن الكرد قبضوا على حاكم سلماس وحاصروا كوي. وقد عزي هذا الانفجار إلى شائعات مفادها أن البريطانيين والفرس قد توصلوا إلى اتفاق على إعادة توطين اللاجئين المسيحيين. وفي محاولة لمنع إعادة التوطين، قيل إن الكرد استغاثوا بجاويد بگ قائد الفرقة الحادية عشرة القوقازية في الجيش التركي، وحيدر بگ والي ڤان والعضو السابق في جمعية الاتحاد والترقي، الذي اشتهر بعدائه للمسيحيين والبريطانيين.[2] وفي ذلك الوقت، كانت هناك تقارير متناقضة في ما يخص نشاطات سِمكو آغا. فتبعاً لأحد المصادر، كان يجمع قوة يعارض بها توطين المسيحيين.[3] لكن على نحو غريب كفاية، زعم مستشار القنصل الاسباني في سلماس، الذي كان أرمنياً بالمولد، أن سِمكو آغا لم يشارك في الحركة التي استهدفت منع عودة اللاجئين المسيحيين، وفي الحقيقة، دافع عن موقف ودي منهم.[4]

ازداد الاضطراب العام في هذه المنطقة بسبب توزيع والي ڤان الأسلحة

(1) إي. جي. آر.، 14؛ بِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 62، م س رقم 317. درايڤر، كردستان والكرد، 89، م س رقم 57.

(2) درايڤر، كردستان والكرد، 93، م س رقم 57.

(3) م ن.

(4) م ن، 94.

على رجال قبيلة هركي وموقف الحاكم الفارسي المحلي المؤيد للحركة المناهضة لإعادة التوطين ولا سيما موقف ولي العهد الفارسي الواضح،[1] الذي كان معروفاً بتعاطفه مع الألمان والترك.[2]

نشاطات سِمكو آغا

بروز سِمكو. كان اسماعيل آغا، المعروف أكثر باسم سِمكو،[3] الشيخ الأكبر لقبيلة شكاك الثائرة التي تقيم في منطقة الحدود التركية الفارسية قرب قوتور، إحدى الشخصيات الأكثر شهرة التي ستظهر للعيان في كردستان خلال الحرب.[4] خلف أخاه جعفر آغا، الذي قتل بخيانة في تبريز بأوامر من ولي العهد.[5] كان لسِمكو وهو رجل طَموح، ذكي، قاسي القلب، سيطرة لا شك فيها على قسم كبير من كردستان بلاد فارس من قوتور إلى بانة. بالجمع بين الشعور القومي واللصوصية، دبر ليغدو ليس بطلاً بين أبناء شعبه وحسب،

(1) يجب التوضيح هنا أنه في ظل حكم السلالة القاجارية، كانت أذربيجان تقليدياً مركز قوة ورثتهم المباشرين.

(2) درايفر، كردستان والكرد، 93-94، م س رقم 57.

(3) تُكتب أحياناً «سِميقو» أو «سِميتكو».

(4) يبدو أن سِمكو كان رجلًا جذاباً ذا حضور جيد. لوصف مظهره الجسدي، انظر إدموندس، الكرد والترك والعرب، 305 م س رقم 63.

(5) ألبرت تشارلز راتيسلاو، القنصل البريطاني في تبريز في ذلك الوقت، قدم رواية مفصلة لمقتل جعفر آغا، مع صورة تظهره واثنين من أتباعه معلقين من أقدامهم. انظر أ. ت. راتيسلاو، قنصل في الشرق، 207-209 (بالإنكليزية، مرجع 279). من أجل رواية أخرى لهذا القتل، مرفقة بعدد من الصور، انظر غ. غيلان، «الكرد الفارسيون والغزو العثماني،» مجلة العالم الإسلامي 5، عد. 3 (أيار عام 1908)، 3-6، م س رقم 88. وانظر نيكيتين أيضاً، الكرد، 79، 263-264، لترجمة فرنسية لمقطع من مرثية تندب اغتيال جعفر آغا. راجع مينورسكي، «الكرد،» 290، م س رقم 169.

بل شوكة في خاصرة بلاد فارس، وقوة يجب أن تحسب لها حسابها تركيا والإدارة البريطانية في بلاد الرافدين أيضاً.

تحالف سِمكو مرات مختلفة خلال الحرب وبعدها مع الروس والترك والأرمن والآشوريين والفارسيين وقاتل ضدهم.[1] اكتسب أولًا سمعة سيئة بقتل بطريرك النساطرة مار شمعون بالخيانة، بعد وقت قصير من إبرام تحالف معه.[2] يقال إن هذا العمل كان بتحريض من مسؤول فارسي.[3] وفي ضوء هذه التطورات المختلفة، ربما كان محتماً أن يكون على سِمكو، وهو الشخصية الأكثر قوة في كردستان بلاد فارس، أن يضع نفسه على رأس حركة من أجل حكم ذاتي لكرد بلاد فارس. في تشرين الأول/ أكتوبر، عام 1921، نقل مقر قيادته إلى موكري القديمة عاصمة مهاباد، حيث قيل إنه بدأ بإصدار

(1) بِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 69، م س رقم 317؛ مينورسكي، «الكرد،» م س رقم 169.

(2) الانتصارات الألمانية في المسرح الأوروبي، التي توجها انهيار روسيا، أغرت سِمكو بوضوح على إعادة النظر في تحالفه. فطلب من مار شمعون أن يقابله في مؤتمر لمناقشة الوضع الجديد الذي نشأ عن هذه الأحداث. وصل مار شمعون في الوقت المحدد، مع عدد من أتباعه، إلى مكان الاجتماع المحدد في قرية كوني-شهر قرب سلماس. ولما غادر مار شمعون ومجموعته اللقاء، الذي قيل إنه جرى في جو ودي حار، أطلقت عليهم النار من كل الجوانب. من أجل المزيد من التفاصيل عن خلفية هذا التحالف ورواية مقتل مار شمعون، انظر ويغرام وويغرام، 378-381، م س رقم 273؛ وراجع شِدّ، 237-239، م س رقم 237؛ وفريدريك غ. كون، الأيام الخوالي في بلاد فارس وكردستان، 266-267 (بالإنكليزية، مرجع 42)؛ ولونگريگ، العراق، 1900-1950، 97، م س رقم 141.

(3) تبعاً لويغرام وويغرام، أتباع مار شمعون الآشوريون الذين جُن جنونهم لمقتل زعيمهم، اكتسحوا قلعة سِمكو، حيث وجدوا رسالة من حاكم تبريز، موختي شمس تشير إلى سِمكو أن يتخلص من مار شمعون. انظر ويغرام وويغرام، 379، م س رقم 273.

صحيفة كردستان المستقلة، التي هدفت إلى أن تكون لسان حال الطموحات الكردية.[1]

في هذا الوقت، قيل إن الحكومة السوڤياتية توسطت لدى الحكومة الفارسية باسم سِمكو، ناصحة بمنح الحكم الذاتي للكرد.[2] كان السوڤيات حينئذٍ على علاقات ودية مع بلاد فارس، وأبرموا معها في مطلع ذلك العام ما هو معروف الآن باتفاقية شباط/ فبراير، عام 1921.

حافظت الحكومة الفارسية، سواء بسبب ما قيل عن وساطة سوڤياتية أم بسبب انشغالها بمهمة تهدئة العناصر غير الراضية في أجزاء مختلفة في البلد،[3] على هدنة مع سِمكو خلال النصف الأول من عام 1922، بل حاولت أن تتوصل إلى اتفاق معه من خلال توسيع أفق منح مقدار من الحكم الذاتي لكرد بلاد فارس.[4] لكن، يبدو أن سِمكو أصبح ملحاحاً. وقد انتهز القائد الكردي فرصة أن الظرف لايزال غير مستقر في البلد، وقرر أن يوجه ضربة حاسمة لتحقيق حلمه.

ثورات سِمكو آغا. في صيف عام 1922 أعلن هو نفسه ثورة مفتوحة ضد الحكومة وسار إلى ماراغة. وقد تصادف احتلاله لتلك البلدة مع ثورة

---

(1) الشرق الحديث، 1، عد. 9 (15 شباط، عام 1922)، 548؛ راجع آرنولد جوزف توينبي، دراسة للقضايا الدولية، 1925، مج. 1، العالم الإسلامي منذ تسوية السلام، 538-539 (بالإنكليزية، مرجع 260).

(2) الشرق الحديث، 1، عد. 9 (15 شباط، عام 1922)، 548؛ راجع توينبي، 1: 539، م س رقم 260.

(3) لمناقشة حالة القضايا في بلاد فارس في ذلك الوقت، انظر توينبي، 1: 539 وما يليها، م س رقم 260.

(4) م ن، 1: 539.

أقاربه اللور، الذين بدا وكأنه كان على اتفاق معهم في السر.[1] هاجم الجيش الفارسي بقيادة رضا خان، شاه بلاد فارس العتيد، أولاً القبائل الثائرة في لورستان، وسحق تمردهم. ثم استدار إلى سِمكو ونجح في هزيمته وتبديد قواته. ففر عبر الحدود إلى المنطقة الكردية في العراق.[2] في العمليات ضد سِمكو، قدمت تركيا تأييداً مهماً للجيش الفارسي من خلال إرسال وحدات قوية إلى الحدود التركية الفارسية.[3] وقد وسم هذا العمل من الطرف التركي نهاية تعاون سِمكو مع الترك.

يبدو أن هزيمة سِمكو كانت كاملة، كما أشار وصوله غير المعلن إلى ديرة قرب أربيل في نهاية تشرين الأول/ أكتوبر، 1922، يرافقه عدد قليل من أتباعه ليس إلّا.[4] قال سي. ج. إدموندس، الذي تباحث معه بعد عدة أيام في قرية باهيركا، إن سِمكو بدا أقل سخطاً ضد الفرس من الترك، الذين تظاهروا بدعمه وانقلبوا عليه.[5]

عبَّر القائد الكردي عن خيبة أمله ودهشته من رفض البريطانيين دعمه ضد الحكومة الفارسية. والأخيرة، كما أوضح، تتعاون مع الترك، الذين انخرطوا بشكل صريح في النشاطات شبه الحربية ضد البريطانيين. تبعاً لإدموندس، أعلن سِمكو أنه «جاء بأمل إيجاد دعم جاهز لقضية الحرية الكردية ضد

---

(1) الشرق الحديث، 2، عد. 2 (15 تموز/ يوليه، عام 1922)، 115، اقتبست في توينبي، 1: 539، م س رقم 260.

(2) م ن.

(3) الشرق الحديث، 1، عد. 10 (15 آذار/ مارس، عام 1922).

(4) تبعاً لإدموندس، فقد سِمكو حقيبته وتجهيزاته، وقُتلَت زوجته وابنه ذو السنوات الست، «حدقة عينه» كان مفقوداً. إدموندس، الكرد والترك والعرب، 305، م س رقم 63.

(5) م ن.

الحكومتين المعاديتين لنا، إذا كان مخطئاً ليس عليه أن يطلب اللجوء السياسي بل سيتبع طريقه إلى قبائله ويبذل كل مساعيه وحيداً.»[1]

ربما توقع سِمكو الدعم البريطاني مقابل خدمات كان قد قدمها قبل ثلاثة أشهر في تموز/ يوليه، عام 1922، خلال تمرد كريمي فتاح بگ في السليمانية ضد البريطانيين. في ذلك الوقت، منع سِمكو، بالتعاون مع سعيد طه، القبائل الفارسية من دعم التمرد وبالتالي ساعدا كثيراً في تخفيف الضغط عن بابكر آغا زعيم قبيلة پيشدر الموالية للبريطانيين، الذي فرّ إلى الأراضي الفارسية عندما ضغط عليه بشدة الأعضاء المعادون في قبيلته.[2]



12. سِمكو في السليمانية. المصدر مجهول الهوية بترخيص من ستوديو رفيق. كردستان: تحت ظلال التاريخ

(1) م ن.

(2) بريطانيا العظمى، مكتب المستعمرات، تقرير عن إدارة العراق، نيسان عام 1922 إلى آذار/ مارس عام 1923، 34، م س رقم 326؛ لونگريگ، العراق، 1900–1950، 144، م س رقم 141.

بعد فرار سِمكو إلى العراق، يبدو أن الرائد نوئيل حاول بلا نجاح أن يجمع سِمكو وسعيد طه والشيخ محمود بهدف تشكيل تحالف لإحباط الخطط التركية.[1] في كانون الثاني/ يناير، عام 1923، قام سِمكو بزيارة الشيخ محمود في السليمانية، حيث استقبل بعرض للقوات وتحية بسبع طلقات مدفعية، وأُعلن يوم وصوله عطلة عامة. وقد وصفته الصحيفة المحلية روژي كردستان (شمس كردستان)، أنه «بطل كردستان الشجاع، معاليه اسماعيل آغا سِمكو.» لكن لم يتم التوصل إلى اتفاق بين الزعيمين.[2]

هزيمة سِمكو ومقتله. في كانون الأول عام 1923، بناء على رسائل رقيقة تعبر عن الولاء للحكومة الفارسية، مُنِح سِمكو عفواً غير مشروط.[3] وفي عام 1926 قام بثورة ثانية لكنه هُزِم بقسوة قرب ديلمان وهرب مع نحو مائة من أتباعه إلى العراق حيث سعى إلى لجوء سياسي. رفضت الحكومة العراقية مطالب فارسية لتسليمه على أساس أن تسليم المجرمين السياسيين ليس مسموحاً بموجب قانون تسليم المتهمين في العراق. غير أن العراق وافق على مجيء مسؤول فارسي لإجراء مفاوضات مع سِمكو.[4] لكن مع نهاية

(1) إدموندس، الكرد والترك والعرب، 310 و 313، م س رقم 63.

(2) س. ج. إدموندس، «جريدة كردية: 'روژي كردستان'» مجلة جمعية آسيا الوسطى الملكية 12 الجزء الأول (كانون الثاني، عام 1925)، 89، م س رقم 60.

(3) بريطانيا العظمى، مكتب المستعمرات، تقرير عن الإدارة العراقية، نيسان/ أبريل عام 1922 إلى آذار/ مارس عام 1923، 37 (بالإنكليزية، مرجع 326).

(4) بريطانيا العظمى، مكتب المستعمرات، تقرير حكومة جلالة ملك بريطانيا إلى مجلس عصبة الأمم عن إدارة العراق لسنة 1926، 26، م س رقم 63 (بالإنكليزية، مرجع 321).

عام 1927، لم تتخذ الحكومة الفارسية مثل هذا الإجراء، واستمر سِمكو يعيش في راوندوز، حيث وصف أنه «تهديد للنظام المستقر على جانبي الحدود.»(1)

في أيار/ مايو، عام 1928، غادر سِمكو طواعية العراق إلى تركيا.(2) وبعد أكثر من سنة بقليل في تموز/ يوليه، عام 1929، ظهر ثانية في العراق حيث استقر في مكان قرب الحدود الفارسية-التركية العراقية مع خمسين من أتباعه. وعندما بُلِّغ أنه إذا استمر بالإقامة في العراق فسيكون عليه البقاء في مكان تحدده الحكومة العراقية، انسحب ثانية إلى تركيا، حيث ظل لبقية السنة في الأقاليم الجبلية غرب روباري (نهر) حاجي بگ.(3)

يبدو أن رحلة سِمكو قد وصلت إلى نهايتها عندما استلم رسالة رسمية من تبريز تقدم له عفواً كاملاً وحاكمية أشنويه. قدم سِمكو إلى أشنويه، حيث نصِّب حاكماً ولثلاثة أيام تلقى البيعة من القبائل الكردية المجاورة. ثم تلقى رسالة أن مسؤولاً فارسياً كبيراً كان قادماً لزيارته. خرج سِمكو برفقة عدد من شيوخ القبائل الكرد وأتباعهم لاستقباله. وبعد انتظار لوقت طويل في المكان المحدد، أخبرهم رسول فارس أن المسؤول لن يستطيع الوصول إلى أشنويه في ذلك اليوم لأن سيارته تعطلت. عاد سِمكو ومجموعته إلى أشنويه، ولما اقتربوا من بيته، أخذ أفراد في الجيش الفارسي، مواقعهم على الأسطح المجاورة، وفتحوا النار عليهم من كل الجوانب. قُتِل سِمكو واثنا عشر شيخ

(1) بريطانيا العظمى، مكتب المستعمرات، تقرير حكومة جلالة ملك بريطانيا إلى مجلس عصبة الأمم عن إدارة العراق لسنة 1927، 61-62 (بالإنكليزية، مرجع 322).

(2) بريطانيا العظمى، مكتب المستعمرات، تقرير حكومة جلالة ملك بريطانيا إلى مجلس عصبة الأمم عن إدارة العراق لسنة 1928، 4 (بالإنكليزية، مرجع 323).

(3) بريطانيا العظمى، مكتب المستعمرات، تقرير حكومة جلالة ملك بريطانيا إلى مجلس عصبة الأمم عن إدارة العراق لسنة 1929، 44 (بالإنكليزية، مرجع 324).

قبيلة مع أتباعه. أشار أحد التقارير إلى أن بعض رجال سِمكو قد حذروه من خيانة لكنه رفض أن يلتفت إلى تحذيراتهم.[1]

الوضع في سوريا

موقع الكرد في سوريا

تأثر وضع الكرد في سوريا بعد الحرب العالمية الأولى كثيراً بالتطورات في تركيا. فالنشاط القومي بين السكان الكرد المدينيين في دمشق وحلب والبلدات السورية الأخرى كان صدى وامتداداً للنشاط الكردي القومي في تركيا.

وكان هذا صحيحاً أيضاً بالنسبة إلى القبائل الكردية في سوريا. لم يعنِ خط الحدود المرسوم حديثاً كثيراً في ذلك الوقت لرجال القبائل الكردية في مناطق الحدود الشمالية في البلد، لأنه على الرغم من أن الحدود الجديدة في حالات كثيرة وضعت أفراد القبيلة الواحدة في ظل إدارتين مختلفتين، فرنسية وتركية، هما اللتان فصلتاها لكنها لم تؤذِ عملياً القسمين.[2] فقد استمر الكرد السوريون في هذه المناطق على تواصل مع أقاربهم في تركيا (غالباً أفراد في العشيرة ذاتها) وخضعوا للتأثيرات ذاتها.

وهكذا، فالقبائل الكردية في شمالي سوريا تأثرت كما تأثر أقاربها في تركيا بمراكز النشاط الكردي في أورفا وسيفرك وماردين وجزيرة ابن عمر.

---

(1) هاملْتُن، 162–164، م س رقم 95.

(2) في هذا الصدد، إلفنستُن أوضح أن كرد الجزيرة، «الذين يشكلون الجزء الأكبر من المجموع الإجمالي للكرد البالغ 250.000 نسمة في سوريا هم المتطرفون الجنوبيون من القبائل الكردية في تركيا التي فُصِلَت بالحدود.» إلفنستُن، «الكرد والمسألة الكردية،» 46–47، م س رقم 72.

ومثل الكرد في العراق وبلاد فارس، شعر كرد سوريا بتأثير الاهتياج القومي الكردي الذي انطلق من تركيا، وفي الحقيقة شاركت فيه.

في 19 آذار/ مارس، عام 1919، نشر يوسف حيدر وخير الدين الزركلي صاحبا الصحيفة الدمشقية المفيد، مقالة طويلة عن الاستقلال الكردي بعنوان «رسالة مفتوحة إلى الكرد في شمال وجنوب كردستان.» كان الطابع الدعائي لهذه المقالة واضحاً من واقع أن النسخ المجانية من الجريدة وزعت في شوارع حلب. بدأت المقالة بندب اللامبالاة السياسية لدى الكرد وذكَّرت القراء بكلمات الرئيس ويلسُن حول «إزاحة نير الأيام الماضية عن رقاب الأمم، النير الذي يخنق التقدم.» بعد الإشارة إلى ثورة العرب ومطالبتهم بالاستقلال، دعت المادة الكرد إلى أن يحفزوا أنفسهم ويطالبوا بإرثهم، كردستان حرة، التي يجب أن تشمل أرضروم وڤان وبدليس وخاربوط ودياربكر والموصل وأماكن أخرى كثيرة حيث يعيش ما مجموعه 3.5 ملايين كردي. وزع محرضون غير معروفين كراسات تحتوي هذه المقالة في حلب وميديات وآزِخ وگويان والريف شمال زاخو، ونصيبين وجزيرة ابن عمر وشرنخ والموصل وريف الزاب وأمكنة أخرى.[1]

على الرغم من مساهمة الكرد السوريين في الحركة القومية الكردية، يجب أن نوضح أنهم مختلفون في نقطة هامة عن الكرد في تركيا والعراق وبلاد فارس. فسوريا لم تكن فيها مجموعات كردية كبيرة تامة بذاتها مثل تلك البلدان، ولا أي مراكز أساسية للحياة القبلية الكردية وتقاليدها يمكن أن يقارَن ببدليس ودياربكر وجزيرة ابن عمر في تركيا، والسليمانية وراوندوز والعمادية في العراق، وسِنَه وصاوچبولاق وأورميا في بلاد فارس. وربما لهذا السبب

(1) درايفر، كردستان والكرد، 86، م س رقم 57.

أخفقت كردستان السورية بتقديم أية شخصية وطنية كردية بمنزلة الشيخ محمود في العراق أو سِمكو آغا في بلاد فارس أو الشيخ سعيد في تركيا. كان القادة الأكثر شهرة لدى كرد سوريا هما الأخوان بدرخان، في الأصل كرد من جزيرة ابن عمر في تركيا، اللذان يتحدران من أصول أميرية، وكانا مثقفين أكثر من النمط التقليدي للقائد الكردي الذي يتمتع بدعم قبلي جماهيري. لم يكن الوضع في كردستان السورية متفجراً كما كان في كردستان العراقية وكردستان الفارسية، ولم يفضِ إلى سلسلة من الاضطرابات التي حدثت في هاتين المنطقتين. حتى في السنوات الأخيرة، كان ينبغي على الكرد السوريين، كما سنرى، أن يظلوا هادئين أكثر من أقربائهم في تركيا والعراق وبلاد فارس. لكن المنطقة كان لها حصة صغيرة من الاضطراب.

الكرد والاحتلال الفرنسي لسوريا

يبدو أن الفرنسيين قد فازوا بثقة الكرد سريعاً بعد احتلالهم سوريا. ففي شباط/ فبراير، عام 1921، عندما تطور الانشقاق بين فرنسا والكماليين إلى صدامات مسلحة، تعاون كرد المِللي مع فرنسا في صد قوة تركية غير نظامية حاولت أن تنتزع دير الزور، التي تقع على الأجزاء المنبسطة العليا لنهر الفرات الأوسط، من الفرنسيين.[1]

في هذا الوقت، يبدو أن الفرنسيين قد عبثوا بفكرة إقامة إدارة كردية تتكون من أورفا ورأس العين وماردين ونصيبين وجزيرة ابن عمر يديرها

(1) العراق (الإدارة البريطانية)، مكتب المفوض المدني، تقرير الإدارة في قسم الموصل لسنة 1921، 2 (بالإنكليزية، مرجع 345).

ابن ابراهيم پاشا المِللي.[1] لكنهم، تخلوا عن الفكرة قبل أن تنتهي السنة، وتوصلوا إلى تفاهم شامل على الكثير من المسائل غير المحلولة مع الترك. وقد تجسد هذا التفاهم في اتفاقية فرانكلين - بويّون (Franklin-Bouillon) في 20 تشرين الأول/ أكتوبر، عام 1921. وفاقاً لهذه الاتفاقية، وافق الفرنسيون على الانسحاب من كيليكيا وأراضي أخرى تطالب بها تركيا، بالإضافة إلى تعهد يعطي سنجق الإسكندرونة نظام حكم خاصاً. لكن هذه التسوية لم تؤثر في استقرار الوضع على طول الحدود التركية - السورية، ولا سيما في منطقة الجزيرة، المنطقة الأكثر كثافة كردياً في سوريا. وقد أخفقت اللجنة المشتركة في عام 1925 والاتفاقية الفرنسية التركية في شباط/ فبراير، عام 1926، في تسوية كل النقاط في هذه المسألة بين فرنسا وتركيا. ولم يتمّ تحديد الحدود السورية في الجزء الشرقي بشكل نهائي حتى عام 1930.[2] والتسوية الأخيرة أعطت سوريا رسمياً منطقة الجزيرة، التي استولى عليها الفرنسيون وأداروها منذ احتلالهم البلد.

سريعاً، بعد أن حلَّ الفرنسيون محل نظام فيصل العربي في سوريا، اتخذوا إجراءات لترسيخ الاستقرار في هذه المنطقة الغنية وتطويرها.[3] فشجعوا بكل السبل العرب والكرد والشركس والأرمن واليعاقبة والسريان الكاثوليك والمستوطنين الآشوريين أخيراً، على الاستقرار في المنطقة وزراعتها. وأُهِّلت بلدات الحسكة والقامشلي وعامودا بالسكان وغدت مراكز مزدهرة. ويبدو أن الفرنسيين، منذ البداية، حاولوا السعي والاحتفاظ بنيّات

---

(1) م ن.

(2) إ. حبيب حوراني، سورية ولبنان: بحث سياسي، 56-57 (بالإنكليزية، مرجع 104).

(3) إلياهو أبشتاين، «الجزيرة» مجلة جمعية آسيا الوسطى الملكية 27، جزء 1 (كانون الثاني عام 1940): 68-82 (بالإنكليزية، مرجع 75).

طيبة وصداقة مع كرد الجزيرة، كقوة في مواجهة العرب في تلك المنطقة. فقد تنافست القبائل العربية والكردية لمئات كثيرة من السنين، على امتلاك هذه المنطقة، وعند منعطف القرن بلغ الصراع أشده في نزاع مرير بين اتحاد عشائر المِللي الكردية بزعامة ابراهيم پاشا وقبيلة شمّر العربية الكبيرة.

منظمة خويبون والنشاطات الكردية الأخرى للاجئين السياسيين في سوريا

تم السماح للاجئين السياسيين الكرد في سوريا، في ظل الرعاية الفرنسية، لينخرطوا في نشاط قومي مكثّف وإنشاء مراكز سياسية وثقافية بارزة في دمشق وبيروت.(1) وقد اتخذ هؤلاء اللاجئون السياسيون، بالنسبة إلى القسم الأعظم من كرد تركيا، ملاذاً في سوريا وركزوا على متابعة النضال ضد الترك وشرعوا بتنظيم وقيادة الكرد السوريين. وقد ساعدت التطورات في تركيا بعد الحرب العالمية الأولى هذه القيادة السياسية اللاجئة على إنجاز أهدافها. وما بقي من شعور محابٍ لتركيا في الجزيرة بعد الاحتلال الفرنسي تلاشى بعد التمرد الكردي عام 1925 والثورات المتتالية في تركيا.

كان النشاط الأكثر أهمية للاجئين السياسيين الكرد في سوريا هو تشكيل منظمة الاستقلال الكردية، خويبون، عام 1927، وهي منظمة كان هدفها الرئيس ترويج القضية القومية الكردية وإدارة النشاطات الكردية ضد الترك. أسست خويبون مراكز للنشاط القومي الكردي في عدد من المدن خارج

(1) كانت دمشق تقليدياً مركز المهاجرين الكرد من كل أنحاء كردستان. لا شك اجتذب كثيرون منهم إلى دمشق لأنها ترتبط في أذهانهم بأزمنة الكرد العظيمة في عهد صلاح الدين، المدفون في تلك المدينة. هذا الميل أيضاً شجعه واقع أن الصوفي الكردي الكبير، مولانا خالد، مؤسس الطريقة النقشبندية في كردستان، توفي في تلك المدينة ودُفِن فيها.

سوريا، في القاهرة وباريس وديترويت وفيلادلفيا وغيرها.[1] وكانت نشطة في باريس على وجه الخصوص.

لقد أرسى تأسيس خويبون الأساس لتعاون وثيق بين الكرد والفرنسيين في سوريا. الواقع هو أن الفرنسيين سمحوا لخويبون - لسنوات كثيرة التنظيم القومي الكردي الأكثر بروزاً - أن يستخدم سوريا قاعدة لعملياته التي تغري القادة القوميين الكرد ببذل كل ما بوسعهم لابتكار موقف قومي موالٍ للفرنسيين بين كرد سوريا. وقد أثبتت هذه العلاقة أنها مفيدة لكل من الكرد والفرنسيين لم تفسدها أية خلافات جدية. في زمن تمرد أكري داغ في عام 1930، ربما استجابة للشكاوى التركية، طلب الفرنسيون من الأمير ثريا بدرخان أن يغادر سوريا إلى فرنسا حيث أقام وانخرط في النشاط القومي حتى وفاته في عام 1938.[2] وخلال الحرب العالمية الثانية، كما سنرى، طلبت السلطات الفرنسية من خويبون أن تمتنع عن الانخراط في نشاطات ضد الترك، وقد وافقت الأخيرة على ذلك.

الاضطرابات الكردية في الجزيرة في عام 1937

سرعان ما تفاقم التوتر في منطقة الجزيرة بعد التوصل إلى إبرام اتفاقية فرنسية سورية عام 1936، حيث وفاقاً لأحكام تلك الاتفاقية، سيتم استبدال الموظفين الرسميين الفرنسيين في الجزيرة بسوريين. وقد عبرت أقسام مهمة من السكان، بتشجيع من الموظفين الفرنسيين الرسميين المحليين، عن

(1) المهاجرون من المنشقين الكرد الذين شاركوا في نشاطات منظمة خويبون في الولايات المتحدة. شيركوه، المسألة الكردية، 37، م س رقم 39؛ يوسف مالك، كردستان أو بلد الكرد، 35 (بالعربية، مرجع 304).

(2) نيكيتين، الكرد، 200، م س رقم 187؛ بازيل نيكيتين، «آل بدرخان،» في موسوعة الإسلام، طبعة جديدة، 1: 871.

سخطها ضد هذه الخطوة وطالبت، كحد أدنى، بأن يُعيَّن الموظفون المحليون من بين السكان المحليين. عاد كرد الحسكة لاستئناف العنف في الجزيرة في حزيران/ يونيه، عام 1937، بسبب تعيين سوريين من خارج المنطقة. وقد تم إخماد هذه الاضطرابات بمساعدة القوات العسكرية الفرنسية. وبعد ذلك بوقت قصير، استأنف مسيحيو القامشلي ومراكز أخرى في الجزيرة الاضطرابات التي جمعت بين العنف ومطالب من أجل نظام إداري خاص يضمن حقوقاً متساوية بغض النظر عن العرق أو الدين.[1]

أُفسِدت هذه الاضطرابات، التي بلغت ذروتها في آب/ أغسطس، عام 1937، بصدامات طائفية. قتل أتباع شيخ كردي موالٍ للحكومة عدداً من المسيحيين من عامودا. استدعيت قوات فرنسية لإخماد الاضطرابات واستعادة النظام. لكن الاضطراب استمر من أجل نظام منفصل في الجزيرة، ووقع عدد من الأحداث، بلغت أوجها في كانون الأول/ ديسمبر، عام 1937، باختطاف حاكم الجزيرة قامت به مجموعة انفصالية من الحسكة. في غضون ذلك، انخرط الكاردينال تبوني، رئيس الكنيسة الكاثوليكية السورية، بنشاط في تشجيع قضية الانفصاليين في باريس وروما.[2] لكن هذه المرحلة كانت عابرة، وقبل أن يمر وقت طويل عادت الأمور إلى طبيعتها.



(1) حوراني، سورية ولبنان، 215، م س رقم 103.

(2) م ن، 216.

الفصل التاسع

الاضطرابات في إقليمي الموصل وأربيل
من أقاليم كردستان العراقية
بعد الحرب العالمية الأولى

بحلول ربيع العام 1919، بدأت الدعاية التركية المناوئة للبريطانيين والمسيحيين تؤتي أكلها في كردستان العراق، ولا سيما في تلك الأجزاء من ولاية الموصل، الأقرب إلى مركزي شرنخ وجزيرة ابن عمر حيث الاضطراب. كان يُنظر إلى البريطانيين من منظور أنهم الكفار العازمون على تشديد قبضة خناقهم الجائرة والغريبة على الكرد بهدف استعبادهم وتسخيرهم لخدمة مصالحهم الأنانية الذاتية وكذلك مصالح المسيحيين المحليين، إخوانهم في العقيدة. جرى استحضار قيم الدين والوطنية والعادات المحلية ومعانيها لتعزيز زخم الانتفاضة في وجه الغزاة الفاتحين.

يبدو أن التوتر في المناطق الحدودية بلغ مستوى من الحدة إلى درجة أن الجاليات المسيحية كافة بين جزيرة ابن عمر وزاخو باتت، وفق ما أفادت به

التقارير، في وضع ينطوي على خطر محدق. في الحقيقة، أفيد بأن الاضطرابات المناوئة للمسيحيين قد اندلعت في عدة أماكن.[1] من الواضح تماماً أن الإدارة البريطانية في تلك الأصقاع الشمالية الموحشة من ولاية الموصل لم تنطلق في ظل ظروف مؤاتية إلى هذا الحد. حتى لو كانت الظروف أفضل، فمن غير المؤكد أن الكرد، الذين اعتادوا عبر القرون مكرهين على أنماط الحياة العثمانية، كانوا سيُقبلون بلهفة على أنماط حياة لم يألفوها للقادمين الجدد.

اندلاع الاضطرابات في منطقة زاخو

من الواضح أنه بات لدى البريطانيين قدر كبير من الدلائل والبراهين على النشاطات التركية الهدامة، إلّا أنهم كانوا إما غير راغبين وإما غير قادرين على وضع حد لهذه النشاطات. في 19 آذار/ مارس، عام 1919، عمد البريطانيون إلى اعتراض رسائل مرسلة من عبد الرحمن آغا، أحد شيوخ قبائل شرنخ المؤثرين ومن الذين يدَّعون السيطرة على اتحاد عشائري واسع، يحث فيها شيوخ القبائل الكرد المتمركزين في المنطقة البريطانية على طرد الدخلاء. أكد الشيخ عبد الرحمن آغا أن الحركة التي كان يؤيدها والتي هي حركة معترف بها رسمياً ومدعومة من قبل الحكومة التركية، والتي كانت بدورها تتمتع بموافقة ودعم عدة شخصيات ولجان في إسطنبول، والقاهرة وباريس، كانت تعمل من أجل قيام دولة كردية.[2] وفي الوقت ذاته تقريباً أفيد عن أن الضباط الترك زاروا شمدينان بهدف حث الزعماء المحليين للانضمام إلى الحركة لكنهم قوبلوا ببرود. حتى أنه من المعتقد أن أحد الضباط الترك قد دخل ولاية الموصل لغرض مماثل.[3]

(1) استعراض للإدارة المدنية، 62، م س رقم 317.

(2) م ن؛ راجع درايفر، كردستان والكرد، 89، م س رقم 57.

(3) ن م، استعراض للإدارة المدنية، 62، م س رقم 317.

كانت قبيلة الگويان المتمردة والتي تعيش في منطقة جبلية وعرة المسالك المؤدية إليها شمال زاخو أول من تحرك. كانوا سلفاً مدانين بارتكابهم لسلسلة من الأعمال المخلة بالقانون ضد مسيحيي القرى المجاورة وجرت استمالتهم أخيراً لاتخاذ الخطوة المتهورة المتمثلة بتحدي سلطة الاحتلال بالذات.

أخيراً تلقى النقيب أ. ك. پيرسن (Alfred Christopher Pearson)، الضابط السياسي في زاخو والذي قيل بأنه بذل جهوداً جادة لوضع حد لأعمال السلب والنهب من قبل الگويان، وعداً من شيوخ القبائل بأنهم كانوا راغبين بالوصول إلى وفاق مع البريطانيين. واضعاً هذا الهدف نصب عينيه، انطلق پيرسن برفقة أحد أفراد الگويان للقاء شيوخ القبائل الگويان. وفي الطريق إلى مكان اللقاء لقي پيرسن حتفه في 4 نيسان/ أبريل، عام 1919، في كمين كان قد أعد له. وفق المصادر البريطانية الرسمية، لم تدَعْ ظروفُ مقتل پيرسن مجالاً للشك حيال الطبيعة المدبرة للجريمة وتواطؤ مرافقه من الگويان.[1]

كان البريطانيون على دراية بالملابسات الخطيرة لهذا الحدث، ولا شك بأن القلق انتابهم خشية أن يفضي إلى موجة من أعمال العنف ضد الضباط البريطانيين في أنحاء المنطقة، وهو قلق سرعان ما ثبت أنه كان في محله تماماً. لقد عكس أحد التقارير الرسمية درجة المحنة والقلق الذي كانوا يرزحون تحت وطأته وهم يسعون لتلمس بعض السبل الفاعلة لمواجهة هذا

(1) م ن؛ درايڤر، كردستان والكرد، 89، م س رقم 57؛ آ. ت. ويلسُن، ولاءات...، 2: 147، م س رقم 275؛ درايڤر، «المسألة الكردية،» 111، م س رقم 54. بالرغم من تكرار اسم «عبد الرحمن آغا» بخصوص هذه الأحداث، فإن جريمة النقيب پيرسن نسبت إلى زعيم گوياني، شخص يدعى حاسو دينو، العراق (الإدارة البريطانية). مكتب المفوض المدني، تقرير إدارة إقليم الموصل لعام 1921، 7-8، م س رقم 345.

الوضع. لم يجدوا مناصاً من التفكير بأسلافهم الترك والإجراءات التي كان من المحتمل أن يتّخذوها في وضع كهذا. وفق ما جاء في التقرير:

في خلال الجزء الأخير من الحكم التركي، لم يكن الترك ليتقاعسوا، في حال هوجم موظفوهم، عن اتخاذ أكثر الإجراءات حزماً. كانت هذه أول سابقة تحدث في ظل حكمنا، ولا شك بأن القبائل تنظر إليها كاختبار لقوة حكومتنا وعزيمتها وكمعيار للدرجة التي يمكن أن نسمح بها بمرور مثل هذه الأعمال من دون عقاب.[1]

مضى التقرير في استعراض البدائل المتنوعة التي فكر بها البريطانيون للتعامل مع هذا الأمر. جرى التفكير في إرسال حملة تأديبية ضد الگويان وكذلك احتلال جزيرة ابن عمر، ثم تم استبعاد هذه الفكرة. كان لهذه الخطة مزايا متنوعة، ولكن كان لها مساوئها أيضاً. صحيح بأن الگويان كانوا سيعاقبون على فعلتهم وأن الاحتلال العسكري لجزيرة ابن عمر سيستأصل المكيدة من جذورها في واحد من أنشط مراكزها، ما يقلب موقف القبيلة المتمردة ويسهم في عزلها بشكل كامل. لكن الگويان كانوا في أغلب الأحيان يعيشون خارج حدود المنطقة البريطانية، وحملة كهذه ستشكل تعدياً على أرض تركية. لذلك، فقد بدا بأن هذه الحقيقة، مقرونة بوعورة التضاريس والافتقار إلى قوات وإمدادات مناسبة، تطغى على أية ميزات قد تنطوي عليها الخطة.[2]

كذلك فقد تم الأخذ بالحسبان احتمال أن يُصارَ إلى استدعاء الترك لمعاقبة المذنبين، لكن الفكرة استبعدت لعدم جدواها. كان معروفاً أن الاضطرابات ناجمة إلى حد بعيد عن مكيدة تركية، وأنه كنتيجة لذلك لم يكن يُتوقع للترك أن يتعاونوا بصدق وإخلاص أو بصورة فاعلة. علاوة على ذلك،

---

(1) بِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 62، م س رقم 317.

(2) م ن.

فقد كان هنالك إحساس بأن التماس نجدة تركية لقمع الگويان سيفسر على أنه علامة ضعف من جانب البريطانيين في المنطقة، وهو انطباع كانوا يريدون تجنبه بأي ثمن.[1]

بعد أن تدارست واستبعدت كل البدائل الآنفة الذكر، قررت السلطات البريطانية أخيراً اللجوء إلى خيار القصف كأكثر الوسائل نجاعة في التعامل مع الگويان. على الرغم من أن المحاولات الأولى لم تعط النتائج المرجوة، فقد بدا بأن عمليات القصف اللاحقة قد نجحت في إخضاع رجال القبيلة من ذوي المراس الصعب.[2]

اندلاع الاضطرابات في العمادية

الاندلاع التالي لأعمال العنف ضد البريطانيين وقع في العمادية. هنا، كما في زاخو، وفي الحقيقة في أنحاء المنطقة الخاضعة للاحتلال البريطاني، استخدمت الدعايةُ التركية الحجج ذاتها للترويج للفتنة والاضطرابات. وفق ما صرحت به بِلّ (Bell)، فقد وسع البريطانيون من نطاق إدارتهم لتشمل منطقة العمادية في كانون الثاني/ يناير، عام 1919، عندما قاموا بتحريك كتيبة من الجنود إلى مدى أربعة أميال من المدينة التي تحمل ذلك الاسم.[3] في آذار/ مارس، جرى تعيين أحد الضباط السياسيين المساعدين لإدارة المنطقة من

(1) م ن، 62-63.

(2) م ن، 63.

(3) بحسب بِلّ، كان البريطانيون قد قرروا توسيع نطاق إدارتهم حتى العمادية بهدف تسهيل عودة اللاجئين الآشوريين لأن أقرب طريق لبلدهم وأيسرها يمر عبر تلك المنطقة. م ن، 71. أكد ويلسن أنه لم يُستَشَرْ بشأن هذه الخطوة، التي اعتبرها سابقة لأوانها. أكد بأنه كان قد رضخ فقط بسبب المضاعفات غير المستحبة للانسحاب. آ. ت. ويلسُن، و لاءات...، 2: 148، م س رقم 275.

مدينة العمادية. في عام 1919، قرر البريطانيون سحب قواتهم إلى ممر سوارا توكا على بعد حوالى ثمانية عشر ميلاً غرب المدينة، الأمر الذي أبقى الضابط السياسي المساعد، النقيب داڤيد ويلي (D. Willey)، إلى جانب الملازم هـ. ماكدولاند (H. MacDonald) والرقيب إس. آر. تروب (S. R. Troup)، المسؤولين عن جباية الضرائب المحلية، واثنين من موظفي التلغراف الهنود، ضمن عزلة تامة في المدينة.[1]

كان للانسحاب البريطاني، كما ستتبيّن لاحقاً، أن ينتهي بمأساة بالنسبة إلى الضباط البريطانيين في العمادية وأن يعرض للخطر الموقف البريطاني في الجزء الشمالي من ولاية الموصل. مع ذلك، سيكون من الخطأ تضخيم أهمية هذا الحدث. على الرغم من أنه شجع ولعله سرَّع من وتيرة الاضطرابات التي اندلعت بعد ذلك مباشرة في العمادية ومناطق الأرياف المجاورة، فهو بالتأكيد لم يكن مسؤولاً عن روح التمرد والعصيان لدى الناس. كان قد تمخض عن ذلك وضعٌ حساس لبعض الوقت، وعناصر التفجير التي شكلت قوام ذلك الوضع كانت قد نشأت منذ وصول البريطانيين. كما أسهمت عوامل أخرى بالطبع في نشوء هذا الوضع.

موقف كرد العمادية حيال البريطانيين

لا شك بأن الكرد الذين تعايشوا لقرون عديدة مع طبيعة حياة العثمانيين وتقاليدهم قد استاؤوا من قدوم البريطانيين إلى بلادهم كغزاة فاتحين بعقيدتهم وثقافتهم الغريبة. ولا بد أن شيخ القبيلة الكردي العادي، الذي ألف، ولو مكرهاً، أنماط الحياة التركية، قد وجد في سياسة الإدارة البريطانية وممارساتها سياسة غير متجانسة وغير ملائمة ومزعجة وغير مستساغة. على

(1) بِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 72، م س رقم 317.

الرغم من الحلم والأناة والتفهم الذي كان يتمتع به القائمون على الإدارة البريطانية، وتوقهم الشديد لاستمالة الناس، فقد أصروا على جباية الضرائب وكانوا مصممين على تأكيد سلطتهم. كان موظفوهم أكفاء ومتفانين ونظيفي الكف بشكل واضح، لكنهم كانوا ميالين للتطفل والتدخل في شؤون الآخرين.

مهما كانت الحسنات التي انطوى عليها النظام الجديد، ومهما كانت الفوائد التي وعد بتقديمها، كان هنالك الكثير ممن كانت مصالحهم تحظى بخدمات أفضل في ظل النظام القديم ولا سيما شيوخ القبائل الأقوياء الذين كانوا يتمتعون بوضع شبه مستقل. في أثناء العهد العثماني، كان كرد هذه المناطق يتركون لإرادتهم ورغباتهم، باستثناء تلك المناسبات التي يقوم فيها أحد السلاطين الطموحين أو الموظفين المتقدي الحماسة الذين ادعوا لأنفسهم حيازة سلطة الدولة. غير أن هذا الدفق العثماني في الطاقة كان يساء تدبيره وينفذ بصورة سيئة عادة فيحدث بعض الضرر الجانبي على نطاق واسع. وفي معظم الأحيان كان يؤدي الأمر إلى أنصاف حلول غير مجدية فتعود الأوضاع على الدوام إلى ما كانت عليه قبل الإجراءات العسكرية المتخذة. (الاستثناء الوحيد يتمثل بسلسلة الحملات المنظمة لإخضاع الإمارات الكردية في خلال الجزء الأول من القرن التاسع عشر). لقد كان لمثل هذه القبضة الحكومية بعد تغلغلها داخل الأصقاع والوديان الكردية النائية أن تضعف وتتراخى إلى درجة أن شيوخ القبائل لم يجدوا أدنى صعوبة في تجييرها لمصلحتهم.

تأثيرات الإجراءات الإدارية البريطانية

لعل السبب الرئيس وراء ذلك الكره والنفور السائد في أوساط كرد العمادية يعود إلى تلك الإجراءات الإدارية غير الشعبية التي فرضتها قوة

الاحتلال الجديدة، والتي اشتملت على إنشاء قوة محلية للدرك وجباية الضرائب وتقديم إعانات السيولة النقدية وحبوب البذار للفلاحين الذين هم بحاجة إليها بصورة مباشرة، بدلاً من تقديمها لهم من خلال شيوخ القبائل، وإعادة اللاجئين الآشوريين إلى موطنهم.[1] يبدو بأن هذه الإجراءات قد أثارت حفيظة وسخط كبار أعيان المدينة ووجهائها وشيوخ القبائل المجاورة. لم ينظر إلى أفعالهم على أنها تدخل غير مبرر في الشؤون المحلية وحسب، بل بدا بأنهم يهددون في الصميم الأسس التي ترتكز عليها سلطات هؤلاء الرجال ومصالحهم.

لا شك بأن هذه الإجـراءات أسهمت إلى حد بعيد في تنامي موجة الاستياء ضد البريطانيين، ولعلهم، في الحقيقة، كانوا مسؤولين بشكل مباشر عن اندلاع الاضطرابات في العمادية. إن فهم تأثيرات هذه الإجراءات على الكرد يوضح طبيعة الشكاوى والمظالم الكردية ضد البريطانيين.

الدرك. يبدو بأن شيوخ القبائل الكرد قد ساءهم إنشاءُ قوة محلية للدرك وتموضعها ضمن نطاق منطقتهم. ولا بد أنهم استشعروا بأن إنشاء مثل هذه القوة سيؤدي إلى شروخ عميقة في الولاءات القبلية. بانضمامه إلى هذه القوة التي تخضع لسيطرة الحكومة، يكون المجند القبلي قد نقل ولاءه تلقائياً من قبيلته إلى الحكومة. والقبيلة بذلك لن تكون قد خسرت طاقات بشرية قيمة وحسب، وإنما خسرتها لمصلحة عدو ضمني - الحكومة - التي لم تكن مصالحها متوافقة على الدوام مع مصالح القبيلة أو شيوخها. علاوة على ذلك، لا بد وأن شيوخ القبائل قد أدركوا أن الهدف من عملية فرض الضرائب هو تأكيد سلطة الإدارة الجديدة والإبقاء عليها. شعر حيتانُ السلب والنهب الأقوياء بأن وجود مثل هذه القوة بين ظهرانيهم يشكل قيوداً قوية على حرية

(1) آ. ت. ويلسُن، ولاءات...، 2: 148، م س رقم 275؛ راجع بِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 71، م س رقم 317.

عملهم، وأدركوا بأنه طالما بقيت هذه القوة ضمن المدى المجدي لعملياتهم، فلن يغدو بمقدورهم بعد الآن الانخراط بحرية في أعمال العنف أو الإفادة منها. أعمال الإغارة والسلب والابتزاز سرعان ما أصبحت مشاريع محفوفة بالمخاطر.

الضرائب. على غرار معظم أبناء الشرق الأوسط، لطالما مقت الكرد عملية دفع الضرائب.[1] وقد نجم التمادي في اعتماد هذا إلى حد بعيد عن حقيقة أن الضرائب كانت تفرض على الغالب من دون أي اعتبار للقدرة المالية لدافعيها، وفي معظم الحالات كانت تجبى بطرق وأساليب لا إنسانية مجردة من الضمير والمبادئ الخلقية.[2] كانت المجتمعات القبلية في أنحاء

(1) يلاقي هذا الموقف دعماً قوياً في التقليد الديني للشرق الأوسط. عدد من الأحاديث المنسوبة للنبي محمد تعبر عن أقوى درجات الإدانة لجابي الضرائب. بحسب أحد هذه الأحاديث، نقل عن النبي قوله: «لا يدخل الجنة صاحب مكس.» وبحسب حديث آخر: «لا يحل مال امرئ مسلم إلّا عن طيبة نفس منه.» لقد اقتدى تقاةُ المسلمين منذ عهد الإسلام الأول بسنة النبي في إدانتهم لجابي الضرائب. البغض الذي كان اليهود يكنونه لجباة الضرائب واضح جداً في العهد الجديد وكذلك في النصوص الحبرية الربانية. بالنسبة إلى موقف المسلمين، انظر بيوركمان، «ماكس،» في الموسوعة الإسلامية، ط 1، 5: 176-77 (بالإنكليزية، مرجع 26)؛ من أجل قائمة بالأحاديث ذات الصلة، انظر توماس ولكر آرنولد، «الأعشار» في مطابقة ومؤشرات التراث الإسلامي، 4: 172-73 (بالإنكليزية، مرجع 10). بالنسبة إلى الموقف اليهودي، انظر والتر فريدريك آدني، «پابليكان،» في قاموس الإنجيل، 172-73 (بالإنكليزية، مرجع 1).

(2) يذكر الدملوجي إنه صادف في سياق واجباته الرسمية، عام 1905، أمثلة عن ممارسات لاإنسانية على صعيد جباية الضرائب في ناحيتي نيروى وريكان. على حد قوله، فقد كانت بنات الأشخاص العاجزين عن دفع الضريبة يؤخذن بعيداً عن ذويهن ويسلمن لموظفي الحكومة بدلاً للرواتب التي لم تكن الحكومة قادرة على دفعها لعدة أشهر. الدملوجي، إمارة بهدينان، 50-51، م س رقم 293.

المنطقة، ربما بسبب قدرتها على مقارعة الحكومة، مشهورة بامتناعها عن دفع الضرائب. كان إصرارُ السلطات البريطانية على فرض الضرائب وجبايتها السبب الرئيس وراء بعض جوانب ذلك الاستياء والتذمر من قبل الناس تجاه النظام الجديد في منطقة العمادية.

تقديم السيولة وحبوب البذار. شكل تقديم إعانات السيولة النقدية وحبوب البذار لرجال القبائل سبباً آخر من أسباب الاستياء والتذمر تجاه البريطانيين. بتقديمهم لإعانات السيولة النقدية وحبوب البذار للفلاحين الذين هم بحاجة إليها بصورة مباشرة، بدلاً من تقديمها لهم من خلال شيوخ القبائل، استجلب البريطانيون على أنفسهم سخط واستياء هؤلاء الشيوخ. بالنسبة إلى الزعماء القبليين، فهذه النغمة الجديدة الخطيرة، هددت بتقويض سلطتهم وتلاشي وجودهم كطبقة مهيمنة على شؤون المنطقة.

في الوقت الذي كان فيه رجل القبيلة العادي أيام العثمانيين معتاداً على الرجوع إلى شيخ قبيلته طلباً للعون والمساعدة، بات الآن يلقى التشجيع على طلب ذلك من الحكومة مباشرة. نحت السياسةُ البريطانية إلى حرمان زعماء القبائل من دورهم التقليدي كوسطاء بين الحكومة والناس الذين كان يرتكز عليهم نفوذ وسلطات هؤلاء الزعماء إلى حد بعيد.

إعادة اللاجئين الآشوريين إلى موطنهم. أثارت مسألة إعادة اللاجئين الآشوريين إلى موطنهم مخاوف وشكوك كرد العمادية. فكرد هذه المنطقة كانوا يحملون ضغائن قديمة ضد الآشوريين.[1] فقد كانت تساورهم مخاوف

---

(1) طوال القرن التاسع عشر، كانت هنالك بوادر حرب تلوح بين الآشوريين وجيرانهم الكرد. بحسب ريتش، فقد أُرغِمَ أمراءُ بهدينان على الاحتفاظ بحرس خاص لحماية أنفسهم من غارات الآشوريين المفاجئة. ريتش، حكاية إقامة في كردستان، 1: 156، م س رقم 216. بالإضافة لذلك، فقد استمرت الضغائن القديمة بين الآشوريين

من أن يعمد البريطانيون، الذين كانوا يساعدون اللاجئين على العودة إلى أوطانهم، وبالتالي إلى تمكين الآشوريين من أن يكون لهم اليد العليا وأن ينتقموا لأنفسهم من الكرد. كانت الدعاية التركية، مقرونة بتبجح كل من الأرمن والآشوريين وتفكيرهم الرَّغْبي، مسؤولة إلى حد بعيد عن الاعتقاد الذي انتشر على نطاق واسع بأن السيطرة المسيحية على الكرد باتت وشيكة.

انتفاضة العمادية والاجراءات العقابية البريطانية

تفاقمت المخاوف والشكوك التي أثارتها هذه المسائل وتحولت إلى مظالم وشكاوى حقيقية بتأثير التحريض والتآمر التركي. فالمصاعب التي كانت تحدق بالبريطانيين في هذه المنطقة المضطربة تجلت من خلال حادثة وقعت في بداية عهد الإدارة الجديدة. ففي أعقاب الاحتلال البريطاني للعمادية مباشرة، نشب نزاع بين الضابط السياسي المساعد، النقيب ويلي، وبعض أعيان المدينة. ضغائن وحزازات قائمة بين اثنين من أكابر البلدة، والتي قسمت البلدة إلى فصيلين متقاتلين، يبدو بأنها قد هددت في الصميم استتباب القانون والنظام في المنطقة، إلى درجة حَدَتْ بالنقيب ويلي إلى التدخل. قيل بأنه عمد إلى نزع سلاح الفريقين، وأنه أخذ ضمانة مالية من كليهما لقاء حسن سلوكهما في المستقبل. الحزم والصرامة اللامتحيّزة لإجراءاته أثارت

التياريين والكرد البرواريين لسنوات عديدة وأسفرت عن خسائر جسيمة بالأرواح من كلا الجانبين. ويغرام وويغرام، 314 وما بعدها، م س رقم 273. راجع الدملوجي، إمارة بهدينان، 110–16، م س رقم 293. في أثناء الحرب العالمية الأولى، هُوجم الآشوريون من عدة جهات وجرى طردهم أخيراً من وطنهم في هكّاري نتيجة هجوم ساحق من الجنوب. هذه القوة، التي جرى تنظيمها من قبل والي الموصل، كان قوامها بشكل رئيس كرد بهدينان. ويغرام وويغرام، م س، 369–70، م س رقم 273؛ الدملوجي، إمارة بهدينان، 116، م س رقم 293.

سخط كلا الطرفين إلى درجة أنهما قاما بتوحيد القوى ضد البريطانيين[1]. بعد أشهر من التهديد والتحريض والمداهنة التركية، قرر كرد العمادية رفع وتيرة الثورة وطرد البريطانيين بقوة السلاح. اجتمع «الآغوات» سراً، وفق ما ذكره السير أرنولد ويلسُن، «ولم تر حماقتُهُمْ سبيلاً ميسراً أمامهم سوى اللجوء إلى العنف.»[2] كان من بين المتآمرين كبار وجهاء العمادية والمناطق المجاورة، يتقدمهم زعماء الفصيلين المتخاصمين في تلك البلدة. وفي عشية 14 تموز/ يوليه، عام 1919، تسلقّ عدد من الرجال جدران المنزل الذي كان يبيت فيه الضابط السياسي المساعد ورفاقه وقتلوا ويلي وماكدونالد وتروب. ولقي الحراس المجندون الذين حاولوا صد الهجوم حتفهم أيضاً.[3]

كان رد البريطانيين سريعاً وعنيفاً. وكانت الفرقة الثامنة عشرة المتمركزة في الموصل قد أُمرت على الفور بالمباشرة في العمل وتحريك الإجراءات التأديبية. جمع لواء من الفرقة الثامنة عشرة بقيادة الجنرال نايتنغيل (Nightingale) في سواره توكا، الموقع الذي كانت القوات البريطانية قد انسحبت إليه قبيل ثلاثة أشهر، وأرسل لواء ثان بقيادة الجنرال وولريدج (Woolridge) إلى زاخو. وعُهدت قيادة العمليات العسكرية إلى الجنرال كاسل (Cassels) الضابط الذي ميّز نفسه أثناء المراحل الأخيرة لحملة بلاد الرافدين. أمره القائد الأعلى البريطاني بتمشيط منطقة الريف بالكامل بهدف معاقبة المتمردين وترسيخ هيبة السلطة البريطانية التي اهتزت بعنف.[4]

---

(1) آ. ت. ويلسُن، ولاءات...، 2: 148، م س رقم 275؛ وأيضاً بِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 71، م س رقم 317.

(2) م ن، 2: 149.

(3) م ن.

(4) م ن.



13. كردي نموذجي، العراق. بطاقة بريدية العراق، حوالى عام 1960. المصوّر مجهول الهوية/ بترخيص من جويس بلاو (Joyce Blau)، المعهد الكردي في باريس. كردستان: في ظل التاريخ.

قوبلت أولى محاولات البريطانيين للوصول إلى العمادية بمقاومة كردية شرسة، ما أظهر أن عدة قبائل شاركت بالدفاع والمقاومة. بنتيجة ذلك، لم يحدث هنالك أي تحرك ذي شأن إلى أن باتت القوة التأديبية جاهزة للعمل وجرى اتخاذ الإجراءات الضرورية التي تطلبت أسبوعين لاستكمالها.

بنهاية تموز/ يوليه، عام 1919، كانت القوة جاهزة للشروع في مهمتها. في 1 آب/ أغسطس، عام 1919، تمت السيطرة على إحدى القرى الكبيرة في منطقة العمادية، بعد أن وقع عدد من كبار زعماء المتمردين وعدد كبير من البنادق التركية الصنع في أيدي البريطانيين. شملت الإجـراءاتُ العقابية الوديان المجاورة، ويقال بأن إصابات كبيرة لحقت بالكرد. عدد من الزعماء المعروف بأنهم كانوا مسؤولين بشكل مباشر عن الجريمة حوكموا وأعدموا. جرى اجتياح نجد سر العمادية والقرى والأقاليم التي وراءه وجرى إنزال العقاب بقبائل البرواري التي كانت قد شاركت في أعمال عنف العمادية[1]. تم الاستيلاء على مدينة العمادية في 8آب/ اغسطس، وجرى اعتقال عدد من أعيانها ممن وصفوا «بالمذنبين الثانويين.»[2]

لا ينبغي الافتراض بأن هذه الانتصارات تم تحقيقها بسهولة أو من دون انتكاسات، فقد قاوم الكرد بشجاعة وعناد، وفي بعض الحالات أظهروا ضروباً مشهودة من الإقدام والبسالة. فعلى سبيل المثال، وبينما كان البريطانيون منشغلين بتهدئة الأوضاع في العمادية، قامت قوة قبلية مكونة من ابناء قبيلة الغول وعناصر أخرى من منطقة غرب الخابور، بهجوم مفاجئ على الموقع البريطاني في سواره توكا. على الرغم من تمكن القوات البريطانية من صدهم لاحقاً، فقد أربكوا المدافعين ونجحوا بإلحاق إصابات كبيرة في صفوفهم.[3]

حوالى نهاية آب/ أغسطس، وبينما كانت العمليات العسكرية تتجه نحو خاتمتها المظفرة في منطقة العمادية، قرر البريطانيون توجيه اهتمامهم

---

(1) م ن.

(2) بِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 21، م س رقم 317.

(3) آ. ت. ويلسُن، ولاءات...، 2: 149، م س رقم 275.

نحو القبائل المذنبة غرب الخابور. بالتالي، فقد تم إرسال الجنرال وولريدج لمقارعة قبائل الگول الذين كانوا قد قادوا الهجوم على سواره توكا. بحلول منتصف أيلول/ سبتمبر، 1919، وبينما كانت العمليات في هذا القطاع لا تزال جارية، عمدت معظم العناصر المعادية ذات الشأن في منطقة العمادية إلى إعلان خضوعها.

حدث في هذا الوقت عينه عندما قام الگويان، الذين سبق وأدينوا بجريمة قتل النقيب پيرسن في نيسان/ أبريل، بسلسلة من الهجمات الجريئة بجوار منطقة قبائل الگول، حيث كان الجنرال وولريدج لايزال منهمكاً في تهدئة القبيلة. في وجه هذا الاستفزاز الجديد، قرر البريطانيون نقل العمليات التأديبية إلى منطقة قبائل الگويان. صدرت الأوامر إلى لواء الجنرال نايتنغيل بالتحرك نحو هذا القطاع وأوكلت إليه مهمة تأديب القبيلة المتمردة. آذَنَ الإجراءُ التأديبي الأخير بوصول الحملة التي استمرت لمدة ثلاثة أشهر في نهايتها.[1]

اندلاع أعمال العنف في منطقة زيبار - بارزان

وقع الاندلاعُ الثالث لأعمال العنف ضد البريطانيين في منطقة زيبار- بارزان وامتدت إلى عقرة، أكبر مدينة في المنطقة. لقد سبق أن شكلت هذه المنطقة، كما سنذكر لاحقاً، مسرحاً لنزاعات كثيرة وسفك دماء في أثناء العهد العثماني. لقد حوَّلتِ الحروبُ الدورية بين شيوخ البارزانيين وآغوات زيبار وتورط الحكومة العثمانية في هذه الحروب، إلى جانب آغوات زيبار عادة، المنطقة إلى واحدةٍ من أكثر المناطق الخاضعة للحكم العثماني اضطراباً. قبل خمس سنوات فقط، وضع الوالي العثماني، سليمان نظيف، نهاية لواحدة من

(1) م ن، 2: 150-51. راجع استعراض للإدارة المدنية، 7، م س رقم 317.

أطول مراحل الصراع المديد مع شيوخ البارزانيين من خلال شنقه للشيخ عبد السلام، عميد الأسرة البارزانية.

عندما استولى البريطانيون على ولاية الموصل ومضوا في بسط سيطرتهم على شتى المناطق والنواحي، عمدوا إلى إلحاق إقليم بارزان بعقرة، الأمر الذي بدا بأنه أثار استياء الشيخ أحمد بارزاني وسخطه، شقيق الشيخ عبد السلام وخليفته، الذي كان يعتبر عقرة بمثابة معقل النفوذ الزيباري. في إحدى المرات وصل الأمر بالشيخ أحمد إلى التصريح برغبته الشديدة في الانتقال إلى منطقة راوندوز، وهو انتقال لم يحظ بتشجيع البريطانيين. بهدف تحاشي وقوع حوادث مؤسفة بين البارزانيين والزيباريين، منعت القواتُ البريطانية فارس آغا الزيباري من عبور الزاب إلى الإقليم البارزاني.

استجلبت هذه المساعي الهادفة إلى الحفاظ على التوازن بين الخصمين استياء كلا الطرفين وعداوتهما. لم يتوان الترك في الإفادة من هذا التطور وسخّروا مساعيهم الحميدة لتسوية الخلافات بين فارس آغا والشيخ أحمد، حيث استتب الوفاق موقتاً بين الطرفين. وهكذا، وبضربة معلم، نجح الترك في كسب ولاء كلا الفريقين ودعمهما لقضيتهم.[1]

في هذه الأثناء، استمر الترك في جهودهم لإخراج البريطانيين من ولاية الموصل بأي طريقة ممكنة. في شتاء 1918-1919، راجت هنالك تقاريرُ كثيرة حول غزو تركي وشيك للمنطقة. ويقال بأن أنور پاشا وصل إلى ڤان على رأس تعزيزات كبيرة قوامها جنود ترك وجنود روس من الفارين من الخدمة

(1) بِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 72، م س رقم 317؛ آ. ت. ويلسُن، ولاءات...، 2: 151، م س رقم 275.

العسكرية. جرى تقديمه على أنه كان على صلة بسوتو[1] آغا الأوراماري، وشيوخ قبائل البرواري وبقية العناصر المناوئة للبريطانيين.[2]

في هذا الوقت، أيضاً، تردد بأن عناصر شريفية من سوريا كانت تعمل بين القبائل الكردية في هذه المنطقة. بالرغم من أنه بدا واضحاً بأنهم لم يحققوا أي مكسب ذي شأن لقضية سيدهم، لا شك بأن ظهورهم خلق حالة من التوتر والقلق. ما قدموه كان مزيجاً من الإغراء والتآمر. لقد دغدغت إمكانية أن يصبحوا مرة أخرى جزءاً من دولة إسلامية المشاعر الدينية للكرد، وتوقع وجود قبضة حكم متراخية وغير مؤثرة من عاصمة بعيدة كدمشق، وعداً بحياة رغيدة مطمئنة يتمتعون فيها بمزاياهم التقليدية من دون منغصات.[3] لقد شكلت الصورة الأولية للمستقبل في ظل الدولة الشريفية، كما قدمها سفراء الشريف حسين، عامل تذكير مؤثراً بالصلة العثمانية المقطوعة وأسهمت فقط في جعل الكرد أكثر إدراكاً لخسارتهم.

لقد كان في إطار هذه الصورة أن خَلَفَ السيد ج. هـ. هـ. بِيلّ (J. H. H. Bill) الكولونيل جيرارد إ. ليتشمان (G. E. Leachman) كضابط سياسي عن منطقة الموصل في تشرين الأول/ أكتوبر، عام 1919. بعد توليه لمهامه الجديدة مباشرة، انطلق بِيلّ إلى إقليم زيبار في جولة تفتيشية بهدف التعرف إلى المشكلات المتنوعة للمنطقة. وفي سياق جولته قام بفرض غرامات على فارس آغا وأبي بكر آغا، وهما اثنان من كبار زعماء قبائل زيبار، الذين كان

(1) اسم شيخ قبيلة الأوراماري يظهر أيضاً بلفظة «سيتو» أو «سوتو.»

(2) بِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 72، م س رقم 317؛ آ. ت. ويلسُن، ولاءات...، 2: 151-52، م س رقم 275.

(3) بِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 72-73، م س رقم 317؛ آ. ت. ويلسُن، ولاءات...، 2: 152، م س رقم 275.

أتباعُهُم قد أدينوا بتهمة إطلاق النار على عناصر من الدرك. بدا واضحاً أن قدراً كبيراً من السخط والاستياء قد تملك كلا الزعيمين لهذه العقوبة وناشدا الشيخ أحمد بارزاني طلباً للمساعدة. تجاوباً مع مناشدتهما، قام الشيخ أحمد بأرسال شقيقه، ملّا مصطفى، برفقة حوالى عشرين رجلاً. عمدت الكتيبة البارزانية، إلى جانب فارس آغا وأبي بكر آغا وأنصارهما، والتي بات قوامها حوالى مئة رجل، إلى نصب كمين لجماعة السيد بيلّ قرب بيرا كاپرا، قرية أبي بكر آغا. لقي السيد بيلّ والنقيب ك. ر. سكوت (Captain K. R. Scott) واثنان من عناصر الدرك الأربعة حتفهم في هذا الكمين. أما عنصرا الدرك الآخران، اللذان كانا ينتميان إلى قبيلة زيبار، فقد استسلما للمهاجمين ولم يُقتلا.[1]

بعد أن تملكت رجالُ قبيلتي بارزان وزيبار نشوة الظفر، قاموا بمهاجمة عقرة وسلبها. في خلال اليومين التاليين، تنازع القبليون فيما بينهم حول الغنائم، وعاد البارزانيون أدراجهم إلى موطنهم. وفاقاً للمصادر البريطانية، فقد أعلن العديد من زعماء القبائل ولاءهم للحكومة وعرضوا تقديم المساعدة. شعر أهل البلد بقدر كبير من الارتياح لدى وصول قوة من المجندين الكرد بقيادة النقيب إف. سي. كيرك (F. C. Kirk)، الضابط السياسي المساعد في باتاس في منطقة راوندوز، إلى عقرة في 9 تشرين الثاني/ نوفمبر 1919. وقد بلغنا أيضاً عدم وجود أية دلائل على ردود فعل عدائية تجاه رتل التأديب الذي ظهر بعد ذلك مباشرة في وادي نهر الزاب. وقد تردد بأن القرى التي مر من خلالها الرتل رفعت الرايات البيضاء إعراباً عن نيّاتها السلمية وأنها كانت خائفة من آغواتها ومبتهجة لمرأى القوات الحكومية.[2]

---

(1) م ن، 73؛ آ. ت. ويلسُن، ولاءات...، 2: 153، م س رقم 275.

(2) م ن.

قام رتل التأديب بإحراق منازل زعماء زيبار عقاباً لهم على جريمة قتل الضباط البريطانيين ومجموعة المرافقة، ولدى عبورهم الزاب، قاموا بإنزال العقوبة ذاتها بالبارزانيين. يقال بأن القرى في المنطقة، كما في العمادية، لم تتعرض لأي مضايقات. لقد بدا واضحاً أن زعماء المتمردين فشلوا في استثارة القبائل المجاورة بسبب ولائها للزعيم القائد في منطقة عقرة عبد القادر آغا الشوشي.[1]

لاذ المتمردون الأربعة – فارس آغا وأبو بكر آغا الزيباري، إلى جانب الشيخ أحمد بارزاني وشقيقه ملّا مصطفى – بالفرار نحو الجبال واعتُبروا من الخارجين عن القانون. من الجدير ذكره أن هذا التمرد فشل في إحداث أية تداعيات مباشرة في المناطق المجاورة. استناداً إلى ما أفاد به كل من غرترود بِلّ وأرنولد ويلسُن، من الإدارة المدنية البريطانية، «لم تحدث هنالك أية اضطرابات أو أعمال شغب متعاطفة أو مؤيدة في العمادية، وأن سيد طه الشمديناني رفض الاستماع لاقتراح قائمقام النهري، حيث يحتفظ الترك بحامية صغيرة، بوجوب أن يقوم هو وسيتو الأوراماري بالتعاون نيابة عن قبائل زيبار. تسبب موقفه هذا بشعور القائمقام بعدم الارتياح فيما يتعلق بسلامته هو بالذات، حيث غادر نهري إلى باش قالا.»[2]

سواء كان الترك مسؤولين بصورة مباشرة عن هذا التمرد أم لا، لم تتوافر المقومات مرة أخرى لانتفاضة شعبية لأن تغدو حقيقة واقعة في ولاية الموصل. في سياق تعليقه على هذه الاضطرابات، صرح ويلسُن قائلاً: «الدلائل كافة تنحو للإشارة بأن جريمة قتل الضباط البريطانيين لم تأت عن

(1) م ن.

(2) صوغ المقطع المعطى هو صياغة متطابقة في كليهما، بِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 73، م س رقم 317؛ آ. ت. ويلسُن، ولاءات...، 2: 153، م س رقم 275.

سابق تصور وتصميم، لكنها نجمت عن فورات غضب مفاجئة تتسم بها طباع الكرد. ولكن بمجرد وقوعها، أطلقت الإشارة بالتمرد.»[1]

أضاف سوتو آغا، أحد زعماء القبائل القساة المتسمين بالغدر والخيانة، من قفار منطقة هركي - أورامار، حاشية مقيتة إلى هذه الأحداث. فقد استغل الزعيمُ المخادع، الذي يبدو بأنه أقنع قائمقام نهري بتفانيه في خدمة القضية التركية[2]، الاضطرابات في منطقة زيبار - بارزان لتسوية بعض الحزازات والأحقاد القديمة. واستناداً إلى ما أورده تقرير رسمي، «فقد انتهز سوتو الأوراماري، الذي كان له ثأر قديم مع عبد الوهاب الريكاني، الاضطرابات في عقرة للإيقاع به بحجة الصداقة، ومن ثم إلى دق عنقه.»[3]

---

(1) آ. ت. ويلسُن، ولاءات...، 2: 153، م س رقم 275.

(2) في تشرين الثاني/ نوفمبر، عام 1919، وقت اندلاع التمرد في زيبار، كما ذكر آنفاً، يبدو بأن الترك اعتبروا سوتو آغا كأداة موثوقة لسياستهم. مع ذلك، بعد أقل من سنة، في عام 1920، تردد بأنه كان يكتب رسائل إلى السلطات البريطانية في الموصل مؤكداً على صداقته لهم. العراق (الإدارة البريطانية)، مكتب المفوض المدني، تقرير الإدارة لإقليم الموصل لعام 1920، 12 (بالإنكليزية، مرجع 344).

(3) العراق. المفوض المدني. الإدارة المدنية في بلاد الرافدين: تقرير الإدارة (1919)، الجزء 1، «الموصل»، 16 (بالإنكليزية، مرجع 348). يبدو بأن هذا العمل الانتقامي قد آذَنَ تواً بفصل آخر من العداوة اللدودة بين سوتو آغا وآغوات ريكان. تصف «حكاية سوتو وتاتو» بشكل تصويري شخصية هذا الرجل العنيف القاسي، الذي أصبح شخصية أسطورية حتى في أثناء حياته. تروي الحكاية، في مناسبة سابقة، كيف نفذ سوتو انتقامه الرهيب من أعدائه، الآغوات الريكانيين، نيكيتين وسون «حكاية سوتو وتاتو» 69-106 (بالإنكليزية، مرجع 200). للاطلاع على القصة المتعلقة بالكيفية التي تسبب من خلالها سوتو بالقضاء على أربعمئة قوقازي، انظر ويغرام وويغرام، 369، م س رقم 273.

أعمال الشغب في إقليم أربيل ومنطقة عقرة وإقليم الموصل

الوضع في إقليم أربيل

كان إقليم أربيل آخر منطقة كردية تخضع لموجة الاضطرابات التي اندلعت بين كرد ولاية الموصل بعد توقيع الهدنة مع تركيا. وفيما هب الكرد بصورة متلاحقة لتحدي سلطة الحكومة الجديدة في منطقة زاخو (نيسان/أبريل، 1919) ومنطقة السليمانية (أيار/مايو، 1919)،[1] ومنطقة العمادية (تموز/يوليه، 1919) ومنطقة زيبار - بارزان (تشرين الثاني/نوفمبر 1919)، لم يلحق كرد أربيل بالركب حتى آب/أغسطس، عام 1920.

كانت هنالك أسباب سياسية وجغرافية واقتصادية وراء هذا التلكؤ. نتيجة للبعد النسبي ووعورة المسالك المؤدية إلى منطقة أربيل، كان من الطبيعي تماماً أن يركز الترك القسط الأعظم من جهودهم التخريبية الهدامة على منطقة الموصل الأقرب والأكثر أهمية. أما مناطق زاخو والعمادية وزيبار - بارزان، ونظراً لقربها الجغرافي من مراكز التحريض التركي في جزيرة ابن عمر وشرنخ ونهري، فكان من السهل الوصول إليها واستنهاض أبنائها. أما بخصوص الانتفاضة في إقليم السليمانية، فلا شك بأن المشاعر القومية الكردية كانت وراء انطلاقة هذه الانتفاضة، مهما كانت هذه المشاعر غامضة أو غير متبلورة، بالإضافة إلى طموحات الشيخ محمود وقيادته القوية. كان إقليم أربيل يفتقر بشدة لكلا هذين العنصرين. كذلك فإن كرد إقليم أربيل كانوا قد عانوا من ويلات الحرب معاناة تفوق معاناة إخوانهم في الشمال والجنوب، وكانوا بحاجة لفترة أطول للتعافي.

(1) تمرد عام 1919 في السليمانية جرى التطرق إليه في الفصل 10.

على الرغم من أن كرد أربيل ظلوا هادئين، إلّا أنهم لم يكونوا غير مبالين تجاه الأحداث الخطيرة التي تجري حولهم. الرائد وليم ربرت هيّ (W. R. Hay)، الضابط السياسي البريطاني المكلف بإدارة إقليم أربيل، والذي مكنته شجاعته وقوة شكيمته من الصمود وبالتالي صد مد التمرد في إقليمه، علق على التأثيرات الناجمة عن أعمال الشغب على كرد أربيل بقوله: «شكل تمرد الشيخ محمود في أيار/ مايو، 1919، بداية ردود الفعل في شمال بلاد الرافدين، ورغم أنها انتهت بالفشل فقد أظهرت أن بالإمكان تحدي الحكومة الجديدة، وأطلقت موجات من التململ والاضطراب في أنحاء البلاد.»[1]

يبدو بأن تأثير تمرد الشيخ محمود تجلى أكثر ما تجلى في منطقة كويسنجق وبين قبائل الخوشناو.[2] في سياق وصفه لهذه الأحداث عام 1921، أكد و. ر. هيّ أيضاً التأثيرات السلبية لجريمة قتل الضباط البريطانيين في پرا كپرا على إقليم أربيل. واستناداً إلى تصريحاته، فقد تعاظمت حالات السلب والنهب والفوضى بشكل عام بعد هذا الحدث.[3] كذلك، فقد خلقت أعمال الشغب في تلّعفر قدراً كبيراً من الاهتياج والإثارة في مدينة أربيل، وفاقمت مشاعر السخط والنقمة إلى درجة أنها شجعت على المجاهرة بالدعوة إلى التمرد والعصيان.[4]

الهجوم الموعود على أربيل

في أوائل صيف عام 1920، كانت حالة الاهتياج السياسي في أنحاء بلاد الرافدين الخاضعة للاحتلال البريطاني قد بدأت تتخذ شكلاً مقلقاً. وفي

---

(1) و. ر. هيّ، عامان في كردستان، 159، م س رقم 101.

(2) م ن، 184.

(3) م ن، 195.

(4) م ن، 267-68.

منتصف آب/ أغسطس، كانت الاضطرابات التي بدأت في الجنوب بنهاية حزيران/ يونيه قد امتدت إلى ديالى وكركوك وأربيل. وفي 12 آب/ أغسطس، 1929، تعرض الرائد و. ر. هيّ للهجوم عند ممر راوندوز حيث نجا بأعجوبة.[1] في 3 أيلول/ سبتمبر، عام 1920، أُرغِمَ النقيب كيرك على مغادرة كويسنجق. عمد المجندون الذين كانوا تحت إمرة النقيب ليتلديل (Littledale) إلى الانسحاب من راوندوز وباتاس إلى أربيل. في 8 أيلول/ سبتمبر، وصل السير أرنولد ويلسُن، نائب المفوض السامي المدني بالطائرة إلى أربيل. كان مقدراً لزيارته أن ترفع من الروح المعنوية للمسؤولين المحليين والوجهاء في المدينة وتثبط من عزيمة القوى القبلية التي كانت تهدد بالهجوم.

تمخضت زيارة ويلسُن عن النتيجة المرجوة ومكنت المدينة من الصمود حتى وصول القوات العسكرية البريطانية بعد عدة أيام.

مع ذلك، فإن أربيل تدين بتحريرها بشكل رئيس لثلاثة رجال: خورشيد آغا، الزعيم الأعلى لقبيلة دزه يي، والذي كان قد وعد بالدفاع عن المدينة وقام باستدعاء رجاله وهدد بمحاربة الغزاة القادمين؛ وأحمد أفندي، محافظ أربيل، الذي أسهمت جهوده الدؤوبة في الحفاظ على القانون والنظام في استقرار الوضع؛ وأخيراً، الرائد و. ر. هيّ، الضابط السياسي الذي أوحت شجاعته وحسن تقديره بالثقة ومكنت تلك العناصر الموالية للإدارة من البقاء موحدين في تصميمهم على النجاة من الخطر.»[2]

---

(1) م ن؛ آ. ت. ويلسُن، ولاءات...، 2: 285، م س رقم 275. راجع السير جيمس آيلمر لوثروب هالدين، العصيان المسلح في بلاد الرافدين 1920، 246 (بالإنكليزية، مرجع 94). من أجل وصف مفصل لهذا الفصل، انظر و. ر. هيّ، عامان في كردستان، 286-94، م س رقم 101.

(2) جرى وصف هذه الأوقات العصيبة في أربيل بشيء من الإسهاب وبتفصيل أكبر في آ. ت. ويلسُن، ولاءات...، 2: 286-89، م س رقم 275؛ و. ر. هيّ، 281-347، م س رقم 101.

لقد ناقشت في الفقرات السابقة الأسباب المتنوعة للتفاقم الطارىء والانتشار السريع لروح التمرد والعصيان بين الكرد. ومن الجدير ذكره عند هذه النقطة هي ملاحظة أوردها ويلسُن، الذي عزا بعض هذه المتاعب والاضطرابات إلى ما وصفه بـ«صُنّاع الشر المتنقلون.» بالنسبة إليه، «هنالك العديد من أمثال هؤلاء يعملون بلا كلل ولا ملل في هذه الفترة. البعض منهم كانوا رسل بلاشفة جمعوا بين أشرس أشكال مشاعر العداء للغرباء مع شغف شديد تجاه حقوق الإنسان عموماً، ولدعم الخارجين عن القانون على وجه الخصوص. آخرون كانوا من أتباع الشيخ محمود الذين يعلقون الآمال على إعادته إلى السلطة.»[1]

تمرد عشائر السورچي في إقليمي الموصل وأربيل

سورچيو إقليم الموصل

كان سورچيو إقليم الموصل متهمين بالمشاركة في نهب مدينة عقرة عند الاستيلاء عليها من قبل القوات الزيبارية – البارزانية بنهاية عام 1919. جرى النظر آنذاك في إمكانية فرض عقوبات تأديبية عليهم، لكن الرتل الذي أُرسِلَ لمعاقبة الزيباريين أُمِرَ بترك السورچيين وشأنهم طالما التزموا الهدوء. مع ذلك، فقد كان سلوكهم السلمي مخادعاً، ففي نيسان/ أبريل، 1920، حملوا السلاح بتحريض من الزيباريين. رغم كونه مباغتاً، إلّا أن التمرد كان متوقعاً. فقد كان معروفاً منذ حزيران/ يونيه أن المتاعب كانت في طور التشكل، عندما قدم فارس آغا الزيباري، برفقة مجموعة مسلحة، إلى باجل بهدف إقناع الشيخ

(1) آ. ت. ويلسُن، ولاءات...، 2: 290، م س رقم 275.

النقشبندي عبيد الله بالمشاركة في الهجوم على عقرة. جرى تفادي المتاعب آنذاك عن طريق هجوم جوي على أربيل أرغم الزيباريين على الفرار قبل تمكنهم من تنفيذ أهدافهم.[1]

لقد تردد بأن السورچيين كانوا ميالين إلى الخضوع للحكومة، لكن كيد الزيباريين ومكرهم والريبة التي كان السورچيون بالذات يكنونها حيال الحكومة، حالت دون إقدامهم على تلك الخطوة. على الرغم من التزامهم جانب الهدوء، في خلال شهري شباط/ فبراير وآذار/ مـارس، فإن مشاعر العداء المكبوتة في داخلهم، تؤَجِّجُها وتذكي أوارها الدعايةُ التركية، لم تتمكن من البقاء طويلاً تحت السيطرة. في نيسان/ أبريل، 1920، قاموا بنصب كمين لإحدى القوافل العسكرية المتجهة إلى عقرة وتدميرها. أعقب هذا التحديَّ السافرَ بعد بضعة أيام هجومٌ على عقرة بالذات. قوى الدرك المحلي بقيادة نقيب بريطاني نجحت في صد المهاجمين بانتظار وصول تعزيزات بعد أربع وعشرين ساعة.[2]

في أعقاب هذه الأحداث قد لا يوجد شك حول موقف السورچيين ونيّاتهم. لم يلق الرتل الذي أرسل لتأديبهم أي مقاومة. وتم تدمير باجل وقلاتي وسوسناوة، المراكز الثلاثة الرئيسة في إقليم الموصل، غير أن أيّاً من القادة لم يواجهوا أو يقعوا في الأسر. والأمر الثاني بدا أنهم فرّوا إلى مناطق جبلية وعرة المسالك أثناء تقدم رتل التأديب. في خلال الأشهر القليلة التالية، هدأت الأمور، ما عدا بعض المناوشات ضد الأطراف الزيبارية والسورچية المغيرة بجوار عقرة. لقد نجح تطبيقُ نظام الدوريات العسكرية في وضع نهاية

(1) العراق (الإدارة البريطانية)، مكتب المفوض المدني، تقرير إدارة إقليم الموصل لعام 1920، 10، م س، رقم 344.

(2) م ن.

للنشاطات العدائية من جانب السورچيين، الذين لم يثيروا أية متاعب أخرى حتى انتفاضة أقربائهم، سورچيو إقليم أربيل في آب/ أغسطس، عام 1920.[1]

سورچيو إقليم أربيل

كان الوضع في أربيل محتدماً لدرجة كبيرة في هذا الوقت عندما تسببت مجموعة غريبة من الظروف بحالة من السخط والنقمة القبلية، على أثر تورط عدد من المتهورين بأعمال ثأر دامية ضد ممثل الحكومة في راوندوز توحدت عصابة من الخارجين عن القانون في ائتلاف مروع خطير ضد الحكومة. كان الناقمون القبليون المكونون بمعظمهم من سورچيي إقليم أربيل متمركزين عند سهل الحرير. كان المتورطون بأعمال الثأر القبلية الدامية أشقاء يوسف بگ، الذي كان قد شُنِقَ في ظروف غامضة،[2] ونوري، نجل باويل آغا، الذي

(1) م ن.

(2) أُعْلِمنا بأن يوسف بگ كان زعيماً قبلياً إقطاعياً ذا نفوذ كبير من منطقة راوندوز المجاورة. وبعد هجوم شنه رجالُه ضد شيخ قبيلة غير ذي شأن وأتباعَه، في تجاهلٍ، إن لم يكن في تحدٍّ صارخ للضابط السياسي البريطاني، الرائد هيّ، جرى اعتقاله وإحضاره أمام المسؤول المذكور. في سياق المجادلة التالية، تردد بأنه نادى على رجاله للمجيء وقتل الرائد هيّ. لكن الأخير كان قد نجح في الإمساك به وزجه في السجن واتخذ الترتيبات اللازمة لترحيله إلى كركوك صباح اليوم التالي. وعندما حضر الدرك لأخذ يوسف بگ، قاومهم، وكان عليهم أن يشدوا وثاقه إلى البغل الذي كان سيقله إلى وجهته. بلغنا أن الحرس المكلفين بمرافقته، بعد بضع ساعات على الطريق، اكتشفوا بأنه قد مات. الرائد هيّ، الذي وصفه بأنه أخطر رجل في المنطقة، قال فيما بعد: «أنا على يقين بأن موته لم يكن متعمداً من جانب الدرك، على الرغم من كونه نعمة من أعظم النعم الإلهية.» لمزيد من التفاصيل حول يوسف بگ وملابسات اعتقاله وموته، انظر و. ر. هيّ والضابط السياسي في أربيل، ملاحظة حول راوندوز، 2-1 (بالإنكليزية، مرجع 340)؛ وأيضاً و. ر. هيّ، عامان في كردستان، 204-24، م س رقم 101.

سبق أن تعرض أشقاؤه للقتل بأوامر من اسماعيل بگ، حاكم راوندوز[1] المعيّن، حسبما تردد. كانت عصابة الخارجين عن القانون عبارة عن مجموعة من قطاع الطرق بزعامة حمادة شين بجوار ممر سپيليك.[2]

بعد هجومه على الرائد و. ر. هيّ في آب/ أغسطس، عام 1920، في ممر راوندوز، كان نوري باويل آغا قد عبر الزاب والتجأ عند سورچيي إقليم الموصل. من ملجئه، كان قادراً على إطلاق الانتفاضة التي توجت بطرد البريطانيين من مناطق راوندوز وباتاس التابعة لإقليم أربيل، وبات قاب قوسين أو أدنى من إخراجهم من مدينة أربيل وبقية مناطق الإقليم. انضمت غالبية شيوخ سورچيي عقرة إلى أنسبائهم من سهل الحرير في الانتفاضة. بات الوضع على درجة عالية من الخطورة عندما تمت استمالة قبيلة خوشناو المجاورة، التي كانت حتى ذلك الحين على وفاق مع البريطانيين، لمشاركة المتمردين قدرهم، بعد شيء من التردد. كما أوضحنا سابقاً، فقد تم تفادي تطورات أكثر خطورة بصمود حفنة من أبناء أربيل الذين نجحوا في كبح جماح القبائل المتمردة حتى وصول قوات الإمداد من الموصل وكركوك.[3]

بعد إخفاقهم في محاولتهم الاستيلاء على أربيل، عبر القسم الأعظم

(1) يبدو بأن نوري باويل آغا كان رجلًا ذا شخصية محترمة. بالرغم من حقيقة أنه هو من حاول اغتيال الرائد هيّ في ممر راوندوز، فإن الأخير كان يكن مودة صادقة لسجايا نوري باويل آغا كرجلٍ وقائد. بالنسبة إلى ثأر الدم بينه وبين اسماعيل بگ، انظر و. ر. هيّ، عامان في كردستان، 76-275 وغيرها، م س رقم 101.

(2) لمعلومات حول حمادة شين وعصابته من الخارجين عن القانون، انظر م ن، 233؛ وهاملْتُن، 93-103 (بالإنكليزية، مرجع 95).

(3) العراق (الإدارة البريطانية)، مكتب المفوض المدني، تقرير إدارة إقليم الموصل لعام 1920، 10، م س رقم 344. لمزيد من التفاصيل انظر و. ر. هيّ، عامان في كردستان، 311-47، م س رقم 101.

من القوات السورچية الزاب عند كردمامك نحو منطقة عقرة. هنا، لم يتوان السورچيون لحظةً عن مهاجمة معسكر اللاجئين الآشوريين في جوجار. لقد كان لهذا الخطأ الفادح أن كلفهم الكثير على صعيد الأرواح والنفوذ. عمد السورچيون، بعد أن انضمت إليهم فصائل من قبيلة العشائر السبع، إلى مهاجمة المعسكر الآشوري في المساء. جرى صد الهجوم بعد أن تكبد المهاجمون خسائر فادحة، وفي سياق ملاحقتهم للقوات المعتدية، قام الآشوريون بدفعهم باتجاه الزاب، حيث لقي الكثير منهم حتفه قتلاً أو غرقاً.[1]

إلى جانب توجيهه ضربة مؤلمة لهيبة السورچيين، فقد كان لهذا الحدث تأثيرٌ مفيدٌ على القبائل المجاورة من وجهة النظر البريطانية. في الحقيقة، صرح ويلسُن بأنها قد تكون مسؤولة عن السلام الذي ساد في إقليم الموصل في وقت كانت فيه السلطة البريطانية تواجه تحدياً في معظم أنحاء منطقة بلاد الرافدين المحتلة من قبل البريطانيين.[2]

في تشرين الثاني/ نوفمبر عام 1920، تردد بأن حركة إعادة اللاجئين الآشوريين إلى الوطن قد قوَّضت سلطة قبائل منطقة زيبار - بارزان التي تصادف مرورها عبر أراضيها.[3] بنهاية العام 1920، تردد بأن شيوخ

---

(1) بحسب هالدين، فقد بلغت خسائر السورچيين 60 قتيلًا و140 غريقاً. هالدين، م س، 247. راجع آ. ت. ويلسُن، ولاءات...، 2: 291، م س رقم 275؛ العراق (الإدارة البريطانية)، مكتب المفوض المدني، تقرير إدارة إقليم الموصل لعام 1920، 10، م س رقم 344.

(2) آ. ت. ويلسُن، ولاءات...، 2: 291، م س رقم 275.

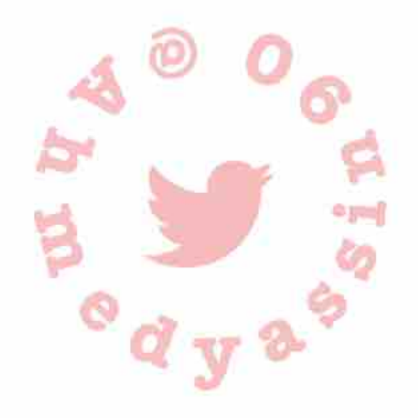
(3) يبدو بأن الزيباريين الذين هم تحت إمرة فارس آغا والبارزانيين الذين هم تحت إمرة الشيخ أحمد قد اتحدوا لمواجهة مرور اللاجئين الآشوريين نحو مواطنهم الجبلية في هكّاري. مع ذلك، فقد فشلوا في تحقيق غايتهم. فقد جرى احتلال بارزان وتدميرها من قبل القوة الآشورية، التي تردد بأنها تحركت شمالاً في طلب فارس

السورچيين – ڤيون وشكاك ومازو – قد قبلوا الشروط المعروضة عليهم وأنهم وافقوا على الخضوع للسلطات في الموصل. كذلك فقد أفيد بأن الشيخ عبيد الله الباجلي، الذي ذهب إلى الموصل بقصد تحقيق السلام مع الحكومة، رفض الشروط المعروضة عليه بعد أن تبين بأنه وبدلاً من تعيينه حاكماً على منطقته، طلب منه أن يدفع غرامة. الشيخ رقيب السرداري، الذي قيل بأنه يحاول جاهداً أن يكرس نفسه كشيخ في سهل الحرير، لم يكلف نفسه عناء التقدم بأي عرض أو مفاتحة للبريطانيين.[1] في كانون الثاني/ يناير، 1921، أعلن واژي، أحد أبناء الشيخ عبيد الله، خضوعَه، ثم حذا حذوَه والدُهُ في أيلول/ سبتمبر من العام ذاته.[2]

آغا، الذي فر باتجاه أورامار. العراق (الإدارة البريطانية)، مكتب المفوض المدني، تقرير إدارة إقليم الموصل لعام 1920، 10–11 و13، م س رقم 344.

(1) م ن، 11.

(2) العراق (الإدارة البريطانية)، مكتب المفوض المدني، تقرير إدارة إقليم الموصل لعام 1921، 9، م س رقم 345.



@Ahmedyassin90

الفصل العاشر

الشيخ محمود وصعود الاتحاد الكردي الجنوبي في كردستان وسقوطه بعد الحرب العالمية الأولى

التقدم البريطاني في كردستان الجنوبية

احتل البريطانيون بغداد في آذار/ مارس، عام 1917، وسرعان ما أصبحت القوات العسكرية البريطانية في بلاد الرافدين قريبة من العشائر الكردية في أقصى جنوب كردستان. إلّا أن الاعتبارات السياسية كانت قد عملت ضد توسع النفوذ البريطاني في هذا القطاع.[1] وهكذا طوال فترة الاحتلال

(1) كان البريطانيون مترددين كما يبدو في التدخل في خانقين لسببين. أولًا، يبدو أن السلطات العسكرية البريطانية في بغداد لم ترغب في إثارة حساسيات الحلفاء الروس، الذين بدوا غير مستعدين لتأييد وجود ممثل بريطاني في منطقة يحتلونها. ثانياً، خشي أنه إذا اضطر الروس في نهاية المطاف إلى الانسحاب من خانقين فإن ارتباط ممثل بريطاني يكون ضاراً لسمعة بريطانيا. إي. جي. آر.، 4، م س رقم 318؛ بِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 44-45، م س رقم 317.

الروسي لمنطقة خانقين، التي استمرت من نيسان/ أبريل إلى حزيران/ يونيه، عام 1917، لم يكن للبريطانيين سوى أمتن الاتصالات مع عناصر عشائرية كردية معينة، بخاصة مصطفى پاشا، شيخ عشيرة باجلان البارز.[1] أعاد الترك احتلال خانقين بعد أن أخلاها الروس إلى أن احتلها البريطانيون في كانون الأول/ ديسمبر، عام 1917.[2] ولم يصبح البريطانيون على تماس مباشر فعلياً مع الكرد إلّا بعد احتلال البريطانيين خانقين.

الاتصالات البريطانية مع العشائر الكردية

بعد احتلال البريطانيين خانقين انتقلوا إلى ترسيخ وضعهم هناك. لم يضيعوا وقتاً في التوصل إلى تفاهم مع الباجلان، الذين كانوا على اتصال بهم، وشرعوا تدريجاً في توسيع نفوذهم على العشائر المجاورة. وفي حوالى نهاية أيلول/ سبتمبر، عام 1917، اتصل البريطانيون بالشيخ حميد طالباني وعلموا منه أن العشائر التابعة له والعشائر المجاورة الأخرى قد نجحت في مقاومة المطالب التركية للمساعدة وتقديم الإمدادات. انضمت إلى الشيخ طالباني، الذي كان قد ركز قواته في منطقة گيل شمال شرقي طاووق (داقوق)، قوات من الخيالة من عشائر أخرى. وأصبح الشيخ حميد يستطيع الاعتماد ليس على رجال عشيرته وحدهم بل على حلفائه الداووده كذلك.[3]

أولاً، يبدو أن البريطانيين استهدفوا مجرد الاحتفاظ بعلاقات ودية مع

(1) عن أنشطة مصطفى پاشا، شيخ قبيلة باجلان البارز، انظر: إي. جي. آر.، 2-4، م س رقم 318؛ بِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 42-45، العراق (الإدارة البريطانية)، تقارير الإدارة لعام 1918: منطقة خانقين، 34؛ درايڤر، «المسألة الكردية،» 107، م س رقم 54.

(2) بِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 46، م س رقم 317.

(3) م ن.

تلك العشائر وإقناعها بحرمان الترك من الحبوب والتجهيزات الأخرى التي تكون الحاجة إليها ماسة. أفلحوا في ذلك إلّا أنهم امتنعوا عن حث هذه العشائر على القيام بأعمال هجومية ضد الترك، لأنهم كما يفترض لم يكونوا في وضع يمكنهم من تقديم أي مساعدة لهم.

تحرك البريطانيون في ربيع عام 1918 بسرعة متزايدة واحتلوا كفري وطوز خورماتو وكركوك بتعاقب سريع. ومكن هذا التقدم البريطانيين من إرساء اتصال أوثق بالشيخ حميد طالباني.[1] واستخدمت القوات الكردية ضد الترك لأول مرة. وخاضت قوة عسكرية كردية تضم نحو مائتي رجل من عشائر الدلو وباجلان والسوره ميري قتالاً ضد الترك في أعالي نهر ديالى (سيروان) في نيسان/ أبريل، عام 1918.[2]

ثم حول البريطانيون اهتمامهم نحو المنطقة عبر الحدود شرقي خانقين، التي كانت مرتعاً للدسائس المعادية لبريطانيا بعض الوقت. كانت هذه المنطقة المهمة إستراتيجياً، والواقعة على جانبي طريق بغداد – كرمنشاه وتتحكم في خطوط الاتصالات بين بلاد ما بين النهرين وفارس، تشهد صراعاً مستمراً وانتشار التمرد. وكان العملاء الألمان والترك والديموقراطيون الفرس ورجال القبائل المحليون يبذلون قصارى جهودهم لمضايقة البريطانيين، الذين كانوا

---

(1) استولي على كفري في 28 نيسان/ أبريل وعلى طوز خورماتو في 29 نيسان/ أبريل وعلى كركوك في 7 أيار/ مايو عام 1918. آ. ت. ويلسُن، ولاءات...، 2: 8-9. م س رقم 275.

(2) حاربت هذه القوة، التي جمعها الرائد سون ونظمها النقيب آر. سي. غيرد R. C. Geard، بوصفها جزءاً من الرتل بقيادة العقيد أندرهِلّ، وذكر أنها أبلت بلاء حسناً في هذا القتال وفي معارك أخرى مع الترك. فريدريك جيمس موبرلي، الحملة في بلاد ما بين النهرين، الحاشية 4: 152 (بالإنكليزية، مرجع 177). مذكور في آ. ت. ويلسُن، ولاءات...، م س رقم 275.

يحتلون المنطقة. ونفذت بدرجات متفاوتة من النجاح أشكال مختلفة من المضايقات مثل تدمير المنشآت البريطانية وشن الغارات على مجموعات منعزلة وتعطيل خطوط الاتصالات. وبذل البريطانيون ما في وسعهم بمساعدة رجال العشائر الصديقة لإفشال تلك المحاولات.

في هذا الوقت ذكر أن فروعاً معادية من باجلان وگوران قد دمرت ونقلت الكثير من مكائن شركة النفط الأنكلو- فارسية في چيا سرخ بالقرب من خانقين بينما قامت مجموعة من رجال عشيرة كالهور (كالهر) غير الصديقة بنصب كمين وهاجمت فريق مسح بريطاني. وكان الشيخ علي أكبر خان، على رأس أتباعه من السنجابيين والگوران، يعرقل بنشاط مرور التجهيزات إلى خانقين. وفي نيسان/ أبريل، عام 1918، نجح رجال من عشيرتي كالخان وكالهور بدعم من رتل بريطاني في دحر وتشتيت قوات علي أكبر خان، الذي كان يتعاون مع الديموقراطي الفارسي سليمان ميرزا، وفي الوقت ذاته يتآمر مع العملاء الألمان والترك.[1] وبعد أن قبض رتل بريطاني على سليمان ميرزا وتم تسفيره إلى بغداد استمر على أكبر خان في صلاته الوثيقة مع العملاء الألمان والترك. وذكر أخيراً أنه تآمر مع العميل الألماني فون دروفيل (Von Drueffel) بهدف تسليح السنجابيين وعشائر قريبة منهم أخرى بالبنادق للعمل ضد البريطانيين. وكان قد فرّ بعد إصابته في الصراع مع البريطانيين ويبدو أن نشاطه قد خمد ولم يعد مؤذياً.[2]

---

(1) العراق (الإدارة البريطانية)، تقارير الإدارة لعام 1918: قضاء خانقين، 32-33، م س رقم 341؛ كذلك آ. ت. ويلسُن، ولاءات...، 2: 84-85، م س رقم 275.

(2) العراق (الإدارة البريطانية)، تقارير الإدارة لعام 1918: قضاء خانقين، 32-33، م س رقم 341.

مبادرات الشيخ محمود الأولى نحو البريطانيين

لدى الإنجاز الناجح للعملية البريطانية التي أدت إلى القبض على سليمان ميرزا، قام الرائد غولدسميث (Goldsmith)، الضابط السياسي المسؤول عن خانقين، بجولة تفتيشية في الريف المجاور. وفي ذلك الوقت سمع لأول مرة باسم الشيخ محمود، الذي تولى دوراً مهماً في تاريخ كردستان الجنوبية. وفاقاً لتقرير رسمي بريطاني «في تلك الجولة أرسل الشيخ محمود من السليمانية ممثله لمقابلة غولدسميث طالباً تخويله العمل كممثل للحكومة البريطانية في السليمانية في انتظار وصولنا.»[1]

كان واضحاً أن الكرد أعجبوا بالنجاحات البريطانية وقرروا الانضمام إلى الجانب الرابح. تلقى البريطانيون رسائل من هماوند، العشيرة المعروفة ببأسها في كردستان الجنوبية التي أعلنت استعدادها لعرض أية مساعدة يحتاجون إليها. وفي اجتماع للوجهاء الكرد عقد في السليمانية تقرر تشكيل حكومة كردية موقتة برئاسة الشيخ محمود وتبني موقف ودّي تجاه البريطانيين.[2] ووفق السير أرنولد ويلسُن (Sir Arnold Wilson)، المفوض المدني بالنيابة:

> **كتب الشيخ محمود نفسه «بالنيابة عن الشعب الكردي برمته على جانبي الحدود،» وعرض تسليم زمام الحكومة لنا أو القيام بالعمل كممثل لنا بحماية العلم البريطاني المجيد. وقال إن شعب كردستان مسرور لنجاحاتنا وأنه حرر بفضل بسالة قواتنا من الاستبداد التركي ويتطلع إلى الازدهار في ظل حكمنا للعراق كما كان مزدهراً. واختتم**

---

(1) م ن.

(2) آ. ت. ويلسُن، ولاءات...، 2: 86: 5-6، م س رقم 275؛ بِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 48؛ درايفر، «المسألة الكردية،» 108-9، م س رقم 54.

طالباً ضماناً بألّا نسمح في أية ظروف بعودة السلطات التركية إلى كردستان.[1]

الانسحاب البريطاني من كركوك

وفق ما يفيد ويلسُن، عندما قرر البريطانيون الجلاء عن كركوك في أيار/ مايو، عام 1918، اضطر إلى إبلاغ الكرد أن البريطانيين يغادرون جوار المدينة بسبب الجو الحار وأنهم يأملون في العودة قريباً. وكما يقول «قبلت اقتراح الشيخ محمود بأن يعمل بصفة ممثل لنا، إذا كان في وسعه القيام بذلك، ووضعت بياناً عاماً بهذا الشأن.»[2] لم يصدر هذا البيان قطّ لأن الترك أعادوا فوراً احتلال كركوك، التي انسحب منها البريطانيون في 24 أيار/ مايو.[3] وفي الوقت ذاته أرسلت قوة تركية إلى السليمانية، التي أعيد احتلالها وفرضت فيها الأحكام العرفية. وقبض على وجهاء من جماعة الشيخ محمود أو

---

(1) آ. ت. ويلسُن، ولاءات...، 2: 86، م س رقم 275؛ انظر أيضاً بِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 48، م س رقم 317.

(2) آ. ت. ويلسُن، ولاءات...، 2: 86-87، م س رقم 275. ناقش تقرير رسمي بريطاني تعيين الشيخ محمود وذكر إجراءات معينة أراد البريطانيون اتخاذها بهدف تعزيز مركزه. ذكر التقرير ما يلي: «وجهت في بداية حزيران رسالة من المفوض المدني إلى الشيخ محمود بتعيينه ممثلاً بريطانياً في السليمانية والمنطقة، وفي الوقت نفسه وضعت خطط لتجنيد كرد في مقاطعة خانقين لتمكين الضباط البريطانيين من اصطحاب قوة من المسلحين غير النظاميين إلى التخوم الشمالية للمنطقة وتجنيد المقاتلين في جوار حلبْجة. وكان يؤمل في استعادة مركز الشيخ محمود بهذه الوسيلة، وما دام البريطانيون يحتلون كركوك كانت هناك مؤشرات على أن هذه الخطط ستحقق النجاح،» العراق (الإدارة البريطانية)، تقارير الإدارة لعام 1918: منطقة خانقين، 33، م س رقم 341.

(3) آ. ت. ويلسُن، ولاءات...، 2: 9، م س رقم 275.

فرضت عليهم غرامات وعانى كل من لهم صلة بالحركة وأريق ماء وجوههم و«واجهوا السخرية.»[1]

لا شك أن بعض الأفراد قد عانوا من «العقوبات التركية»[2] القاسية إلاّ أن الترك عموماً أظهروا درجة غير عادية من التساهل والاعتدال. والتزموا جانب الحكمة بالامتناع عن اتخاذ إجراءات قاسية وانتقامية. ولعدم رغبتهم في المخاطرة بنشوب اضطرابات عشائرية لم يكونوا قادرين على التعامل مع نتائجها، لم يؤذوا الشيخ محمود. وبعد فترة احتجاز في كركوك أطلق سراحه وسمح له بالعودة إلى منزله.»[3] لم تحدث عمليات اغتصاب أموال ولم تصادر أي ممتلكات عشائرية، وسددت نقداً أثمان المؤن التي كان الجيش بحاجة إليها ودفعت رواتب المجندين من أبناء العشائر. وقد حقق الموقف التصالحي الذي تبنته السلطات التركية الكثير لاستمالة العشائر. وأدى تأثير السلوك التركي تجاه الناس إلى انضمام الكثيرين إلى الترك طواعية، على الرغم من علمنا أن بعضهم قد أرغم على الانضمام إلى خدمتهم.[4]

يبدو أن الانسحاب البريطاني من كركوك كان بسبب تدهور الوضع العسكري في القوقاز وتولي القيادة العسكرية البريطانية في بلاد ما بين النهرين مسؤوليات كبيرة إضافية في فارس. وكانت التطورات قد أدت إلى تحويل كل وسائل النقل المتوافرة إلى الطريق الفارسي.[5]

---

(1) م ن. راجع بِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 48، درايفر، «المسألة الكردية،» 108، م س رقم 54. إي. جي. آر. 6.

(2) وفاقاً لدرايفر، «نال العقاب التركي كل من تبنوا قضية الحلفاء، باستثناء الشيخ محمود.» درايفر، «المسألة الكردية،» 108، م س رقم 54. انظر أيضاً إي. جي. آر. 6.

(3) آ. ت. ويلسُن، ولاءات...، 2: 87، م س رقم 275؛ بِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 48.

(4) إي. جي. آر.، 6؛ درايفر، «المسألة الكردية،» 108، م س رقم 54.

(5) بِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 48، م س رقم 317؛ آ. ت. ويلسُن، ولاءات...، 2: 6، م س رقم 275.

وجه الانسحاب من كركوك ضربة شديدة إلى السمعة البريطانية في كردستان وأنحاء ما بين النهرين كافة. واستمر البريطانيون يعانون من آثاره بعد فترة طويلة من انتصارهم في الحرب العالمية الأولى. أصبحت الشكوك تساور الكرد، الذين أعلنوا تأييدهم للبريطانيين على نحو مكشوف. واهتز إيمانهم كثيراً بالقوة البريطانية والوعود البريطانية. ووصف ويلسُن رد فعل القادة الكرد على الانسحاب البريطاني من كركوك، وأكد التأثير البغيض للوعود السخية بالدعم التي كان قد قطعها لهم ضباط سياسيون معيّنون:

> **بدا واضحاً لهم أنه لم يكن ممكناً الاعتماد على ضمان الدعم المكشوف الذي قدمه بعض الضباط السياسيين غير المسؤولين، وبشكل ضمني بأقصى صور الحذر من قبل بولارد (Bullard) في كركوك، ولونگريگ في كفري. وبدا لهم أننا نلعب اللعبة الروسية باستخدام رجال قبائل بسطاء مخالب قطط. كان بعض قادتهم ومنهم شيوخ عشيرة هماوند الرئيسون في طريقهم إلى كركوك عندما حدث الانسحاب وعادوا إلى منازلهم في سخط شديد. شعروا أننا قد خذلناهم. لقد دفعناهم إلى مد أيديهم إلى أعدائهم الترك وتخلينا عنهم في وقت الشدة. لم يغفر لنا زعماء هماوند، بخاصة، واستمروا معادين لنا سنوات طويلة.**[1]

استغل الترك، كما هو متوقع، الانسحاب البريطاني من كركوك إلى أقصى حد. نسبوا الانسحاب إلى الوضع الحرج في الجبهة الغربية ووصفوه بتمهيد للجلاء عن بلاد الرافدين. ووفاقاً لويلسُن استخدمت الدعاية التركية بتأثير قوي مفهوم «بريطانيا الغادرة» التي تستغل الآخرين للقتال عوضاً عنها في معاركها هي. ويورد في كتابه منشور دعاية تركي يعرض قائمة طويلة من

(1) آ. ت. ويلسُن، ولاءات...، 2: 88، م س رقم 275.

الكوارث التي مني بها من سمحوا لأنفسهم أن يخدعهم البريطانيون وهدد بعواقب وخيمة تلحق بمن تخلوا عن القضية التركية، ووعد المنشور بمكافآت سخية إلى من صمدوا في ولائهم لتركيا.[1]

قال ويلسُن إنه ليست لديه أدنى فكرة عن قرار التخلي عن كركوك مؤكداً أنه لم يبلغ لا هو ولا الضابط السياسي في المنطقة الرائد ريدر وليم بولارد (Reader W. Bullard) (السير ريدر بولارد لاحقاً) أن الاحتلال لن يكون دائماً. وفي الواقع أنه توجه إلى كركوك بعد أيام قليلة من احتلال البريطانيين تلك المدينة لمناقشة عدد من المشكلات الملحة وكسب عطف العشائر ودعمها، بهدف حماية خطوط الاتصالات البريطانية وضمان تدفق التجهيزات، بخاصة اللحوم، إلى الجنود.[2] كانت الآثار العميقة لهذا الاندحار المفاجئ على الكرد واضحة على نحو فوري. وحين فشلت كل الجهود البريطانية لجمع قوة من المجندين الكرد أثناء الصيف التالي نجح الترك في تجنيد قوة خيالة كردية استخدموها ضد خصومهم في فارس.[3]

تطبيق النظام العشائري في كردستان الجنوبية

استسلم المتصرف العثماني والحامية العثمانية في السليمانية إلى الشيخ محمود في خريف عام 1918 وانتهت بذلك الإدارة العثمانية في تلك المنطقة. وترك انسحاب القوات التركية والموظفين الترك الزعيم الكردي مسيطراً بمفرده على السليمانية والريف المحيط بها. وبعد فترة قصيرة وجه الشيخ

(1) م ن، 2: 87.

(2) م ن، 2: 86.

(3) كان الهدف من قوة الكرد الذين كان البريطانيون يسعون إلى تجنيدهم احتلال حلبْجة وبالتالي التحرش بالترك في جوار السليمانية. إي. جي. آر.، 6.

محمود رسائل إلى السلطات البريطانية في بغداد يطلب فيها عدم استثناء كردستان من قائمة الشعوب المحررة.[1]

قادت حقيقة أن الشيخ محمود كان الشخصية الأقوى في المنطقة علاوة على استعداده للتعاون مع سلطات الاحتلال البريطاني إلى اقتناع البريطانيين بالتعامل معه. ولأن البديل عن التعاون معه كان تقديم قوة كافية لحماية السليمانية والمحافظة على النظام في المناطق الجبلية المحيطة وعدم توافر الوسائل للقيام بذلك، فقد قبل البريطانيون اقتراح الشيخ محمود بارتياح.

اختير الرائد نوئيل، الضابط ذو الخبرة الواسعة في شؤون قبيلة البختيارية وقبائل فارسية أخرى لتدشين الإدارة الجديدة في كردستان الجنوبية.[2] وتشير التعليمات التي تلقاها نوئيل عشية رحيله إلى السليمانية إلى النيّات والتوقعات البريطانية:

لقد عينت ضابطاً سياسياً لمقاطعة كركوك اعتباراً من الأول من تشرين الثاني/ نوفمبر. تمتد مقاطعة كركوك من الزاب الأسفل إلى نهر ديالى وفي الشمال الشرقي إلى الحدود التركية - الفارسية. إنها تشكل جزءاً من ولاية الموصل التي تقع تحت التصرف المطلق لحكومة صاحب الجلالة. وفي الوقت الحاضر يجب أن تعد أنها تقع ضمن نطاق الاحتلال العسكري والإدارة العسكرية لهذه القوة، ويجب أن تواصل بناءً على هذا الاعتبار تعاملاتك مع الزعماء المحليين وأن تضع نصب عينيك أن من غير المحتمل أن تتمكن السلطات العسكرية من فصل قوات على نحو دائم إلى السليمانية أو إلى أماكن أخرى شرقي خطنا الحالي. ويجب أن يكون هدفك أن ترتب مع الزعماء المحليين إعادة النظام وإدامته في المناطق خارج حدود احتلالنا العسكري لغرض استبعاد عملاء العدو واستسلامهم

(1) بِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 59، م س رقم 317.

(2) م ن. راجع إي. جي. آر.، 9؛ آ. ت. ويلسُن، ولاءات...، 2: 127-8، م س رقم 275.

وتأمين السلع التي تحتاجها قواتنا. إنك مخول بتسديد أي نفقات قد تكون ضرورية لتحقيق هذا الغرض مع الأخذ في الاعتبار الصلاحية السابقة حيثما يكون ذلك عملياً في حالات المبالغ الكبيرة وعلى أساس الفهم، الذي يجب أن يوضح للزعماء المحليين، أن أي ترتيبات قد تضعها هي بالضرورة وقتية وخاضعة إلى أعادة النظر في أي وقت. إنك مخول بتعيين الشيخ محمود ممثلاً لنا في السليمانية وإصـدار تعيينات أخرى من هذا القبيل في جمجمال وحلبْجة وغيرهما حسب تقديرك. ويجب التوضيح للزعماء المحليين الذين تقيم علاقات معهم أنه لا توجد نية لفرض إدارة غريبة عن عاداتهم ورغباتهم. وسيُحث الزعماء القبليون على تشكيل كونفدرالية لتسوية شؤونهم العامة بتوجيه من الضباط السياسيين البريطانيين. وسيطلب من الزعماء المحليين الاستمرار في تسديد الضرائب المستحقة قانونياً عليهم بموجب القوانين التركية المعدّلة حسب الضرورة لأغراض متعلقة بالمحافظة على النظام وتطوير بلدهم.[1]

وصل الرائد نوئيل إلى السليمانية في منتصف تشرين الثاني/ نوفمبر عام 1918 واستقبل استقبالاً حماسياً. وشرع على الفور في تطبيق نظام جديد للإدارة كان يؤمل أن يكون مقبولاً لدى الناس. وعين الشيخ محمود في منصب حكمدار أو حاكم المنطقة ورئيساً للإدارة الكردية الجنوبية الجديدة. وعهد إلى موظفين كرد آخرين يتولون بتوجيه ضباط سياسيين بريطانيين تسيير الوحدات الإدارية الصغيرة المختلفة. وعهد إلى شيوخ القبائل بتولي حكم قبائلهم وأصبحوا مسؤولين أمام السلطات البريطانية من خلال الشيخ محمود. واعترف بهم وأصبحوا يتقاضون رواتب بوصفهم موظفين حكوميين.[2]

(1) بِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 59-60، م س رقم 317؛ آ. ت. ويلسُن، ولاءات...، 2: 128، م س رقم 275؛ إي. جي. آر.، 9.

(2) إي. جي. آر.، 9-10؛ بِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 60، م س رقم 317؛ آ. ت. ويلسُن، ولاءات...، 2: 128، م س رقم 275.

لا شك أن نظام الحكم المؤسس حديثاً في كردستان الجنوبية كان مديناً بالكثير للخبرة الاستعمارية البريطانية في الهند وأماكن أخرى. وأشارت طبيعة الواجبات والالتزامات المتصورة بين الحكومة البريطانية والكونفدرالية الجنوبية الكردية إلى كونها علاقة تبعية وذات أهمية كبيرة تشبه العلاقة التي قامت بين التاج البريطاني والولايات المرتبطة بمعاهدات في الهند.[1] ومن الواضح أن نظام الإدارة الجديد في كردستان الجنوبية استند إلى مبدأ الحكم غير المباشر.[2] ذكّر النظام من نواح كثيرة بنظام ساندمان (Sandeman) وبخاصة نظام بروس (Bruce) أو النظام الملكي[*] الذي انبثق عن نظام ساندمان.

نظام ساندمان ڤار تايد

سمي هذا النظام على اسم سير روبـرت ساندمان (Sir Robert

---

(1) للاطلاع على عرض موجز وجدير بالاعتماد عن وضع الولايات الهندية ضمن الإمبراطورية الهندية البريطانية وعلاقاتها بالحكومة البريطانية، انظر ك. م. پانيكار، الولايات الهندية، نشرات أكسفورد عن الشؤون الهندية، رقم 4 (بالإنكليزية، مرجع 203).

(2) طور البريطانيون نظام الحكم غير المباشر بمرور الزمن. إلاّ أنه منذ تولي سير فريدريك جون دلتري لوغارد (لاحقاً لورد لوغارد في نايجيريا) تنظيمه وتطبيقه بنجاح أصبح واضحاً أنه ارتبط عموماً باسمه. للاطلاع على وصف مفصل لهذا النظام كما وضعه وطبقه أنظر فريدريك جون ديلتري لوغارد، التفويض المزدوج لأفريقيا الاستوائية البريطانية (بالإنكليزية، مرجع 142).

(*) يتوزع آشوريو الجبال إلى قبائل يحكمها زعماء قبليون. ويطلق على الزعيم عندهم اسم «ملك».

Sandeman)[1] وكان شكلًا للإدارة طبقه البريطانيون في بلوتشستان بهدف جعل هذه المنطقة الجبلية ما وراء نهر الهندوس ضمن نظام الإمبراطورية الهندية البريطانية. يتألف هذا النظام من نظام قبلي مدعم يرأسه حاكم محلي بارز هو خان كالات، وكان انتصاراً للسياسة التي دعيت سياسة التقدم نحو الأمام (forward policy).[2] كان هدف هذه السياسة حماية سكان منطقة حدود السند من الجبليين المشاغبين الذين كانوا يتمتعون بملاذ ذي مزايا في بلادهم الجبلية الوعرة وتقوية دفاعات الهند ضد الغزو الأجنبي.

انتُقد نظام ساندمان لاعتماده المفرط على النفوذ الشخصي لرجل واحد – وهو انتقاد يبدو مبرراً. كما أنه انتُقد بسبب منح إعانات أو مكافآت شكلت نوعاً من الابتزاز. إلّا أن المؤرخ البريطاني كوثبرت كولّين ديڤيز (C. Collin Davies) أوضح أنه لا يمكن وصف تلك المكافآت بالابتزاز

(1) للاطلاع على مناقشة مفصلة لحياة ساندمان وسياساته القبلية انظر توماس هنري ثورنتن، العقيد سير روبرت ساندمان: حياته وأعماله عن الحدود الهندية (بالإنكليزية، مرجع 258)؛ ريتشارد إيزاك بروس، سياسة إلى الأمام ونتائجها، أو السنوات الخمس والثلاثون من العمل بين القبائل على حدود الهند الشمالية–الغربية (بالإنكليزية، مرجع 34) هيتو رام، ساندمان في بلوتشستان (بالإنكليزية، مرجع 212)؛ كولين ديڤيز، مشكلة الحدود الشمالية الغربية، 1890–1908، مع مسح للسياسة منذ عام 1849 (بالإنكليزية، مرجع 47).

(2) كانت «سياسة إلى الأمام» في مقابل «سياسة الحدود المغلقة» من أكثر المسائل إثارة للجدل بين الإداريين البريطانيين في الهند طوال معظم القرن التاسع عشر. انظر ديڤيز، مشكلة الحدود الشمالية الغربية...، 71–98، م س رقم 47؛ وبروس، سياسة إلى الأمام ونتائجها، أو السنوات الخمس والثلاثون من العمل بين القبائل على حدود الهند الشمالية–الغربية، م س رقم 34.

لأنها كانت تدفع مقابل خدمات مرهقة قدمها المتلقون مثل حراسة الطرق التجارية والممرات الجبلية وتنفيذ قرارات المجالس القبلية (Jirgah).[1]

نظام بروس (Bruce) أو النظام الملكي

أطلق اسم نظام بروس أو نظام ملوك القبائل على نظام ساندمان كما طبقه ريتشارد إيزاك بروس (R. I. Bruce)، مفوض دِراجات (Derajat)، بين قبيلة محسود في المنطقة الحدودية الشمالية الغربية من الهند.[2] أثبت هذا النظام فشله الذريع لعدة أسباب. أولاً، فشل النظام في التطبيق بين قبيلة محسود الأكثر ديموقراطية لعدم تمتع ملوكهم (زعماؤهم) بالسلطة التي كان يتمتع بها زعماء قبائل البروهي والبلوش في بلوتشستان. ولهذا السبب لم يتحقق أمل بروس بأن ينجح زعماء قبيلة محسود الذين عينهم في السيطرة على القبائل مقابل الإعانات. ثانياً، طبق النظام من دون السيطرة عسكرياً أولاً على بلاد قبيلة محسود كما فعل ساندمان في بلوتشستان. علاوة على ذلك، خلافاً للبلوش سيطر على قبيلة محسود زعماء دينيون أقوياء حملوا السلاح بقيادتهم غالباً ضد البريطانيين تعاطفاً مع أقاربهم المسلمين في أفغانستان أو بطلب من هؤلاء.[3]

(1) ديڤيز، مشكلة الحدود الشمالية الغربية...، 33، م س رقم 47؛ كتبرت كولين ديڤيز، «الحدود الشمالية-الغربية، 1843 -1918،» في تاريخ كيمبرج للإمبراطورية البريطانية مجلد 5: الإمبراطورية الهندية، 1858-1918، 448 (بالإنكليزية، مرجع 46).

(2) كان بروس لسنوات طويلة واحداً من أقرب شركاء ساندمان الموثوق بهم في بلوتشستان.

(3) للاطلاع على تفاصيل بشأن فشل بروس أو النظام الملكي بين أفراد قبيلة محسود انظر ديڤيز، مشكلة الحدود الشمالية الغربية...، 34، 124-26، م س رقم 47؛ ديڤيز، «الحدود الشمالية-الغربية» 455-56، م س رقم 46. راجع وليم بارتُن، حدود الهند الشمالية الغربية، 214-15 (بالإنكليزية، مرجع 20).

فشل نظام بروس في كردستان الجنوبية

كان نظام الإدارة الجديد الذي طبقه البريطانيون في كردستان الجنوبية مشابهاً في نواح كثيرة لنظام بروس (أو النظام الملكي) بين أفراد قبيلة محسود. ولم يدع التدهور السريع لهذا النظام في كردستان الجنوبية وفشله في نهاية المطاف أي شك في أنه غير مناسب لتلك المنطقة كما كان الحال في منطقة قبيلة محسود، منطقة الحدود الشمالية الغربية في الهند. وربما من المهم في هذا الصدد أن الكرد يشبهون قبيلة محسود في نواح عديدة. كان الكرد، شأنهم شأن قبيلة محسود، متعلقين تعلقاً شديداً بحريتهم وكانوا دائماً في صراع مع من حاولوا السيطرة عليهم. كما أنه منذ أيام الشيخ عبيد الله، هيمن الزعماء الدينيون وليس الشيوخ القبليين العلمانيين، الآغوات، على الكرد، مثل سيطرة الشيوخ الدينيين في قبيلة محسود. ونجحت الدعاية التركية البارعة في كردستان الخاضعة للسيطرة البريطانية في جعل كرد كثيرين ينقلبون على البريطانيين. وهكذا حرضت دولة إسلامية مجاورة للكرد، مثل أبناء قبيلة محسود، على التمرد ضد البريطانيين وفعلوا ذلك أيضاً بزعامة الوجهاء الدينيين.

من المثير للاهتمام ملاحظة أن بروس، الذي كتب قبل عشرين عاماً تقريباً من اتصال البريطانيين المباشر بالكرد، وقارنهم بأفراد قبيلة محسود، استشهد في دفاعه عن قبيلة محسود بمقطع طويل من كتاب لورد كيرزن (Curzon)، فارس والمسألة الفارسية، ودافع فيه كيرزن عن الكرد ضد تهم القسوة والتمرد وأنهم غير جديرين بالثقة. وبعد الاستشهاد بكيرزن استنتج بروس ما يلي: «إذا استبدلنا اسم الكرد باسم أبناء قبيلة محسود يصبح هذا الوصف منطبقاً عليهم تماماً كما ينطبق على الآخرين.»[1]

يمكن الجدل أن النظام الإداري الجديد في كردستان ربما نجح لو أن

(1) بروس، 170–71، م س رقم 34.

البريطانيين استخدموا قوات مناسبة لفرضه أو لو أن الشيخ محمود، الأداة المختارة لتنفيذه، واصل التعاون معهم. إلّا أنه من الواضح تماماً أن الافتراضين يتجاهلان الطبيعة الأساسية للحالة. بقدر ما كان الأمر يعني البريطانيين كان تجهيز قوات مناسبة لفرض النظام الإداري الجديد يثير مشكلات وصعوبات بدلاً من حلها لأنهم لجأوا إلى النظام لتجنب نشر قوات كبيرة في المنطقة. وبتأسيس نظام حكم مقبول للناس أمل البريطانيون في التخلص من الحاجة إلى تعهد مكلف وصعب. ويجب أن يؤخذ في الحسبان أن بريطانيا العظمى كانت مشغولة في ذلك الوقت في تسريح قواتها في بلاد ما بين النهرين وفي نهاية المطاف لن يتوافر لها العديد ولا العدة. إن الحجة القائلة بأن النجاح ربما كتب للنظام لو أن الشيخ محمود تعاون في تطبيقه لا تدل على سلامة النظام لأنه إذا اعتمد نجاح نظام أو فشله على موقف رجل واحد لا يمكن للنظام أن يكون سليماً.

تعيين الشيخ محمود في منصب الحكمدار

للحصول على معرفة مباشرة عن الوضع في كردستان الجنوبية وتعزيز الموقف البريطاني في تلك المنطقة انتقل سير أرنولد ويلسُن إلى السليمانية جواً في 1 كانون الأول/ ديسمبر، عام 1918، وعقد اجتماعاً مع نحو ستين زعيماً قبلياً قدم معظمهم من كردستان الجنوبية غير أنه كان بعضهم من سِنَه (سنندج) وساقز وهَوْرامان وهي مناطق في فارس. أعقبت محادثات مطولة مع الشيخ محمود وشخصيات بارزة أخرى هذا الاجتماع ونوقشت فيها الجوانب المختلفة للوضع السياسي.

أورد ويلسُن خلاصة هذه المحادثات. وحسبما أفاد كان الكرد مصممين على مقاومة إعادتهم إلى تركيا بقوة السلاح. وعلى الرغم من أن شيوخ القبائل الكرد أقروا بالحاجة إلى شكل ما من الحماية البريطانية فإنهم بدوا غير قادرين

على التوصل إلى اتفاق إجماعي بشأن وسيلة تحقيق ذلك. وأعلن بعض شيوخ القبائل تفضيلهم إدارة بريطانية فعالة في كردستان بينما أعرب آخرون عن معارضتهم للمشروع وأصر البعض على وجوب إدارة كردستان من لندن وليس من بغداد. لقد حلت لندن في نظرهم محل إسطنبول. وحسب ويلسُن أبلغ عدد قليل من المجتمعين بثقة أنهم لن يقبلوا قطّ زعامة الشيخ محمود إلّا أن ويلسُن أضاف أنهم عجزوا عن اقتراح بديل عنه.(1)

بعد مناقشات مستفيضة سلم الشيخ محمود إلى ويلسُن وثيقة وقعها نحو أربعين من زعماء القبائل. تضمنت الوثيقة ما يلي:

> **بعد إعلان حكومة صاحب الجلالة نيتها تحرير الشعوب الشرقية من الاضطهاد التركي ومنح المساعدة لها في انتزاع استقلالها وترسيخه، يلتمس زعماء القبائل، بوصفهم ممثلي شعب كردستان، الحكومة قبولهم تحت الحماية البريطانية وإلحاقهم بالعراق لكي لا يحرموا من منافع ارتباطهم. إنهم يرجون المفوض المدني لبلاد الرافدين إرسال ممثل إليهم لتقديم المساعدة الضرورية بهدف تمكين الشعب الكردي تحت الرعاية البريطانية من التقدم بسلام وفاقاً للمبادئ المتحضرة. وإذا قدمت الحكومة مساعدتها وحمايتها لهم فإنهم يتعهدون بقبول أوامرها ومشورتها.(2)**

---

(1) آ. ت. ويلسُن، ولاءات...، 2: 129، م س رقم 275؛ انظر أيضاً بِّل، استعراض للإدارة المدنية، 60-61، م س رقم 317؛ إي. جي. آر.، 10. يكاد وصف الاجتماع أن يكون مماثلاً في كل هذه المناطق الثلاث. وعلى الرغم من أن المعلومات المقدمة في النص مستندة بخاصة إلى رواية ويلسن فقد ضمنت نقاطاً بسيطة لم يقدمها من المصدرين الآخرين.

(2) آ. ت. ويلسُن، ولاءات...، 2: 129، م س رقم 275؛ انظر أيضاً بِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 61، م س رقم 317؛ إي. جي. آر.، 10.

رداً على هذا الالتماس سلم نائب المفوض المدني إلى الشيخ محمود رسالة أكدت وأكملت النقاط الرئيسة التي أثيرت في الوثيقة. وفي الوقت ذاته، كانت الرسالة بمثابة الختم الرسمي النهائي على تعيين الرائد نوئيل السابق للشيخ بوصفه حكمدار كردستان الجنوبية. ولم أتمكن من حصر مكان النص الكامل لهذه الوثيقة، التي قدمت كما يبدو الأساس القانوني لتأسيس سلطة الشيخ محمود في كردستان الجنوبية. إلّا أن خلاصة هذه الرسالة توجد في الشكل المختصر التالي في عدد من المصادر:

منح الشيخ محمود مقابل ذلك رسالة تذكر أن أي قبيلة كردية من الزاب الأعلى إلى ديالى (عدا تلك التي في الأراضي الفارسية)، قبلت بملء إرادتها زعامة الشيخ محمود، سيسمح لها بذلك وأن الشيخ محمود سيتمتع بدعمنا المعنوي في السيطرة على المناطق أعلاه باسم الحكومة البريطانية التي يتعهد بإطاعة أوامرها.[1]

إن الوثيقتين – أي البيان الذي وقعه الشيخ والرسالة من ويلسُن – سواء نظر إليهما على انفراد أم نظر إليهما معاً لا يمثلان اتفاقية رسمية بين طرفين متكافئين وسياديين. ومهما يكن رأي الشيخ محمود في هذا الترتيب الجديد لا شك أن البريطانيين اعتبروه مجرد اتفاق عمل غير محكم وموقت وعقداً مع زعيم محلي قوي له أهداف معينة قصيرة المدى. ولا يوجد في أي مكان من الوثيقتين أي ذكر واضح لمصادر سلطات الشيخ وطبيعتها.

وقع الوثيقة الأولى نحو أربعين زعيماً قبلياً أشاروا إلى أنفسهم بأنهم «ممثلو شعب كردستان.» إن هذا يعني أن الشيخ محمود وبقية الزعماء

---

(1) آ. ت. ويلسُن، ولاءات...، 2: 129، م س رقم 275؛ بِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 61، م س رقم 317؛ إي. جي. آر.، 10.

المجتمعين كانوا يتصرفون باسم الشعب الكردي. وفي الواقع أن الشيخ محمود نفسه أصر أن قوته مستمدة من الشعب وأن لديه تفويضاً من كل كرد ولاية الموصل. غير أنه يبدو أن البريطانيين اعتبروا تأكيده ادعاء لا مسوغ له وصمموا على معارضة ذلك الادعاء. لم يتجاهل نائب المفوض المدني ذلك فحسب بل بيّن كذلك أن ما يتمتع به الشيخ محمود من سلطات إنما منحته إياها الحكومة البريطانية. وفي الحقيقة إن رسالة ويلسُن أوضحت بما لا يدع مجالاً للشك أن الشيخ محمود يستطيع مواصلة التمتع بالدعم البريطاني ما دام يواصل العمل على تنفيذ ما يراد منه بصفته وكيلاً لبريطانيا.

نوقشت مسائل أخرى أثناء زيارة ويلسُن إلى السليمانية. ويقال إن الشيخ محمود طالب بتنصيب مسؤولين بريطانيين في الدوائر الحكومية كافة وتشكيل قوة من المجندين. واشترط أن المرؤوسين، كلما أمكن، يجب أن يكونوا كرداً وليسوا من العرب.[1] رفض سكان المدن ورجال القبائل في كركوك وكفري الانضمام إلى الدولة المقترحة بزعامة الشيخ محمود وطلبوا بدلاً من ذلك الإدارة البريطانية المباشرة. ولم يصر الشيخ محمود على ضم هؤلاء.[2]

أبلغ ممثلو القبائل الكردية في فارس، الذين طلبوا الانضمام إلى الكونفدرالية الكردية الجنوبية بزعامة الشيخ محمود، أن ذلك غير ممكن. وشرح لهم أن التزامات بريطانيا الدولية جعلت من المستحيل أن تقدم الحكومة البريطانية دعمها لذلك المشروع. أوعز لهم بالاستمرار في البقاء من رعايا فارس الموالين والمحافظة على علاقات ودية مع الكونفدرالية

(1) إي. جي. آر.، 10؛ بِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 61، م س رقم 317.
(2) م. ن.، آ. ت. ويلسُن، ولاءات... 2: 130، م س رقم 275.

الكردية الجنوبية. ويبدو أنهم رضوا بذلك التفسير ويقال إنهم قبلوا الوضع مرتاحين.[1]

نجح الرائد نوئيل، الذي أرسل إلى أربيل وراوندوز بهدف إقناع القبائل في تلك المناطق بالانضمام إلى الكونفدرالية الكردية الجنوبية بزعامة الشيخ محمود، في مهمته. وذكر أن الكرد في تلك المناطق كانوا متحمسين للمشاركة في سلام وازدهار دولة الشيخ محمود، التي تقرر أن تتمتع بحماية بريطانيا ودعمها المالي.[2]

بعد مرور فترة قصيرة عُيِّن مسؤولون سياسيون في كويسنجق ورانية ووسع نظام الإدارة الذي طبق في السليمانية إلى تلك المنطقة علاوة على منطقة راوندوز. كانت المهمة الرئيسة لمنطقة راوندوز التعامل مع الآثار الفظيعة للحرب. أصبحت راوندوز والريف المجاور في حالة مزرية نتيجة المعارك المتعاقبة التي شنها الترك والروس، أضف إلى ذلك المجاعة والطاعون في أعقاب تلك المعارك. اتخذت خطوات فورية للتعامل مع الوضع. شحنت الحبوب من أربيل وبدأت جهود الإغاثة وشجعت الزراعة وفرض قدر من القانون والنظام. ثبت أن المهمة أصعب بكثير في المناطق الجبلية والوعرة إلى الشمال من راوندوز.[3]

الشيخ محمود يعزز سلطته

كان الشيخ محمود مصمماً منذ البداية على تعزيز سلطته على الإقليم برمته بوصفه حكمدار. ولتحقيق هذا الهدف بذل قصارى جهوده لجمع كل خيوط السلطة في يديه. سعى إلى ضمان ولاء شيوخ قبائل كثيرين من خلال

---

(1) إي. جي. آر.، 10؛ بِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 61، م س رقم 317؛ آ. ت. ويلسُن، ولاءات... 2: 129، م س رقم 275.

(2) بِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 61، 60، م س رقم 317.

(3) م ن، 61.

توزيع حكيم للأموال والهبات. وكانت المنافع التي حصل عليها من الإعانات الكبيرة وأسلوب استخدام السلطة التي منحت له بوصفه حكمدار لتعزيز مركزه بين القبائل معروفة جيداً للبريطانيين. وقد بيّن تقرير كتب عام 1919:

> **كذلك كانت ظروف الولاء إلى الشيخ محمود بصفته حكمدار قد جعلته - بفضل المبالغ من حكومة صاحب الجلالة البريطانية - شخصية محبوبة ضمانة لأسهل طريق إلى الازدهار. وجاءت بعد الولاء المكافآت النقدية - وهو مشهد نادر في ذلك الوقت - والنظام الذي بموجبه كان الشيخ القبلي يقدم خيراته وخيرات قبيلته من دون العين الناقدة للموظف الحكومي.**[1]

بينما طلب الشيخ محمود ربط القبائل به فإنه نجح في التغلغل في الإدارة الجديدة والسيطرة عليها. ملأ المناصب المختلفة بأقاربه وأتباعه واستبعد بعناية كل من لم يعتبرهم أتباعاً ومؤيدين مخلصين.[2] تولى أتباعه كل المناصب المهمة في الحكومة الجديدة. وهكذا كان مدير شرطة السليمانية وقاضي محكمة السليمانية الشرعية وغيرهم من الذين عينهم الشيخ محمود،[3] وطلب حتى من المجندين الكرد، القوة الفعالة الوحيدة آنذاك في طور التشكيل في كردستان الجنوبية أداء يمين الولاء الشخصي له.[4]

---

(1) العراق (الإدارة البريطانية)، مكتب المفوض المدني، التقرير الإداري لمنطقة السليمانية لعام 1919، م س رقم 346.

(2) م ن. راجع بِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 64؛ م س رقم 317.

(3) العراق (الإدارة البريطانية)، مكتب المفوض المدني، التقرير الإداري لمنطقة السليمانية لعام 1919، 2، 9-10، م س رقم 346.

(4) يقال إنه ليس المجندون فحسب بل كذلك الموظفون المدنيون في الإدارة الجديدة كانوا قد أقسموا يمين الولاء إلى الشيخ محمود، لِيسْ «سنتان في كردستان الجنوبية» 254، م س رقم 135. ووفاقاً لبِلّ «كان المجندون الكرد بقيادة ضباط كرد مستعدين لدعم الشيخ محمود الذي كانوا يدينون إلى نفوذه في تعيينهم.» بِلّ، استعراض للإدارة المدنية. 64، م س رقم 317. راجع آ. ت. ويلسُن، ولاءات...، 2: 135.

استفاد الشيخ محمود من مجموعة ظروف مواتية. كان البريطانيون بحاجة إلى الدعم الذي يقدمه بقدر ما كان هو بحاجة إلى دعمهم. وتفيد بِلّ:

> **من دون القدر الكامل من التعاون والمساعدة التي كان يقدمها لنا كان ضرورياً إرسال حامية قوية، الأمر الذي كان غير ممكن في حينه. ومن وجهة النظر السياسية كان مهماً للغاية وجوب المحافظة على النظام في المنطقة وفي الوقت ذاته تجنب استخدام القوة لهذا الغرض.**(1)

كان الشيخ محمود بلا ريب يدرك أهميته للبريطانيين. ولا نعرف إلى أي مدى اعتقد أنهم مستعدون لدعمه إلّا أنه لم يتردد في إعطاء الانطباع أنهم «مستعدون لإرساء حكمه بالقوة إن دعت الحاجة.»(2)



14. الشيخ محمود (في الوسط) مع أتباعه في السليمانية حوالى عام 1919. الصورة من أرنولد تالبوت ويلسُن. بترخيص من الجمعية الجغرافية الملكية في لندن.

(1) بِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 63، م س رقم 317؛ راجع آ. ت. ويلسُن، ولاءات...، 2: 135، م س رقم 275.

(2) آ. ت. ويلسُن، ولاءات...، 2: 135، م س رقم 275.

في ظل الحاجة الماسة كان على متنفذين معيّنين ضمن الإدارة الجديدة أن يضعوا جانباً أية معارضة لديهم لتوسيع سلطة الشيخ محمود. كان الكرد، الذين عانوا كثيراً من الحرب، توّاقين إلى راحة بعد العناء، وبدا أن البريطانيين، القوة الجديدة في البلاد، كانوا مصممين على توسيع منافع إدارتهم تحت قيادة الشيخ محمود. وهكذا أسكتت الاعتراضات، وقبلت الإدارة الجديدة في كل المنطقة من دون اعتراض. وقد وصف الرائد إيلي بانيستر سون (E. B. Soane) رد فعل الكرد على إرساء الدولة الجديدة بزعامة الشيخ محمود:

غير أن الكرد كانوا تواقين إلى السلام في ذلك الوقت، وبسبب الحرمان كانوا مستعدين لتوقيع أية وثيقة أو بيان للحصول على الهدوء والغِذاء. وهكذا فإن قبيلة تلو أخرى لم تكد تعرف الشيخ محمود أو كانت تعرفه بوصفه ابناً غير جدير لشخص طيب وقعت المذكرة النمطية التي طلبت الانضمام إلى الدولة الجديدة بزعامة الشيخ محمود، الشرط الذي تصوروا أن الحكومة البريطانية وضعته جوهرياً لأسباب خاصة بها.[1]

انتقاد النظام القبلي كما هو مطبق في كردستان الجنوبية

انتقد الرائد سون بقوة في تقرير رسمي النظام الإداري الذي تم تبنيه حديثاً. وفي قسم بعنوان «مذكرة عن نظام الإدارة القبلي،» أكد على ما اعتبره الجوانب غير السليمة للنظام الجديد، ووصف شروره نقطة فنقطة. وحدد في الفقرة الأولى نيّات الخصوم وتوقعاتهم. ولم يترك مجالاً للشك أن البريطانيين، الذين اقترحوا النظام ودعموه، والشيخ محمود الأداة المختارة لتنفيذها، كانت لهم أهداف متقاطعة:

---

(1) العراق (الإدارة البريطانية)، مكتب المفوض المدني، التقرير الإداري لمنطقة السليمانية لعام 1919، 2، الأمثلة في الأصل، م س رقم 346.

تم تبني نظام للإدارة يمكن أن يدعى النظام القبلي. واعتبر الضباط السياسيون البريطانيون المكلَّفون أن ذلك يلبي على أفضل نحو المطامح القومية ويحفظ الخصائص المميزة لكردستان. واعتبر الشيخ محمود بالقدر ذاته أن من المرغوب فيه تأسيس النظام القبلي لأنه يتمكن بتلك الوسيلة أن يرشو زعماء القبائل بسهولة ويركز السيطرة في يديه ويحصل على نحو أسرع على السلطة المطلقة وهو ما كان هدفه. لم يكن نظام الحكم المباشر عن طريق الموظفين، الذي يميل طبعاً إلى تفكيك القبائل وصعود السكان الديموقراطيين والمجتهدين المتجانسين، ما يرغب فيه. وحث بصفته المستشار الرئيس للحاكم السياسي على إحياء النظام القبلي الذي كان – في السليمانية – آيلاً للزوال.[1]

على الرغم من أنه كان واضحاً تماماً أن الشيخ محمود كان أبغض شخص لدى الرائد سون الذي شكك على نحو دقيق في دوافعه وسخر منه لم يسلم النظام أو من أوحوا به من انتقاده. وفي هذا التقرير كما في كل المراسلات الرسمية الأخرى كتب سون من غير لف ولا دوران، ولم تقنعه متطلبات اللياقة الرسمية ولا الخشية من الإجراءات التأديبية في تلطيف لهجته أو تخفيف موقفه.[2]

بعد وصف سون موقف السلطات البريطانية والزعيم الكردي انتقل إلى وصف الشرور التي زادت تعقيدات النظام. وأوضح بجلاء أن النظام الجديد كان سيئ التصميم ورجعياً وغير عملي.

---

(1) م ن، 3.

(2) للاطلاع على وصف لشخصية سون ولغته المريرة وعادة كتابة التقارير «أحياناً بلغة حادة» انظر آ. ت. ويلسُن، ولاءات...، 2: 82–83، م س رقم 275؛ وكذلك سير آ. ت. ويلسُن، «إ. ب. سون– مذكرات...»، في إلى بلاد ما بين النهرين وكردستان، إي. ب. سون، 9–17، م س رقم 274.

لذا كان إحياء النظام حركة تراجعية. كانت كردستان الجنوبية قد أصبحت قبل ذلك من دون هوية قبلية عموماً ونشأ قدر من الازدهار قبل زمن الحرب. بعد أن قبل الحاكم السياسي الآراء التي أعرب عنها الشيخ محمود كرس طاقاته من أجل إنعاش القبلية. وكل شخص يمكن وصفه بأنه رجل عضو قبيلة وُضع تابعاً لزعيم قبلي. وكانت الفكرة، تقسيم كردستان الجنوبية إلى مناطق تحت سيطرة الزعماء القبليين. ونبش رؤساء القرى وأعيد اعتبارهم زعماء لقبائل اختفت منذ زمن طويل. وأبلغت قبائل مستقرة مشتتة في منطقة كفري الحارة بإعادة التوحد وتذكر أنهم كانوا في وقت ما أفراد قبائل. ونصب شيوخ قبائل لهم. وتقرر دفع الإيراد حسب تقدير شيخ القبيلة، الذي يجب أن يتعرف بالشيخ محمود وحده بوصفه حكمدار كردستان (وحاكمها المستبد الطيب)، وفي مقابل ذلك يجب تقديم الدعم المالي له. كان ذلك مثالاً لرجل القبيلة ولو أنه كان قاتلاً للتجارة والحضارة والسكينة. وقد ثبت ذلك. تدل سجلات الضابط السياسي في السليمانية أنه خاض كفاحاً شاقاً طويلاً ضد النتائج الطبيعية للنظام. لم يكن على المجرم القبلي سوى إلقاء نفسه عند قدمي شيخه القبلي المحلي، الذي كان بدوره مذنباً أكبر منه، لكي يرتمي أرضاً أمام الشيخ محمود لينال العفو وحتى الحظوة. وكان في الإمكان التكفير عن أي ذنب بالاستسلام المطلق إلى الشيخ محمود الذي رتب فوراً الأمور مع الشيخ القبلي المسؤول اسمياً عن المذنب.

هكذا سلم الناس أنفسهم – قوام البلاد – المكبلون بالقيود الثقيلة مصيرهم إلى فئة من الزعماء الذين عهد إليهم تولي استنزافهم والضغط عليهم.[1]

(1) العراق (الإدارة البريطانية)، مكتب المفوض المدني، التقرير الإداري لمنطقة السليمانية لعام 1919، 3، م س رقم 346.

كانت النتيجة النهائية لتطبيق هذا النظام تسريع نشوء نظام فاسد وقمعي مفروض على السكان. وقد وصف سون وصفاً جيداً دعم النظام للشر والظلم: «كان النظام القبلي مثالي النزعة شأنه شأن نظم كثيرة مثالية النزعة انهارت عندما أصبحت على تماس بالطبيعة البشرية الخادعة والدنيوية. كانت آثارها منح المخالفين للقانون حرية تصرف أكبر... ومنحت الناس فرصة أقل لتحقيق التخلص من الظالمين، وباختصار رعت وزادت الأضرار وقمعت العناصر الديموقراطية النافعة.»[1]

وذكر سون أن الحكام السياسيين البريطانيين قد حددوا الأخطاء والعيوب في النظام منذ البداية، وأورد تقريراً قدمه النقيب (اللواء لاحقاً) س. هـ. لونگريگ، معاون الضابط السياسي في كركوك مؤرخ في 29 تشرين الثاني/ نوفمبر عام 1918، كانت خلاصته أنه تقرير لونگريگ أنه على الرغم من قبول عدد كبير من الكرد النظام فإنه قوبل بسخطِ من لم يخدم مصالحهم. وبيَّن أن البعض ربما استاؤوا منه إلى درجة أنهم تمنوا عودة الأفندية القدماء (المسؤولين الترك). علاوة على ذلك عبر لونگريگ عن الخشية أن يكون الكردي في ظل النظام الجديد شأنه شأن التركي بوصفه ظالماً.[2] وجازف حتى بالرأي أن النظام الجديد قد يُرفض إذا أحيل على الفلاحين. واختتم تعليقاته على النظام بالقول «إنه يضحي صراحة بالديموقراطية من أجل النزعة القومية سواء في السراء أو الضراء. وسيكون سهلاً، ولكن ليس مبهجاً، عدم الاستماع إلى الصرخات الصغيرة وربما المشروعة ضد مرشحنا.»[3]

وفي تقرير آخر قدمه لونگريگ لاحقاً في شهر (كانون الأول/ ديسمبر

(1) م ن.

(2) لونگريگ كما استشهد به، م ن، 3-4.

(3) م ن، 4.

– كانون الثاني/ يناير، عام 1918–1919) ناقش النظام القبلي مرة أخرى مشيراً إليه بأنه تجربة. وبعد بيان الأخطار المتأصلة في وضع رجال القبائل تحت رحمة زعمائهم ذكر ما عده من مزايا النظام. وبحسب رأيه فإنّ النظام راعى المشاعر القومية لدى الكرد وأبعد رجل القبيلة عن تأثير الموظفين الفاسد والمؤذي وقلص إلى واحد عدد المذنبين المحتملين ضد العدل والحرية.[1]

من المثير للاهتمام تناول رأي ضابط سياسي بريطاني آخر بشأن النظام القبلي الذي أسس حديثاً. يقول آر. أس. جاردين (R. S. Jardine)، الذي كان معاون الضابط السياسي في كفري في حينه، في تقرير له:

النظام القبلي للقضاء في حالة تفكك – وهي عملية رعتها سياسة الترك منذ إعلان الحرية[2] – في بعض الحالات لم يعترف رئيس القرية بأي شخص سوى الضابط السياسي رئيساً له. ويبدو أن ذلك يبسط مهمة جمع الإيرادات إلّا أنه يجعل تطبيق العدل والقانون والنظام أصعب مما هو قائم حيث يبقى نظام الإدارة في شكله البدائي. وفي عدة أنحاء من القضاء نجحت في المحافظة على النظام القبلي للمسؤولية عن القانون والنظام غير أن كل محاولات جمع الإيرادات أدت إلى تأخير غير معقول في عملية تحصيل الإيرادات أو معاملة الفلاحين غير العادلة على نحو لا يمكن تحمله. ولكن على الرغم من ذلك فإن النظام القبلي تجربة جيدة.[3]

(1) العراق (الإدارة البريطانية)، مكتب المفوض المدني، التقرير الإداري لمنطقة كركوك لعام 1918، 432 (بالإنكليزية، مرجع 342).

(2) أي «حرية» بالعربية. كانت مصطلحاً أطلقه الكتاب على فترة الإصلاحات الدستورية التي أعقبت إطاحة جمعية تركيا الفتاة بالسلطان عبدالحميد.

(3) العراق (الإدارة البريطانية)، مكتب المفوض المدني، التقرير الإداري لمنطقة كركوك لعام 1918، 417 (بالإنكليزية، مرجع 342).

ويلاحظ من التقرير أنه حتى أولئك الضباط السياسيين الذين لم يعارضوا النظام القبلي معارضة شديدة كما كان عارضه سون، كانت لديهم شكوك بشأن العدل والحكمة جراء تطبيق هذا النظام. ولا شك أن البريطانيين لجأوا إلى النظام القبلي كوسيلة موقتة. وبالنظر إلى غياب عدد مناسب من الموظفين الإداريين وقوة كبيرة على نحو كاف قادرة على التعامل مع المهمة الصعبة للمحافظة على القانون والنظام في المناطق المحتلة حديثاً، فقد اضطروا إلى صوغ نظام للحكم مكنهم من استخدام عدد قليل من موظفيهم بصفة إدارية استشارية.

كان البريطانيون بحاجة، أو تصوروا أنهم بحاجة ماسة إلى الدعم من الزعماء المحليين بحيث إنهم لم يدخروا وسيلة لكسبهم. ولضمان تعاونهم مضى الضباط السياسيون إلى حد الموافقة على عقد صفقات ظالمة على حساب الشعب عموماً. وترك الكثيرون من الزعماء القبليين الأقوياء والإقطاعيين الأثرياء من دون المساس بملكية أراضيهم سوى الاستيلاء القسري. ولخصت بِلّ هذه المشكلة في جمل معبرة قليلة:

من البداية كان هنالك قلق ملحوظ بين الآغوات من أن تؤدي السيطرة البريطانية إلى مسائل محرجة تتعلق بملكية الأراضي وعدم وجود أي حق غير الحيازة القسرية. وعلى الرغم من أن قوة الآغا والسيد كانت مناقضة لمصالح أغلبية السكان كان من المستحيل في حينه كبح ذلك. ولتهدئة مخاوف الطبقة الحاكمة لم ترسل سجلات الطابو إلى بغداد حيث تخضع إلى التدقيق، وإن بطريقة غير ملائمة، بل سمح ببقائها في السليمانية.[1]

وقد ثبت بوضوح تام في ضوء التطورات اللاحقة أن هذه التنازلات غير

---

(1) بِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 63، م س رقم 317.

مفيدة على الإطلاق، لأن الطبقة نفسها التي قُدمت لها هذه التنازلات هي التي ثارت ضد البريطانيين بعد بضعة أشهر.

تدهور العلاقات بين الشيخ محمود والبريطانيين

سخط الشيخ محمود على القيود البريطانية

بعد أن حصل الشيخ محمود على المنصب الذي سعى إليه بحماسة شديدة لم يبذل أية محاولة لإخفاء حقيقة أنه أراد كل المزايا ولكن مع التفلت من الالتزامات المقابلة التي ترافقها. وعلى الرغم من حقيقة أن تعيينه في منصب الحكمدار كان مقيداً بشروط معينة، يبدو أنه اعتبر هذه الشروط قيوداً غير مبررة على سلطته. حددت المنطقة التي سمح له بممارسة سلطته فيها بين نهريْ الزاب الأكبر وسيروان (ديالى)، واختزلت سلطته كحاكم بجعله تابعاً إلى البريطانيين. لم يكن الشيخ محمود مستعداً لقبول ما عده عبودية مزعجة مصممة لكبح نفوذه والتدخل في حرية عمله.

في كتاب وضع بعد سنوات طويلة من هذه الأحداث يناقش إدموندس رد فعل الشيخ محمود في مواجهة القيود التي وضعت على سلطته، ويوضح ما جعل الوضع كله غير مفهوم وغير مقبول لدى شخص له مثل مزاجه وعقليته. «استاء من اقتصار سلطته على المنطقة الموصوفة أعلاه. وحتى في العصور التركية، كان الشيخ محمود بوصفه مواطناً قد أرهب مدينته من خلال عصاباته من الأشقياء وبعد أن أصبح الحاكم على نحو رسمي، أصبح غير قادر بالمرة على فهم القيود التي فرضت عليه حتى من نظام نوئيل الاستشاري المعتدل.»[1]

(1) إدموندس، كرد وترك وعرب، 30، م س رقم 63.

من دون أن تدع بِلّ أي شك بشأن موقف الشيخ محمود من هذه المسألة أكدت أن هذا الموقف قد تأثر كثيراً بالرجال المحيطين به. وفاقاً لها بدلاً من حث هؤلاء الرجال الشيخ محمود تبني النهج الأكثر اعتدالاً واتزاناً فإنهم شجعوه على تبني موقف متسم بالتحدي:

لم يكن الشيخ محمود مستعداً لأن يقبل منّا، أكثر مما قبل من الترك، تقييداً لسلطته. كان محاطاً بأشخاص ذوي مصالح مضطربين نفسياً حشوا رأسه بأفكار مبالغ فيها وشجعوه على تنصيب نفسه حاكماً لكردستان برمتها. تدخل باستمرار في الإدارة المحلية وملأ الدوائر بأقاربه وأعوانه. [1]

على الرغم من أن الشيخ محمود كان مسروراً بتلقي الدعم البريطاني وإعانة مالية بريطانية فقد كان واضحاً أنه صمم على عدم قبول أي قيود. تظاهر في البداية بالموافقة على متطلبات السياسة البريطانية إلّا أنه قرر كما يبدو السعي إلى تحقيق أهدافه بطريقته الخاصة. وهكذا سخر كل طاقاته لزيادة سلطته ونشر نفوذه في أنحاء كردستان برمتها، من دون أن يأبه لما قد يفكر فيه البريطانيون أو يفعلونه. وفي غضون فترة قصيرة أفلح في زيادة سلطته وتوسيع نفوذه إلى درجة أن البريطانيين اضطروا إلى اتخاذ إجراءات فورية لكبح الاتجاه قبل خروج الوضع عن سيطرتهم.

لم يكد يمر شهر واحد على تنصيب وكيل المفوض المدني الشيخ محمود في منصب الحكمدار حتى وجد البريطانيون أنفسهم يواجهون ضرورة إعادة تقويم مؤلمة للوضع كله في كردستان الجنوبية. ذكرت النصوص المتماثلة لتقريرين رسميين أنه «بحلول نهاية كانون الأول/ ديسمبر، بدأت الشكوك تنشأ

(1) بِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 63، م س رقم 317.

فيما يتعلق بالحكمة من زيادة سلطة الشيخ محمود على نحو واسع للغاية.»[1]

قد يبدو غريباً وحتى متسماً بالمفارقة أن ينزعج البريطانيون كثيراً من تزايد قوة رجل دعموه وقدموا له الإعانات المالية وساعدوا في جعله الحاكم الأول لدولة كردية تتمتع بشبه استقلال ذاتي. وبقدر تعلق الأمر بهذا النقاش ليس مهماً تحديد إن كان الشيخ محمود مديناً أم لا بمنصبه إلى البريطانيين، وإذا كان الأمر كذلك فإلى أي مدى. المهم كان رأي الشيخ محمود ويكاد يكون من المؤكد عدم اعتباره أنه لم يعتبر أنه كان مديناً للبريطانيين بمنصبه، وبالتالي لم يشعر بالامتنان من أجل البقاء مخلصاً لهم. ويبدو في تعاملاته معهم أنه تبنى سياسة انتهازية. حصل لنفسه كل دعم معنوي أو مادي قدموه له وواصل التعاون معهم ما دام نهجه نافعاً له.

عمل الشيخ محمود على نحو محموم من أجل زيادة قوته وتوسيع نفوذه ليس ضمن كونفدرالية كردستان الجنوبية فحسب، بل في كل مكان كان يستطيع فيه القيام بذلك. وعلى الرغم من أنه لم يحاول صراحة نقض العهد مع البريطانيين فقد أصبح أقل حذراً بشأن المحافظة على المظاهر. وكان واضحاً أنه كان مهووساً بفكرة تعزيز مركزه. ازدرى اتفاقه مع البريطانيين وتجاهل توصيات الضباط السياسيين. ويبدو أنه توصل إلى الاستنتاج أنه لا يستطيع كسب شيء من مواصلة التعاون معهم. ولا بد أنه اعتقد أنه أصبح قوياً للغاية بحيث إن البريطانيين لن يتحدوا سلطته، ولذا يمكنه أن يفعل ما يشاء من دون خشية من العقاب.

يبدو غريباً أن الشيخ محمود بعد فترة قصيرة من توليه السلطة قد تبنى مسلكاً كان لا بد أن يورطه في صراع مع البريطانيين، لأنه مهما كانت أسباب

---

(1) إي. جي. آر.، 12: كذلك بِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 63، م س رقم 317.

رغبته في التخلص من الصلة البريطانية لا يوجد شك أنه تصرف على نحو متسرع للغاية، ولم يعبر عن كياسة ولم يأبه بالنتيجة الحتمية لصراع غير متكافئ. الموظفون البريطانيون شعروا بالحيرة وخيبة الأمل والغضب إزاء تصرفات الشيخ محمود، خصوصاً أولئك الذين كانت لهم ميول مؤيدة لتأسيس الدولة الكردية ذات الحكم الذاتي. وتضمنت إشاراتهم إليه هجاء اقترب من القدح. وكان أهون ما قيل عنه إنه متهور وطفل.

في محاولة لتفسير سلوك الشيخ محمود قدم جورج مارتن لِيسْ (G. M. Lees) عام 1928 حكماً قاسياً على شخصية الشيخ:

> **كانت سمعة الشيخ محمود المتسمة بالخداع وعدم الأمانة معروفة جيداً، إلّا أنه لما كانت مصالحه ومصالحنا بدت متفقة لم يكن هنالك سبب لكي يخدعنا. ولسوء الحظ أنه منح سيطرة مفرطة على الإعانة المالية الكبيرة التي كان يحصل عليها؛ وعندما انتشى الشيخ محمود بحصوله المفاجئ على السلطة والثروة بدأت مطامحه تتصاعد أبعد من الحدود المرسومة له، وكانت لديه رؤى عن نفسه بوصفه ملك كردستان الموحدة والمستقلة.**[1]

وقال ويلسُن ما يلي عن الشيخ محمود: «عن جهل ولكن ليس عن براءة كان طفلاً ولديه طموحات كبيرة ومكر طبيعي كثير. كان يصاب بنوبات غضب مفاجئة وانفجارات متسمة بالقسوة مما جعل مراقباً هادئاً مثل سون يقول: إن الشيخ محمود لم يكن دائماً مسؤولاً عن تصرفاته.»[2]

---

(1) لِيسْ، «سنتان في كردستان الجنوبية،» 253-34، م س رقم 134.

(2) آ. ت. ويلسُن، ولايات...، 2: 134، م س رقم 275؛ كذلك لونگريگ، العراق، 1900-1950، 104، م س رقم 141.

تأثير الأفكار والأحداث على الشيخ محمود

عبر كتاب بريطانيون آخرون عن آراء مشابهة في الشيخ محمود. ومهما كانت حقيقة هذه التهم لا بد أن أموراً أخرى قد أثرت في مواقفه وتصرفاته. ولفهم تفكير الشيخ محمود فهماً صحيحاً والتوصل إلى تقويم لسلوكه يجب أن نأخذ كل العوامل ذات الصلة في الاعتبار.

كان تفكير الشيخ محمود يخضع لسيطرة الفكرة أنه يحق للكرد – سكان كردستان الجنوبية على أي حال – الحصول على دولة خاصة بهم وأنه الرئيس الشرعي لتلك الدولة. وكانت إعلانات مختلفة قد أيدت فكرة إقامة دولة كردية أثناء الحرب وبعدها، وكذلك في المناخ العام للرأي السائد آنذاك بين القادة الكرد في كل مكان، بينما نشأت فكرة زعامته من شعور بأن له مهمة شخصية ومن علو شأن عائلة برزنجة في كردستان الجنوبية.

كان الشيخ محمود مديناً بمركزه إلى حد كبير إلى التبجيل الذي أحيطت به أسرته. وألقت سمعة ثلاثة من أجداده بخاصة، هالة من القداسة عليه. كان جد جده الشيخ معروف النودي (النودهي) مشهوراً بمعرفته الدينية الواسعة وانتصاره على الشيخ النقشبندي الشهير مولانا خالد في مسابقة لصنع المعجزات.[1] وكان أبو جده حاج كاك أحمد المبجل رجل الدين الأكثر شهرة وصانع معجزات في كردستان الجنوبية.[2] وأخيراً تمتع الشيخ سعيد أبو

---

(1) للاطلاع على سيرة موجزة وقائمة مفصلة بمؤلفات الشيخ معروف، انظر محمد أمين زكي، تاريخ السليمانية وأنحائها، ترجمه ملّا جميل أحمد الروزبياني من اللغة التركية إلى العربية، 219–24 (بالعربية، مرجع 316). راجع إدموندس، كرد وترك وعرب، 71، م س رقم 63.

(2) يتضمن كتاب إدموندس، كرد وترك وعرب، 74 والصفحات التالية، م س رقم 63، معلومات مفصلة عن المعجزات التي حققها كاك أحمد. راجع زكي، تاريخ السليمانية، 224، م س رقم 316.

الشيخ محمود، بسلطة واسعة وسمعة عريضة بوصفه صديقاً وربيباً للسلطان عبد الحميد، وعد أنه توفي شهيداً. وقد كسب الشيخ سعيد هذا الدور بعد اغتياله على يد غوغاء في الموصل، وكان لبعض الوقت رمزاً لمظالم البرزنجة وأتباعهم ضد الحكومة العثمانية.[1]

كانت هذه الأسرة، كما يشار في مكان آخر من هذه الدراسة، أقوى المطالبين بالهيمنة المحلية منذ سقوط الأسرة البابانية. وعلى الرغم من أن الشيخ محمود لم يكن العضو الأكبر سناً في الفرع النودهي المسيطر في أسرة السادة البرزنجة فقد كان رئيس الأسرة المعترف به ولذا كان محط كل التبجيل والولاء لأسرته المحاطة بالتقديس. وشعر الشيخ محمود، بوصفه رئيس الأسرة البرزنجية والزعيم صاحب السمعة الواسعة أنه المطالب الأقوى بزعامة كردستان الجنوبية.

لهذا السبب أصر الشيخ محمود دائماً أن لديه تفويضاً من كرد ولاية الموصل وحتى من شرائح مهمة من كرد فارس. وإذا كان مقتنعاً حقاً بهذه الحقيقة، كما يبدو أنه كذلك، فلا بد أنه اعتبر اقتصار حكمه على المنطقة التي طالب بها وتبعية سلطته إلى البريطانيين انتهاكات فاضحة وظالمة لحقوقه.

وثمة أدلة على أن الشيخ محمود آمن بحزم في عدالة مطالبه وحقه في السعي لنيلها. ترك لنا سير أرنولد ويلسُن، الذي زار الشيخ محمود بينما كان الأخير في دور النقاهة من الجروح الشديدة التي أصيب بها في معركة ممر بازيان، صورة لن تنسى للشيخ القبلي الكردي. كتب ويلسُن بعد نحو عشرة أعوام من لقائه بالشيخ محمود:

> **شاهدته داخل المكتب في السليمانية أثناء ثلاث مناسبات. كنت قد زرته في المستشفى عندما أنكر صلاحية أي محكمة عسكرية في**

---

(1) يتناول الفصل الثاني عشر أنشطة الشيخ سعيد بالتفصيل.

محاكمته وردد النقطة الثانية عشرة للرئيس ويلسُن والبيان الأنكلو-الفرنسي الصادر في 8 تشرين الثاني/ نوفمبر عام 1918، التي كتبت ترجمة لها إلى اللغة الكردية على الأوراق الخالية في نسخة من القرآن وربطت مثل تعويذة بذراعه.[1]

إن هذه صورة مفعمة بالحيوية ليس لشيخ قبلي متمرد بقدر ما هي روح الأزمنة ومزاجها في كردستان. اختيرت على نحو جيد الوثائق التي حملها الشيخ محمود عن نفسه والتي لجأ إليها دفاعاً عن تصرفاته. إلّا أن هذه لا تمثل سوى عاملين اثنين من عوامل كثيرة تؤثر ليس في الشيخ محمود فحسب، بل في رجال آخرين كثيرين من جيله. لا بد أن نتناول هذه القوى الآن إذا أردنا فهم رجل فشل في تحدي إمبراطورية، وتحدث بلهجة صريحة إلى واحد من الممثلين الرئيسين لتلك الإمبراطورية.

لا يصبح سلوك الشيخ محمود قابلاً للفهم إلّا عندما ينظر إليه بالمقارنة مع الحالة المحيرة للأمور في بلاد الرافدين المحتلة من بريطانيا. إنَّ تقلب الأفكار الجديدة وغير المألوفة، والمطالب المتنافرة للمجموعات المتصارعة والأيديولوجيات المتنافسة، والتيارات المتعارضة للدسائس السياسية، والشائعات والشكوك في ذلك الوقت كانت كلها كافية لإنهاك الأذهان وإقلاق قلوب معظم الرجال. وكانت الإعلانات المختلفة لأهداف الحلفاء في الحرب مثل الإعلان الأنكلو- فرنسي في 8 تشرين الثاني/ نوفمبر عام 1918، ونقاط الرئيس ويلسُن الأربع عشرة، بخاصة النقطة الثانية عشرة، التي طبقت

---

(1) آ. ت. ويلسُن، ولاءات...، 2: 139، م س رقم 275. أشار الكاتب السوفياتي ك. سارزين إلى هذه الحكاية في مقاله «العراق اليوم: موجز جغرافي،» نيو تايمز، 6 (15 آذار/ مارس عام 1945)، 22 (بالإنكليزية، مرجع 231).

عقيدة الحكم الذاتي القومي على الرعايا غير الترك في الدولة العثمانية،[1] والتحريض التركي مع مضامينه الإسلامية والمؤيدة للكرد والدعاية الشريفية، خصوصاً المؤيدة للعرب في المناطق الناطقة بالعربية ولكن الإسلامية في المناطق الناطقة باللغة الكردية،[2] والأنشطة القومية الكردية الناشئة عن مصادر مختلفة وبأشكال متنوعة،[3] والهيجان الثوري الشيوعي المتغلغل في المنطقة بعد الاضطراب في روسيا،[4] كل هذه قادت إلى تأكيد آمال ومخاوف

(1) للإطلاع على آثار الإعلان الأنكلو-فرنسي ونقاط الرئيس ويلسن الأربع عشرة على شعب بلاد ما بين النهرين المحتلة من بريطانيا عموماً، انظر آ. ت. ويلسُن، ولاءات...، 2: 110-3، م س رقم 275. وترد في مصادر كثيرة. كذلك بِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 126-27، م س رقم 317.

(2) «كان عملاء الشريف كذلك يعملون في كردستان الشمالية وكانوا بتأكيدهم على مشاعر المسلمين الدينية يسعون إلى تعظيم سيدهم.» إي. جي. آر.، 17. انظر أيضاً درايفر، كردستان والكرد، 98، م س رقم 57؛ بِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 59، م س رقم 317. للاطلاع على النداء الشريفي إلى الكرد أثناء الهجوم على تلعفر انظر العراق (الإدارة البريطانية)، مكتب المفوض المدني، تقرير الإدارة لمنطقة الموصل لعام 1920، 2-3 م س رقم 344.

(3) ظهرت أنشطة قومية كردية بعد الحرب العالمية الأولى في إسطنبول والقاهرة وباريس ودمشق وعدة أماكن في كردستان التركية والعراقية والفارسية.

(4) استناداً إلى تقرير بريطاني «وخلف الترك كانت روسيا في ثورة وكانت البلشفية مستعدة إلى تقديم مساعداتها إلى كل من كانت لديهم مظالم ضد النظام القائم في العالم وإعلان أنه كان غير مناسب لتنظيم الشؤون البشرية.» بِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 59، م س رقم 317. ويبين تقرير رسمي آخر: «يلاحظ أن الحديث عن البلاشفة قد زاد على نحو متزايد أثناء السنة في الموصل. ويعد تحالف مصطفى كمال معهم أمراً مسلماً به وكان يفترض أنه تلقى منهم شحنات كبيرة من الذهب.» العراق (الإدارة البريطانية)، مكتب المفوض المدني، تقرير الإدارة عن منطقة الموصل لعام 1920، م س رقم 344.

اللحظة وزيادة الارتباك العام. ووقف البريطانيون وسط الجميع مترددين وغير حاسمين، وينظر إلى نيّاتهم التي كانت لا تزال مجهولة بشك وريبة.

هناك كذلك الشائعات والتقارير المتصارعة الكثيرة. وعلى الرغم من أن بعضها ربما كان من عمل أشخاص كسولين ومفكرين تواقين، من الواضح أن أوساطاً دولية قد ألهمت آخرين، إلّا أنه كان ثمة شيء مشترك واحد. فلقد صدق الجمهور البسيط تلك الشائعات وتداولها، وكان ثمة حديث عن الصعود الأرمني،[1] والهيمنة العربية[2] وبعث القوة العسكرية التركية،[3] والاستيلاء الفرنسي على ولاية الموصل،[4] والجلاء البريطاني الوشيك عن بلاد ما بين النهرين ولكل منها أساس من الصحة.

في الشمال كان مستقبل ولاية الموصل لا يزال مشكوكاً فيه، وكان الترك يطالبون على نحو تهديدي بإعادة تلك الولاية إليهم. وكانت كثيرة هي المناطق الجبلية النائية في الولاية المتنازع عليها التي يمسك بها البريطانيون على نحو غير محكم أو أنها أرض حرام لايزال الترك يجولون فيها كما يشاؤون. وفي المناطق التي يقطنها العرب في الجنوب كان الوضع متسماً بالتوتر على الرغم من الهدوء الظاهري. وكانت النيّات البريطانية المتعلقة بمستقبل ولاية الموصل وكذلك بقية بلاد ما بين النهرين غامضة وسيئة التحديد، وبدت

(1) إي. جي. آر.، 11؛ درايفر، كردستان والكرد، 81، م س رقم 57؛ بِلّ، استعراض للإدارة المدنية 58-59، م س رقم 317.

(2) درايفر، كردستان والكرد، 80 م س رقم 57؛ آ. ت. ويلسُن، ولاءات...، 2: 131-32، م س رقم 275.

(3) آ. ت. ويلسُن، ولاءات...، 2: 152-53، م س رقم 275.

(4) بشأن الدعاية الفرنسية انظر درايفر، كردستان والكرد، 80-81، م س رقم 57؛ إي. جي. آر.، 11؛ آ. ت. ويلسُن، ولاءات...، 2: 132، م س رقم 275.

السياسات البريطانية غالباً موقتة.[1] وبينما ساد شعور بالشك القوي في أنحاء البلاد مضت عملية تسريح الجنود وبدأت بالتلاشي المؤسسة العسكرية البريطانية التي بذلت الجهود المضنية لبنائها أثناء الحرب أمام عيون الناس غير المصدقة. ولم يلهم رحيل آلاف الجنود بالتأكيد الثقة عندما بقيت من دون حل مسائل كثيرة للغاية، وبعضها ذات طبيعة عسكرية محض.[2]

بالنسبة إلى شخص مثل الشيخ محمود الذي راهن كثيراً، فإن ما كان شكاً ملحاً بدا الآن احتمالاً بعيداً. ولا بد أنه قرر في هذا الوقت تأسيس إقامة اتصال بالترك لأنه سرعان ما ذكر أنه اتصل بمركز التحريض التركي في شرنخ علاوة على قبيلة گويان[3] المتمردة. ولتقويم الحكمة من هذا التصرف، إن لم يكن استقامته، من المنصف بيان أنه لا بد لشخص في مثل مركز الشيخ محمود من الابتعاد أكثر عن شركائه البريطانيين ما لم يتحسن مصيرهم، وبانتظار أن يتحقق ذلك.

وفاقم الوضع سوءاً التقديرات الخطيرة من جانب الشيخ محمود طموحه

---

(1) آ. ت. ويلسُن، ولاءات...، 2: 285-86، 212 و92؛ لونگريگ، العراق، 1900-1950، 81-82، م س رقم 141؛ لِيس، «سنتان في كردستان الجنوبية،» 255، م س رقم 135.

(2) وفاقاً لـ آ. ت. ويلسُن «كانت القوات تغادر البلاد بأعداد كبيرة كل شهر إلاّ أنه لم يكن هناك تقليص في الواجبات العسكرية...وتحدث التجار وغيرهم من العائدين من البصرة وبغداد إلى السليمانية عن جنود يغادرون يومياً بالسفن والقطارات وفي أذهان الكثيرين أننا سنجلو عن كردستان ونترك السكان ليدبروا أمورهم أو لمكائد المتنافسين للحصول على السلطة الذين ازدادوا تشدداً.» آ. ت. ويلسُن، ولاءات...، 2: 135، 138، 283 والصفحات التالية، م س رقم 275؛ لِيس، «سنتان في كردستان الجنوبية،» 260-61، م س رقم 135؛ لونگريگ، العراق، 1900-1950، 118-21، م س رقم 141.

(3) إي. جي. آر.، 15، بِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 64.

المفرط وتحريضات مستشاريه السخيفة. تجاهل مشورة رعاته البريطانيين وهزأ برغباتهم وتبنى عموماً موقف العناد الشديد. ولأنه كان رجلاً متهوراً وبسيطاً سياسياً يبدو أنه لم يمعن النظر في عواقب صراع مع دولة عظمى. وبدلاً من نصحه بالاعتدال وتبني نهج أكثر اتزاناً حرضه الرجال حوله على السعي إلى تحقيق أهداف مبالغ فيها.

لم يكن بعيداً عن الاحتمال أن الشيخ محمود نجح في تحقيق معظم إن لم يكن كل أهدافه لو أنه تبنى نهجاً أكثر اعتدالاً وحاذقاً. لقد كلَّ البريطانيون من إثارة المتاعب وكانوا أكثر حكمة من أن يفقدوا صديقاً ثميناً. واجهوا مشكلات كثيرة جداً في بلاد ما بين النهرين وفي أرجاء أخرى من العالم، بحيث لم تعد لديهم الرغبة ولا الموارد للسعي إلى أي شيء سوى الحل السلمي كلما أمكن ذلك.

كبح البريطانيين سلطة الشيخ محمود

أصبح البريطانيون الآن مقتنعين أنه لم يعد في وسعهم الوثوق بالشيخ محمود، وأنه ما لم يتخذوا إجراءات لكبح سلطته فإن موقفهم في كردستان برمته سيتعرض للتهديد الخطير. كتب ويلسُن: «كان واضحاً بحلول هذا الوقت أننا لا يمكن أن نقدم بحكمة دعمنا الفعال إلى ادعاءات الشيخ محمود بالهيمنة على أية مجموعة كبيرة من القبائل؛ ولما كان هذا هو الحال اتفق عموماً على أن من الضروري تعديل سياستنا في كردستان الجنوبية بتطبيق نوع من الإدارة وفق مبادئ مشابهة لتلك المطبقة في بقية أنحاء العراق.»[1]

دعا وكيل المفوض المدني ويلسُن في أوائل آذار/ مارس، عام 1919، إلى

(1) آ. ت. ويلسُن، ولاءات...، 2: 134، م س رقم 275.

مؤتمر في بغداد بهدف مناقشة أحدث التطورات في كردستان الجنوبية. حضر المؤتمر عدد من الخبراء بمن فيهم سون ونوئيل وليتشمان وأ. ل. غوردن-ولكر (A. L. Gordon-Walker). وبعد مناقشة مستفيضة لموضوع الشيخ محمود والوضع برمته في كردستان الجنوبية اتفقوا على «وجوب كبح سلطة الشيخ محمود تدريجاً ولكن إن أمكن على نحو يتجنب حدوث صدع.»[1] لتحقيق هذا الهدف اتخذ قراران مهمان: الأول حلول سون محل نوئيل ضابطاً سياسياً في السليمانية، والثاني، السماح لعدد من القبائل والأقضية التي كانت تحت سلطة الشيخ محمود حتى ذلك الوقت بالانفصال.[2] كان تعيين سون مؤشراً واضحاً على أن البريطانيين أرادوا التعامل على نحو مشدد مع الشيخ محمود لأن سون كان معروفاً بكرهه الشديد لأسرة برزنجة وخصوصاً الشيخ محمود؛ إنه شعور، كما ذكر آنفاً، لم يكلف نفسه بإخفائه.[3]

اتخذت خطوات فورية لتنفيذ القرار الذي تبناه المؤتمر. أوفد سون إلى السليمانية وفي طريقه إلى المدينة توقف في كفري وكركوك بهدف البدء

(1) ليس، «سنتان في كردستان الجنوبية،» 255 والصفحات التالية، م س رقم 135؛ آ. ت. ويلسُن، ولاءات...، 134، م س رقم 275.

(2) آ. ت. ويلسُن، ولاءات...، 2: 134-35 والصفحات التالية، م س رقم 275؛ ليس، «سنتان في كردستان الجنوبية،» 255 -56، م س رقم 135؛ لونگريگ، العراق، 1900-1950، 104، م س رقم 141.

(3) تطور كره سون لقبيلة برزنجة أثناء إقامة قصيرة متنكراً في كردستان الجنوبية قبل ذلك باثنتي عشرة سنة. وقد تأثر بلا شك بقبيلة جاف بگزادة في حلبچة، خصوصاً السيدة عادلة التي كان على علاقة ودية للغاية معها. وقد انتقد سون بشدة الشيخ محمود وأسرته في كتابه المعنون إلى بلاد ما بين النهرين وكردستان متنكراً، م س رقم 241، وفي عدد من التقارير الرسمية مثل تقرير عن منطقة السليمانية في كردستان (1918)، م س رقم 355.

بعملية سرعان ما أدت إلى تحويل مناطق وعشائر مختلفة عن سلطة الشيخ محمود.[1]

ذكر أن أفراد قبيلة جاف، الذين صادف وجودهم في مأواهم الشتوي في منطقة كفري، كانوا مجمعين على رغبتهم بالانفصال عن الشيخ محمود وأن يكونوا تحت السيطرة البريطانية المباشرة.[2] ووصل النقيب لِيسْ، الذي اختير للعمل في منصب مساعد الضابط السياسي ومسؤولاً عن شؤون قبيلة جاف في حلبْچة، إلى منطقة كفري في حوالى منتصف آذار/ مارس، ومكث هناك بضعة أيام. وأثناء وجوده هناك دفع إلى شيوخ الفروع المختلفة من قبيلة جاف الإعانات المالية الشهرية التي كانوا حتى ذلك الحين يتلقونها من الشيخ محمود وخصم هذه المبالغ من إعانة الشيخ المالية الكلية. لم يدع هذا التصرف أي شك في أذهان أفراد قبيلة جاف أن البريطانيين قد غيروا موقفهم نحو الزعيم الكردي وأنهم بدأوا تطبيق سياسة جدية.[3] وفي كركوك في آذار/ مارس، عام 1919، فصلت منطقتا كركوك وكفري من الكونفدرالية الكردية الجنوبية برئاسة الشيخ محمود وأصبحتا منطقة إدارية جديدة.[4] وفي حين بقيت منطقة حلبْچة جزءاً من منطقة السليمانية فإنها وضعت الآن تحت السيطرة البريطانية المباشرة.

أصبح واضحاً الآن أن الشيخ محمود قد فقد ثقة البريطانيين، وأنه سيفقد في الوقت المناسب الدعم المعنوي والمادي الذي كان لايزال يتمتع به. هذا

(1) بِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 64.

(2) العراق (الإدارة البريطانية)، مكتب المفوض المدني، تقرير الإدارة عن منطقة السليمانية لعام 1919، 1-2، م س رقم 346.

(3) لِيسْ، «سنتان في كردستان الجنوبية،» 256، م س رقم 135.

(4) العراق (الإدارة البريطانية)، مكتب المفوض المدني، تقرير الإدارة عن منطقة السليمانية لعام 1919، 1-2، 4، م س رقم 346.

الرجل، الذي كان قد أعلن قبل ذلك بفترة قصيرة زعيم كردستان العراقية والذي يجب أن يقف حوله كل الكرد العراقيين، أصبح الآن يمثل مدعياً مغروراً يجب أن ينبذه الجميع. أثار هذا التطور انطباعاً عميقاً لدى الكرد الجنوبيين. وكان منافسوه والآخرون المعادون له قد نظروا بريبة شديدة إلى دور الشيخ محمود بوصفه مسيطراً على كردستان الجنوبية وقبلوا توليه السلطة بتردد شديد. رحب هؤلاء الأشخاص الآن بانحطاط سلطته بوصفها إثباتاً لصحة موقفهم السابق منه. إلّا أن الشيخ محمود في عيون أنصاره وأتباعه، بمن فيهم أقاربه الكثيرون، كان مظلوماً وأثار أكثر من أي وقت مضى عطفهم وتطلب إظهار ولائهم.

أنجز كبح سلطة الشيخ محمود كما يبدو من دون وقوع أي حادث غير موات. أدت حقيقة أن أعداء الشيخ محمود قد رحبوا بذلك، ولم يعارض الشيخ محمود وأتباعه تقديم سون تقريراً سابقاً للأوان عن الآثار الترحيبية لذلك في السليمانية والريف المحيط بها. وفاقاً للشيخ محمود كان نفوذه يتدهور سريعاً. ومع الشعور بمزايا القانون والنظام أعجب سكان المدن، علاوة على القبائل على نحو إيجابي، بالوضع الجديد للأمور. [1]

كان الهدوء، لسوء الحظ، ظاهرياً والتفاؤل غير مبرر. وسرعان ما ظهر مدى مرارة سخط الشيخ محمود إزاء تقليص سلطته وشدة معارضته السريعة لذلك. لم يكن واقعياً حقاً توقع شخص له مزاج مثل مزاج الشيخ محمود وشخصيته أن يتخلى عن طموحاته والتنازل عن صلاحياته والمعاناة من الإذلال وإراقة ماء وجهه من دون صراع. وسرعان ما استنكر سون على نحو شديد سلوك الشيخ محمود في حينه. ووفق ما أفاد سون أعاق الشيخ محمود الإدارة العادلة وسعى بمختلف الوسائل التعسفية إلى تقليل شأن الحكومة

---

(1) بِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 64، آ. ت. ويلسُن، ولاءات...، 2: 134-35، م س رقم 275.

البريطانية وموظفيها. وجمع الشيخ محمود حوله عصابة من الساخطين والأشرار وشرع ببحث خطط للانتقام لنفسه من الحكومة البريطانية.[1] وهكذا تلقى بغضب واستخفاف التحدي البريطاني لسلطته.

التمرد ودحر الشيخ محمود

استيلاء قوات الشيخ محمود على السليمانية

بينما كان البريطانيون يفكرون جدياً في الوصول إلى تفاهم مع الشيخ محمود،[2] فإنه هاجم فجأة في محاولة متهورة لاستعادة سلطته وسمعته المتضائلة.[3] ظهرت أمام السليمانية في الساعات الأولى من 23 أيار/ مايو، عام 1919، قوة قبلية تألف معظمها من رجال قبائل هَوْرامان ومريوان عبرت

(1) العراق (الإدارة البريطانية)، مكتب المفوض المدني، تقرير الإدارة عن منطقة السليمانية لعام 1919، 2، م س رقم 346.

(2) استناداً إلى آ. ت. ويلسُن كان قد أبلغ بالوضع الدقيق في السليمانية وأراد التوجه إلى هناك لإجراء مشاورات مع الشيخ محمود، إلّا أن العصيان منع الشيخ محمود من القيام بذلك. كتب قائلاً «كنت قد رتبت للوصول إلى حل يجعل في الإمكان المحافظة على إطار الحكم الذاتي الكردي.» آ. ت. ويلسُن، ولاءات... 2: 136، م س رقم 275.

(3) من الغريب أن عدداً من المصادر البريطانية ولاسيما إي. جي. آر.، 16؛ درايفر، كردستان والكرد، 90، م س رقم 57؛ وِيـلّ، استعراض للإدارة المدنية، 66، م س رقم 317؛ آ. ت. ويلسُن، ولاءات...، 2: 134-35، م س رقم 275. بدأوا عرضهم للتمرد بالقول: «كان نشوب (العصيان) مفاجئاً وغير متوقع.» وذكر ليسْ على نحو أدق، «كان الوضع السياسي حافلاً باحتمالات نجاحنا في محاولاتنا أن نقلم تدريجاً أجنحة مرشحنا أم أنه يمكنه القيام بهروب مستقل قبل نضج خططنا؟» ليسْ، «استنان في كردستان الجنوبية،» 256، م س رقم 135.

الحدود من فارس بقيادة محمود خان ديزلي،[1] إلاّ أنها كانت تعمل وفاقاً لأوامر الشيخ محمود. نجحت هذه القوة من دون صعوبة بالغة في مطاردة القوة التي أرسلت لمواجهتها. وانضم إلى القوة القبلية أتباع آخرون للشيخ محمود من السليمانية والمناطق المجاورة لدى تحركها للاستيلاء على المدينة. وأسر الرائد ف. س. غرينهاوس (F. S. Greenhouse)، الذي كان يقود القوة في غياب سون، وعدد من الضباط البريطانيين الآخرين وسجنوا.[2]

أعلن الشيخ محمود نفسه حاكماً لكردستان بأكملها واستولى على الخزانة،[3] ورفع علمه الخاص،[4] وتولى تعيين موظفيه الإداريين،[5] وقطع

(1) بشأن أنشطة محمود خان ديزلي قبل هجومه على السليمانية، انظر م ن، 258-59. راجع درايفر، كردستان والكرد، 90، م س رقم 57؛ إي. جي. آر.، 16، بِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 64، م س رقم 317؛ إدموندس، كرد وترك وعرب، 30، م س رقم 63.

(2) إي. جي. آر.، 16، درايفر، كردستان والكرد، 90، م س رقم 57؛ بِلّ، استعراض للإدارة المدنية، م س رقم 317. آ. ت. ويلسُن، ولاءات...، 2: 1، م س رقم 275.

(3) وفاقاً لأحد المصادر، بلغت الأموال المستولى عليها مائتي ألف روبية - وهو مبلغ كبير في كردستان الجنوبية في وقته. درايفر، كردستان والكرد، 90، م س رقم 57.

(4) وفاقاً لإدموندس، تألف العلم من هلال باللون الأحمر على خلفية خضراء. إدموندس، كرد وترك وعرب، 30، م س رقم 63.

(5) ذكر آ. ت. ويلسُن أن الشيخ محمود «عين أتباعه للسيطرة على كل منطقة.» ويلسن، ولاءات...، 2: 136، م س رقم 275. وذكرت مصادر معاصرة أخرى تعيين «قائمقام من أتباعه.» درايفر، كردستان والكرد، 90، م س رقم 57. إي. جي. آر.، 16، بِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 64. وفاقاً لإدموندس، كان القائمقام المقصود الشيخ محمد غريب وهو زوج شقيقة الشيخ محمود ومشارك فعال في التمرد. كما سنرى فقد أسر هذا في ممر بازيان وحوكم أمام محكمة عسكرية لاحقاً مع الشيخ محمود، إدموندس، كرد وترك وعرب، 162، م س رقم 63.

خط التلغراف إلى كركوك واعترض الرسل الذين يحملون رسائل وجهها غرينهاوس.[1] وصلت أول أنباء هذه الأحداث في السليمانية إلى العالم الخارجي عن طريق لِيسْ، مساعد الضابط السياسي في حلبْچة.[2] واضطر لِيسْ نفسه إلى الفرار من مقره واللجوء إلى خانقين بعد أن نجا بأعجوبة من الاعتقال أو من مصير أسوأ.[3]

بعد فترة قصيرة من نشوب التمرد استولى رجال الشيخ محمود على قافلة حكومية متجهة إلى السليمانية من كفري. وكانت الغنائم، التي تضمنت مبالغ وبنادق وخيولاً، إضافة مهمة إلى موارد الشيخ محمود الضئيلة.[4] كانت تلك حقاً بداية مبشرة للخير إلّا أن الشيخ محمود سرعان ما سجل نجاحاً أهم.

الانتكاسة البريطانية في ممر طاسلوجة

لدى اطلاع البريطانيين على تلك التطورات قرروا اتخاذ خطوات مضادة. كخطوة أولية أمر الضابط الذي كان يقود حامية كركوك بإرسال مفرزة إلى مشارف جمجمال على طريق كركوك – السليمانية. وعلى الرغم من التعليمات الواضحة بعدم القيام بتقدم أبعد من تلك النقطة، فإن الضابط، الذي كان يفهم خصائص الكرد القتالية والتضاريس الوعرة، قرر عدم الاكتراث لتلك الأوامر وأمر قوة صغيرة مكونة من قوات محمولة ومجندين وسيارات

(1) لِيسْ، «سنتان في كردستان الجنوبية،» 259–60، م س رقم 135؛ آ. ت. ويلسُن، ولاءات...، 2: 136، م س رقم 275. راجع درايفر، كردستان والكرد، 90، م س رقم 54؛ إي. جي. آر.، 16، بِلّ، استعراض للإدارة المدنية 64، إدموندس، كرد وترك وعرب، 30، م س رقم 63.

(2) للتفاصيل انظر، لِيسْ، «سنتان في كردستان الجنوبية،» 260، م س رقم 135.

(3) يروي ليسْ محاكمته وتجاربه المضحكة أحيانا في م ن، 260–65.

(4) إي. جي. آر.، 16، كذلك بِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 65.

مدرعة ورشاشات لويس محمولة على عربات نقل (ڤان) من طراز فورد بالتقدم إلى ممر طاسلوجة على بعد اثني عشر ميلاً من السليمانية. أرغمت القوة على الانسحاب ولاحقها الكرد مسافة خمسة وعشرين ميلاً وتعرضت إلى هجمات قوية وتكبدت إصابات شديدة وفقدت أربع سيارات مدرعة وتسع عشرة عربة نقل.[1]

كان لنجاح الشيخ محمود تأثير فوري يهز المشاعر في كردستان الجنوبية برمتها. وفي كلمات ويلسُن «أكد هذا الحدث المؤسف الاعتقاد العام الآن لسكان كردستان الجنوبية أننا لم نعد قادرين على السيطرة على الأحداث وامتد العصيان إلى الأراضي الفارسية وانتفضت عدة قبائل ضد الحكومة الفارسية معلنة مناصرتها الشيخ محمود ومشروعه بإقامة كردستان الحرة والموحدة.»[2]

اندحار الشيخ محمود عند ممر بازيان

أصبح البريطانيون الآن يدركون إدراكاً تاماً خطورة الوضع. وأصبحت كل كردستان الجنوبية تعرف الآن أن الشيخ محمود خدع البريطانيين في السليمانية وتفوق عليهم عند ممر طاسلوجة. وأدرك البريطانيون أن قبضتهم على جزء حيوي من الأراضي المحتلة قد تعرض للخطر الشديد وشعروا أنهم ما لم يتخذوا إجراءات مستعجلة وحاسمة للتخلص من الشيخ محمود فقد ينجح في تهييج البلاد كلها ضدهم. وقد أوضح ويلسُن «أن القائد العام أدرك

(1) آ. ت. ويلسُن، ولاءات...، 2: 136-37، م س رقم 275؛ إدموندس، كرد وترك وعرب، 31، م س رقم 63.

(2) آ. ت. ويلسُن، ولاءات...، 2: 137، م س رقم 275.

أنه يجب إزالة الشعور البريطاني بالعجز على الفور.»[1] وكلف اللواء السير تيودور فريزر (Theodore Fraser)، قائد الفرقة الثامنة عشرة في الموصل لتحقيق هذا الأمر. تألفت هذه الفرقة التي حشدت في كركوك، من لواءي مشاة تدعمهما الخيالة والسيارات المدرعة ووحدة من القوة الجوية. وتقرر أن يتحرك رتل آخر ضد السليمانية من خانقين.[2] وصلت قوة اللواء فريزر إلى جمجمال في 15 حزيران/ يونيه، عام 1919، وفي 17 حزيران/ يونيه، تحركت القوة بأكملها إلى قرية تكية كاك أحمد على مسافة نحو ثلاثة أميال من ممر بازيان.[3] وفي فجر 18 حزيران/ يونيه، شرعت وحدات المشاة في صعود المرتفعات المتعامدة تقريباً على جانبي بازيان كليهما.[4] وسرعان ما بدأت

(1) م ن. يبدو أن البريطانيين كانوا قد اقتنعوا أن السبيل الوحيد لتحقيق ذلك الهدف هو بتحطيم قوة الشيخ محمود للمرة الأخيرة. وكشف مصدر بريطاني غير موثوق معلومات مثيرة للاهتمام أن البريطانيين كانوا غير مستعدين للتفاوض مع الشيخ محمود على الرغم من استعداده القيام بذلك. ووفاقاً لبِل، «بحلول الحادي عشر من حزيران/ يونيه وعلى الرغم من تحقيق نجاح على مفرزة استطلاع بريطانية فقد كان مستعداً للتفاوض إلّا أن الأمور ذهبت أبعد مما ينبغي.» بِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 65.

(2) آ. ت. ويلسُن، ولاءات...، 2: 137، م س رقم 275.

(3) م. ن؛ كذلك إدموندس، كرد وترك وعرب، 46، م س رقم 63.

(4) عندما ينظر من الغرب أي من السهل المنبسط المواجه لفجوة ممر بازيان ترتفق سلسلة قرة داغ على نحو يكاد يكون عمودياً مثل جدار هائل يحجب كل شيء بعده نحو الشرق. ويعظم كتلته غياب التلال الواقعة عند سفح الجبل ويمنحها مشهداً كالحاً. يرتفع الكتفان المحيطان للفجوة التي تشبه الحرف V في شكلها الضخم والبالغ ارتفاعهما مائة وسبعين قدماً فوق مستوى الممر. إدموندس، كرد وترك وعرب، 45، م س رقم 63. وآ. ت. ويلسُن، ولاءات...، 2: 137–58، م س رقم 275.

قوات أخرى في دك الممر بالمدفعية الثقيلة. وعندما أسرعت قوات الشيخ محمود للدفاع عن ممر بازيان - ضد القوة البريطانية الرئيسة التي تدفقت الآن عبر الفجوة الضيقة - وجدت نفسها تهاجم من كل الجوانب، وأصبحت الوحدات التي كانت قد تسلقت ممر بازيان من السفح الغربي تهبط عبر السفح الآخر. وقبل مضي وقت طويل طوقت قوات الشيخ محمود وهزمت. كانت هزيمة الشيخ محمود كاملة وتشتت أفراد القوة الباقون وولوا الأدبار.[1]

هكذا انتهت معركة ممر بازيان في حزيران/ يونيه، 1919، وكانت واحدة من عدة معارك نشبت عند تلك النقطة الإستراتيجية.[2] وعلى الرغم من أن

---

(1) للحصول على المزيد من التفاصيل انظر آ. ت. ويلسُن، ولاءات...، 2: 138؛ وإدموندس، كرد وترك وعرب، 46، م س رقم 63.

(2) ممر بازيان وهو الممر الرئيس الذي يربط المناطق الجبلية شرقي قرة داغ بسهول بلاد ما بين النهرين والعالم الخارجي، ذو أهمية تجارية وإستراتيجية كبيرة طوال العصور. اعتادت ألوية قبائل هماوند أن تتربص بالقوافل واصطياد القوات العثمانية التي كانت ترسل ضدهم. سون، إلى بلاد ما بين النهرين وكردستان، 328، 329، م س رقم 241، وأماكن متفرقة. عام 1805، أي قبل أكثر من قرن من تمرد الشيخ محمود شهد الممر صراعاً مماثلاً بين الأمير الكردي الكبير عبدالرحمن باشا بابان وبين باشا (والي) بغداد. ولما كان عبدالرحمن باشا ضد أسياده العثمانيين فقد قرر اتخاذ موقف حاسم عند هذه النقطة التي يسهل الدفاع عنها. ولتحقيق هذا الهدف سد المدخل الضيق إلى الممر بجدار صلب باستثناء بوابة صغيرة ووضع بعض قطع المدفعية لتغطية المقتربات إلى الممر. وعلى الرغم من نجاح خطته في البداية فقد احبطت عندما قاد محمد بيك، ابن خليل باشا بابان وابن عم ومنافس عبدالرحمن، الجيش العثماني في طريق غير معروف جيداً. وهكذا وجد القائد الكردي أن وضعه قد انقلب واضطر إلى الانسحاب. ثم دمر باشا بغداد التحصينات قبل التقدم إلى السليمانية. ريتش، حكاية إقامة في كردستان، 1: 59، م س رقم 216. وقدم المنشئ البغدادي، الذي رافق ريتش في رحلاته في كردستان، وصفاً مشابهاً إلا أنه أكثر إيجازاً. انظر سيد محمد بن سيد أحمد الحسيني المنشئ البغدادي، رحلة المنشئ البغدادي التي ترجمها عباس =

تمرد الشيخ محمود كان مجرد حدث في التاريخ الإمبراطوري البريطاني إلّا أنه علامة مهمة في تاريخ القومية الكردية. وربما كان لها بعض التأثير في سلوك قبيلة الدلو وزنكنه وداوده وقبائل كردية أخرى في الجزء الجنوبي من منطقة كركوك انتفضت ضد سلطات الاحتلال بعد عام واحد من زمن التمرد الخطير في المناطق الناطقة بالعربية في بلاد الرافدين.[1]

بعد معركة ممر بازيان أمضى البريطانيون ساعات مشوبة بالقلق يبحثون عن الشيخ محمود. عثر عليه أخيراً مصاباً إصابة خطيرة. ووفاقاً لإدموندس، الذي رافق قوة فريزر بوصفه حاكماً سياسياً، «كان مهماً جداً ألّا يموت قبل أن

= العزاوي من الفارسية إلى العربية، 58 (بالعربية، مرجع 287)، وقد قرن ممر بازيان بممر باهيت في الكتابات المسمارية. إفرايم أفيغادور سپايسر، «كردستان الجنوبية في حوليات آشورناصربال واليوم،» 16-17) (بالإنكليزية، مرجع 245)، كذلك س.ج. إدموندس، «أسماء الأماكن في مخطوطات أفرومان،» نشرة معهد الدراسات الآسيوية والأفريقية 14، عد. 3 (1952): 478-82 (بالإنكليزية، مرجع 65). ويبرز ممر بابيت على نحو بارز في حوليات ثلاث حملات شنها آشورناصربال الثالث (1047- 1027 ق م) ضد شعب زاموا، الذي عاش في منطقة السليمانية الحالية في العراق. ومن المثير للاهتمام ملاحظة أن قضية حروب آشورناصربال ضد شعب زاموا لم تكن مختلفة كثيراً عن القضية التي أرغمت الجيش العثماني على التحرك ضد عبدالرحمن پاشا عام 1803 وتحرك الجيش البريطاني ضد الشيخ محمود عام 1919. ووفاقاً لسپايسر، تعزو الحوليات الحروب إلى رفض نود-أداد، أمير داغارا، البقاء تابعاً لبلاد آشور. وعندما رفع الأمير راية التمرد، انضم إليه كل شعب زاموا. وعندما زحف الملك الآشوري ضد شعب زاموَا، وجد «ممر هابيت محصناً ومسدوداً بجدار.» في المعركة اللاحقة للاستيلاء على الممر، خسر المتمردون 1400 رجل. للمزيد من التفاصيل انظر سپايسر «كردستان الجنوبية،» 15.

(1) للتفاصيل عن أنشطة هذه القبائل انظر العراق (الإدارة البريطانية)، مكتب المفوض المدني، تقرير الإدارة لمنطقة كركوك لعام 1920، 6-12.

يشخصه كردي بارز أو يهرب، إذ يمكن لأي اختفاء عجائبي أن يسبب متاعب لا تحصى لاحقاً.»[1]

كانت مسألة مهمة أخرى بالنسبة إلى البريطانيين في هذا الوقت هي مصير الضباط البريطانيين الأسرى في السليمانية.[2] وعلى الرغم من عدم إصابة هؤلاء الضباط الثلاثة بأذى حتى ذلك الوقت كان يخشى أنه ربما يقتلون إذا عرفت أخبار هزيمة الشيخ محمود في السليمانية.[3] لذا أمرت قوة صغيرة من الخيالة بالتقدم إلى السليمانية فوراً. أنجزت القوة مهمتها بنجاح ووصلت إلى المدينة قبل سماع سكان المدينة أخبار الكارثة في بازيان، فحررت الأسرى واحتلت المدينة.[4]

إدانة الشيخ محمود والعفو عنه

سرعان ما حوكم الشيخ محمود أمام محكمة عسكرية بعدما شفي من جراحه وأدين وحكم عليه بالإعدام. غير أن القائد العام البريطاني سير جورج ماكمُن (Sir George MacMunn) استبدل عقوبته بالسجن فترة طويلة. وبفضل عمل آخر من أعمال الرحمة تم تغيير هذا الحكم بالنفي

(1) إدموندس، كرد وترك وعرب، 49، م س رقم 63.

(2) ينسب الفضل إلى حفصة خان، ابنة عم الشيخ محمود وزوجة شقيقه ببسط حمايتها على الضباط أثناء فترة سجنهم. ووفاقاً لإدموندس اصطحب زوجها الشيخ قادر، الذي كان قائد المسلحين، مدرب المجندين الرئيس الرائد أي. ام. دانيل، إلى بيته حيث مكث عدة أيام. وبينما كان هناك ذكر أن حفصة نامت في الممر من المدخل إلى غرفته لضمان عدم إلحاق أذى به. م ن، 83، راجع بارث، 120-21.

(3) ذكر إدموندس أنه علم من ضابطي مجندين بعد معركة بازيان أن الشيخ محمود كان قد أمر بقتل الأسرى إذا كان سير القتال ضده. إدموندس، كرد وترك وعرب، 47، م س رقم 63.

(4) بشأن إطلاق سراح الأسرى البريطانيين انظر ليسْ، «سنتان في كردستان الجنوبية،» 364-65، م س رقم 135؛ آ. ت. ويلسُن، ولاءات...، 2: 138-47، م س رقم 275.

إلى الهند عام 1921.[1] وكتب ويلسُن عام 1936 أنه على الرغم من فهمه في وقته الأسباب التي أقنعت القائد العام بتبني هذا الموقف المتسم بالرأفة فإنه عارض القرار لأسباب عملية. خشي أنه ما دام الشيخ محمود على قيد الحياة لن يكون هنالك أمل في أن يسود الهدوء في منطقة السليمانية.[2] وبعد بضعة أعوام شرح سير جورج مكمن الأسباب التخفيفية التي ألهمته قرار الرأفة:

> **جلب الشيخ محمود سجيناً من ممر بازيان. أمرت بمحاكمته وصدر الحكم عليه بالموت. كنت أعرف أنه وغد جهنمي وأن الناس أرادوا أن أشنقه إلّا أنني اعتقدت أنه لم يكن هنالك أي سبب منصف لذلك العمل. كان التأخير العام في حسم مستقبل العراق كبيراً جداً وكافياً لإرباك أي شخص. لم يكن الشيخ محمود مديناً بأي ولاء موقت إلى البريطانيين. وعندما هندس الانقلاب لم يقتل الضباط البريطانيين الأربعة أو الخمسة الذين كانوا في قبضته ولم أكن أعتقد أن إطلاق النار عليه يعني لعب اللعبة البريطانية على نحو منصف.**[3]

---

(1) وفاقاً لبِلّ كانت عقوبة الشيخ محمود السجن عشرة أعوام وحكم على زوج شقيقته الشيخ غريب بالسجن خمسة أعوام وغرامة عشرة آلاف روبية، بِلّ، استعراض للإدارة المدنية 65. ووفاقاً إلى ليسْ، كانت عقوبة الشيخ محمود السجن عشرين عاماً يقضيها في الهند وحكم على شركائه بالسجن مدداً أقل، ليسْ، «سنتان في كردستان الجنوبية،» 256، م س رقم 135. ووفاقاً لإدموندس، خفضت عقوبة الشيخ محمود إلى السجن عشرة أعوام وأرسل إلى الهند. إدموندس، كرد وترك وعرب، 52، م س رقم 63.

(2) وفاقاً لـ آ. ت. ويلسُن، عومل الشيخ محمود بلين لأنه لم يضايق الأسرى البريطانيين ولأن سياسة الحكومة البريطانية في ولاية الموصل لم تبرر إعدام الزعيم الكردي. آ. ت. ويلسُن، ولاءات...، 2: 139، م س رقم 275.

(3) أطلق الفريق سير جورج مكمن هذا التصريح في 14 آذار/ مارس 1928 لدى اختتام محاضرة قدمها ج. م. ليسْ في جمعية آسية الوسطى الملكية. ليسْ، «سنتان في كردستان الجنوبية،» 277، م س رقم 135.

فشلت هذه الإجراءات، كما أثبتت الأحداث اللاحقة، في تحقيق أي نتائج دائمة. وعلى الرغم من علامات معينة على التحسن الظاهري، بقي الوضع غير مؤكد كما هو دائماً. وحتى بعد عامين من هذه الأحداث بدا الهدف البريطاني الرئيس في كردستان الجنوبية غير قابل للتحقيق. ويبدو أن اليأس جعل البريطانيين يلجأون إلى حل غير متوقع. أصدروا عفواً عن الشيخ محمود وأعادوه إلى السليمانية وأعادوا تعيينه في منصب الحكمدار مرة ثانية إلّا أنه استأنف الصراع بعد بضعة أشهر. ويروي الفصل الحادي عشر قصة هذه التجربة الفاشلة. وفي الوقت ذاته من الضروري تمحيص أسباب فشل تمرد الشيخ محمود الأول، الذي انتهى باندحاره عند ممر بازيان.

أسباب فشل تمرد الشيخ محمود

يبدو أن سوء التنظيم والموارد غير الكافية كانت عموماً مسؤولة عن انهيار التمرد. ووفاقاً لأحد المصادر، كشفت مراسلات تم الاستيلاء عليها عدداً من الحقائق ذات الأهمية العسكرية البالغة. أولاً، يبدو أن قوة الشيخ محمود كلها قد نظمت في كتيبة تتألف من أربع سرايا. وفي الوقت ذاته ربما كانت قدرته على الحركة مقيدة بسبب الافتقار إلى قوة خيالة قوية.[1] ثانياً، بعد فترة قصيرة من نشوب العصيان يبدو أن الشيخ محمود أخفق في دفع رواتب

(1) درايفر، كردستان والكرد، 92، م س رقم 57؛ ربما تحتاج هذه النقطة إلى بعض التوضيح. من الجلي أن هذا المصدر قصد أن الشيخ محمود لم يمتلك قوة فرسان مدربة تدريباً مناسباً ليس لأنه لم يكن لديه أي نقص في الفرسان الراكبين. ويذكر إدموندس أنه قبل الهجوم البريطاني على ممر بازيان لوحظ وجود نحو مائتي فارس يتولون الاستكشاف. إدموندس، كرد وترك وعرب، 46، م س رقم 63. وذكر درايفر أنه كانت هناك بعض الخيول بين الغنائم التي استولى البريطانيون عليها بعد المعركة. درايفر، «المسألة الكردية،» 113، م س رقم 54.

المجندين، مما ولد سخطاً شديداً وأدى إلى الكثير من محاولات تجنب الخدمة العسكرية.[1] ثالثاً، كان نقص الذخيرة مشكلة خطيرة كما أشار أمر استُولي عليه يحظر صرف أكثر من طلقة واحدة من دون تخويل مسبق تحت طائلة العقاب الشديد. ووفاقاً لهذا الأمر كان إطلاق النار من أي نوع محظوراً على نحو صارم حتى تبدأ الرشاشات إطلاق النار.[2] كان السبب الرابع، الذي لم يذكر تحديداً في المصدر أعلاه غير أنه متضمن حتماً فيه، هو مسألة الروح المعنوية.[3] وعلى الرغم من أن الشيخ محمود وعدداً من أتباعه قد حاربوا ببسالة وتصميم، فمن المشكوك فيه أن القوة برمتها كانت تتمتع بمعنويات مشابهة. وفي الواقع، فإنّ المجندين الذين دربهم البريطانيون ولم يكونوا يحصلون على رواتب جيدة عمدوا إلى رفع بنادقهم للتفتيش بعد المعركة ليظهروا لمن أسرهم أنهم لم يطلقوا النار من بنادقهم.[4]

تمنح متانة قوات الشيخ محمود وتكوينها مؤشراً معتمداً عليه على نحو معقول لسلطته وشعبيته في وقت التمرد. وعلاوة على أتباعه في السليمانية وحولها،[5] وأقاربه الكثيرين من البرزنجة والموالين لهم،[6] انضمت إلى

---

(1) درايفر، كردستان والكرد، 92، م س رقم 57. راجع، بِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 65.

(2) درايفر، كردستان والكرد، 92، م س رقم 57.

(3) إدموندس، كرد وترك وعرب، 92، م س رقم 63.

(4) درايفر، كردستان والكرد، 92، م س رقم 57.

(5) يبدو أن معظم أنصار الشيخ محمود في منطقة السليمانية كانوا مزارعين من قراه في الجوار. لِيس، «سنتان في كردستان الجنوبية،» 254، م س رقم 135؛ كذلك بارث، 127، م س رقم 19.

(6) درايفر، كردستان والكرد، 90، م س رقم 54؛ لِيس، «سنتان في كردستان الجنوبية،» 273، 275، م س رقم 135؛ آ. ت. ويلسُن، ولاءات...، 2: 135، م س رقم 275؛ إدموندس، كرد وترك وعرب، 30 وأماكن متفرقة، م س رقم 63.

الشيخ محمود عناصر قبلية مختلفة.[1] هذه العناصر هي: الهَوْرامان بقيادة الشيخ محمود خان ديزلي؛[2] المريوان[3] بقيادة محمود خان الكاني سناني؛[4]؛

---

(1) قدمت مصادر مختلفة أرقاماً مختلفة لعدد أفراد قبيلة هاورمان ومريوان الذين انضموا إلى تمرد الشيخ محمود. وتضمن تقرير رسمي (درايفر، كردستان والكرد، 90، م س رقم 57) الرقم 150 (100 جندي راجل و50 فارساً) لرجال من قبيلة هاورمان وحدهم. وقدم ليسْ (ليسْ، «سنتان في كردستان الجنوبية،» 259، م س رقم 135) الرقم 500، وقدر آ. ت. ويلسُن ولاءات...، 2: 136 الرقم الكلي للمحاربين من عبر الحدود الفارسية بثلاثمائة. راجع إي. جي. آر.، 16، بِلّ، إستعراض للإدارة المدنية، 64، م س رقم 317.

(2) كان محمود خان ديزلي، شيخ أسرة بهرام بگ من قبيلة هاورمان، هو الشخص الذي قاد تمرد الشيخ محمود بالاستيلاء على السليمانية. وبعد بعض الوقت أسر في سِنَه في كردستان الإيرانية بتحريض من ضابط بريطاني. وسلم ورفيقه محمود خان من الكاني سناني إلى السلطات البريطانية في بلاد ما بين النهرين. ونفي محمود خان ديزلي إلى الهند إلّا أنه سمح له بالعودة إلى بلاده بعد بضعة أشهر. وبعد عودته ذكر أنه لم يضيع وقتاً في استئناف أنشطته المعادية للبريطانيين، ليسْ، «سنتان في كردستان الجنوبية،» 258–259 و265، م س رقم 135؛ انظر كذلك إدموندس، كرد وترك وعرب، 122، 180، م س رقم 63. واعتبر تأكيد مصدر رسمي أن الكرد الفرس عادوا إلى بلادهم بعد فترة قصيرة من سقوط السليمانية صحيحاً جزئياً. وواصل أفراد قبيلتي هاورمان ومريوان التحرش بالبريطانيين فترة طويلة فيما بعد من مناطقهم الجبلية التي تهيمن على سهول السليمانية. إي. جي. آر.، 16.

(3) تحفّظ أحد المصادر على أهمية الدور الذي تولاه أبناء قبيلة مريوان وذكر أن موقفهم نحو الشيخ محمود بقي غير مؤكد طوال التمرد. درايفر، كردستان والكرد، 90، م س رقم 57. إن هذا التأكيد لا تؤكده المعلومات المتضمنة في الحاشية السابقة أو الحاشية التالية.

(4) بعد تسليم الحكومة الفارسية محمود خان الكاني سناني إلى البريطانيين الذين جلبوه إلى بغداد وسجنوه سنة واحدة وأطلق سراحه في تموز/ يوليه عام 1920، وسمح له بالعودة إلى بلاده في منطقة مريوان في فارس. ويبدو أن عودته قد بثت الخوف في حاكم مريوان الفارسي عرفة الملك بحيث إنه هرب إلى سِنَه. ثم ذكر أن الحكومة =

ومعظم الهماوند بقيادة شيخهم البارز كريمي فتاح بگ؛[1] وعشيرة مكائيلي من قبيلة جاف؛[2] وعشيرة جبّاري بقيادة شيخهم سيد محمد جبّاري؛[3] وعشيرة الشيخ بزيني بقيادة أحد شيوخهم وهو فارس آغا؛[4] وفصيل من اسمعيل

= الفارسية عرضت منصب الحاكم على زعيم قبيلة الميروان واسمه كايخسرو، الذي يقال إنه رفض المنصب. وقبل مضي وقت طويل انتقلت منطقة مريوان إلى السيطرة المشتركة لزعيمي قبيلة مريوان محمود خان كاني سناني وكايخسرو خان. ولكن ذكر أن الزعيمين القبليين سرعان ما اختلفا بشأن أملاك الحاكم الفارسي. العراق (الإدارة البريطانية)، مكتب المفوض المدني، التقرير الإداري لمنطقة السليمانية لعام 1920، 5 (بالإنكليزية، مرجع 347).

(1) آ. ت. ويلسُن، ولاءات...، 2: 135، م س رقم 275؛ درايفر، كردستان والكرد، 90، م س رقم 54. بشأن كريم فتاح بگ؛ انظر ليسْ، «سنتان في كردستان الجنوبية،» 273، 275، م س رقم 135؛ إدموندس، كرد وترك وعرب، 245-46 وأماكن متفرقة، م س رقم 63.

(2) آ. ت. ويلسُن، ولاءات...، 2: 135، م س رقم 275؛ راجع إدموندس، كرد وترك وعرب، 30، م س رقم 63.

(3) كان سيد محمد جباري، شيخ نحو أربع وعشرين قرية في منطقة جنوب جمجمال وبقي واحداً من أخلص أنصار الشيخ محمود. إدموندس، كرد وترك وعرب، 37 و39، م س رقم 63. راجع العراق (الإدارة البريطانية)، مكتب المفوض المدني، التقرير الإداري لمنطقة السليمانية لعام 1920، 4، م س رقم 347. إن الادعاء أن سيد محمد جباري وأتباعه قد تخلوا عن الشيخ محمود في 5 حزيران/ يونيه عام 1919، كما ادعى تقرير بريطاني رسمي، غير صحيح. درايفر، كردستان والكرد، 90، م س رقم 57.

(4) يقال إن نحو خمسين من رجال قبيلة شيخ بزيني انضموا إلى الشيخ محمود قد تخلوا عنه. درايفر، كردستان والكرد، 90، م س رقم 57. راجع إدموندس، كرد وترك وعرب، 37. ويحدد إدموندس فارس آغا وهو ابن شقيق توفيق آغا قسروكي وحفيد عبدالله عباس أحد الأشقاء الأربعة الذي تقول مجموعة شيخ بزيني إنها تنحدر منه. م ن، 38-42.

العزيزي؛[1] ورفد من الشوان بقيادة عزائي شريف جلال؛[2] وعناصر أخرى أقل شأناً مثل أتباع الشيخ عبيد الله من عسكر في منطقة أكجالار.[3]

على الرغم من هذه القائمة المهيبة من الأسماء القبلية كان الدعم الذي حصل عليه الشيخ محمود خادعاً ومخيباً للآمال، لم يكن عدد من انضموا إليه وصمدوا إلى جانبه أكثر من بضع مئات. وفيما عدا استثناءات بارزة قليلة يبدو أن ولاءهم كان غير مؤكد ودعمه كان موقتاً وقصير الأمد، وعملت الولاءات الضيقة المميزة للمجتمعات المنظمة قبلياً ضد أي جهد عسكري مستمر وواسع النطاق. وبسبب العداوات بين القبائل نادراً ما تمكن رجال القبائل الكرد من تشكيل جبهة متحدة ضد عدو مشترك. وفي الحقيقة، إن مفهوم العدو المشترك بدا لرجل القبيلة العادي متناقضاً، لأن ذلك يعني أن العدو في هذه المسألة هو عدوه وعدو عدوه، وهذه كانت مسألة مناقضة بكل ما في الكلمة من معنى للحكمة القبلية التي تجد تعبيراً لها في الحكمة المشهورة «عدو عدوي صديقي.»

طبعاً، مرت أوقات عندما وضع الكرد في منطقة برمتها خلافاتهم جانباً ونسوا نزاعاتهم من أجل قضية مشتركة ضد خصم خارجي. إلّا أن تلك الحالات كانت الاستثناء وليس القاعدة. كما أن هذه التحالفات لم تدم

(1) وفاقاً للتقرير الرسمي المشار إليه شاركت قبيلة إسماعيل عزير في القتال في ممر طاسلوجة إلّا أنها أعيدت إلى منازلها في وادي السليمانية بعد فترة قصيرة. درايفر، كردستان والكرد، 90، م س رقم 57.

(2) يقال إن عدد أفراد قبيلة شوان بقيادة عزائي شريف بلغ 250 وذكر أنهم قاتلوا في قره هنجير، م ن، 90. راجع إدموندس، كرد وترك وعرب، 276، م س رقم 63، حيث يشار إلى عزائي شريف بأنه قاطع طريق سيّئ السمعة.

(3) يقال إن الشيخ عبدالله قد سيطر على اثنتي عشرة قرية وإنه كان من أنصار الشيخ محمود الأوائل. إدموندس، كرد وترك وعرب، 39، م س رقم 63.

طويلاً على نحو كاف لتحقيق غرضهم ضد الأسلحة الأقوى والتنظيم الأفضل لخصومهم الأقوياء.

دعا الشيخ محمود، كما رأينا، الكرد الجنوبيين إلى مقاتلة البريطانيين باسم القومية الكردية والإسلام. أراد أن يكون ذلك كفاحاً قومياً وجهاداً. إلّا أنه بالنسبة إلى أغلبية الكرد كانت النزعة القومية مفهوماً جديداً وغير مألوف، ولهذا السبب فشل هذا المفهوم في تحقيق النتيجة المرغوبة. وعلى النقيض من ذلك، كان الجهاد بحلول ذلك الوقت مألوفاً بوصفه قضية يائسة. كان الكرد قد شهدوا فشل دعوة مشابهة إلى حمل السلاح وجهها شخص أعظم وأقوى كثيراً من الشيخ محمود. كانت دعوة السلطان – الخليفة إلى الجهاد، التي دعمت بالقوة المسلحة والموارد الواسعة للإمبراطورية العثمانية وحلفائها قد فشلت ضد العدو البريطاني نفسه بعد أربعة أعوام من الحرب.

كان فشل الشيخ محمود محتماً في تعبئة كردستان الجنوبية ما لم ينجح في بث روح جديدة في مواطنيه المشاكسين. وكان واضحاً أنه لم يتمكن من فعل ذلك. لقد فشل في التصالح مع منافسيه ومعارضيه وكسبهم إلى جانبه. بقي جاف وپيشدر (پيژدر) الاتحادان القبليان الأقوى في كردستان الجنوبية معادين له وقدموا دعماً فاعلاً إلى خصومه البريطانيين.[1]

كتبت بِلّ عام 1920: «برهنت على الطابع الضعيف لتمرد الشيخ محمود

(1) إي. جي. آر.، 16. يجب بيان أنه ليس كل أفراد قبيلة الجاف أو أن كل أفراد قبيلة پشدر كانوا يؤيدون البريطانيين وضد الشيخ محمود. وهكذا على الرغم من أن السيدة عادلة ومعظم أفراد قبيلة پشدر في حلبْچة كانوا يؤيدون البريطانيين فإن حميد بگ، ابن زوجها، كان يؤيد الشيخ محمود. لِيسْ، «ستان في كردستان الجنوبية،» م س رقم 135. كما أنه على الرغم من أن بابكري سليم آغا، زعيم پشدر البارز أيد البريطانيين فإن قريبه عباسي محمود آغا كان ضدهم. إدموندس، كرد وترك وعرب، 229، م س رقم 63.

حقيقة أن عدد مؤيديه الفاعلين لم يزد عن 300 من مجموع دعم محتمل من آلاف كثيرة.»[1] وعلى الرغم من أن تقدير بِلّ المنخفض ربما كان محاولة متعمدة لتقليل أهمية الشيخ محمود، لم يكن هنالك شك أن عدد أنصاره كان أقل كثيراً من العدد الممكن. وفيما عدا المريدين (كانت لكلمته بينهم قوة الشريعة) ومن كانوا يرتبطون به بروابط القرابة والمصلحة فإن عدد من دعم قضية الشيخ لم يكن كبيراً.



(1) بِلّ، استعراض للإدارة المدنية، 65، م س رقم 317.

الفصل الحادي عشر

التمرد الثاني للشيخ محمود

الخلفية

لم يحسم مصير ولاية الموصل إلّا بعد صراع طويل شارك فيه البريطانيون والترك والسكان العرب والكرد. ويذكر أن دولة العراق الحديثة ولدت مع ولاية الموصل كواحدة من مكوناتها، على الرغم من أن مسألة الموصل كانت لا تزال مثيرة للجدل. وكانت مسألة الموصل حصيلة عدد من التطورات التي أثرت تأثيراً عميقاً في مسار الأحداث واتجاهها ليس في ولاية الموصل وحدها بل في أنحاء الشرق الأوسط برمته. نتحول الآن إلى تناول هذه التطورات.

توصلت بريطانيا وفرنسا في 9 أيار/ مايو، عام 1916، إلى اتفاقية سايكس-بيكو.[1] تضمنت هذه الاتفاقية تقسيم الإمبراطورية العثمانية إلى

---

(1) التوصل إلى هذا الاتفاق بتبادل المذكرات بين سير إدوارد غري، وزير الخارجية البريطاني، وبين السيد پول كامبون، السفير الفرنسي في لندن، في التاريخ المذكور. انظر ف. مينورسكي، «مسألة الموصل،» نشرة خدمة المراجع عن الشؤون الدولية =

مناطق نفوذ مختلفة. وعارضت روسيا هذه الخطة في بادئ الأمر، إلّا أنها وافقت عليها بعد إضافة شروط معينة.[1] وقد قسمت الأقاليم الآسيوية من الدولة العثمانية وجرت بلقنتها طبقاً لهذه الخطة المبكرة.

أنهت الهدنة الموقعة في مودروس في 30 تشرين الأول/ أكتوبر، عام 1918، الأعمال العدائية بين الترك والحلفاء ومهدت بذلك لحدث أثر تأثيراً عميقاً في مصير سكان ولاية الموصل. كان ذلك الحدث في مدينة الموصل في 7 تشرين الثاني/ نوفمبر عام 1918 في مؤتمر حضره ممثلون عسكريون بريطانيون وترك. أصر القائد البريطاني اللواء جون مارشال (John Marshall)، على الرغم من اعتراضات القائد التركي اللواء علي إحسان باشا، على أن شروط الهدنة في مودروس تضمنت وجوب إخلاء الترك ولاية الموصل برمتها. وفي مواجهة الموقف المتصلب للخصم المنتصر وقع علي إحسان باشا محتجاً على الشروط التي أمليت عليه.[2] أسست ولاية الموصل من خلال هذا الأمر الواقع بصفتها جزءاً من العراق.

أعلن الكماليون في 28 كانون الثاني/ يناير، عام 1920، الميثاق الوطني، وهو الإعلان المستند عموماً إلى قرارات اتخذت قبل ذلك في مؤتمري

= للمكتبة الأميركية في باريس، عد. 9-10 (15 نيسان/ أبريل عام 1926) 8-45 (بالفرنسية، مرجع 170).

(1) وفاقاً لاتفاقية سايكس-بيكو جعلت منطقة بشكل إسفين ضمت ولاية الموصل جزءاً من المنطقة الفرنسية وكان الهدف الواضح الفصل بين المنطقتين الروسية والبريطانية. ويبدو أن روسيا لم تحبذ ظهور قوة جديدة على حدودها في المستقبل، وضمنت اعتراضاتها في مذكرة قدمها سرغي سازونوف في 29 شباط/ فبراير عام 1916. إلّا أن روسيا وافقت في مذكرة جديدة قدمت في 2 نيسان/ أبريل عام 1916 على المشروع بشرط ضم المناطق جنوبي ڤان و بدليس إلى المنطقة الروسية. م ن.

(2) آ. ت. ويلسُن، ولاءات...، 2: 21، م س رقم 275.

سيواس وأرضروم. جسدت هذه الوثيقة الآراء الكمالية بشأن مصير الأقاليم السابقة جنوبي خط الهدنة عام 1918، وأوضحت أن كل المناطق التي يقطنها المسلمون من غير العرب تعد جزءاً لا يتجزأ من تركيا. ولا شك أنه قصد بهذه الإشارة ولاية الموصل التي كان سكانها مسلمين من غير العرب هم الكرد. وهكذا كان الميثاق الوطني المحاولة التركية الأولى المتسمة بالتصميم لاستعادة ولاية الموصل منذ قبولها الشروط البريطانية في 7 تشرين الثاني/ نوفمبر عام 1918.[1] كما مثل هذا الميثاق بداية التحريض التركي الذي أثار الاضطراب في المنطقة في السنوات القليلة التالية حتى تسوية المسألة نهائياً في المعاهدة الأنكلو- التركية-العراقية عام 1926.

كانت الخطوة التالية في سلسلة الأحداث قبول بريطانيا الانتداب على العراق في نيسان/ أبريل، عام 1920، وهي خطوة جعلت البريطانيين، بموافقة عصبة الأمم، مسؤولين عن الأجزاء العربية والكردية من البلاد. وبهذه الصفة عارضت بريطانيا المطالب التركية في ولاية الموصل في عصبة الأمم ولوزان ومنعت استيلاء تركيا التي نهضت من جديد عليها بالقوة.

أرغم الحلفاء المصممون على تقطيع أوصال الإمبراطورية العثمانية وغير المكترثين إطلاقاً بالميثاق الوطني الذي أعلنه الكماليون قبل ذلك بستة أشهر، نظام السلطان الضعيف على توقيع معاهدة سيڤر في 10 آب/ أغسطس، عام 1920. تضمنت المواد 62 و63 و64 من هذه المعاهدة تأسيس دولة قومية كردية. وعلى الرغم من إنهاء الانتصارات الكمالية بعد فترة قصيرة ووضع معاهدة سيڤر جانباً في نهاية المطاف وإحلال معاهدة لوزان بدلاً منها، فإن

(1) للاطلاع على نص الميثاق الوطني، انظر هارولد وليم ڤازيل تمپرلي، تاريخ مؤتمر السلام في باريس، مج 6، 605-6 (بالإنكليزية، مرجع 256).

هذه المعاهدة تعد معلماً مهماً في تاريخ القومية الكردية إذ كانت تلك أول مرة يجسد فيها حلم الاستقلال الكردي في وثيقة دولية.

أسس في وزارة المستعمرات في إنكلترا قسم مستقل للشرق الأوسط للتعامل مع مشكلات المنطقة. تولى هذا القسم المسؤولية عن إدارة العراق وكلف بتحديد طبيعة الحكومة المقبلة لهذا البلد. وفي آذار/ مارس، عام 1921، وبعد فترة قصيرة من تولي ونستن تشرتشل منصب وزير الدولة لشؤون المستعمرات دعا إلى مؤتمر في القاهرة لتقرير السياسة البريطانية المقبلة في الشرق الأوسط.[1] اتخذت قرارات مهمة كثيرة في هذا المؤتمر منها دعم ترشيح الأمير فيصل لعرش العراق. ثم أعلن فيصل، الذي وصل إلى البصرة في حزيران/ يونيه، عام 1921، ملكاً في 23 آب/ أغسطس، بعد إجراء استفتاء ذكر أنه منحه 96 في المائة من أصوات المقترعين.

قبل ذلك كانت قد شكلت في 11 تشرين الثاني/ نوفمبر عام 1920 حكومة وطنية موقتة برئاسة السيد عبد الرحمن النقيب. كان لهذا التطور تأثير مقلق على الكرد لأنه أثار مخاوفهم من سيطرة حكومة عربية في بغداد في المستقبل. ولتهدئة هذه المخاوف أصدر المفوض السامي البريطاني بياناً في أيار/ مايو، عام 1921، تقرر أن يلفت الضباط السياسيون في مناطق الموصل وكركوك والسليمانية اهتمام الكرد إليه[2].

---

(1) حضر مؤتمر القاهرة المفوض المدني في العراق سير پيرسي كوكس، وعدد من الموظفين البريطانيين ووزيران عراقيان هما وزير الدفاع جعفر پاشا العسكري ووزير المالية ساسون أفندي حسقيل. بريطانيا العظمى، وزارة المستعمرات، تقرير عن إدارة العراق، تشرين الأول| أكتوبر عام 1920 إلى آذار| مارس عام 1922، 10، م س رقم 325. انظر إدموندس، كرد وترك وعرب، 117-18، م س رقم 63.

(2) أعلمنا أن هذا البيان قد صدر وفاقاً للسياسة المتفق عليها في مؤتمر القاهرة، انظر بريطانيا العظمى، وزارة المستعمرات، تقرير عن إدارة العراق، تشرين الأول| أكتوبر عام 1920 إلى آذار| مارس عام 1922، 11، م س رقم 325. للاطلاع على نص البيان، انظر ص 126.

بدأ البيان بإبلاغ الكرد أن المفوض السامي يدرك الهواجس الكردية بشأن مستقبلهم السياسي ورغبتهم في إقامة نظام يتمتع بالاستقلال الذاتي. وأشار البيان إلى الصلات الاقتصادية بين المناطق الكردية والعراق وأحاط الكرد علماً برغبة المفوض السامي في التحقق من رغباتهم بشأن هذه الأمور. أخيراً، ومن دون أي إشارة إلى موعد أو أسلوب التحقق من رغبات الكرد، طرح البيان اقتراحات لإدارة المناطق الكردية «إذا فضلوا البقاء تابعين إلى الحكومة العراقية.» ثم عرض برنامجاً إدارياً مقترحاً من ثلاث نقاط.

تعلقت النقطة الأولى بتشكيل وحدة إدارية تضم أربعة أقضية كردية في منطقة الموصل هي زاخو وعقرة (بالكردية ئاكرێ) ودهوك (بالكردية دهۆك) والعمادية ويتولى إدارتها مساعد متصرف (محافظ) بريطاني على أن يحل محل القائمقامين (نواب مسؤولي إدارة المناطق) البريطانيين في ذلك الوقت «كرد أو عرب يتكلمون الكردية يكونون مقبولين للكرد» حالما يتوافر أشخاص مناسبون. وتكون هذه الوحدة تابعة مالياً وقضائياً إلى الحكومة في بغداد ويمنحها ذلك الحق في إرسال ممثلين إلى المجلس التأسيسي. يتبع القائمقامون من الناحية الإدارية مساعد المتصرف ويتولى المفوض السامي البريطاني إصدار كل أوامر التعيين الإدارية بعد التشاور مع السلطات المحلية.

يتناول القسم الثاني من البرنامج إدارة أربيل وكويسنجق وراوندوز. وذكر أن المفوض السامي سيحاول «ربط الموظفين البريطانيين» مع إدارة المناطق الثلاث. ووعد بأن تؤخذ في الاعتبار رغبات الناس في تعيين الموظفين الحكوميين.

تعلقت النقطة الثالثة والأخيرة بمنطقة السليمانية، التي تمنح وضع المتصرفية ويديرها متصرف ضمن مجلس، يعينه المفوض السامي، ومرتبط

بضابط سياسي بريطاني في السليمانية يعمل بهذه الصفة. ويفوض المتصرف الصلاحيات التي يراها المفوض السامي مناسبة بعد التشاور معه ومع مجلس الدولة.

قاد الاستفتاء في أواخر تموز/ يوليه، عام 1921، لتقرير سلامة اختيار فيصل ملكاً على عرش العراق إلى تطورين جديرين بالملاحظة: رفضت السليمانية الاشتراك في الاستفتاء وشاركت كركوك بتردد وذكر أن نسبة الرافضين بلغت أربعة في المائة. وكان مهماً كذلك عدم حضور أي ممثل عن السليمانية أو كركوك احتفالات التتويج في بغداد في 23 آب/ أغسطس، عام 1921.[1]

تبين المناقشة أعلاه أن الوضع كان معقداً للغاية فيما يخص ولاية الموصل. وكان الكرد بخاصة في وضع لا يحسدون عليه. وشجع الكرد بتطورات واعدة مثل نقاط الرئيس ويلسُن الأربع عشرة والإعلان الأنكلو-الفرنسي ومعاهدة سيڤر وبتشجيع من البريطانيين وبتملق وتهديد من الترك شعروا بالارتباك بشأن المسار الذي يجب أن يتبعوه. وقد لخص إدموندس الوضع المحير الذي وجد الكرد أنفسهم فيه أثناء الفترة قيد المناقشة:

> **بعد توقيع معاهدة سيڤر ضاعف الترك جهودهم لإقناع كل سكان الولاية أن المعاهدة لا تساوي الورق الذي كتبت عليه. كانت هناك تهديدات بشن غزو واسع النطاق ومراسلات سرية مع زعماء المجتمع المدني وبعثات سرية إلى ساخطين قبليين وتحريض مكشوف على التمرد وتحذيرات موجهة إلى «الخونة»، والأهم من كل ذلك مناشدة دينية إلى السلطان الذي كان الخليفة كذلك. وجد**

(1) م ن، 15. راجع إدموندس، كرد وترك وعرب، 118، م س رقم 63.

المستهدفون الرئيسون من هذه الدعاية وهم الكرد أنفسهم تحت تأثير كل نوع من المشاعر المتصارعة: الولاء إلى دينهم، واحترام سادتهم السابقين والخوف من قوتهم، وأحلام الاستقلال الذي لا يمكن نيله بغير دعم بدا البريطانيون غير مستعدين لتقديمه، نفاد الصبر إزاء القيود التي فرضتها السلطات التي تحكمهم فعلياً، وإدراك مفعم بالحيوية أنهم مقيدون ببغداد على نحو محكم والتردد في قبول التبعية حتى مع قدر من الحكم الذاتي إلى مملكة عربية.[1]

التحريض التركي والاضطراب في منطقة كردستان العراقية

كان الرائد سون، الضابط السياسي لمنطقة السليمانية، قد نجح في المحافظة على درجة كبيرة من الهدوء حتى أثناء الفترة الصعبة لتمرد الشيخ محمود.[2] وبدا خليفته الرائد غولدسميث (H. A. Goldsmith) أنه نجح مثله عندما حطمت موجة مفاجئة من الاضطرابات الهدوء الخادع في منطقة السليمانية علاوة على أرجاء أخرى من كردستان تحت الإدارة البريطانية. وقد عرف أن الترك هم من حرضوا على هذه الاضطرابات.

بدأ محمود خان ديزلي، الذي كان على اتصال بالعملاء الترك، في شتاء 1921-1922 سلسلة عمليات سلب ونهب في منطقة حلبْچة وكان لا بد من وقف أنشطته بالقوة. إلّا أنه بقي مصدراً محتملاً للمشكلات حتى عقد اتفاق معه في نهاية أيار/ مايو، 1922.[3] واستمر أحد المتمردين الأقل شأناً في

---

(1) إدموندس، كرد وترك وعرب، 118، م س رقم 63.

(2) يبدو أن سون غادر كردستان لأنه اختلف مع السياسة البريطانية في تلك المنطقة. م ن، 122.

(3) بريطانيا العظمى، وزارة المستعمرات، تقرير عن إدارة العراق، نيسان/ أبريل عام 1922 إلى آذار/ مارس عام 1923، 32 (بالإنكليزية، مرجع 326).

إثارة المتاعب حتى دحر في عملية مشتركة نفذتها قوة من المجندين وسلاح الجو الملكي البريطاني بعد هجوم على باني بانوك في جوار حلبْچة.[1]

اتخذت الحكومة التركية في أوائل ربيع عام 1922 خطوة مهمة أطلقت من خلالها أهدافها السياسية في كردستان العراق وألقت بالمنطقة كلها في حالة اضطراب لفترة طويلة. فقد عينت الحكومة التركية في 17 آذار/ مارس، عام 1922، عميلاً هو رمزي بگ في منصب قائمقام راوندوز وأوفدته إلى المنطقة. وفي نهاية أيار/ مايو، أي بعد فترة قصيرة من وصوله إلى المدينة، شرع في حملة مكثفة بين القبائل مستخدماً التهديدات والمداهنات. وتحدث عن الوصول الوشيك لقوات تركية تهدف إلى انتزاع السليمانية وكركوك وأربيل من البريطانيين.[2] وفي حوالى منتصف حزيران/ يونيه، عام 1922، لحق برمزي بگ العقيد علي شفيق المصري، الذي كان يعرف باسم أوزدمير. وأعلن هذا لدى وصوله أن مهمته هي إعادة الاستيلاء على ولاية الموصل.[3]

بحلول نهاية أيار/ مايو، عام 1922، أتت أنشطة العميل التركي ثمارها. مدفوعاً بحقد شخصي تولى سيد محمد، رئيس عشيرة الجبّاري، الذي سبق أن ذكرنا أنه كان من أنصار الشيخ محمود في تمرد عام 1919، مهاجمة المدير

---

(1) م ن، 33.

(2) انظر م ن. راجع إدموندس، كرد وترك وعرب، 245، م س رقم 63.

(3) كان أوزدمير شركسياً من أصل مصري. ويبدو أنه ربط مصيره بالكماليين، عام 1919، وكان قدومه إلى كردستان العراقية لغرض تولي دور مهم في المناطق الحدودية. تعني الصفة أوزدمير «الأكتاف الحديدية.» انظر بريطانيا العظمى، وزارة المستعمرات، تقرير عن إدارة العراق، نيسان/ أبريل عام 1922 إلى آذار/ مارس عام 1923، 33، م س رقم 326. راجع إدموندس، كرد وترك وعرب، 245، م س رقم 63. وفاقاً لإدموندس (ص 247)، وصل أوزدمير في 23 حزيران/ يونيه، عام 1922، ولقب «قائد الانتفاضة الوطنية.»

المحلي وإصابته، ودعا أتباعه إلى الثورة ضد الحكومة. ويبدو أن تصرفه قد أعجب كريمي فتاح بگ، زعيم فخذ كبير من قبيلة هماوند المشاكسة واسم آخر من متمردي عام 1919.

بدأ كريمي فتاح بگ تحركه المعادي للحكومة على نحو غير مألوف. بدأ بإرسال رسائل تهديد إلى مساعد الضابط السياسي النقيب بوند. وبدا لاحقاً أنه غيّر موقفه وتظاهر أنه يشعر بالأسف لتصرفه السابق. ودعا النقيب بوند (Bond) والنقيب ماكانت (Makant)، اللذين كانا مسؤولين عن المجندين المحليين، لمقابلته في قرية في جوار ممر بازيان في 18 حزيران/ يونيه. وعلى الرغم من التحذيرات من شيوخ قبائل موالين فقد خدع الضابطان بالاستقبال الودّي من شيخ قبيلة هماوند وأطلقت عليهم النار من الخلف عندما كانا راكبين إلى جانبه.

بعد تحدي كريمي فتاح بگ سلطة الإدارة البريطانية على هذا النحو انضم إلى المتمردين من قبيلة جبّاري.[1] وطوال أكثر من شهر جاب المجندون والقوة الجوية البريطانية أنحاء البلاد بحثاً عنه إلّا أنه نجح كما يبدو في تجنب مطارديه. وبحلول نهاية تموز/ يوليه، عام 1922، ذكر أنه توجه شمالاً وانضم إلى الترك.[2]

في الوقت ذاته عثر الجنود الذين كانوا قد وصلوا إلى منطقة پيشدر ملاحقين كريمي فتاح بگ بابكر آغا، شيخ قبيلة هماوند وكان تحت ضغط شديد من فخذ معاد في قبيلته. أعاد وجود المجندين في منطقة پيشدر توازن القوة وساعد بابكر آغا في إعادة سلطته على قبيلته. كما أدى تدخل

---

(1) بريطانيا العظمى، وزارة المستعمرات، تقرير عن إدارة العراق، نيسان/ أبريل عام 1922 إلى آذار/ مارس عام 1923، 34، م س رقم 326.

(2) راجع إدموندس، كرد وترك وعرب، 245-246، م س رقم 63.

اسماعيل آغا سِمكو شيخ قبيلة شكاك وحليفه سيد طه شيخ قبيلة النهري إلى زيادة الاستقرار لمصلحة الإدارة. ويقال إن هذين الزعيمين الكرديين حذرا شيوخ الكرد الفرس عبر الحدود من تقديم دعمهم إلى العناصر المتمردة في السليمانية.[1]

الوضع في رانيه

كان الوضع في رانيه يتدهور باستمرار بسبب وجود أوزدمير ومنظمته في راوندوز، من جهة، ووجود عباسي محمود، زعيم الفخذ المعادي من قبيلة پيشدر في منطقة پيشدر القريبة، من الناحية الأخرى. ولما كان الضابط السياسي إدموندس يدرك الأخطار الكامنة للوضع فقد وجه نداءات جادة لإرسال قوات عسكرية لمعاقبة العناصر العصية قبل أن تخرج الأمور عن السيطرة. لم يستجب أحد إلى تلك النداءات إلّا أن الظروف في تلك المنطقة، التي بقيت خطيرة، لم تتطور نحو الأسوأ.[2]

تأثر الوضع في رانيه على نحو ضار بتطور حدث آخر. وأدى وصول كريمي فتاح بگ، شيخ قبيلة هماوند، بين الترك إلى تشجيعهم على أن يأملوا في التعاون القبلي. وسعياً لتحقيق هذا الهدف أرسلوا مجموعات صغيرة من الترك نحو الجنوب في اتجاه رانيه حيث انضم إليها رجال قبيلة پيشدر بزعامة عباسي محمود ورجال قبيلة هماوند بزعامة كريمي فتاح بگ.[3] وكجزء من

(1) بريطانيا العظمى، وزارة المستعمرات، تقرير عن إدارة العراق، نيسان/أبريل عام 1922 إلى آذار/مارس عام 1923، 35، م س رقم 326.

(2) إدموندس، كرد وترك وعرب، 248 والصفحات التالية، م س رقم 63.

(3) بريطانيا العظمى، وزارة المستعمرات، تقرير عن إدارة العراق، نيسان/أبريل عام 1922 إلى آذار/مارس عام 1923، 35، م س رقم 326. راجع إدموندس، كرد وترك وعرب، 246، م س رقم 63، حيث يستشهد بالمقطع من تقرير وزارة المستعمرات. =

خطة كاملة لتهييج القبائل، كان أوزدمير قد وجه رسائل إلى كل زعماء منطقة نودشت يحثهم فيها على الانضمام إلى قواته. لقد أكد هذا الأسلوب نمط الدعاية المطبقة بنجاح واضح في وقت سابق في منطقة راوندوز.[1]

وصل العقيد مينت (E. C. T. Minet) وجنوده في السليمانية فجأة إلى منطقة دربند في 27 تموز/ يوليه، عام 1922. وكان كريمي فتاح بگ قد عبر نهر الزاب عند دوكان وكان يتجه مسرعاً نحو راوندوز. لم يضيع مينت أي وقت في ملاحقة شيخ قبيلة هماوند على أمل أن يتمكن من اعتراضه قبل أن يصل إلى المكان الذي يقصده إلّا أنه تبين أن التقرير كان سابقاً لأوانه.[2]

يبدو أنه كان لوصول مجندي السليمانية إلى دربند تأثير ترحيبي على القبائل المترددة في جوار رانيه وكان الوضع مستقراً في ذلك الوقت. إلّا أن هذا الهدوء لم يدم طويلاً. وبعد فترة قصيرة قرر العقيد مينت أن عليه التوجه إلى السليمانية بهدف «إعادة التجهيز وتجديد القوى.» فعل ذلك مع معظم قوته وترك وراءه مفرزة مسلحة بمائة بندقية وأربعة رشاشات.[3]

= وبشأن وصول كريمي فتاح بگ الذي طال انتظاره بين الترك في راوندوز. انظر إدموندس، كرد وترك وعرب، 252، م س رقم 63.

(1) اعترض البريطانيون عدداً من الرسائل التي وجهها القائد التركي في جزيرة ابن عمر إلى الوجهاء في راوندوز. وفي هذه الرسائل أكد المسؤول التركي لمتلقيها أنه لن يسمح بأن تصبح ولاية الموصل جزءاً من العراق ودعاهم إلى الاستجابة لدعوة الجهاد. وبعد تأكيد الروابط الدينية والمساعدة الموعودة اختتم الكاتب بالقول، «لتحل لعنة المشركين على أولئك الذين باعوا دينهم إلى الانكليز وعلى فيصل وعلى مؤيديه. آمين.» إدموندس، كرد وترك وعرب، 246، م س رقم 63.

(2) م ن، 250.

(3) وفاقاً لإدموندس، أقنعت موجة حر فظيعة وانتشار الملاريا على نحو واسع التي أنهكت أربعة أخماس قوة مينت القائد البريطاني باتخاذ هذا القرار. انظر إدموندس، كرد وترك وعرب، 252، م س رقم 63.

في الوقت ذاته أفلح كريمي فتاح بگ في الوصول إلى راوندوز مع قوة عسكرية من رجال قبيلة هماوند. تشجع الترك بنيلهم السلطة حديثاً مما عزز سمعتهم علاوة على قدراتهم الهجومية في المنطقة ولم يضيعوا وقتاً في تسريع استعداداتهم لمهاجمة رانيه. وقال الضابط السياسي في رانيه «بحلول اليوم الثاني عشر كان واضحاً أننا عدنا إلى ما كنا عليه قبل وصول مينت وبدء الأزمة.»[1]

وجه الضابط السياسي مرة أخرى نداءات قوية لإرسال قوات برية والشروع بعمليات جوية ضد القوات القبلية التي كان يعدها الترك للهجوم الوشيك المقبل على رانيه. وأخيراً، أبلغ الضابط السياسي برقياً في 17 آب/ أغسطس، عام 1922، أنه يجري تشكيل قوة تحمل اسم «رانيكول» (رتل أو رتل رانيه) لغرض التحرك ضد القوات التركية- الكردية في منطقة رانيه. إلّا أن أياماً كثيرة مرت قبل إكمال تشكيل الرتل وكانت قوته أقل كثيراً مما وعد في الأصل. وفي الساعات المبكرة من صباح 31 آب/ أغسطس، هاجمت قوات أوزدمير الرتل، الذي اتخذ مقراً له في 29 آب/ أغسطس، عند دربندي رامكان.[2]

ويبدو أن تردد قائد الرتل وضعف القيادة كانا مسؤولين على نحو كبير عن الهزيمة اللاحقة. وبحلول نهاية النهار، وعندما وجد أن القوة غير قادرة على التمسك بموقعها في دربند أمر القائد بالانسحاب. إلّا أنه بسبب إصداره أوامر متناقضة إلى مرؤوسيه في رانيه أثناء النهار استولى العدو على البلدة واضطر إلى التراجع إلى كويسنجق. وما قصد به أن يكون تراجعاً منظماً تحول

(1) م ن.
(2) م ن، 253-55.

إلى مطاردة، وتدفق المطاردون من التلال المجاورة لتوجيه نيران مؤذية على جناحي القوة المنسحبة ومؤخرتها. وبعد أن تكبد رتل رانيه إصابات كثيرة وفقد معظم معداته توجه مباشرة نحو كويسنجق. أنقذ الرتل الظهور المفاجئ لطائرات سلاح الجو الملكي الذي قصف المهاجمين ورماهم بالرشاشات وأرغمهم على التوقف عن المطاردة.[1]

ذكر سون بعد عام واحد أن من أسباب النجاحات التركية في منطقة رانيه كانت سياسة الحكومة البريطانية غير الحاسمة في كردستان علاوة على اندحار سِمكو في شمالي فارس مما أقنع الكثيرين من أتباعه على السعي إلى العمل مع الترك.[2] ولا شك أن ثمة عوامل كثيرة كانت تساعد الترك. ولكن لا ريب أن دحرهم رتل رانيه (على الرغم من عدم أهميته النسبية من وجهة نظر عسكرية) كان إنجازاً بارزاً. دلت حقيقة أن قوة صغيرة ذات موارد محدودة نجحت في تحريض قسم كبير من الريف الكردي، وتمكنت من دحر قوة ذات قيادة بريطانية في أراض خاضعة للسيطرة البريطانية، على مهارة حفنة من الضباط الترك وشجاعتهم وقدرتهم التنظيمية. ونسب تقرير رسمي بريطاني التدهور المفاجئ لوضع رانيه إلى شائعات وهمية تتعلق بالوصول الوشيك لقوة تركية كبيرة. ولا بد أن هذا أقنع مترددين كثيرين أن من مصلحتهم الانضمام إلى الحركة المعادية للبريطانيين.[3] كان الترك في الواقع هم الذين أطلقوا تلك التقارير.

(1) للمزيد من التفاصيل انظر م ن، 255-59.

(2) أ. ب. سون، «الجلاء عن كردستان: حملة مشؤومة،» مجلة جمعية آسيا الوسطى الملكية، 10، الجزء 1 (1923)، 73-75 (بالإنكليزية، مرجع، 239).

(3) بريطانيا العظمى، وزارة المستعمرات، تقرير عن إدارة العراق، نيسان/ أبريل عام 1922 إلى آذار/ مارس عام 1923، 35، م س رقم 326.

إخلاء السليمانية

يبدو أن الأحداث المتقدمة في منطقة رانيه قد أقنعت البريطانيين باتخاذ إجراء مستعجل في السليمانية. وخشية الهجوم المباغت لأعداء بريطانيا، الذين أصبحوا مسيطرين على رانيه ومنطقة بيشدر، على السليمانية، أمر المفوض السامي بإخلاء المدينة لغرض عدم المخاطرة بأرواح الموظفين البريطانيين وغيرهم.[1]

قبل مغادرة المدينة كان الضابط السياسي الرائد غولدسميث قد عهد بإدارة المنطقة إلى المجلس المنتخب، الذي كان قد ارتبط به وفاقاً لبيان المفوض السامي في 6 أيار/ مايو، عام 1921. وكان المجلس قد اختار بدوره الشيخ قادر شقيق الشيخ محمود الأصغر رئيساً. وسمح لهذا، وكان في بغداد بالعودة إلى السليمانية قبل ذلك ببضعة أيام. ومع نقل السلطة سلمت محتويات الخزانة والأسلحة.[2]

أبلغ أفراد آل البرزنجة، الذين كانوا يطالبون بعودة الشيخ محمود أنه بالنظر لغيابهم عن المشاركة في الاضطرابات الأخيرة فقد سمح للشيخ محمود بالتوجه إلى بغداد وأن مستقبل إدارة المنطقة سيحسم بعد وصوله. هكذا إذن تطور الوضع عشية عودة الشيخ محمود إلى السليمانية.[3]

---

(1) م ن. راجع سون، «الجلاء عن كردستان،» 73-74، م س رقم 239؛ وإدموندس، كرد وترك وعرب، 260، م س رقم 63.

(2) بريطانيا العظمى، وزارة المستعمرات، تقرير عن إدارة العراق، نيسان/ أبريل عام 1922 إلى آذار/ مارس عام 1923، 35، م س رقم 326؛ إدموندس، كرد وترك وعرب، 260، م س رقم 63. وفاقاً لسون، كان هنالك 450.000 روبية في الخزانة وخمسمائة بندقية في مستودع الأسلحة. انظر سون، «الجلاء عن كردستان»، 74، م س رقم 239.

(3) بريطانيا العظمى، وزارة المستعمرات، تقرير عن إدارة العراق، نيسان/ أبريل عام 1922 إلى آذار/ مارس عام 1923، 35، م س رقم 326.

كان دحر الرتل البريطاني في منطقة رانيه بالإضافة إلى إخلاء السليمانية على نحو عاجل قد شجع الترك وأنصارهم كثيراً. وقبل مضي وقت طويل ظهر فريق استطلاع تركي عند نهر الزاب الأسفل مهدداً خطوط الاتصالات البريطانية. وقبل ذلك كانت قوة تركية قد احتلت كويسنجق ثم تحركت لتحتل طقطق على نهر الزاب الأصغر. وكان الترك قد عينوا في المكان الأول قائمقاماً وفي المكان الثاني مدير ناحية[1]، وذكر أن رجال قبيلة شيخ بزيني على ضفتي نهر الزاب الأصغر على الطريق الرئيس بين كركوك وكويسنجق قد اختاروا الارتباط بالترك.[2]

بحث الترك الآن القيام بتحركات طموحة أخرى. أرسل عباسي محمود آغا، زعيم پيشدر المعادي، على رأس قوة قبلية وعدد من الجنود النظاميين الترك لتهديد السليمانية. إلّا أن وجهاء السليمانية أقنعوا شيخ قبيلة پيشدر بوقف زحفه في منطقة السليمانية في انتظار وصول الشيخ محمود،[3] ويقال إن الاستعدادات قد أطلقت للهجوم على عقرة،[4] إلاّ أنه قبل انقضاء شهر واحد أطلق سلاح الجو الملكي والجنود البريطانيون سلسلة حازمة من الإجراءات المضادة أعادت السيطرة البريطانية في أنحاء المناطق الساخطة.

---

(1) م ن، إدموندس، كرد وترك وعرب، 296، 298، م س رقم 63.

(2) إدموندس، كرد وترك وعرب، 298، م س رقم 63.

(3) بريطانيا العظمى، وزارة المستعمرات، تقرير عن إدارة العراق، نيسان| أبريل عام 1922 إلى آذار| مارس عام 1923، 35، م س رقم 326؛ إدموندس، كرد وترك وعرب، 296، م س رقم 63.

(4) بريطانيا العظمى، وزارة المستعمرات، تقرير عن إدارة العراق، نيسان| أبريل عام 1922 إلى آذار| مارس عام 1923، 35، م س رقم 326.

إعادة الشيخ محمود إلى منصبه

خطط الشيخ محمود وتوقعاته غير الواقعية

بحلول ربيع عام 1922 تدهور الوضع في كردستان العراقية بحيث قرر البريطانيون مرة أخرى اللجوء إلى الشيخ محمود، الذي كان قد نفي إلى الهند بعد اندحار تمرده عام 1919. وكان أتباع الشيخ محمود بقيادة أقاربه المتنفذين في أسرة برزنجة يحثون منذ بعض الوقت على إعادته إلى منصبه.[1] إلاّ أن هذا التحرك لم يكن، كما يبدو، يتمتع بالدعم الضروري في أرجاء منطقة السليمانية. وفي الجنوب ذكر أن قبيلة جاف بگزاده اعتبرت إمكانية عودة الشيخ محمود وإعادته إلى منصبه موضع شكوك قوية. وفي الشمال بين رجال قبيلة پيشدر، كما لاحظنا، كانت مجموعة بقيادة بابكر آغا تعارض الشيخ محمود بقوة بينما أيدته مجموعة أخرى يقودها عباسي محمود آغا.[2]

مهما قد تكون طبيعة المشاعر الشعبية تجاه الشيخ محمود يبدو أن البريطانيين كانوا يفكرون جدياً في فكرة عودته وإعادة تنصيبه قبل أشهر كثيرة من تحول المسألة إلى العلن.[3] وكان في الخريف السابق قد أعيد من الهند

(1) م ن، 33؛ كذلك إدموندس، كرد وترك وعرب، 122-23، م س رقم 63.

(2) بريطانيا العظمى، وزارة المستعمرات، تقرير عن إدارة العراق، نيسان| أبريل عام 1922 إلى آذار | مارس عام 1923، 33، م س رقم 326.

(3) م ن. راجع إدموندس، كرد وترك وعرب، 124، م س رقم 63. يبدو أن البريطانيين ترددوا كثيراً قبل اتخاذ قرار بشأن إعادة تنصيب الشيخ محمود. أيد الرائد غولدمان، الضابط السياسي في السليمانية، الفكرة إلّا أن إدموندس عارضها بشدة وكان يميل إلى تعيين سيد طه نهري. كما أن الرائد نوئيل لم يؤيد فيما يبدو إعادة تعيين الشيخ محمود. وبحث البريطانيون في وقت ما تعيين العضو الأكبر في أسرة بابان الأميرية إلّا أنه وجد أنه فقد الصلة بالأمور في السليمانية.

إلى الكويت حيث كان يعد لمهمته المقبلة. وفي الوقت ذاته، كان شقيقه الشيخ قادر قد سبقه إلى السليمانية حيث كان، كما ذكر سابقاً، قد اختير رئيساً منتخباً للمجلس الانتخابي.

وصل الشيخ محمود إلى بغداد في 12 أيلول/ سبتمبر، عام 1922. وفي المفاوضات التي جرت هناك لم يتعهد الشيخ محمود بغير منع الترك من احتلال بلدة السليمانية وكذلك طردهم من أجزاء أخرى من المنطقة. كما وافق على التدخل في شؤون منطقتي كركوك وأربيل. مقابل ذلك تتولى الحكومتان البريطانية والعراقية القيام بكل شيء في مقدورهما لمساعدة الشيخ محمود في تحشيد المشاعر القومية الكردية. وفصل، بموافقة الملك فيصل، عدد من الضباط الكرد من الجيش العراقي للخدمة مع الشيخ محمود ومساعدته في تنظيم قواته من المجندين.[1]

وصل الشيخ محمود، الذي انتقل في مراحل سهلة إلى السليمانية في 30 أيلول/ سبتمبر، عام 1922، يرافقه الرائد نوئيل، الضابط البريطاني الذي تقرر أن يعمل مستشاراً له. ورحبت وفود قبلية بقدوم الشيخ محمود على طول الطريق إلى السليمانية وسط مشاهد الحماسة الشديدة. وفي السليمانية حيث تولى منصب رئاسة المجلس الانتخابي بدلاً من أخيه لقي الترحاب بوصفه حاكم كردستان. وصفت الصحافة المحلية الرائد نوئيل بأنه قنصل من نوع ما.[2] وبمنح وضع دبلوماسي إلى الرائد نوئيل لا شك أن القوميين في السليمانية سعوا إلى تأكيد استقلال الجيب الكردي برئاسة الشيخ محمود وانفصاله عن العراق.

---

(1) م ن، 301. بريطانيا العظمى، وزارة المستعمرات، تقرير عن إدارة العراق، نيسان | أبريل عام 1922 إلى آذار | مارس عام 1923، 36، م س رقم 326.

(2) إدموندس، كرد وترك وعرب، 301، م س رقم 63.

أصدر الشيخ محمود في 10 تشرين الأول/ أكتوبر، عام 1922، مرسوماً يعلن تشكيل حكومة من ثمانية أعضاء.[1] ضمت الحكومة شقيقه الشيخ قادر رئيساً للوزراء وصالح زاكو سالكران، عضو أسرة محلية معروفة في منصب وزير الدفاع الوطني، وحاج مصطفى پاشا، وهو جنرال سابق في الجيش العثماني وزيراً للتعليم الوطني، وعبد الكريم الآكا وهو وجيه مسيحي من السليمانية، في منصب وزير المالية.[2] كما أصدر الشيخ محمود طوابع بريد وأصدر صحيفة روژي كردستان (شمس كردستان)[3] وبيَّن تقرير رسمي بريطاني أن شيوخ القبائل من كلا جانبي الحدود تمتعوا بنفوذ كبير في إدارة الشيخ محمود وأضاف ساخراً: «ربما لم يكن أمراً مهماً بقاء منصب وزير العدل شاغراً».[4]

التنافر المتنامي بين الشيخ محمود والبريطانيين

لم يمضِ زمن طويل حتى نشأ احتكاك خطير بين الشيخ محمود والبريطانيين. وربما كان ذلك محتماً. كان الشيخ قد أعيد بشرط أن يقبل ما يعرض عليه. وجد نفسه مرة أخرى في وضع من يملك السلطة ولم يتمكن من مقاومة الجائزة المتألقة، التي بدت وسط كل الضجة حوله، في متناوله.

(1) م ن، من المثير للاهتمام ملاحظة أنه وفاقاً لإدموندس فإن هذا المرسوم «صدر في السليمانية، عاصمة كردستان،» ووصفت الحكومة التي أعلنها المرسوم بأنها «حكومة كردستان.»

(2) رامبو، 57، م س رقم 213.

(3) للاطلاع على دراسة لهذه الصحيفة، انظر إدموندس، «صحيفة كردية،» م س رقم 60.

(4) بريطانيا العظمى، وزارة المستعمرات، تقرير عن إدارة العراق، نيسان/ أبريل عام 1922 إلى آذار/ مارس عام 1923، 37، م س رقم 326.

كان الشيخ محمود رجلاً ذا شعور عميق بأن لديه مهمة قومية، وآمن أنه الرائد والبطل الأسطوري لدولة كردية في المستقبل. كان طموحاً وعنيداً متهوراً وأظهر أحياناً أن بإمكانه أن يكون مغروراً وغير متقيد بمبادئ الأخلاق.[1]

كان الشيخ محمود يدرك تماماً مضامين إعادة تنصيبه. وسواء انحنى البريطانيون أمام مطالبة شعبية لعودته أو أنهم كانوا أضعف من السيطرة على كردستان من دونه، فقد دلّت إعادته إلى منصبه على أنهم اعتبروه الشخصية الأهم في كردستان الجنوبية. وكان الترك قد حققوا تقدماً كبيراً ضد البريطانيين وبدا هؤلاء عاجزين عن وقفهم. كان الوضع مضطرباً وغير مستقل وخطيراً. وبعد عودة الشيخ محمود كانت خلاصة المسألة هي التالية: هل سيحتفظ بالبلاد مقابل مكافأة تافهة مثل حكم السليمانية والمنطقة المحيطة بها؟ في النهاية واجه مخاطر بالغة بمعارضة الترك، الذين كانوا لايزالون يبدون أقوياء وتحدثوا بثقة عن العودة. وإذا كان سيواجه تلك المخاطر فقد تكون مراهناته مرتفعة.

كان للموقف المتشدد للثوار العرب في جنوبي العراق بعض الفوائد أخيراً. صحيح أن الثورة قد أخمدت ولبِّيت مطالب الثوار بتشكيل حكومة

---

(1) غير أن الشيخ محمودلم يكن بلا كياسة. قدم في أكثر من مناسبة دليلًا على كونه خصماً شهماً. وعندما زاره صحفي في معتزله في قرية داري كهله حيث كان يمضي السنوات الأخيرة من حياته لم يظهر لا نزقاً ولا دناءة عندما تحدث عن خصومه القدماء وأظهر أنه يشعر بالعطف عليهم. ووفاقاً للصحفي، عبر الشيخ محمود عن مشاعر ودية نحو انكلترا. ونقل عنه، على نحو فكاهي، كما يبدو، أنه قال، 'أبلغ الحكومة البريطانية أنني مستعد للشروع بثورة لهم في أي وقت' والتمعت عيناه للفكرة.» نانسي جنكنس، إلستريتد لندن نيوز، 15 كانون الثاني/ ديسمبر، عام 1949، استشهد بذلك في نشرة مركز الدراسات الكردية، عد. 8 (1949)، 8.

عربية، ولم يصب أي زعيم مهم للثوار بأذى. ولو أن الشيخ محمود تصرف على نحو صحيح لكسب الكثير: دولة مستقلة للكرد والعرش والسمعة الدائمة له.

لو كانت لديه أي شكوك عن نفسه فقد تبددت بإعادته إلى منصبه وبالترحاب الصاخب الذي قدمته وفود القبائل. علاوة على ذلك، كان القوميون الكرد حوله ينمقون أحلامه ويحرضونه على التصرف. ولا بد أن تلك الأفكار ضغطت على ذهنه بعد فترة قصيرة من وصوله إلى السليمانية لأنه بدأ يظهر علامات تشير إلى كونه عنيداً ويطمع في السيطرة على المناطق الكردية المجاورة التي وعد بعدم التدخل في شؤونها.

أصبح واضحاً طموح الشيخ محمود وتلهفه للحصول على سلطة أكثر مما سمح له. وفي تشرين الثاني/ نوفمبر عام 1922 لقب نفسه شاه أو ملك كردستان.[1] أصبح الآن يدعي السلطة على كل المناطق الكردية ضمن العراق. ووفق تقرير رسمي بريطاني فإنه فعل ذلك على الرغم من حقيقة أنه لا أربيل ولا كركوك ولا الأقضية الكردية في منطقة الموصل قد عبرت عن أية رغبة في قبول حكمه. أيد التقرير أن القبائل الكردية في كفري بمنطقة كركوك قد أعلنت ولاءها إلى الشيخ محمود إلّا أنه أوضح أن القبائل المذكورة قد أقنعت بذلك بسبب احتمال الغياب التام لأي قيود في ظل حكمه.[2]

(1) بريطانيا العظمى، وزارة المستعمرات، تقرير عن إدارة العراق، نيسان/ أبريل عام 1922 إلى آذار/ مارس عام 1923، 37، م س رقم 326. راجع إدموندس، كرد وترك وعرب، 301، م س رقم 63.

(2) بريطانيا العظمى، وزارة المستعمرات، تقرير عن إدارة العراق، نيسان/ أبريل عام 1922 إلى آذار/ مارس عام 1923، 36-37، م س رقم 326.



15. الشيخ محمود مع مسلحين. المصور مجهول الهوية/ بترخيص من موكريان: كردستان: في ظل التاريخ.

لم يكد يمر شهر على إعادة الشيخ محمود إلى منصبه حتى اكتشف أنه على اتصال بالترك. وكشف الاستيلاء على رسائل وجهها أوزدمير إلى المقر العسكري التركي في جزيرة ابن عمر طبيعة مفاوضاته مع الترك.[1] وبينما خاطب أوزدمير الشيخ محمود متملقاً إياه فقد كان حذراً في عدم إلزام نفسه على أي نحو. وكما ذكر تقرير بريطاني رسمي «لقد تجنب كل طلب لإصدار بيان لمصلحة الحكم الذاتي الكردي وأعطى في رسالة موجهة إلى لجنة تركية شكلت في كركوك ضمانات متعددة أن حكومته لا تنوي تأييد ادعاءات الشيخ محمود. وكان في الحقيقة يستخدمه بيدقاً في اللعبة، وكان الهدف إعادة الاستيلاء على ولاية الموصل مع رغبات السكان أو ضدها.»[2]

(1) م ن، 36؛ راجع إدموندس، كرد وترك وعرب، 301، 314، م س رقم 63.

(2) بريطانيا العظمى، وزارة المستعمرات، تقرير عن إدارة العراق، نيسان| أبريل عام 1922 إلى آذار| مارس عام 1923، 36، م س رقم 326.

الأرجح أن الشيخ محمود اعتقد أن بإمكانه خدمة مصالحه على أفضل نحو بجعل الترك يعملون ضد البريطانيين. إلّا أن أشخاصاً معتدلين نظروا بذعر إلى دسائسه مع الترك. وذكر أن الكثيرين منهم قد نفروا منه بسبب طرق حكمه التعسفية وسلوكه الذي لا يمكن التنبؤ به. وبدا أن بعض الأعضاء المتنفذين في أسرة الشيخ محمود نفسه، الذين كانوا قبل شهور قليلة قد طالبوا بعودته، قد أصبحوا مقتنعين أنه عاجز عن توجيه شؤون المنطقة.[1]

بحلول ذلك الوقت يأس البريطانيون كما يبدو من العمل على نحو ناجح مع الشيخ محمود. وفي تشرين الثاني/ نوفمبر عام 1922 توجه وفد من السليمانية إلى بغداد استجابة لدعوة من المفوض السامي البريطاني. كان هدف الدعوة التوصل إلى اتفاق مع الشيخ محمود بشأن مركزه وعلاقة السليمانية ببقية البلاد في المستقبل. أعلن أن تحقيق تقدم في المفاوضات مستحيل بسبب مطالب الشيخ محمود المتطرفة وعاد الوفد إلى السليمانية من دون أن يحقق شيئاً.[2]

موقف الكرد المتغير في العراق

آثار مؤتمر لوزان

تأثر مستقبل الكرد في العراق وبالتالي طبيعة المسألة الكردية في العراق تأثراً عميقاً بالمفاوضات الجارية آنذاك في لوزان. ويذكر أن معاهدة سيڤر قد

(1) م ن، 36-37. راجع إدموندس، كرد وترك وعرب، م س رقم 63، عن الموقف المتغير لأحد أقارب الشيخ محمود المتنفذين وهو الشيخ عبدالكريم من ناحية قادر كرم (310) وعن موقف قبيلة جاف بگزادة (311).

(2) بريطانيا العظمى، وزارة المستعمرات، تقرير عن إدارة العراق، نيسان/ أبريل عام 1922 إلى آذار/ مارس عام 1923، 37، م س رقم 326.

نصت على إقامة دولة كردية مستقلة في شرقي الأناضول. وفي الوقت ذاته نصت على ضم الكرد العراقيين في الدولة الكردية المقترحة. وبموجب تلك المعاهدة تكون علاقتهم بالعراق ذات طبيعة موقتة ويمكن إنهاؤها بعد مرور سنة واحدة بشرط تلبية شروط معينة[1] بتمسكهم بالدولة الكردية المقترحة. وفي معاهدة لوزان[2]، التي تقرر أن تحل محل معاهدة سيڤر، ألغيت فكرة تأسيس دولة كردية برمتها. وقد بدّل هذا التغيير تبديلاً جذرياً وضع الكرد في العراق وتطلب إعادة النظر في مسألة مستقبلهم مع تلك البلاد في المستقبل.

تزايد الاهتمام بفكرة دمج المناطق الكردية في الدولة العراقية المؤسسة حديثاً. وقاوم الترك بطبيعة الحال هذه الفكرة بقوة. ونشأ صراع مرير على تلك المناطق بين تركيا وبريطانيا العظمى في لوزان وفي عصبة الأمم. وكان هذا الصراع هو الذي شكل مادة «مسألة الموصل» الشهيرة. طالب المندوبون الترك في لوزان بعودة ولاية الموصل إلى تركيا على أساس أن أغلبية السكان ليسوا من العرب. وكان الاعتراض على ذلك أن أغلبية السكان – الكرد بالذات – ليسوا تركاً وأن «هذه المناطق ملتحمة بالعراق وأشد التحاماً من معاناة فصلها عنه.»[3]

سعى البريطانيون الآن إلى إيجاد تسوية موقتة يتعايش الكرد والعرب بموجبها على نحو ودي في ظل العرش ذاته. ويقال إن الملك فيصل كان «مستعداً لمنح المناطق الكردية ضمن العراق قدراً كاملاً من الحكم الذاتي

(1) م ن، 38.

(2) بريطانيا العظمى، البرلمان، تقارير القيادة: مؤتمر لوزان (1923)، cmd. 1814 (بالإنكليزية، مرجع 338)؛ وتقارير القيادة: معاهدة السلام مع تركيا، وأدوات أخرى موقعة في لوزان، 24 تموز/يوليه 1923، cmd. 1929، مرجع 339.

(3) بريطانيا العظمى، وزارة المستعمرات، تقرير عن إدارة العراق، نيسان/أبريل عام 1922 إلى آذار/مارس عام 1923، 38، م س رقم 326.

المحلي»، غير أن الأمر ترك للكرد أنفسهم لتقرير أسلوب ممارسة ذلك. ويبدو أنه لا يوجد اتفاق عام بين الكرد بشأن هذه المسألة.[1]

الإعلان الأنكلو-العراقي في 24 كانون الأول/ ديسمبر، عام 1922

عندما واجهت الحكومتان البريطانية والعراقية موقف الترك المتشدد، من ناحية، والتحريض القومي المتزايد من الشيخ محمود، من ناحية أخرى، قررتا إصدار إعلان سياسي مصمم لاسترضاء وإن أمكن كسب الرأي العام الكردي المعتدل والذي لم يكن متحيزاً حتى ذلك الحين. وكما عبر تقرير المفوض السامي «بدا الوقت مناسباً لبيان حازم من جانب الحكومتين البريطانية والعراقية يكبح طموحات الشيخ محمود وفي الوقت عينه يمنح تطمينات إلى المعتدلين بأن طموحاتهم المشروعة لن تهمل.»[2] صدر البيان التالي في 24 كانون الأول/ ديسمبر، عام 1922، لهذا الغرض وبموافقة الملك فيصل وحكومته مسبقاً:

> **تعترف حكومة صاحب الجلالة البريطانية وحكومة العراق بحقوق الكرد الذين يقطنون ضمن حدود العراق في تأسيس حكومة كردية ضمن هذه الحدود وتأملان في توصل العناصر الكردية المختلفة، بقدر الإمكان، إلى اتفاق بشأن الشكل الذي يجب أن تتخذه تلك الحكومة والحدود التي يرغبون أن تمتد إليها وإرسال مندوبين مسؤولين إلى بغداد لمناقشة علاقاتها الاقتصادية والسياسية مع حكومة صاحب الجلالة البريطانية وحكومة العراق.**[3]

---

(1) م ن.

(2) م ن.

(3) م ن. راجع إدموندس، كرد وترك وعرب، 312، م س رقم 63؛ رامبو، 13-14، م س رقم 213.

يشير إدموندس في تعقيباته اللاحقة على هذا الإعلان إلى أنه يفتقر إلى الجدية ولم يوضع بنية حسنة. كان بوصفه ضابطاً سياسياً، واحداً من أولئك المسؤولين الذين عهد إليهم بإعلام الزعماء القبليين والشيوخ وقادة الرأي العام الكردي الآخرين عن ذلك الإعلان. ترك لنا سجلاً لرد فعله بعد تقديم ترجمة البيان إلى الشيخ عبد الكريم من قادر كرم: «ذهب هذا النص، بخاصة استخدام تعبير 'الحكومة الكردية' بدلاً من 'الإدارة الكردية' وغياب أي تحديدات جغرافية، أبعد كثيراً من الموقف السابق للحكومة العراقية والمفوض السامي، وقد توليت ترجمته شفوياً إلى الشيخ عبد الكريم مع شيء من الشك. أما في بغداد فلم يشعروا بأي هواجس ونشروا الإعلان في الوقت ذاته في بيان رسمي.»[1]

أنشطة سيد طه نهري

كان الشيخ طه قبل إعادة تنصيب الشيخ محمود أحد المرشحين لمنصب الحكمدار. إلّا أن سير الأحداث السريع ومغادرة سيد طه المفاجئ إلى فارس كان له تأثير مناهض لمواصلة بحث المسألة. وفي نهاية تشرين الأول/ أكتوبر، عام 1922، وصل سِمكو آغا من قبيلة شكاك وشريكه سيد طه فجأة إلى أربيل بعد اندحار سِمكو في عمليات عسكرية تركية-فارسية مشتركة. كانت مواقف الرجلين وظروفهما مختلفة اختلافاً تاماً. سرعان ما تصالح سِمكو، الذي كان مواطناً فارسياً، مع حكومته وعاد إلى فارس حيث واجه متاعب مرة أخرى. إلّا أنه سبق لقصته أن رويت.[2]

كان سيد طه نهري، حفيد الشيخ عبيد الله مواطناً تركياً ولديه عقارات

(1) إدموندس، كرد وترك وعرب، 312، م س رقم 63.
(2) م ن، 405-13.

في العراق في جوار راوندوز. وبالتالي كان وضعه في العراق مختلفاً تماماً عن وضع سِمكو.[1] وسرعان ما أقام اتصالات بالسلطات البريطانية في العراق بهدف تقديمه الدعم لطرد الترك من منطقة راوندوز.

توضح تصريحات سيد طه أنه كان يعارض الكماليين معارضة حازمة ولم يكن يرغب أو يأمل في التوصل إلى تفاهم معهم. وأعلن نيته تعبئة القبائل ضدهم في منطقة راوندوز حيث كان له نفوذ كبير. طلب سيد طه بنادق وذخيرة ومبالغ وحصل عليها بهدف تنظيم معارضة قبلية مسلحة للترك. وشملت ترتيبات بريطانية أخرى معه وضع قوة عسكرية من المتطوعين الكرد تحت تصرفه تطلق من الجيش العراقي بهدف تعزيز قواته القبلية.[2]

ويبدو أن أمطاراً غزيرة على نحو استثنائي قد منعت سيد طه من تنفيذ أي عمليات عسكرية. إلّا أن شائعات تحركه الوشيك أحدثت فيما يبدو النتيجة المرغوبة في قبائل منطقة راوندوز. وساعد وجوده في المنطقة سلاح الجو الملكي في إرغام الترك على إخلاء رانيه وترك بابكر آغا المساند للإدارة مسيطراً على بيشدر. ووفاقاً لتقرير المفوض السامي، رحبت القوى التي كانت تعادي الشيخ محمود في السليمانية بصعود سيد طه كقوة جديدة في الحياة السياسية الكردية ومنحت بعض الأمل لمواجهة أنشطة الخصم.[3]

لم يتحقق الدور الذي أمل سيد طه في توليه لعدة أسباب. علاوة على الأمطار الغزيرة التي حالت دون القيام بعمليات عسكرية يبدو أن إدارة التموين

(1) بريطانيا العظمى، وزارة المستعمرات، تقرير عن إدارة العراق، نيسان/ أبريل عام 1922 إلى آذار/ مارس عام 1923، م س رقم 326.

(2) م ن. وفاقاً لأدموندس، بلغ عدد أفراد القوة العسكرية من المتطوعين الكرد 150 شخصاً؛ انظر إدموندس، كرد وترك وعرب، 308، م س رقم 63.

(3) بريطانيا العظمى، وزارة المستعمرات، تقرير عن إدارة العراق، نيسان/ أبريل عام 1922 إلى آذار/ مارس عام 1923، م س رقم 326.

قد جهزته بمعدات قديمة كان الكثير منها غير مفيد. كما أنه بالغ في تقدير نفوذه بين القبائل، إذ يبدو أنه حتى قبيلة هركي، التي اعتمد عليها بخاصة، لم تظهر حماسة خاصة لقضيته. وعلاوة على ذلك لم تحصل خطة العمل التي وضعها سيد طه، كما يبدو، على موافقة البريطانيين. ووفق ما أفاد به إدموندس «بدا أنه كانت لديه خطة لأنشطته الخاصة به والاعتماد على القصف العشوائي، ليس ضد أهداف معادية فحسب بل كذلك ضد زعماء قبليين ترددوا في التعاون معه.»[1]

عين سيد طه في منصب قائمقام راوندوز في نيسان/ أبريل، عام 1923. ومن المثير للاهتمام ملاحظة أن تعيينه، الذي رعاه سير هنري دوبس (Sir Henry Dobbs,)، المفوض السامي في وقته، قوبل بمعارضة الحكومة العراقية وعدد من المسؤولين البريطانيين.[2]

تعاون الشيخ محمود مع الترك

تدهور الوضع في السليمانية، وفي الوقت ذاته، وبدا أن فرص احتمال حدوث تحسن ضئيلة أقل من أي وقت مضى. ذكر أن الشيخ محمود وجد

---

(1) إدموندس، كرد وترك وعرب، 308، م س رقم 63.

(2) وفاقاً لإدموندس، أراد الملك فيصل ورئيس الوزراء ومتصرف أربيل، يؤيدهم كورواليس وبوديّون وليون تعيين موظف مدني عادي في منصب قائمقام. وأصر المفوض السامي بتأييد من الضابط في سلاح الجوي الملكي في العراق على تعيين سيد طه بوصفه الموظف «الصامد للرصاص» (أطلق البريطانيون هذا المصطلح على أولئك الأشخاص الذين كادوا، نتيجة علاقاتهم القبلية، أن يكونوا محصنين من طلقة المغتال بسبب المخاطرة بالتسبب في خصومة.) وكان سبب إصرارهم أنه «كان متوقعاً إرسال الترك حشوداً من المغامرين عبر الحدود بهدف القيام بأعمال نهب وسلب مختلفة لإبقاء المنطقة برمتها مضطربة.» م ن، 326.

نفسه بغتة بحاجة ماسة إلى الأموال. وفي غضون الأسابيع الثلاثة الأولى من وصوله إلى السليمانية بعد إعادة تنصيبه بعثر معظم الأموال الطائلة التي وجدها في الخزانة في تقديم هدايا إلى ضيوفه شيوخ القبائل ونفقات إعالة أتباعه. وبتحصيل الرسوم على التبغ علاوة على الزكاة سرعان ما اكتشف وسيلة لإعادة ملء خزانته الفارغة. وبدلاً من وقف تجار التبغ عملهم أذعنوا لأمره. وذكر أن الشيخ محمود نجح في جمع 150 ألف روبية بهذه الطريقة.[1]

بعد أن أصبح الشيخ محمود مكتفياً مالياً مرة أخرى قابل بازدراء مشورة العناصر المعتدلة التي كانت قد حثته على تبني موقف أكثر ليناً نحو البريطانيين. لجأ مرة أخرى إلى موقفه السابق. ولم يرفض فقط حضور مؤتمر في كركوك بل عرض المندوبان اللذان أرسلهما نيابة عنه في 23 كانون الثاني/ يناير، عام 1923، موقفاً متشدداً جداً بحيث لم ينجز شيء، وأعيد الاثنان إلى السليمانية على أساس أن المفاوضات لن تتم إلّا وفاقاً لشروط الإعلان الأنكلو-العراقي الذي صدر حديثاً.[2]

أعقبت ذلك سلسلة سريعة من التطورات. في نهاية كانون الثاني/ يناير، عام 1923، زار موظفون ترك الشيخ محمود في السليمانية حيث صيغت خطة لشن هجوم منسق على كركوك وكويسنجق. وجرت اتصالات بعلماء شيعة في كربلاء والنجف بينما شرعت اللجنة التركية في كركوك في تحضيرات محمومة للتمرد المقبل.[3] وخطط أوزدمير من جانبه إتباع الهجوم على

(1) م ن، 304-5. راجع بريطانيا العظمى، وزارة المستعمرات، تقرير عن إدارة العراق، نيسان/ أبريل عام 1922 إلى آذار/ مارس عام 1923، 39، م س رقم 326.

(2) بريطانيا العظمى، وزارة المستعمرات، تقرير عن إدارة العراق، نيسان/ أبريل عام 1922 إلى آذار/ مارس عام 1923، 39، م س رقم 326.

(3) م ن. انظر كذلك إدموندس، كرد وترك وعرب، 145-46، م س رقم 63.

كركوك بهجوم على أربيل. ويبدو أنه اتصل لهذا الغرض بقائد في الجيش الفارسي عبر الحدود للحصول على موافقة الأخير بشأن مرور قواته عبر الأراضي الفارسية وتجنيد جنود غير نظاميين من فارس.[1]

الإجراءات البريطانية للحيلولة دون تمرد الشيخ محمود

قرر المفوض السامي البريطاني، خشية العواقب، اتخاذ إجراءات فورية. وجرت اتصالات مع خصوم الشيخ محمود القبليين من قبائل هماوند وپيشدر وجاف ووضعت في حالة تأهب.[2] وفي 16 شباط/ فبراير، عام 1923، دعي إلى عقد مؤتمر في بغداد لمناقشة الوضع في السليمانية. انتهى المؤتمر، الذي اشترك فيه ضباط مدنيون وعسكريون بريطانيون، بتبني خطة العمل التالية:

> **أولاً، يبرق المفوض السامي، في الواحد والعشرين من شباط/ فبراير، إلى الشيخ محمود ويطلب منه القدوم إلى بغداد؛ وثانياً، إذا لم يمتثل للطلب تحلّق قوة من الطائرات في سماء السليمانية وتلقي بيانات تعلن طرده ومنحه خمسة أيام أخرى يتوجه خلالها إلى بغداد مع أعضاء المجلس الإداري؛ وثالثاً، تنقل سريتان من لواء السيخ الرابع عشر بالقطار إلى كويسنجق وتنقل من هناك جواً (عملية جديدة في حينه) إلى كركوك لتعزيز قوات المجندين كعمل احترازي ضد أي تحرك طائش في اتجاهنا؛ ورابعاً، قصف ثكنات الشيخ محمود ومقره في السليمانية إذا رفض مغادرة المدينة.[3]**

لم يضيع وقتاً في تنفيذ النقاط الأربع كافة، إذ حمل إدموندس رسالة

---

(1) إدموندس، كرد وترك وعرب، 318، م س رقم 63.

(2) بريطانيا العظمى، وزارة المستعمرات، تقرير عن إدارة العراق، نيسان/ أبريل عام 1922 إلى آذار/ مارس عام 1923، 39، م س رقم 326.

(3) إدموندس، كرد وترك وعرب، 314-15، م س رقم 63.

المفوض السامي إلى الشيخ محمود مساء 20 شباط/ فبراير. وطلب الشيخ محمود توضيحاً إلّا أن إدموندس أبلغه أنه لم يكن مخولاً بمناقشة تعليمات رؤسائه.[1] وبحسب تقرير المفوض السامي إلى وزارة المستعمرات لم يمتثل الشيخ محمود إلى الرسالة التي طلبت منه التوجه إلى بغداد بل إنه واصل تطوير خططه للهجوم المقبل على كركوك.[2] وبحلول 22 شباط/ فبراير، كانت قوات السيخ قد نقلت بنجاح بالقطار وبالطائرة إلى كركوك، وفي 23 شباط/ فبراير و24 شباط/ فبراير، أسقطت الطائرات البريطانية بيانات على السليمانية تفيد أن الشيخ محمود، الذي عجز عن أداء مهامه طرد من منصبه.[3] وفي مساء 24 شباط/ فبراير، بذل الشيخ محمود محاولة أخيرة توصّلاً إلى مصالحة مع البريطانيين ولم تؤد عدة ساعات من المفاوضات بالبرقيات مع إدموندس إلى تحقيق النتيجة المطلوبة.[4]

حاول الشيخ محمود فيما يبدو كسب الوقت ولكنه أشار إلى أنه قرر

(1) م ن، 315.

(2) بريطانيا العظمى، وزارة المستعمرات، تقرير عن إدارة العراق، نيسان/ أبريل عام 1922 إلى آذار/ مارس عام 1923، 39، م س رقم 326.

(3) وفاقاً لإدموندس، أخفقت معظم الطائرات المرسلة لإسقاط البيانات في 23 شباط/ فبراير بسبب سوء حظ في الوصول إلى الجهة المقصودة. واستتبع ذلك إرسال طائرات أخرى في اليوم التالي. إدموندس، كرد وترك وعرب، 315-16، م س رقم 63. أكد تقرير المفوض السامي أن البيانات أسقطت في 24 شباط/ فبراير. بريطانيا العظمى، وزارة المستعمرات، تقرير عن إدارة العراق، نيسان/ أبريل عام 1922 إلى آذار/ مارس عام 1923، 39، م س رقم 326.

(4) يذكر إدموندس أن الشيخ محمود تلقى في مفاوضاته المساعدة من أخيه الشيخ قادر ومن عدد من وجهاء السليمانية على السواء. انظر إدموندس، كرد وترك وعرب، 316، م س رقم 326.

الاستقالة وذكر أنه أرسل رتلاً من المجندين إلى جمجمال بهدف تهديد كركوك.[1] أمر بمغادرة السليمانية بحلول 1 آذار/ مـارس، وحذر السكان أنه ما لم يمتثل لذلك ستتخذ إجراءات ضد المدينة. قوبل الأمر بالرفض وفي 3 آذار/ مارس، عام 1923، قصفت مبان حكومية في السليمانية من الجو.

صادف قصف تلك المدينة وصول وفد من السليمانية إلى كركوك ضم الشيخ قادر (شقيق الشيخ محمود) وحاج مصطفى پاشا. ولدى الاطلاع على أحدث التطورات أمضى أعضاء الوفد وقتاً طويلاً في إجراء اتصالات مع الشيخ محمود بالبرقيات وحثه على مغادرة المدينة. ويبدو أن الشيخ محمود قد استجاب إلى تلك الطلبات وذكر أنه غادر السليمانية في الساعات الأولى من 4 آذار/ مارس، عام 1923، يرافقه نحو مائتي مجند ومحتويات الخزينة.[2] وقيل إنه لجأ إلى جبال سورداش شمالي السليمانية. وزاره هناك أوزدمير، الذي حثه على أعادة الاستيلاء على المدينة.[3]

في أوائل شهر آذار/ مارس تم تحديد موقع بعض أتباع الشيخ محمود في جوار السليمانية وشتتوا من خلال الغارات الجوية.[4] ومع ذلك تمسك الشيخ محمود بموقف التحدي والعناد. وحسبما أفادت التقارير أسس مقراً في كهف جاسنه الكبير في منطقة سورداش وقام بإيواء قواته في القرى المجاورة حيث واصل تحصيل الإيرادات وممارسة سلطاته كما في السابق.[5]

---

(1) بريطانيا العظمى، وزارة المستعمرات، تقرير عن إدارة العراق، نيسان/ أبريل عام 1922 إلى آذار/ مارس عام 1923، 39، م س رقم 326.

(2) م ن، 39-40. راجع إدموندس، كرد وترك وعرب، 316-17، م س رقم 63.

(3) بريطانيا العظمى، وزارة المستعمرات، تقرير عن إدارة العراق، نيسان/ أبريل عام 1922 إلى آذار/ مارس عام 1923، 40، م س رقم 326.

(4) م ن.

(5) إدموندس، كرد وترك وعرب، 319، م س رقم 63.

عندما فرّ الشيخ محمود من السليمانية لم ينس أن يأخذ المطبعة البلدية التي سرعان ما استخدمها على نحو مفيد. وفي 8 آذار/ مارس، 1923، بدأ بنشر صحيفة بانكي حق (صوت الحقيقة).[1] ذكرت هذه الصحيفة، التي حلت محل صحيفة روژي كردستان بوصفها جريدة الشيخ محمود الرسمية، أنها طبعت في «المقر العام لجيش كردستان.» وتضمنت محتوياتها على مادة واحدة هي إعلان الجهاد.

أصبح واضحاً على نحو متزايد أنه ما لم يطرد الشيخ محمود وأتباعه من مخابئهم في منطقة سورداش ويتم تشتيتهم، فإن السليمانية لن تبق وحدها تحت رحمته بل إن كركوك كذلك ستبقى معرضة للتهديد. وأدرك البريطانيون أنه في ظل تلك الظروف من المستحيل إعادة السلام والاستقرار في المنطقة. إلّا أنه كان واضحاً تماماً أنه مهما كانت الإجراءات في منطقة السليمانية- كركوك، لن تنجز تسوية هناك أو في أي مكان آخر في كردستان ما لم يتم التصدي للتحدي الذي أثاره أوزدمير ويتم التغلب عليه. تقلص وضع الشيخ محمود إلى وضع هارب مطارد، إلّا أن أوزدمير، الذي كان ينتقل من نجاح إلى آخر، كان لايزال يتحرك. ومن بين الاثنين كان واضحاً أن الرجل الثاني مصدر الخطر الأشد. ولهذا السبب قرر البريطانيون التعامل معه أولاً.

دحر أوزدمير

كان أحد القرارات في مؤتمر القاهرة نقل قيادة القوات البريطانية في العراق من الجيش إلى القوة الجوية. وتقرر أن يبدأ تنفيذ النقل في 1 تشرين الأول/ أكتوبر، عام 1922. لم يضيع القائد الجديد نائب مارشال

(1) م ن.

في سلاح الجو السير جون سالموند (Sir John Salmond)، وقتاً في تبني عدد جديد من الإجراءات التي توجت بدحر أوزدمير وتشتت قواته.[1]

شنت الطائرات المرابطة في الموصل وكركوك هجوماً جوياً عنيفاً ضد قرى قبيلة الشيخ بزيني الرئيسة على طول مجرى نهر الزاب الأصغر والثكنات التي يشغلها الترك في كويسنجق. ولم يواجه العسكر المجندون بإمرة العقيد مينت، الذين كانوا يقاتلون بالتعاون الوثيق مع القوة الجوية، سوى مقاومة ضئيلة. وبحلول 7 تشرين الأول/ أكتوبر، عام 1922، تخلى الترك عن كويسنجق وقدم معظم زعماء قبيلة شيخ بزيني مبادرات للاستسلام. وتحول مشهد العمليات الجوية شمالاً حيث أخضعت قوات معادية إلى قصف مستمر من الجو في مناطق رانيه ومارگا وپيشدر. وتعرض وادي شاوور، الذي يمر عبره الطريق الرئيس الذي يربط هذه المناطق مع راوندوز، على نحو مستمر إلى هجوم شديد.[2] واستمرت هذه العمليات أثناء خريف عام 1922 والشتاء التالي.

أكملت التحضيرات في آذار/ مارس، 1923، لمهاجمة أوزدمير. تألفت هذه القوات من رتلين هما: رتل كوي بقيادة العقيد فنسنت، ورتل الحدود بقيادة العقيد دوبين (Dobbin).[3] ونفذ الرتلان مدعومين بالقوة الجوية حركة تطويق متزامنة ضد موقع أوزدمير عند ممر سپيليك. وفي ليلة 19-20 نيسان/ أبريل، تخلى أوزدمير عن موقعه عند الممر. واحتلت بلدة راوندوز، حيث

---

(1) م ن، 296-97. يذكر إدموندس ما يلي عن تعيين سالموند: «في اعتقادي الراسخ جاء تعيين جون سالموند في الوقت المناسب لإنقاذ العراق. كنا نهرول، ولو ضاعت ولاية الموصل لما كان يكون ممكناً تشكيل بغداد والبصرة دولة ناجحة.»

(2) م ن، 298-300.

(3) م ن، 318-19.

نصب سيد طه في منصب قائمقام في نهاية المطاف، في 22 نيسان/ أبريل، عام 1923. ولم يسمع أحد عن أوزدمير وقواته مرة أخرى.

عمليات أخرى ضد الشيخ محمود

بعد التخلص من أوزدمير قرر البريطانيون التركيز على السليمانية والشيخ محمود. كلف رتل كوي بمسؤولية إعادة احتلال السليمانية وتولي تنفيذ العمليات الضرورية لدحر الشيخ محمود وتدمير سمعته ومعاقبة القبائل التي تجمعت لدعمه. وفي 8 أيار/ مايو، عام 1923، ألقيت من الجو فوق السليمانية بيانات تبلغ السكان بقرار الحكومة إعادة احتلال المدينة.[1]

كان الشيخ محمود قد عاد من منطقة پيشدر حيث كان قد حاول من دون جدوى إثارة القبائل خلف رتل كوي عندما نفذ الرتل عملياته ضد أوزدمير. ووجه الشيخ محمود رسالة إلى قائد الرتل يحذره من التقدم نحو جمجمال. وفي اليوم التالي غادر الشيخ محمود مقره في اتجاه السليمانية بهدف مقاومة الرتل المتقدم. غير أنه لدى علمه أن الرتل قد تقدم أبعد من ممر طاسلوجة، النقطة الوحيدة التي يسهل الدفاع عنها بين ممر بازيان والسليمانية، أمر بالانسحاب على عجل في اتجاه الحدود الفارسية.[2] وذكر فيما بعد أنه انسحب إلى پيران وهي قرية تقع على بعد ميلين على الجانب الآخر من الحدود الفارسية.[3]

عندما وصل رتل كوي إلى سارجينار على أطراف السليمانية استقبله وجهاء البلدة، الذين كانوا قد طلب منهم البقاء هناك في اليوم السابق. مكث

(1) م ن، 327-28.
(2) م ن، 330-31.
(3) م ن، 336.

الرتل في سارجينار يوماً واحداً بينما توجه إدموندس بوصفه الضابط السياسي إلى السليمانية، حيث أقام هيئة حكم مسؤولة. وعهد إلى أحمد بگي توفيق بگ بمهمة الإدارة المدنية؛ وعين الشيخ قادر مسؤولاً عن الأمن العام؛ وأعيد تعيين الأعضاء السابقين في قوة الشرطة مع مدير شرطة سابق. وبعد تلقي استسلام وفود القبائل وغيرها غادر إدموندس المدينة وانضم إلى رتل كوي، الذي كان قد تقدم في 17 أيار/ مايو إلى منطقة راوندوز لمعاقبة قبيلة شيلانا.[1]

حضر رئيس الوزراء العراقي والمفوض السامي البريطاني في أوائل حزيران/ يونيه مؤتمراً عقد في السليمانية لمناقشة الوضع مع الوجهاء المحليين. انهارت المفاوضات عندما لم يتمكن المفوض السامي إعطاء ضمانات إلى الزعماء الكرد أن القوات ستبقى في المدينة حتى يستقر الوضع ويعود إلى الحالة الاعتيادية. ومن خلال إعادة النظر إلى الماضي، يشير إدموندس إلى أن السبب الرئيس لانهيار المحادثات كان حقيقة أن الجانب العراقي لم يراعِ مطلقاً مشاعر الجانب الكردي.[2]

استقال أعضاء المجلس الموقت في 14 حزيران/ يونيه، عندما أبلغهم إدموندس أن من المقرر مغادر القوة البريطانية السليمانية بعد ثلاثة أيام. وبدأ مواطنون خائفون من عودة الشيخ محمود في وضع تحضيرات واسعة لمغادرة المدينة.[3] وبعد أن اقتنع البريطانيون بالتخلي عن السليمانية شرعوا في وضع

(1) يذكر إدموندس أنه عندما كان في السليمانية شغل الغرفة التي كانت مكتب الشيخ محمود حيث تجرى المعاملات الرسمية، وكانت هناك صورة الشيخ محمود على الجدار خلف الكرسي وعلم كردي مع تاج لامع جاهز للربط كعلامة مميزة للعلم الملكي، 331-32، م س رقم 63.

(2) م ن، 337.

(3) وفاقاً لإدموندس بلغ عدد اللاجئين الذي غادروا البلاد في نهاية المطاف ألفين. م ن، 338.

خطة أطلقوا عليها اسم «الحجْر الصحي» يمنع الشيخ محمود بموجبها من التدخل في شؤون المناطق المجاورة.[1]

كما كان متوقعاً دخل أنصار الشيخ محمود المدينة بعد مغادرة القوة البريطانية بوقت قصير إلّا أنه لم يعد هو نفسه حتى 11 تموز/ يوليه. وأخلى صالح زاكو سهلي قيران المكان لمجيد مصطفى قائداً لقوة الشيخ محمود التي كانت لا تزال تعرف باسم «الجيش الوطني الكردي». وبعد إذعان البريطانيين لعودة الشيخ محمود إلى السليمانية سعوا إلى تحديد مركزه وبيان حدود صلاحيته. ووجه إدموندس الرسالة التالية إليه:

> **سمع معالي المفوض السامي أنك عدت إلى السليمانية وأمرني بإعلامك أن وضع الترتيبات لإدارة أقضية رانيه وقلعة دزة وجمجمال وحلبْچة وقره داغ وسانگاو وناحية ماوات، وأنك يجب ألّا تتدخل على أي نحو في المناطق المذكورة أعلاه أو قرى سادة سارجلو. وإذا تحركت (لا سمح الله) ضد هذه التعليمات وتدخلت في المناطق المذكورة أو التآمر ضد الحكومة بوسائل أخرى فستتخذ إجراءات حازمة ضدك. وفي الوقت الحاضر وبشرط عدم قيامك بأعمال عدائية فإن معاليه لا ينوي اتخاذ أي إجراء ضدك.[2]**

على الرغم من هذا التحذير، شرع الشيخ محمود بالتدخل في شؤون المناطق المذكورة في الرسالة. ولذا قصف مقره في السليمانية وتبع ذلك نشوب عمليات قطع الطرق في المناطق الخارجية تعاطفاً معه.[3] ويبدو أن الإجراء العقابي البريطاني لم يردع الشيخ محمود لأنه سرعان ما راح يحاول مرة أخرى توسيع نفوذه أبعد من الحدود المرسومة. وفي الوقت ذاته استمر

---

(1) م ن، 345.

(2) م ن، 346.

(3) م ن، 350.

في الكتابة إلى إدموندس والمفوض السامي محتجاً ببراءته وولائه ومصراً على أنه قد أسيء فهمه.[1] وحسبما يفيد إدموندس «كان خط دعايته المفضل أن البيانات المعلنة والإجراءات المتخذة ضده كانت لغرض التكتيكات الدولية وستعاد صلاحياته في الوقت المناسب.»[2]

عندما وجدت أن التنبيهات السابقة لم تكن ذات جدوى قررت الحكومة قصف الشيخ محمود مرة أخرى، وهوجم مقره بالطائرات في يوم عيد الميلاد عام 1923. ومن أجل السيطرة عليه استمرت الغارات الجوية على السليمانية عدة أشهر.[3]

أقنع تمرد الشيخ محمود المستمر أخيراً المفوض السامي بعدم وجود بديل عن إعادة احتلال السليمانية. احتلت المدينة نحو منتصف تموز/ يوليه، 1924. تألفت القوات التي استخدمت في عملية إعادة الاحتلال، والتي عهد إليها لاحقاً بمهام الحامية، من رتل من الجيش العراقي وقوة من الشرطة ومفرزة من العناصر المجندة الآشورية وسلاح الجو الملكي. وعهد بإدارة المنطقة إلى الضابط السياسي البريطاني، أ. ج. شاپمان (A. J. Chapman) الذي تولى هذا التكليف بصفة متصرف تابع إلى الحكومة العراقية إلّا أنه كان فعلياً مسؤولاً أمام المفوض السامي ويتلقى أوامره منه.[4]

بقي الشيخ محمود طليقاً يشن غارات مباغتة ضد المناطق النائية ويضايق القوات الحكومية ويحصل على ضرائب كبيرة متى استطاع أن يفعل ذلك كما

(1) انظر م ن، 365.

(2) م ن.

(3) م ن، 371-72، 377-78.

(4) م ن، 387.

كان يجتاز الحدود الإيرانية ذهاباً وجيئة.[1] استمرت هذه الحالة حتى أرغم على التخلي عن كفاحه واللجوء إلى فارس. وفي حزيران/ يونيه، عام 1927، استسلم وصفح عنه وسمح له بالعودة إلى العراق حيث أعيدت إليه ممتلكاته المصادرة.[2]

(1) كتب العقيد إلفنستُن، الذي صادف أنه كان يخدم في العراق في ذلك الوقت، الملاحظة التالية المثيرة للاهتمام عن أنشطة الشيخ محمود المتعلقة بجمع الأموال: «أتذكر عام 1927، عندما كان لاجئاً عبر الحدود الفارسية، خططنا لتقييد موارده بحماية القبائل الكردية الرحّل من غارات جامعي الضرائب الذين كانوا يتبعون الشيخ محمود. غير أننا اكتشفنا أن رجال القبائل هؤلاء أنفسهم الذي كانوا يتظاهرون نهاراً أنهم ممتنون لحمايتنا كانوا يرسلون ليلاً المبالغ المطلوبة منهم وكانت الهالة الدينية المحاط بها كبيرة،» إلفنستُن، «الكرد والمسألة الكردية» 45، م س رقم 72.

(2) إدموندس، كرد وترك وعرب، 422 الحاشية 1، م س رقم 63.

الفصل الثاني عشر

الثورات الكردية في تركيا

تمرد 1925 من قبل الشيخ سعيد البيراني

جاء تمرد عام 1925 الكردي في فترة حاسمة للغاية من التاريخ التركي المعاصر، واتت السنوات القليلة الماضية حافلة بالأخطار الجسام والإنجازات العظيمة التي تسهم في صنع حقبة جديدة. ففي غضون أقل من نصف عقد من الزمن، كان الترك قد حققوا نصراً عسكرياً مؤزراً على اليونانيين وتحدوا بنجاح الحلفاء في القسطنطينية وأمكنة أخرى، وحققوا نصراً دبلوماسياً باهراً في لوزان وطبقوا برنامجاً طموحاً من الإصلاحات الشاملة في البلاد. مع ذلك، وبالرغم من ثقتهم الكبيرة بأنفسهم، فقد كان لزعماء تركيا الجديدة مخاوفهم. وإذا كانت هذه الفترة فترة الحماس والإنجازات والتوقعات العظيمة، فقد كانت أيضاً فترة الانتقال والريبة والقلق، لايزال هنالك الكثير مما يتوجب إنجازه؛ الأخطار التي تلوح في الأفق كان يجب مواجهتها والتغلب عليها؛ المهام التي كان قد جرى الشروع في تنفيذها ينبغي استكمالها؛ الطموحات الأثيرة إلى القلوب كانت بحاجة لأن تتحقق، والمكاسب العزيزة لدعم

وتمتين جُلّ ما تم إنجازه كان لايزال في مرحلة موقتة، كذلك فإنّ الأعداء في الخارج والمعارضة المتنامية في الداخل شكلت سلسلة من التهديدات حتى لأكثر الإنجازات تماسكاً.

بالرغم من كل هذا، فقد كان زعماء تركيا الجديدة في حالة من الابتهاج ونشوة الشعور بالعظمة. فقد واجهوا العالم بالثقة المشوبة بالتحدي والتصميم المتسم بالعنجهية. كان النجاح قد جعلهم يتجاسرون على القيام بمحاولة جدية للاستيلاء على ولاية الموصل الغنية – إقليم سابق من أقاليم إمبراطوريتهم الضائعة. لكن الموصل كانت بيد البريطانيين، وكان البريطانيون امصممين على عدم التخلي عنها. لم يكن زخم النجاحات التركية قد استنفد مخزونه بعد، وكان هنالك خطر جسيم يتمثل باحتمال أن يعمد الترك إلى التعجيل بافتعال خلاف على الإقليم المتنازع عليه. لقد تسببت هذه المسألة التي جرت إثارتها في مؤتمر لوزان بقدر كبير من الجدل إلى درجة أن المشاركين قرروا بالتوافق تأجيل البت فيها لعام كامل.

العلاقات بين الكرد والترك

في هذه الفترة، كانت العلاقات التركية – الكردية تشهد تدهوراً مضطرداً. كان الترك يراقبون مراقبة لصيقة الكرد الذين كانوا يشكلون أكبر مجموعة عرقية غير تركية متبقية في تركيا بعد الحرب، والذين شكلوا لهذا السبب تهديداً جدياً لوحدة الدولة الجديدة القومية. كانوا مدركين تماماً بأن جانباً لا يستهان به من الرأي العام الكردي يقف إلى جانب تشكيل دولة كردية مستقلة. ففي أثناء الحرب العالمية الأولى، كان عدد من الوجوه الكردية البارزة قد اتصلتبالمسؤولين، البريطانيين والروس، بخصوص هذا التوجه. لم يتحقق من ذلك سوى النزر اليسير آنذاك، نتيجة الفوضى العارمة التي

سادت في مرحلة ما بعد الحرب، من جهة، والانشغال بالقضية الأرمنية، من جهة أخرى. بعد الحرب، كما شاهدنا، عمد الكرد إلى ترميم خلافاتهم مع الأرمن، وكان ممثلو الجانبين قد ظهروا جنباً إلى جنب في مؤتمر السلام. في الحقيقة، في زمن هزيمة تركيا وضعفها، كان الترك أنفسُهُم، بدافع خشيتهم من خسارة الأقاليم الشرقية لمصلحة الأرمن، قد فعلوا الكثير لدعم الطموحات القومية الكردية وتشجيع الكرد على المطالبة بإنشاء دولة كردية مستقلة شرق آسيا الصغرى. كانت هذه المطالب الكردية الصاخبة قد أتت بعضَ أكُلِها، فقد سبق أن وردت فقرة في معاهدة سيڤر تنص على تشكيل مثل هذه الدولة. لكن النهضة التركية الإعجازية أتت لاحقاً تحت قيادة مصطفى كمال، حيث عمد الترك أولاً إلى عرقلة هذا التوجه القومي الكردي، ومن ثم إلى تحريمه.

قبيل اندلاع ثورة 1925 الكردية بوقت قصير، جرى نفي الزعماء القبليين الكرد والمفكرين وغيرهم من دعاة القومية الكردية إلى غرب الأناضول، وتم حظر استخدام اللغة الكردية.[1] هذه الإجراءات، مقرونة بمعارضة الزعماء الدينيين والقبليين المحافظين للإصلاحات الجديدة – والتي شملت من جملة ما شملت حظر الخلافة وإبطال الشريعة (قانون الشريعة الإسلامية) – شكلت بلا شك عواملَ حاسمة في اندلاع الثورة.

كان مقدراً للثورة، التي بدأت تماماً في الوقت الذي كان فيه نزاع الموصل قد وصل إلى مرحلة حاسمة، أن تلقي بظلها الثقيل على المطالب المتباينة لبريطانيا العظمى وتركيا في ذلك الإقليم. فقد أضعفت إلى حد كبير المطالب التركية بذلك الإقليم ذي الغالبية السكانية الكردية، وكادت تقوض موقف الحكومة التركية. بالمقابل، فقد منحت قوة فريدة من نوعها للحجج

(1) شيركوه، المسألة الكردية، 31، م س رقم 39؛ رامبو، 26، م س رقم 213؛ ث. بدرخان، حالة كردستان في مواجهة تركيا، 46 a، م س رقم 22.

البريطانية ووفرت دعماً لا يقدر بثمن للموقف البريطاني وهي حقيقة أثارت، ولا شك، الهواجس التركية، وحملت الترك على اتهام البريطانيين بالتسبب في إشعال نار الثورة. وبقدر ما يتعلق الأمر بالقومية الكردية، لم يكن لهذه الثورة أن تحدث في توقيت أكثر ملاءمة من ذلك التوقيت. فقد أضفت لبوساً درامياً مؤثراً في التطلعات القومية للكرد في وقت كانت فيه كل الأعين مسمّرة على كرد ولاية الموصل. وبالرغم من أن الثورة فشلت في تحقيق أهدافها في تركيا، فقد جنبت تلك المحوطةَ الكرديةَ العظيمة في العراق الهيمنةَ التركية.

اندلاع الثورة

اندلعت الثورة في آذار/ مارس، عام 1925، في وقت كانت فيه لجنة عصبة الأمم تجري استطلاعاً للرأي في ولاية الموصل جنوب ما يسمى بـخط بروكسل لتقرير فيما إذا كان السكان يفضلون البقاء ضمن الدولة العراقية الناشئة حديثاً أم فيما إذ كانوا يؤيدون الانضمام إلى تركيا. لقد اندلعت الاضطرابات، كما أوضح توينبي (Toynbee) بعد سنتين، شمال الأرض المتنازع عليها تماماً، «في مناطق كانت فيها السيادة التركية آنذاك سيادة مطلقة.»[1]

قاد الشيخ سعيد البيراني، أحد شيوخ طريقة الدراويش النقشبندية، التمرد الجديد،[2] وكان يتمتع بنفوذ عظيم في المناطق المحيطة، ليس فقط بسبب القداسة المتوارثة المنسوبة إليه، ولكن أيضاً بسبب علاقات المصاهرة

---

(1) توينبي، 507، م س رقم 260.

(2) بالنسبة إلى معظم المصادر فإن زعيم هذا التمرد معروف بالشيخ سعيد البيراني؛ قلائل، مع ذلك، ينسبونه إلى مناطق أخرى غير بيران. توينبي، 507، م س رقم 260؛ روندو، «قبائل جبليي آسيا الوسطى...»، 48، م س رقم 227، يسمونه الشيخ سعيد البالوي. كرال يسميه الشيخ سعيد الگنجي. انظر أوغست ريتّر فون كرال، بلاد كمال أتاتورك، 21 (بالإنكليزية، مرجع 118).

التي كان يقيمها مع جيرانه من زعماء القبائل الكردية، ولا سيما مع عشائر زازا (ظاظا) من سكان مرتفعات دَرْسِيم.[1]

لقد أكد عدد من الكتاب أنه، وعلى الرغم من أن الشيخ سعيد كان الزعيم الأوحد للتمرد، فقد كان مجرد واحد من كثيرين ممن حملوا هذه الفكرة ووضعوها موضع التطبيق. بالنسبة إليهم، فقد كانت الثورة حصيلة خطة موضوعة بعناية رسمها عددٌ من القوميين الكرد، إذ كان قد أُسِرَّ بهذه الخطة إلى العقيد خالد بگ، أحد زعماء قبيلة الجبرانلي الكبيرة.[2]

كان تاريخ 21 آذار/ مارس، عام 1925، قد حُدِّدَ كموعد للانتفاضة الشاملة. مع ذلك، فقد اندلعت الثورة قبل أوانها في 7 آذار/ مارس بأربعة عشر يوماً.[3] لقد أسهم التغيير غير الموفق لبرنامج التمرد في إرباك الخطط العسكرية الكردية إرباكاً شديداً. لا يتعلق الأمر هنا بأن مختلف مراكز المقاومة لم تكن على دراية باندلاع الأعمال العدائية، وبالتالي لم تكن قادرة على

(1) توينبي، 507–8، م س رقم 260. للاطلاع على تاريخ موجز عن عائلة الشيخ سعيد، انظر روندو، «قبائل جبليي آسيا الوسطى...»، 48، م س رقم 227.

(2) ث. بدرخان، 46، م س رقم 22؛ شيركوه، المسألة الكردية، 32، م س رقم 39؛ رامبو، 26، م س رقم 213؛ الرابطة الكردية، مذكرة حول وضع الكرد، 11 (بالإنكليزية، مرجع 122).

(3) لقد تردد بأن الاندلاع المشؤوم للتمرد قد حدث عندما اشتبكت كتيبة من الجنود الترك مع عدد من أنصار الشيخ سعيد. ث. بدرخان، 462، م س رقم 22؛ شيركوه، المسألة الكردية، 32، م س رقم 39؛ رامبو، 26، م س رقم 213. يزعم سفرستيان بأن الانتفاضة المبكرة جرى التحريض عليها عمداً من قبل الترك: «ولكن نظراً للجاسوسية الناجحة فقد أحبط الترك التحرك. جرى استدعاء الشيخ سعيد إلى مقر الحاكم التركي ولكن، نظراً لارتيابه بمكيدة ما، فقد دعى مرافقيه، بضع مئات من الرجال الأشداء، للانتفاضة في 7 آذار/ مارس، عام 1925 بدل 21 آذار/ مارس، حسبما هو مقرر.» سفرستيان، الكرد وكردستان، 82–83، م س رقم 230.

النهوض بشكل متزامن وحسب، لكن الضباط المعينين لتوجيه العمليات العسكرية في قطاعات محددة لم يكونوا قادرين على الالتحاق بوحداتهم في الوقت المناسب.[1]

انتشرت الثورة بسرعة، وتقدم الثوار في عدد من المدن الرئيسة. نجحوا لبعض الوقت في احتلال دياربكر وارغانة وملاطية ومراكز أخرى،[2] لكن بدا وكأن الثورة قد فقدت زخمها الأولي بعد هذه الانتكاسات. مع ذلك، وعلى الرغم من كبح جماح انتشار الثورة، فقد كانت الثورة بعيدة عن كونها قد وضعت تحت نطاق السيطرة. في الارتفاعات العالية، حيث كانت تجري معظم الأعمال القتالية، كان الوقت لايزال مبكراً جداً كي تسمح الأحوال الجوية بتحرك مجموعات كبيرة من الرجال والمعدات الثقيلة. لقد كانت الممرات الجبلية مغطاة بالثلوج والطرق البدائية النادرة كانت تستخدم ضمن ظروف بالغة الصعوبة.[3]

قمع التمرد

كانت الاعتبارات الإستراتيجية اللوجستية تشير إلى ضرورة إيجاد مدخل للوصول إلى أراضي المتمردين المحصنة وراء حواجز جبلية منيعة يصعب اجتيازها. الجواب كان يكمن باستخدام سكة حديد بغداد التي كان جزء منها يمر في سوريا. بالتالي، فقد طلبت الحكومة التركية الإذن من السلطات الفرنسية في سوريا لاستخدام الجزء السوري من سكة الحديد لنقل

(1) شيركوه، المسألة الكردية، 31، م س رقم 39؛ رامبو، 13-14، م س رقم 213؛ سفرستيان، 83، م س رقم 230.

(2) توينبي، 509، م س رقم 260. يقول سفرستيان بأن المتمردين نجحوا في احتلال الجزء الجنوبي من دياربكر. سفرستيان، 83، م س رقم 230.

(3) توينبي، 509، م س رقم 260.

القوات والإمدادات التركية. تم منح الإذن استناداً إلى المادة 10 من الاتفاق الفرنسي - التركي بتاريخ 20 تشرين الأول/ أكتوبر، عام 1921.[1]

في الأسبوع الأخير من شهر آذار/ مارس، عام 1925، جرى شن هجوم تركي معاكس ضد المتمردين،[2] إذ يبدو أن خطة الأركان العامة التركية قد لحظت تنفيذ حركة التفافية ضخمة لمنع الكرد من التفرق هنا وهناك، ومن ثم تجميع فلولهم مجدداً ضمن مجموعات صغيرة متنقلة قادرة على شن حرب كر وفر.[3] نجح الترك في استدراج القوة المتمردة الرئيسة إلى القتال في 8 نيسان/ أبريل، عام 1925. وفي اشتباك حاسم جرى خوضه في منطقة جباقجور، تم إلحاقُ هزيمة ساحقة بجيش المتمردين.[4] بعد ذلك بفترة

---

(1) هذه الاتفاقية تعرف أيضاً باتفاقية فرانكلين-بويّون (Franklin-Bouillon) لعام 1921. لقد أكدت المصادر الكردية والمؤيدة للكرد الميزة الحاسمة التي اكتسبها الترك من خلال استخدامهم للجزء السوري من سكة حديد بغداد. انظر، كمثال، ث. بدرخان، 48، م س رقم 22. م س رقم 22. شيركوه، المسألة الكردية، 32، م س رقم 39؛ رامبو، 26، م س رقم 213؛ سفرستيان، 83، م س رقم 230. عام 1927، توينبي، مع ذلك، أشار إلى أنه قبل أن تسنح الفرصة لهذه التعزيزات التركية لأن تؤثر في الوضع العسكري، كانت محاولة الشيخ سعيد الفاشلة للاستيلاء على دياربكر قد أضعفت إلى حد كبير من قدرات الثوار. بحسب توينبي، فقد شكلت هذه المحاولة، التي كلفت الثوار خسائر فادحة، منعطفاً في مسار الأمور. توينبي، 509، م س رقم 260.

(2) التايمز (لندن)، 28 آذار/ مارس، عام 1925؛ مذكورة في توينبي، 509، م س رقم 260.

(3) التايمز (لندن)، 1 نيسان/ أبريل، عام 1925؛ مذكورة في توينبي، 509-10، م س رقم 260.

(4) توينبي، 510، م س رقم 260. توينبي أشار إلى البيان العسكري التركي الذي ظهر في أوريِنتي موديرنو (الشرق الحديث)، 5: 339-40، وفي التايمز (لندن)، 13 نيسان/ أبريل، وفي لو تان (الزمان)، 13 نيسان/ أبريل.

وجيزة، في 21 نيسان/ أبريل، تم الاستيلاء على مدينة گنج، وتم أسر الشيخ سعيد مع أربعة وثلاثين من أهم أنصاره، وألقى بقية المتمردين سلاحهم.[1]



الشيخ سعيد ومعاونوه في أسر قادة فرقة الجيش التركي الثانية عشرة، واسماعيل حقي بگ، حاكم گنج (واقفاً في الخلف معتمراً الطربوش). بترخيص من مالميسانز (محمد طيفون).

صاحبت عملية قمع التمرد وأعقبتها سلسلة من المحاكمات الميدانية والترحيلات الجماعية والإجراءات العقابية القاسية[2] التي كان مقدراً لها أن تكسر روح المقاومة الكردية وتستأصل آخر آثار المعارضة للحكم التركي؛ يبدو بأن المراد من هذه الإجراءات أن تكون درساً لا ينسى قطّ. لعلّ العدد

---

(1) توينبي، 510، م س رقم 260.

(2) النقيب آرمسترونغ، الذي خدم كملحق عسكري بريطاني في تركيا، أعطى صورة قاتمة للجزاء الذي أنزل بالكرد في أعقاب التمرد. هارولد آرمسترونغ (النقيب)، الذئب الرمادي، مصطفى كمال: دراسة وثيقة لديكتاتور، 265 (بالإنكليزية، مرجع 8).

الحقيقي للقتلى أو المُرَحَّلين والبيوت والقرى المدمرة لن يعرف قطّ. وبالاستناد إلى مصادر كردية، فقد وصلت الخسائر في صفوف المدنيين وممتلكاتهم إلى 206 قرى مدمرة و8.758 منزلاً محروقاً و15.206 قتلى من رجال ونساء وأطفال.[1] بعد سنتين من هذا التمرد زعم ثريا بدرخان أن مليون كردي قتلوا أو رُحّلوا.[2] وبعد خمس سنوات، زعم شيركوه، بالمقابل، أن أكثر من 500.000 جرى ترحيلهم خلال شتاء 1925-26 و1926-27 و1927-1928، وأن أكثر من 200.000 من هؤلاء المرحلين فقدوا حياتهم في إطار ترحيلهم القسري إلى الأناضول الغربية.[3] هذه المصادر ذاتها زعمت أن الكرد تكبدوا 2.400 إصابة ميدانية بين قتيل وجريح في حين تكبّد الترك 50.000 إصابة بين قتيل وجريح. وقد ذكر بأن الحملة كلفت الخزينة التركية 60 مليون ليرة تركية.[4]

محاكمة قادة التمرد وإعدامهم

عدد من المحاكم العرفية جرى تشكيلها تحت مسمى «محاكم الاستقلال» في أعقاب قمع التمرد. أشهر هذه المحاكمات كانت تلك التي حاكمت الشيخ سعيد وقادة التمرد الآخرين. في سياق هذه المحاكمة، التي افتتحت في دياربكر في 27 أيار/ مايو واستمرت حتى 28 حزيران/ يونيه، قام

---

(1) تحليل مفصل لهذه الأرقام موجود في شيركوه، المسألة الكردية، 49-52، م س رقم 39. ملخص لهذه الأرقام عينها يمكن إيجاده في رامبو، 28، م س رقم 213. هذه الأرقام تشمل الإصابات الحاصلة بين 1925-1928.

(2) ث. بدرخان، 25-23، م س رقم 22. هذا الرقم، بالرغم من كونه يبدو مرتفعاً للغاية، يعطي دليلاً على عدد الذين قتلوا وعدد من نجوا.

(3) شيركوه، المسألة الكردية، 33، م س رقم 39.

(4) م ن، 32-33. راجع ث. بدرخان، 48، م س رقم 22.

النائب العام وكبير القضاة باتخاذ عدد من الإجراءات الطريفة، إذ بدأ النائب العام اتهامه بالكلمات التالية:

> **إن أسباب وأصول الثورة الأخيرة التي اندلعت في الأقاليم الشرقية من أرض الآباء والأجداد التركية الأبدية لا تختلف بشيء عن تلك التي حدثت في ماض ليس ببعيد وأدت إلى نشوء البوسنة والهرسك، يحاذيها من جهات ثلاث أعراقٌ غيرُ تركيةٍ وغيرُ إسلامية، مع أولئك الذين، بالرغم من أخوة خمسة قرون، حضوا الألبان على طعن الترك من الخلف في أثناء حرب البلقان، الترك الذين أظهروا على الدوام أكبر قدر من المودة تجاه أبناء بلدهم. الفكرة والهدف من وراء الثورة الكردية هما الفكرة ذاتها والهدف ذاته اللذان أفسدا سوريا وفلسطين.**[1]

في خلاصة موجزة للقضية ضد المتهمين، كان رئيس المحكمة يخاطبهم قائلاً: «بعضكم أغرته دوافع الأنا الشخصية، وبعضكم الآخر النصيحة الأجنبية ونوازع الغيرة السياسية، لكنكم جميعاً بدأتم الثورة بدافع إنشاء دولة كردية مستقلة. على منصة الإعدام ستدفعون ثمن البيوت المدمرة وأنهار الدماء التي أرقتموها.»[2]

بختام المحاكمة، في 28 حزيران/ يونيه، عام 1925، حُكِمَ على ثلاثة

---

(1) الرابطة الكردية، مذكرة حول وضع الكرد، 12، م س رقم 123؛ راجع رامبو، 27، م س رقم 213؛ نشرة مركز الدراسات الكردية (*Bulletin du Centre d'Études Kurdes*)، عد. 2 (1948)، 9 (بالفرنسية).

(2) ث. بدرخان، 53، م س رقم 22. يفهم من هذا الاقتباس أنه من صحيفة الوقت التركية عد. 28 حزيران/ يونيه، عام 1925. راجع رامبو، 27، م س رقم 213؛ الرابطة الكردية، مذكرة حول وضع الكرد، 12، م س رقم 123؛ نشرة مركز الدراسات الكردية، م س،9 ؛ مالك، 18 (بالعربية، مرجع 304).

وخمسين قائداً كردياً بالموت، وجرى تنفيذ الأحكام في الحال.[1] بالإضافة إلى الشيخ سعيد، شملت الإعدامات سيد عبد القادر، نجل الشيخ الشهير عبيد الله؛ عضو مجلس شيوخ سابق ومسؤولاً عثمانياً رفيع المستوى؛ وثمانية شيوخ آخرين. وقد صدرت الأوامر بإغلاق كل التكايا الصوفية في الولايات الشرقية.[2]

أعقب إعدامات الزعماء الكرد في دياربكر فاصلٌ ثوري دمويٌ مقتضب. فقد تحدثت التقارير عن اضطرابات جديدة في بدليس وموش وفي منطقة هكّاري الشمدينانية.[3] الشيخ عبيد الله، نجل الشيخ عبد القادر نهري (الذي كان من بين أولئك الذين نفذ بهم حكم الإعدام في دياربكر)، هب لينتقم لمقتل والده، وتردد بأنه حقق بعض النجاح في البداية، لكنه، بالرغم من ذلك، تعرض لهزيمة منكرة في آب/ أغسطس، وفرّ عبر الحدود إلى العراق برفقة مئتي عائلة كردية.[4] أحد أبناء الشيخ سعيد وأحد أشقائه أرغما أيضاً على طلب اللجوء إلى العراق.[5] الإجراءات القمعية امتدت لتطاول مختلف القبائل الكردية في جنوب شرق تركيا بالإضافة إلى بقايا المسيحيين الكلدان واليعاقبة في الجزء عينه من البلاد.[6]

---

(1) توينبي، 510، م س رقم 260. راجع ث. بدرخان، 53، م س رقم 22؛ رامبو، 26، م س رقم 213؛ الرابطة الكردية، مذكرة حول وضع الكرد، م س، 9.

(2) توينبي، 510، م س رقم 260. في 2 أيلول/ سبتمبر، عام 1925، أصدر المجلس الوطني الكبير مرسوماً يقضي بإغلاق التكايا والزوايا والترب وحظر الجمعيات كافة في أنحاء الجمهورية كافة. توينبي، 72-73، م س رقم 260.

(3) م ن، 511.

(4) بريطانيا العظمى، مكتب المستعمرات، تقرير وجهته حكومة جلالة ملك بريطانيا إلى مجلس عصبة الأمم حول إدارة العراق للعام 1925، 12 (بالإنكليزية، مرجع 320).

(5) م ن.

(6) بحسب لونگريگ، فإن العناصر المختلفة التي تفر من أمام الجيوش التركية وتلوذ بالعراق في أثناء الجزء الأول من العام 1926 كانت تشمل التالي: عدد غير محدد =

أشار توينبي إلى أنه، وعلى الرغم من أن الحكومة التركية أظهرت قدراً لايستهان به من القدرة والمهارة في قمع التمرد، إلّا أنها أظهرت أيضاً قدراً لايستهان به من سوء التقدير والافتقار إلى الحكمة السياسية مع الكرد ومظالمهم فيما بعد. لم يقدم الترك أية تنازلات فيما يخص الطموحات القومية الكردية واستأنفوا بعزيمة متجددة سياسات التمركز والعلمنة وتمثل الثقافة التركية وثقافة الغرب – السياسات ذاتها التي كانت قد أدت إلى اندلاع الثورة.[1]

أسباب تمرد عام 1925

وجهة نظر الحكومة التركية. وصفت الحكومةُ التركية تمرُّدَ الشيخ سعيد كحركة رجعية انتكاسية يقودها زعماءُ قَبَلِيُّونَ ظُلاميّون ومتزمتون جهلة. لم يكن هؤلاء الزعماء، كما زعمت الحكومة، راغبين بالتخلي عن حقوقهم الموروثة التي كانت عرضة لخطر الانقراض من قبل إصلاحات مصطفى كمال التقدمية المتطلعة نحو المستقبل. من جهتها، المصادرُ الرسمية التركية زعمت أيضاً أن البريطانيين كانوا قد حرضوا على التمرد الكردي، لكن هذه القضية سيتم التطرق إليها لاحقاً.

مهما كان مقدار الحقيقة التي قد تكون كامنة في هذه الاتهامات، فقد كان من الواضح تماماً أن من مصلحة الحكومة التركية التأكيد على الجوانب الرجعية والدينية أكثر منها على الجوانب القومية للتمرد. سنستذكر لاحقاً بأن

= من الميرانيين؛ عشرة آلاف گوياني؛ ألف مسيحي من منطقة طور عبدين؛ وما يقرب من عشرة آلاف أزتوشي.» لونگريگ، العراق، 1900–1950، 157، م س رقم 141. راجع توينبي، 511، م س رقم 260.

(1) توينبي، 510–11، م س رقم 260.

الحكومة التركية كانت حينها تسعى لاسترداد ولاية الموصل، وهو حدث كان يعتمد كلياً على قبول شتى الجماعات الكردية لذلك الإقليم ورضاها، وموافقة عصبة الأمم. كان للاعتراف الرسمي للحكومة التركية بالشخصية القومية للتمرد الكردي أن يقوض الحجج التركية بشكل كامل، ولم يكن بوسع الترك الاعتراف تماماً بأن الكرد شمال خط بروكسل كانوا متورطين في صراع دموي لاستقلالهم ضد الجيش التركي، في الوقت الذي يؤكدون فيه أن الكرد جنوب ذلك الخط كانوا تواقين لإعادة الانضمام إلى الدولة التركية.[1]

كان للحكومة التركية حافزٌ هامٌ آخر لإضعاف الشخصية الرجعية للتمرد الكردي. فقد منح النظامَ فرصةً ممتازةً لتوجيه ضربة قاضية لمناوئيه. فكل أولئك الذين كانوا بطريقة أو بأخرى معارضين لمصطفى كمال ومستائين منه ومن سياساته كانوا متهمين بالتآمر مع المتمردين. أُخضِعَ هؤلاء لإجراءات قمعية مختلفة حتى أنهم جُلِبوا أمام محاكم الاستقلال السيئة الذكر. بهذه الطريقة، تم إسكات الأصوات المعارضة والإجهاز على المعارضة[2].

الجدل حول طبيعة الثورة. يبدو أنّ عدداً من الكتاب قد قبلوا وجهة نظر

(1) توينبي، وفي سياق مناقشته لهذه القضايا مطولًا، أشار إلى أن المصادر الرسمية تجشمت عناءً خاصاً للتأكيد على الجوانب الرجعية والدينية للتمرد. واقتبس كأمثلة حديثاً ألقاه عصمت باشا في المجلس الوطني الكبير في 7 نيسان/ أبريل، عام 1925؛ ومقالة كتبها حلمي بگ، والي معمورة العزيز، لجريدة طنين في 11 نيسان/ أبريل، عام 1925؛ والتقرير الرسمي لمحاكمة الشيخ سعيد، م ن، 508، الحاشية 3.

(2) تساءل توينبي بجدية عن شرعية التهم المُساقة ضد أفراد المعارضة. اقتبس مثال حسين جاهيت بگ، المحرر المعروف لصحيفة طنين، الذي اتهم بنشاطات رجعية، حوكم من قبل محاكم الاستقلال وحُكم عليه بالنفي الدائم. أشار توينبي إلى أن حسين جاهيت بگ لطالما كان مُستغرِباً قوياً مشرباً بالثقافة الغربية. في رأيه، لم يكن هنالك أي دليل لإثبات أن حسين جاهيت بگ أو باقي أعضاء المعارضة كانوا مسؤولين عن تمرد الشيخ سعيد، م ن.

الحكومة التركية، ليس فقط بخصوص الطبيعة الرجعية للثورة، ولكن أيضاً بخصوص الصلات المزعزعة للمعارضة مع المتمردين. أما بالنسبة إلى أوغست ريتّر فون كرال (August Ritter von Kral) فقد تبيّن:

أنَّ الزعماء، بقيادة الشيخ سعيد الگنجي، غرب بحيرة ڤان، كانوا على صلة مع الأصدقاء الشخصيين للخليفة الراحل، ومع المُطالب بالعرش زوراً وبهتاناً الأمير سليم، الذي كان يعيش في سوريا قرب الحدود. كان متوقعاً للتمرد، باستخدام صرخة النفير «هبوا للدفاع عن الدين المهدد بالخطر» أن ينتشر انتشار النار في الهشيم في أنحاء الأناضول الغربية ويؤدي في النهاية إلى احتلال العاصمة. لكنه لم يكن قادراً على الانتشار أبعد من الولايات المحيطة بمركز التمرد.[1]

كاتب آخر كان حتى أكثرَ صراحةً وأقلَّ تحفظاً. في سياق حديثه عن الجماعة المناوئة للإصلاح، صرح السير ألكساندر تيلفورد وو (Sir A. Telford Waugh) عام 1930: «شكلوا حزباً جديداً أطلقوا عليه اسم الحزب الجمهوري التقدمي. النفوذ الذي مارسه هذا الحزب يمكن قياسه من خلال رسالة كتبت للشيخ سعيد ينص مضمونها على أن حزب كاظم قره بكر سوف يدعم المتمردين. في الحقيقة، لقد استمد تمرد الشيخ سعيد التشجيع من الحزب الديني.»[2]

يبدو بأن جنتيزون (Gentizon)، الذي كتب بُعيد قمع تمرد الشيخ سعيد مباشرة، قد اعتبر التمرد بمثابة صراع بين الرجعية والتقدم: «الأسباب الحقيقية التي أنتجت التمرد الكردي هي أسباب ذات طبيعة إدارية ودينية. الحركة كانت في الوقت ذاته رد فعل للإقطاع الكردي ضد الدولة وصراعاً بين

(1) كرال، 21، م س رقم 118.

(2) السير ألكساندر تيلفورد، وو، تركيا: الأمس واليوم وغداً (بالإنكليزية، مرجع 267).

تركيا القديمة المتعلقة كما كانت بالتقاليد الإسلامية القديمة وتركيا الجديدة العلمانية والتقدمية.»[1]

فقد أشار جنتيزون بأن المصاعب الإدارية كانت قد نشأت عن تأثير الإصلاحات ذات النمط الغربي على كردستان الإقطاعية المرهقة بالفقر والغضة سياسياً، لذلك شبه التمرد الكردي بالثورة المضادة عام 1908 وسماه بانفجار التعصب. بالنسبة إليه، فقد كان الشيخ سعيد، الذي لوح براية الإسلام الخضراء، مصمماً على إعادة بسط الشريعة الاسلامية.[2]

يتخذ رامبو (Rambout) موقفاً معارضاً من تأكيدات جنتيزون، مشيراً إلى أنه في أثناء محاكمة الشيخ سعيد ورفاقه، أوضح كل من النائب العام ورئيس المحكمة أن القومية شكلت حافزاً هاماً من حوافز التمرد.[3] وكما هو متوقع، تؤكد معظم المصادر الكردية، وتلك المؤيدة للكرد على الحوافز القومية وليس الدينية والرجعية للتمرد.

عام 1927، أعرب توينبي عن شكوك جدية حيال إمكانية البت يقيناً في مسألة أيِّ الحافزين أقوى: الديني والرجعي، من جهة، أم القومي، من جهة أخرى. وأشار إلى صعوبة تكوين رأي غير متحيّز نظراً لحقيقة أن كلّ المعلومات بخصوص التمرد أو معظمها كانت حينها مستقاة من مصادر تركية، كما أن الحكومة التركية كان لها بعض الأسباب القاهرة التي تحملها على التعتيم إلى الحد الأدنى على الجوانب القومية للانتفاضة وتسليط الضوء الساطع على الجوانب الدينية والرجعية.

(1) بول جنتيزون، «التمرد الكردي»، 834-56 (بالفرنسية، مرجع 87).

(2) م ن، 841-43.

(3) يقارن رامبو بين تصريح جنتيزون وتصاريح النائب العام للمحكمة، ويتساءل بسخرية: «هل السيد جنتيزون أوسع اطلاعاً من القضاة؟» رامبو، 27، م س رقم 213.

في سياق مناقشة هذه القضية، صرح توينبي في مرحلة ما قائلاً: «هنالك مع ذلك بعض القرائن على أن الحافز الرجعي والتعصبي وراء التمرد الكردي كان أقوى من الحافز القومي.»[1] لكنه عاد وناقض نفسه تقريباً أمام قرائن أخرى أكثر صدقية:

> **من جهة أخرى، يجدر التنويه إلى أن التمرد لم ينتشر بين ترك أرضروم وطرابزون وصمصون، الذين كانوا على المستوى ذاته من التخلف والرجعية كجيرانهم الكرد، والذين لم يتوانوا لاحقاً (في تشرين الثاني/ نوفمبر عام 1925) عن النهوض من تلقاء أنفسهم في وجه الإصلاحات ذات النزعة الغربية لحكومة أنغورا. ووجهة النظر القائلة بأن التمرد وقمعه خلقا صراعاً بين القوميين الكرد والترك، وليس صراعاً بين الرجعية والتقدم، تدعمها المعلومة التالية التي تلقاها كاتب هذه الدراسة من صديق تركي يتبوأ مركزاً يؤهله للاطلاع على الحقائق: «عندما دخل المتمردون مدينة خاربوط (معمورة العزيز/ إلازيغ) قوبلوا بمعارضة العناصر كافة في المدينة تحت قيادة نوري أفندي، مرشح الحزب التقدمي في الانتخابات الفرعية. في الحقيقة، فقد جرى طرد المتمردين الكرد خارج مدينة خاربوط، في اليوم التالي لدخولهم، من قبل أعيان المدينة وبقية سكانها المنتمين إلى حزبين سياسيين مختلفين. وباعتبار أن ولاية إلازيغ (عمارة العزيز) هي إحدى أكثر الولايات تعصباً في شرق الأناضول، فإن موقف أبناء هذه الولاية يشكل دليلاً ملموساً على أن هوية التمرد لم تكن دينية على الإطلاق وأن حزب المعارضة (التركية) لم يكن له أي علاقة إطلاقاً بالمتمردين.[2]**

---

(1) توينبي، 508 الحاشية 3، م س رقم 260.

(2) م ن، 508-9.

يجدر التنويه هنا إلى أن توينبي قدم نتائج بحثه حول هذا الموضوع بأسلوب أكثر إيجازاً وأقل تفصيلاً في عمل آخر.[1]

دور القومية والدين في التمرد. بالرغم من التفسيرات لحوافز الكرد، فقد جاء التمرد الكردي عام 1925 نتاجاً للأسباب القومية والدينية، إذ لطالما كان الكرد عموماً متعلقين بقوة بقوميتهم. لقد أدى انتشار الأفكار والمفاهيم العصرية للقومية العقائدية في أوساطهم وظهور جيل جديد من القوميين المتشددين إلى جعلهم أكثر حساسية تجاه أي محاولة لإرغامهم على التخلي عن قوميتهم. لهذا السبب، فقد مقتوا وقاوموا نشاطات قمع القومية الكردية وحظر اللغة الكردية، كما عارضوا محاولات فرض اللغة والثقافة التركية لأن الكردي، حسبما يوحي المصطلح، سيكون مقدراً له أن يتحول إلى تركي؛ وهذا كان بالطبع مساوياً لإصدار الأمر للكردي بالكف عن كونه كردياً وبانتحال شخصية جديدة. كذلك فإنّ عقم مثل هذه المحاولة وعدم جدواها في زمن المد الثائر للقومية هو من الوضوح بحيث إنه لم يكن بحاجة لأي توسع أو إسهاب في الشرح.

مما لا شك فيه أن سياسات العلمنة والتغريب التركية، على الرغم من عدم الاعتراض عليها من قبل المثقفين الكرد، كانت سياساتٍ ممقوتة وبغيضةً لعموم الشعب الكردي. وكان الزعماءُ الدينيون والقبليون بخاصة شديدي المعارضة لهذه السياسات التي كانت تخالف أغلى وأقدس معتقداتهم وتتهدد بالخطر امتيازاتهم الموروثة. لقد شكل حظرُ الخلافة والشريعة من قبل زعماء تركيا الجديدة في نظر الكرد الورعين الأتقياء فصماً لعرى الإخاء الإسلامي العريقة والغالية بين الكرد أنفسهم وبينهم وبين الترك؛ وقد شعروا بأنه لم يعد

(1) توينبي وكيركوود، 264-73، م س رقم 261.

هنالك أي قاسم مشترك يجمعهم مع أصحاب هذه البدع التي لا تمت بصلة إلى الورع والتقوى، الذين سلخوا أنفسهم بهذه الأباطيل عن بقية المؤمنين. الأمر غير المفهوم بالنسبة إليهم هو أن هذه الحكومة الغريبة المرتدة تقول لهم الآن بأنهم من الآن فصاعداً سيكونون تركاً، وليس كرداً، وكأن الحكومة تطالبهم بالتخلي عن هويتهم القومية وعقيدتهم والانضمام إلى جوقة المرتدين الظَلَمَة، لكنهم لم يكونوا ليخضعوا لمثل هذا الإملاء.

وهكذا كان، إذ إنّ شعوراً إسلامياً قوياً جاء ليشكل مكوناً هاماً من مكونات القومية الكردية. لكن بالرغم من أن غالبية القوميين قد لا يكونون يشاركون الآخرين في هذا الاهتمام والقلق المفرط حيال الدين، فهنالك قدر من الشك بأنهم شجعوا ودعموا الهوية الدينية للكرد، التي وعدت بتوحيد أبناء بلدهم في زمن الأزمات القومية الكبرى؛ والقول بأنهم لم يتوانوا لحظةً عن تسخير هذا بقوة لخدمة قضيتهم هو أمر مفهوم تماماً، خصوصاً أنه لم تكن المرة الأولى التي يتم التلاعب فيها بالدين؛ فالترك أنفسهم لطالما استخدموا الدين كعامل تقسيم ووحدة، وفاقاً للطريقة التي تناسب مقاصدهم.

اتهامات بالتحريض البريطاني

مسألة جدلية أخرى هي الاتهام بأن التآمر البريطاني كان وراء التمرد الكردي، هذه التهمة التي ما برحت تتكرر وتلقى المزيد من الآذان الصاغية. فالترك، كما هو متوقع، كانوا أول من عبر عن ذلك، لكن مصادر متنوعة فيما بعد تلقفت ذلك وتداولته وروجت له على نطاق واسع.

واستناداً إلى آرمسترونغ (Armstrong)، فقد اتهم مصطفى كمال في نوبة غضب البريطانيينَ بالوقوف وراء التمرد، وأنهم كانوا يزودون الثوار بالسلاح والإمدادات، وقد كرر كمال هذه الاتهامات في المجلس الوطني الكبير:

لكن ما فاقم الأمور هو أن البريطانيين كانوا وراء ذلك كله،... لطالما استخدمت بريطانيا الكرد لأذية تركيا؛ في الحرب العالمية أرسلت عميليها، لورنس ونوئيل، لحفزهم على طعن تركيا في الظهر؛ وفي معاهدة سيڤر كانت قد وعدت أن تمنحهم دولة مستقلة؛ عملاؤها وجدوا هناك ثانية هذه المرة، يسلحون القبائل ويحرضونهم.

إنكلترة كانت تريد الموصل ونفطها. الكرد كانوا المفتاح للوصول إلى الموصل ونفط العراق. كانت تستخدم هذه الضربة الخرقاء لإرغام الترك على التخلي عن الموصل.[1]

المصادر الرسمية السوڤياتية دعمت هذه الفرضية في وقت من الأوقات،[2] وعدد من الكتاب المتعاملين مع تركيا العصرية ألمحوا إلى ذلك في كتاباتهم.[3] لقد أنكر القوميون الكرد وخبراء الشؤون العامة البريطانيون هذه المزاعم.[4] يجدر التنويه هنا إلى أن الترك فشلوا في تقديم أية براهين مقنعة لدعم مزاعمهم. لكن مهما كانت حقيقة الأمر، فليس هناك من شك بأن البريطانيين قد أفادوا من الأحداث المؤسفة في كردستان التركية. لقد شكل تمرد الشيخ سعيد وقمع هذا التمرد عاملاً أساسياً في حسم نزاع الموصل لمصلحة بريطانيا.

---

(1) النقيب آرنولد آرمسترونغ، 225، م س رقم 8.

(2) تردد بأن العقل المدبر وراء تمردات أعوام 1925 و1930 و1937 كان المؤامرات الامبريالية وكانت موجهة ضد المصالح التركية والسوڤياتية. انظر «كردي» (بالروسية، مرجع 125)، هذه التهم، مع ذلك، لا تتكرر في الأعداد اللاحقة لـ الموسوعة الشعبية الروسية، التي تعكس بلا شك التغير في السياسة السوڤياتية حيال الترك والكرد كليهما، كما تمت مناقشته في الفصل 7.

(3) راجع، على سبيل المثال، كارل كروغر، تركيا الكمالية والشرق الأوسط (بالإنكليزية، مرجع 121).

(4) راجع الرابطة الكردية، مذكرة حول وضع الكرد، 11 ومابعدها، م س رقم 122 توينبي وكيركوود، 275-76، م س رقم 261.

الرابطة الكردية: خويبون

لم يضيّع قمع التمرد الكردي عام 1925 نهاية لمعاناة الكرد أو هواجس الترك. فقد ترافق ترحيل الكرد وأعقبه إجراءات قمعية وكيدية، بينما تواصلت الاشتباكات المتقطعة في الأقاليم الشرقية. وبحلول العام 1927 بات واضحاً جداً من تكرار هذه الأحداث وحجمها أن الكرد كانوا مستعدين لامتحان آخر من امتحانات القوة.[1]

في ربيع العام 1927، التقى المؤتمر الوطني الكردي فوق أحد جبال كردستان. وقد حضر هذا المؤتمر الذي أطلقه قوميون كرد من سوريا موفدون يمثلون مختلف المنظمات الحضرية والقبلية، بالإضافة إلى موفدين يمثلون مقاتلي الثورة الذين كانوا قد لاذوا في المعاقل الجبلية النائية.[2] اتفق الموفدون على عدد من القرارات الشاملة والطموحة. وقرروا حلَّ المنظمات القومية الكردية القائمة كافة ودمجها في منظمة واحدة: منظمة خويبون (وتعني الاستقلال)؛ ومتابعة النضال «حتى يغادر آخر جندي تركي الأراضي الكردية»؛ وإنشاء قيادة موحدة؛ وإقامة مستودعات إمداد ومخازن ذخيرة؛ ووضع حد للخلافات الكردية - الأرمنية؛ واعتبار مدينة كورد آوا في إقليم آگري داغ عاصمة إقليمية لكردستان. كما تقرر أيضاً السعي لإبرام تفاهم مع الحكومة الفارسية والأمة الفارسية «الشقيقة» وإقامة علاقات ودّية مع سلطات الانتداب في العراق وسوريا.[3]

---

(1) من أجل تفاصيل متعلقة بالاشتباكات في منطقة آگري داغ، انظر ث. بدرخان، 50-51، م س رقم 22. راجع إلفنستُن، «المسألة الكردية،» 96، م س رقم 71.

(2) ث. بدرخان، 54، م س رقم 22؛ شيركوه، المسألة الكردية، 34، م س رقم 39؛ الرابطة الكردية، مذكرة حول وضع الكرد، 12، م س رقم 122.

(3) ث. بدرخان، 54-55، م س رقم 22؛ شيركوه، المسألة الكردية، 34-35، =

في تشرين الأول/ أكتوبر، عام 1927، وفي اجتماع عقد في بيروت- لبنان، أعلن عن تشكيل منظمة خويبون بصورة رسمية.[1] جرى انتخاب الأمير جلادت بدرخان أول رئيس للجمعية.[2] واستناداً إلى الاتفاق المبرم في المؤتمر القومي الكردي، فقد حلت المنظمةُ الجديدة محل الجمعيات القومية الكردية السابقة كافة، التي حلت نفسها طوعياً واندمجت معاً لتشكل منظمة خويبون الجديدة.[3] كان تمرد آگري داغ الحصيلة المباشرة لنشاطات منظمة خويبون.

= م س رقم 39؛ الرابطة الكردية، مذكرة حول وضع الكرد، 2-13؛ إلفنستُن، «المسألة الكردية،» 96، م س رقم 71.

(1) إلفنستُن، «المسألة الكردية،» 96، م س رقم 71. بحسب ث. بدرخان، حدث الاجتماع خارج كردستان، وجرى الإعلان عن منظمة خويبون في 28 تشرين الأول/ أكتوبر، عام 1927. ث. بدرخان، 45، م س رقم 22. بحسب رامبو، 5 تشرين الأول/ أكتوبر، عام 1927، كان تاريخ إنشاء هذه المنظمة، لكن مكان الاجتماع غير معروف. رامبو، 29، م س رقم 213.

(2) إلفنستُن، «المسألة الكردية،» 96، م س رقم 71. لمعلومات حول جلادت بدرخان، انظر و.غ. إلفنستُن. «في الميموريام: الأمير جلادت عالي بدرحان،» مجلة جمعية آسيا الوسطى الملكية 39، جـ. 1 (كانون الثاني/ يناير، عام 1952)، 91-94 (بالإنكليزية، مرجع 70)؛ وبيير روندو، في ذكرى الأمير جلادت بدرخان (1893-1951)، تحرير منصور شليطا ويوسف مالك (بيروت لا ن، 1952) (بالعربية مرجع 221).

(3) شملت هذه المجموعات الأولى: كوردي تعالي (جمعية تعالي كردستان)، وكوردستان اجتماعي تشكيلاتي جمعيتي (جمعية التشكيلات الاجتماعية لكردستان)، وكورد ميليت فرقاسي (الحزب القومي الكردستاني). شيركوه، المسألة الكردية، 35، م س رقم 39؛ رامبو، 29، م س رقم 213.

تمرد آگري داغ لعام 1930

عينت منظمة خويبون إحسان نوري بگ، المعروف لاحقاً باسم إحسان نوري پاشا،[1] الرائد الركن السابق في الجيش التركي الذي كان قائداً لإحدى فرق الثورة في أثناء تمرد العام 1925، قائداً أعلى للقوات الكردية في آگري داغ. كما كلفت الجمعية إبراهيم پاشا حسكي تللو مهام الإدارة المدنية.

بحلول العام 1928، كان قد تم إنشاء دويلة كردية مصغرة في آگري داغ، كما تم تشكيلُ جيش صغير قوامه بضعة آلاف من المقاتلين الكرد المدربين والمجهزين جيداً، إضافة إلى ذلك إقامة ترسانات أسلحة ومستودعات إمداد، وجرى رفع العلم الكردي.[2] من الواضح أن ذلك شكل نواة الدولة الكردية المقبلة. من جهتها، لم تستطع السلطات التركية أن تتجاهل طويلاً هذه التطورات المشؤومة أو أن تبقى لامبالية حيالها، والأمر المفاجىء بما فيه الكفاية، أنها قررت أن تتبنى موقفاً توافقياً ولجأت مبدئياً إلى المفاوضات أكثر منه إلى استخدام القوة.

محاولات الوفاق التركية

تم وقف الترحيلات، وجرى الإعلان عن قانون جديد يتم بموجبه العفو عن الكرد كافة الذين يعلنون استسلامهم في خلال فترة ثلاثة أشهر من تاريخ إعلان القانون الجديد. كذلك فقد تم السماح للمُرَحَّلين كافة بالعودة

(1) كان إحسان نوري من سكان بدليس. لقب پاشا، بحسب شيركوه، أطلق عليه بالإجماع العام من جانب الأمة الكردية. شيركوه، المسألة الكردية، 35، م س رقم 39.

(2) م ن؛ رامبو، 29، م س رقم 213؛ الرابطة الكردية، مذكرة حول وضع الكرد، 13، م س رقم 122.

إلى بيوتهم، والعفو عن السجناء القوميين الكرد كافة. في الوقت ذاته، قامت السلطات التركية بمحاولات عديدة لإقناع الكرد بالتوصل إلى توافق، وجرى منح الصلاحيات لوالي بايزيد لبدء مفاوضات مع المتمردين في آگري داغ، كما تم إصدار التعليمات إلى بقية المسؤولين الترك للاتصال مع الزعماء الكرد بهدف التوصل إلى تسوية ودية. مع ذلك، فقد أثبتت كل هذه المحاولات عدم جدواها. لقد اتهم القوميون الكرد الترك بسوء النية، مؤكدين بأن الحكومة التركية لم يكن لديها أية نية في تقديم أي تنازل يرضي الطموحات القومية الكردية، وأنها كانت فقط تلعب بهدف كسب الوقت وتحاول بشتى الطرق الشيطانية إغراءهم لإلقاء السلاح.[1]

ولأنها أخفقت بتحقيق أية نتائج ذات شأن، قررت الحكومة التركية التفاوض بشكل مباشر مع إحسان نوري پاشا. وكونها وضعت هذا الهدف نصب عينيها، فقد أبلغت الزعيم الكردي بأن وفداً رسمياً سيكون بانتظاره في شيخلي كوپرو (جسر شيخلي)، مركز حدودي على بعد 30 ميلاً من بايزيد.[2] قبل إحسان نوري الدعوة وتوجه إلى الاجتماع في شيخلي كوپرو مع وفد مرافق قِوامُهُ ستون رجلاً من الخيالة. في أثناء الاجتماع، الذي ذكر بأنه عقد حوالى منتصف أيلول/ سبتمبر، 1928، عُرِضَ عليه عفواً عاماً يشمله شخصياً وأولئك الذين تحت إمرته، بالإضافة إلى عدد من المزايا الشخصية إذا ما قام

---

(1) شيركوه، المسألة الكردية، 36، م س رقم 39؛ رامبو، م س رقم 213؛ الرابطة الكردية، مذكرة حول وضع الكرد، 13، م س رقم 122.

(2) تشكل الوفد من الشخصيات التالية: عضوان من البرلمان التركي؛ والي قره كيليس؛ قائد الفوج التاسع عشر للجيش التركي؛ آمر درك الإقليم؛ وقئمقامية ديادين وبايزيد. شيركوه، المسألة الكردية، 36، م س رقم 39.

هو وأتباعه بإلقاء السلاح ومغادرة معاقلهم الجبلية.[1] الكتاب الكرد يزعمون بأن إحسان نوري رفض هذه العروض لأن الوفد التركي كان قد تجاهل تماماً الطموحات القومية الكردية.[2]

قمع التمرد

كونهم يئسوا من التوصل إلى تسوية وفاقية مع المتمردين الكرد المتمترسين في معاقلهم في آگري داغ، والذين باتوا يشكلون تهديداً خطيراً ومتنامياً، قرر الترك اللجوء إلى السلاح. في أيار/ مايو، 1930، كان فيلقان تركيان، الرابع والسادس، متمركزين بجوار آگري داغ بقيادة الجنرال صالح پاشا.[3] باشر الترك هجومهم في 11 حزيران/ يونيه، عام 1930، بهدف تدمير القوات الكردية المحتشدة في آگري داغ. وفي 15 حزيران/ يونيه، قامت القوات الوطنية الكردية بشن هجمات مضادة في تندارك وإيگدير وأرجيس وسيپان داغ وكاگسيمات وتشاتاك وڤان وبدليس. وبعد أن وجدت نفسها قد استدعيت على عجل لمواجهة الهجمات الكردية في عدة مواقع، باتت القوات التركية مرغمة على التخلي عن هجومها على آگري داغ، فاستمر القتال الشرس في العديد من المواقع حتى منتصف تموز/ يوليه تقريباً. زعم

---

(1) من بين المزايا الشخصية المقدمة لإحسان نوري پاشا كانت ترقيته إلى رتبة جنرال وتعيينه ملحقاً عسكرياً لأي عاصمة أوروبية يختارها.

(2) يقدم شيركوه تفاصيل حول رفض المقترحات التركية، ومن ضمنها مقتطفات من رسالة كتبها إحسان نوري پاشا للجنة المركزية لمنظمة خويبون. م ن، 36-38.

(3) إلفنستُن، «المسألة الكردية،» 96، م س رقم 71. شيركوه، المسألة الكردية، 38، م س رقم 39؛ رامبو، 30، م س رقم 213؛ الرابطة الكردية، مذكرة حول وضع الكرد، 13.

الكرد أنهم ألحقوا خسائر جسيمة بالقوات التركية،[1] لكن بالرغم من هذه المزاعم، فقد خسر الكرد المواجهة شيئاً فشيئاً.

في آب/ أغسطس وأيلول/ سبتمبر، عام 1930، شن الكرد سلسلة من الهجمات ضد القوات التركية في نقاط متعددة بعيداً نحو جنوب منطقة العمليات الرئيسة بهدف صرف أنظار العدو. تردد بأن القتال استعر في أماكن مثل جولامريك وسعرت (سيرت) وماردين وسيوريك وأورفة. يذكر أن أكثر هذه الهجمات حدة كانت هجوماً باتجاه دياربكر نفذته قوات كردية كبيرة في 2 أيلول/ سبتمبر، عام 1930.[2]

يبدو أنّ هذا الهجوم مثَّل آخرَ الجهود الكبيرة من جانب المتمردين الكرد. لقد استنفد التمردُ الآن مخزونَه من الزخم والقوة، وبدأ وزن التفوق بالأعداد والعدة يتكشف. وبعد أن باتت يدُهُم العليا، لم يتلكأ الترك في تأكيد أفضليتهم. فقد جدُّوا في أثر القوات المتمردة والقضاء عليها في أنحاء الأقاليم الشرقية كافة. أما الناجون منهم، فقد أرغموا على الفرار والتشتت، وقد التجأ إحسان نوري إلى إيران.[3]

لقد صاحب قمعُ التمرد وأعقبه إجراءات تأديبية قاسية، قيل إنها شملت

(1) ذكر بأن هذه الخسائر شملت أخذ 1700 أسير ومصادرة 60 رشاشاً و24 مدفعاً وكميات متنوعة من العتاد وإسقاط 12 طائرة ومقتل 2400 شخص وجرح أكثر من 4000. أما خسائر الكرد فشملت 900 قتيل و2400 جريح. شيركوه، المسألة الكردية، 39، م س رقم 39؛ راجع رامبو، 30، م س رقم 213. بحسب إلفنستُن، فقد أبلى الكرد بقيادة أحسان نوري باشا بلاءً حسناً وأوقعوا بالترك ما لا يقل عن 2000 إصابة. إلفنستُن، «المسألة الكردية،» 96، م س رقم 71.

(2) شيركوه، المسألة الكردية، 39، م س رقم 39؛ رامبو، 30، م س رقم 213.

(3) الرابطة الكردية، مذكرة حول وضع الكرد، 13. راجع إلفنستُن، «المسألة الكردية،» 96، م س رقم 71.

ترحيلات واعتقالات جماعية وإعدامات ميدانية.[1] فالقرى الكردية في المنطقة تعرضت للقصف والحرق وأعدادٌ كبيرة من الناس عانت من خسائرَ جسيمة.

كانت منظمة خويبون وفروعها ناشطة للغاية في الدفاع عن قضية الكرد في تركيا أمام الرأي العالمي، وتم إرسال وفد إلى جنيف بهدف إطلاع عصبة الأمم على محنة أبناء بلدهم. وقد تبنّت الأممية الثانية (التابعة للأممية العمالية الاشتراكية (Internationale Ouvrière Socialiste) في إحدى الجلسات آنذاك في زيوريخ، سويسرا، قراراً يحتج على القمع الوحشي للكرد في تركياومخالفة بنود اتفاقية لوزان. فيما يلي ترجمة لهذا القرار:

> **تلفت القيادة التنفيذية للأممية العمالية الدولية (IOS)انتباهَ العالم إلى المذابح التي تسعى الحكومة التركية من خلالها ليس فقط إلى تخفيض عدد الكرد المناضلين من أجل الحرية، وإنما أيضاً إلى إفناء السكان الكرد المسالمين الذين لم يشاركوا في التمرد، وبهذه الوسائل إنما يسعون لأن يفرضوا على الشعب الكردي المصير ذاتَه الذي لقيه الأرمن من دون أن يحتجَّ الرأيُ العالميُّ للبلدان الرأسمالية ضد هذه البربرية الدموية.**
>
> **كذلك فإن القيادة التنفيذية تلفتُ الانتباه إلى الأخطار الجدّية التي تتهدد السلام والناجمة عن انتهاك حرمة الأراضي الفارسية من جانب**

(1) من أجل تفاصيل حول الفظائع التي ارتكبها الترك، انظر شيركوه المسألة الكردية، 39-40؛ راجع رامبو، 30، م س رقم 213. تجدر الإشارة إلى أن الترك من جانبهم زعموا بأن الكرد كانوا متهمين بارتكاب الفظائع. بحسب السير تيلفورد وو، «كان الثوار الكرد في دياربكر قد ابتدعوا ما سموه (قانون الرجل الأعمى)، وهو نوع من المحاكم الميدانية العسكرية التي كانوا بموجبها يحاكمون الترك الذين يقعون في أيديهم وينزلون بهم عقوبات وحشية تشمل التمثيل والتشويه.» تيلفورد وو، 273.

القوات التركية. هذا برهان على التقاعس المخزي للمنظمة العالمية الدولية والتي تكون القوات العسكرية من خلالها قادرة على التوغل داخل أراضي دولة ضعيفة من دون أن تتمكن الإنسانية المنظمة من توفير الحماية الضرورية.

من خلال لفت الانتباه إلى الأخطار التي قد تنجم جراء هذه الأحداث في كردستان، فإن القيادة التنفيذية تدعو الرأي العام العالمي للاحتجاج في الوقت ذاته ضد أعمال العنف المرتكبة من قبل حكم القلة التركية وضد الصمت اللامبالي للحكومات الرأسمالية حيال الجرائم الدموية التي يكون ضحاياها من أبناء الشعب الكردي.[1]

ومضى القرار يستشهد بالمواد 37، 38، 39، 40، و44 من معاهدة لوزان والتي تعهدت تركيا بموجبها بحماية أقلياتها.[2]

النزاع التركي – الفارسي المتمخض عن تمرّد آگري داغ

أفضى تمرد آگري داغ إلى خلافات جدّية بين تركيا وفارس. فهنالك اتهاماتٌ واتهاماتٌ مضادة وقدرٌ كبيرٌ من النقد المتبادل. لقد اتهم الترك الفرس بدعمهم الناشط للمتمردين من خلال السماح لهم باستخدام الأراضي الإيرانية كقاعدة لعملياتهم ضد تركيا. أنكر الإيرانيون الاتهامات وردوا باتهام الترك بانتهاك حرمة الأراضي الإيرانية. في إحدى المراحل، كاد الوضع ينذر

(1) قرار المدير التنفيذي للاتحاد الدولي للعمال الذي صدر في زيوريخ في 30 آب/ أغسطس، عام 1930 (7 رقم 240)، مذكور في شيركوه، المسألة الكردية، 40. الفقرة الأولى من هذا القرار واردة في رامبو، 31، م س رقم 213؛ وفي الرابطة الكردية، مذكرة حول وضع الكرد، 13 م س رقم 122.

(2) هذه المواد مذكورة في شيركوه، المسألة الكردية، 40–42.

بالتطور إلى نزاعٍ مسلح، لكنَّ صوتَ العقل كان أقوى. لقد نشأت المشكلةُ من حقيقة أن جزءاً من آگري داغ كان المتمردون يستخدمونه معقلاً لهم، كان يقع في الأراضي الفارسية. لذلك فقد كان من السهولة بمكان بالنسبة إلى المتمردين الانتقال إلى فارس عبر الحدود الوعرة غير المنضبطة، حيث يفترض أنهم أفادوا من الحصانة التي وفرتها لهم طبيعة الأرض الفارسية لإعادة تنظيم قواتهم والحصول على الإمدادات الضرورية. جرى حل هذه المعضلة عن طريق عملية تبادل للأراضي شملت بشكل رئيس مناطق آگري داغ وقوتور.

ذكرت التقارير بأن الاتحاد السوڤياتي قد عرض خدماته كوسيط، وهي خطوة كان وراءها بلا شك الرغبة في الحفاظ على السلام في مناطق قريبة جداً من حدوده الجنوبية.[1] وهو لا بد أنه راقب بقلق عميق احتمال انتقال عدوى اندلاع الأعمال العدائية بين جارَيه الجنوبيين على الأراضي إلى أقاليمه القوقازية. يجدر التنويه هنا إلى أنهم بتقديمهم لهذا العرض، فقد كان الروس يعودون إلى لعب أحد أدوارهم القديمة. فعلى مدى أكثر من سبعين عاماً، من 1843 حتى 1914، كانت بريطانيا وروسيا القيصرية، بخلاف كل التفسيرات، تلعبان دورهما كقوى وسيطة في محاولة لتسوية النزاع الحدودي التركي - الفارسي المَغيظ.[2] لم تعد بريطانيا مشتركة مع روسيا في هذا المسعى، ليس فقط بسبب الطبيعة المتغيرة للعلاقات الأنكلو - روسية، وإنما أيضاً لأن تركيا، أحد طرفي النزاع، عمدت بلا أدنى شك إلى رفض عرض بريطاني بالتوسط؛ كان النزاع موضوع البحث قد نشأ عن تمرد آگري داغ،

(1) كروغر، 179.

(2) من أجل نقاش تثقيفي ممتع حول نزاع الحدود التركية-الفارسية، انظر إدموند، الكرد، الترك والعرب، 125-39.

وعاد الترك مرة أخرى إلى اتهام البريطانيين بالتحريض على التمرد الكردي الجديد.[1]

وضع الكرد في تركيا بعد التمرد

لعل أهم النتائج العكسية لتمرد آگري داغ فيما يتعلق بكرد تركيا كان إصدار الحكومة التركية قانوناً قمعياً يضع الأقاليم الشرقية وسكانها الكرد تحت ظروف مُعسرة حادة. فالقانون الذي صدر في 5 أيار/ مايو، عام 1932، أنشأ أربع مناطق في تركيا، من بينها ثلاث كانت في كردستان. إحدى هذه المناطق تم إخلاؤها بالكامل وأُعلِنتْ منطقة محظورة «لأسباب صحية ومادية وثقافية وسياسية وإستراتيجية وكذلك لمصلحة النظام العام.»[2] وأُعلِنَت القبائل بلا شخصية قانونية. بالتالي، فقد اعتبرت كل الحقوق التي كانت تتمتع بها حتى الآن - بما فيها حتى تلك الحقوق المستندة إلى أحكام ومراسيم وغيرها من الوثائق القانونية - لاغية وباطلة. بالإضافة إلى ذلك، فقد اعتُبِرَتْ سلطات وصلاحيات الزعماء القبليين وشيوخ الدين، إلى جانب الأجهزة والمؤسسات التابعة لهم لاغية، بصرف النظر عن ماهية الوثائق أو التقاليد المستندة إليها، والأراضي كافة التي كانت تعتبر في السابق على أنها تعود إلى هذه المنظمات والمؤسسات باتت ملكاً للدولة، وتوزيعها على قاطنين جدد كان رهناً بالقرارات والمراسيم التي تصدرها الحكومة. وقد نص هذا القانونُ أيضاً على ترحيل الزعماء القبليين والشيوخ وغيرهم من الأعيان الذين يقطنون المناطق الشرقية إلى مناطق أخرى محددة. وهكذا فإنّ كل أولئك الذين لا

---

(1) كروغر، 116 و179 وما بعدها.

(2) رامبو، 32، م س رقم 213؛ الرابطة الكردية، مذكرة حول وضع الكرد، 14 م س رقم 122.

تُعَدُّ التركية لغتهم الأم كانوا في مواجهة عراقيل وعقبات جِدِّية.[1] هذه هي النتيجة المعقدة لتمرد آگري داغ عام 1930؛ وقبل وقت ليس ببعيد، وجدت هذه الإستراتيجية نفسها أمام اختبار عسير.

تمرد دَرْسِيم عام 1937

في كانون الثاني/ يناير، عام 1937، اندلعت ثورة خطيرة في مرتفعات دَرْسِيم. لم يكن سكان هذه المنطقة المنعزلة والنائية الذين يتكلمون لغة الزازا (الظاظا) والمعتنقين للمذهب الشيعي المتطرف قد شاركوا في أي من الثورات الكردية الآنفة الذكر. وكما هي حال المسلم الشيعي، لم يُبالِ هؤلاء بمسألة حظر الخلافة ولم يكونوا متعاطفين مع العقائد الدينية التي يروج لها شيوخُ السُنة الكرد؛ فقد بدَّدَ إدخالُ القوانين العلمانية التركية والأسلحةُ التركيةُ العُزلةَ اللغويةَ والدينيةَ والجغرافيةَ التي كانت حتى ذلك الحين تعيق انتشار القومية الكردية بين كرد دَرْسِيم.[2]

أسباب التمرد

عام 1937، يبدو أن نشر الحكومة التركية لقانون مصمم لفرض الاندماج قد أجج بشدة مشاعر كرد دَرْسِيم، الذين تداعوا إلى لقاءات جماهيرية لمناقشة القانون الجديد. وبالتالي، قرروا إرسال وفد ومعه رسالة احتجاج إلى الحاكم العسكري التركي يعبرون فيها عن معارضة الشعب للقانون الجديد. استناداً إلى مصادر كردية، فقد عمد الحاكم التركي إلى اعتقال الموفدين حملة رسالة الاحتجاج وإعدامهم بعد بضعة أيام في خاربوط (عمارة العزيز). رداً على

(1) م ن، 32–33؛ م ن، 13–15.

(2) إلفنستُن، «الكرد والمسألة الكردية،» 44، م س رقم 72.

ذلك، قام الكرد بمهاجمة قافلة سيارات شَرِطَة واختطافِ عناصِرها. شكَّل هذا الحدثُ بداية تمرد دَرْسِيم.[1]

استمرت شعلةُ هذا التمرد الذي قاده الزعيم الديني الشيخ سيد رضا الدَرْسِيمي البالغ اثنين وثمانين عاماً متأججةً لمدة عامين، مُلحِقةً خسائرَ جسيمةً بكل من الحكومة والثوار.[2] وفي سياق مناقشته لأسباب التمرد، قال إلفنستُن (Elphinston): «سوف يتبينُ أن سياسةَ الحكومة التركية كانت، في المقام الأول، قد استعْدَت كبارَ زعماءِ الإقطاع؛ وأفضت، في المقام الثاني، إلى معارضة الزعماء الدينيين، وأخيراً، فقد هبَّ الشعبُ الكرديُّ بالذات ثائراً بدافعِ الخوفِ من فقدانه لهويته العِرقية المستقلة.»[3] بالنسبة إليه، وعلى الرغم من أن هذه الأسباب الثلاثة قد تبدو الأكثر وضوحاً والأكثر واقعية، فقد يكون من الخطأ أن نحصر أسباب التمرد بهذه الأسباب الثلاثة، إذ وراء كل هذه الثورات تكمن روح القومية.[4]

قمع التمرد وما أعقبه

لا نعرف سوى القليل عن نهج العمليات العسكرية ضد كرد دَرْسِيم. فالرقابةُ العسكرية كانت لصيقةً للغاية وقت التمرد، ولعدة سنوات تلت باتت منطقة دَرْسِيم بكاملها منطقةً محظورةً يُمنع السفرُ إليها، كما أن نقل الأخبار كان تحت رقابة صارمة. ووفاقاً للمعلومات المتوافرة، فقد تمركزت قوةٌ تركيةٌ

(1) م ن، 96-97.

(2) نوري دَرْسيمي، دَرْسيم في تاريخ الكرد، 173-88 (بالتركية، مرجع 296).

(3) إلفنستُن، «الكرد والمسألة الكردية،» 44، م س رقم 72.

(4) م ن.

مَهُولة بجوار دَرْسِيم في أيار/ مايو، قبيل انطلاق العمليات العسكرية.[1] بعد ذلك، جرى احتلال أماكن إستراتيجية، وألقت ترسانة السلاح الحديث، بما فيها الطائرات، بثقلها على الكرد المعتصمين في معاقلهم. قاتل المدافعون باستماتة لكنهم أرغِموا على التقهقر إلى معاقل المرتفعات مع قطعانهم وعائلاتهم بعد تدمير قراهم.[2] وعلى الرغم من ادعاءات الحكومة بأن الجيش جعل الوضع تحت السيطرة،[3] استناداً إلى إلفنستُن، لجأ الكرد إلى حرب العصابات واستمروا في تحديهم الجيش لعدة أشهر، ما حدا بالعمليات العسكرية لأن تستمر حتى أواخر عام 1938.»[4]

بعد أن بلغ بهم الجَهدُ مداه الأقصى في أعقاب سنتين تقريباً من النضال المتواصل بلا هوادة، قرر الثوارُ إلقاءَ السلاح، فاستسلم الشيخ سيد رضا مع عدد من الزعماء وعائلاتهم للجيش التركي. وتمّت محاكمة الزعماء وإعدامهم وأطلق العنان لعمليات ترحيل واسعة النطاق.[5]

اتهم الكرد الترك باللجوء إلى أكثر الوسائل وحشية لمعاقبة المتمردين، قبل التمرد وبعده،[6] ولا توجد أية أرقام رسمية لعدد القتلى في خلال التمرد أو المُرحَّلين فيما بعد. أحد المصادر وضع عدد الذين لقوا حتفهم عند حدود

(1) جرى تقدير هذه القوة حينها بخمس وعشرين ألف رجل. صحيفة لو تان (الزمان)، 18 آب/ أغسطس، عام 1937. راجع إيرمين رومانيت، كردستان والمسألة الكردية، 18 (بالفرنسية، مرجع 218).

(2) الزمان (لو تان)، 18 آب/ أغسطس، عام 1937.

(3) م ن.

(4) إلفنستُن، «المسألة الكردية»، 97، م س رقم 71.

(5) سفرستيان، 86، م س رقم 230.

(6) درْسيمي، 190–203، راجع لو تان، 18 آب/ أغسطس، عام 1937؛ رامبو، 35–37 و39، م س رقم 213.

أربعين ألف قتيل؛[1] بينما وضع مصدر آخر عدد المرحلين عند ثلاثة آلاف عائلة.[2]

لقد زعم الترك بأن العناصر الدينية والرجعية عند كرد دَرْسِيم هي المسؤولة عن التمرد. وبحسب مقالة نشرت في صحيفة لوتان *(Le Temps)* بعيد اندلاع التمرد والتي بدا بأنها تعكس الرأي الرسمي التركي، فإن الثوار، وقبل حملهم السلاح، كانوا قد وجهوا نوعاً من الإنذار إلى الحكومة. في هذا الإنذار طالبوا الحكومة بسحب القوات العسكرية كافة من المنطقة ووقف الأعمال الإنشائية اللوجستية كافة من طرق وجسور وسكك حديد في أراضيهم؛ وكذلك خفض الضرائب والسماح لهم بالاحتفاظ بسلاحهم.[3]

بعد قمع تمرد دَرْسِيم، تردد أن وزير الداخلية التركي حينها، جلال باير، جرى ترحيله كونه أعلن في الجمعية الوطنية التركية أنّ المسألة الكردية لم تعد موجودة، وأن اللصوص وقطاع الطرق كان قد جرى تأديبهم وتهذيبهم قسرياً. بحسب إلفنستُن، فقد ظل ذاك التصريح يشكل الموقف الرسمي التركي تجاه الكرد، الذين لايزال يُشارُ إليهم رسمياً في تركيا باسم ترك الجبال.»[4] جرى إعلان ولاية دَرْسِيم، أو تونجلي، كما تدعى رسمياً، منطقة مغلقة، وتم وضعها تحت رقابة عسكرية محكمة. في شتاء 1945، ناقشت الجمعية الوطنية التركية هذا النظام الإداري الخاص المطبق في ولاية تونجلي ومن ثم عرضته على التصويت وقد تردد أن نتيجة التصويت تمخضت عن قرار يطيل أمدَ سريان هذا النظام الإداري.[5]

---

(1) رامبو، 39، م س رقم 213.

(2) التايمز (لندن)، 31 كانون الأول/ ديسمبر، عام 1946.

(3) لو تان، 18 آب/ أغسطس، عام 1937. وردت هذه المقالة في رومانيت، كردستان والمسألة الكردية 18، م س رقم 218؛ رامبو، 36، م س رقم 213.

(4) إلفنستُن، «المسألة الكردية،» 97، م س رقم 71.

(5) لوموند، 28 كانون الأول/ ديسمبر، عام 1945.

دلائل حول سياسة تركية جديدة حيال الكرد

بعد سنة، عام 1946، عندما أحيلت القضية ذاتها مجدداً أمام الجمعية الوطنية التركية، كانت النتيجة مختلفة. فقد أصدرت الجمعية هذه المرة قانوناً ينهي العمل بالنظام الإداري الخاص الذي كان معمولاً به في ولاية تونجلي منذ تمرد العام 1937.[1] وبدا بأن هذا التطور قد آذن بتوجه جديد. في 28 آذار/ مارس، عام 1947، وفي سياق خطاب ألقاه أمام طلبة جامعيين، أثنى الصدر الأعظم العثماني على الكرد كمواطنين صالحين، مؤكداً بشكل خاص على خدمتهم المخلصة في الجيش.[2]

على الرغم من حقيقة أن العديد من القيود والعقبات القديمة تم الإبقاء عليها، فلأول مرة منذ سنوات عديدة عَلَتِ الأصواتُ التركيةُ المطالبةُ بالعدالة لـ«سكان الشرق.» فخلال عامي 1948 و1949، تمّت مناقشةُ عسفِ وجُورِ الموظفين الترك في الجمعية الوطنية وفي الصحافة؛ بعض هذه المناقشات اتسم بالعمومية وتطرق إلى مسائل من قبيل سوء الإدارة والإهمال الرسمي وعدم الكفاءة، بينما كانت المناقشات الأخرى أكثر تحديداً وتطرقت إلى مناقشة قضايا معينة.

عام 1948، أحال أقاربُ ثلاثة وثلاثين شخصاً ممن سبق أن أعدموا من دون محاكمة بأوامر من نائب حاكم بايزيد عام 1943 القضيةَ إلى الجمعية الوطنية الكبرى. وبعد مناقشتها في الجمعية، باتت قضية تثير اهتمام الرأي العام. فقد انتقد رئيس الوزراء حسن السقا عيوب الإدارة في الأقاليم الشرقية،

---

(1) بحسب التايمز (لندن)، 31 كانون الأول/ ديسمبر، عام 1946، فقد أعلن وزير الداخلية في سياق المناقشة أن العائلات المرحّلة كان يسمح لها بالعودة إلى منازلها. راجع إلفنستُن، «الكرد والمسألة الكردية،» 45، م س رقم 72.

(2) إلفنستُن، «الكرد والمسألة الكردية،» 45، م س رقم 72.

مشيراً إلى أن السكان كانوا عرضة للعديد من الإساءات، وأن أوضاعهم الاقتصادية والثقافية كانت مهملة إلى درجة مزرية.[1]

انتهز أحمد أمين يلمان، الصحفي التركي البارز، المناسبة لكتابة مقالة واقعية متزنة حول ضرورة تنفيذ الإصلاحات الأساسية في المنطقة؛ بعض النقاط التي أثارها في مقالته تتسم بأهمية خاصة. لقد أعلن بأن أياً من هذه الأقاليم لم يكن بمثابة مستعمرة؛ وأنها جميعاً تشكل جزءاً من تركيا وتتمتع بحقوق متساوية؛ وأن الدستور لم يميّز مطلقاً بين المواطنين على أساس دينهم أو عرقهم أو أية اعتبارات أخرى؛ وأن السابقة التاريخية أظهرت بوضوح أن التمييز المستند إلى خلفية عرقية أمر غير مقبول؛ وأنه من وجهة نظر المصالح العامة للبلاد، فإن الحماسة التي في غير مكانها، سواء استغلت لخدمة مصالح معينة أم أهواء شخصية، فإنها لا تسهم في صون النظام العام أو تحقيق الرفاه العام للبلاد. ثم أعلن بعدها قائلاً:

> **نتيجة للإجراء التعسفي المرتكب باسم الأمن القومي فقد أصبح نظامُ الإدارة الخاص المطبق في الأقاليم الشرقية يشكل مصدراً للمحن والرزايا لهذا الجزء النبيل من البلاد. لم تعرف الأقاليمُ الشرقيةُ على مدى عقود طعم الهدوء والسكينة، وكانت الاضطرابات والثورات بمثابة آفات مستوطنة - وهي حقيقة أرغمت الحكومة على تقديم التضحيات واللجوء إلى إجراءات العنف.**
>
> **ولكن عندما يُنظرُ إلى الوضع في الأقاليم الشرقية بعين العدل والإنصاف، سوف يتبين بأن السببَ الرئيسَ لهذه المتاعب الدائمة لا يكمن في تآمر القوى الخارجية، ولا في النزعات الرجعية للسكان، وإنما هو حصيلة مباشرة للإدارة الرديئة الفاسدة.**

---

(1) مجلة ديكل كايناغي (إسطنبول) رقم 21، عام 1948؛ مذكورة في نشرة مركز الدراسات الكردية، 2-1، (1949).

Bulletin du Centre d'Études Kurdes, n°.4, 1-2.

عموماً، فإن سكان الأقاليم الشرقية مكونون من شعبٍ كادحٍ مُجِدّ ومن مواطنين منضبطين ملتزمين بالقانون. لقد خصصتِ النشراتُ الإخباريةُ في الإذاعة السوفياتية حيزاً هاماً للدعاية الكردية في برامجها. كذلك ينبغي علينا ألّا نتجاهل الجانب المتعلق بإيران والعراق في هذه المسألة، بالطبع، لا توجد مسألة كردية في تركيا بالمعنى الدقيق للكلمة.[1]

تابع يلمان قوله بأن سوء الإدارة وجور المظالم قد أفسحت في المجال أمام ظهور الأفكار الانفصالية، مؤكداً حقيقة أنه كان على الترك الاحتراز من أن يهيئوا لأعداء البلد، الذين ما انفكوا يسعون لخرابه، أية فرصة لتحقيق مآربهم. اختتم يلمان كلامه قائلاً: «في تركيا، بفرض وجود روح من العدالة والإدارة الكفوءة، لا يوجد هنالك مسألة مستعصية على الحل.»[2]

لا شك بأن الأفكار والتطورات التي أعقبت الحرب العالمية الثانية كانت مسؤولة إلى حد بعيد عن روح التسامح والنهج الليبرالي للعديد من الترك الأكفياء. لقد أسهم إدخالُ نظام الحزبين في تركيا بعد الحرب، التي كانت في حد ذاتها تجسيداً للمؤثرات القائمة على الأرض، في التخفيف إلى حد بعيد من حدة الموقف الرسمي حيال الكرد. وفي ظل نظام الحزبين – بعكس تلك الأيام التي كانت فيها تركيا محكومة من قبل مجموعة مهيمنة واحدة، وكان الدعم الشعبي من دون طائل – كان على مرشحي الحزبين المتنافسين التودد والتزلف لجمهور الناخبين.

---

(1) نشرة مركز الدراسات الكردية، 1، (1949)-2 *Bulletin du Centre d'Études Kurdes,* nº 5، هذا المصدر (7-8)، يتضمن مقالة أخرى لأحمد أمين يلمان تتعلق بحوادث مختلفة تنطوي على مظالم بحق الكرد، بتاريخ 11 شباط/ فبراير، نشر في جريدة الوطن. كما يقدم في الصفحات (1-8) مواد إضافية حول تبدل السلوك التركي حيال سكان المحافظات الشرقية.

(2) م ن، 2.

لقد كان الحزبُ الديموقراطي، الحزب الجديد المتلهف للاستيلاء على السلطة، ناشطاً بشكل خاص في سعيه للفوز بأصوات الكرد. يتحدث اللُّورد كينروس (بلفور) [Kinross (Balfour)] عن لقاء جمعه وأحد الأعضاء السابقين في البرلمان التركي كان يمثل حزب الشعب:

> **لقد طاول نقدُهُ أيضاً موقفَ الديموقراطيين تجاه الكرد. في الماضي، كانت السياسة التركية هي من يهيمن على هذه المرتفعات المتمردة بالقوة، أما اليوم، فتتجه هذه السياسة إلى تثقيفهم، ولا سيما باللغة التركيا، ما يسهم شيئاً فشيئاً في تمثيلهم واندماجهم في المجتمع التركي لأنه لاتزال هنالك حاجة إلى قبضة قوية. فالشيوخ الكرد المشاكسون كان قد تم نفيهم من قبل حزب الشعب إلى أجزاء أخرى من تركيا، لكن الديموقراطيين، ولأسباب انتخابية، كانوا الآن يسمحون لهم بالعودة. كانوا أيضاً يشجعون مظاهر الرجعية وتجلياتها، دينية كانت أم غير دينية، والتي أنكرها ولم يوافق عليها، والحجاب كان في طريقه إلى العودة. فالكرد في القرى كان يسمح لهم مرة أخرى بارتداء غطاء الرأس التقليدي، بدل القبعة القماشية الموحدة؛ وفي دياربكر كان شباب المدينة ينزعون للعودة إلى زيهم التقليدي المتمثل بالسروال الفضفاض للنظام القديم البعيد كل البعد عن تلك الأيام عندما كانت سياسة أتاتورك تعمد قسراً إلى قص قاعدة سراويل الرجال بمقص ضخم... كل هذا، يتابع مضيفي قائلاً، أمر في غاية الخطورة.[1]**

يبدو أن المعاملة التي كانت تتسم بقدر أكبر من العدل والإنصاف للكرد في السنوات التي تلت الحرب مباشرةً كانت تحمل في طياتها قدراً من الأمل

---

(1) پاتريك (لورد كينروس) بلفور، ضمن طوروس: رحلة في آسيا التركية (بالإنكليزية، مرجع 16).

باعتماد نهجٍ أكثر تحضراً وتنوراً حيال المسألة الكردية في تركيا. وانسجاماً مع النزعة الجديدة لمرحلة ما بعد الحرب، تردد أن الحكومة التركية قد اعتمدت سلسلة من الإجراءات الهادفة إلى تحسين الأوضاع المادية للرعايا الكرد.

عام 1946، تحدث أحد الكتاب البريطانيين بصورة إيجابية عن التطورات في المناطق الكردية من تركيا، حيث ذكرت التقارير أن برنامجاً للإصلاح الزراعي وتنمية المناطق الريفية قد جرى إطلاقه بنجاح، كما أن مسؤولين سياسيين من الشباب، من الواضح أنهم استقدموا من الجيش التركي، كانوا يؤدون عملاً طيباً في الأوساط الكردية، حيث المستوى الصحي، بحسب هذا المصدر، كان أعلى في المناطق الكردية من تركيا، منه في البلدان المجاورة.[1]

يبدو أن هذه التطورات تمثل بشرى خير للمستقبل. مع ذلك، فإن هذه القضية التي لطالما شكلت الهمَّ الأساسي للكرد في تركيا، بقيت من دون حل، لأن الحكومة التركية لا تزال ترفض الاعتراف بالكرد كقومية مستقلة أو منحهم حرية ممارسة نشاطاتهم الثقافية الخاصة.

(1) مالكولم بُرّ، «ملاحظة حول الكرد،» مجلة جمعية آسيا الوسطى الملكية 33، الأجزاء 3 و4 (تموز/ يوليه -تشرين الأول/ أكتوبر، عام 1946): 289-92 (بالإنكليزية، مرجع 36).

الفصل الثالث عشر

ثورة البارزاني في عامي 1931- 1932

تبقى ثورة البارزاني عامي 1931–1932 في مكانٍ ما ظاهرة غامضة. فسياق الأحداث في منطقة بارزان في العراق، التي بلغت ذروتها في ثورة صريحة في أواخر صيف عام 1931، غير معروفة بوضوح، وغدت موضوعاً لكثير من الجدل والنقاش.

يبدو أن الحكومة العراقية، التي كانت بلا شك مستغرقة في معلومات أكثر أهمية، واجهت بثبات أي نقاش عام للثورة. في الحقيقة، توجد كل الأسباب للاعتقاد بأن سلطات بغداد لم تتجنب النقاش المفتوح لأسباب الثورة وطبيعتها فحسب، بل سعت إلى طمس حقائق كثيرة وثيقة الصلة؛ ففي حين شجبت التصريحات الرسمية بشدة الشيخ أحمد بارزاني باعتباره متمرداً ومعكراً للسلام، لم تحتوِ إلّا على إشارات باهتة لطبيعة الجرائم التي اقترفها ليكون مذنباً.

إن الطبيعة الشديدة التعقيد والمفاجئة التي تنطوي عليها هذه المسائل حَثَّت من دون شك على هذا التكتم الرسمي؛ فالاعتقادات والممارسات الغريبة التي نُسِبت إلى البارزانيين ليست هرطقة وراديكالية وحسب، بل

تشكل لدى كل المسلمين الصالحين ارتداداً فاضحاً إلى الشرك والردة - الإثم الأكثر خطورة في المجتمع الإسلامي، وضد مثل هؤلاء الآثمين، يجب على المسلمين أن يخوضوا الحرب حتى يقتنع هؤلاء بالعودة إلى الجماعة الإسلامية أو يُقتلَون.

إنّ توجيه مثل هذه الاتهامات الشديدة علانية إلى البارزانيين لن يثير الرأي العام ضدهم وحسب، بل سيضعهم خارج حياض الإسلام، ويُلزِم الحكومة بأن تقاتلهم إلى النهاية أيضاً. كذلك فإنّ إلزام الحكومة نفسها بتنفيذ مثل هذه السياسة القاسية والمؤذية وغير القابلة للتسوية يضعها في وضع عبثي للغاية ويجعل أية تسوية نهائية مستحيلة عملياً. علاوة على ذلك، فإنّ رابطة التضامن الدينية في الإسلام قوية جداً إلى درجة أن أية مجموعة إسلامية مسؤولة أو حكومة لن تدعم مثل هذه الخطوة الصارمة إلّا إذا اضطرت لأن تفعل ذلك تحت وطأة الضرورة القصوى، خصوصاً وأنّ الرغبة في الحفاظ على وحدة الجماعة المسلمة كانت دائماً قوية إلى درجة أن الإسلام كان أكثر تسامحاً مع المنحرفين عنه من أي دين آخر.

وثمة اعتبار مهم آخر ذو طبيعة مختلفة تماماً يمكن أن يكون قد أقنع الحكومة بأن تلجأ إلى هذه السياسة الغامضة غير الواضحة. فما ينطوي عليه دور الآشوريين في الثورة - الذين وفاقاً لتقارير متضاربة صُوِّروا أولاً خصوماً للبارزانيين ثم حلفاء وداعمين لهم - يدعو إلى تحفظات خاصة. لكن مهما كان الدور الذي لعبه الآشوريون في ثورة البارزاني (ويبدو أنه ذو أهمية غير ذات شأن)، فقد كان الشعور الشعبي ضد هذه الأقلية غير المسلمة شديداً دوماً في العراق. والحكومة بالتالي، ربما فكرت أنه من غير الحكمة مناقشة المسائل المختلفة الوثيقة الصلة بالثورة، لأنها في فعلها هذا يمكن أن تعرض حياة الآشوريين وملكيتهم للخطر في كل أرجاء البلد رغم إرادتها.

أسباب الثورة

ينقسم هؤلاء الذين عالجوا ثورة البارزاني في عامي 1931 - 1932، لنقل بشكل عام، إلى مجموعتين أو مدرستين في الفكر. تدافع إحدى المجموعتين، وهي مكونة، بشكل رئيس، من المسؤولين البريطانيين السابقين في العراق، عن أنه يجب البحث عن السبب الحقيقي للثورة في الشخصية الغريبة والمعقدة للشيخ أحمد بارزاني والتجاوزات الدينية التي اقتنع بها. إنها تحدد الأهمية الرئيسة للعامل الديني، وتفرد للشيخ نصيباً كبيراً في المسؤولية. لم يقم هؤلاء الأشخاص بأية محاولة لإخفاء رفضهم للشيخ أحمد، الذي، يظهر نفسه في دور مزدوج للمتمرد والمتحمس الديني، ما يهدد بتبديد أعمالهم الصبورة والشاقة في سنوات كثيرة. وبالتالي، يبرز الشيخ من خلال كتاباتهم شخصاً غير عقلاني، قد يستحق الشفقة، لكن ليس التعاطف.

أما المجموعة الثانية من الكتاب، فتتكون في معظمها من الكرد ذوي الميول القومية، بالإضافة إلى عدد قليل من العرب، الذين يميلون إلى رغبة المسلم العادي بالسماح ونسيان هفوات الماضي لدى أخ مؤمن منحرف عاد مرة أخرى إلى الجماعة بأمان. يمر هؤلاء الكتاب على الجانب الديني باستخفاف في الثورة، وكما سنرى، يميلون إلى تحميل الآشوريين حصة كبيرة من المسؤولية.

يجب أن نحفظ في الذهن أن شيوخ منطقة بارزان هم قادة الطريقة النقشبندية. وقد أوضح إدموندس وهو يكتب عن هذه الطريقة ما يلي: «وهي أيضاً مقبولة كطريقة تقليدية ومحافظة، لكن، سواء كان ذلك بسبب غياب شخصية ذات احترام عالٍ وقوية مثل النقيب في بغداد أو في تلك المنطقة، أو بسبب شيء ما في تعاليمها، يبدو أن أتباعها غير المتعلمين في كردستان كانوا عرضة لإظهار أشياء تتسم بغرابة الأطوار.»[1]

(1) إدموندس، الكرد والترك والعرب، 63، م س رقم 63.

يشير دملوجي، الذي ناقش المذاهب الصوفية في كردستان ببعض التفصيل، إلى أن الفساد تسلل إلى معتقدات بعضها وممارساتها، وإنه لأمر مثير للاهتمام أن نلاحظ أنه قد أفرد شيوخ بارزان ليثبت وجهة نظره:

> **في زمن الشيخ عبد السلام الأول، جد الشيخ عبد السلام الثاني... كانت الطريقة قد أفسِدَت وتم التأثير على طبيعتها بالذات وغُيِّرت. بدأ الأنصار ينظرون إلى شيوخهم في ضوء أن الإسلام لا يسمح بذلك. والسبب الأساسي يمكن أن يعزى إلى تلك المعتقدات الفاسدة إلى جهلهم الشديد بالإضافة إلى عزلتهم في جبال نائية يصعب الوصول إليها حيث عاشوا. لقد انقطعوا في منعزلهم، كما لو أنهم من خارج العالم، وترافق ذلك مع إخلاص لا حدود له لشيوخهم، أثمر تأليه هؤلاء الرجال وعبادتهم.**[1]

أحداث وقعت في السنوات التي سبقت الثورة

ناقشت المصادر البريطانية الأحداث الغريبة التي أفضت إلى ثورة البارزاني بمزيد من النزاهة ومزيد من التفصيل أكثر من الكتاب الآخرين. وفاقاً لدبليو. سي. ي. ويلسُن (W. C. F. Wilson)، وهو إداري بريطاني في الخدمة المدنية لسنوات كثيرة في العراق، فقد هيمن الشيخ أحمد على منطقة بارزان بمساعدة إخوته ومجموعة مسلحة من عدة مئات من انصاره. كان مبجلاً جداً إلى درجة صار يُنظَر إليه مثل إله. قيل إن أحد المخلصين المتحمسين للشيخ، هو ملّا چوگ، طاف كل أرجاء بارزان يزعم أن الشيخ رب وأنه هو، ملّا چوگ، رسوله. ويبدو أن هذا الأخير كان ذلق اللسان ومتكلماً مؤثراً، وتبشيره أكسبه الكثير من الأتباع، وشهرته، كما أُخبِرنا، بدأت تتجاوز حتى شهرة سيده. وهذا

(1) الدملوجي، إمارة بهدينان، 65، م س رقم 293.

الواقع، تبعاً لويلسُن، حث أحد إخوة الشيخ على التخلص من ملّا چوگ،[1] لكن يبدو أن هذا الحدث تبعته تطورات خيالية، هي في كلمات ويلسُن:

حتى ذلك الوقت كان القرآن مبجلاً، لكن الشيخ عندئذٍ أصدر أوامر بإتلاف كل النسخ الموجودة، وألغى أيضاً تحريم أكل لحم الخنزير، لأن الخنازير البرية كانت كثيرة في بارزان. أرسلت بعثات تبشيرية مسلحة إلى ما وراء حدود بارزان، والقرى التي رفضت قبول الشيخ أُحرِقَت وأُعدِم عدد من رجالها. لم يكن بالإمكان أن يُسمَح باستمرار هذه الحال، واضطرت الحكومة العراقية إلى أن تقوم بعمل بمشاركة القوات الجوية الملكية.[2]

هذه إذن، إحدى الروايات للأحداث الغريبة التي وقعت في منطقة بارزان قبل اندلاع الثورة عام 1931. لم تقدم مقالة ويلسُن هذه، التي ظهرت في نيسان/ أبريل، عام 1937، تواريخ، لكنها بينت في إحدى النقاط أن الأحداث التي يصفها وقعت قبل خمس سنوات.[3]

ويقدم س. هـ. لونگريگ، وهو موظف رسمي بريطاني سابق ذو سجل حافل بالخدمة في العراق وسلطة مُعترَف بها على البلد، رواية مماثلة لتلك الأحداث. وتبعاً له، بدأت الاضطرابات بالتخمر في منطقة بارزان مبكراً في عام 1927:

انتقل مكان الشيخ محمود معكر السلام الكردي البارز في السنة ذاتها 1927 إلى الشيخ أحمد في منطقة بارزان، حيث أجرت القوات العراقية مناورات في الفترة الأخيرة. فالسيد الإقطاعي الأحمق الذي

(1) و. سي. ف. ويلسُن. «شمالي العراق وشعوبه،» مجلة جمعية آسيا الوسطى الملكية، عد. 24، القسم الثاني (نيسان/ أبريل عام 1937)، 291 (بالإنكليزية، مرجع 278).

(2) م ن، 291-292.

(3) م ن، 291.

شجعه بطريقة غامضة جنون عظمة ساخط، أعلن نفسه إلهاً وكسب بعض المرتدين بتبشير أحد الملالي المخلصين. غير أن رد فعل المصغين المروَّعين قاد إلى اقتتال وقع فيه قتلى بينهم أحد إخوته. تبع ذلك تدخل رجال الشرطة وتعزيز الحامية العسكرية في بله قرب بارزان، فتلاشى الدين الجديد، لكن الشيخ، الذي يتحدث ويكتب عن الحرب والتمرد إلى كل من يصغي وينشر شائعات عن تعدي الآشوريين، ظل شخصية خطيرة.[1]

تختلف هاتان الروايتان، كما نلاحظ في جوانب هامشية. ففي حين يشير لونگريگ إلى أن أحد إخوة الشيخ أحمد قد قتل في شجار تورط فيه ملّا چوگ. أكد ويلسُن أن أحد إخوة الشيخ نفسه هو من قتل ملّا چوگ. ورفع الشيخ تحريم أكل لحم الخنزير، الذي أشار إليه ويلسُن، لم يظهر في فقرة لونگريگ لأن ذلك الحدث لم يقع إلّا بعد أربع سنوات من أحداث عام 1927 التي توجت بمقتل ملّا چوگ والتي أشار لونگريگ إليها بين الأحداث التي وقعت خلال عام 1931.

يتضمن الاقتباس من لونگريگ نقطتين مثيرتين للاهتمام يمكن أن يكون لهما تأثير في مزاعم وشكاوى الشيخ أحمد التالية. النقطة الأولى، تمت الإشارة إليها في الجملة الأولى من الاقتباس، ذات الصلة بالمناورات التي قام بها الجيش العراقي في منطقة، بارزان والنقطة الثانية، أشير إليها في الجملة الأخيرة، التي تشير إلى شائعات تخص التعدي الآشوري.

وجود وحدات الجيش وتوطين الآشوريين

لا شك بأن الشيخ غضب من وجود الجيش العراقي في منطقة بارزان. ربما عدّ ذلك تهديداً لسلطته التي لا ريب فيها حتى ذلك الوقت في المنطقة

---

(1) لونگريگ، العراق، 1900-1950، 294، م س رقم 141.

ومقدمة غير مُرحَّب بها لرقابة الحكومة الشديدة. رد فعله على تدخل سلطة الحكومة الخارجي في منطقته يجب أن يكون مماثلاً لتلك التدخلات في مناطق الأمراء والإقطاعيين شبه المستقلين[1] في الإمبراطورية العثمانية عندما كانت تُواجَه بتهديد مماثل خلال القسم الأول من القرن التاسع عشر. ولا شك في أن لونگريگ، الذي يشير إلى وجود الجيش العراقي في منطقة بارزان بطريقة عفوية وارتجالية، يجب أن تكون هذه الأفكار في ذهنه في وصفه للشيخ بأنه سيد إقطاعي.

والشيخ، كما سنرى، تذمر من وجود الجيش العراقي في منطقة بارزان. تذمر ردد صداه عدد من الكتّاب المتعاطفين مع القائد البارزاني. وفي الحقيقة، يبدو أن ذلك كان من بين الشكاوى عندما جرى رفع علم الثورة.

إن كون مخاوف الشيخ التي لم تخطئ المقصد هي أمر قد وجد تأكيداً له لدى بعض الأوساط الأكثر جدارة بالاعتماد. ففي عام 1933، قال مارشال الجو السير روبرت بروك پوفام (Robert Brooke Popham,)، الذي خدم في العراق قائداً للقوات الجوية الملكية: «عام 1928، عندما ذهبت إلى العراق، أروني على الخريطة منطقة بارزان حيث الشرطة العراقية لم تكن قد دخلتها بعد. وكان مفهوماً أنه عاجلاً أم آجلاً ستفرض السيطرة على هذه المنطقة. وقد عزمنا على أن نفعل ذلك في سياق دخول سلمي.»[2]

---

(1) در بگ، حرفياً «سيد الوادي،» تعبير يطلق على مختلف الأمراء والرؤساء الإقطاعيين ذوي الاستقلالية شبه الذاتية في أرجاء الإمبراطورية العثمانية. بدأ السلطان محمود الثاني محاولة منهجية لتفكيك سلطة هؤلاء الحكام ووضع أراضيهم تحت السلطة المباشرة للحكومة في الربع الأول من القرن التاسع عشر. وقد نجحت الحكومة العثمانية في الإطاحة بمعظم هؤلاء الأمراء بحلول منتصف ذلك القرن.

(2) هذا التصريح أدلى به بروك پوفام في سياق تعليق على خطاب قدمه النقيب فيليب ممفورد في اجتماع لمجلة جمعية آسيا الوسطى الملكية في 26 أيلول/ سبتمبر، =

نأتي الآن إلى النقطة الأخرى التي تمت الإشارة إليها في فقرة لونگريگ السابقة، أي تذمر الشيخ مما يتعلق بالتعديات الآشورية.» بغض النظر عن صحة أسبابه، فلدى الشيخ بعض الأسباب لرفع هذا الاتهام ضد الآشوريين. فلقد كان القائد البارزاني يدرك الخطط التي كانت تُعدّ لتوطين الآشوريين على أطراف منطقته، وأنه ربما حُذِّر بشكل حقيقي من إمكانية أن يغدو هؤلاء الناس المتمردين جيراناً. فمنذ سنوات قليلة وحسب، في زمن حركة إعادة التوطين السيئة الطالع، التي قادها آغا بطرس، عانى الشيخ أحمد من خسائر فادحة على يد الآشوريين عندما حاول هو وحلفاؤه الزيباريون منع مرورهم عبر منطقة زيبار-بارزان في طريقهم إلى جبال هكّاري. وكان الشيخ أيضاً واعياً عزم الحكومة على توسيع سلطتها إلى بلاد بارزان. فقد أخذت القوات الآشورية من المجندين والجيش العراقي تحوم حول أراضيه خلال الفترة الأخيرة، وفي بعض الحالات أنشأت، فعلاً، قواعد دائمة تقع ضمن مسافة يمكن الضرب منها بسهولة.

في هذه الظروف، ليس مستحيلاً أن يكون الشيخ قد ربط توطين الآشوريين بالنشاطات العسكرية التي تحدث حوله. وإذا كان ذلك ممكناً، فلا بد أنه عدّ المناورات العسكرية الجديدة إشارة شؤم تنذر بخطة شريرة ضده وضد شعبه. علاوة على ذلك، إذا كان علينا أن نولي صدقية لتقارير معينة، ربما اشتدت مخاوفه وشكوكه بسبب صانعي الشغب التواقين إلى رؤية الكرد والآشوريين يقتل كل منهم الآخر.[1]

= عام 1933. راجع فيليب ممفورد، «الكرد والآشوريون والعراق،» مجلة جمعية آسيا الوسطى الملكية، عد. 20، القسم الأول (كانون الثاني/ يناير، عام 1933)، 117 (بالإنكليزية، 180).

(1) بيّن لونگريگ أن فكرة استغلال العلاقات السيئة بين الكرد والآشوريين ترتبط بسياسيين معينين في بغداد. لونگريگ، العراق، 1900-1950، 198، م س رقم 141.

هناك كل الأسباب للاعتقاد بأن الشيخ أحمد كان أقل ميلاً إلى التسامح سواء مع خطة توطين الآشوريين أو دخول الحكومة والجيش إلى منطقته؛ أي من هذين الخطرين نظر إليه أنه الأكثر خطورة على سلطته التي كانت لاتزال راسخة ولم يكن واضحاً تماماً؛ فجياووك، مدافع قوي عن الشيخ، يقدم لنا مفتاحاً.

وفاقاً لجياووك، ناشد الشيخ أحمد الملك فيصل الأول في رسالة توسل إليه فيها إنشاء تحصينات عسكرية قوية في منطقة بارزان، وحاول أن يجد الأسباب لهذا. فإذا كان ذلك لحماية البارزانيين، كما أكد، فهم أثبتوا في الماضي أنهم كانوا مؤهلين تماماً لفعل ذلك هم أنفسهم. لكن، إذا كان الجيش في بارزان، للمساعدة على توطين الآشوريين، كما جادل، فهو يُستخدَم لتنفيذ قرار غير عادل – قرار غير عادل شعر بالثقة أنه لا الملك ولا وزراؤه سيدعمونه.[1]

لكن على الرغم من مقاربة الشيخ المرواغ وجهوده البارعة لتجنب إحدى هاتين النقطتين موضوع الجدال، فهو لم يترك شكاً بأنه لا يريد أن يكون هناك جيش في بارزان لأي سبب. ومع ذلك، فقد امتنع بطريقة حكيمة عن جعل وجود الجيش في منطقته مشكلة، وبدلاً من ذلك ركز جهوده على الآشوريين. كما أنّ اعتراضاته على خطة التوطين امتلكت صفة شكوى مشروعة فقد كانت كفيلة بأن تكسبه تعاطفاً ودعماً كبيراً لدى أوساط كثيرة.

وجهات نظر الكتّاب الكرد

بعد وقت طويل من توقف الشيخ نفسه عن صنع مشكلة من توطين الآشوريين، نفخ عدد من الكتاب الكرد الروح في المسألة، متجادلين أنها

(1) جياووك، 138–139، م س رقم 302.

كانت أحد الأسباب الرئيسة، إذا لم تكن السبب الرئيس، للثورة البارزانية في عامي 1931- 1932.

فأردلان، أحد الأوائل الذين طرحوا هذه المشكلة، يدافع عن أن القضية كلها نشأت عن قرار الحكومة البريطانية بتوطين الآشوريين في منطقة بارزان، وهو واقع أثار سخط البارزانيين ومعارضتهم الشديدة. وفاقاً له، عندما اندلع القتال بين الآشوريين والبارزانيين، دعا البريطانيون الحكومة العراقية إلى التدخل، وهكذا اندلعت الثورة.[1]

وأكد البريفكاني أن توطين الآشوريين في منطقة بارزان الذي ترافق مع رغبة بريطانيا بسط نفوذها على منطقة حدودية مهمة إستراتيجياً، هما السببان الحقيقيان للثورة. وتبعاً له كانت خطة التوطين، التي تصورت إسكان الآشوريين في أقضية برازگر وشيروان ووبرادوست وميركاسور، هي السبب الأكثر أهمية للثورة. ويقول، قرر البارزانيون مقاومة هذه السياسة، وكنتيجة، بدأت الحكومة العراقية عمليات عسكرية ضدهم.[2] يكرر جياووك الأفكار نفسها مجادلاً أن مشكلة بارزاني كلها ناجمة عن محاولات بريطانية إجبار البارزانيين على التخلي عن أراضيهم للمستوطنين الآشوريين.[3]

لكن الجدل أن ثورة البارزاني في عامي 1931- 1932 لم تقع إلّا بسبب التوطين المزمع للآشوريين في بارزان ليس مقنعاً. وعلى الرغم من أنه صحيح تماماً أن كلاً من الحكومة العراقية والحكومة البريطانية كقوة منتدبة حاولتا أن تجدا موطناً للآشوريين في شمالي العراق، فقد أثبت البحث عن إقليم مناسب

(1) اسماعيل أردلان، أسرار بارزان (طهران: مظهري برس عام 1964)، 3 (بالفارسية، مرجع 284).

(2) البريفكاني، 12-13، م س رقم 291.

(3) جياووك، 49-51، م س رقم 302.

كبير كفاية لتوفير موطن لكل الناجين من هذه الأمة المحطمة أنه عقيم. تبعاً للونگريگ، «المجموعة الباقية على قيد الحياة البالغة نحو 20.000 نسمة لم تكن ثمة إمكانية لتوطينها في منطقة واحدة قط، طالما أن العراق لم يقدم منطقة كافية تمكن حراثتها وغير مأهولة.»[1]

كانت النتيجة الحتمية هي تشتّت الجماعة الآشورية في أجزاء مختلفة في شمالي كردستان العراقية. وبالتالي، أنشئت مستوطنات في مناطق دهوك والعمادية وبرواري بالا وبرواري جاير وعقرة وزاخو وشيخان بالإضافة إلى مستوطنات في منطقتي الحرير وديانة التابعتين لراوندوز.[2] وأخفقت محاولات إنشاء مستوطنات آشورية في منطقة برادوست لأسباب مختلفة، ربما كان أحدها هو اندلاع الأعمال العدائية بين الشيخ أحمد بارزاني والشيخ رشيد البرادوستي.[3]

ويجب أن نلاحظ أن هؤلاء الكتاب الكرد قدموا فرضيتهم عن مسؤولية الآشوريين في ثورة البارزاني عام 1931 بعد حدوث الثورة البارزانية الثانية في أعوام 1943- 1945، في وقت كان فيه البارزانيون المهزومون والمشتتون يعانون من صعوبات كبيرة. كانت الأهداف المؤكدة لهؤلاء الكتاب هي الدفاع عن قضية البارزانيين ونشر شكواهم للتأكيد على المعاملة غير العادلة التي خضعوا لها وتخليصهم من اتهامات الثورة والأخطاء وإكسابهم التعاطف الشعبي والرسمي. كانت غاياتهم بلا شك مسموعة لأن البارزانيين - ليس بالكامل عبر خطئهم هم بالذات - كانوا في أوضاع صعبة ومشؤومة لسنين كثيرة. فمنذ عهود العثمانيين، جرى تجاهل مظالمهم وتمَّ إهمال مطالبهم

(1) لونگريگ، العراق، 1900-1950، 158، م س رقم 141.

(2) م ن، 158-197.

(3) م ن، 197-199.

بالتعويض، ونشأت اضطراباتهم وصعوباتهم بسبب عدم التفهم والتعاطف الرسميين بالدرجة الأولى.[1]

اندلاع الثورة

وصل السلام الهش، الذي قام في بارزان منذ اضطرابات عام 1927، إلى نهايته في صيف عام 1931. وقد زار أحد المفتشين الإداريين البريطانيين في ذلك الوقت الشيخ أحمد وحذّره، كما هو متوقع، من موقف السلطات في بغداد.[2] ويصف لونگريگ نشوب الثورة الجديدة في بارزان كما يلي:

في تموز/ يوليه من العام الأخير (أي عام 1931) فَقَد الشيخ أحمد عقله ثانية، تَقبَّل «المسيحية» وفرضها، وأمر أتباعه الخائفين أن يعملوا وفق إيمانه الجديد بشوي لحم الخنزير وأكله. أذعن عدد من بطانته المروعين، لكن أحد جيرانه، الشيخ رشيد البرادوستي، عبّر عن عدم موافقته وشنَّ غارات أشعلت نيران الحرب القبلية كلها. وقد حاول أخو الشيخ أحمد، ملّا مصطفى، وآخرون من ذوي النيّات الطيبة إطفاءها بالدبلوماسية من دون جدوى، بل الشيخ أحمد نفسه، العائد إلى الدين الإسلامي، قاد الغزوات الوحشية غير العادية إلى منطقة برادوست.[3]

هذا، إذن، كان سياق الأحداث التي تطورت إلى ثورة كاملة، توَّجها تدخل الجيش العراقي والقوى الجوية الملكية. ومهما يكن ما يقال عن سلوك الشيخ

(1) يجب أن يُوضَّح هنا أن أردلان كان الأول الذي عالج هذه المسألة وأن كلًا من البريفكاني وجياووك حذى حذوه بشكل واضح في عدد من النقاط. لكن طالما هذه المسألة هي المعنية، فالرواية الأكثر توازناً في روايات الثلاثة هي رواية البريفكاني التي تتعقب بشكل صحيح صعوبات البارزانيين إلى العهد العثماني.

(2) لونگريگ، العراق، 1900-1950، 194-95، م س رقم 141.

(3) م ن، 195.

غير العادي، لا يمكن أن يُتَّهم بعدوان ضد جاره من دون استفزاز. وبالنسبة إلى القائد من جماعة صوفية مثل الشيخ، هذه السوابق الغريبة والاستثنائية ربما كانت اختباراً لقواه ودليلاً على سلطته الكاريزمية التي يؤمن أنه يملكها، ليس أقل من أتباعه. والواقع أن إذعان أتباعه عندما أمرهم بأكل اللحم المحرم ناشئ من اعترافهم بقوته الخاصة أكثر من خوفهم من العقوبة.

يلقي مصدر آخر ضوءاً ساطعاً ليس على الشيخ أحمد وثورته وحسب، بل على المهاجم أيضاً، الشيخ رشيد - وهو شيخ نقشبندي أيضاً. كتب هاملْتُن عام 1937 أن اسماعيل بگ، حفيد عبد الله پاشا في راوندوز، التي حكمها لمرة واحدة، أخبره التالي في سياق محادثة:

> **الشيخ أحمد رجل شاب ذو أفكار غريبة عن ديننا المحمدي. أصبح لوقت ما نصف مسيحي ودعا إلى الصداقة مع الآشوريين. وفي الحال نُشِرت دعاية عبر كردستان تقول إن الشيخ أحمد يتآمر مع الآشوريين لاضطهاد المحمديين جميعاً - أكاذيب طبعاً. لكن جاره المتعصب، الشيخ رشيد، شجعه أحد العملاء السياسيين الغامضين، وقد أشرت إليه، على مهاجمة «الكُفّار»، أُخبِرَ بأن رصاصاتهم ستتحول إلى ماء. لقد كان في الحقيقة أحمق كفاية ليصدق هذا وهاجم الشيخ أحمد. وكما تعرف، أصابه الكثير من السوء في القتال. وجراء ذلك جاء الجيش العراقي «لجلب السلام إلى كردستان»، كما قالوا. واجه الجيش صعوبات حالما وصل، ولم ينقذه إلّا الدمار الذي سببه القصف الشديد الذي قام به سلاح الجو الملكي.**[1]

تدحض هذه الإفادة بوضوح الرأي الذي يقول إن الشيخ قد دُفِع إلى الثورة بسبب خطة توطين الآشوريين. بالعكس، يبدو أنه كان متصالحاً بالكامل

(1) هاملْتُن، 299، م س رقم 95.

مع الآشوريين وهكذا تسقط بالتأكيد التهمة التي رفعها ضدهم في عام 1927. في الواقع، إنها دليل يستخلص أن معتقداته وممارساته الهرطقية، التي ترافقت مع موقفه الودي من الآشوريين، هي التي قادت إلى اعتباره نصف مسيحي ومهاجمته وشجبه لأنه ملحد.[1]

إفادة أن «عميلاً غامضاً» حرَّض الشيخ رشيد على شنّ الحرب ضد الشيخ أحمد مثيرة للاهتمام كثيراً. كما أشار اسماعيل بگ في الفقرة أعلاه، أشار إلى هذا العمل في مكان آخر في سياق حديثه مع هاملْتُن.[2] أما سذاجة الشيخ رشيد فهي موضحة بشكل مدهش لقبوله الساذج تطمينات أنه إذا هاجم «الملحدين،» فإن رصاصاتهم ستتحول إلى ماء وبالتالي يمكنه أن يفعل ذلك من دون أن يلحقه أذى.

قرار الحكومة بالتدخل

بحلول تشرين الثاني/ نوفمبر عام 1931، أنزل الشيخ أحمد خسائر فادحة جداً بالشيخ رشيد إلى درجة أن الحكومة العراقية قررت أن تتدخل، وأُمِر الجيش بالعمل على الرغم من الصعوبات التي تواجه حملة في الشتاء.[3] قرار الحكومة العراقية بمعاقبة الشيخ أحمد أثار الكثير من النقد. وقد أسف اسماعيل بگ، في سياق حديثه مع هاملْتُن، أسف لحقيقة أن الحكومة لم تقم

(1) أكل لحم الخنزير مرتبط شعبياً بالمسيحية، مثلما الختان مرتبط بالإسلام. ونْسِينْك، 739-740 (بالإنكليزية، مرجع 270). هذا الواقع ربما قاد الناس إلى اعتبار الشيخ أحمد أنه نصف مسيحي.

(2) هاملْتُن، 299، م س رقم 95، كاليفورنيا، الاقتباس من لونگريگ المقدم سابقاً.

(3) لونگريگ، العراق، 1900-1950، 195، م س رقم 141. وفاقاً لجياووك، العمليات العسكرية بدأت في تشرين الثاني/ نوفمبر، عام 1930.

بأية محاولة للتحقيق بأسباب القتال قبل هجوم الجيش على الشيخ أحمد أو تحاول تسوية المسألة ودياً.[1]

وقد وجّه الكابتن فيليب ممفورد (Philip Mumford)، الذي خدم سبع سنوات ضابط مخابرات بريطانية في العراق، اللوم أيضاً إلى الحكومة العراقية لاتخاذها إجراءات عقابية ضد الشيخ. وتبعاً له، «كان هناك رئيس كردي آخر قوي كفاية يمكنه أن يسبب الكثير من الاضطراب للحكومة العراقية، هو الشيخ أحمد في بارزان. لم يكن هذا الرجل أسوأ من رئيس قبلي جبلي عادي في منطقة متخلفة، والبريطانيون، الذين كانوا مسؤولين عنه في السنوات الخمس عشرة الأخيرة، لم يكن لديهم سبب للتخلص منه. لكن الحكومة العراقية هاجمته في مطلع الشتاء الأخير.»[2] وفي حين يتهم الحكومة العراقية بسبب البدء بالعمليات العسكرية ضد الشيخ أحمد، ينتقد ممفورد حكومته هو بالذات بسبب موافقتها على استخدام سلاح الجو الملكي ضد البارزانيين وثورات كردية أخرى.[3]

تبعاً لجياووك، استند قرار الحكومة العراقية باتخاذ إجراء عقابي ضد البارزانيين إلى الأسباب التالية، التي يؤكد أن أياً منها لم يكن موجوداً:

1. رفض البارزاني الموافقة على تعداد سنوي للخراف. يبين جياووك أنه في زمن العثمانيين أُعفِيَت خرافهم من الالتزامات الضريبية بدفع مبلغ إجمالي يُقدَّر كل سنة. وقد وافق الشيخ أحمد على دفع هذه الضريبة بالطريقة التي تحددها الحكومة العراقية. واقتضى هذا النظام أن تُعَدّ القطعان كل سنة وأن يُجبى مبلغ محدد على كل رأس. يؤكد جياووك أن مشكلة عدد الأغنام طُرِحت كذريعة لمعاقبة البارزانيين ببساطة.[4]

---

(1) هاملتُن، 300، م س رقم 95.

(2) ممفورد، 112.

(3) م ن، ترد في أماكن كثيرة في هذا الكتاب.

(4) جياووك 138، م س رقم 302.

2. معارضة البارزاني إنشاء مخافر شرطة في منطقة بارزان. هذا الخلاف أيضاً، وفاقاً للكاتب، لا تدعمه الحقائق. كما أشير سابقاً، الشيخ أحمد كتب إلى الملك بشأن هذه المشكلة، ويقدم جياووك النص التالي من رسالة الشيخ تأييداً لحجته:

> **إذا كان هدف (بناء مخافر الشرطة هذه) هو الدفاع عنا ضد العدوان الخارجي، فنحن نتعهد للحكومة أن ندافع عن أرضنا كما دافعنا عنها في الوقت الذي هدد فيه الجيش القيصري سحق الموصل. أما إذا، من جهة أخرى، كان الهدف بناء قلاع لمضايقتنا، فنحن نؤكد أنها محاولة لإثارة الاضطراب، لأننا أكثر طاعة للعرش القوي من الآخرين. نحن نشعر أن أيادي غير مرئية تعمل وراء المشهد تحاول أن تطردنا من أراضينا بهدف توطين النساطرة (الآشوريين) في ذلك المكان - واقع (نشعر بالتأكيد) أن مولانا الملك وحكومته المبجلة لن يوافقا عليه.**[1]

على الرغم من هذه الرسالة المطمئنة، يقول جياووك، أعلنت الحكومة أن الشيخ متمرد. ويوضح أن البرهان الذي يدعو للدهشة على إخلاص الشيخ يظهره جوابه للشيخ محمود في السليمانية في عام 1930 عندما أثار الأخير مساعدته ضد الحكومة. كتب: «أنا اعتبر أن أكون خادماً لسائس خيلك شرفاً،... لكن في الوقت ذاته لا أستطيع أن أُجبر نفسي على خوض الحرب ضد العرب المسلمين.»[2] غير أن الحكومة، تبعاً لجياووك رفضت بشدة أن

(1) م ن، 138-139.

(2) م ن. البريفكاني روى قصة مماثلة عن الشيخ أحمد لكنه امتنع عن ذكر اسم الشيخ محمود وفاقاً لنسخته، «أوساط معينة» طلبت من الشيخ أحمد أن يقوم بتظاهرة مسلحة ضد الحكومة. رفضُ الشيخ حرفياً، الذي يقال إنه كان مباشراً وصريحاً: «لم أقم ولن أقوم بأية تظاهرة أو صدام أو حركة مسلحة ضد الدولة العراقية لأنها دولة =

تصغي إلى حجج الشيخ وأصرت على إخضاعه – الأمر الذي رفض الشيخ قبوله.[1]

3. خروج البارزاني على القانون واللصوصية. يرفض جياووك هذه التهمة أيضاً، مؤكداً أن إصرار البريطانيين على توطين الآشوريين في محيط منطقة بارزان كان مسؤولاً عن تمرد البارزانيين. يجب أن يلام البريطانيون على هجمات البارزاني ضد الآشوريين المنتهكين، كما يقول، لأنها كانت النتيجة المباشرة للنشاطات البريطانية.[2]

4. شكاوى الشيخ رشيد ضد البارزانين. الشكاوى التي أطلقها الشيخ رشيد في برادوست، وهو أحد قادة الطريقة النقشبندية، ضد البارزانيين، استخدمت ذريعة لمعاقبة الطرف الثاني. فالشيخ رشيد، تبعاً لجياووك، كان واحداً من الخصوم الكبار للشيوخ البارزانيين بسبب الصدامات المتكررة التي وقعت بين الطرفين في ما يخص الطقوس والأنصار وقضايا أخرى ذات علاقة بالطريقة الصوفية.[3]

5. معتقدات البارزانيين الهرطقية وممارساتها. اتهمت الحكومة البارزانيين، كما يقول جياووك، بالهرطقة. وتبعاً له، رغبت الحكومة أن توجه هذه التهمة من خلال حسد ومكائد شيوخ محددين يشعرون بالسخط من واقع أن عدداً كبيراً من الأنصار كانوا ينضوون تحت لواء الشيوخ البارزانيين.[4]

= عربية مسلمة، إن واجبي الإسلامي أن أطيعها. قال الله القدير: 'أطيعوا الله وأولي الأمر منكم.'» البريفكاني، 40، م س رقم 291.

(1) جياووك، 139، م س رقم 302.

(2) م ن، 140.

(3) م ن.

(4) م ن.

العمليات العسكرية ضد البارزانيين

أعلن أحد بيانات الحكومة العراقية، صدر في تشرين الثاني/ نوفمبر عام 1931، البدء بالإجراءات العقابية ضد الشيخ أحمد في بارزان.[1] وقد بيّن أن الشيخ، في سلسلة من الهجمات المدمرة، حمل النار والسيف إلى عدد من القرى المسالمة والبريئة. وأشار أيضاً إلى اشتباك وقع في 9 تشرين الثاني/ نوفمبر بين الحكومة وقوات المتمردين، وعدَّد الإصابات التي مُنِي بها كل طرف. وخَلُص البيان إلى ملاحظة واثقة نصت على أن الحكومة اتخذت إجـراءات عقابية لتنفيذ العقوبة المناسبة بمثيري الشغب على النظام العام وسلامه.[2]

عانى الجيش العراقي، الذي نجح بوضوح في الوصول إلى عمق المنطقة المتمردة، من هزيمة قاسية في جوار قرية بارزان ولم ينقذه إلّا التدخل الذي جاء في الوقت المناسب من القوى الملكية البريطانية. والشيخ، الذي آذته نتائج القصف وكان لايزال يعلن ولاءه، أطلق الأسرى الذين أخذهم وانسحب من منطقة برادوست، مشهد الانتصارات البارزانية الجديدة ضد الشيخ رشيد.[3] وفي هذه الطريقة، وصل الطور الأول من الحملة إلى نهايته. خسائر فادحة، ترافقت مع ظروف شتاء قاسٍ، أجبرت الطرفين على وقف نشاطاتهما العسكرية تماماً.

---

(1) عدد من التفاصيل المعنية باندلاع الأعمال العدائية، تتضمن أسماء قادة الجيش والوحدات التي شاركت في القتال، مقدَّمة في البريفكاني، 14، م س رقم 291.

(2) استشهد جياووك بهذا البلاغ الرسمي وطرح مسألة أعداد الإصابات المدرجة في تلك المسألة. تبعاً له، تلك الأرقام، المعطاة 23 قتيلاً وجريحاً من القوات الحكومية و60 من الثوار، هي خطأ ناتج من التخمين. وكما رآها هو، فقد البارزانيون قتيلاً واحداً فقط. جياووك، 143-144، م س رقم 302.

(3) لونگريگ، العراق، 1900-1950، 195، م س رقم 141؛ راجع ممفورد، 112.

في مطلع ربيع عـام 1932، فيما تحركت وحدات الجيش العراقي ثانية إلى الأراضي البارزانية، حذّر المفوض السامي البريطاني الشيخ بعدم المقاومة. وقد تمّ تجاهل التحذير، وتمت مهاجمة أرتال الجيش، الأمر الذي تسبب بخسائر ثقيلة وهزيمة ثانية. ومرة ثانية استدعيت القوى الجوية الملكية للتدخل، وخضعت قوات المتمردين لقصف شديد وتشتت سريعاً. تقدم أحد الأرتال العراقية إلى منطقة بارزان تحت تغطية جوية قوية، واحتل قرية بارزان والريف المحيط بها. تبع هذا التطور فترة هدوء في القتال، أطلق الشيخ سراح طيار أسير في سياق ذلك، لكن محاولات التوصل إلى حل سلمي أثبتت أنها غير مثمرة.[1]

استؤنفت العمليات، وخضع البارزانيون لضغوط قاسية من البر والجو. قُتِل الكثير من أتباع الشيخ واحتُلّت مساحات واسعة من أراضيه. وفعل القنابل المتأخر التي أسقطتها الطائرات البريطانية جعل من الصعب، إن لم يكن مستحيلاً، بالنسبة إلى الشيخ أن يحصل على إمدادات من القرى التي أُخلِيت.[2] ومع قواته التي تقلصت، وقدرته على الحركة التي قُيِّدت، وإمداداته التي قلّت وكادت تنتهي، كان واضحاً أن الشيخ قد وصل إلى حدود صبره وقوته وقدرته على التحمل. وفي صيف عام 1932، أوقف فجأة القتال غير المتكافئ وسعى إلى اللجوء السياسي في تركيا.[3] فاستسلم لحرس الحدود التركي ونقل في الحال مع إخوته وعائلاتهم إلى أدرنة في تركيا الأوروبية، حيث بقوا هناك إلى أن تمت ترتيبات عودتهم إلى العراق. تبعاً للبريفكاني،

(1) م ن.

(2) انظر ملاحظات السير آ. ت. ويلسُن، م س رقم 275. والسير روبرت بروك پوفام في ممفورد، 116-117.

(3) لونگريگ، العراق، 1900-1950، 195، م س رقم 141. راجع ممفورد، 112-113؛ البريفكاني، 14-15، م س رقم 291.

سلّم الترك البارزانيين إلى السلطات العراقية وفاقاً لاتفاقية تبادل المتهمين السارية المفعول بين البلدين.[1] لكن، من الممكن الافتراض أن الترك فعلوا ذلك بعد تلقيهم تطمينات أن الشيخ وإخوته وأتباعه لن يلحقهم أذى؛[2] بعد وصولهم إلى العراق، نُفي الشيخ أحمد وأخوه ملّا مصطفى أولاً إلى الناصرية على الفرات الأدنى ثم نقلوا إلى السليمانية في جنوب كردستان العراقية.[3]

في الوقت الذي انتهت فيه ثورة البارزاني عامي 1931- 1932، تم فقدان الكثير من الدم والثروة، ومنطقة بارزان، مسرح العمليات العسكرية، خُرِّبت وأُفقِر سكانها. وبإضافة مظالم جديدة وصعوبات جديدة إلى القديمة، وضعت الثورة قيوداً ثقيلة على العلاقات الكردية العربية. أما النتيجة الأكثر أذى فتتمثل بحجم الدمار الذي لا يمكن احتسابه الذي لحق بمكانة الحكومة العراقية. لكن حقيقة أن مئات قليلة من الرجال السيئي التجهيز كانوا قادرين على إلحاق هزيمة بقوات نظامية أكثر من مرة وأجبروا الحكومة على السعي إلى مساعدة القوة المنتدبة فكانت تطوراً مليئاً بالعواقب الجدية. وإذا كانت توجد أية شكوك حول قوة الحكومة، فلم يعد يوجد أي منها الآن. فقد كُشِف ضعفها وحجم اعتمادها الشديد على الدعم الخارجي للعيان. ومن جهتهم، مثيرو الشغب المحتملون قد يسألون: هل يحتاج تمرد في المستقبل إلى الخوف جراء تحدي الحكومة العراقية بعد رحيل القوة المنتدبة؟

اضطرابات إضافية في منطقة بارزان، 1934- 1935

في عامي 1934 و1935، كانت قوة كبيرة من البارزانيين بقيادة خليل خوشوي مسؤولة عن نشر الاضطراب في كردستان العراقية. وما إذا كان هذا

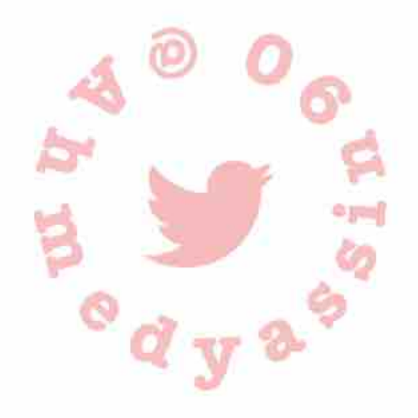
(1) م ن.
(2) راجع أردلان، 3.
(3) م ن.

الاضطراب هو الخفقة الأخيرة في ثورة البارزاني ليست واضحة تماماً. وهكذا يعالج لونگريگ ذلك كتطور منفصل لا صلة له بثورة الشيخ أحمد الأولى: «هذا القاطع الطريق،» يقول لونگريگ عن خوشوي، «الذي تحدى لوقت طويل عمليات مشتركة بين القوات العراقية والتركية، متحركاً عبر الحدود من وادٍ إلى آخر ومدمراً قرى كل الذين شجبوه، قُبِض، أخيراً في عام 1935، على معظم أتباعه، وشُنِق منهم العشرات، وهو نفسه اختفى، ليظهر ثانية في أواسط الشتاء ويُلقى القبض عليه ويُعدَم بالرصاص في آذار/ مارس، عام 1936.»[1]

يدافع البريفكاني عن أن هذا الاضطراب الجديد كان استمراراً لثورة الشيخ أحمد تحت قيادة جديدة. وهو يؤكد أن قوة التمرد، التي قادها بشكل مشترك خال الشيخ أحمد علو بگ وخليل خوشوي، تكونت إلى حد كبير من مقاتلي الديوانية، وهم أنصار متعصبون للشيخ. ويوضح، أي البريفكاني أن هذه الانتفاضة كانت ذات أهداف مُعرَّفة جيداً، يبدو أنها تحققت بعد أكثر من سنة من القتال. وتبعاً له، عندما طلبت الحكومة من علو بگ أن يوقف الأعمال العدائية، وافق على أن يفعل ذلك بشرطين: (1) أن يُسمَح له ولأتباعه أن يقيموا في بارزان؛ و(2) أن تطلق الحكومة سراح الشيخ أحمد وأتباعه من المنفى في الناصرية. وافقت الحكومة على الشرط الأول، وقدمت تسوية على الشرط الثاني. سمح لعلو بگ وأتباعه بالعيش في بارزان ونُقِل الشيخ أحمد وأخوه ملّا مصطفى إلى السليمانية. هذه التسوية، وفاقاً للبريفكاني، وصلت بثورة 1934-1935 إلى نهايتها.[2] أما عن مصير خليل خوشوي فلا يقول شيئاً.

(1) لونگريگ، العراق، 1900-1950، 243، م س رقم 141.

(2) البريفكاني، 15-16، م س رقم 291.


@Ahmedyassin90

الفصل الرابع عشر

ثورة ملّا مصطفى بارزاني في 1943-1945، ونمو المنظمات السياسية الكردية

فرار ملّا مصطفى

في صيف عام 1943، فرّ ملّا مصطفى، أخو الشيخ أحمد، من السليمانية ونجح في شق طريقه إلى منطقة بارزان بطريق التفافية عبر إيران (بلاد فارس سابقاً). ويبدو أن فرار الملا قد خُطِّط له جيداً. فوفاقاً لأحد المصادر، ساعد الشيخ لطيف برزنجي، وهو ابن الشيخ محمود،[1] على فراره. ويقال إن ملاّ مصطفى تلقى المساعدة من عدد من أتباعه الذين يعيشون على طول الطريق

(1) رامبو، 72، م س رقم 213؛. راجع نيكيتين، الكرد، 201، م س رقم 187. وفاقاً لجياووك، كان هروب ملّا قد رتبه شيخ معين مجهول الاسم، وملّا مصطفى رافقه في فراره مع أنصاره، جياووك، 153-154، م س رقم 302. تبعاً للبريفكاني، هرب ملّا مصطفى متنكراً بزي عالم إسلامي. البريفكاني، 17، م س رقم 291. عن فرار ملّا مصطفى، انظر أيضاً أردلان، 4؛ نجفقلي پسيان، كان ثمة موت وعودة، ط 2، 1: 31 (بالفارسية، مرجع 308)؛ ولونگريگ، العراق، 1900-1950، 324-25، م س رقم 141.

بين منگور وقبائل المامش في منطقة الحدود العراقية الإيرانية.[1] وقد أطلق وصوله إلى موطنه القبلي سلسلة من الأحداث التي تُوِّجَت بصدامات مسلحة مع قوات الحكومة بعد وقت قصير.

أسباب عديدة سبقت فرار ملّا مصطفى من السليمانية، حيث كان يعيش تحت الإقامة الجبرية منذ سبع سنوات. لقد أكد عدد من الكتاب على الصعوبات المالية، فكما يبدو لم تكن المخصصات الضئيلة، التي تقدمها الحكومة، كافية لتلبي الحاجات الأساسية للقائدين البارزانيين المنفيين مع عائلاتهما وعدد كبير ممن يعيلونهما.[2] ويبدو أن السلطات المحلية، التي كان يرأسها المتصرف الكردي الشيخ مصطفى القَره داغي، اتبعت سياسة التضييق على القائدين البارزانيين.

يدافع الكاتب الكردي معروف جياووك عن أن المتعاطفين المحليين مُنِعوا من زيادة المساعدة للقائدين البارزانيين. يقول، إنه في سياق مقابلة أجراها مع الشيخ أحمد، تذمر رئيس القبيلة البارزاني بمرارة من الصعوبات التي يكابدونها بسبب مخصصات الحكومة غير الكافية وموقفها. وجاء في التقارير أن الشيخ أحمد سأل: «هل صحيح أن الكابتن ليون (Lyon)،[3] رئيس

---

(1) البريفكاني، 27، م س رقم 291.

(2) جياووك، 154، م س رقم 302؛ راجع لونگريگ، العراق، 1900–1950، 325، م س رقم 141. تبعاً للبريفكاني، الشيخ أحمد، الأخ الأكبر للملّا مصطفى والقائد الروحي للبارزانيين، كان يتلقى 25 ديناراً عراقياً (ما يعادل في ذلك الوقت 100 دولار أميركي) في الشهر، في حين أن ملّا مصطفى كان يتلقى 12 دولاراً في الشهر. وطلبات القائدين البارزانيين المتكررة أنتجت زيادة قدرها دينارين فقط في الشهر لكل منهما. البريفكاني، 1: 21، م س رقم 291. راجع رامبو، 72، م س رقم 213.

(3) هذه الإشارة هي للكولونيل والاس أ. ليون، أحد الموظفين الرسميين البريطانيين المحاربين القدماء في العراق.

المفتشين الإداريين في الشمال يأتي لزيارتي ويترك مالاً تحت بساطي، في حين أن الشيخ مصطفى القَره داغي لا يسمح للناس أن يساعدونا ويعاملنا بهذه القسوة، من دون أي سبب على الإطلاق؟»[1]

تبعاً لجياووك، أخبره الشيخ أحمد أنه لم يكن لديه اطلاع على نيّات ملّا مصطفى قبل فراره. ومع ذلك، اعتقد الشيخ بأن هناك شيئين حفّزا ملّا مصطفى على الفرار من السليمانية، يتعلق أحدهما بنفاذ أمواله الشخصية[2] والآخر إهانة مؤذية جداً لمكانته.[3] مهما كانت الحقيقة في هذه التخمينات، فالمهم هو أن كاتباً كردياً هاماً أعطاهم مالاً. وقبل فراره، قيل إن ملّا مصطفى كان على تواصل مع منظمات قومية كردية.[4] وإذا كان ذلك صحيحاً، فهذا يمكن أن يكون السبب الأكثر أهمية لفراره.

---

(1) جياووك، 153، م س رقم 302. يزعم جياووك أنه عند سماع هذا التصريح، أخبر الشيخ أن فعل الكولونيل ليون كان دافعه المكر والخداع وليس الحب، وكان متوقعاً منه لأن يجعل الشيخ يقول الكلمات عينها التي نطق بها لتوه. وعندئذٍ أوضح للشيخ أن السبب الحقيقي لمودة الكولونيل ليون هو فرار ملّا مصطفى ووصوله إلى بارزان. لا يتحدث جياووك في تقريره عن ردود فعل الشيخ على ملاحظاته.

(2) يبدو أن ملاً مصطفى كان بحاجة ماسة لأموال إضافية إلى درجة اضطر فيها إلى استخدام المسكوكات أو القطع الذهبية على غطاء رأس زوجته. قبل أيام من فراره طلب من زوجته بعض القطع الإضافية، لكنها من دون أن تتفوه بكلمة رمت غطاء رأسها إليه، الذي كان مثقلاً بحذوتي حصان بدلاً من القطع الذهبية. يوضح جياووك أن المرأة الكردية ترتدي أغطية رأس منمنمة ومثقلة بقطع الذهب أو الفضة تخاط إلى الغطاء. ويصبحن متعودات على هذا الوزن على رؤوسهن إلى درجة أنهن عندما ينزعن المسكوكات، يستبدلنها بشيء ما يعادل ذلك الوزن. م ن، 154.

(3) وفاقاً للشيخ أحمد، صَفع أحد المجرمين المحليين ملاً مصطفى في حمام عام، وتبعاً للشائعة كان الحاكم قد حرضه. وعندما شكا ملّا مصطفى الحادث إلى الحاكم، لم يتخذ أي إجراء. م ن.

(4) أردلان، 4.

خلاف ملّا مصطفى مع الحكومة العراقية

بعد وصوله إلى منطقة بارزان، يقال إن ملّا مصطفى طلب من الحكومة العراقية أن تمنح العفو العام للمنفيين البارزانيين وتقدم مساعدة اقتصادية للشعب في بارزان.[1] لا يوجد شك بأن الوضع الاقتصادي في تلك المنطقة كان محبطاً. ففي ذلك الوقت، كانت ثمة شائعات ثبتت صحتها في النهاية، أن حالة من المجاعة كانت موجودة في منطقة بارزان، إلى الدرجة التي اضطر فيها الناس إلى أكل ثمار البلوط لعدم وجود الحبوب.[2]

كان رد الحكومة أن طلبت من ملّا مصطفى الاستسلام، وأمرت قوات الشرطة بملاحقته واعتقاله. هو دافع عن ولائه للحكومة، لكنه أصر على تحقيق مطالبه. وعندما أخفق بالحصول على ردٍّ مُرْضٍ من الحكومة، قرر الثورة المسلحة في حالة إحباط وغضب.[3]

هجمات ملاّ مصطفى على مخافر الشرطة

بدأ القائد الكردي الأعمال العدائية بهجمات على مخافر الشرطة، ونجح في الاستيلاء على مخافر شانِدِه وخيرزوك. هذه النجاحات، بالإضافة إلى تعزيز مكانته كثيراً، مكّنته من الحصول على الأسلحة والذخيرة الضرورية

---

(1) البريفكاني، 17–18، م س رقم 291.

(2) بعد هذه الأحداث بوقت قصير رسخت أنا شخصياً حقيقة تلك الشائعات عندما أُرسِلت إلى منطقة بارزان مفتشاً للإمداد في الأقاليم الشمالية للتحقق من الوضع الاقتصادي في تلك المنطقة. راجع إلفنستُن، «المسألة الكردية،» 99، م س رقم 71.

(3) تبعاً للونگريگ، انضم ملاّ مصطفى إلى قوات الكردي الخارج عن القانون سعيد بيروخي، الذي يبدو أنه وقع في قبضة رتل من الجيش التركي، في حين أن ملّا مصطفى استمر في كسب القوة. لونگريگ، العراق، 1900–1950، 325، م س رقم 141.

جداً، وزيادة عدد أتباعه بسرعة[1] إلى درجة أن فوجاً من الشرطة المتنقلة أُرسِل ضده، استطاع أن يلحق الهزيمة به.

واصل ملّا هجماته على مخافر الشرطة حتى استولى على عدد كبير منها، ورفض أن يعير اهتماماً إلى رسالة من رئيس الوزراء، نوري السعيد، يحثه فيها على الاستسلام. أُرسِلت الرسالة عبر الشيخ أحمد، الذي كان لايزال محتجزاً في السليمانية.[2] وأرسل بعد ذلك، رتل من الجيش العراقي ضد القوات المتمردة وأخفق في تحقيق الهدف. حاولت الحكومة التفاوض مع ملّا مصطفى وعرضت عليه خياراً إما العبور إلى إيران وإما العيش في منطقة پيشدر في لواء السليمانية، لكنه رفض هذا العرض وطالب ثانية بالحقوق الكردية.[3] عندئذٍ تلقى ملاّ مصطفى تحذيراً صارماً من السفارة البريطانية، يطالبه أن يوقف نشاطاته العدائية ويتوصل إلى تفاهم سريع مع الحكومة العراقية.[4]

عندئذٍ أظهر ملّا، الذي ظل حتى ذلك الوقت عنيداً وغير راغب بالتوصل إلى اتفاق، على الرغم من محاولات عراقية جديدة للسعي إلى تسوية ودية، إشارات من الليونة. ففي 25 كانون الأول/ ديسمبر، عام 1943، أعاد نوري السعيد تشكيل وزارته، وكان التغيير المهم الأكبر هو ضمّ مجيد مصطفى،

(1) البريفكاني، 17-18، م س رقم 291؛ «الاضطراب في كردستان،» (بالإنكليزية، مرجع 264).

(2) لونگريگ، العراق، 1900-1950، 325، م س رقم 141.

(3) م ن.

(4) قبل هذا، ناشد ملاّ السفير البريطاني للتدخل باسمه لدى الحكومة. لكنه أُبلِغ بشكل صريح أنه لن يتلقى دعماً بريطانياً. م ن. راجع جياووك، 156، م س رقم 302؛ وأردلان، 6؛ والبريفكاني، 19، م س رقم 291.

وهو كردي بارز، وزيراً من دون حقيبة بمهمة القضايا الكردية.[1] ترافقت هذه الإيماءة التصالحية مع ضغط بريطاني متواصل، أقنعت رئيس التمرد، في النهاية، بتعليق العمليات العدائية.

لم يكن التعامل مع ملّا مصطفى سهلاً، ولم يكن هو من يجب أن يوجه اللوم إليه بالكامل. فثمة دور جديد، وربما غير متوقع، فرضته عليه القوات التي حركها. فهذا الرجل، الذي كان منذ أشهر قليلة فقط سجيناً هارباً يشعر بالمرارة من سوء المعاملة، وقف عندئذٍ على رأس حركة كبطل لشعبه وتجسيد لقضيته.



17. ملّا مصطفى. فرانسوا خافيير/ بترخيص من المعهد الكردي في باريس. كردستان: في ظل التاريخ.

(1) «الاضطراب في كردستان،» م س رقم 264؛ لونگريگ، العراق، 1900-1950، 325، م س رقم 141؛ وأردلان، 6؛ وجياووك، 157، م س رقم 302؛ والبريفكاني، 19، م س رقم 291.

مطالب ملّا مصطفى

يقال إن ملّا مصطفى، وكان عندئذٍ في مزاج مسترخٍ، قدَّم للحكومة عدداً من المطالب، هي:

1. إنشاء إقليم كردي يضم الكرد جميعاً يتكون من ألوية كركوك وأربيل والسليمانية بالإضافة إلى مقاطعات الموصل - أي دهوك والعمادية وعقرة وزاخو وسنجار وشيخان[1] - ومقاطعة خانقين ذات الأغلبية الكردية في لواء ديالى.

2. تعيين موظف رسمي كردي بمرتبة وزير لإدارة الإقليم الكردي المُنشأ حديثاً.

3. تعيين معاون وزير كردي في كل من الوزارات المختلفة.[2]

4. حكم ذاتي ثقافي واقتصادي وزراعي لكردستان في المعنى الأوسع الممكن، إلّا في القضايا التي تتعلق بالجيش وقوى الأمن الداخلي.[3]

5. صرف أو نقل الموظفين المعروفين بالرشوة أو سوء استخدام السلطة من المناطق الكردية.[4]

6. تبني استخدام اللغة الكردية لغة رسمية.[5]

وعلى الرغم من الطبيعة المتطرفة لهذه المطالب، فقد أظهرت الحكومة رغبة مخلصة بالتوصل إلى اتفاق مع القائد البارزاني وإزالة أسباب عدم الرضا في كردستان. فبعد وقت قصير من تعيينه، غادر مجيد مصطفى بغداد

---

(1) الحصص الكردية في الموصل ضُمنَت إلى وحدة إدارية واحدة تعرف باسم لواء دهوك.

(2) المطالب الثلاثة الأولى المدرجة يُشار إليها في عمل أردلان، 7؛ وفي پسيان 2: 32، م س رقم 308؛ وفي جياووك، 157، م س رقم 302.

(3) أردلان، 7؛ ولدى پسيان، 2: 32، م س رقم 308.

(4) جياووك، 157، م س رقم 302.

(5) م ن.

إلى مفاوضات مع ملّا مصطفى، الذي التقاه في ميرگاسور. وتم التوصل إلى اتفاق في النقاط التالية:

1. يُطلَق سراح الشيخ أحمد مع كل الرجال والنساء والأطفال من بارزان المحتجزين معه في مدينة الحلة (التي انتقلوا إليها بعد نفيهم إلى السليمانية)، ويسمح لهم بالعودة إلى بارزان.

2. يجب أن يذهب ملّا مصطفى إلى بغداد ليقدم خضوعه الرسمي للحكومة.

3. يجب أن تولى إدارة منطقة بارزان إلى مسؤولين مميزين باستقامتهم ونزاهتهم وحسهم بالعدالة.

4. ستفتح المدارس وتُبنى الطرق ومخافر الشرطة، وتتخذ خطوات لإنشاء مرافق نقل عامة مماثلة لتوطيد القانون والنظام والازدهار.[1]

بعد التوصل إلى هذه الاتفاقية مع ملّا مصطفى، ذهب الوزير الكردي في جولة استطلاعية للمناطق الكردية. حقق بالمظالم، صرف المسؤولين الشعبيين، وعجل في توصيل الطعام إلى رجال القبائل في بارزان المنكوبين بشدة، والآن على شفا المجاعة.[2] وعندما عاد إلى بغداد، سلّم تقريراً شاملًا إلى مجلس الوزراء، بين أشياء أخرى. أوصى مجيد مصطفى بتعيين ضباط ارتباط بين الحكومة والقبائل الكردية.[3] وجرى تعيين ضباط جيش من الكرد لملء هذه الوظيفة.

(1) م ن، 158-159.

(2) «الاضطراب في كردستان،» 175، م س رقم 264؛ ولدى لونگريگ، العراق، 1900-1950، 325، م س رقم 141.

(3) ضباط الجيش التالية أسماؤهم عُيِّنوا في النهاية ليخدموا ضباط ارتباط: أمين راوندوزي في راوندوز، عزت عبد العزيز في بِـلِه، مصطفى خشناو في بارزان، المير حاج أحمد في عقرة، ومجيد علي في العمادية، وسعيد عزيز سيد عبد الله في ميرگاسور وبرادوست، وداوود عارف في پيشدار. أردلان، 7. راجع البريفكاني، 19، م س رقم 291؛ وجياووك، 157، م س رقم 302.

انقسمت الوزارة في موقفها من حركة البارزانيين. يقال إن رئيس الوزراء العراقي، نوري السعيد، فضَّل سياسة التعاطف والمصالحة، لكن عدداً من زملائه، حذَّرتهم نجاحات ملّا مصطفى وأثارت سخطهم مطالبه، دافعوا عن سياسة صلبة تماماً.[1] وهذه الاختلافات كانت لا تزال من دون حلّ عندما غادر رئيس الوزراء إلى فلسطين في 9 كانون الثاني/ يناير، عام 1944.[2]

قرار مجلس الوزراء

بعد أكثر من أسبوعين من سفر رئيس الـوزراء، قام مجلس الوزراء بمحاولة جادة لتسوية مشكلة البارزاني والمشكلات المختلفة الناجمة عنها.[3] وقد أفضى اجتماع مجلس الوزراء، الذي ترأسه نائب رئيس المجلس، توفيق السويدي، إلى قرار مجلس الوزراء في 25 كانون الثاني/ يناير، عام 1944. والقرار، الذي عكس بوضوح المشاعر السائدة بين أعضاء الوزارة تجاه حركة البارزاني، تكوَّن من النقاط التالية:

1. إعادة إنشاء الإدارة في مقاطعة زيبار وراونـدوز والعمادية وفي المقاطعات الفرعية ميرگاسور وشيروان ومازين وبارزان. تعيين موظفين نزيهين وقادرين، وإذا كان ثمة ضرورة، استخدام خدمات ضباط الجيش الكرد وكلاء للحكومة وضباط ارتباط.

---

(1) لونگريگ، العراق، 1900–1950، 327، م س رقم 141. راجع جياووك، 156، م س رقم 302.

(2) لم يعد رئيس الوزراء إلى العراق حتى 7 شباط/ فبراير، عام 1944. جياووك، 159، م س رقم 302.

(3) كان لدى المجلس قبل هذا تقريران عن هذه المشكلة، أحدهما سلمه مجيد مصطفى والآخر لجنة خاصة كُلِّفَت بالتحقيق في الثورة البارزانية. م ن، 159. راجع عمل عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية 6: 274 (بالعربية، مرجع 301).

2. إنشاء مخافر شرطة في مناطق الحدود العراقية والطرق العامة البعيدة ونقاط التقاطع وتوسيع مخافر الشرطة الواقعة قرب المقرات الرئيسة.

3. إنشاء الطرق وإقامة مخافر شرطة في خليفان ورايازان والعمادية وبله وعقرة وبارزان وميرگاسور وشيروان ومازين وديانة وكاني رِش.

4. نقل ملّا مصطفى الفوري من منطقة بارزان ومستوطنته في ريف البيران.[1]

5. عودة الشيوخ البارزانيين المنفيين إلى بيوتهم وقبول الحكومة مجيء ملّا مصطفى إلى بغداد لتقديم خضوعه، في وقت وأسلوب يحدده وزير الداخلية والوزير الكردي من دون حقيبة.

6. استعادة أسلحة الحكومة ومعداتها التي استولى عليها ملّا مصطفى وأتباعه والبدء الفوري بخطوات لإنجاز هذه المهمة.

7. موافقة الحكومة على إصدار عفو عام عن مجموعات التمرد البارزانية باستثناء أفراد القوات المسلحة ومسؤولي الحكومة الذين انضموا إلى تلك الجماعات. وتاريخ إصدار هذا العفو ستحدده الحكومة في وقت لاحق.

مثَّل قرار مجلس الوزراء نصراً للقسم المعادي للكرد في المجلس، والأمر المهم أنه تمّ تبنيه في غياب نوري السعيد، الذي أشرنا مسبقاً إلى أنه فضّل مقاربة تصالحية للمشكلة برمتها.

انتقد جياووك هذا القرار بأنه إجراء متسرع وغير حكيم وقد أفرد عدداً من النقاط التي شكلت، برأيه، أخطاء كبيرة في المحاكمة السياسية،[2] هي:

---

(1) تشير هذه النقطة بوضوح إلى موطن القسم المنخفض لقبيلة پيران على سهل بتْوين (نارين) في العراق، أكثر منها إلى موطنها في القسم الجبلي عبر الحدود في إيران.

(2) جياووك، 160–161، م س رقم 302.

1. كان قرار استخدام الأعضاء الكرد في القوات المسلحة ضباط ارتباط في المناطق الكردية خطأً جسيماً ذا نتائج مشؤومة لكل المعنيين. فهولاء الرجال، من دون خطأ شخصي اقترفوه، غدوا متورطين في الحركة البارزانية وأُعدِموا لاحقاً لمشاركتهم في الثورة البارزانية.

2. كان القرار المعني بالنفي الفوري للملّا مصطفى، في الوقت الذي كانت تبذل فيه المساعي لمصالحة رجال القبائل المتمردين سيئ التوقيت وغير حكيم. فقد كان من المؤكد أنه سيزعج رجال القبائل ويلقى مقاومتهم ولن يكون مساعداً على تشجيع الثقة في نيّات الحكومة الطيبة.

3. كان قرار استعادة أسلحة الحكومة ومعداتها التي استولى عليها المتمردون أمراً مستحيلاً تقريباً على الرغم من أن القادة البارزانيين سلموا كل الأسلحة التي كان بإمكانهم جمعها من رجال القبائل الذين يخضعون لسلطتهم. أما معظم المعدات فقد وقعت في أيدي العناصر الخارجة على القانون ولم يكن بالإمكان تذكرها.

4. استمر التأخير في منح عفو عام عن البارزانيين ليكون عنصر توتر خطيراً بين البارزانيين والحكومة إلى أن أُقِّر القانون الضروري في نيسان/ أبريل، عام 1945.

5. كان قرار عدم توسيع العفو ليشمل موظفي الحكومة الكرد وضباط الجيش الذين انضموا إلى الثورة البارزانية خطأً فادحاً، لأن هؤلاء الرجال وضعوا في وضع يائس وفضلوا البقاء خارج القانون والموت وهم يقاتلون على الاستسلام والشنق. علاوة على ذلك، لم يكن الشيخ أحمد في وضع يمكنه فيه جمع هؤلاء الرجال وتسليمهم للحكومة.

محاولات لحل المشكلة البارزانية

بعد عودته إلى بغداد في 7 شباط/ فبراير، عام 1944، استأنف رئيس الوزراء جهوده لتسوية ودية للمشكلة البارزانية. ولم تكن مهمة سهلة، لأنه على الرغم من أنه كان متلهفاً لمصالحة البارزانيين الثائرين وتهدئة مخاوفهم، فقد كان بلا شك متلهفاً بالمثل لدعم هيبة الحكومة وسلطتها.

في غضون ذلك، يبدو أن كلاً من الطرفين قد أنجز بعض التقدم باتجاه التوصل إلى اتفاق على عدد من النقاط. فقد تم تسليم بعض أسلحة الحكومة وذخيرتها التي استولى عليها البارزانيون إلى السلطة العراقية.[1] وسُمِح للشيخ أحمد أن يعود إلى بارزان مع أفراد عائلته وأتباعه الذي شاركوه منفاه.[2]

زيارة ملاّ مصطفى إلى بغداد

في 22 شباط/ فبراير، عام 1944، بعد فترة وجيزة من وصول الشيخ أحمد إلى بارزان، رحل ملّا مصطفى إلى بغداد ليقدم خضوعه الرسمي للحكومة. الوصي على العرش [3] الذي استقبل ملاّ، مصحوباً بشيوخ القبائل البارزانيين البارزين وفتاح آغا هركي،[4] الزعيم الأكبر لقبيلة هركي الكبرى من الكرد

---

(1) م ن، 161؛ ولدى الحسني، 6: 275، م س رقم 301.

(2) من أجل رواية أكثر تفصيلًا لرحلة الشيخ أحمد إلى موطنه، انظر جياووك، 160-161، م س رقم 302.

(3) أمين عبد الإله، أخ الملكة العراقية علياء، عُيِّن مستشاراً للملك في العراق، عام 1939، بعد وفاة الملك غازي في عمر السابعة والثلاثين في حادث اصطدام سيارة. وقد خدم عبد الإله مستشاراً للملك حتى بلغ فيصل، ابن غازي وعلياء البالغ من العمر أربع سنوات ما يكفي من العمر ليكون ملكاً.

(4) لرواية مثيرة للاهتمام لكنها ليست مطرية عن فتاح آغا لأحد الكتاب السوفيات، بالإشارات إليه باسم «الحاكم الإقطاعي» و«منفذ نشط للأوامر الإدارية البريطانية،» =

الرحّل. خلال هذا اللقاء، طلب ملّا مصطفى العفو ومنح إياه وافتراضياً صنع سلامه مع الحكومة.[1]

لكن زيارة ملّا مصطفى إلى بغداد أخفقت في إنتاج أي تحسين في العلاقات الحكومية - البارزانية، إذا لم تكن، في الحقيقة، خدمت في جعل المزاج أكثر سوءاً لدى الطرفين، وعمَّقت مشاعر الكراهية وعدم الثقة المتبادلة أكثر من أن تبددها. فقد انزعج القوميون العرب بشدة من وصول القائد البارزاني إلى بغداد مصحوباً بحاشية ذات نفوذ من القادة القبليين والأتباع واستقباله الودي الحار من الرسميين الحكوميين الرفيعي المستوى. في هذه الظروف، ربما ليس مفاجئاً أن يُعَدّ ظهور عدد كبير من المحاربين الكرد المسلحين بشدة في شوارع العاصمة مظهراً ينذر بالسوء. فقد اعتبره كثيرون أنه تهديد وتحدٍّ لسلطة الدولة، وأثار هجوماً صحفياً عنيفاً ضد البارزانيين الأمر الذي أشعل الرأي العام وعجّل برحيل ملّا مصطفى من بغداد.[2]

وفاقاً لأحد المصادر، سُمِح للملّا مصطفى بالعودة إلى بارزان لأجل الغرض المعلن وهو جمع التجهيزات العسكرية الحكومية التي استولى عليها البارزانيون. لكنه، بدلاً من ذلك، يقال بدأ جولة واسعة على المناطق الكردية المجاورة بهدف تعزيز موقعه بين الرؤساء القبليين الكرد والشخصيات المرموقة وكسبهم لمصلحة قضيته.[3]

= انظر ڤ. ستيبانوڤ، «زيارة إلى الكرد،» 23-24 (بالإنكليزية، مرجع 249). قابلت فتاح آغا في أربيل في ربيع عام 1944 وأتذكر أنه شخص دمث أكثر منه متحفظاً.

(1) جياووك، 163، م س رقم 302.

(2) تبعاً لجياووك، أحد الموظفين الرسميين الكبار كان يخدم مع حكومة العراق أبلغه أن الرأي العام في أوساط بغداد السياسية هو أن ملّا مصطفى سيفعل حسناً لتجنب أية تطورات غير مناسبة من خلال عودته إلى بلده سريعاً قدر الإمكان. م ن، 165.

(3) الحسني، 6: 275، م س رقم 249.

مقترحات رئيس الوزراء

على الرغم من هذه التطورات غير المستحبة، استمر رئيس الوزراء العراقي نوري السعيد بجهوده لإيجاد حلّ مقبول من الطرفين. فقام بجولة إلى المناطق الكردية في أيار/ مايو، عام 1944، في وقت بدت فيه إشارات متصاعدة توّتراً واضطراباً بين الكرد والعرب، ولا سيما في الجيش.[1] وفي محاولة لتلبية بعض المطالب الكردية، وافق رئيس الوزراء على إنشاء لواء دهوك، وحدة إدارية كردية خالصة تتشكل من مناطق دهوك وزاخو والعمادية وعقرة وسنجار وشيخان في لواء الموصل. وعُهِد إلى الوزير الكردي، مجيد مصطفى بتعيين الموظفين الكرد في اللواء المشكل حديثاً. وعرض نوري أيضاً تقديم عدد من الامتيازات الأخرى، أي تعيين نائب مدير عام كردي في وزارة التعليم، وتحسين الخدمات الاجتماعية في المناطق الكردية، ومنح القروض الزراعية وإعادة النظر بوضع إدارة حصر التبغ، التي كانت مصدراً دائماً للشقاق بين الحكومة ومزارعي التبغ الكرد.[2]

لكن رئيس الوزراء أخفق في كسب تأييد زملائه، وفكرة لواء دهوك المقترحة أثبتت أنها غير مقبولة لدى الوصي على العرش. وكما يمكن أن يكون متوقعاً أفضى هذا التطور إلى أزمة وزارية، وأُجبِر نوري السعيد على تقديم استقالته في حزيران/ يونيه، عام 1944. في كلمات أحد المراقبين البريطانيين: «طغى الشعور المعادي للكرد على الكثير من أوساط بغداد السياسية ثانية. وكان ذلك مستنداً، كما في الماضي إلى الخوف من الانفصال، وإلى التأكد من أن التساهل في الشمال سيتبعه تساهل مماثل أو أكبر من مطالب الشيعة، وإلى الطموحات الأنانية الفجة لدى القادة الكرد.»[3]

---

(1) لونگريگ، العراق، 1900-1950، 325، م س رقم 141.

(2) م ن.

(3) م ن، 325-326.

سياسات الوزارة الجديدة تجاه البارزانيين

لم تنفذ وزارة حمدي الباجه جي، التي خلفت وزارة نوري السعيد، السياسات الكردية لرئيس الوزراء السابق. وقد جاءت المعارضة لتلك السياسات، بشكل رئيس، من وزير الداخلية، مصطفى العمري، ووزير الدفاع، تحسين علي، في حين وافق رئيس الوزراء، الباجه جي ووزير الخارجية، أرشاد العمري على سياسات نوري السعيد.

في تموز/ يوليه، عام 1944، بعد مجيء الوزارة الجديدة بوقت قصير إلى السلطة، أُرسل وزير الاقتصاد، توفيق وهبي، الذي كان كردياً، في بعثة حسن نية إلى كردستان. ويقال إنه اكتشف عداء شديداً تجاه الحكومة بين البارزانيين، الذين ازدادت قوتهم كثيراً حديثاً من خلال تحالف مصاهرة مع منافسيهم التقليديين، آغوات زيبار. وقد أظهرت هذا الشعور المعادي للحكومة سريعاً أفعال ملّا مصطفى المتحدية، التي لخصها لونگريگ بذكاء، ولو بطريقة مفعمة بالحيوية نوعاً ما، كما يلي: «عند مغادرة الوزير استولى ملّا مصطفى، على مخازن الحبوب الحكومية، ونهب مخافر الشرطة، وتبادل رسائل عقيمة مع متصرف الموصل، وطلب من بغداد تنفيذ وعود نوري پاشا - وقرضاً له.»[1] بسبب الضائقة الاقتصادية الشديدة للبارزانيين، وزعت الحكومة حبوباً وألبسة مجانية في المناطق المتأثرة واستمر سلام غير مستقر كان يجب الحفاظ عليه طوال شتاء 1944-1945.

في 10 نيسان/ أبريل، عام 1945، أقر البرلمان العراقي مشروع قانون عفو يمنح عفواً إلى كل المذنبين الكرد ما قبل 22 شباط/ فبراير، 1944، ما

(1) م ن.

عدا ضباط الجيش الذين لعبوا دوراً في الثورة البارزانية.[1] هذه الإيماءة لقيت ترحيباً وكان لها تأثير مطمئن لدى البارزانيين. لقد فعلت الكثير لتبديد شكوكهم بحسن نيّات الحكومة. اجتمع ملّا مصطفى ووزير الداخلية في الموصل في مسعى واضح للتوصّل إلى تفاهم شامل يتعلق بعدد من المشكلات التي كانت لاتزال من دون حلّ. والاتفاق الذي توصلا إليه، إذا توصلا إلى أي اتفاق، ليس معروفاً، لكن وفاقاً للرغبات البارزانية، فُصِلَت منطقة بارزان عن لواء الموصل وغدت جزءاً من لواء أربيل.[2] وفي الوقت ذاته، الحكومة، التي كانت تحاول ببطء لكن بثبات تحقيق وعودها للبارزانيين، يبدو أنها وضعت بداية باتجاه إطلاق برنامج موسع للخدمات الاجتماعية. وُضِعَت الخطط لمدارس ومستشفيات جديدة وبُدئ العمل على عدد منها فعلاً.[3]

فساد العلاقات البارزانية – الحكومية

في ذلك الوقت، بدت هذه التطورات المؤاتية تشير إلى تسوية ودية للمسألة البارزانية برمتها. لكن مثل هذه التسوية كان يجب ألّا تحدث، لأن تأثيرات أكثر عمقاً وقوة كانت تعمل. فالشك المتبادل قوَّض أساس الثقة بين الحكومة وملّا مصطفى بلا ريب وجعل أي تفاهم حقيقي ودائم مستحيلاً. فأية محاولة من الحكومة، مهما كانت مشروعة، لتأكيد سلطتها أو لتكسب مكانة ولدتها الحاجة لم تخدم إلّا إثارة شكوك القائد البارزاني. فطبيعة دوره

(1) «الاضطراب في كردستان» 5، م س رقم 264؛ الحسني، 6: 275 م س رقم 301؛ لونگريگ، العراق، 1900–1950، 326، م س رقم 141. هذا العفو استثنى ضباط الجيش الكرد وموظفي الحكومة الذين شاركوا في ثورة البارزاني، وهو قرار غدا لاحقاً مصدراً جدياً للانشقاق بين الحكومة والقادة البارزانيين.

(2) لونگريگ، العراق، 1900–1950، 327، م س رقم 141.

(3) «الاضطراب في كردستان،» 5، م س رقم 264.

الجديد ذاته تجبره على ترسيخ مكاسبه وزيادتها، لأن ثورته الناجحة ملأته إحساساً برسالة ما؛ إنه استحواذ مغرٍ وخطير أكثر صعوبة من تحقيق القوة والشهرة. والحكومة، الحذرة من رفض ملّا مصطفى للتسوية والخائفة من العقابيل، غدت متصلبة وغير مرنة أكثر فأكثر، وبدا محتماً أن الخيط الرفيع الذي يربط بين الحكومة والقائد البارزاني سيصل نقطة القطع تحت الثقل المتراكم للمشكلات غير المحلولة.

سخط البارزاني من مطالب الحكومة

يجب أن نتذكر أن مطالب الحكومة المتكررة التي تحث القادة البارزانيين على تسليم التجهيزات الحكومية المستولى عليها أخفقت في الوصول إلى النتيجة المرجوة. وقد جددت الحكومة طلبها في ذلك الوقت. دافع القادة البارزانيون، الذين سلموا كمية من الأسلحة والذخيرة بعد وقت قصير من وقف الأعمال العدائية، بأنهم غير قادرين على تعقب أثر البقية لأن معظمها وقع في أيدي العناصر غير النظامية التي هربت إلى المناطق الجبلية التي يتعذر الوصول إليها.

وعلى غرار ذلك جددت الحكومة طلبها من أجل استسلام الموظفين المدنيين وضباط الجيش الكرد الذين شاركوا في الثورة البارزانية والذين استمروا بالعيش في منطقة بارزان بعد توقف الأعمال العدائية. وقد أشار استثناء هؤلاء الأفراد من عفو نيسان/ أبريل، عام 1945، إلى أن الحكومة كانت عازمة على الضغط في هذه المسألة.

قرر القادة البارزانيون بشكل واضح تجاهل هذا الطلب، ولا شك كان لديهم سبب وجيه لفعل ذلك، لأنه أخفق في أن يأخذ بالحسبان العرف القبلي القديم العهد، الذي يطلب منح اللجوء لأي شخص يسعى إليه. علاوة

على ذلك، يتجاهل واقع أن القادة البارزانيين لن يرغبوا طبعاً بتسليم هؤلاء الأشخاص الذين، بسبب الخطر على حياتهم، هرعوا لنجدة القضية الكردية. مثل هذا الفعل الذي يتسم بالخيانة ونكران الجميل لن يسبغ على الشيوخ البارزانيين العار لبقية حياتهم فحسب، بل سيضع نهاية مفاجئة وغير مجيدة لدورهم الذي استأنفوه حديثاً كونهم أبطال الحركة القومية الكردية.

إنه حقاً لشيء مدهش أن تُقدِم الحكومة على مثل هذا الطلب، لأنه من غير المحتمل أن يسلم هؤلاء الرجال اليائسون، الذين يعرفون أنه سيُحكَم عليهم بالإعدام، أنفسهم من دون مقاومة، حتى لو أراد الشيوخ أنفسهم تنفيذ أمر الحكومة. وفي هذه الحال، سيكون على البارزانيين أن يعتقلوا مؤيديهم السابقين بقوة السلاح ويسلموهم إلى الحكومة. ويرى بعض الكتاب الكرد أن الطلبين ليسا إلّا ذريعة قصدت إزعاج البارزانيين وإرباكهم، وفي النهاية توريطهم في نزاع مسلح.[1]

موقف الحكومة من ملّا مصطفى

نظرت الحكومة بحذر إلى الموقف المتحدي للملّا مصطفى بالإضافة إلى قوته ومكانته النامية، الأمر الذي جعله شخصية بارزة في قضايا منطقته والمناطق المجاورة. والوصف التالي لنشاطاته في ذلك الوقت، حتى لو كان مبالغاً فيها كثيراً، تبين أنه يوجد بعض الأسباب لخشية الحكومة. فوفاقاً لجريدة التايمز اللندنية: «تصرف ملّا مصطفى مثل حاكمٍ مستقل، ادعى حق التدخل في المنازعات ما بين القبائل، وتدخل في إدارة الحكومة وتوزيع الإمدادات، واحتفظ بعدد من الرجال المسلحين. لقد أرهب متعهدي البناء وأوقف بناء

(1) الحاشية (1) صفحة 543 في هذا الفصل تشير إلى نقد جياووك هذه المطالب؛ راجع البريفكاني، 21، م س رقم 291.

مخافر الشرطة والمدارس والمشافي. وفي أواسط عام 1945، لم يعرف ادعاؤه بحق التدخل حدوداً وغدت منطقة بارزان خارج سلطة الدولة.»[1]

أعطت الرحلات المتكررة التي كان ملّا يقوم بها بين القبائل الحكومة سبباً جدياً للقلق أيضاً.[2] فهذه الرحلات التي شرعها بوضوح بهدف تعزيز سلطته، رفعت المشاعر القومية الكردية وكان لها بشكل عام تأثير مقلق لدى الكرد.

يجب أن يُوضَّح أن علاقات الحكومة العراقية مع ملّا مصطفى في هذا الوقت لم تكن من ذلك النوع الذي يكون بين دولة ما وأحد رعاياها. ولا شك في واقع أنه أحرز سلطة كبيرة ونفوذاً بقوة السلاح ووصل إلى اعتباره قائداً للكرد، الأقلية الإثنية الثانية الأكبر في البلد، جعله يشعر أنه مؤهل لموقع خاص. لكن، لم يكن هناك أساس قانوني أو دستوري يتيح للحكومة أن تمنحه موقعاً كهذا. وما دامت الحكومة هي المعنية، ليس مهماً كم قد صار قوياً، فقد كان أحد رعايا الدولة العراقية، وعاجلاً أم آجلاً، سوف يخضع مهما كانت المزايا الموقتة التي أحرزها كقائد تمرد ناجح.

كان العامل الآخر للأهمية الكبيرة هو أن الشيوخ البارزانيين اعتقدوا بشكل واضح أنه يمكنهم أن يعوِّلوا على الدعم البريطاني، وهو واقع لا شك في أنه صلَّب موقفهم تجاه الحكومة العراقية.[3] لكن على الرغم من أن السلطتين البريطانية والعراقية كانتا على تواصل دائم مع ملّا مصطفى ورسله، إلّا أن التوتر تفاقم واستمر الوضع بالفساد. واصل البريطانيون حثّ الزعيم

---

(1) «الاضطراب في كردستان،» م س رقم 264.

(2) البريفكاني، 20-21، م س رقم 291؛ جياووك، 170، م س رقم 302؛ الحسني، 275.

(3) «الاضطراب في كردستان،» م س رقم 264.

البارزاني على أن يقدم خضوعه للحكومة، في حين هو بدوره استمر بالإصرار على تحقيق مطالبه.[1]

استئناف الأعمال العدائية وهزيمة ملاّ مصطفى

بدأت طوابير الجيش العراقي تتحرك إلى المناطق الجبلية في شمالي العراق، وهي حركة نظر إليها ملاّ مصطفى بريبة. وقد جاء في التقارير أن البريطانيين أبلغوا القائد الكردي أن ليس عليه أن يخشى من تحركات الجيش، التي كانت لغرض تدريب القوات المسلحة العراقية على حرب الجبال ليس إلّا.[2] لكن في ذلك الوقت، وقع حادث مشؤوم قاد إلى استئناف الأعمال العدائية. فقد نجم عن محاولة قوة الشرطة في ميرگاسور نزع سلاح علو بگ، خال القادة البارزانيين وأحد رؤساء قبيلة الشيروان، مقتل علو بگ وأحد أتباعه وأربعة من رجال الشرطة.[3] عندما سمع الشيخ أحمد بهذا الحادث، يقال في التقارير إنه قرر الثورة المسلحة. أرسل رسالة لأخيه ملّا مصطفى، الذي كان في رحلة نيّات طيبة بين قبائل بهدينان، يطلعه فيها بالتفصيل على حادث ميرگاسور. ناشد ملّا مصطفى البريطانيين، طالباً منهم أن يستخدموا علاقاتهم الطيبة لوقف القتال الذي اندلع في مناطق عديدة.[4]

تجمعت ثلاثة طوابير من الجيش في بارزان، في حين أن رتلاً من رجال

---

(1) من أجل المزيد حول الصلات العقيمة التي تم الاحتفاظ بها بين قادة بارزان وبعثاتها، من جهة، والموظفين الرسميين العراقيين والبريطانيين، من جهة أخرى، انظر أردلان، 27-31، م س رقم 284.

(2) هذه الضمانات التي تضمنتها رسالة من السفير البريطاني أُرسِلَت إلى ملاّ مصطفى بواسطة النقيب ستوكس في 25 آذار/ مارس، عام 1945. يقال إن ملّا رَدّ على ذلك، «نحن إما نموت أو نحصل على حريتنا.» م ن، 27.

(3) البريفكاني، 22، م س رقم 291؛ أردلان، 31.

(4) البريفكاني، 22، م س رقم 291.

الشرطة سار من العمادية، وأسرع الترك إلى إغلاق حدودهم. على الرغم من إحدى الهزائم، تابعت الطوابير الثلاثة عملياتها العسكرية بنجاح ضد المتمردين. فقد أثبت استخدام القوات القبلية التي حشدها وزير الداخلية أنه مفيد على نحو خاص. فقد مكّن القوات الحكومية من مقاومة ملّا مصطفى بالنوع نفسه من مقاتلي الجبال الموسميين كما كان يستخدمهم ضد القوات الحكومية. علاوة على ذلك، بإثارة الكرد ضد الكرد جعلت الحكومة الأمر مستحيلاً بالنسبة إلى رئيس التمرد أن يحشد أكثرية الكرد حول قضيته، وبالتالي وجهت له ضربة أكثر قسوة من أية هزيمة عسكرية.[1] وما ينبغي توضيحه، أن الكثير من القوات القبلية التي عُبئَت ضد ملّا مصطفى، كانت قوات الجيران الذين «رحبوا بفرصة الانتقام من مظالم قديمة وأن تُقدَّم لهم المساعدة على فعل ذلك.»[2]

في أواسط أيلول/ سبتمبر، عام 1945، عانى ملّا مصطفى من خسارة فادحة بسبب تخلي محمود آغا زيباري عنه.[3] وبعد شهر، وقد حوصر من كل الجهات، رتّب للتسلل إلى إيران عبر ممر كِلِشن، برفقة مجموعة كبيرة من أتباعه المسلحين.[4]

دور حزب «هِيوَا» (الأمل) في ثورة ملّا مصطفى

يبدو أن حزب الأمل «هِيوَا»، الذي نشأ أولاً في عام 1935،[5] تجدد وعاد للعمل قبل ثورة ملّا مصطفى عام 1945. يقال إن حزب «هِيوَا» قد عقد

(1) لونگريگ، العراق، 1900–1950، 327، م س رقم 141.

(2) م ن.

(3) التايمز (لندن)، 18 أيلول/ سبتمبر، عام 1945.

(4) «الاضطراب في كردستان،» م س رقم 264. يضع لونگريگ عددهم عند ألفين. لونگريگ، العراق، 1900–1950، 327، م س رقم 141.

(5) محمد شيرزاد، نضال الأكراد، 24 (بالعربية، مرجع 312).

اجتماعاً في «بارزان» انتخب فيه مسؤولو الحزب وسُجِّل أعضاؤه، وأُقِرّ فيه دستور الحزب، وتمَّ فيه تبني اسم «هِيوَا» رسمياً. كان ينبغي أن تكون «بارزان» هي المقر الرئيس للحزب موقتاً. وقد اتخذ في هذا الاجتماع قراران هامان: (1) أن على الحزب أن يعلن الحكم الذاتي لكردستان؛ و(2) أن على الحزب ألّا يقيِّد نفسه بارتباطات مع أية قوة أجنبية.[1]

وشُكِّلت لجنة للحرية، تبنت البرنامج التالي:[2]

1. تحقيق وحدة القبائل. ستكون المرحلة الأولى في هذه المهمة محدودة بتوحيد القبائل الأقرب إلى «بارزان». ويجب متابعة برنامج التوحيد بثبات حتى يتم توحيد كل القبائل الكردية.

2. تحرير كردستان العراقية بوسائل سياسية.

3. إنشاء علاقات مع الأحزاب الأخرى التي تسعى إلى الحرية.

4. الاتصال مع الممثلين الدبلوماسيين للحكومات الأخرى بهدف الحصول على تأييدها.

5. القيام بدعاية واسعة النطاق بواسطة المطبوعات.

6. محاربة سياسات العراق الاستعمارية.

7. تشكيل جيش كردي.

كان أحد الأهداف المهمة لحزب «هِيوَا» هو الحفاظ على صلات مع الأحزاب الكردية الأخرى، وبالتالي مع المنظمات السياسية غير الكردية.[3] وتقدم حزب «هِيوَا» لتنفيذ هذا البرنامج.

---

(1) أردلان، 11 م س رقم 284.

(2) م ن.

(3) م ن، 12، حيث نسخة من رسالة وجهها حزب «هِيوَا» إلى ملاّ مصطفى حول هذه المسألة هي المعنية.

ونعلم من مصادر عديدة أن مجيد مصطفى، الوزير الكردي من دون حقيبة، كان على صلة مع أعضاء حزب «هِيوَا»، الذين بدورهم كانوا على صلة بملّا مصطفى.[1] وقد أظهرت نشاطات أعضائه الدور الحيوي الذي لعبه حزب «هِيوَا» في ثورة ملّا مصطفى. ويقال إن ضباط الجيش الذين عيَّنهم مجيد مصطفى ليقوموا بعمل ضباط ارتباط بين الحكومة والقبائل كانوا أعضاء مخلصين في حزب «هِيوَا» عُهِد إليهم تطبيق تعليمات الحزب. ويبدو أن كل واحد منهم كان مكلفاً بـ«تعزيز الروح القومية ضمن المنطقة الواقعة تحت سلطته.»[2] وقد سافر هؤلاء الأشخاص على نطاق واسع بين قبائل عقرة وشيخان وبرادوست وبليخ ومناطق أخرى في جهد لتوحيد القبائل الكردية.[3]

في توافق مع برنامج حزب «هِيوَا»، يبدو أنه تمَّ تنظيم قوة مقاتلة كردية فاعلة. فعندما اندلع القتال ثانية في صيف عام 1945، كان ملّا مصطفى قادراً على إنزال نحو خمسة آلاف مقاتل إلى الميدان من المقاتلين القبليين، وقد سُحِب القسم الأعظم من تلك القوة من الاتحاد القبائلي البارزاني المكون من عشائر مزوري ژوري ومزوري ژيري وبيروچي وشيرواني ودولاماري وبرادوستي.

يبدو أن علاقات وثيقة قد نشأت مع المنظمات السياسية الكردية في إيران،[4] قد ومع منظمة خويبون في سوريا.[5] وبالمثل، كان حزب «هِيوَا»

(1) م ن، 7، انظر أيضاً جياووك، 157، م س رقم 302.

(2) أردلان، 7، م س رقم 284.

(3) البريفكاني، 20–21، م س رقم 291.

(4) المطبوعات القومية الكردية من إيران، مثل نيشتمان (الأرض الأم)، كانت تصل إلى أعضاء حزب «هِيوَا» بشكل منتظم. لونگريگ، العراق، 1900–1950، 324، 326، م س رقم 141.

(5) يقال إن الحكومة العراقية قد اتهمت عزت عبد العزيز، الذي ذهب في جولة موسعة =

على صلة مع الشيوعيين العراقيين الكرد، الذين تمتعوا بتأييدهم وتعاطفهم،[1] ومع البعثات الدبلوماسية المختلفة في بغداد. وكان أعضاء حزب «هِيوَا» على صلة مستمرة مع السفارة البريطانية، ولا سيما مع الضباط السياسيين البريطانيين المختلفين في كردستان العراقية.[2] وكان معروفاً أيضاً أنهم كانوا على صلة مع الممثلين الدبلوماسيين الأميركيين في أكثر من مناسبة.[3] ففي 20 آب/ أغسطس، عام 1945، خلال ثورة ملّا مصطفى الأخيرة، أرسل قائد حزب «هِيوَا» البارزاني رسالة إلى البعثات الدبلوماسية البريطانية والأميركية والسوفياتية والفرنسية والصينية في بغداد، بالإضافة إلى رئيس وزراء العراق عندئذٍ، حمدي الباجه جي، تشكو الإجراءات القمعية التي اتخذتها الحكومة العراقية ضد الكرد ويشيرون إلى شرعة الأطلسي.[4]

تفكك حزب «هِيوَا» بعد هزيمة ملّا مصطفى وهروبه إلى إيران. ولّد انهيار حركة البارزاني قدراً كبيراً من المرارة والاتهام بين الكرد. وغدا مجيد

= في سوريا ومصر، بالاتصال بمنظمة خويبون. أردلان، 10 م س رقم 284؛ أيضاً جياووك، 149، م س رقم 302. راجع وليم لين سترمان، «الاستقلال الكردي والتوسع الروسي،» 675-686 (بالإنكليزية، مرجع 271)، حيث دور منظمة خويبون في الحركات القومية الكردية في العراق وإيران يُفاقَم بشكل كبير.

(1) والتر ز. لاكْوِر، الشيوعية والقومية في الشرق الأوسط، ط 2، 225-227 (بالإنكليزية، مرجع 129). راجع لونگريگ، العراق، 1900-1950، 326، م س رقم 141.

(2) أردلان، 27-31.

(3) م ن، 22، 28-29.

(4) رامبو، 75، م س رقم 213. إنه لمثير للاهتمام ملاحظة أن ضباط جيش العراق الكرد الذين انضموا إلى قوات البارزاني وشكلوا نواة حزب «هِيوَا» جاؤوا من كل أنحاء كردستان العراقية. فعزت عبد العزيز جاء من العمادية، وجاء مصطفى خشناو من بيتواتة وجاء عبد الحميد باكير من خانقين، ومحمد محمود من السليمانية، وأحمد اسماعيل من أربيل، وحفظ الله اسماعيل من عقرة. أردلان، 10، م س رقم 284.

مصطفى، الوزير الكردي، هدف هجمات شديدة لدوره في المفاوضات بين القادة البارزانيين والحكومة العراقية. فشُهِّر بنزاهته وأصبحت دوافعه كصانع سلام موضع شك جدي، واتهم بأنه خان القضية الكردية بإعطائه الحكومة العراقية وقتاً كافياً لتعبئة مواردها واستكمال استعداداتها العسكرية، وزعم أن تصريحاته عن تعاطفه مع البارزانيين كانت مجرد تظاهر، وأن هدفه الحقيقي كان تعزيز يد السلطتين البريطانية والعراقية.[1]

وصُوِّر مجيد مصطفى أنه أعد الأرض بعناية لدوره كصانع سلام من خلال تعرفه تدريجاً على أسرار الطلاب والمثقفين ولا سيما أعضاء حزب «هِيوَا» الكرد.[2] وقيل إن هدفه من صلته بحزب «هِيوَا» كان تبديد أي شك في عدم ولائه للقضية الكردية.[3] بل قيل إن نشاطات مجيد مصطفى قد سببت انشقاقاً خطيراً في الحزب بين الذين اعتقدوا بأنه كردي مخلص وهؤلاء الذين شككوا في إخلاصه.[4] مما لا شك فيه أن مهمة مجيد مصطفى كانت صعبة مثل الكثير من مهمات صانعي السلام، ولا يحتمل أن تقدَّر حقَّ قدرها، لذلك ينبغي أن نوضح أن منتقديه لم يقدموا بيِّنة مقنعة تؤكد التهم التي سيقت ضده.

حزبا «شورش» و«رزگاري» الكرديان

بعد انهيار الحركة البارزانية، تضرّر تنظيم حزب «هِيوَا» على نحو لا يمكن إصلاحه، وانشقت عضويته الواسعة إلى مجموعات صغيرة بلا خطة أو برنامج. لكن عدداً من الأعضاء اليساريين من حزب «هِيوَا» سرعان

(1) م ن، 7.

(2) م ن.

(3) جياووك، 157، م س رقم 302.

(4) أردلان، 8.

ما انضموا إلى عناصر يسارية أخرى ليشكلوا الحزب الشيوعي الكردي، المعروف باسم «شورش (الثورة)».[1]

وفي غياب حزب قومي كردي فعال، نجح حزب «شورش» في أن يصبح سور الدفاع عن القومية الكردية، وكان مسؤولاً بشكل رئيس عن إنشاء حزب «رزگاري» الكردي (حزب الإنقاذ الكردي)، وهو نوع من تنظيم أوسع للوطنيين أو جبهة شعبية. لم تحتفظ أية مجموعة من المجموعات المختلفة التي توحدت لتشكل حزب «رزگاري» بهويتها السياسية السابقة إلّا حزب «شورش» الذي استمر في الحفاظ على تنظيمه الداخلي مستقلاً.[2] وعشية تشكيل حزب «رزگاري» الكردي، أصدر حزب «شورش» مناشدة مثيرة إلى الشعب الكردي، حثّه فيها على تنظيم حزب جديد وإعطائه تأييده الكامل.[3]

البيان الوطني لحزب «رزگاري» الكردي

أصدر حزب «رزگاري» الكردي بياناً يعلن فيه أهدافه وأغراضه وهي:

الأول: هدفنا الأسمى هو توحيد وتحرير كردستان الكبرى. ولأن الحزب موجود في كردستان العراقية، فنحن نناضل من أجل حماية العراق من النفوذ الإمبريالي والحكومات الرجعية، التي لا تزال بين العقبات الكبرى أمام حقنا في تقرير المصير القومي.

الثاني: السعي لنيل الاستقلال الإداري لكردستان العراقية، وهذه خطوة مهمة باتجاه تحقيق تقرير المصير القومي للكرد.

---

(1) شيرزاد، 24.

(2) م ن، 24-25.

(3) النص الكامل لـ«بيان الحزب الشيوعي لكرد العـراق» هو المعني في المرجع ذاته، 25-27.

الثالث: السعي إلى إنهاء كل أنواع الاضطهاد والتمييز التي يعاني منها الكرد والأقليات الأخرى.

الرابع: السعي إلى إنشاء وتقوية علاقات مع الأحزاب الكردية والمراكز خارج العراق، بهدف تنسيق كل الجهود لإنجاز الهدف الأسمى - حق تقرير المصير القومي والتحرر النهائي.

الخامس: السعي إلى القيام بإصلاح شامل للمشكلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية بتوفير الحقوق الديموقراطية ورفع مستوى الزراعة والصناعة ونشر التعليم وإحياء التاريخ والأدب الكرديين.

السادس: العمل على استخدام اللغة الكردية في المدارس والدوائر الحكومية في كل أرجاء المناطق الكردية.

السابع: النضال من أجل توضيح القضية الكردية لكل الأمم، ولا سيما أمم الشرق الأوسط.

الثامن: النضال من أجل إنشاء علاقات مع الأحزاب والمنظمات الديموقراطية والتعاون معها.

التاسع: السعي إلى إنشاء علاقات مع الأمم الديموقراطية بهدف محاربة الإمبريالية والرجعية، وعملائها، الذين يعملون من أجل إحياء حلف سعد آباد ومحاربة كل الأحلاف الإمبريالية والرجعية التي تعوِّق الحرية بشكل عام وحرية الكرد بشكل خاص.[1]

سرعان ما اكتسب حزب «رزگاري» الكردي القوة، وغدا قوة سياسية ذات أهمية واضحة بسرعة، ولا سيما بين الفئات المثقفة والفئات الشابة الكردية. لكن هذا الحزب «الجبهة الوطنية» الجديد واجه معارضة قوية بين

(1) م ن، 27-28.

أوساط عديدة. يقال إن البريطانيين والحركات العراقية استثيرت إلى حدٍ كبير ببروزه. والواضح أن البريطانيين انزعجوا جداً إلى درجة أنهم سعوا إلى حثّ الزعماء الدينيين والشيوخ الكرد على إصدار فتاوى تعلن أن الانضمام إلى الحزب الجديد غير شرعي.[1]

الشيوعيون الكرد وحزب «رزگاري» الكردي

مشاركة الشيوعيين الكرد في حزب «رزگـاري» الكردي ودفاعهم الصريح عن حق تقرير المصير القومي أثار انتقاداً حاداً على الحزب من الحزب الشيوعي العراقي في بغداد الذي شجب فعله بالارتباط مع «رزگاري» على أنه ممارسة تقسيمية تلحق الضرر بقضية الجماهير العراقية التي يشكل الكرد جزءاً منها. وقد دفع الهجوم إلى تبادل الاتهامات الساخنة بين المجموعة الكردية ومجموعة بغداد من الشيوعيين.[2]

خلال النصف الثاني من عـام 1946، غادر الشيوعيون الكرد حزب «رزگاري» الكردي، لكنهم استمروا بالتعاون مع تلك المجموعة التي بدلت اسمها عندئذٍ إلى «الحزب الديموقراطي الكردي» (أو KDP) لكنه استمر يعمل «كجبهة وطنية». وما إذا كان انسحاب الشيوعيين الكرد من «رزگاري» قد تأثر بموقف الشيوعيين في بغداد أمر غير معروف. يدافع لاكور (Laqueur) عن أن انسحاب الشيوعيين الكرد من «رزگاري» لم يكن نتيجة لضغط مجموعة شيوعيي بغداد، «بل العكس لأن جعله أداة أكثر فعالية في توجيه المجموعات غير الشيوعية بالتحكم عن بعد، وفي الوقت ذاته لجعله يبدو 'أكثر أماناً' في

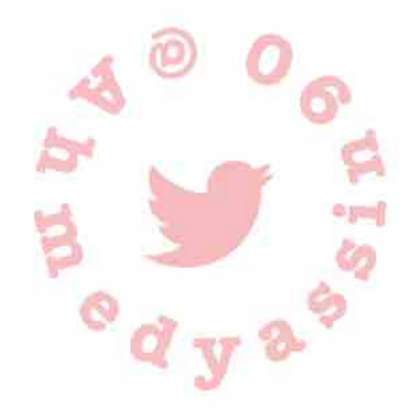
(1) م ن، 28-29.

(2) لاكُوِر، 226-227، م س رقم 129.

عيون السلطات، هي إستراتيجية نجحت تلقائياً،»[1] وهو يبين أن الحزب الديموقراطي الكردي لم يتأثر بحملة الحكومة العراقية المعادية للشيوعية في عام 1948.[2]

(1) م ن، 227.

(2) م ن، 342، الحاشية 20.


@Ahmedyassin90

الفصل الخامس عشر

جمهورية مهاباد الكردية

أدى غزو إيران الأنكلو-سوڤياتي في أيلول/ سبتمبر، عام 1941، إلى انهيار السلطة الإيرانية في كل أنحاء المناطق القبلية. وفي المناطق الكردية كانت إحدى أخطر نتائج هذا الانهيار استيلاء الكرد على كميات كبيرة من الأسلحة والذخائر التي خلفتها القوات الإيرانية الهاربة أمام الروس المتقدمين[1]. ولا شك أن هذا التطور قد أخل كثيراً بميزان القوى بين الحكومة وبين القبائل الإيرانية في كردستان وأعاق لاحقاً مهمة الحكومة في تأكيد سلطتها على ذلك الجزء من البلاد. وكذلك فإنّ حقيقة أن الكرد في فارس، الذين كانوا يحملون مشاعر عميقة بالظلم تجاه حكومة الشاه، وجدوا أنفسهم فجأة مسلحين تسليحاً جيداً ومتحررين تماماً من الكبح، مما سبب نشوء حالة مشحونة بالاحتمالات الخطيرة.

---

(1) إلفنستُن، «المسألة الكردية،» 97، م س رقم 71. علاوة على المخازن العسكرية الواسعة التي استولى عليها الكرد، يقال إن الهاربين من الجيش الإيراني قد أعطوا أسلحتهم إلى رجال القبائل الكرد. أرشيبالد روزڤلت، «جمهورية مهاباد الكردية،» 248 (بالإنكليزية، مرجع 228) (تولى روزڤلت منصب مساعد الملحق العسكري الأميركي في طهران من آذار/ مارس، عام 1946، إلى شباط/ فبراير، عام 1947).

سياسة الشاه رضا القبلية

لغرض فهم طبيعة المظالم الكردية ضد إيران وأصولها، ربما من الضروري بحث سياسة رضا شاه. وطوال نحو عقدين من الزمن أرغم الكرد على الاستسلام إلى حكم الشاه المتسم بالقسوة وممارسات موظفيه الفاسدة من دون أمل في رفع الحيف بسبب الإساءات التي عانى الكرد منها. ومهد صراع رضا شاه الناجح ضد القبائل المتمردة المختلفة إلى توليه السلطة العليا في إيران. ثم عرف من خبرته أن ولاءات الكرد القبلية الضيقة وسماتهم القتالية وتنظيمهم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي عملت ضد تحقيق حلمهم العزيز في تأسيس دولة حديثة، واعتبر القبائل عنصر خروج على القانون وعدم استقرار ونقمة على السكان المستقرين وشوكة في جانب الحكومة. لذا قرر كسر قوتهم إلى الأبد وتحويل طاقاتهم المتمردة نحو قنوات أكثر سلمية.

ضربت سياسة رضا شاه القبلية جذور النظام القبلي لأنه كان مصمماً على «تدمير التنظيم القبلي ومنع الهجرة ومحاولة تحويل رجال القبائل إلى فلاحين،»[1] وقد قادت تلك السياسة طبعاً إلى هجوم شامل على كل جوانب الحياة القبلية.كان رضا شاه عديم الشفقة وصارماً في قمعه المؤسسات المحلية ولم يسلم حتى الزي الوطني من اهتمامه.[2] من دون الاكتراث

---

(1) آن كاترن سوينفورد لامْتُن، الإقطاع والفلاح في فارس: دراسة في حيازة الأرض وإدارة الإيراد، 285 (بالإنكليزية، مرجع 127).

(2) وفاقاً لروزڤلت، «امتثل الكرد، شأنهم شأن الإيرانيين الآخرين، إلى أمر رضا شاه بالتخلي عن زيهم الوطني وأخفوا ملابسهم في بيوتهم، رمزاً لاعتزازهم الوطني حتى غزو الحلفاء إيران عندما خرجوا فجأة مرتدين زيهم القومي....وكانت قيود رضا شاه على لباسهم قد جعلته مع نظامه مكروهاً أكثر.» روزڤلت، 251 الحاشية 1، م س رقم 228؛ كذلك هاملْتُن، 296، م س رقم 95.

بالعنف المرتكب ضد حساسيات أتباعه الكرد ونسيج حياتهم التقليدية، كان مصمماً على تنفيذ سياسته مهما كانت العواقب، فسحقت كل مقاومة بوحشية، وأعدم زعماء قبليون أو سمموا أو نفوا،[1] بل حطمت قبائل كاملة واقتلعت من أوطانها.[2] وطبق نظام الحصون العسكرية المرتبطة بالقرى وأخضعت العناصر المشاكسة تدريجاً.[3] إلاّ أن سياسة رضا شاه «القاسية لكنها فعالة»[4] لم تنتصر إلّا أثناء حكمه.

إن هذه السياسة التي قادت إلى سفك الدماء والتعاسة الواسعة الانتشار قد نتجت على نحو أقل بسبب الروح القاسية وغير المدركة التي نفذت بها، وربما كان يمكن تحقيق نهج أكثر اتساماً بالرحمة والرأفة للحصول على نتائج أفضل وأكثر استدامة. إلّا أن الرؤية والتخطيط الدقيق والموارد البشرية والمادية المناسبة اللازمة لنجاح مشروع واسع متسم بالطموح كانت غير متوافرة. لا عجب إذاً أن المشروع قد فشل وأدى إلى نتائج مفجعة للقبائل

(1) كما سبق الوصف، اغتيل سِمكو آغا شكاكي وعدد من زعماء القبائل الكردية غدراً بالقرب من أشنويه. كما سجن رضا شاه الشيخ سيد طه نهري وذكر أنه سممه فيما بعد. وليم أورڤيلّ دوغلاس، أراضٍ غريبة وشعب ودود، 125-26 (بالإنكليزية، مرجع 53). يقدم دوغلاس تفاصيل عن نفي زعماء قبائل البختيارية وإعدام ثمانية من زعماء قبائل اللُّور (104-9) وموت زعيم قبيلة قاشقاي البارز، الذي قدمت له قهوة مسممة أثناء وجوده في السجن (139). ووفاقاً لدوغلاس لجأ رضا شاه مرات كثيرة إلى استخدام القهوة المسمومة حتى أصبحت تعرف باسم «القهوة البهلوية.»

(2) تقدم قبيلة گلباغي مثالًا على هذه الممارسة حيث إنها اقتلعت من موطنها في كردستان وشتتت في أماكن مثل همدان وأصفهان ويزد والتي سلمت قراها إلى سكان ناطقين بالتركية نقلت من أرجاء أخرى في البلاد. وبعد تنازل رضا شاه عن العرش عادت قبيلة گلباغي إلى موطنها السابق. لامْبتُن، 285-86 م س رقم 127.

(3) إلفنستُن، «المسألة الكردية،» 97، م س رقم 71.

(4) م ن.

وللبلاد برمتها. وفي كلمات خبير مشهور في الشؤون الفارسية/ الإيرانية «قادت سياسة رضا شاه القبلية التي أسيء تصورها ونفذت تنفيذاً سيئاً إلى خسائر فادحة في عدد المواشي وإلى إفقار القبائل وتقليل أعداد أفرادها.»[1]

آثار احتلال الحلفاء لإيران

حال الاقتلاع الشديد والتغييرات الجذرية التي أعقبت غزو إيران الأنكلو-السوڤياتي في الحرب العالمية الثانية دون استمرار سياسة رضا شاه القبلية، وثبت أن إدامة سلطة مركزية قوية، وهو شرط ضروري لفرض سياسة من هذا القبيل، مستحيلة على نحو واضح بعد سقوط نظام رضا شاه وانهيار الحكومة المنظمة في المناطق القبلية. كما أنه حتى لو كانت السلطات الإيرانية في وضع التقاط خيوط سياسة الشاه السابق فإنها لم تكن حرة في القيام بذلك. ولم تكن إنكلترا والاتحاد السوڤياتي حتماً ليشجعا أي حركة من الجانب الإيراني مما قد يهيج القبائل. كان الهدوء والاستقرار جوهريين إذا كان مطلوباً المحافظة على التدفق المتواصل للتجهيزات الحيوية إلى الاتحاد السوڤياتي، وكانت دولتا الاحتلال مصممتين على تسخير كل شيء لنجاح الحرب.

المناطق الثلاث في كردستان الإيرانية

كانت إحدى النتائج الغريبة لاحتلال الحلفاء إيران تقسيم كردستان الإيرانية إلى ثلاث مناطق مختلفة: منطقة سوڤياتية ومنطقة بريطانية وأراض يشغلها الكرد تقع بين منطقتي الحلفاء. امتدت المنطقة السوڤياتية جنوباً إلى رضائية، وامتدت المنطقة البريطانية إلى شمالي طريق خانقين، وبقيت

(1) لامْبتُن، 286، م س رقم 127.

الأراضي بينهما بأيدي الكرد منذ هروب القوات الإيرانية على عجل وتفكك الإدارة المدنية.[1]

أظهر الكرد في كل المناطق الثلاث ميلاً واضحاً إلى الانفصال عن الرابطة الإيرانية التي أصبحت دقيقة للغاية، أو أقله نيل درجة معينة من الحكم الذاتي. ويبدو أنهم لم يضيعوا وقتاً في تقديم مبادرات إلى السوڤيات بعد فترة قصيرة من وصول هؤلاء إلى شمال غربي إيران. ولكن ذكر أن السلطات السوڤياتية، التي بدا في حينه أنها اتخذت موقف التحفظ وعدم الاكتراث بالأمور المحلية، لم تشجع تلك العروض. ووفاقاً لخبير بريطاني جيد الاطلاع «اتجهت عيون الكرد في الشمال نحو روسيا. وعندما دخل الروس إيران عام 1941 انتعشت الآمال في أنهم قد يساعدون حركة الاستقلال الكردية إلّا أن سلوكهم الصحيح جعل الكرد سريعاً يفهمون أن أي آمال من هذا القبيل كانت بلا جدوى.»[2]

أقنع غياب سلطة إيرانية فعالة في المناطق الكردية السوڤيات بالتعامل على نحو مباشر مع قبيلة جلالي وشكاك وهركي وقبائل كردية أخرى تقطن في المنطقة. ولا يبدو أنهم قدموا مطالب متشددة من القبائل أو تدخلوا على نحو غير مناسب في شؤونها. وذكر مراقب أميركي قريب من الأحداث: «سمح السوڤيات لزعماء هذه القبائل بتولي أمورهم ولم يشترطوا سوى محافظة هؤلاءالزعماء على الأمن وتزويد الجيش الأحمر بالحبوب.»[3]

لقد ذكر أن رؤساء القبائل الكردية الفارسية اتصلوا بالسفارة البريطانية

---

(1) روزڤلت، 248، م س رقم 228.

(2) إلفنستُن، «المسألة الكردية،» 98، م س رقم 71؛ كذلك إلفنستُن، «الكرد والمسألة الكردية،» 46، م س رقم 72.

(3) روزڤلت، 248، م س رقم 228.

في بغداد بهدف ضمهم إلى «منطقة بريطانية» وهي خطوة مشابهة لخطوات أخرى قام بها زعماء قبائل كردية من كردستان الإيرانية. كذلك يبدو أن رفض البريطانيين بحث العرض قد أقنع زعماء القبائل هؤلاء بعقم مهمتهم حيث لم يذكر القيام بأي محاولات أخرى.[1]

التطورات السياسية في المنطقة الكردية

حدثت في المنطقة الوسطى التي يشغلها الكرد الاضطرابات الأولى علاوة على تتويج الأنشطة الكردية. هنا، تمتع الكرد، الذين كانوا متحررين من الاحتلال الأجنبي ومن دون إعاقة السلطات الإيرانية لهم، بكل الأشياء التي حرموا منها وسعوا بشجاعة إلى نيل استقلالهم.

غامر حَمُه رشيد، شيخ فصيلة من قبيلة بانه بگزاده، الذي كان لاجئاً في العراق عدة سنوات، بعبور الحدود إلى إيران، وأفلح بمساعدة عدد من الأتباع الذين أيدوا قضيته في تأسيس سلطته بوصفه شيخ قبيلة شبه مستقل في منطقة بانه-سردشت.[2] وعلى الرغم من حقيقة أنه كان مسؤولًا عن موت ضابط ذي رتبة رفيعة في الجيش الإيراني وكان يعد متمرداً، إلّا أن السلطات الإيرانية كانت أضعف من القيام بأي تصرف ضده. فقد اعترفت بحَمُه رشيد بصفته شبه حاكم ودفعت له راتباً وكلفته بالمحافظة على النظام في المنطقة.[3] في

(1) لا يقول لونگريگ، الذي يورد ذلك، إن كان أولئك الزعماء القبليون قد قدموا من المنطقة البريطانية أم من المناطق التي يمسك بها الكرد ولا يوضح الطبيعة الدقيقة لعرضه. لونگريگ، العراق، 1900-1950، 324، م س رقم 141.

(2) إلفنستُن، «المسألة الكردية،» 97، م س رقم 71؛ روزڤلت، 248، م س رقم 228؛ لونگريگ، العراق، 1900-1950، 324، م س رقم 141.

(3) م.ن.

الوقت ذاته، اعترفت الحكومة الإيرانية بشيخ قبيلة آخر هو محمود آغا كاني سناني، الذي كان قد نجح في بسط سلطته على منطقة مريوان بوصفه حاكماً شبه مستقل.[1]

اصطدم حَمُه رشيد مع محمود آغا في صيف عام 1942. وسعى الثاني للحصول على المساعدة من إيران ودحر قوات حَمُه رشيد بمساعدة رتلين إيرانيين تدعمهما دبابات خفيفة وأبعدها عبر الحدود إلى العراق.[2] وبعد أن تخلصت الحكومة الإيرانية من حَمُه رشيد لم تضع وقتاً فيما يبدو في تحويل قواتها ضد محمود آغا، الذي اضطر إلى التوجه إلى العراق شأنه شأن خصمه.[3]

نتيجة لهذه الأحداث، أصبحت الحكومة الإيرانية، بحلول خريف عـام 1945، تسيطر على كل المناطق الكردية جنوبي خط ساقز- بانه- سردشت.[4] إلاّ أن الحكومة كما يبدو كانت عاجزة عن إعادة سلطتها فيما بقي من المنطقة التي يشغلها الكرد، أي الأراضي الواقعة بين خط ساقز- بانه- سردشت والحدود الجنوبية للمنطقة السوڤياتية؛ ووقعت أهم التطورات السياسية في مهاباد (صاوچبولاق)، المدينة الرئيسة في هذه المنطقة التي تقع ضمن المناطق المأهولة بالأذربيجانيين الإيرانيين.

---

(1) روزڤلت، 248، م س رقم 228.

(2) إلفنستُن، «المسألة الكردية،» 98، م س رقم 71. وفاقاً للونگريگ، احتجز حَمُه رشيد، الذي كان عراقياً بالولادة وادعى في وقت ما أنه مزدوج الجنسية، في كركوك لدى عودته عبر الحدود الفارسية - العراقية. لونگريگ، العراق، 1900-1950، 324، م س رقم 141.

(3) روزڤلت، 248، م س رقم 228.

(4) م ن.

تأثير دعاية الحلفاء

لقي بعث النشاط القومي الكردي في هذه المنطقة، الذي قاد إلى تشكيل الكومله (لجنة الشباب الكردي) وتوج بتأسيس جمهورية مهاباد الكردية، حافزاً قوياً من الهياج السياسي الذي أثارته الحرب العالمية الثانية. وعلى الرغم من حقيقة أن هذه المنطقة بقيت خارج منطقتي الاحتلال البريطانية والسوفياتية، فإنّ الناس تأثروا تأثراً كبيراً بالدعاية في زمن الحرب. وسيذكر أنه باستثناء الفروق في المصطلحات والتأكيد، فقد أكدت دعاية الحلفاء، السوفياتية والغربية، على نحو جوهري الأفكار نفسها. وهكذا لم يكن ممكناً للناس البسطاء فيما يتعلق بالسياسة مثل الكرد تمييز أحد النوعين عن النوع الآخر. فقد أدانت الدعاية السوفياتية والغربية المحور لاستعباد الأمم الأخرى واستغلالها ومجدتا الحرية السياسية وتقرير المصير للشعوب ووعدتا بالإطاحة بطغيان القوي على الضعيف.

لم تفلح هذه الأفكار في إحداث انطباع عميق لدى الكرد، الذين اعتبروا أنفسهم على غرار القوى المكافحة من أجل تحرير الشعوب التابعة. ولا ريب أن هذا الموقف قد تأثر بحقيقة أن اثنتين من الدول التي تضم عدداً كبيراً من السكان الكرد وهما العراق وإيران قد اصطدمتا فترة قصيرة بالحلفاء، وكان تدخل الحلفاء ضرورياً للإطاحة بالنظامين المؤيدين للمحور فيهما. كما أن الترك، على الرغم من بقائهم على الحياد، فقد واصلوا الاحتفاظ بمشاعر تقليدية من الصداقة نحو الألمان؛ ومما لا شك فيه أن هذه الحقائق دعمت التعاطف الكردي مع الحلفاء.

مواقف دولتي الاحتلال تجاه الكرد

كانت بريطانيا العظمى والاتحاد السوفياتي، الدولتان العظيمتان الأكثر

اهتماماً بهذه المنطقة، تدركان المشكلة التي يمثلها الكرد، بخاصة في كردستان الإيرانية والعراقية، وكانت الحساسية التركية من المسألة الكردية معروفة جيداً لكل المتحاربين. وذكر أن العملاء الألمان انشغلوا في محاولة إثارة المشكلات بين العناصر الكردية الساخطة في إيران والعراق وسوريا بهدف إلقاء اللوم على البريطانيين. وفي الحقيقة إن الدعاية الألمانية كانت قد اتهمت البريطانيين مسببة الاضطراب بين الكرد الإيرانيين.[1]

لذا كان الوضع دقيقاً ومحفوفاً بالخطر. وأثناء السنوات الحرجة الأولى من الحرب أفلح الألمان في الوصول إلى شمالي القوقاز، وكانت بريطانيا والاتحاد السوڤياتي حريصين على عدم عمل شيء قد يدفع تركيا إلى دخول الحرب إلى جانب ألمانيا. ولهذا السبب، تبنت الدولتان موقفاً متحفظاً تجاه الكرد أثناء السنوات الأولى من الحرب.

إلّا أن الدولتين لم تطبقا طويلاً سياسات متماثلة فيما يخص الشعب الكردي أو أي مسألة أخرى. وعندما انحسر الخطر الألماني وأصبحت آمال الحلفاء في الانتصار أقوى بدأت الوحدة القديمة بسبب الخوف من عدو مشترك تضعف. وبدت الدولتان كلتاهما مصممتين على اتباع أي سياسة تكون أكثر توافقاً مع مصالحهما.

كان طبيعياً أن بريطانيا العظمى، التي ارتبطت بتحالف مع تركيا والعراق والتي أملت في المحافظة على إقامة علاقات ودية مع إيران، تميل إلى تأكيد الوضع القائم. ولتجنب أي سوء فهم، امتنعت بريطانيا عن إظهار أي تعاطف نحو المطامح القومية الكردية.

على النقيض من ذلك، لم تكن علاقات الاتحاد السوڤياتي بتركيا ودية

(1) «القائمون بالدعاية للمحور في تركيا - تحريض الكرد،» التايمز (لندن)، 29 نيسان/أبريل، عام 1942 (بالإنكليزية، مرجع 14).

للغاية، ولم تكن له علاقات دبلوماسية مع العراق، وكانت علاقته بإيران لاتزال غامضة وغير مؤكدة. وهكذا لم يكن لديه الكثير مما يفقده بل الكثير مما يكسبه بتبني موقف بطل القومية الكردية. لقد أدّت هذه السياسة، بضمان الصداقة وحب أقلية مستعدة للقتال في كل الدول الثلاث، إلى أن تكون في نهاية الأمر أداة ثمينة لممارسة الضغط في زمن السلام وسلاحاً قوياً عسكرياً في زمن الحرب. علاوة على ذلك، لم يكن السوڤيات وحدهم يرغبون في دعم تلك الصداقة؛ كان الكرد أنفسهم بعد أن يئسوا من الحصول على مساعدة بريطانيا، مستعدين للتحول إلى راع جديد.

كما سبق الذكر، لم يبد السوڤيات في بادئ الأمر حماسة لأن يظهروا للكرد أي علامات تفضيل معينة، وتبنوا موقف عدم الاكتراث وعدم التدخل، وظهرت العلامات الأولى للتغير في الموقف السوڤياتي نحو الكرد عام 1942حيث اتخذت خطوتان مهمتان في تلك السنة، واحدة اتخذها السوڤيات والأخرى اتخذها الكرد. دعا السوڤيات أول مرة بعض القادة الكرد إلى اجتماع في باكو.[1] في الوقت ذاته تقريباً يقال إن ثلاثة من ضباط الجيش العراقي اتصلوا بسلطات الاحتلال السوڤياتي في إيران وعرضوا مساعدة مواطنيهم في الحرب ضد ألمانيا.[2] وليس واضحاً تماماً أي خطوة من هاتين الخطوتين سبقت الأخرى. وعلى كل حال، يبدو أن السوڤيات كانوا لايزالون غير مستعدين ليأخذوا الكرد تحت رعايتهم لأنه في ربيع ذلك العام عندما أغار بعض الكرد على قرى غربي بحيرة أورميا لم يتردد السوڤيات في دعوة

(1) روزڤلت، 251، م س رقم 228.

(2) ويتوالد راجكوڤسكي، «موقع خطر آخر – كردستان،» ورلد رفيو (حزيران/ يونيه، عام 1946)، 31 (بالإنكليزية، مرجع 210).

الجيش الإيراني والشرطة للتعامل معهم. ولكن يبدو أنهم عانوا من تغيير في موقفهم وبذلوا قصارى جهودهم لإحباط جهود قوات الأمن الإيرانية.[1]

الكومله

تشكيل الكومله

أسس فريق من القوميين الكرد، منظمة «كومه له ژياني كورد» [جمعية الإحياء (البعث) الكردي] في مهاباد. ضم الفريق عدداً من التجار الصغار وأفراد البرجوازية الصغيرة. وللمحافظة على طابع المنظمة السري أبقي العدد الكلي أقل من مائة منتظمين في خلايا. وكانت تعقد اجتماعات شبه أسبوعية في المنازل ولكن لم يعقد اجتماعان متتاليان في البيت نفسه.[2] وأشارت حقيقة أن العضوية اقتصرت على الأشخاص الوحيدين المولودين من أم كردية وأب كردي إلى نزعة الكومله القومية الحادة. وكان الاستثناء الوحيد الأشخاص المولودون من أب كردي وأم آشورية. ويبدو ذلك غريباً نوعاً ما إذا أخذنا في الاعتبار العلاقات التي طال فيها النقاش بين هذين الشعبين بعد الحرب العالمية الأولى، إلّا أنه، كما ذكر المراقب الأميركي أرشيبالد روزڤلت الإبن، ربما كان ذلك «مؤشراً على العلاقات الوثيقة الحالية بين الكرد والآشوريين.»[3]

بعد أن رسخت الكومله وضعها في كردستان الإيرانية لم تضيّع وقتاً في

(1) روزڤلت، 251، م س رقم 228.

(2) م ن، 250. راجع دوغلاس، 57 وما بعدها.

(3) روزڤلت، 250، م س رقم 228.

مد أنشطتها إلى البلدان المجاورة التي يقطنها الكرد، وأصبحت نشيطة بخاصة في العراق حيث أسست فروعاً لها في الموصل وكركوك وأربيل والسليمانية وراوندوز وشخوه. وذكر أن فرعاً واحداً أقله كان يعمل في تركيا.[1]

الاتصالات السوڤياتية بالكومله

زيد عدد الحكام السياسيين والعملاء في كل من أذربيجان وكردستان الجنوبية عام 1944، وكان معظم هؤلاء مسلمين وبدا أنهم كانوا فعالين. ويقال إن كردياً مسلماً ملحقاً بالقنصلية السوڤياتية في رضائية اسمه جعفروف كان يتجول بحرية بين القرويين والقبائل مرتدياً أزياءهم. كما يقال إن العميلين السوڤياتيين عبداللاهوف (Abdullahov) وحجيوف (Hajiov)، اللذين تظاهرا بشراء الخيول للجيش الأحمر، كلفا في الواقع بإقامة صلات بالحركة القومية الكردية. ويقال إن اجتماعاً عقد مصادفة بين عبداللاهوف وعضو في الكومله جعل السوڤيات على اتصال بتلك المنظمة. وقبل مضي وقت طويل عين عضو في الكومله يتحدث الروسية ضابط ارتباط بين الكومله وسلطات الاحتلال السوڤياتية.[2]

كانت وكالة الدعاية الدولية السوڤياتية المعروفة بجمعية العلاقات الثقافية مع الدول الأجنبية (VOKS, Vsesoiuznoe Obshchestvo Kulturnoi s Sziazi s) في ذلك الوقت منشغلة بتأسيس فروع مختلفة للجمعية الثقافية الإيرانية – السوڤياتية في أنحاء إيران كافة. وطلب قادة الكومله من هذه

---

(1) م ن.

(2) م ن، 251.

الوكالة تأسيس فرع في مهاباد أطلق عليه اسم جمعية العلاقات الثقافية الكردستانية – السوڤياتية.[1]

ظهرت الكومله إلى العلن في اجتماع عقد في نادي جمعية العلاقات الثقافية الكردستانية – السوڤياتية في نيسان/ أبريل، عام 1945، وكان القنصل السوڤياتي في رضائية ورئيس جمعية العلاقات الثقافية مع الدول الأجنبية في أذربيجان ضيفي الشرف، وكانت الفقرة الرئيسة في البرنامج مسرحية عنوانها «دايكي نشتمان» (الوطن الأم). تولى في المسرحية ثلاثة أشرار يحملون أسماء «العراق» و«إيران» و«تركيا» إساءة معاملة امرأة عجوز تمثل كردستان. وكانت ذروة المسرحية عندما أنقذت «الوطن الأم» بفضل الجهود الموحدة لأبنائها. وكان المشهد التالي مثيراً للاهتمام. وفاقاً لروزڤلت «الجمهور غير المعتاد على العروض الدراماتيكية انفعل على نحو عميق أمامها، وقد تساوى الجميع تجاه بينة قضايا ثأر للدم عمرها عدة أجيال وراح أعداء على مدى حياة بكاملها يكون الواحد على كتف الآخر ويقسمون على الانتقام لكردستان.»[2]

قبول قاضي محمد في عضوية الكومله

قبل قاضي محمد، الرئيس المقبل لجمهورية مهاباد الكردية، عضواً في الكومله في هذا الاجتماع. وذكر أن المسؤولين السوڤيات كانوا راضين عن هذا التطور لأنهم كانوا فيما يبدو يبحثون عن شخصية قوية تقود المنظمة. وكان السوڤيات المدركون لقوة القبائل قد حاولوا إقناع أحد شيوخ القبائل

---

(1) م ن، 252.

(2) م ن.

الكبيرة بقيادة الحركة القومية، وذكر أنهم اتصلوا بثلاثة من شيوخ القبائل الأقوياء في كردستان الإيرانية هم قاراني آغا رئيس العشائر، شيخ قبيلة مامش، وعمر خان شريفي، شيخ قبيلة شكاك، وأمير أسعد، شيخ قبيلة دهبوكري لتولي هذا المنصب، وقد رفض الثلاثة العرض بأدب.[1]

قرر السوڤيات، الذين واصلوا بحثهم عن قائد كردي، في نهاية الأمر اختيار القاضي محمد، الوارث لمنصبه، قاضي مهاباد وإحدى شخصياتها الدينية البارزة، وقبل مضي وقت طويل أفلحوا في كسب ثقته، وقادت الزيارات المتكررة إلى قاضي محمد والاهتمام الذي أولي، عموماً، أخيراً إلى تطور مهم. وبممارسة الضغط على الحكومة الإيرانية نجح السوڤيات في استبدال زعيم قبيلة دهبوكري أمير أسعد، الذي كان ممثل الحكومة في المنطقة بابن عم قاضي محمد سيف قاضي، الذي أصبح القائد المحلي للشرطة. وكان هذا الاستبدال دليلاً ملموساً على قيمة الصداقة السوڤياتية ومثالاً على ما يمكن إنجازه في المستقبل بالتعاون المثمر.

قبل مضي وقت طويل أحرز قاضي محمد السيطرة التامة على الكومله التي يبدو أن قادتها كانوا يتوقعون هذا التطور. ووفاقاً لروزڤلت:

> **يقال إن قاضي محمد لم يعلم بالكومله إلّا بعد سنة من تأسيسها عندما أرسل مبعوثين خفية عارضاً تأييده. لكن قادتها قرروا عدم قبوله في عضويتها خشية أن شخصيته القوية والمستبدة والتبجيل الذي اعتادوا أن يحيطوه به وبعائلته يمكن أن يهيمن على الحزب وطابعه الديموقراطي في نهاية المطاف. وعندما قبل أخيراً بناء على**

(1) م ن، 252-53.

الإصرار السوفياتي حدثت النتيجة التي خشوا منها بالضبط – حكم الرجل الواحد للحزب.[1]

لم يحكم سيطرته على الكومله وحدها بل اتبع خط سياسة محبذة لوجهة النظر السوفياتية. وبينت التطورات اللاحقة، على نحو واضح، مدى استعداد قاضي محمد للتعاون مع السوفيات.

خلفية قاضي محمد وشخصيته

كان قاضي محمد ينتمي إلى إحدى أبرز الأسر في كردستان الإيرانية – أسرة قضاة مهاباد التي كانت مدينة لبروزها ليس إلى ورع أعضائها وعلمهم بل كذلك إلى الشجاعة والوطنية اللتين أظهرتهما هذه الأسرة التي تولى أفرادها ترؤس الشعب في أوقات الأزمات وتولوا ببسالة مسؤوليات القيادة في أوقات الخطر الشديد والريبة. ونتيجة لذلك اعتبرهم سكان مهاباد والريف المجاور لها زعماء المنطقة الدينيين والمدنيين.

بذل قاضي علي، أبو قاضي محمد، وقاضي منعم، أحد أبناء عمومته، الكثير لتخفيف صرامة الاحتلال العسكري السوفياتي أثناء الحرب العالمية الثانية عندما جلبت المجاعة والطاعون ودمار الحرب الهلاك في شمال غربي إيران. وتولى قاضي فتاح، عم قاضي علي دوراً قيادياً في تنظيم المقاومة المحلية ضد التدخل القيصري في أذربيجان أثناء الاضطرابات التي هزت البلاد في وقت الثورة الدستورية (المشروطية) عام 1905. ويقال إنه ارتدى كفناً ودعا الناس إلى الانضمام إلى الجهاد ضد القوات القيصرية، التي قتلته فيما بعد.[2]

---

(1) م ن.

(2) پسيان، 2: 151، م س رقم 308. وفاقاً لنيكيتين، كان قاضي فتاح العضو الأكبر

هكذا ليس مدهشاً أن الشعب علاوة على السلطات الإيرانية أحاطتهذه الأسرة بالتبجيل؛ وحتى رضا شاه، الذي لم يكن يعرف بموقفه الودي نحو الشخصيات الدينية، يقال إنه أظهر للأسرة علامات العطف الخاص، وكان يميل إلى مساعدة والد قاضي محمد. وبعد موت الأخير في منتصف عقد الثلاثينيات عين قاضي محمد في منصب قاضي مهاباد بتوصية من السلطات المدنية والعسكرية.[1]

لاريب أن علم قاضي محمد وقوة شخصيته وسمعة أسرته ومنصبه كلها منحته مركزاً ونفوذاً قوياً في مهاباد. إلّا أنه بقي بالنسبة إلى العالم الخارجي مجهولاً تماماً حتى حملته الأحداث إلى البروز الدولي رئيساً لجمهورية مهاباد الكردية، وقد ترك إخلاصه وأخلاقه وعاداته المتسمة بالبساطة انطباعاً مرضياً لدى الأجانب الذين اتصلوا به.

من بين من قابلوا قاضي محمد لم يعط شخص وصفاً متعاطفاً مع الزعيم الكردي أكثر من أرشيبالد روزڤلت الإبن. فالصورة التي رسمها هذا الأخير في كتاباته هي صورة الوطني والمثقف ذو الاهتمامات الواسعة والآراء المتسمة بالتسامح. وحتى بعد توليه مركز السلطة لم تظهر عليه أي من سمات تطرف المتحمسين أو تعالي الشخص الذي يتولى منصباً عالياً أو خشونة المتعود على الفظاظة. وفاقاً لروزڤلت، «بدا أنه رجل ذو قناعات عميقة تسنده بالشجاعة النادرة والثقة بالنفس التي تخففها رحابة الصدر والاعتدال.»[2]

سناً في الأسرة أثناء الحرب العالمية الأولى. نيكيتين، الكرد، 136، الحاشية 1، م س رقم 187.

(1) پسيان، 2: 153، م س رقم 308.

(2) روزڤلت، 262، م س رقم 228. من المثير للاهتمام في هذا الصدد مقارنة شخصية قاضي محمد مع شخصية ستّار خان، قائد «المتطوعين الوطنيين» في أذربيجان أثناء الاضطرابات الدستورية. للاطلاع على التفاصيل المتعلقة بالتدهور التدريجي =

وعندما انهارت جمهورية مهاباد لاحقاً كان رد فعل قاضي محمد عندما علم بالحكم عليه بالموت أنه لم يطلب الإبقاء على حياته بل على حياة شقيقه الذي اعتقد أنه كان ضحية ظلم كبير.[1]

الحزب الديموقراطي الكردستاني

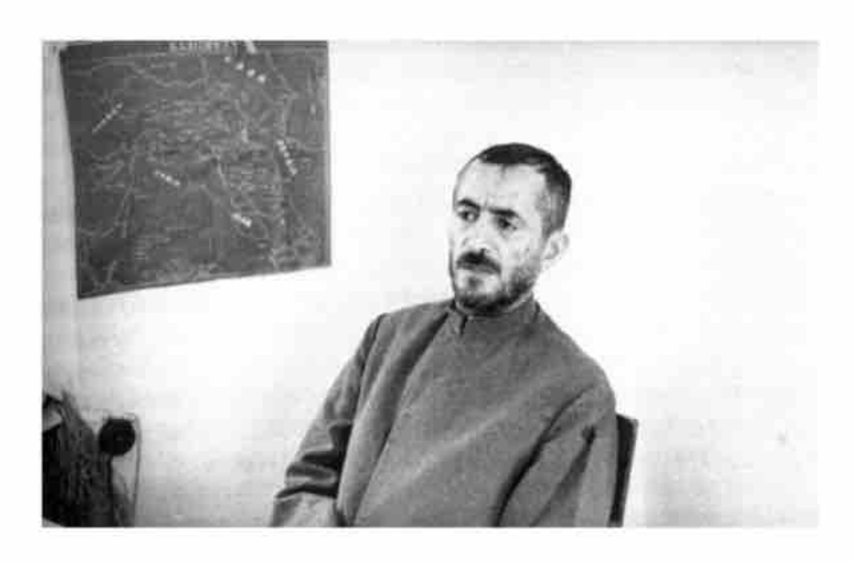
الخطط السوڤياتية لحزب كردي

قرر الاتحاد السوڤياتي، بحلول عام 1945، اتباع سياسة جديدة في إيران هادفة إلى تشجيع الأقاليم من أجل السعي للحصول على الاستقلال الذاتي أو وجود منفصل عن بقية البلاد. وللتمهيد لتنفيذ هذه الخطة حل حزب توده في أذربيجان نفسه وعاود الظهور باسم الحزب الديموقراطي الأذربيجاني. وتبنى الحزب اللغة التركية الأذرية لغة رسمية وطالب بالانفصال عن إيران، ولجأ إلى المناورة وفاقاً لروزڤلت بهدف تمكين العناصر اليسارية من السيطرة على أذربيجان من دون إحراج حزب توده في أنحاء إيران الأخرى. وكما عبر روزڤلت، يمكنهم بعد ذلك «القيام بثورة وإعلان استقلال الإقليم وربما الاندماج في الاتحاد السوڤياتي.»[2] وأعلن الحزب الديموقراطي الأذربيجاني في كانون الأول/ ديسمبر، عام 1945، تشكيل حكومة ذات حكم ذاتي في تبريز.

= لشخصية خان، انظر إدوارد غرانڤيل براون، الثورة الفارسية بين عامي 1905-1909، 570 (بالإنكليزية، مرجع 32).

(1) پسيان، 1: 176، م س رقم 308.

(2) روزڤلت، 261، م س رقم 228.



18. قاضي محمد في مكتبه في مهاباد وخلفه خريطة كردستان ذات الحكم الذاتي، 1946. أرشيبالد روزفلت/ مكتبة الكونغرس، واشنطن العاصمة. من كتاب سوزان مسيلاس، كردستان: في ظل التاريخ.

انطوت الخطة السوفياتية كذلك على تشكيل حزب كردي جديد. وكما بين روزفلت، لم يكن متوقعاً انضمام الكرد إلى حزب مكرس للنزعة القومية الأذربيجانية. وذكر أن الرائد نامازالييف، القائد السوفياتي في مياندواب، قد استدعى عدداً من القادة الكرد ومنهم قاضي محمد وسيف قاضي إلى اجتماع مع القنصل السوفياتي في تبريز في 12 أيلول/ سبتمبر، 1945. ولدى وصولهما إلى تبريز طلب منهما التوجه إلى محطة القطار حيث نقلوا إلى باكو بالقطار.[1] وبعد ثلاثة أيام في باكو نظمت لهم جولات وعروض مسرحية وعروض أوبرا توجت إقامتهم باجتماع مع مسؤول سوفياتي. ووفاقاً لروزفلت،

اصطحبوا في اليوم الرابع لمقابلة باقيروف، رئيس أذربيجان (رئيس

---

(1) م ن.

مجلس رئاسة السوڤيات الأعلى لأذربيجان)، الذي ألقى فيهم خطاباً حماسياً بشأن المظالم التي كانوا قد عانوا منها في ظل حكم رضا شاه، وقال إن الحكومة السوڤياتية ستساعد الحزب الديموقراطي المتمسك بنيل الحرية للمضطهدين وحثهم بقوة على الانضمام إليها، وأدان حزب توده، الذي وصفه بأنه مجموعة من مثيري المشكلات غير الفعالين، والكومله، التي قال إنها أسست في العراق برعاية المخابرات البريطانية ولم تكن سوى أداة للاستعمار البريطاني. وبعد تحذير الكرد بعدم ذكر شيء عن الرحلة أعيدوا بالقطار إلى تبريز ومنها بسيارات الجيش الأحمر إلى منازلهم.[1]

يشير هذا التقرير إلى أن تشكيل الحزب الديموقراطي الكردستاني كان بوحي من السوڤيات. والأرجح أن رحلة الزعماء الكرد إلى باكو قد رتبت بهدف تزويدهم بالتعليمات الضرورية.[2]

تشكيل الحزب الديموقراطي الكردستاني

لدى عودة قاضي محمد إلى مهاباد دعا إلى اجتماع للنبلاء والمثقفين

(1) م ن.

(2) تحدث حاجي بابا شيخ، الذي تولى منصب رئيس وزراء نظام مهاباد، عن رحلة قام بها مرة إلى باكو بصحبة زعماء كرد آخرين. وفاقاً له قدم لهم أتاكيشوف، أحد الجنرالات السوڤيات الذين قابلهم، تعليمات أصر على وجوب اتباعها حرفياً مهدداً بفرض العقاب الشديد على من يرفضون ذلك. وقد ادعى حاجي بابا أن أزمة قد نشأت عندما أعلن معارضة أوامر الجنرال وهدد قاضي محمد بتناول السم. وذكر أنه بعد أن مكثوا في باكو خمسة عشر يوماً سمح لهم بالعودة إلى مهاباد. ويبدو أن عدداً من الزعماء الكرد قد زاروا باكو أكثر من مرة واحدة. ووفاقاً لحاجي بابا زار قاضي محمد باكو مرتين وزارها سيف قاضي ثلاث مرات. انظر پسيان، 2: 173-74، م س رقم 308.

والصحفيين وأعضاء البرلمان الكرد لإعلان تشكيل الحزب الديموقراطي الكردستاني. وحث الكرد كافة على الانضمام إلى الحزب واستجاب الكثيرون إلى دعوته.

وصدر بيان يلخص أهداف الحزب المؤسس حديثاً وسياساته، ووقعه قاضي محمد وعدد كبير من القادة الكرد. وذكر البيان أن الكرد رغبوا في مشاطرة منافع الحلف الأطلسي بعد أن حرر العالم من الفاشية. ومضى البيان إلى القول إن الكرد لم يطالبوا بغير حقوقهم الإنسانية والدستورية التي حرمهم منها رضا شاه زمناً طويلاً.[1] وقد تضمن برنامج الحزب النقاط التالية:

يجب أن يتمتع الشعب الكردي في إيران بالحرية والحكم الذاتي في إدارة شؤونه المحلية ونيل الحكم الذاتي ضمن حدود الدولة الإيرانية؛

يجب استخدام اللغة الكردية في التعليم وأن تكون اللغة الرسمية في شؤون الإدارة؛

يجب انتخاب المجلس الموقت لكردستان فوراً وفاقاً للدستور، ويجب أن يشرف على، ويفتش كل، أمور الدولة والشؤون الاجتماعية؛

يجب أن يكون موظفو الدولة كافة من أصل محلي؛

يجب تبني قانون واحد للفلاحين والوجهاء وضمان مستقبل الجميع؛

سيبذل الحزب الديموقراطي الكردي جهوداً خاصة لتحقيق الوحدة والأخوة الكاملة مع الشعب الأذربيجاني والشعوب الأخرى التي تعيش في أذربيجان (الآشوريون والأرمن وغيرهم) في نضالاتهم؛

وسيسعى الحزب الديموقراطي الكردي من أجل تحسين الوضع

(1) روزفلت، 254، م س رقم 228؛ الرابطة الكردية، مذكرة عن وضع الكرد ومطالبهم، 38، م س رقم 123، ونشرة مركز الدراسات الكردية، 17 (نشرتها كذلك الرابطة الكردية).

المعنوي والاقتصادي للشعب الكردي من خلال استكشاف موارد كردستان الكثيرة وتقدم الزراعة والتجارة وتطوير الصحة والتعليم؛ ونرغب في أن يتمكن الناس في إيران من العيش بحرية من أجل سعادة بلادهم وتقدمها.[1]

جمهورية مهاباد: أهدافها وسياساتها

أسست جمهورية مهاباد في كانون الثاني/ يناير، عام 1946، بعد شهر من تشكيل جمهورية أذربيجان.[2] افتتح القاضي محمد الجمهورية الكردية في اجتماع في مهاباد حضره الزعماء الكرد وقادة الحزب الديموقراطي الكردي الجديد وملّا مصطفى بارزاني وثلاثة مسؤولين سوڤيات، وشكل برلمان وطني، وانتخب قاضي محمد رئيساً، وأعلنت جمهورية مهاباد رسمياً في آذار/ مارس، 1946.[3] وفي نيسان/ أبريل، وقع مسؤولون من النظامين معاهدة تنص على «أن القوات العسكرية للدولتين الموقعتين ستساعد الواحدة الأخرى كلما استدعى الأمر ذلك.»

في يوم الإعلان عن تأسيس الجمهورية أعلن قاضي محمد افتتاح مدرسة ثانوية للبنات.[4] كانت تلك خطوة مهمة بسبب الافتقار إلى مبادئ

(1) مقتبس من روزڤلت، 255، م س رقم 228. راجع الرابطة الكردية، مذكرة عن وضع الكرد ومطالبهم، 39، م س رقم 123. الرابطة الكردية، مذكرة عن وضع الكرد ومطالبهم، 21-22، م س رقم 122، ونشرة مركز الدراسات الكردية (1948)، 17ـ18.

(2) پسيان، 2: 156-60، م س رقم 308. راجع نيكيتين، الكرد، 201-2، م س رقم 187؛ رامبو، 102-103، م س رقم 213.

(3) ديلي إكسبرس، 16 آذار/ مـارس، عام 1946؛ كذلك رامبو، 101-102، م س رقم 213.

(4) رامبو، 104، م س رقم 213.

التعليم في بلد الأمية هذا. ولم تكن المدارس القليلة القائمة مجهزة لتعليم الكرد بلغتهم، ولم يكن يقصد بها القيام بذلك. لأن تعليم البنات كان غير موجود عملياً. ولقد مرر تشريع بنشر التعليم الابتدائي الإلزامي للجميع، وتقرر تزويد الأطفال الفقراء بالتعليم والملابس والطعام والكتب المدرسية مجاناً.[1] وقال روزفلت: «اضطر المعلمون الكرد، في بادئ الأمر، إلى ترجمة الكتب المدرسية الفارسية شفوياً في قاعة التدريس إلّا أنه قبل سقوط الجمهورية الكردية بفترة قصيرة كانت الكتب المدرسية باللغة الكردية قد طبعت للصفوف الابتدائية.»[2]

كانت واحدة من أكثر الحاجات إلحاحاً الحصول الوسائل الضرورية لنشر المعلومات المطلوبة للأغراض السياسية فضلاً عن الأغراض التعليمية. ولتحقيق هذا الهدف بدأت الحكومة في نشر صحيفة إخبارية يومية ومجلة شهرية سياسية.[3] وسرعان ما شرع بنشر مجلتين أخريين هما هاوار وهلاله.[4] بدأت مجلة هلاله الصدور في أيار/ مايو، عام 1946.[5]طبعت هذه المطبوعات كافة في مطبعة جرى الحصول عليها من الاتحاد السوفياتي، الذي زوّدهم كذلك بورق الطباعة اللازم.[6] وأما المؤشر على الأهمية التي

---

(1) ستيپانوف، 24، م س رقم 249.

(2) روزفلت، 262، م س رقم 228.

(3) أطلق على المطبوعتين كلتيهما كردستان، وكانتا تنطقان بلسان نظام مهاباد، م ن، 262. راجع رامبو، 103، م س رقم 213.

(4) روزفلت، 262، م س رقم 228.

(5) رامبو، 104، م س رقم 213.

(6) في مذكرة قدمت إلى الاتحاد السوفياتي شكت الحكومة الإيرانية من أن «شيوخاً قبليين قد استوردوا مكائن طباعة وورق صحف من الاتحاد السوفياتي لدعم أنشطتهم.» التايمز، 28 تشرين الثاني/ نوفمبر، عام 1945. وفاقاً لروزفلت قدم

أولاها قاضي محمد إلى اللغة الكردية والأدب الكردي فيستنتج من حقيقة أنه كان هناك شاعران ضمن هيئة موظفيه هما هيمان وهزار، اللذان سمح لهما بنشر قصائدهما على الرغم من شح الورق.[1] وكما قد يتوقع، أظهرت المواد التي نشرتها الصحف والمجلات الكردية تأثيراً سوفياتياً قوياً. وأوضح روزفلت «أنها تضمنت جزءاً كبيراً من المواد السوفياتية المترجمة حرفياً إلى اللغة الكردية.»[2]

بعد أشهر قليلة من تأسيس جمهورية مهاباد، وجه عدد كبير من الوجهاء الكرد مذكرة إلى الحكومة الكردية طلبوا فيها تشكيل «مجلس أعلى لكردستان،» وبينوا في المذكرة أن المسألة الكردية لا تهمهم وحدهم بل تهم كل الكرد في أرجاء إيران. ومضوا قائلين إنه لا يمكن حل المسألة الكردية بقرار أحادي الجانب تتخذه الحكومة الإيرانية. وأضافت المذكرة، «إنّ خطوتنا تدل على مشاعر ولائنا نحو إيران. ونحن نأمل ألّا تدع الحكومة هذه الفرصة التي نعرضها تمر.»[3]

عبر قاضي محمد عن آرائه إلى مراسل وكالة الصحافة الفرنسية في 1 حزيران/ يونيه، عام 1946 حيث قال: «سيرضى الكرد إذا قررت الحكومة المركزية حقاً تطبيق القوانين في أنحاء إيران كافة واعترفت بالقوانين النافذة حالياً في كردستان بشأن تعليم الكردي والحكم الذاتي للإدارة المحلية

الجيش الأحمر المعدات الطباعية إلى الحزب الديموقراطي الكردستاني، روزفلت، 262-63، م س رقم 228.

(1) م ن، 263.

(2) م ن، 264.

(3) الرابطة الكردية، مذكرة عن وضع الكرد، 40-41، م س رقم 123؛ كذلك رامبو، 105، م س رقم 213.

والجيش.»[1] وعندما سأل الصحفي الفرنسي قاضي محمد عن خطر نشوب صراع مع الحكومة المركزية واحتمال التدخل الأجنبي أجاب الزعيم الكردي:

إن الوضع في كردستان مختلف جداً عن الموقف في أذربيجان. لم تحتل القوات السوڤياتية بلادنا، ومنذ تنازل رضا شاه عن العرش لم تدخل الشرطة ولا الجنود الإيرانيون إلى كردستان. لذا نحن نعيش عملياً مستقلين منذ ذلك الحين، كما أننا لن نسمح بالتدخل الأجنبي من أي جهة أتت. إن مسألة كردستان، مسألة داخلية تماماً يجب تسويتها بين الكرد وبين الحكومة المركزية.[2]

ثم استعرض قاضي محمد ماضي كردستان وذكر أنه إذا طالب الكرد الآن بالحكم الذاتي فقد كان ذلك بسبب عدم اكتراث الحكومة المركزية بمصالحها. وقال: «لا نرغب في تقليد الأميركيين أو الروس، إلّا أننا نرفض أن نكون في وضع حيوانات الدول المتمدنة.»[3]

جوانب ضعف نظام مهاباد ومشكلاته

عناصر الانقسام وفقدان الوحدة

تذكر مهاباد على نحو محزن بالافتقار التقليدي إلى التماسك، وهو

---

(1) الرابطة الكردية، مذكرة عن وضع الكرد ومطالبهم، 41، م س رقم 123؛ «خلاصة مذكرة عن وضع الكرد،» نشرة مركز الدراسات الكردية، عد. 2، 19؛ خلاصة مذكرة وضع الكرد ومطالبهم، 23، م س رقم 122 راجع رامبو، 106، م س رقم 213.

(2) الرابطة الكردية، الرابطة الكردية، مذكرة عن وضع الكرد، 41، م س رقم 122؛ رامبو، 106، م س رقم 123؛ الرابطة الكردية، مذكرة عن وضع الكرد، 23، م س رقم 122.

(3) رامبو، 107، م س رقم 213؛ الرابطة الكردية، مذكرة عن وضع الكرد، 41؛ الرابطة الكردية، مذكرة عن وضع الكرد، 23، م س رقم 122.

الافتقار المميز للنشاط الكردي. ومرة أخرى أثناء أزمة وطنية أخفق الكرد في تسوية خلافاتهم وأثبتوا عجزهم عن رص صفوفهم حيث كانت عناصر الانقسام والصراع كثيرة ومتنوعة. وقد أدى السعي إلى تحقيق المصالح الخاصة والتنافس والدسائس إلى منع المجموعات المختلفة من الوصول إلى فهم مشترك، كذلك كانت المصالح المتضاربة غير قابلة للمصالحة وأدت إلى الانشقاق والانقسام.

كانت القبائل المحلية، التي اعتمد على وحدتها مستقبل النظام برمته، منقسمة، ولم تكن المجموعات القبلية المختلفة والقادة من خارج المنطقة مثل حَمُه رشيد باني وأتباعه وقبيلة شكاك وقبيلة هركي والبارزانيين موحدي الرأي. وكما سنرى فإنهم سعوا إلى تحقيق أهدافهم محدثين أضراراً بالهدف المشترك.

لم تكن هذه المشكلات الوحيدة التي أصابت نظام مهاباد والمجتمع الكردي عموماً. إن المجتمع الكردي الخامد طويلاً الذي أوقظ بضجيج حرب عظمى ومطالب طنانة للأيدولوجيات المتنافسة وجد نفسه منقسماً إلى مجموعتين متنافستين بشراسة فيما بينهما لقيادة الشعب الكردي: الزعماء التقليديون وجماعة المثقفين.[1]

نظرت العناصر المحافظة - بمن فيهم الجيل الأكبر سناً وأغلبية زعماء القبائل وفئات التجار - إلى المبادرات السوڤياتية بعين الريبة، ولهذا السبب ترددت في قبول الدعم السوڤياتي. لقد حبذت التحقيق التدريجي للأهداف

(1) لغرض مناقشة الانشقاق السياسي بين الكرد، انظر موريس فيرّو، «الجمهورية الكردية المستقلة ذاتياً في أذربيجان،» (بالفرنسية، مرجع 79)؛ صحيفة سكو تسمان، عد. 26 تشرين الثاني/ نوفمبر، عام 1946؛ نيكيتين، رسالة إلى المحرر، مانشستر غارديان، م س رقم 190.

القومية وتبنت موقفاً حذراً مع ضبط النفس. أما العناصر الأخرى الأكثر تطرفاً بمن فيهم الجيل الأصغر سناً والمثقفون والمثاليون والأكثر اندفاعاً فقد حبذوا تبني إجراءات متطرفة. لم تكن تلك العناصر ممتنّة للدعم السوڤياتي فحسب بل غالباً ما كانت تطلب ذلك الدعم. ومما لا شك فيه أن هذه الثنائية السياسية قد فاقمت كثيراً الانشقاق والافتقار إلى التلاحم بين الكرد الفرس وسرعت انهيار الجمهورية الجديدة.

كان الوضع القبلي ضمن أراضي دولة مهاباد كما يلي: كانت القبائل الرئيسة الثلاث في المنطقة - قبيلة مامش وقبيلة منگور وقبيلة دهبوكري- معادية على نحو مكشوف للنظام الكردي.[1] وكان قاراني آغا، زعيم قبيلة مامش المسن، أحد الشيوخ القبليين الثلاثة الذين كان الروس قد اتصلوا بهم أثناء بحثهم عن زعيم للحركة الكردية إلّا أنه رفض عرضهم. عارض قاراني آغا وابنه مام عزيز إلى جانب حليفتهما قبيلة منگور بزعامة بايزيد آغا معارضة شديدة لنظام مهاباد بحيث هدد نائب القنصل السوڤياتي في رضائية إطلاق البارزانيين ضدهم. وقد نفذ هذا التهديد بعد فترة قصيرة ووجد مام عزيز وعدد من أتباعه من الضروري الهرب إلى العراق. أدى هذا الإجراء العقابي إلى ازدياد الغضب وتعميق الخصومة. أما أمير أسعد زعيم قبيلة دهبوكري، الذي كان هو أيضاً قد رفض الدعوة السوڤياتية إلى تزعم الحركة القومية الكردية وحرم فيما بعد من مركزه ممثلاً للحكومة المركزية في مهاباد، فقد حافظ على موقف التعالي وعدم التعاون ورفض أن تكون له علاقة بالجمهورية الكردية.[2]

(1) للاطلاع على هذه المواقف وغيرها انظر روزڤلت، 252-53، 265-66، م س رقم 228. أتناول أسباب المعارضة القبلية لنظام مهاباد في قسم لاحق في هذا الفصل.

(2) م ن، 252-253، 265.

شخصية بعض الكرد البارزين وأنشطتهم

يكشف عرض موجز لشخصية وأنشطة بعض الرجال الذين أثروا في سير الأحداث في مهاباد عن بعض جوانب الضعف الداخلية في النظام. تولى هؤلاء الأشخاص أدواراً مهمة في التطورات السياسية والعسكرية وشغل بعضهم مناصب عالية في نظام مهاباد وكانوا مسؤولين عن عدد من القرارات المهمة.

حَمْه رشيد خان: كان حَمُه رشيد خان باني واحداً من الزعماء المشاغبين الذين ربطوا أنفسهم بنظام مهاباد. وكما سبقت الإشارة بعد محاولته الفاشلة أن يصبح شيخاً قبلياً مستقلاً ذاتياً في منطقة بانه عام 1942 أرغم على الفرار إلى العراق. وبدا أن الاصطدامات الكثيرة مع الجيش الإيراني ومع كرد آخرين لم تهدف سوى إلى تحقيق مصالحه الشخصية. أمضى الكثير من وقته في اجتياز الحدود بين إيران والعراق والعودة ساعياً إلى تحقيق طموحاته أو بحثاً عن سلامته الشخصية. شارك حَمُه رشيد، الذي كان واحداً من خمسة أشخاص منحوا رتبة «مارشال» في عهد نظام مهاباد، في القتال الذي نشب في منطقة ساقز- بانا -سرداشت عام 1942.[1]

وضع روزڤلت التعليقات التالية عن هذا الزعيم الكردي:

كان حَمُه رشيد ذا قيمة مشكوك فيها لدى الكرد، وكان يجري مفاوضات سرية مع الجيش الإيراني باستمرار لغرض إعادته إلى منصبه حاكماً لبانه، وكان الكرد والإيرانيون يرتابون في علاقته الغامضة بالبريطانيين. وعندما سمع حَمُه رشيد بوضع خطط في مهاباد لاغتياله فر إلى العراق.[2]

---

(1) م ن، 260.

(2) م ن، 260، الحاشية 8.

زيرو بگ الهركي. كان زيرو بگ الهركي مغامراً آخر من هذا القبيل. كان زعيماً أقل أهمية من زعماء قبيلة هركي، وقد بدأ حياته العملية في نهاية الحرب العالمية الأولى كرجل عصابات وحليف للشيخ القبلي رجل العصابات - المتمرد المشهور سِمكو آغا. وبعد أن اغتال رضا شاه سِمكو هرب زيرو إلى العراق حيث بقي يعيش في غموض نسبي حتى مكنه الغزو الأنكلو- الروسي لإيران من العودة إلى ذلك البلد. غامر باجتياز الحدود بعد انهيار السلطة الفارسية في شمال غربي إيران وأفلح في تثبيت مركزه في وادي براندوز ليس بعيداً كثيراً عن الحدود الإيرانية - العراقية.[1] كان زيرو بگ واحداً من أولئك الذين منحوا رتبة «مارشال» بعد تنصيب قاضي محمد رئيساً للجمهورية الكردية. وكان كذلك عضواً في الوفد الكردي الذي وقع المعاهدة المعقودة بين الديموقراطيين الأذربيجانيين وكرد مهاباد في 23 نيسان/ أبريل، عام 1946. ومن أعماله الأخيرة الهرب على عجل إلى أشنويه بعد نصب عدد من أتباعه كميناً لبعض الجنود الإيرانيين بينما كان يتفاوض مع القائد الإيراني اللواء همايوني، وانضم إلى ملّا مصطفى قبل وقت قصير من شروعه بفراره الملحمي إلى الاتحاد السوڤياتي.[2]

ليس واضحاً ما كانت قيمته بالضبط لنظام مهاباد، فلقد ذكر أنه نجح في التملق إلى السلطات السوڤياتية وأن يحظى برعايتهم. وليس معروفاً إن كان يستغل علاقاته السوڤياتية لخدمة شعبه بالعمل صلة وصل بينهم وبين السلطات السوڤياتية أو استخدمهم لتعظيمه الذاتي.

عمر خان شريف. تثير أنشطة بعض الزعماء الكرد الآخرين بعض الشكوك بشأن دوافعهم. ومن الأمثلة البارزة عمر خان شريف، زعيم قبيلة

(1) م ن، 257، الحاشية 3.

(2) م ن، 268.

شكاك البارز. ويبدو أنه ترك انطباعاً محبذاً لدى عدة مراقبين أميركيين. ووصفه روزفلت بأنه «زعيم كردستان العظيم،»[1] وأسبغ عليه قاضي المحكمة العليا الأميركية وليم أورڤيل دوغلاس (William O. Douglas)، الذي كان ضيفاً عليه في بيته بعد بضعة أعوام من سقوط مهاباد، المديح الكثير،[2] غير أن سلوكه اتصف بالانتهازية حتماً.

تعاون عمر خان مع نظام مهاباد وبقي واحداً من أكثر رجاله نفوذاً حتى فترة قصيرة قبل انهياره. تولى منصب وزير الحرب في الجمهورية وكان واحداً من الأشخاص الخمسة الذين منحوا رتبة «مارشال.» كما أنه كان عضواً في اللجنة المركزية للحزب الديموقراطي الكردستاني، وأحد الموقعين على المعاهدة الأذربيجانية – الكردية في 23 نيسان/ أبريل، عام 1946.[3] وانضم رجال قبيلته إلى قوات مهاباد واشتركوا في العمليات العسكرية في عدة مناسبات. وعندما اتضح أن سقوط مهاباد كان مجرد مسألة وقت، سحب عمر دعمه واعتكف في بيته في زنداشت منتظراً التطورات.[4] عندما سئل بعد بضع سنوات عن أسباب انضمامه إلى جمهورية مهاباد رد بأنه فعل ذلك لينقذ رقبته.[5]

طوال فترة عمله مع نظام مهاباد، يبدو أن عمر خان كان على اتصال وثيق بجورج ألن، السفير الأميركي في طهران؛ إجراء احتياطي لاريب أنه اتخذه بسبب حرصه على حماية نفسه. وقد وصف دوغلاس كيف نجح عمر خان

(1) م ن، 252، دوغلاس، 82.

(2) م ن، 73-76.

(3) روزفلت، 259، الحاشية 5، م س رقم 228. راجع پسيان، 2: 158، م س رقم 308.

(4) روزفلت، 265، م س رقم 228.

(5) دوغلاس، 59.

في تخليص نفسه من خلال مساعي السفير الأميركي الحميدة. «عندما انضم عمر خان إلى حكومة قاضي محمد بقي على اتصال بجورج ألن وعارض النفوذ السوڤياتي معارضة شديدة في الحكومة. وبعد سقوط حكومة مهاباد وتعرض عمر خان إلى خطر الشنق مع قاضي محمد دافع جورج ألن عن قضية عمر خان أمام الشاه وكسب القضية وحب عمر خان.»[1]

حجي بابا شيخ. كان النفاق والانتهازية شائعين في زمن جمهورية مهاباد. وحتى حجي بابا شيخ المسن، الذي كان يلقى التبجيل بينما كان يتولى منصب رئيس وزراء الجمهورية طوال وجودها الذي استمر نحو سنة واحدة، كان على اتصال بالحكومة المركزية الإيرانية. ووفاقاً لاعترافه أفلح في إبقاء الحكومة الإيرانية مطلعة على كل ما كان يدور بين ممثلي الاتحاد السوڤياتي وزملائه في نظام مهاباد.[2]

قوباد. يقال إن قوباد، ابن زعيم القبيلة سِمكو آغا، طلب من الحكومة الإيرانية، عن طريق عمر خان شريف، تزويد رجال قبيلته بالأسلحة لغرض الزحف ضد ملّا مصطفى وأتباعه.[3] كان هؤلاء، الذين أفلحوا في الفرار إلى الاتحاد السوڤياتي، يحاولون يائسين في ذلك الوقت تجنب محاصرة الجيش الإيراني لهم. ومن غير المحتمل أن الحكومة الإيرانية قبلت طلب قوباد لأننا نعرف أنه لم يكن لعمر خان نفسه أي دور في العمليات العسكرية التي كانت تنفذ في جوار منطقة قبيلة شكاك. وتكشف ملاحظات روزڤلت في هذا الصدد «أن الجيش الإيراني، الذي لم يكن يرغب فيما يبدو في تحمل التزامات، لم يكن قد أعلم عمر خان بحركته المقررة نحو أذربيجان، وهكذا،

(1) م ن، 73.
(2) پسيان، 2: 92، م س رقم 308.
(3) م ن.

في الوقت الذي حشد فيه رجال قبيلته لمهاجمة الديموقراطيين كانت الحرب قد انتهت.»[1]

دور البارزانيين

منذ البداية كان البارزانيون- اليائسون والمتنافرون وذوو الأهداف الخاصة بهم التي يسعون إلى تحقيقها - مصدر قوة وضعف معاً في الدولة الكردية، على الرغم من أن نظام قاضي محمد استقبلهم بالترحاب. وقد شرعوا بعد وصولهم إلى إيران بوقت قصير في التفاوض مع الحكومة الإيرانية ووافقوا على تسليم أسلحتهم إلى السلطات الإيرانية والاستقرار بوصفهم منفيين سياسيين، إلّا أنهم بعد الفشل في التوصل إلى اتفاق مع السلطات الإيرانية غيروا رأيهم وتجمعوا حول قاضي محمد.[2] كان البارزانيون الأفضل تدريباً والأحسن تسليحاً بين القوات القبلية المختلفة، ولم يواجهوا صعوبة في تثبيت أنفسهم في وضع مسيطر عسكرياً. كافحوا بنجاح ضد الجيش الإيراني وأرهبوا القبائل غير المتعاونة وبرهنوا عموماً أنهم القوة الأكبر فعالية في كردستان الإيرانية.

غير أن الظهور المفاجئ لتراكم كبير للقوة المعادية في المنطقة المحدودة التي كانت تشغلها جمهورية مهاباد قلبت علاقات القوة بين قبائل المنطقة. فقد سبب وصول البارزانيين بلا شك سخطاً عميقاً بوصفه تدخلاً غير مرغوب فيه من «الآخرين»، بخاصة من تلك القبائل التي تأثرت مصالحها على نحو غير ملائم. وعلى الرغم من قوة المشاعر الكردية السائدة في ذلك الوقت وطبيعة «مهمة» البارزانيين في مهاباد فقد بدا أن ذلك التدخل في الشؤون المحلية من

---

(1) روزفلت، 267-68، م س رقم 228.

(2) يسيان، 2: 45 وأماكن متفرقة، م س رقم 308.

جانب مجموعة لا يحتمل بالنسبة إلى الرجل الكردي ذي التفكير المحدود الذي يحمل ولاءات قبلية ضيقة.

أثار وجود البارزانيين في أراضي جمهورية مهاباد مشاعر سخط ومصاعب أخرى كذلك. وكان إطعام عدة آلاف من البارزانيين وتزويدهم بالتجهيزات عبئاً ثقيلاً على الموارد الغذائية الضئيلة في المنطقة، ولا بد أن ذلك أدى إلى صعوبات شديدة بالنسبة إلى السكان المحليين،[1] إلاّ أن المشكلة الأخطر المتصلة بوجود البارزانيين في كردستان الإيرانية بدت ذات طبيعة مختلفة تماماً.

يبدو أن البارزانيين لم يكونوا على اتفاق تام في الرأي مع قاضي محمد، وحدث شقاق معه قبل مضي وقت طويل في أعقاب وصولهم إلى إيران. ادعى الشيخ أحمد بارزاني أن الأمور قد تفاقمت إلى حد خطير برفض البارزانيين طلب قاضي محمد، الذي أراد إرسالهم في حملات تأديبية ضد القبائل التي عصت الأوامر. وأكد الزعيم أحمد بارزاني أن العلاقات بينه وبين قاضي محمد قد تدهورت إلى حد أن الأخير أدين بمرارة أمام المسؤولين السوفيات بوصفه عميلاً بريطانياً. وكانت النتيجة النهائية للصراع، وفاقاً للشيخ أحمد، أنه أرسل إلى شيطان آباد، حيث أرغم على البقاء حتى سقوط مهاباد.[2]

أسباب المعارضة القبلية لنظام مهاباد

نشأت المعارضة القبلية لجمهورية كردستان الكردية من مجموعة متنوعة من العوامل التاريخية والسياسية والدينية والاقتصادية.

(1) روزفلت، 265، م س رقم 228.

(2) وقفاً لپسيان، تولى الشيخ أحمد الكشف عن هذه الأمر في مقابلة بعد انهيار نظام مهاباد. وقبل أن يسمح الزعيم القبلي البارزاني بإجراء المقابلة أخرج المصحف وطلب من الصحفي الذي كان يجري المقابلة أن يقسم أنه ليست له علاقة بالمصالح الإيرانية، پسيان، 2: 25-26.

المشاعر المعادية لروسيا. من الواضح أن نظام مهاباد قد نال منافع مختلفة من صلته السوڤياتية؛ فبقدر تعلق الأمر بالكرد لا ريب أن الاسم العظيم للاتحاد السوڤياتي وسمعته قد أثارت إعجاب كرد كثيرين وأقنعتهم بدعم الدولة الجديدة. إلّا أن هذه الصلة نفسها أثارت ذعر شريحة واسعة النفوذ من الزعماء القبليين الكرد وعداءهم. وقد شكل تاريخ طويل من العلاقات المنفرة الموقف المناهض لروسيا لهؤلاء الرجال.

ففي كل مرة نشبت فيها حرب بين روسيا وفارس أو بين روسيا وتركية اضطر الكرد إلى مواجهة الروس كخصوم لدودين. علاوة على ذلك، وبسبب وجود شطر كبير من الوطن الكردي في المناطق الحدودية لجاري روسيا الجنوبيين، كبّد كل صراع جديد خسائر فادحة ومعاناة لا توصف للكرد. وطوال نحو قرنين تعلم رعايا الشاه والسلطان النظر إلى الروس بوصفهم الأعداء الكفرة بامتياز.

خلفت الحرب العالمية الأولى بخاصة تركة من الخوف وعدم الثقة بروسيا. وأوقد ذلك الصراع، نتيجة إعلان تركيا حرباً مقدسة، نيران الكراهية العرقية والدينية، وغالباً ما تحولت الحرب في هذه الجبهة إلى مجازر ومجازر مقابلة في محاولة يهدف منها كل جانب إلى التغلب على الآخر. وكما هو متوقع كان الشعور المناهض لروسيا قوياً بخاصة بين تلك العناصر في كردستان الإيرانية التي استجابت للدعاية الإسلامية التي نشرتها تركيا،[1]

(1) يلاحظ أن أبناء قبيلة مامش، الذين استنكروا علاقة جمهورية مهاباد بروسيا وعارضوا بشدة قاضي محمد كانوا بين العناصر الأكثر دعماً لتركيا في حرب الأعوام 1914-18. وبعد معركة عنيفة بين الوحدات القوقازية وبين الفرسان القبليين الكرد يقال إن شيخ القبيلة أرسل البرقية التالية، «توفي ابني الأصغر، الذي قتل الكثير من الروس، نتيجة إصابته بجروح وأصبح أحد من ضحوا بحياتهم من أجل السلطان. وإذا شاء الله فإنني أتطلع أنا وأبنائي الآخرون إلى التضحية بأنفسنا من أجل خليفتنا. ,Nadif =

والتي شكلت أغلبية من الكرد في فارس. إلّا أننا يجب ألّا نغفل أنه كان هنالك الذين كسب الروس جانبهم.[1]

مع نشوب الثورة في روسيا وتأسيس النظام السوفياتي بدأ يظهر موقف جديد نوعاً ما، وأضيفت ريبة في السياسات المعادية للدين التي اتبعتها الحكومة السوفياتية إلى مشاعر الكرد السابقة المعادية لروسيا والمناهضة للمسيحيين. ولا شك أن هذه المشاعر المعادية لروسيا كانت على أشدها بين زعماء القبائل الكرد والأعيان مالكي الأراضي الآخرين الذي خشوا من فقد قوتهم وممتلكاتهم في ظل نظام من النوع السوفياتي.

العامل الاقتصادي. كان الاقتصاد عاملاً مهماً آخر للسخط الكردي ضد نظام مهاباد. تحمل المزارعون الكرد، بخاصة مزارعو التبغ الذين تعتمد معيشتهم إلى حد كبير على السوق الإيرانية، خسائر مالية كبيرة عندما وجدوا أنفسهم معزولين عن بقية إيران. وكما أشير سابقاً، كانت صعوبة أخرى عانى منها كرد مهاباد هي أنه كان عليهم مشاطرة تجهيزاتهم الغذائية المستنفدة مع عدد كبير من المقاتلين البارزانيين.[2]

السخط على قيادة قاضي محمد. أخيراً، شعر زعماء قبليون كرد كثيرون بالسخط على تولي قاضي محمد منصب السلطة العليا من خلال وسيلة غير عادية هي الجهاز الحزبي ودعم سكان المدن؛ تركزت السلطة في كردستان، منذ زمن سحيق، في أيدي من سيطروا على التنظيم شبه العسكري للقبائل

= *Battariye Ile Atash*, 62 استشهد به العزاوي، 2: 116 الحاشية 1، م س رقم 286.

(1) كما سبق ذكره، كان عمر خان شريف، زعيم قبيلة شكاك البارز، من أوائل مناصري نظام مهاباد. ووفاقاً لدوغلاس، أمضى عمر خان عشر سنوات في السجون التركية لأنه قاتل ضد الترك أثناء الحرب، دوغلاس، 74، م س رقم 53.

(2) روزڤلت، 265، م س رقم 228.

المولعة بالقتال، وقد استمرت هذه السيطرة من خلال روابط قبلية وإقطاعية متينة. وكانت الطبقة الحاكمة الكردية تتشكل من ثلاث مجموعات: الأمراء الوراثيون والشيوخ الدينيون والشيوخ القبليون. وكان كل الزعماء الكرد الذين كانت لهم دائماً طموحات كردية شاملة وأحلام بفرض هيمنتهم على بقية مواطنيهم من إحدى تلك المجموعات المهيمنة الثلاث. ويمكن أن نورد مجرى الحياة العملية لثلاثة قادة هم الأمير بدرخان بوتان والشيخ عبيد الله من قبيلة نهري وسِمكو آغا من قبيلة شكاك.

في ظل تلك الظروف، كان محتماً أن يواجه طامح في تولي القيادة القومية مثل قاضي محمد ظرفاً معوقاً. صحيح أنه كان عضواً محترماً في أسرة تحظى بالتبجيل في مدينته مهاباد إلّا أنه كان شخصية دينية مهيبة ولا يتمتع بالسمعة كعضو في إحدى المجموعات الحاكمة الكبرى وامتيازاتها. لم يمتلك بوصفه زعيماً قومياً أياً من خصائص الزعامة التي جعلت آلاف الأنصار يحتشدون حول راية من سبقوه، ولم تكن لديه لا هالة السلطة القديمة التي كانت حكراً على الأمراء الوراثيين ولا هالة القداسة التي ميزت شيوخ القادرية والنقشبندية العظماء، ولا سلطة زعماء القبائل الذين ترأسوا التحالفات القبلية الكبرى.

على الرغم من كل هذه العقبات نجح قاضي محمد فترة من الزمن في أن يصبح الزعيم الأعلى لشعبه. ومن بين كل العوامل ذات العلاقة في صعوده إلى السلطة لم يكن هناك أهم من إمكانية قبوله بوصفه زعيماً قومياً لشطر كبير من الكرد الإيرانيين. لقد كان ذلك بلا شك نذيراً مهماً للغاية لأن مضامينه الاجتماعية والسياسية واضحة جداً، وكونه مؤشراً جلياً على أن النظام الاجتماعي القديم أصبح في حالة اضطراب، وأن النظام السياسي الذي دام طوال قرون أصبح في خطر الانهيار الوشيك.

تسارع هذا الاضطراب بالجيشان الذي أحدثته الحرب العالمية الأولى

والأحداث التي أعقبتها. كذلك منح تأسيس إدارات حديثة أو محدثة في تركيا وإيران والعراق بعد الحرب حافزاً لعمليات التسوية والتجريد من الحياة القبلية، وسرع نسبة تقدم التعليم والتصنيع وتوسيع الحياة الحضرية. تركت قوى التغيير التي كانت تتقدم ببطء ولكن بثبات إلى أقصى أصقاع كردستان منذ بداية القرن العشرين آثارها في كل مكان، وتراجعت كثيراً على نحو تدريجي الولاءات القبلية والإقطاعية القديمة، التي أضعفتها تدريجاً ضغوط عالم متغير، أمام نوع جديد من الولاء، وبدأت النزعة القومية المتطرفة الحديثة، باغتصاب مهام هذه الـولاءات، بالتأثير على طبيعة السلطة في كردستان ومصادرها.

إلّا أن الأحداث اللاحقة دلت على أن هذه التغيرات المتبلورة لم تكن بعيدة المدى أو عميقة كما يعتقد. وبرهنت المعاقل التقليدية للنظام القديم أنها لا تزال متماسكة عموماً وأن أغلبية السكان القبليين شرعوا توّاً في الإحساس بتأثير الأفكار الجديدة. وهكذا، عندما عرض الجانبان قواهما وواجه أحدهما الآخر أثبتت الولاءات القديمة أنها أقوى من الجديدة.

كان عدد كبير من الشيوخ القبليين بخاصة غير متعاطفين مع الزعيم الجديد. وكما ذكر آنفاً، خشوا من سلطته التي حصل عليها حديثاً وارتابوا فيها، وهي السلطة التي لم يحصل عليها على نحو معترف به تقليدياً. وبالنسبة إلى الكثير شكل تسنم قاضي محمد السلطة العليا انحرافاً لم يسبق له مثيل عن النواميس الراسخة، فاحتقروا ادعاءاته وشعروا بالغيرة من سلطاته واعتبروا اعتناقه النزعة القومية الكردية بوصفها قناعاً لطموحاته، ولعلهم أدركوا التهديد الذي مثله الزعيم الجديد لهم بوصفهم طبقة اجتماعية تعتبر النخبة.

سقوط جمهورية مهاباد وعواقبه

الأرجح أن السبب المباشر الرئيس لانهيار الجمهورية الأذربيجانية وجمهورية مهاباد كان قرار الاتحاد السوڤياتي الذي اتخذ في ظل ضغط شديد من الدول الغربية بسحب قواته العسكرية من إيران في أيار/ مايو، 1946. وبسبب الانسحاب السوڤياتي الوشيك شرعت الحكومة الإيرانية في اتخاذ إجراءات عسكرية أنشط، وأرسل عدد متزايد من الجنود الإيرانيين إلى المنطقة وأصبح قاضي محمد، الذي لم يكن يسانده سوى حفنة من المقاتلين القبليين المترددين، في وضع ميؤوس منه.

هاجم الجيش الإمبراطوري الإيراني في كانون الأول/ ديسمبر، 1946، الديموقراطيين الأذربيجانيين، الذين انهارت مقاومتهم في غضون 24 ساعة. وشهد اندحار القوات الديموقراطية الأذربيجانية أمام الجيش الإيراني عند ممر قافلانكوه في ليلة 10 كانون الأول/ ديسمبر، عام 1946، نهاية جمهورية مهاباد الكردية، وقبل ذلك بعام واحد مثل استيلاء الأذربيجانيين على تبريز إشارة إ إلى تأسيس الجمهورية الكردية. ومن المثير للاهتمام أن الحاكم الديموقراطي لأذربيجان في رسالة الاستسلام إلى رئيس الوزراء الإيراني أعلن أن القائد الكردي سيف قاضي قد أخطر بالوضع وأبلغ بوقف الأعمال العدائية.[1]

تحرك صدر قاضي، شقيق قاضي محمد، بعد يومين إلى مياندواب حيث قابل القائد الإيراني اللواء همايوني. كان هدف مهمة صدر قاضي وضع الترتيبات لاحتلال الجيش الإيراني منطقة مهاباد سلمياً، وقد توصل الاثنان إلى اتفاق تتحرك القوات الإيرانية بموجبه إلى المنطقة حالما يخليها البارزانيون.

(1) م ن، 266.

بعد انسحاب البارزانيين إلى نقدة، شرع الجيش الإيراني بالتحرك في اتجاه مهاباد تسبقه قوات قبلية غير نظامية تضم قوة عسكرية من أفراد قبيلة دهبوكري ومامش ومنگور وهي ثلاث مجموعات قبلية رئيسة معادية للنظام الكردي. إلّا أن هذه القوات أوقفت بالقرب من المدينة من جانب ممثلي قاضي محمد الذين بينوا أن الاتفاق تضمن تولي القوات النظامية الإيرانية احتلال مهاباد وليس رجال القبائل الذين خشي أن وجودهم قد يؤدي إلى اضطراب واسع النطاق، قبل الاعتراض وانسحب أفراد القبائل ودخل الجيش الإيراني مهاباد وسادت علاقات ودية بين قادة الجيش والقادة الكرد بضعة أيام.[1]

غير أن شهر العسل هذا انتهى سريعاً. ففي 17 و18 كانون الأول/ ديسمبر، اعتقل زعماء كرد كثيرون منهم قاضي محمد وابن عمه سيف قاضي وسجنوا. وفي 30 كانون الأول/ ديسمبر، اعتقل صدر قاضي في منزله في طهران ونقل إلى مهاباد حيث سجن مع شقيقه قاضي محمد. وتشير كل الأدلة إلى أن اعتقال صدر قاضي كان عملاً غير مبرر ينم عن حب الانتقام، لأنه كان طوال وجود الجمهورية الكردية يتبنى موقفاً صحيحاً مستقلاً تجاه النظام وأقام في طهران، ولم يغادرها طوال السنة إلّا عندما احتاجت السلطات الإيرانية إلى خدماته بوصفه وسيطاً.[2]

بعد سجن القادة الإيرانيين أصبح الجيش الإيراني مسيطراً سيطرة تامة على مهاباد، ودعا كل من لديهم شكاوى ضد المساجين إلى تقديم ما

---

(1) م ن.

(2) روزڤلت، 265، م س رقم 228.

لديهم من أدلة،[1] وهكذا حددت السلطات الإيرانية من خلال تلك الخطوة مصير المتهمين. واضح من بيان لمصدر إيراني أن قضاة قاضي محمد كانوا أشخاصاً سعوا منذ زمن بعيد إلى إنهاء سلطته، وأن هذا الإجراء كان بمثابة محكمة غير عادلة.[2]

تضمنت الاتهامات الموجهة ضد قاضي محمد اختلاس ثمانمائة ألف ريال من خزانة بوكان والتعاون مع حَمُه رشيد والبارزانيين، وإرسال خمسين شاباً إلى الاتحاد السوڤياتي للتدريب العسكري.[3] ولدى إكمال المحاكمات صدرت أحكام الإعدام بحق قاضي محمد وسيف قاضي وصدر قاضي. وعندما علم قاضي محمد بالحكم على شقيقه صعق بسبب ظلم العقوبة والتمس الإبقاء على حياة شقيقه. إلّا أن جهوده ذهبت أدراج الرياح، وشنق الثلاثة في فجر 31 آذار/ مارس، عام 1947، في ساحة مهاباد حيث تولى الجنود الإيرانيون فرض حراسة مشددة متسلحين بالأسلحة الرشاشة.[4]

تلقى الكرد في كل مكان نبأ سقوط مهاباد وإعدام قاضي محمد ورفاقه بالحزن الشديد والسخط العميق. ولم يكن التعبير عن المشاعر الكردية العلنية ممكناً في تركيا والعراق. وفي كردستان الإيرانية، التي كانت خاضعة للأحكام العرفية كان الناس متجهمي الوجوه ولكنهم هادئون. غير أنه ذكر أن أعمال شغب عنيفة اندلعت في خرم آباد، المدينة الرئيسة في لورستان في 11 أيار/ مايو، 1947، احتجاجاً على الإعدامات في مهاباد.[5]

---

(1) م ن.

(2) پسيان 2: 169، م س رقم 308.

(3) م ن.

(4) م ن.

(5) أقنعت هذه الأحداث كاتباً قومياً كردياً مشهوراً للتعليق أن اللُّوريين قد أثبتوا أكثر =

لم ينهِ سقوط مهاباد العواقب الفاجعة للكرد والناس الذين عاشوا بينهم. وكما سبقت الإشارة، كان عدد من الضباط الكرد في الجيش العراقي قد انضموا إلى ملّا مصطفى في وقت تمرده في العراق ورافقوه إلى مهاباد بعد انهيار التمرد. وبعد سقوط مهاباد عاد هؤلاء الضباط إلى العراق حيث اعتقلوا بعد فترة قصيرة من وصولهم، وأعدم أربعة منهم وهم عزت عبد العزيز ومصطفى خوشناو ومحمد محمود وخيرالله عبد الكريم في بغداد.[1]

كان الفزع والهلع بسبب هذه الإعدامات هائلين، وكانت تلك أول مرة جرى التعامل فيها بهذه الطريقة مع القوميين الكرد في العراق. وأما رد الفعل الذي أحدثه ذلك الحدث بين كرد العراق وغيرهم فقد اتسم بالاستغراب وخيبة الأمل والغضب. لم تضعف النزعة القومية الكردية ولم تتلاش بهذه الضربة وأثبتت بدلاً من ذلك أنها مصدر قوة كبيرة لمجموعة واحدة من القوميين الكرد بخاصة، وأصبح بإمكان المثقفين – القوة الجديدة المنافسة على زعامة الكرد – أن يفخروا بالشهداء وراحوا يتحدثون بثقة.

= من مرة أنهم بين أقوى القوميين الصامدين والمخلصين الكرد. (حلمي)، خريطة كردستان، 8، الذي أورده رامبو، 108، م س رقم 213.

(1) علاوة على هؤلاء الضباط الأربعة أعدم خمسة عشر شخصاً آخرين. ويقال إن آلاف الكرد قد تظاهروا احتجاجاً على هذه الإعدامات. ديلي إكسبرس، 23 حزيران/ يونيه، عام 1947. راجع البريفكاني، 29–30، م س رقم 291.



19. قاضي محمد على المشنقة، 11 آذار/ مارس، عام 1947. المصور مجهول الهوية/ بترخيص من مارتن ڤان بروينسن، كردستان: في ظل التاريخ.

ونشرت الصحافة الكردية في الخارج أخبار إعدام قاضي محمد ورفاقه في مهاباد والضباط الأربعة في بغداد. ولعل نشرة صوت كردستان، التي كان يصدرها الطلبة الكرد في أوروبا والمطبوعة بآلة نسخ، تعبّر على نحو واضح عن شعور القوميين المتطرفين واليساريين الكرد. تناول عدد آب/ أغسطس، عام 1949، من هذه المطبوعة عمليات الإعدام في مهاباد وبغداد في مقالين منفصلين، وانتقد المقال المعنون «المجد الأبدي لقاضي محمد» الأميركيين (خصوصاً الرئيس ترومان) والبريطانيين والترك والإيرانيين بمصطلحات

شيوعية قوية، وصب المقال تعابير الكراهية والغضب على الإيرانيين الذين وصفهم المقال بأنهم «الفاشيون الملكيون متعاطو الحشيشة.»[1]

وتناول مقال بعنوان «وصية شهدائنا» شنق ضباط الجيش الكردي، وادعى عرض الكلمات الأخيرة التي نطق بها الضباط قبل شنقهم مباشرة، كما ذكر أن الضباط تحدثوا عن أسرهم وعن كردستان ذاكرين أن الأسباب التي دفعتهم إلى حمل السلاح هي الدفاع عن مثلهم العليا، واختتم الضباط جميعهم بالهتاف بشعارات باستثناء مصطفى خوشناو، الذي عبر عن الأمل أن تخدم حياته بوصفها نموذجاً ملهماً لأطفاله الصغار الثلاثة. هتف محمد محمود، «عاشت كردستان!» وهتف خيرالله عبد الكريم، «الموت لأعدائنا وعاشت كردستان،» وهتف عزت عبدالعزيز، «الموت للمستعمرين وعملائهم الدنيئين!»[2]

مقارنة بين النظام الديموقراطي الأذربيجاني وجمهورية مهاباد الكردية

قد تتضح بعض أسباب فشل جمهورية مهاباد الكردية عندما يقارن ذلك بالنظام الديموقراطي الأذربيجاني في تبريز. لكن على الرغم من حقيقة أن بداية النظامين ووجودهما واختفاءهما كانت في الوقت ذاته وفي ظروف متشابهة فهناك عدد من الفروق المهمة.

من بين النظامين كان نظام الأذربيجانيين أفضل تنظيماً وأكثر حنكة سياسياً، وكان لدى الأذربيجانيين تقليد ثوري أقدم يعود تاريخه إلى الثورة الدستورية الفارسية في أعوام 1905-1909. ولعل الفروق تتمثل في أنواع

(1) دنچه كردستان، عد. 2 (آب/ أغسطس، عام 1949)، 10.
(2) م ن، 11 راجع نشرة مركز الدراسات الكردية، عد. 4، 10-11.

الرجال الذين تولوا القيادة في أذربيجان وفي كردستان الإيرانية. كان جعفر بيشفاري والدكتور جاويد وقادة أذربيجانيون آخرون من الشيوعيين رفيعي الثقافة والأعضاء المجربين في الحزب ويعرفون ما يريدون.[1] وبالمقارنة كان الزعماء الكرد رجالاً يتصفون بالبساطة وعدم التكلف، وكان معظمهم ساذجين سياسياً ولا يمتلكون توجيهاً عقائدياً؛ تناقضت العقلية البرجوازية والإقطاعية للزعماء الكرد على نحو غريب مع التفكير الماركسي للزعماء الأذربيجانيين، وحتى قاضي محمد، الشخصية الأكثر تعلماً وثقافة بين الكرد، كان أكثر قليلاً من كاتب ذي تعليم جيد.

ويمكن تحديد فرق مهم آخر بين أصول النزعة الانفصالية الأذربيجانية، التي أدت إلى نشوء النظام الديموقراطي الأذربيجاني، وبين الحركة القومية الكردية، التي نشأت منها جمهورية مهاباد الكردية. لقد نشأت النزعة الانفصالية الأذربيجانية تحت تأثير الأنشطة السوڤياتية والتركية الهادفة إلى إضعاف ولاء السكان الساذجين كخطوة أولية نحو الضم، بحيث مارست أذربيجان السوڤياتية الأكثر تقدماً والأفضل إدارة دائماً تأثيراً قوياً في الأذربيجانيين الإيرانيين الذين هم من الأصل نفسه عبر الحدود. السوڤيات، الذين لا شك أن الأمل يساورهم دائماً في اجتذاب أذربيجان الإيرانية إلى فلكهم واستيعابها في نهاية المطاف، كانت كل الفرص متاحة لهم بالصلات الإثنية والثقافية والجغرافية القائمة بين شطري أذربيجان.

---

(1) عن بيشواري والزعماء الديموقراطيين الأذربيجانيين الآخرين انظر ل. پ. إلوِل- ساتّن، «الأحزاب السياسية في إيران،» مجلة الشرق الأوسط 3، 45-62 (بالإنكليزية، مرجع 73). وعن أعضاء الحكومة الأذربيجانية كما كانت مشكلة في ذلك الوقت انظر جورج لينزوڤسكي، «الحركة الشيوعية في إيران،» مجلة الشرق الأوسط 1، 43، الحاشية 37 وأماكن أخرى (بالإنكليزية، مرجع 136).

على النقيض من ذلك، نفذ الترك العثمانيون، الذين كانوا في وقت ما المنافسين المتحمسين للروس الراغبين في امتلاك أذربيجان الإيرانية، دعاية إسلامية شاملة وطورانية شاملة (تدعم استخدام لغات آسيا الوسطى بخاصة اللغات الأورالية) قبل الحرب العالمية الأولى وخلالها بنجاح كبير. هكذا كانت القوى الطاردة المركزية التي حركتها روسيا وتركية تعمل منذ زمن طويل بين الأذربيجانيين، الذين أظهروا أكثر من مرة ميلاً لا لبس فيه للانجذاب نحو الواحدة أو الأخرى من هاتين الدولتين المتنافستين. وربما اقتربت الحركة المؤيدة للسوفيات بقيادة الديموقراطيين الأذربيجانيين في 1945-46 أكثر ما يكون من تحقيق هذا الطموح المرغوب منذ زمن بعيد في الاتحاد مع روسيا.

اتخذت الحركة التي قادت إلى تأسيس جمهورية مهاباد المظهر الأخير للنزعة القومية الكردية الكامنة التي أشعلها الكرد على نحو دوري في المناطق المختلفة التي يقطنها الكرد. ويشير تكرار هذه الانتفاضات إلى أنه على الرغم من الإخفاقات المتتالية لم تطفأ قطّ الرغبة الكردية في نيل الاستقلال على نحو تام. ويجب ملاحظة أن هذه الانفجارات الكردية كانت ذات طابع متقطع ومحلي ولم تتخذ طابع الحريق الهائل. وفي الحقيقة، إنّ الكرد لم يتحدوا في انتفاضة موحدة حتى ضمن واحد من عدة بلدان يقطنون فيها. ولا ريب أن ذلك نتج من غياب منظمة مركزية قادرة على توجيه الأنشطة الكردية في كل مكان وتنسيقها.

علاوة على تنظيم الأذربيجانيين الأفضل والخبرة الأوسع لزعمائهم بالمقارنة مع كرد مهاباد، كانت مهمتهم أسهل - تحقيق ضم أذربيجان الإيرانية إلى الاتحاد السوفياتي[1] كونهم استطاعوا تركيز كل طاقاتهم في هذه

(1) وفاقاً لروزفلت كان هدف الحزب الديموقراطي الأذربيجاني «القيام بثورة وإعلان استقلال الإقليم وربما الاندماج مع الاتحاد السوفياتي.» روزفلت، 253، م س رقم 228.

المهمة وسعوا إلى تحقيقها بوحدة الغرض الواحد. على النقيض من ذلك، لم تكن مهمة قادة نظام مهاباد سهلة، فقد سعوا إلى تشكيل نواة لدولة كردية أوسع كثيراً تضم الأراضي الكردية كافة. وعلى الرغم من أنهم كانوا يصارعون الحكومة الإيرانية فقد كانوا يعلمون أن عليهم في نهاية المطاف انتزاع الجزء الأكبر للدولة الكردية المقبلة من تركيا والعراق وسوريا.

ثمة فرق آخر بين الجمهورية الكردية والنظام الأذربيجاني هو حرية النظام الكردي النسبية من التدخل السوڤياتي. لم يكن العملاء السوڤيات ظاهرين في أراضي الجمهورية الكردية كما كانوا في أذربيجان، ومن كانوا هناك عملوا على نحو خفي ومن دون إزعاج. وعلى الرغم من النفي الكردي رابط ممثل سوڤياتي فيما يبدو في مهاباد، والموظف الأخير الذي تصرف بهذه الصفة رجل اسمه أسدوف، وقيل إنه بقي في مهاباد حتى انهيار النظام وتمكن من الهرب إلى القنصلية السوڤياتية في تبريز.[1]

كان الجو السائد في مهاباد متناقضاً تناقضاً حاداً مع الجو السائد في أذربيجان، حيث اختصرت الحرية الفردية كثيراً، وتمّ اللجوء حتى إلى الأساليب الإرهابية بينما تمتع الكرد بالحرية من مضايقة السلطات، وكان العنف ضد الانشقاق نادراً. وقد أطرى مراسل صحيفة إيرانية صادف وجوده فوق مسرح تلك الأحداث اعتدال حكم قاضي محمد ورأفته. ووفاقاً لهذا الصحفي وضع قاضي محمد حداً للنهب والسطو، ولذا تمتع مواطنو مهاباد بفترة قصيرة من السلام والأمن، وذكر أنه أثناء فترة توليه الحكم لم يقتل سوى شخص واحد.[2]

---

(1) م ن، 264. استناداً إلى مصدر إيراني يبدو أن أسدوف قد مارس قدراً كبيراً من السيطرة على مهاباد. پسيان، 1: 174، م س رقم 308.

(2) پسيان، 1: 161، م س رقم 308.

عقد روزڤلت المقارنة التالية بين النظامين:

بينما ساد الإرهاب من دون كبح في أذربيجان الشرقية في كردستان لم يكن هناك سوى القليل من السجناء السياسيين، وربما وقعت عملية اغتيال سياسية واحدة أو اثنتان ولو أن عدد الكرد غير المتعاطفين مع النظام قد هربوا إلى طهران. وكان في الإمكان أن تسمع الإذاعة من أنقرة أو لندن في شوارع مهاباد، بينما كان الاستماع إلى تلك الإذاعات في تبريز يقود إلى عقوبة الموت. وسواء كان سبب هذه الحرية اعتدال وتحرر قاضي محمد وحكومته أو وجود القبائل التي لم تتسامح مع أعمال العنف ضد الأشخاص ذوي العلاقة بهم فإنّ النتيجة كانت جعل النظام يتمتع بشعبية على الأقل بين مواطني مهاباد الذي تمتعوا بالخلاص من عمليات اغتصاب الأموال والقمع التي اعتبروها من سمات الحكومة المركزية الإيرانية.[1]

وكشف عن فرق واضح آخر بين النظامين عندما انتهى كل واحد منهما، فقد كان في أذربيجان رد فعل شعبي قوي ضد النظام الديموقراطي بينما لم يحدث أي شيء من هذا القبيل في المقلب الآخر. ووفاقاً لروزڤلت:

ذبح الفلاحون والعمال وأصحاب الدكاكين في كل مكان من أذربيجان الديموقراطيين لدى الإشارة الأولى لانهيارهم وذلك كرد فعل تلقائي وواضح على الكراهية التي شعر بها الناس في المنطقة. ومع ذلك سار كل شيء بسلام، وهو ظرف لافت بخاصة حيث كانت الشرطة السرية في أماكن أخرى من أذربيجان قوية ومستعدة للظروف الطارئة من هذا القبيل بينما لم تكن لدى قاضي محمد أداة مماثلة. وتميل هذه الحقيقة إلى تأكيد التقارير أن نظام قاضي محمد كان يتمتع بشعبية – على الأقل في عاصمته.[2]

(1) روزڤلت، 264–65، م س رقم 228.

(2) م ن، 267.

مسألة المساعدات السوڤياتية لمهاباد

تلاشت في غضون عقد واحد الحماسة الشديدة التي ولدها صعود جمهورية مهاباد الكردية القصيرة العمر وسقوطها، إلّا أن الجدال المتعلق بطبيعتها وتكوينها استمر بقوّة، واقتنع بعضهم أنها كانت مغامرة بوحي من السوڤيات بينما أصر آخرون على أنها نمو تلقائي للمشاعر القومية الكردية؛ وثمة الكثير مما يدعم الرأيين كليهما.

تلقى نظام مهاباد الكثير من الزخم والإلهام من الاتحاد السوڤياتي، وعلق كرد كثيرون آمالهم لنجاحها المطلق على التعاطف والدعم من الاتحاد السوڤياتي. غير أن أي محاولة لوضع المشاعر القومية الكردية موضع الشك، وتقليل الدور الذي يؤديه الكرد أنفسهم كانت غير عادلة وغير واقعية. ومهما كانت الأهمية التي تنسب إلى العامل السوڤياتي فليس هناك أدنى شك في استحالة ظاهرة مهاباد من دون زخم النزعة القومية الكردية.

استغلت المساعدة السوڤياتية لنظام مهاباد كثيراً في حينه، فبدأت تقارير تقديم المساعدات العسكرية السوڤياتية، وبدأ ازدياد التدخل السوڤياتي في الشؤون الكردية يظهر في الصحافة الغربية، واتخذت هذه التقارير طبيعة مخيفة بخاصة في ربيع عام 1946 في وقت انطلاق الهجمات الكردية على الحاميات الإيرانية في بانه وساقز وسردشت ونقاط أخرى في كردستان الإيرانية.

ذكر أن السوڤيات تولوا في آذار/ مارس، 1946، تدريب كرد إيران وتهريب الأسلحة إلى كرد العراق وتركيا. وقيل إن عدداً من الضباط السوڤيات انضموا إلى الكرد الإيرانيين بوصفهم مستشارين.[1] وادعت تقارير

(1) نيويورك تايمز، 21 آذار/ مارس، عام 1946؛ إيفنينغ ستاندارد، 21 آذار/ مارس، عام 1946.

إضافية أن السوفيات كانوا يواصلون تزويد الكرد بالمشورة والمساعدات الفنية والتجهيزات.[1] وانتشرت في أوائل نيسان/ أبريل أنباء أن الكرد قد تسلموا عشرين دبابة وأربع عربات نقل وعدداً غير معروف من مدافع الهاون وأسلحة أخرى من وحدة سوفياتية مرابطة في مياندواب،[2] إلاّ أن هذه التقارير بالغت كثيراً في مدى المساعدات الروسية إلى الكرد. ومن الواضح الآن أن أحد الأسباب الرئيسة لانهيار جمهورية مهاباد كان بالضبط غياب تلك المساعدات. وفي الحقيقة، إنّ نظام قاضي محمد لم يتسلم سوى القليل من السوفيات إضافة إلى التشجيع ووعود المساعدة التي لم تنفذ.

---

(1) التايمز (لندن)، 23 آذار/ مارس، عام 1946.

(2) نيويورك تايمز، 4 نيسان/ أبريل، عام 1946، التايمز، 4 نيسان/ أبريل، عام 1946. من المثير للاهتمام ملاحظة أن علامة أميركياً أورد هذه الأرقام في مقال نشر هذه الأرقام نفسها، علاوة على نشرها في الصحف الغربية في مجلة الشؤون الخارجية. انظر ويسترمان، 676، م س رقم 271.

الفصل السادس عشر

الكرد والمسألة الكردية بعد سقوط مهاباد

آمال الكرد وتوقعاتهم أثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها

على الرغم من تناول هذا الفصل التطورات المختلفة التي حدثت بعد سقوط مهاباد مباشرة، من الضروري هنا إجراء مناقشة موجزة لمسائل معينة سبقت ذلك الحدث. وعلى الرغم من حقيقة أنه لم تقدم إلى الكرد أثناء الحرب العالمية الثانية أي وعود تشبه تلك الوعود التي قدمت للعرب وقوميات أخرى أثناء الحرب العالمية الأولى، فإن الظروف قادت الكرد إلى الأمل في الحصول على منافع معينة. ولاريب أن تلك الآمال استندت إلى حقيقة أنه خلال الحرب كان الكرد، استجابة إلى دعوات الحلفاء لالتزام الهدوء، قد حافظوا على الهدوء حتى عندما خاض بلد واحد يسكنون فيه حرباً قصيرة مع بريطانيا، ووجدت إيران نفسها في خلاف مع الدولتين المحتلتين، بريطانيا والاتحاد السوفياتي.

كان الفرنسيون وكذلك البريطانيون لاحقاً قد طلبوا من منظمة خويبون السورية، التي وجهت أنشطتها عادة ضد تركيا، بذل كل ما في الإمكان لعدم

استعداء تلك الدولة فوافقت على ذلك.[1] وفي الحقيقة، يبدو أن ولاء منظمة خويبون إلى قضية الحلفاء كان قوياً بحيث يقال إن الأمير جلادت بدرخان، رئيس المنظمة، زار في اليوم الذي سقطت فيه طبرق في أيدي الألمان مكتب العقيد البريطاني وليم غراهام إلفنستُن ثلاث مرات للتعبير عن تعاطفه وحبه الثابت للحلفاء.[2]

وفي العراق حيث أراد البريطانيون التزام الكرد الهدوء فقد تصرّف هؤلاء كما كان مؤملاً منهم. لذلك شجعت حقيقة أن نظام رشيد عالي الكيلاني في العراق الذي وقف إلى جانب دول المحور، الكرد في ذلك البلد على الأمل في تغيير اتجاه السياسة البريطانية لمصلحتهم. وكان الشيخ محمود، الذي سبق له الهرب من بغداد بعد نشوب الأعمال العدائية بين العراق وبين بريطانيا، قد راودته فكرة إطلاق تمرد في كردستان ضد نظام بغداد، - وهي فكرة لقيت دعماً واسعاً في الأوساط الكردية، بخاصة بين الجيل الأصغر سناً، إلّا أن انهيار نظام رشيد عالي الكيلاني على نحو سريع جعل تحركاً من هذا القبيل غير ضروري بل حتى غير مرغوب فيه.[3]

كما سبقت الإشارة، حدث تطور مثير للاهتمام بعد احتلال الحلفاء إيران بوقت قصير. قيل إن الضباط الكرد في الجيش العراقي، ومن أجل ضمان الدعم الروسي لهم في المستقبل، اتصلوا بسلطات الجيش السوڤياتي بعد فترة

---

(1) لدى نشوب الحرب العالمية الثانية توصل اللواء ويغاند إلى اتفاق مع زعماء منظمة خويبون يتعهدون بموجبه بعدم الاشتراك في أنشطة معادية لتركيا. وبعد انهيار نظام فيشي في سوريا واحتلال البريطانيين هذا البلد جدد البريطانيون الاتفاق نفسه مع الزعماء الكرد. إلفنستُن، «في ذكرى،» 90 (بالإنكليزية، مرجع 70).

(2) م ن. كان إلفنستُن أثناء الحرب مسؤولًا عن الشؤون الكردية لحساب المخابرات البريطانية.

(3) إدموندس، «الكرد في العراق،» 59-60، م س رقم 62.

قصيرة من وصولهم إلى إيران عام 1941 وعرضوا تشكيل قوة من المتطوعين الكرد للقتال إلى جانب الجيش الأحمر، إلّا أن هذا العرض رفض.[1]

وبسبب اتخاذ الكرد موقفاً مؤيداً للحلفاء طوال الحرب، وعلاوة على الامتناع بدقة عن الاشتراك في النشاط السياسي المحرج للحلفاء فقد توقعوا، سواء أكانوا مصيبين أم مخطئين، مكافأتهم بتنفيذ جزئي أقله لمطامحهم القومية. كما أن الدعاية المعادية للمحور أكدت كثيراً على التحرير المقبل للشعوب المقهورة في أوروبا وآسيا، وحدد الكرد مشاركتهم الوجدانية مع تلك الأمم التي يمنحها انتصار الحلفاء صفقة جديدة.

جرد التمرد البارزاني في العراق ولاحقاً نشوء جمهورية مهاباد في إيران الكرد من أي أوهام في هذا الصدد، وأقنع الدعم البريطاني للحكومة العراقية أثناء التمرد البارزاني وكذلك الموقف الأنكلو-الأميركي طوال الفترة الموجزة لوجود جمهورية مهاباد، الكرد أن من العقم توقع دعم الغرب لرغبتهم في الحصول على دولة. وقد أقنع نمو النفوذ السوڤياتي في الشرق الأوسط الغرب بتأييد حكومات تركيا وإيران والعراق، الذي كان يعني أنه لم يعد ممكناً الربط بين المصالح الكردية وبين مصالح الغرب. ولغرض التعامل مع الهجمات السوڤياتية في المنطقة حاولت الدول الغربية تجنب القيام بأي شيء قد يثير الشكوك أو يؤذي حساسيات حكومات البلدان التي يقطنها الكرد.

بسبب خيبة الأمل وعدم الثقة بالغرب تحول الكرد نحو الاتحاد السوڤياتي الذي علقوا آمالهم عليه، خصوصاً وأن الدعم السوڤياتي لجمهورية مهاباد ومنح اللجوء إلى ملّا مصطفى وأتباعه في الاتحاد السوڤياتي، علاوة على الدعاية السوڤياتية المتعاطفة والماهرة قد ساعد في تحويل الكرد،

(1) راجكوڤسكي، «موقع خطر آخر-كردستان» 29، م س رقم 210.

بخاصة الشباب وذوي النزعة المثالية منهم، نحو الاتحاد السوڤياتي. وبعد التمرد البارزاني في العراق وسقوط مهاباد في إيران أرغمت الشيوعية الكردية والنزعة القومية الكردية على اللجوء إلى السرّية؛ هنا التقى الاثنان وتقاطعا عند نقطة واحدة.

لم يكن الوضع في الشرق الأوسط مطمئناً عام 1945. لأن الكرد، الذين كانوا في حالة متسمة بالجموح والرغبة في التوسع، أرادوا رفع راية الثورة في العراق قبل انتهاء السنة، وكان إخوتهم في إيران مشغولين في وضع الأسس لجمهورية مهاباد. أما خطط الكرد في مناطق أخرى فقد بقيت، على الرغم من الإخفاق في تحقيقها، مصدر قلق شديد. أما الأذربيجانيون في إيران، فكانوا الأفضل تنظيماً من كرد ذلك البلد، فقد كانوا يكملون خططهم لتأسيس دولتهم، وكان الحكم الذاتي هدفهم المباشر إلّا أن هدفهم النهائي ربما بقي الانفصال أو الانضمام إلى الاتحاد السوڤياتي.

ألغى الاتحاد السوڤياتي، الذي كان يدعم الكرد والأذربيجانيين، معاهدة الصداقة والحياد السوڤياتية-التركية في آذار/ مارس، عام 1945،[1] واستكملت هذه الخطوة المنذرة بالشؤم بعدد من الأحداث المثيرة للقلق. كان ملّا مصطفى في آب/ أغسطس، عام 1945، في حالة تمرد صريح في العراق. وتلا اندحاره في منتصف أيلول/ سبتمبر وهربه إلى إيران سريعاً تطور مقلق آخر. وفي تشرين الثاني/ نوفمبر، عام 1945، أسست جمهورية أذربيجان

(1) جكوب كولمان هورويتز، الدبلوماسية في الشرق الأدنى والأوسط: سجل توثيقي، 1944-1956، مج. 2، 143-43 (بالإنكليزية مرجع 108)؛ تلت هذا التحرك مطالب غير رسمية سوڤياتية بقارص وأردهان وشطر من الخط الساحلي على البحر الأسود في لازستان. «خلفية العلاقات الروسية - التركية،» العالم اليوم، عد. 2 (شباط/ فبراير، 1946) 57-58 (بالإنكليزية، مرجع 14).

الديموقراطية. وأصيبت تركيا بالذعر بسبب التقارير المستمرة عن تمرد كردي وشيك وربما تدخل سوڤياتي، فحشدت قوات كبيرة على جبهة القوقاز في حركة أدت إلى احتجاج سوڤياتي سريع.[1]

حمل عام 1946 مخاوف جديدة أثارت قلق الدول التي يقطنها الكرد فأعلنت جمهورية مهاباد الكردية في آذار/ مارس، عام 1946، وسط حماسة شديدة في أرجاء الأراضي الكردية.[2] وسبب إخفاق الاتحاد السوڤياتي في نقل قواته من إيران في 2 آذار/ مارس، عام 1946، وهو التاريخ الذي حدد للجلاء، قلقاً عميقاً بشأن نيّاته النهائية.[3]

بدأت الحكومة العراقية، التي خشيت تفجر المتاعب مجدداً في كردستان، التشاور مع السلطات التركية. وذكر في أوائل آذار/ مارس، عام 1946، أن وزير الخارجية نوري السعيد ناقش مع المسؤولين في أنقرة احتمال التعاون التركي - العراقي في حالة نشوب انتفاضة كردية.[4] وتحدث رئيس الوزراء توفيق السويدي صراحة عن تطبيق المعاهدة الأنكلو - العراقية إذا حدث دعم سوڤياتي للتمرد الكردي في العراق.[5] وفي بيان نشرته صحيفة نيويورك تايمس نفى توفيق السويدي أن نوري السعيد كان في أنقرة لأي غرض سوى مناقشة المسائل الثقافية والاقتصادية. وقال إن للمفاوضات السياسية في تلك الظروف تأثيراً مثيراً للقلق على الوضع الدولي، إلّا أنه أكد حقيقة أن ميثاق سعد آباد كان لايزال نافذاً.[6]

---

(1) ذا أوبزيرفر (لندن)، 11 تشرين الثاني/ نوفمبر، عام 1945.

(2) ديلي إكسبرس، 16 آذار/ مارس، عام 1946. راجع رامبو، 101-2، م س رقم 213.

(3) غادرت القوات السوڤياتية إيران أخيراً في 8 أيار/ مايو، عام 1946.

(4) ذا سكوتسمان، 12 آذار/ مارس، عام 1946.

(5) نيوز أف ذا ورلد، 24 آذار/ مارس، عام 1946.

(6) نيويورك تايمز، 25 آذار/ مارس، عام 1946.

في الوقت ذاته، بدأت تنشر في الصحافة السوڤياتية مقالات تدين السياسة التركية نحو الكرد. ولام مقالة كتبها إ. ڤاسيلييف (I. Vasiliev) في مجلة ترود تركيا بسبب سياستها القمعية ضد الكرد. واختتم المقال بالإشارة إلى أن المعاهدة التركية – العراقية الموقعة في 24 آذار/ مارس، عام 1946، تضمنت ملحقاً سرياً ينص على اتخاذ إجراءات مشتركة ضد الكرد.[1]

واقترح الاتحاد السوڤياتي في مذكرة موجهة إلى تركيا في 7 آب/ أغسطس، عام 1946، تنقيح ميثاق مونترو (Montreux) لعام 1936، وجعل الدفاع عن جبل طارق مسؤولية سوڤياتية – تركية. وقد رفضت تركيا هذا الاقتراح كما عارضته الولايات المتحدة.[2]

أيدت تركيا والعراق وإيران بقوة مدعومة بالغرب، بخاصة الولايات المتحدة، على اجتياز العاصفة، وأضعف إجلاء القوات السوڤياتية من إيران في 8 أيار/ مايو، عام 1946، كثيراً مركز جمهورية أذربيجان الديموقراطية وجمهورية مهاباد الكردية. وكما شاهدنا فقد انهار كلا هذان النظامان قبل نهاية عام 1946.

أدت أحداث السنتين السابقتين، التي أيقظت حكومات الدول(تركيا، والعراق وإيران) التي يقطنها كرد، إلى الأخطار الكبيرة التي تهددها وإلى وقوفها معاً، وأرغمها الخطر الدائم الوجود للانتفاضات الكردية والتدخل السوڤياتي الذي بقي مستمراً، على تنسيق جهودها والاقتراب من الغرب. وأدى توجه سياسات هذه الدول، بدورها، إلى تفاقم سخط السوڤيات وزيادة شدة هجماتهم ضد تلك السياسات.

---

(1) أورد في نيويورك تايمز، 16 حزيران/ يونيه، عام 1946، صنداي تايمز، 16 حزيران/ يونيه، عام 1946.

(2) للاطلاع على مناقشة تربط هذا الاقتراح بالحالة في كردستان، انظر ذي أوبزرڤر، 18 آب/ أغسطس، عام 1946.

وصلت حدة التحريض السوڤياتي أبعاداً مثيرة للقلق بحلول عام 1950. واتخذت هذه الهجمات الشفوية التي تركزت على نحو متزايد على إيران والولايات المتحدة، لهجة حافلة بالتهديد في صيف وخريف عام 1950،[1] ودعي الكرد إلى اغتيال الموظفين الإيرانيين وتنفيذ عمليات تخريب ضد الحكومة الإيرانية والعمل كوطنيين؛ وعقد السوڤيات مقارنات مع كوريا مراراً وهددوا باستخدام القوة؛[2] وحرب الأعصاب هذه جعلت الكرد في حالة هياج مستمر مما أثار كثيراً قلق حكومات الدول التي يقطنون فيها.

أثبتت حكومات تركيا والعراق وإيران عجزها عن مواجهة الدعاية السوڤياتية بين الكرد، ولم تعرب عن الجرأة أو الخيار في التعامل مع هؤلاء وبدت راضية عن تبني موقف دفاعي. كما لم تنجح الولايات المتحدة وبريطانيا في إقناع هذه الدول الثلاث كي تتبنى سياسة أكثر تعاطفاً وتصالحاً نحو الكرد. وكل ذلك تزامن مع الوقت الذي نشبت فيه انتفاضة قبيلة جوانرود في إيران.

انتفاضة قبيلة جوانرود في إيران

على الرغم من المطالب الإيرانية المناقضة فمن المشكوك فيه أن تمرد قبيلة جوانرود في إيران في أيلول/ سبتمبر، عام 1950، لم يكن بسبب أي أهداف سياسية. والأرجح أنها نشبت بسبب سوء الإدارة والمشاكسة من قبل إيران. غير أنها، شأنها شأن الكثير من التمردات الكردية الأخرى، أكدت

(1) سنداي تايمز، 30 تموز/ يوليه، عام 1950، نيويورك تايمز، 7 حزيران/ يونيه، عام 1950.

(2) نيويورك تايمز، 18 آب/ أغسطس، عام 1950، نيويورك تايمز، 5 أيلول/ سبتمبر، عام 1950، نيويورك تايمز، 6 أيلول/ سبتمبر، عام 1950، مانشستر غارديان، 7 أيلول/ سبتمبر، عام 1950.

المظالم الكردية، وهكذا اتخذت حتماً طابعاً سياسياً. وعلاوة على ذلك، وبتركيز الاهتمام الدولي على الكرد قدمت مادة جديدة لمنابر الدعاية القومية والشيوعية.

ذكرت المصادر الإيرانية الرسمية أن الانتفاضة نشبت عندما طلب من أبناء قبيلة جوانرود إلقاء أسلحتهم إلّا أنهم رفضوا أن يفعلوا ذلك وراحوا يهاجمون حاميات الجيش الإيراني. وفاقاً للمصادر الإيرانية أرغم هذا التصرف الحكومة الإيرانية على اتخاذ إجراءات عقابية، كما ادعت أن الشيوعيين قد ألهموا أفراد قبيلة جوانرود، وللبرهنة على ذلك أشارت إلى الإذاعات باللغة الكردية الصادرة من المحطات الإذاعية السوفياتية.[1]

إلّا أن المصادر الكردية ادعت أن انتفاضة قبيلة جوانرود قد حدثت بسبب عمليات اغتصاب الأموال الجسيمة التي قامت بها السلطات الإيرانية حيث فرض على أفراد قبيلتي جوانرود وشاه آباد دفع 20 % إضافية من محصول حصادهم كإيجار إلى الشاه علاوة على الضرائب العادية. وادعت الحكومة أن هذا كان وفاقاً لمرسوم قديم أصدره رضا شاه بهلوي أعلن فيه أن أراضي القبيلة كافة في منطقة جوانرود وشاه آباد هي أملاك خاصة عائدة له. وعندما رفض أبناء قبيلة جوانرود قبول هذه العمليات تحرك الجيش الإيراني ضدهم.[2]

قدم تمرد قبيلة جوانرود وقمعها من فبل الجيش الإيراني وقوداً للهجمات

(1) نيويورك تايمز، 5 أيلول/ سبتمبر، عام 1950.

(2) نيويورك تايمز، 11 أيلول/ سبتمبر، عام 1950. انظر أيضاً المذكرة الموجهة باسم الوفد الكردي إلى الأمم المتحدة في 13 أيلول/ سبتمبر، عام 1950 إلى الأمين العام للأمم المتحدة والدول العظمى ودول أعضاء أخرى في الأمم المتحدة في نشرة مركز الدراسات الكردية 13، 4-6.

السوفياتية على الحكومة الإيرانية وسياستها الكردية في ذلك الوقت وبعد عدة أعوام. وعندما وصلت الهجمات السوفياتية ضد ميثاق بغداد الذروة عام 1956 ادعى مطبوع سوفياتي أن انتفاضة جوانرود كانت ضحية ذلك الميثاق. ووفاقاً لهذا المصدر كانت الحكومة الإيرانية، قبل أعوام قليلة من تنفيذ عمليات عسكرية ضد قبيلة جوانرود، قد منحتهم قدراً من الحكم الذاتي، ووافقت على عدم مرابطة الجيش أو الشرطة في منطقتهم، فعاش أفراد قبيلة جوانرود، الذين سروا بهذه الترتيبات، حياة السلام والامتثال إلى القانون.

ذكر المطبوع السوفياتي أنه بسبب إشغال قبيلة جوانرود مركزاً إستراتيجياً عبر الحدود الإيرانية – العراقية فقد اتهمت بالتسبب في اضطرابات في المنطقة الحدودية وأرسلت حملة تأديبية ضدها. وذكر المقال أنه بعد نشوب الأعمال العدائية بين الحكومة الإيرانية وبين القبيلة أرغم أبناء هذه الأخيرة الذين حاولوا الهرب إلى العراق على العودة بسبب الإجراءات العسكرية التي تبناها العراق وفاقاً لحلف بغداد. واختتم المقال بالقول إن «إبادة الشعب الكردي من نتائج حلف بغداد.»[1] وهنا يجب بيان أن هذا الحلف لم يكن قائماً في زمن انتفاضة جوانرود. لذا لم يكن صحيحاً القول إن الإجراء الذي اتخذته الوحدات الحدودية العراقية نحو انتفاضة جوانرود كان وفاقاً لميثاق بغداد.

أدى إبرام ميثاق حلف بغداد في شباط/ فبراير، عام 1955، إلى زيادة غضب الروس ضد الدول الأعضاء، وأصبح الكرد الساخطون على الحلف الذي اعتبروه موجهاً ضد مطامحهم القومية أكثر استجابة للمبادرات السوفياتية نحوهم.

---

(1) «سودبا بلوني جوانرودي» في مجدوناروودنايا ژيزن 4: 122–23 (نيسان/ أبريل، عام 1956): 122–23.

انسياق الكرد العراقيين نحو الشيوعية

زادت حدة انقسام التفكير السياسي الكردي المشار إليه في الفصل السابق، وانعكست أفكار الجيل الأصغر سناً، التي كانت تحملها عناصر متطرفة ونافذة الصبر، في الصحيفة الشيوعية السرية آزادي (الحرية) التي دعت بين عدة أمور إلى جبهة موحدة مع العرب. أما القوميون الأكبر سناً، وهم محافظون ومتسمون بضبط النفس، فنشروا في صحيفة نيشتمان (الوطن الأم)، المطبوع الذي هدف إلى تحقيق الوحدة الكردية، وطالبوا بالحقوق الكردية ودعوا القادة الإقطاعيين والقبليين إلى تغيير أساليبهم.[1]

كان اختيار السليمانية، التي أصبحت المركز الرئيس للنشاط الشيوعي في العراق، جيداً لعدة أسباب من بينها أنه لم يكن مرجحاً أن يجتذب النشاط السياسي في مدينة إقليمية نائية اهتمام السلطات المركزية في بغداد. فعلى مدى سنوات طويلة كانت السليمانية معقل النزعة القومية الكردية، وتمتعت بتقليد طويل في معارضة بغداد. وقد عزز ذلك على نحو قوي المشاعر المعادية للحكومة، علاوة على حقيقة أن سكان السليمانية هم أكثر تعلماً من أي مركز كردي آخر مما جعل من المدينة ميداناً واعداً للدعاية الشيوعية. باستحضار النزعة القومية الكردية يمكن للشيوعيين أن يتظاهروا أنهم قوميون متطرفون، وهي عباءة يمكنهم العمل تحتها مع التخلص من العقاب. كما أنه علاوة على تأمين قاعدة آمنة ينطلق العمل منها تقع السليمانية في موقع مناسب بالقرب من الحدود الدولية. كذلك كانت الاتصالات مع الشيوعيين في إيران وأبعد منها سهلة ولا تواجه ما يعرقلها.[2]

وبقدر ما يتعلق الأمر بكرد العراق، فالأرجح أن التحالف الفعال قام في السليمانية بين النزعة القومية الكردية والشيوعية الكردية. هنا بدأت قيادة

(1) لونگريگ، العراق، 1900–1950، 326، م س رقم 141.

(2) م ن.

الجماهير الكردية تدريجاً في الانتقال من الآغوات والشيوخ والقوميين الأكبر سناً إلى المثقفين، وقدمت الاضطرابات المستمرة بقيادة الطلاب في السليمانية عام 1948 مؤشراً واضحاً للاتجاه الجديد.[1]

أثناء أعمال العنف في بغداد في كانون الثاني/ يناير، عام 1948 – نذير الشؤم بنشوب ثورة تموز/ يوليه، عام 1958 –، طالب المتظاهرون الكرد الذين انضموا إلى جماهير القائمين بأعمال العنف في العاصمة العراقية بإطلاق سراح الزعماء البارزانيين.[2] وفي السليمانية حيث يبدو أن أعمال الشغب والاضطرابات أصبحت شائعة، تولى المتظاهرون، الذين حيوا الروس وتذمروا من العرب والبريطانيين،[3] فـ«طردوا مدرساً إنكليزياً من المدينة وأحرقوا المعهد البريطاني.»[4] وفي كركوك، هاجم المتظاهرون القنصلية البريطانية.

من الصعب حتى الآن تحديد أي قدر من هذا الاضطراب كان يعود إلى انتشار الشيوعية. وبالإحالة إلى تلك الفترة كتب إدموندس:

> **كان الكثير من الشبان الكرد ذوي المظلمة العرقية علاوة على مشاعر خيبة الأمل والانزعاج من النظام القائم المتفشي بين الشباب من بلدان كثيرة بالإضافة إلى العراق يميلون إلى التطلع نحو روسيا من أجل إلهامهم. لم يكن الأمر أنهم عرفوا أو اهتموا كثيراً بالماركسية بل إنهم كانوا مستعدين لممارسة أنشطة ملهمين أو موجهين من موسكو.**[5]

---

(1) م ن، 353.

(2) م ن، 346.

(3) م ن.

(4) م ن، 347.

(5) س. ج. إدموندس، «الكرد والثورة في العراق،» مجلة الشرق الأوسط 13، 1(شتاء عام 1959)، 2 (بالإنكليزية، مرجع 61).

ذهب إدموندس إلى حد القول إن روسيا لم تضيع أي فرصة لاستغلال سخط الكرد والانتفاع منها.[1]

وعبر مصدر بريطاني آخر عن وجهة نظر مشابهة بعد نحو عام واحد من الانتفاضات. «هناك، في الواقع، سخط أكبر من الشيوعية في العراق. وراود الطلبة الكرد الأمل أن الكرد قد لا يكونون أحراراً من حكم بغداد، وهنا كان النشاط اليساري الأكثر وضوحاً.»[2]

تناولت مقالة نشرت عام 1951 في الصحيفة الفرنسية لوموند الموضوع نفسه. ووفاقاً لكاتب المقالة، كانت جذور الشيوعيين الكرد في الحركة القومية الكردية والشيوعية العراقية. ولهذا السبب، تأرجحوا على نحو مستمر بين قطبي النزعة الكردية والنزعة القومية الثنائية الكردية – العربية الشيوعية. ورأى الكاتب أن هذا التأرجح يفسر انسحابات الكرد العراقيين المتكرر من الحزب الشيوعي والعودة إليه، وعبر عن الاعتقاد أن الشيوعية الكردية كانت قوية نسبياً في العراق، وأورد مصدراً ذكر أن الكرد شكلوا نحو 40 % من الفعالية الكلّية للحزب الشيوعي العراقي.[3]

يبدو هذا التقدير مرتفعاً نوعاً ما لدى مقارنته بالإحصائيات السكانية الأكثر وثوقاً في تلك الفترة التي تدلنا على أن كرد العراق شكلوا بين خمس وسدس سكان العراق.[4] وإذا كان الكاتب في صحيفة لوموند على صواب، يعني ذلك أنه حتى عام 1951، مثل الكرد في الحزب الشيوعي العراقي (40 %) أي نحو ضعف نسبتهم من عدد سكان العراق الكلي (17 إلى 20 %).

---

(1) م ن.

(2) .A.N.O، «القومية في العراق،» العالم اليوم 5، عد. 1 (كانون الثاني/ يناير، عام 1949) 18.

(3) لوموند، 7 كانون الأول/ ديسمبر، عام 1951.

(4) إدموندس، «التركيز الشرق أوسطي على الكرد،» (بالإنكليزية، مرجع 64).

لا يمكن اتهام القوميين الكرد الأكبر سناً بالخمول بينما تولى الشيوعيون قيادة الشباب الكرد. كانت احتمالات الرجحان ضد القوميين على نحو كبير لأنه في أغلبية الحالات أخفقت حكومات البلدان التي يقطن فيها كرد في الاستجابة ولو إلى الحد الأدنى من مطالبهم. إلّا أن القوميين واظبوا على العمل من أجل قضيتهم على أفضل نحو ممكن. وبالنظر إلى يأسهم من نيل أي شيء من حكوماتهم فقد سعوا إلى الحصول على المساعدة من الدول العظمى الغربية علاوة على المنظمات الدولية المختلفة. ويتضمن القسم التالي سجلاً لذلك.

مذكرات مقدمة من الكرد إلى هيئات دولية مختلفة وسياسيين بارزين

أنعش نشوب الحرب العالمية الثانية الآمال الكردية وشدد النشاط القومي. وعرض القوميون الكرد عدداً من المذكرات إلى هيئات دولية مختلفة وسياسيين بارزين عبروا فيها عن مظالم الكرد وطرحوا المطالب الكردية. ويقدم عرض موجز لهذه المراسلات فكرة عن طبيعة النشاط الكردي ومداه في الميدان. وتلخص هذه الوثائق هنا حسب الترتيب الزمني.

1. مذكرة عن المسألة الكردية قدمت إلى الدول العظمى في 30 آب/ أغسطس، عام 1943.[1] وتضمنت هذه المذكرة عرضاً موجزاً للتاريخ الكردي

(1) قدمت هذه المذكرة في الأصل في أيلول/ سبتمبر، عام 1942 إلى الجنرال ديغول ووبندل ويلكي والعقيد و.غ. إلفنستُن من مصلحة المخابرات البريطانية. إلّا أنه بسبب الاعتبارات الدولية في ذلك الوقت، لم يعلن النص إلّا عام 1948. بيير روندو، «المطالب القومية الكردية (1943-1949)،» منشورات الشرق المعاصر، 18-19، 65-66 (بالفرنسية مرجع 226)؛ رامبو، 137-38، م س رقم 213. للاطلاع على النص الإنكليزي لهذه المذكرة، انظر نشرة مركز الدراسات الكردية 6 (1949): 2-11؛ النص الفرنسي، 12-18.

والحدود الإثنية والسكان واللغة والدين وغيرها. وكان القسم الأهم هو القسم الأخير وقد أورد باللغة الإنكليزية وليس باللغة الفرنسية وهو بعنوان: «لماذا يجب تأسيس دولة كردية؟» ذكر الحلفاء في هذا القسم بمبادئ الرئيس ويلسُن التي نصت معاهدة سيڤر بموجبها على تأسيس دولة كردية. كما ذكر الحلفاء بالمبادئ التي حملوا السلاح ضد المحور من أجلها، وقيل لهم إنه لن يكون هناك استقرار في المنطقة ما لم يحرر الكرد الذين اضطهدوا من تركيا والعراق وإيران. وقد أعدت مجموعة بدرخان في بيروت هذه المذكرة.

2. مذكرة مؤرخة في30 آذار/ مارس، عام 1945.[1] قدمت مذكرة جديدة باسم الرابطة الكردية في التاريخ ذاته إلى رؤساء الوفود المشاركة في مؤتمر سان فرانسيسكو. وأكدت المذكرة المظلومية والمطالب الكردية.

3. قدمت رسالة مرفقة بالمذكرة المؤرخة في 30 آذار/ مارس، عام 1945، مقدمة إلى رؤساء الوفود في مؤتمر سان فرانسيسكو في 31 آذار/ مارس، عام 1945،[2] حثت فيها رؤساء الوفود على استخدام نفوذهم ونفوذ حكوماتهم نحو تحقيق ثلاثة أهداف: (1) جعل مؤتمر سان فرانسيسكو يقبل مبدأ الاعتراف بحق الشعوب التي لم تحصل على استقلالها بعد عرض مطالبها إلى الهيئات الدولية؛ (2) الترتيب لجلسة عادية لمؤتمر سان فرانسيسكو لمناقشة المسألة الكردية؛ و(3) تشكيل لجنة دولية خاصة تتولى مسؤولية دراسة المشكلة الكردية وإيجاد حل لها.

4. رسالة مرفقة بالمذكرة المؤرخة في 30 آذار/ مارس، مقدمة إلى الدول

---

(1) نشرت هذه المذكرة بعنوان كردستان: المسألة الكردية (بيروت، عام 1945) وصدرت كذلك في شكل منشور بعنوان مذكرة عن كردستان وملاحقها أعدتها الرابطة الكردية (باريس، عام 1945). روندو، «المطالب،» 66.

(2) نشر نص هذه الرسالة في نشرة مركز الدراسات الكردية 5 (1949)، 8–10.

العظمى في 31 آذار/ مارس، عام 1945.[1] ذكرت الرسالة أنه وفاقاً للمبادئ المؤكد عليها في ميثاق الأطلسي ينبغي إيجاد حل المشكلة الكردية الآن بعد اختتام الحرب بالانتصار من أجل العدل والحرية.

5. رسالة مرفقة بمذكرة 30 آذار/ مـارس، قدمها إحسان نوري پاشا، القائد العام للقوات الكردية في آگري داغ (أرارات) إلى الدول العظمى في 21 تموز/ يوليه، عـام 1945.[2] وقد عرض إحسان نوري پاشا في هذه الرسالة القضية الكردية وطلب السماح لممثلي الشعب الكردي بعرض مطالبهم في مؤتمر سان فرانسيسكو مؤكداً حقيقة أنه يجب السماح ليس للدول وحدها بل للمجموعات القومية كذلك بإسماع صوتها.

6. مذكرة مقدمة إلى وزراء خارجية الدول العظمى المجتمعين في لندن في 10 أيلول/ سبتمبر، عام 1945.[3] وقد احتجت هذه المذكرة على العمليات العسكرية التي شرع بها في آب/ أغسطس، 1945، ضد الكرد البارزانيين في العراق وطلبت لفت اهتمام الحكومات علاوة على اهتمام مؤتمر وزراء الخارجية.

7. مذكرة مقدمة إلى الدول العظمى في 26 تشرين الثاني/ نوفمبر، عام 1945.[4] وقد طلبت الرابطة الكردية في هذه المذكرة مرة أخرى من الدول العظمى إيجاد حل للمشكلة الكردية.

8. مذكرة مقدمة إلى الدول الأعضاء في الأمم المتحدة في 9 كانون الأول/

(1) نشرة مركز الدراسات الكردية 6، 18-19.

(2) م ن، 19-21.

(3) م ن، 21-22.

(4) م ن، 22-23.

ديسمبر، عام 1945.[1] وقد استحضرت هذه المذكرة المذكرات والرسائل السابقة التي قدمت إلى مختلف الهيئات الدولية وأكدت الحاجة إلى تسوية للمشكلة، التي كانت مهمة لاستقرار منطقة الشرق الأوسط برمتها.

9. برقية مؤرخة في 24 كانون الأول/ ديسمبر، عام 1945، موجهة إلى وزراء خارجية الدول العظمى المجتمعين في موسكو.[2] وقع هذه البرقية الزعماء الكرد العراقيون وذكرت أن حقوق الشعب الكردي والوعود التي منحت له لم تحقق وأن الحكومات العراقية المتعاقبة قد أهملت مصالح الشعب الكردي الاقتصادية والثقافية والاجتماعية. ومضت البرقية قائلة إن الشعب الكردي مقتنع أن هذه الحكومات هدفت إلى تعريب الكرد، ولم تحترم حقوقهم بوصفهم قومية منفصلة، وطالبت البرقية بمنحهم الحكم الذاتي الداخلي ضمن المملكة العراقية.

10. نداء موجه من حزب رزگاري كرد (حزب الخلاص الكردي) إلى منظمة الأمم المتحدة.[3] طالب الحزب في هذه الوثيقة الصادرة في أوائل عام 1946 بتحرير الشعب الكردي وتوحيده، ودعا إلى إنهاء استغلاله. وأكد النداء مرة أخرى أهمية حل عادل للمشكلة الكردية من أجل سلام الشرق الأوسط.

11. مذكرة موجهة إلى لجنة التحقيق الأنكلو - أميركية بشأن فلسطين عام 1946.[4] أشارت هذه المذكرة من الرابطة الكردية إلى سوء معاملة

(1) م ن، 23-24.

(2) م ن، راجع رامبو، 141-42، م س رقم 213.

(3) رامبو، 144-45، م س رقم 213.

(4) للاطلاع على نص هذه المذكرة انظر پالستاين بوست، 28 آذار/ مارس، عام 1946؛ كذلك روندو، «المطالب» 69 م س رقم 226؛ لونگريگ، العراق، 1900-1950، 335، م س رقم 141.

الأقليات في الشرق الأوسط مع إشارة خاصة إلى كرد العراق.

12. مذكرة موجهة إلى وزراء خارجية الدول العظمى المجتمعين في باريس في 26 حزيران/ يونيه، عام 1946.[1] عرضت هذه المذكرة التي قدمتها الرابطة الكردية التطورات التي أعقبت الحرب العالمية الأولى مشيرة إلى معاهدتي سيفر ولوزان. كما ناقشت تقسيم الوطن الكردي بين تركيا وإيران والعراق وسوريا، ومحاولات الكرد العقيمة أثناء هذه الفترة لاستعادة حريتهم. وقُدم كذلك تحليل لأرقام السكان الكرد في تركيا وإيران والعراق.

13. مذكرة مقدمة إلى وزراء الخارجية الأربعة المجتمعين في موسكو في 10 آذار/ مارس، عام 1947.[2] أشارت هذه المذكرة من الرابطة الكردية (خويبون) إلى محاولات الكرد المختلفة لاستعادة حقوقهم ويأسهم، إضافة إلى خطر دفع الشباب الكرد للاعتقاد بانعدام المعنى للحياة. وطلب من وزراء الخارجية التدخل فوراً لمصلحة الكرد.

14. مذكرة وجهت إلى الجنرال مارشال (Marshall) في 31 آذار/ مارس، عام 1947.[3] وقد اعترضت هذه المذكرة المقدمة من الرابطة الكردية، بين عدة أمور، على المساعدات المقدمة من الولايات المتحدة إلى تركيا.

15. مذكرة موجهة إلى رئيس لجنة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان في 30 تموز/ يوليه، عام 1947.[4] تحدثت هذه المذكرة عن قمع الكرد من قبل حكومات تركيا وإيران والعراق، وأضاءت على تدمير الجيش العراقي والقوة الجوية الملكية قرى الكرد البارزانيين وإساءة معاملة البارزانيين لاحقاً في معسكرات الاعتقال.

---

(1) نشرة الدراسات الكردية 6 (1949)، 24-26.

(2) م ن، 27-28.

(3) م ن، 28-31.

(4) م ن، 31-32.

16. مذكرة مؤرخة في 29 تشرين الثاني/ نوفمبر، عام 1948.[1] كانت هذه المذكرة، التي أعدتها الرابطة الكردية (خويبون)، البيان الأكثر تفصيلاً للشكاوى والمطالب الكردية. وقد أرفقت برسالة موجهة إلى السيد تريغفي لي (Trygvie Lie)، الأمين العام للأمم المتحدة، وقد أرخت في 29 تشرين الثاني/ نوفمبر، 1948.[2]

17. مذكرة موجهة إلى السيد إرنست بيڤن (Ernest Bevin)، وزير الخارجية البريطاني، في 6 كانون الثاني/ يناير، عـام 1948.[3] قدمت هذه المذكرة في فترة التفاوض على عقد معاهدة جديدة بين بريطانيا العظمى والعراق لتحل محل المعاهدة الأنكلو- العراقية لعام 1930. وقد عبرت المذكرة عن الأمل في تضمين المعاهدة الجديدة فقرة تحدد وضع الكرد في العراق. كما بينت أن عدم تضمين تلك الفقرة في معاهدة 1930 كان مضراً بالحقوق الكردية. واستعرضت المذكرة الأحداث المختلفة التي أعقبت عقد معاهدة 1930 وإنهاء الانتداب البريطاني على العراق. (أدت النتيجة النهائية لتلك المفاوضات إلى عقد معاهدة بورتسموث.)

18. رسالة وجهها محمد حلمي بگ باسم الحزب الوطني الديموقراطي

(1) نشر النص الكامل لهذه المذكرة التي أعدتها الرابطة الكردية باللغة الفرنسية بعنوان مذكرة عن وضع الكرد ومطالبهم، م س رقم 123. ونشرت ملخصات لهذه المذكرة بالفرنسية والإنكليزية والإيطالية. الخلاصة الفرنسية بعنوان «ملخصات مذكرة عن وضع الكرد ومطالبهم» نشرت في نشرة مركز الدراسات الكردية، 2 (1948): 1-21. ونشر الملخص الإنكليزي بعنوان مذكرة عن وضع الكرد ومطالبهم، ونشر الملخص الإيطالي بعنوان وضع الكرد ومطالبهم (روما، عام 1949).

(2) للاطلاع على نص الرسالة، انظر نشرة مركز الدراسات الكردية 2 (1948)، 22-23.

(3) نشرة مركز الدراسات الكردية 6، 33-34.

الكردي إلى پانديت نهرو (Pandit Nehru) في 14 شباط/ فبراير، 1949.[1] طلبت هذه الرسالة من السيد نهرو تضمين المسألة الكردية في جدول أعمال المؤتمر الآسيوي المنعقد آنذاك في نيو دلهي. كما قدمت نسخة من تلك الرسالة إلى المؤتمر الأطلسي.

19. رسالة موجهة إلى رئيس لجنة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان في 5 كانون الثاني/ يناير، عـام 1949.[2] أشارت هذه الرسالة إلى المذكرة السابقة الموجهة إلى رئيس اللجنة في 30 تموز/ يوليه، عام 1947، والمعاملة غير العادلة للكرد في تركيا والعراق وإيران مؤكدة بخاصة المحنة الحزينة للبارزانيين في العراق.

20. رسالة موجهة إلى الأمم المتحدة في 3 آذار/ مارس، عام 1956.[3] أكدت مظالم الكرد وحثت الأمم المتحدة على بحث مطالبهم.

21. خطاب عرضته أرملة جلادت بدرخان أمام مؤتمر التضامن الآسيوي-الأفريقي في القاهرة في كانون الأول/ ديسمبر، عام 1957.[4]

كان نص هذا الخطاب مشابهاً للرسالة المؤرخة في 3 آذار/ مارس، عـام 1956، والموجهة إلى الأمم المتحدة. ذكر الخطاب سوء المعاملة والافتقار إلى الخدمات الاجتماعية في المناطق الكردية وقمع الثقافة الكردية بخاصة في تركيا وإيران إلّا أنها بينت أن الوضع كان أفضل نوعاً ما في العراق. وأكد الخطاب تصميم الكرد على نيل حريتهم وتوحيد وطنهم ودحض المزاعم بأن النفوذ الأجنبي قد ألهم الثوار الكرد.

---

(1) نشرة مركز الدراسات الكردية 5، 8-10.

(2) نشرة مركز الدراسات الكردية 4، 8-10.

(3) روندو، «الأمة الكردية،» 65.

(4) م ن، 65-66.

22. رسالة وجهتها جمعية الطلبة الكرد في أوروبا إلى داغ همرشولد (Dag Hammarskjöld)، الأمين العام للأمم المتحدة، في تشرين الأول/ أكتوبر، عام 1958.[1] طلبت الجمعية في هذه الرسالة من الأمين العام للأمم المتحدة وضع المسألة الكردية على جدول أعمال الدورة الخاصة التي دعيت لمناقشة مشكلات الشرق الأوسط. وعبرت الرسالة عن الأمل أن تتبنى تركيا وإيران سياسة جديدة نحو الكرد بوحي من السياسة العراقية.

23. رسالة وجهتها جمعية الطلبة الكرد في أوروبا إلى الرئيس المصري جمال عبد الناصر في تشرين الأول/ أكتوبر، عام 1958.[2] شكرت الرسالة الرئيس المصري على افتتاح خدمة إذاعية باللغة الكردية من القاهرة.

24. رسالة وجهتها جمعية الطلبة الكرد في أوروبا إلى رئيس الوزراء نيكيتا خروتشيف (Nikita Khrushchev) في تشرين الأول/ أكتوبر، عام 1958.[3] عبرت الرسالة عن التقدير لاستخدام الأبجدية اللاتينية بدلًا من الأبجدية السيريلية (المستعملة في اللغات السلافية) في المطبوعات الكردية الصادرة في الاتحاد السوفياتي وتدشين إذاعة كردية من موسكو. وأرسلت نسخ من هذه الرسالة إلى جمهوريتي أذربيجان وأرمينيا السوفياتيتين.

على الرغم من المذكرات الكثيرة المقدمة إلى الأمم المتحدة لم ينجح الكرد في محاولاتهم للاستماع إلى قضيتهم أمام تلك المنظمة الدولية. كان عدم وجود دولة كردية وغياب دولة مستعدة لرعاية قضيتهم يعني أنه لم تكن

---

(1) كانت هذه الرسالة واحدة من عدة رسائل كتبها مؤتمر الطلبة الكرد المنعقد في ميونيخ من 4 تشرين الأول/ أكتوبر، إلى 8 تشرين الأول/ أكتوبر، عام 1958، برعاية جمعية الطلبة الكرد في أوروبا. إدموندس، «الكرد والثورة،» 8، م س رقم 61.

(2) م ن، 9.

(3) م ن.

هناك وسيلة لعرض القضية الكردية أمام الأمم المتحدة. وهكذا عندما قدم «وفد كردي»[1] التماساً إلى الأمين العام، عام 1948، مع المذكرة المؤرخة في تشرين الثاني/ نوفمبر، عام 1948، رفض هذا الطلب على نحو مهذب، وأبلغوا أن عليهم البحث عن دولة ترعى مطالبهم.[2]

لقيت الشكاوى الكردية التي وجهت سابقاً إلى عصبة الأمم المصير نفسه. وفي اجتماع للجمعية الملكية لآسيا الوسطى في 26 أيلول/ سبتمبر، عام 1932، علق سير أرنولد ويلسُن قائلاً: «تختلف الأقليات في العراق اختلافاً كبيراً عن أي أقليات أخرى في العالم إذ لا توجد أي دولة عضو في عصبة الأمم تتولى طرح مطلبهم أو قضيتهم الخاصة في جنيف.»[3]

ومن المثير للاهتمام ملاحظة أنه على الرغم من الدعم النشيط للقومية الكردية من دول الكتلة الشيوعية لم تبذل تلك الدول، بما فيها الاتحاد السوڤياتي، أي محاولة لرعاية قضية الكرد أمام الأمم المتحدة.

العلاقات الكردية – العربية: التقارب والتنافر

بينما سعى الكرد إلى نيل الاعتراف الدولي وربما التصرف الدولي المؤيد لقضيتهم، حاولوا أيضاً كسب تعاطف جيرانهم العرب وتعاونهم. وجعلت ظروفهم، علاوة على وجود عدد كبير من السكان الكرد في العراق وسوريا، هذا النهج في التصرف مرغوباً فيه وضرورياً.

---

(1) ضم هذا الوفد، الذي ترأسه السياسي القومي الكردي المخضرم شريف پاشا، كذلك الدكتور أمير كاميران بدرخان والدكتور م. و. زازا والدكتور فيرزند شكاك وبيير روندو، «أين اصبحت القضية الكردية؟» أفريقيا وآسيا، 2، 52–53 (بالفرنسية، مرجع 224).

(2) م ن، 53.

(3) استشهد به في ممفورد، 119.

بعد فشل التمرد البارزاني وسقوط مهاباد، وجد الكرد أنفسهم معزولين سياسياً. لقد أدركوا بوضوح أخطار العزلة السياسية ولم يضيعوا وقتاً في تأييد قيام علاقة أوثق بالعرب لا تنفع الكرد في سوريا والعراق فحسب بل كذلك تمنح الشعب الكردي بأجمعه دعماً دولياً لا يقدر بثمن. وأملوا، بين عدة أمور، في أن يجعلهم ذلك قادرين على طرح قضيتهم أمام الأمم المتحدة. وقد أيد الجناح الكردي في الحزب الشيوعي العراقي ومنظمات أخرى مسار العمل هذا.

لم يكن القوميون الكرد متأخرين في هذا الصدد. تناول أمير كاميران بدرخان، في مقابلة مع مراسل صحيفة الشعب البغدادية في باريس الصداقة العربية - الكردية مشيراً إلى المعاملة الطيبة للكرد في سوريا والعراق. قال إن الكرد تمتعوا في هذين البلدين بحقوق وامتيازات كثيرة حرموا منها في تركيا وإيران. وأوضح أنه سمح للكرد في الدولتين بإصدار الصحف الإخبارية والمجلات والكتب بلغتهم وتطوير ثقافتهم من دون أي تدخل من السلطات. كما أكد حقيقة أنه على الرغم من اختلافات معينة بين العرب الكرد في العراق لم ينظر الكرد إلى ذلك البلد في السياق ذاته الذي رأوا فيه تركيا وإيران.[1]

بعد أربعة أعوام أوضح أمير كاميران بدرخان هذه النقطة. قال إنه كان جوهرياً للكرد التعاون مع العرب، الذين كانوا الوحيدين في الشرق الأوسط الذين فهموا الكرد وتعاطفوا مع وجهة النظر الكردية. ثم بيّن أن الكرد في الماضي توجهوا إلى لندن وباريس وعواصم غربية أخرى للدفاع عن قضيتهم. وقال: «نحن جميعاً نعرف الآن أنه هناك خطأ. وفي المستقبل سنتوجه إلى بغداد ودمشق والقاهرة.»[2]

(1) موريس كلير، «مقابلة مع أمير بدرخان،» الشعب، 17 كانون الأول/ ديسمبر، عام 1951.

(2) أجريت المقابلة في باريس في ربيع عام 1955.

يبدو أن كلا الجانبين قد أدركا الحاجة إلى التفاهم والتعاون الوثيق بين الأكراد والعرب. ومن وجهة نظر بعض القادة العروبيين تبدو هذه سياسة بعيدة المدى. وعندما يحين الوقت لتوحد الدول العربية قد يمتنع الأكراد، إذا كانوا ودودين، عن التسبب في أي مشكلات.

في مقالة شاملة عن الحركة الوحدوية العربية نشرتها مجلة الهلال المصرية الواسعة الانتشار عام 1943، دعا فيها عبدالرحمن عزام، الذي أصبح لاحقاً أمين عام جامعة الدول العربية، بقوة إلى الصداقة العربية - الكردية، وأشاد عزام بالكرد مؤكداً الصلات الإسلامية القديمة القائمة بينهم وبين العرب، وذكر الخدمات الكبرى التي قدمها صلاح الدين وقادة كرد آخرون إلى الإسلام والعرب. وأكد أن العرب في العراق يجب أن يتجاوزوا بأي ثمن الإساءة إلى الحساسيات الكردية، وأعلن أن الكرد أناس مخلصون، ولن يحاولوا قطّ إلحاق الأذى بالمطامح العربية.

وفاقاً لعبد الرحمن عزام، يجب ألّا يدفع الكرد إلى الشعور أن الوحدة العربية ليست في مصلحتهم. وقال: «يجب ألّا تنطوي آمال العراق ومطامحه على التوسع على حساب الكرد. وبدلاً من ذلك يجب أن تترك الأمة العربية، [التي كانت موحدة في وقت ما]، إلى الكرد الاختيار بين الانضمام إلى الوحدة أو الاستقلال. وإذا كانت رغبتهم [هي الاستقلال] يجب عدم حصول مشاعر استياء من جانب العرب.» ثم حذر عزام العراقيين من الدسائس الأجنبية، ودعاهم إلى الاحتراس من الدخول في جدل مع الكرد وبذلك يتجنبون إثارة عداء. واختتم تعليقاته عن العلاقات الكردية - العراقية قائلاً، «المسألة بسيطة للغاية والاختيار متروك للكرد. وعندما يصبح العراق قوياً فإنه يصبح نقطة جمع الشمل لهذه الأمة الشرقية.»[1]

---

(1) عبد الرحمن عزام، «الوحدة العربية»، الهلال 1، الجزء 4 (أيلول/ سبتمبر - تشرين الأول/ أكتوبر، عام 1943)، 465 (بالعربية، مرجع 285).

لاشك أن العرب والكرد كانوا مخلصين في رغبتهم للتفاهم المتبادل والتعاون، وبدا أن التعبير المتبادل عن احترامهم وثقتهم هو بشير للمستقبل. وليس صعباً فهم حقيقة أن علاقة طيبة بين العرب والكرد بدت، في ذلك الوقت، ليست ضرورية فحسب بل كذلك سهلة التحقيق بالنسبة إلى النصيرين اللذين نستشهد بهما هنا، وهما عربي مصري وكردي سوري. ليس في مصر كرد، وكان عدد السكان الكرد في سوريا صغيراً، وهم يعاملون معاملة حسنة في تلك الدولة. إلّا أن الوضع تغير عندما اتحدت مصر، بطلة القومية العربية، مع سوريا وبذلت، بعد الثورة في العراق، محاولة عازمة على الوحدة مع ذلك البلد إلّا أنها فشلت بسبب المعارضة الكردية عموماً.

تطور الاحتكاك بين القوميتين العربية والكردية سريعاً بعد ثورة تموز 1958 في العراق، وقدم إحدى أقدم الشكاوى المنفيون البارزانيون الذين رتبت عودتهم إلى العراق من دول الكتلة الشرقية عن طريق سفير الجمهورية العربية المتحدة في براغ. ادعى البارزانيون أنهم لدى توقفهم في مصر في طريق العودة إلى الوطن تعرضوا إلى المضايقة والتعامل غير المهذب من جانب السلطات المصرية، وأن عودتهم تعرضت للتأخير بلا داع. وتعرض مؤتمر الطلبة الكرد في أوروبا الذي عقد في ميونيخ، في 4-8 تشرين الأول/ أكتوبر، إلى هجوم شديد من اتحاد الطلبة العرب في ألمانيا الغربية. وقد هاجم الاتحاد أهداف مؤتمر الطلبة الكرد بوصفها إساءة وخطراً على القومية العربية، ودعا الاتحاد الطلبة العرب إلى مقاطعة مؤتمر الطلبة الكرد مهدداً بمعاقبة من لا يفعل ذلك.[1]

لذا توسعت الفجوة بين الكرد وبين العرب ولم تعد قابلة للمعالجة.

(1) إدموندس، «الكرد والثورة،» 8، م س رقم 61.

فقد كان القوميون العرب في العراق وكذلك في الجمهورية العربية المتحدة معارضين بشدة للكرد الذين اعتبروا مع الشيوعيين واليساريين الآخرين مسؤولين عن رفض العراق الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة. واستمر الصراع والخلاف بين الدولتين.

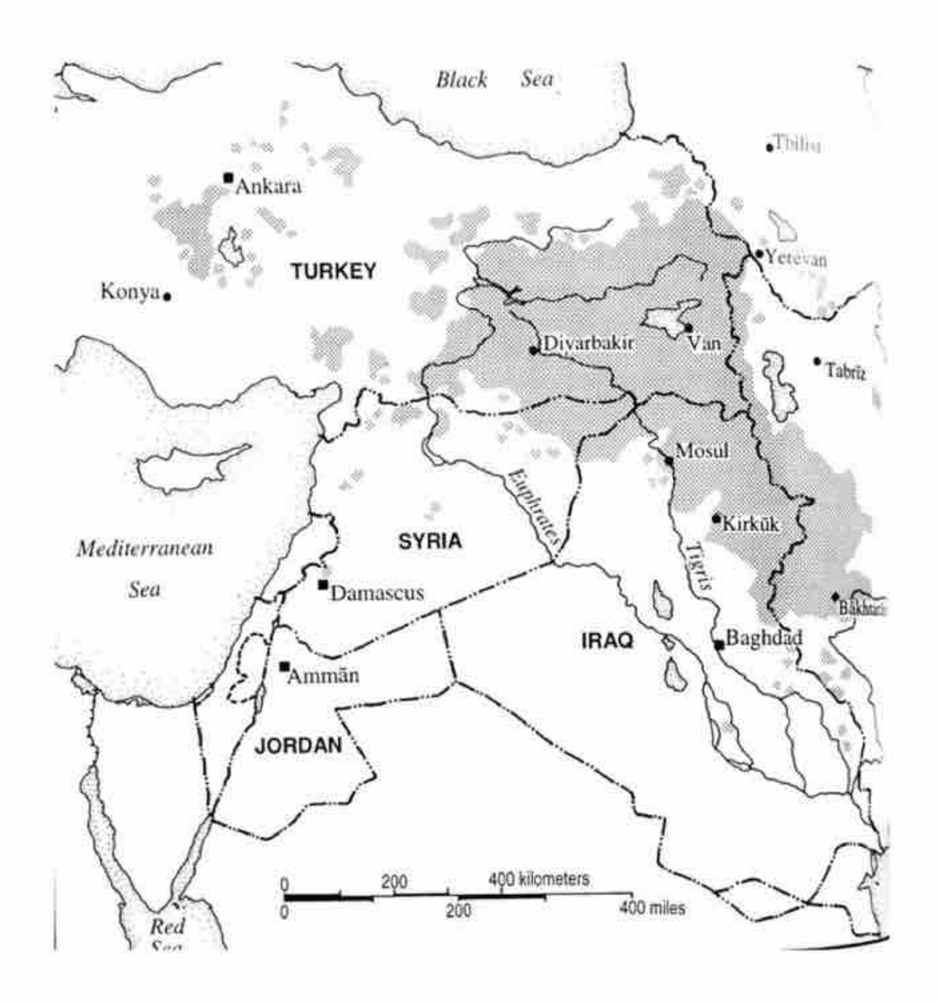
وفي رسالة موجهة إلى صحيفة خابات الكردية مؤرخة في 10 تشرين الأول/ أكتوبر، عام 1959، نفت جمعية الطلبة الكرد في أوروبا أية صلة لها ببيان ضد عبد الكريم قاسم، الزعيم الرئيس لثورة عام 1958 في العراق ورئيس الحكومة الأولى التي شكلتها الثورة (نناقش ذلك في القسم التالي)، أذيع من إذاعة «صوت العراق الحر.» اتهمت الجمعية هذه الإذاعة بأنها من صنع جمال عبد الناصر ووبختها لأنها نسبت البيان إليها، وأدانت الجمعية بشدة جمال عبد الناصر والجمهورية العربية المتحدة والبعثيين ومحطة الإذاعة غير أنها امتدحت كثيراً عبد الكريم قاسم ونظامه.[1]

واتهمت جمعية الطلبة الكرد في أوروبا في الرسالة نفسها مجلة كل شيء المصرية بالتزوير لنشرها مقتطفات من رسالة من طالب عراقي في لندن. فوفاقاً للجمعية العراقية للطلبة الكرد أدان كاتب الرسالة الجمعية لتواطئها مع جمعية الطلبة الكرد في أوروبا بسبب تأييد هذه الجمعية الانفصال عن العراق. وانتقدت رسالة الجمعية هذا البيان بوصفه اتهاماً ظالماً، وأكدت ولاء أعضائها العميق للجمهورية العراقية وزعيمها عبد الكريم قاسم. ثم أضافت الرسالة: «سيبقى موقفنا هذا من دون تغيير ما دام شعبنا الكردي يواصل التمتع بحقوقه وما دامت الجمهورية تواصل اتباع النهج الديموقراطي والمتحرر.»[2]

---

(1) «تفسير من جمعية الطلبة الكرد في أوروبا،» خابات، عد. 83 (تشرين الأول/ أكتوبر، عام 1959) (بالإنكليزية، مرجع 77).

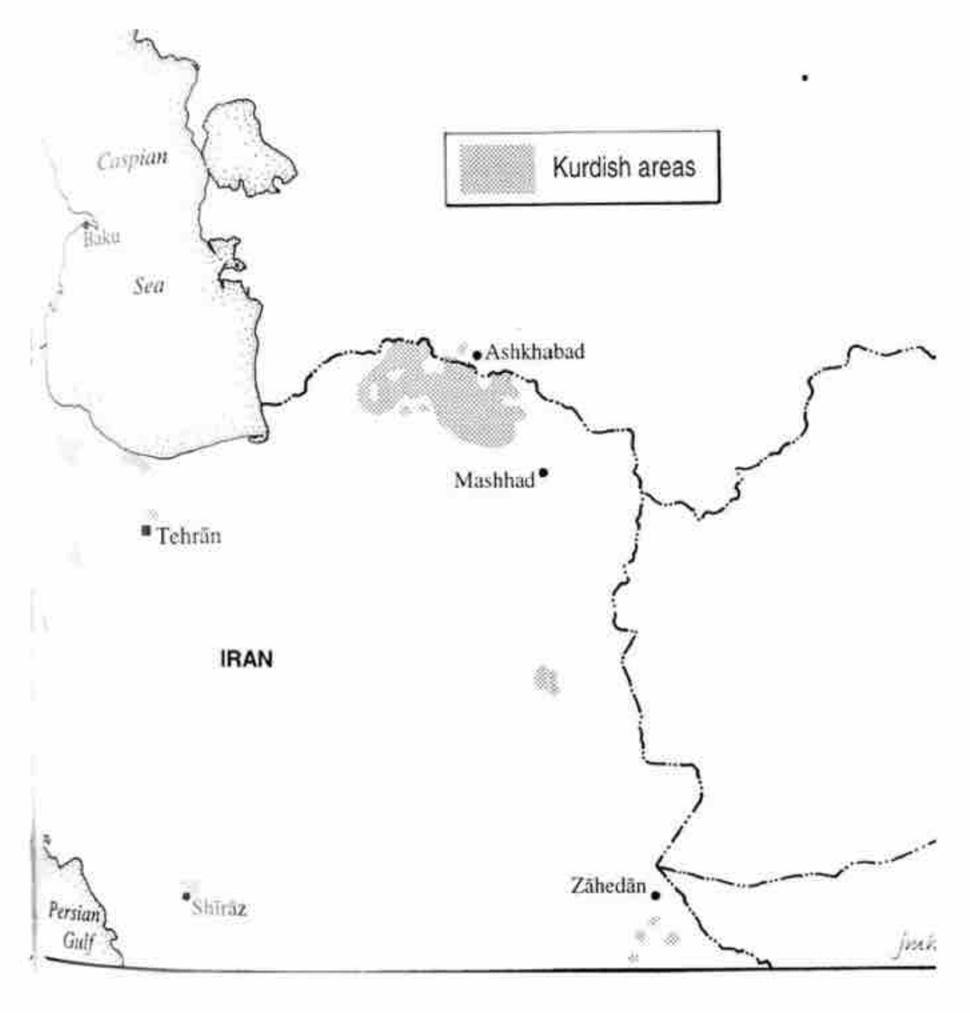
(2) م ن.



المناطق الكردية في الشرق الأوسط

الكرد وجمهورية العراق

جعلت الأحداث المفاجئة في 14 تموز/ يوليه، عام 1958، علاوة على الستار غير القابل للاختراق الذي أسدله النظام الثوري الجديد على البلاد



الفضاءات الكردية – بحر قزوين – آشقاباد – مشهد – طهران – إيران – شيراز – زاهدان –الخليج الفارسي

برمتها، مسألة دراسة المسائل الكثيرة في العراق، بما في ذلك مسألة الكرد، أمراً صعباً. فقد أغلقت الحدود وعلقت كل الاتصالات مع العالم الخارجي. وفي الأيام القليلة الأولى كانت معظم الأنباء الشحيحة المتسربة تتعلق بالهيجان وحالة النظام في الداخل.

ليس هناك ما يشير إلى تصور وضع مؤيد للكرد في العراق، إما قبل ثورة تموز/ يوليه وإما بعدها. غير أنه لا يوجد أدنى شك أنهم استفادوا كثيراً من الصراع على السلطة بين جماعة عبد الكريم قاسم والجماعة البعثية – القومية. ولو أن المجموعة الثانية هي التي سيطرت لكان من المشكوك فيه أن يتمتع الكرد بالحقوق والامتيازات التي حصلوا عليها في ذلك الوقت.

وقدم بيان في مطبوع شبه رسمي دعماً قوياً لهذا الرأي. استعرض البيان الفترة المبكرة بعد الثورة في العراق والمسائل الرئيسة ذات العلاقة بالصراع بين عبد الكريم قاسم وبين نائبه الأول عبد السلام عارف، الذي كان مع أتباعه البعثيين المؤيدين لجمال عبد الناصر يدعو إلى الوحدة العربية. ثم ذكر البيان:

> **كان بعضهم يرغب في إثارة الكرد، الشركاء في الوطن العراقي، إلّا أن اعتراف عبد الكريم قاسم التام والشامل بالحقوق الكردية سد الطريق أمامهم وأحبط محاولتهم. وأعلن القادة الكرد من دون تردد أنهم لو تولوا السلطة فلن يعرضون على الكرد أكثر مما عرضه عبد الكريم قاسم عليهم.**[1]

يبدو من هذا البيان، ومن السياق أن عبد الكريم قاسم وليس أي زعماء ثوريين آخرين، كان مسؤولاً عن وضع الكرد الجيد في ذلك الوقت، وأن منح الحقوق والامتيازات لهم قد تلت الصراع على السلطة بين عبد الكريم قاسم وخصومه وليس بعده.

---

(1) الجمهورية العراقية، اللجنة العليا للاتصالات، ثورة 14 تموز\يوليه، في عامها الأول، 11 (بالعربية، مرجع 352).

إنه لمن المفيد القول إن اتجاهاً تصالحياً أكيداً كان واضحاً منذ البداية. غير أن مدى استعداد القيادة الثورية الجديدة، كما شكلت بعد الثورة مباشرة، لتلبية المطالب القومية الكردية لم يكن مؤكداً. إلّا أنه من الأرجح أن عبد السلام عارف والقوميين العرب المتطرفين الآخرين كانوا سيرفضون المضي إلى المدى الذي ذهب إليه عبد الكريم قاسم. أخيراً، لا يمكن للمرء سوى التساؤل عن عبد الكريم قاسم نفسه. هل كان ينوي منذ البداية أن يكون سخياً مع الكرد كما أصبح لاحقاً أم أنه أرغم على فعل ذلك بعد أن قدم الكرد والمجموعات الشيوعية واليسارية المؤيدة للكرد الدعم له أثناء الصراع على السلطة الذي أعقب ذلك؟

مهما كان الجواب على هذا السؤال فهناك شيء واحد بدا مؤكداً. وعلى الرغم من وجود اتجاه لنيل رضا الكرد، لم توضع سياسة واضحة المعالم في هذا الخصوص. وهذا ليس غريباً عندما يتوقف المرء عند التأمل في الأفكار المتنافرة للعناصر غير المتجانسة التي تضافرت على نحو موقت للإطاحة بالنظام القديم.

بعد الأحداث العنيفة في 14 تموز/ يوليه، عام 1958، لم يضيّع النظام الجديد في العراق وقتاً في تبني عدد من الإجراءات الهادفة، ليس فقط إلى كسب رضا الكرد، بل كذلك إلى نيل تأييدهم. كان الكردي خالد النقشبندي واحداً من ثلاثة أعضاء في مجلس السيادة الذي شكل بعد الثورة،[1] كما ضمّ مجلس الوزراء الجديد كردياً آخر هو بابا علي، أحد أبناء الشيخ محمود، وزيراً

(1) ينتمي خالد النقشبندي إلى أسرة شيوخ مشهورة من قرية بامرنى بالقرب من العمادية. كان العضوان الآخران في مجلس السيادة هما العربي الشيعي محمد مهدي كبة والعربي السني نجيب الربيعي، الذي تولى رئاسة المجلس. راجع إدموندس، «الكرد والثورة،» 3، م س رقم 61.

للاتصالات والأشغال.[1] وأطلق سراح شقيق بابا علي وهو الشيخ لطيف، الذي كان يمضي حكماً بالسجن أربع سنوات. وصدر العفو عن الشيخ أحمد بارزاني وابنه وابن شقيقه ملّا مصطفى وزوج ابنته في الوقت ذاته وسمح لهم بالعودة إلى موطنهم الأصلي، وكانوا جميعاً يعيشون في المنفى في المحافظات، ووزعت على نطاق واسع صورة تظهر عبد الكريم قاسم واقفاً إلى جانب ضابط كردي جرح في القتال في القصر الملكي في 14 تموز/ يوليه.[2]

سرعان ما تلا مبادرات حسن النية تلك مؤشر أقوى عن تغير يطاول وضع الكرد في العراق. ونصت المادة الثالثة من الدستور الموقت الذي صدر بعد الثورة: «يعتبر العرب والكرد شركاء في هذا الوطن وحقوقهم الوطنية معترف بها ضمن إطار الوحدة العراقية.»[3] وهكذا لقي الكرد للمرة الأولى منذ تشكيل الدولة العراقية الاعتراف في الدستور وأصبحوا على قدم المساواة مع العرب.

في الوقت ذاته، كان هناك الكثير من الحديث عن الأخوة والتضامن الكردي – العربي. وتحدثت تصريحات لعبد الكريم قاسم وسلطات أخرى وخطب لأعضاء وفود كردية زائرة، علاوة على بيانات صحفية رسمية وبرامج إذاعية على نحو متزايد عن «جمهورية العرب والكرد» والوحدة التي لا تنفصم بين الشعبين.

في الوقت ذاته، لم يضيع ملّا مصطفى، الذي لجأ إلى الاتحاد السوڤياتي، وقتاً بعد سقوط مهاباد في توجيه برقيات إلى عبد الكريم قاسم ومجلس السيادة

(1) م ن.

(2) م ن.

(3) وزعت سفارة الجمهورية العراقية في واشنطن العاصمة نسخة من الدستور الموقت.

عبر فيها عن تهانيه ورغبته في العودة إلى العراق. كانت الاستجابة فورية وإيجابية ووضعت الترتيبات الضرورية مع سفير الجمهورية العربية المتحدة في براغ لعودة ملّا مصطفى وأتباعه على نحو عاجل إلى العراق. وكان وصوله إلى بغداد، حيث توجهت وفود كردية كثيرة من كل أنحاء كردستان العراقية للترحاب به، مناسبة لاحتفالات واسعة.

المعارضة الكردية للوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة

تصادفت عودة ملّا مصطفى إلى العراق مع تصاعد التوتر بين من أرادوا الوحدة الفورية والكاملة مع الجمهورية العربية المتحدة وبين من كانوا ضدها. وفي الحقيقة أن تلك العودة ربما سرعت في الانشقاق النهائي بين المجموعتين. كان العدد الأكبر ممن فضلوا الاصطفاف الأوثق والأسرع مع الجمهورية العربية المتحدة بين أعضاء حزبي الاستقلال والبعث. ونظر الحزب الوطني الديموقراطي اليساري المعتدل والحزب الشيوعي بنفور إلى إلغاء الأحزاب والقيود المفروضة على الجميع باستثناء الأنشطة السياسية المرخصة في الجمهورية العربية المتحدة، ولذا فقد عارضا فكرة الوحدة.

كان الكرد، الذين كانت لهم شكوك واضحة بشأن الانضمام إلى دولة عربية أكبر، يعارضون معارضة قوية الارتباط الوثيق بالجمهورية العربية المتحدة، كونهم شعروا بالخوف من أن دولة على هذه الشاكلة يسيطر عليها العرب ستختزلهم إلى مجرد أقلية قومية من دون أهمية كبيرة.

الكرد وسقوط عبد السلام عارف

في الوقت ذاته، كان الاهتمام الوطني والدولي يركز على نحو متزايد على عبد السلام عارف، الذي جعل منه اندفاعه وصخبه شخصاً مشهوراً ولكن مثيراً للجدل. رحبت الجماهير الهائجة بقوة بخطب عبد السلام

عارف المتسمة بعدم التروي إلّا أن المواطنين الأقل اندفاعاً أصيبوا بالفزع.[1] سببت تصريحاته بشأن المسائل الخارجية والداخلية قلق المسؤولين وذعر الأثرياء.[2] كما أن سلوكه المتغطرس ولهجته المتسمة بالصلف جعلت عدداً من الشخصيات السياسية علاوة على الكثير من زملائه الضباط ينفرون منه.[3]

---

(1) من الأمثلة على اللغة الغريبة التي استعملها عبد السلام عارف وصفه الجمهورية العراقية بأنها «جمهورية ديموقراطية، اشتراكية، وطنية، مقدرة إلاهياً، خاكية وعسكرية.» الجمهورية العراقية، وزارة الدفاع، محكمة الشعب: الجلسات السرية، 374 (بالعربية، مرجع 353).

(2) شكا بعض الشهود في سياق محاكمة عبد السلام عارف فيما بعد بتهمة محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم، وكان بينهم أصدقاؤه الذين شاطروه عقيدته القومية العربية، من إشاراته الاستفزازية إلى الولايات المتحدة بوصفها «دولة استعمارية» علاوة على هجومه الشديد على إيران في اليوم ذاته الذي اعترفت فيه الحكومة الإيرانية رسمياً بالجمهورية العراقية الجديدة. انظر أقوال العقيد رفعت الحاج سرّي والعقيد وصفي طاهر والرائد جاسم العزاوي في م ن، 249، 269 و279. تضمنت تعليقات عبد السلام عارف على الشؤون الداخلية أقوالاً مثل «من الآن فصاعداً لاتوجد قصور، لا بيوت فخمة، لا حكام ولا محكومين.» انظر عبد الرحمن البزّاز، العميد السابق لكلية الحقوق في العراق ومن الأصدقاء المقربين للمتهم (318). وفاقاً لأقوال الزعيم أحمد صالح العبدي، أصابت هجمات عبد السلام عارف على الأملاك علاوة على شعارات مثل «لا بيوت فخمة ولا ثلاجات» أغلبية المواطنين (374–75). وقال ضابط آخر، الرائد جاسم العزاوي، إن هجوم عبد السلام عارف الشديد ضد أصحاب الأراضي في خطاب في الكوت حضره الفلاحون عموماً قد أدى إلى حوادث خطيرة (277).

(3) من الزعماء السياسيين الذين اصطدم بهم عبد السلام عارف كامل الجادرجي من الحزب الوطني الديموقراطي اليساري وصديق شنشل من زعماء حزب الاستقلال اليميني، م ن، 437، 288–89. ويتضح مدى تسبب عبد السلام عارف في نفور بعض رفاقه الضباط من الأقوال التي أدلى بها بعضهم عنها. انظر أقوال العقيد ماهر (161–65) والعقيد أ. و. أمين (251–65) والعقيد عادل (391–95).

كان أخطر تصرفات عبد السلام عارف تأييده الصريح للوحدة الفورية مع الجمهورية العربية المتحدة وصلته الوثيقة بالبعثيين. أحدث موقفه، الذي رحب به دعاة الوحدة العربية الشاملة وهاجمه خصومهم بقوة، انقساماً عميقاً، وفاقم صراعاً على السلطة لم يكن لا هو ولا أتباعه على استعداد له.

أثبتت القوى التي تجمعت ضد عبد السلام عارف أنها أقوى من إمكان مواجهتها، بخاصة عندما قرر عبد الكريم قاسم التحرك ضد عبد السلام عارف واعتقله في 5 كانون الأول/ ديسمبر، عام 1958، وأحاله إلى محكمة المهداوي، في 27 كانون الأول/ ديسمبر، بتهمة محاولة اغتيال «الزعيم الأوحد» (عبد الكريم قاسم) في 11 تشرين الأول/ أكتوبر، عام 1958، والدعوة إلى تمرد في 4-5 كانون الأول/ ديسمبر، علاوة على تهم أخرى أقل خطورة. وبعد محاكمة مطولة مغلقة في 5 شباط/ فبراير، عام 1959، حكم عليه بالإعدام وطرد من القوات المسلحة. إلّا أن عبد الكريم قاسم أبقى قرار الحكم من دون تنفيذ، وبقي عبد السلام عارف طوال السنوات الثلاث التالية في السجن حتى إطلاق سراحه في خريف عام 1961 في أعقاب انفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة.[1] وجه سقوط عارف ضربة شديدة للجماعات البعثية والقومية الأخرى، وشكل انتصاراً واضحاً لدعاة الوحدة العراقية من الشيوعيين والحزب الوطني الديموقراطي والكرد. ومهما كانت مشاعر عبد الكريم قاسم نحو سقوط عبد السلام عارف،[2] فلا بد أنه سُرّ

---

(1) يمكن جمع معلومات ثمينة من وقائع محاكمة عبد السلام عارف، بخاصة من أقواله ومن أقوال شهود مختلفين. انظر وقائع محكمة المهداوي في م ن، وأماكن أخرى. للاطلاع على خلاصة عن سقوط عبد السلام عارف انظر مجيد خضوري، العراق الجمهوري (Majid Khadduri, *Republic of Iraq,* Oxford University Press, 1969, 92-98).

(2) يتضح من إفادات الشهود وما كرره عبد السلام عارف نفسه أنه وعبد الكريم قاسم صديقان حميمان. والحقيقة أن عبد السلام عارف أشار إلى عبد الكريم قاسم

بفرصة التخلص من شريك مثير للارتباك وضابط غير منضبط وخصم يتسم بالخطورة.

تلقي حكايتان ذكرتا في سياق محاكمة عبد السلام عارف بعض الضوء على موقفه من الكرد. الحكاية الأولى تتعلق بعودة ملّا مصطفى إلى العراق ورواها العقيد وصفي طاهر، العدو اللدود للعقيد عبد السلام عارف. فوفاقاً لوصفي طاهر، عندما كان عبد الكريم قاسم ووزير الإرشاد آنذاك صديق شنشل يضعان مسودة رد على برقية ملّا مصطفى التي طلب فيها العودة إلى العراق، علق عبد السلام عارف قائلاً: «أنظروا إلى ما يفعله هؤلاء! لو كان قد عهد إلي بمهمته لأبرقت كلمتين هما «إذهب بعيداً! إذهب بعيداً!»»[1]

كانت الحكاية الأخطر من هذه، إذا صدقت، سلوك عبد السلام عارف المزعوم نحو الشيخ أحمد بارزاني، الشقيق الأكبر للملّا مصطفى. وبالاستناد إلى شاهد في محاكمة عبد السلام عارف فقد كان هذا فظاً ومهيناً للشيخ أحمد عندما زاره الأخير لتهنئته بنجاح الثورة والتعبير عن شكره لإطلاق سراحه من السجن. يقال إن عبد السلام عارف أبلغ ضيفه ما معناه: «كن حذراً ولا تحدث أي قلاقل وإلّا سنعاقبك عقاباً شديداً.»[2] ويقال إن الشيخ أحمد بارزاني سخط سخطاً شديداً لهذا التأنيب غير المبرر.

= بوصفه أخوه الأكبر وحتى أبوه. جمهورية العراق، وزارة الدفاع، محكمة الشعب. عدة أماكن، م س رقم 352.

(1) م ن، 269.

(2) إفادة الرئيس سليم الفخري في م ن، 405-6. إلاّ أن الشاهد ذكر أنه لدى مناقشة المسألة مع عبد السلام عارف اعتذر هذا قائلاً إنه لم يكن ينوي إهانة الشيخ أحمد. كما أن عبد السلام عارف لم يعترض عندما اقترح الفخري السماح له بالتوجه إلى الشيخ أحمد وتقديم اعتذاره نيابة عن عبد السلام عارف م ن، 406. وفي دفاع عبد السلام عارف في نهاية محاكمته أوضح أنه نفى الزعم أنه حاول تهديد الزعيم الكردي أحمد البارزاني أو إهانته، م ن، 437.

وعند سقوط عبد السلام عارف ذكر أن ذلك له علاقة بمعارضته عودة ملّا مصطفى. لكنهما كانت صحة هذا التقرير فقد ازداد باستمرار النفوذ الكردي في ظل النظام الجديد بعد الإطاحة بعبد السلام عارف. وفي الواقع ارتبط الكرد على نحو متزايد بنظام عبد الكريم قاسم، وتولوا في مناسبتين على الأقل أداء دور حاسم في تمردين ضد هذا الأخير. وفي كلتا هاتين المناسبتين تبنى الكرد قضية مشتركة مع أنصار النظام وبخاصة الشيوعيين.

دور الكرد في انتفاضة الموصل

أثناء تمرد أفراد قبائل شمّر بزعامة العقيد العربي عبد الوهاب الشوّاف في ربيع عام 1959، فالأرجح أن الوحدات المسلحة القبلية، التي أرسلت على عجل لدعم وحدات الجيش الموالية لعبد الكريم قاسم والقوات الشعبية في الموصل هي التي أنقذت الموقف. لم يساعد التدخل الكردي وحده في دحر القوات المعادية في الموصل بل قطعت كل مساعدة خارجية، وشملت القوات الكردية ذات العلاقة، علاوة على المقاتلين البارزانيين، أفراد قبائل من منطقة العمادية بالإضافة إلى قبائل من عقرة وسنجار. ووفاقاً لصحفي عراقي بلغ عدد المقاتلين الكرد المشاركين أكثر من خمسة آلاف.[1] من ناحية أخرى، يبدو أن أفراد القبائل الإيزدية من سنجار الذين يمتد موطنهم عبر الطريق الرئيس إلى الحدود السورية ومضارب قبيلة شمّر، قد تولوا أداء دور مهم في محاصرة قوات عبد الوهاب الشوّاف.

بعد تمرد الموصل حصل الكرد واليساريون على الاعتراف بخدماتهم الجيدة من حكومة عبد الكريم قاسم وارتبطوا ارتباطاً وثيقاً بالنظام. وهكذا

(1) منير رزوق، مؤامرات عبد الناصر (دار البلاد للصحافة والنشر، عام 1959)، 26-27 (بالعربية مرجع 309). راجع اتحاد الشعب، 7 نيسان/ أبريل، عام 1959.

تولى الكرد البارزانيون علاوة على العناصر الكردية الأخرى التي ساندت عبد الكريم قاسم أداء دور مهم في قمع التمرد الخطير في برادوست في منطقة راوندوز.

انتفاضة برادوست في أيار | مايو، عام 1959

لم تفسر قطّ، وعلى نحو مناسب أسباب الانتفاضة الكردية في أيار/ مايو، عام 1959، في برادوست التابعة لإقليم راوندوز. وفي الوقت ذاته عندما كانت العمليات ضد المتمردين مستمرة كانت المعلومات الرسمية شحيحة، ولم ترغب الحكومة العراقية، لأسباب واضحة، في الإعلان عن نشوب تمرد في كردستان بينما كان الكرد يحيون بوصفهم من دعامات النظام الرئيسة. وحتى بعد انتهاء الثورة، لم تلق المصادر الرسمية والصحافة المحلية الكثير من الضوء على هذه الانتفاضة التي وصفت بأنها ثورة الزعماء القبليين بوحي من الاستعمار.[1] وعلى النقيض من ذلك، اعتبرتها الصحافة الأجنبية مجرد ثورة موجهة ضد النظام الثوري في العراق.[2]

كانت هذه الانتفاضة، شأنها شأن انتفاضة عرب شمّر في وقت ثورة عبد الوهاب الشوّاف في الموصل، رد فعل متأخراً للعناصر المحافظة والإقطاعية ضد ثورة تموز/ يوليه. ويبدو أن التمرد المفاجئ والعنف الذي رافقه قد شل موقتاً كل معارضي الثورة وحرمهم من إرادة التصرف في ذلك الوقت.

كان الأشخاص الرئيسون الثلاثة في انتفاضة عام 1959 وهم الشيخ رشيد لولان وصهره محمود خليفة صمد والشيخ محمد صديق، على صلة

(1) اتحاد الشعب، 18 و19 و20 أيار/ مايو، عام 1959.

(2) واشنطن إيفنينغ ستار، 1 حزيران/ يونيه، عام 1959.

وثيقة بالنظام القديم، وهكذا فإنهم لم يكونوا ميالين إلى النظام الجديد.[1] وبالإضافة إلى معارضتهم للنظام الثوري الجديد، كان الشيخ رشيد لولان وصهره عدوين لدودين للشيخ أحمد بارزاني وملّا مصطفى بارزاني. وكانت الصدامات المسلحة بين الشيخ رشيد لولان وبين البارزانيين من الأسباب الرئيسة لشن العمليات العسكرية ضد هؤلاء خلال عامي 1931-1932. وأثناء التمرد البارزاني في الفترة بين 1943-1945 وقف الشيخ رشيد ضد البارزانيين، وانضم إليه في ذلك الوقت محمود خليفة صمد.

كان الشيخ محمد صديق أصغر سناً من أن يلعب أي دور في أحداث 1931-1932. وفي العام 1943 تمكن الشيخ محمد صديق، الذي كان من أكثر شيوخ القبائل الكردية جاذبية، والذي على الرغم من كونه شاباً شغل مقعداً برلمانياً، من أن ينأى بنفسه عن النزاعات القبلية في المنطقة. وفي ربيع عام 1943 شاهدت محمد صديق مراراً في أربيل، وأتذكر جيداً انتقاده الحكومة لتزويد محمود خليفة بالمال لمحاربة البارزانيين. لقدكان في ذلك الوقت متعاطفاً للغاية مع ملّا مصطفى، وعلى خلاف شديد مع محمود خليفة صمد. وتشير المعطيات أنه قرر فيما بعد ربط مصيره بالشيخ رشيد ومحمود خليفة صمد إلى أنه حدث لديه تغير جذري.

لا شك أن للسلطة غير المسبوقة والسمعة التي تمتعت بها الأسرة البارزانية منذ عودة ملّا مصطفى من الاتحاد السوفياتي صلة بالتمرد. ولم يكن

(1) كان الشيخ رشيد لولان زعيماً مهماً من جماعة الدراويش النقشبندية ومقرهم في قرية لولان في منطقة راوندوز. وكان محمود خليفة صمد من زعماء قبائل برادوست. وعرف الشيخ محمد صديق بلقب «پوشو» (الحشيش الصغير) وهو الابن الأكبر لسعيد طه وحفيد الشيخ عبيد الله نهري. درس في طهران حيث كان أبوه منفياً وكان يتكلم الفارسية والعربية والإنكليزية بطلاقة علاوة على الكردية.

واضحاً إن كان لجوء الشيخ رشيد وصهره إلى حمل السلاح نتيجة الاستفزاز، أو أنهما فعلا ذلك كبادرة تحد ضد النظام الذي وقف إلى جانب أعدائهما وعمل على الإعلاء من شأنهم. وهكذا نشب التمرد المسلح على الرغم من حقيقة أن الاحتمالات جميعها كانت ضدهم على نحو كبير.

عمل المقاتلون البارزانيون مع الوحدات المسلحة القبلية التي نظمتها الجمعيات الفلاحية المشكلة حديثاً ضد المتمردين باسم «قوات المقاومة الشعبية» بالتعاون مع وحدات الجيش العراقي والقوة الجوية.[1] وسرعان ما دحر المتمردون إلّا أن زعماء التمرد يصاحبهم عدد من أتباعهم أفلحوا في الفرار عبر الحدود إلى إيران وتركيا. واجتاز الشيخ رشيد لولان نفسه مع بعض أفراد أسرته وعدة مئات من أنصاره الحدود إلى تركيا.[2]

انتهت بذلك انتفاضة الشيخ رشيد لولان، ونجح البارزانيون أقله في قلب الطاولة على خصومهم العنيدين. ولأول مرة في ثلاث معارك منفصلة جعلوا الحكومة تقف إلى جانبهم، وألحقوا بالشيخ رشيد لولان ما ألحقه بهم مرتين: الهزيمة والنفي.

وللمرة الثانية في أقل من ستة أشهر، قدم البارزانيون خدمة كبيرة للنظام القائم. فلو أن الشيخ لولان صمد ولو لأشهر قليلة، لكان قد وجه ضربة شديدة إلى فكرة التضامن الكردي-العربي، أحد أعمدة نظام عبد الكريم قاسم. لقد كان نجاح الشيخ رشيد لولان، علاوة على شق صفوف الكرد، يعني فقد عبد الكريم قاسم القدر الكبير من الدعم الكردي. وبسبب ذلك راح البارزانيون سريعاً يظهرون أن لهم أهمية كبيرة وأنه لا يمكن للنظام الاستغناء عنهم، كذلك يجب عدم إغفال دور اليساريين أثناء تمرد الشيخ رشيد لولان.

---

(1) اتحاد الشعب، 20 أيار/ مايو، عام 1959.

(2) واشنطن إيفنينغ ستار، 1 حزيران/ يونيه، عام 1959.

هنا، كما حدث في الموصل قبل ذلك، بذلوا قصارى جهودهم لدحر التمرد المناهض لعبد الكريم قاسم. وأكدت دعايتهم بعناية الأخوة الكردية – العربية وأوضحت أن تمرد الشيخ رشيد لولان لم يكن تمرداً كردياً ضد حكومة عبد الكريم قاسم بل كان تمرداً لشيوخ القبائل الرجعيين الإقطاعيين وآخرين من بقايا النظام السابق.

الاضطراب وأعمال العنف في كركوك

نشبت اضطرابات خطيرة في كركوك صيف عام 1959. وعندما انتشرت تفاصيل هذه الأحداث كشف النقاب عن ارتكاب أعمال وحشية فظيعة. أدان عبد الكريم قاسم بشدة أعمال العنف ومرتكبيها مصرحاً أن قسوة أحداث كركوك وبربريتها فاقت أي شيء ارتكبه هولاكو وجنكيز خان. ومضى إلى حد القول إنه حتى الإرهابيون الصهاينة في دير ياسين لم يظهروا قسوة شيطانية مثل قسوة العناصر التي تولت تنفيذ القانون في كركوك.[1]

وجه عبد الكريم قاسم، الذي كان منزعجاً انزعاجاً واضحاً عندما أدلى بتلك التصريحات، التهمة بأن النية كانت متجهة إلى ارتكاب حمامات دم مشابهة في أنحاء البلاد كافة. وأكد حقيقة أن لدى الحكومة أدلة ثابتة واسعة، وأنها كانت تنوي استخدام كل القوة التي في حوزتها لسحق المتآمرين.

وصفت المصادر الشيوعية نشوب أعمال العنف في كركوك بصراع بين أنصار النظام وبين العناصر الرجعية. غير أن المعلومات الأوسع لم تترك شكاً

(1) تعتبر مجزرة دير ياسين بمثابة ليديسه العربية. عندما يقارن زعيم عربي أي مجموعة مع الصهاينة وتشبيه أنشطتهم بأنشطة الصهاينة في قرية دير ياسين يعني ذلك استخدام أشد عبارات التوبيخ والإدانة.

أن الكراهية العنصرية والعداوات الشخصية لعبت دوراً أهم من الاعتبارات العقائدية. يبدو أن الكرد والشيوعيين قد تكاتفوا ضد التركمان في كركوك.

كان الكرد والشيوعيون قد حاولوا أن ينجزوا ما يفوق طاقتهم في كركوك، ومكنتهم الخدمات الجيدة التي قدمتها المجموعتان إلى نظام عبد الكريم قاسم، أثناء انتفاضة عبد الوهاب الشوّاف في الموصل وأثناء تمرد الشيخ رشيد لولان في منطقة راوندوز من الظهور كحراس وداعمين أقوياء للنظام الجمهوري. إلّا أن الشيوعيين، في أعقاب الأحداث العنيفة في كركوك التي اعتبروا مسؤولين عنها وإدانة عبد الكريم قاسم المريرة لها، قد عانوا من نكسة شديدة. وبدا أن الصدع بينهم وبين عبد الكريم قاسم أصبح وشيكاً، وبدا أنهم والكرد قد فقدوا موقعهم المتميّز. غير أن دسائس العناصر العروبية توجت بمحاولة اغتيال عبد الكريم قاسم التي أحدثت مصالحة تدريجية بين عبد الكريم قاسم والشيوعيين، وبدا أنها قللت إلى حد بعيد المرارة التي أحدثتها تجاوزاتهم في كركوك.

وعلى الرغم من شعور الكراهية نحو الكرد والشيوعيين، وقد اقترن مراراً بالأحداث المؤسفة في كركوك، لم تتأثر سمعة الزعماء البارزانيين الذين اهتموا، باعتبارهم لم يشاركوا في تلك الأحداث في حينه، بتبني موقف التحفظ وعدم التدخل فيما بعد.

المكاسب الكردية في ظل النظام الجديد

كانت المكاسب الكردية في العراق واسعة وعكست الأهمية التي أولاها النظام الجمهوري الجديد لهم. ويذكر أن هذه المكاسب كافة قد تضمنها الدستور الموقت، الذي اعترف بالكرد بوصفهم شركاء مع العرب ضمن إطار الوحدة العراقية. وكانت الروح التي نفذ بها هذا الاعتراف لافتة

شأنها شأن الاعتراف نفسه. وهكذا جدت فكرة الشراكة تعبيراً مهماً في الشعار الجديد للجمهورية العراقية حيث يشاهد السيف العربي إلى جانب الخنجر الكردي.[1]

يمكن قياس مركز الكرد بعد الثورة مباشرة بشكل أفضل وذلك ببحث المكاسب التي حققوها بشأن دورهم في الحكومة وحصتهم من مشاريع التنمية والخدمات الاجتماعية والحرية الثقافية التي منحت لهم لتطوير قومية منفصلة.

دور الكرد في الحكومة الجديدة

لم تختلف حصة الكرد عموماً من المراكز الحكومية في النظام الجديد كثيراً عما كانت عليه في السابق. إلّا أن مشاركتهم في الحكومة الجديدة أسست على قاعدة أوسع وأكثر حرية لسببين. الأول، اختلفت سياسة الدولة نحو الكرد على نحو جوهري عن سياسة النظام القديم لأنها عاملتهم بوصفهم شركاء وليس أقلية. ثانياً، أرغمت الظروف الخاصة بالعراق في أعقاب الثورة عبد الكريم قاسم ونظامه إلى السعي لنيل دعمهم، وهي حقيقة أضافت كثيراً إلى وزنهم في العراق.

كان أحد المناصب الأولى والأكثر أهمية على نحو رمزي التي منحت إلى كردي هو تعيين خالد النقشبندي عضواً في مجلس السيادة. ولا ريب أن هذا التعيين وضع الكرد، من بداية النظام الجديد على قدم المساواة مع

(1) ظهرت نسخة بالأسود والأبيض لشعار العراق الجديد مع وصف وشرح في مجلة مصورة بالعربية والإنكليزية صادرة عن وزارة الإرشاد. «شعار الجمهورية العراقية،» العراق الجديد (بغداد) 1 (تشرين الثاني/ نوفمبر، عام 1959): 4-5 (بالإنكليزية، مرجع 74).

المجموعتين العراقيتين الرئيستين الأخريين أي العرب السنة والشيعة. وأصبح الكرد يشغلون منصبين وزاريين هما وزارة المواصلات (حسن طالباني) ووزارة الأشغال والإسكان (عوني يوسف).[1] ويجب بيان أن تعيين الوزيرين كان متفقاً مع ممارسة راسخة. كان الكرد في ظل النظام القديم يشغلون كذلك منصباً وزارياً واحداً أو اثنين.[*]

في السلك الخارجي احتفظ الدبلوماسي المحترف الكردي علي حيدر سليمان بمرتبة سفير، وبدأ العمل سفيراً لدى الولايات المتحدة. وعين عصمت كتاني عضواً في المفوضية الدائمة للعراق في الأمم المتحدة وأعطي جلال جاف منصب قائم بالأعمال في بيجنغ (بكين). كما بدأ الكرد يتولون مناصب مهمة في مجالات التعليم والدين. وتولى الدكتور صديق الأتروشي، الكردي من دهوك، منصب مدير التعليم العام وهو المنصب الثاني في الأهمية بعد منصب وزير المعارف. وتولى شقيقه عبد الحميد الأتروشي منصب قاضي بغداد وهو أعلى منصب ديني بين السنة في العراق.[2]

كان الكرد ممثلين تمثيلاً جيداً في ثلاث مؤسسات قوية في النظام الجديد: قوات المقاومة الشعبية (منظمة شبه عسكرية لها فروع في أنحاء

(1) حسن طالباني عضو في الأسرة الطالبانية الشهيرة من الشيوخ في كركوك. وعوني يوسف كردي من أربيل يقال إنه من أقارب البارزانيين.

(*) عين بابا علي الشيخ محمود وزيراً للمواصلات والأشغال ود. محمد صالح محمود وزيراً للصحة أما حسن طالباني وعوني يوسف فقد عينا وزيرين في تعديل وزاري فيما بعد (ملاحظة من المترجم س. ج.).

(2) علي حيدر سليمان خريج الجامعة الأميركية في بيروت وكردي من راوندوز. ويقال إن عصمت كتاني قريب جداً من الشيوخ البارزانيين. جلال جاف من أفراد الأسرة الحاكمة في قبيلة جاف. الدكتور صديق الأتروشي خريج جامعة كلارك وعضو في أسرة بارزة في منطقة دهوك.

البلاد كافة) ومحكمة الشعب وهيئة الادعاء العام التي شكلت لمحاكمة رجال العهد القديم علاوة على محاكمة أعداء النظام الجمهوري. ترأس العقيد طه البامرني قوات المقاومة الشعبية وأصبح العقيد عبد الفتاح الشالي عضواً في محكمة الشعب، وعين المحامي عدنان باباجان عضواً في هيئة الادعاء التي ساعدت المدعي العام.

الخدمات الاجتماعية والتنمية الريفية

وفاقاً للسياسة المعلنة للنظام الجديد فقد شرع بتطبيق نظام تنمية اجتماعي واقتصادي مضاعف مصمم لرفع مستوى المعيشة والظروف المعاشية في أرجاء البلاد كافة، ومنح أولوية قصوى. وسعت مشاريع التنمية الريفية والخدمات الاجتماعية القائمة وتمت مضاعفتها. وقد شملت النتائج الرئيسة في كردستان حتى 14 تموز/ يوليه، عام 1959، ما يلي:

الإسكان. أكمل تشييد عدة مئات الوحدات السكنية الجديدة، وشرع بتشييد وحدات أخرى في السليمانية وسرجنار ودربندي خان وأربيل.[1]

الكهرباء. نصبت محطات لتوليد الطاقة الكهربائية أول مرة في مناطق معينة. ووسعت المنشآت القائمة في أماكن أخرى أو استبدلت بمنشآت جديدة. واستفادت زاخو وعقرة ودهوك وبنجوين ومخمور وقلعة دزه وكفري وحلبْچة وراوندوز وشقلاوة من هذا البرنامج.[2]

تجهيز المياه. وفرت مصادر جديدة لمياه الشفة للسكان في أنحاء مختلفة من كركوك وأربيل والسليمانية والموصل.[3]

(1) الجمهورية العراقية، اللجنة العليا للاتصالات. ثورة 14 تموز/يوليه، 210-13.

(2) م ن، 216-17

(3) م ن، 348.

الصحة. تقرر إنجاز تشييد مستشفى كامل التجهيز ويضم هيئة كاملة من العاملين قبل 14 تموز/يوليه، عام 1959، في زاخو. وشرع بوضع خطط لتأسيس مراكز لرعاية الأطفال والأمهات في السليمانية وكركوك وتشييد عيادة في السليمانية ومستشفى في الموصل لمعالجة أمراض الصدر. وخطط لتأسيس مصحتين للمصابين بالسل في أربيل والسليمانية.[1]

تخطيط المدن. أضيفت السليمانية وكركوك وأربيل إلى المدن التي تحصل على تغييرات واسعة وفاقاً لتخطيط المدن الحديث.[2]

مراكز الإنعاش الريفي. أسست مراكز للإنعاش الريفي في أربيل والموصل وكركوك لتحسين الظروف المعيشية في الريف.[3]

صناعة النسيج. بدأ العمل بتشييد مصانع نسيج في شهرزور والسليمانية وبناء وحدات إسكانية للعاملين في هذه المصانع.[4]

قدمت الحكومة الجديدة هذه المنافع إلى الكرد أو وعدتهم بها. تجدر الملاحظة أن العمل كان قد بدأ في بعض هذه المشاريع والتحسينات في ظل النظام القديم.

تشجيع الأنشطة الثقافية الكردية

الحرية الثقافية. من بين كل المكاسب الكردية في ظل النظام الجديد، كانت المكاسب الأكبر في المجال الثقافي وكانت الأكثر تشجيعاً لدى المثقفين الكرد. وفي الحقيقة إن مكاسبهم في هذا المجال مستمدة من

(1) م ن، 300-301.
(2) م ن، 230.
(3) م ن، 339.
(4) م ن، 355.

مكاسبهم في الحياة السياسية ومكملة لها. وأصبحوا، شأنهم شأن «شركائهم» العرب، أحراراً في تطوير ثقافتهم بوصفهم قومية مستقلة ومساوية.

امتلك الكرد حرية ثقافية في ظل النظام الملكي وكانوا أحراراً في استعمالها من دون معوقات ما داموا لم يتجاوزوا حدوداً مقررة معينة. إلّا أنه اعتبر المجال الذي امتزج وبزغ فيه المستوى الثقافي والمستوى السياسي مشكوكاً فيه، لعدم وضوح الخط الفاصل بين المستويين، خصوصاً وأن كل شيء أبعد من ذلك المجال كان محظوراً ولا يسمح بتجاوزه. وهكذا تغير كل ذلك بعد الثورة، وكان مدى حرية تصرف الكرد أكبر كثيراً، وكان في وسعهم الإعلان عن ثقافتهم ونزعتهم القومية كما لم يحدث من قبل، ولكن ليس بروح من العداء أو سوء النية.

التعليم. إن المبادرة الحكومية حتمية في الدول التي يكون فيها التعليم والمسائل المشابهة مسؤولية الدولة، ليس فقط لأنها ختمت بخاتمها الرسمي أي تعهد في هذا المجال، بل كذلك لأنها الطريقة الوحيدة لتنفيذ الأمور. واستجابة للرغبات الكردية، أنشأ النظام الجديد مديرية عامة جديدة للدراسة الكردية في وزارة المعارف وكلفها تلبية حاجات الكرد التعليمية.[1] وكما ذكر آنفاً عين كردي مديراً عاماً للتعليم.[2] وكان مؤشر آخر على ازدياد الاهتمام الرسمي بالثقافة الكردية تعيين الشاعر الكردي المشهور موسى حسن المعروف باسمه المستعار جيگرخوين،[3] أستاذاً للغة الكردية في جامعة بغداد.[4]

---

(1) م ن، 370-71.

(2) انظر في هذا الصدد المقابلة مع الدكتور صديق الأتروشي في صحيفة التقدم البغدادية، 30 تشرين الأول/ أكتوبر، عام 1959.

(3) جيكر خوين هو الشاعر الكردي السوري البارز.

(4) م ن.

البرامج الإذاعية الكردية. شكّلت زيادة الوقت المخصص للبرنامج الكردي في إذاعة بغداد من ساعتين إلى أربع ساعات تطوراً مهماً آخر في المجال الثقافي. وجاءت الزيادة في الوقت من أجل إضافة برنامج جديد باللهجة البهدينانية.[1] إن هذا التطور مثير للاهتمام ومهم لعدة أسباب. وكانت لهجة السليمانية التي بدأ قدر كبير من المؤلفات الأدبية الكردية بالظهور فيها هي اللهجة الكردية الوحيدة المعترف بها رسمياً سابقاً في العراق، واعتبرت الوسيلة المقبولة للتعبير في أرجاء كردستان العراق كافة. كانت هذه اللهجة وثيقة الصلة بالكردية الموكرية، وازداد تدريجاً استعمال الكرد الناطقين بالكردية الموكرية في فارس لهذه اللهجة.[2] وفي الواقع اعترف على نطاق واسع للغاية بتفوق لهجة السليمانية بحيث كانت الإذاعات الكردية من الاتحاد السوڤياتي تبث بتلك اللهجة.[3]

أكد الاعتراف باللهجة البهدينانية نفوذ ملّا مصطفى وسمعته وكانت مؤشراً على التحول في الزعامة الكردية في العراق من منطقة السليمانية، مركز شيوخ برزنجة إلى منطقة الموصل موطن الشيوخ البارزانيين. ومهما كان تبرير

---

(1) الجمهورية العراقية، اللجنة العليا للاتصالات، ثورة 14 تموز/يوليه، 257.

(2) يذكر إدموندس في هذا الشأن ما يلي: «على الرغم من أن الموكرية، لهجة كردستان الجنوبية، قد احتفظت بسمعة معينة فإنها لهجة السليمانية المتسمة بالحيوية والمرونة التي رسخت نفسها بوصفها الأداة القياسية للتعبير الأدبي ليس في العراق وحده بل كذلك في الجانب الفارسي من الحدود» إدموندس، الكرد والترك والعرب، 11، م س رقم 63. راجع إدموندس، «ببليوغرافيا اللغة الكردية الجنوبية، 1937-1944،» 187، م س رقم 59؛ وإدموندس، «ببليوغرافيا اللغة الكردية الجنوبية، 1920-1936،» 488، م س رقم 59.

(3) ذا ستيتسمان، 9 كانون الثاني/يناير، عام 1951.

هذا التحول، فقد كان بلا شك تعبيراً عن النزعة الكردية الخاصة وربما مؤشراً على رغبة الكرد البهدينانيين للتخلص من وصاية السليمانية، التي كانت طوال سنوات طويلة المركز الثقافي الكردي المعترف به في العراق.

من المثير للاهتمام التأمل في الاحتمالات المختلفة المتأصلة في استخدام الإذاعات للهجة البهدينانية. والسؤال المطروح هنا هو التالي: هل أن وضع اللهجة البهدينانية على قدم المساواة مع لهجة السليمانية، سيضعها بالنسبة إلى كردستان الشمالية العراقية كما كانت عليه لهجة السليمانية بالنسبة إلى كردستان الجنوبية العراقية؟ إن التمييز من هذا القبيل نكسة خطيرة لتطور القومية الكردية، التي عانت كثيراً في الماضي من الافتقار إلى لغة مشتركة.

جرى تبني لهجة السليمانية الكردية كأداة للتعبير الأدبي في أجزاء مهمة من كردستان العراقية والفارسية، لذا فإن إمكانية تبنيها بوصفها اللغة المختلطة المشتركة لجزء كبير من كردستان بدت واعدة. إلّا أن تأسيس لهجتين منفصلتين متساويتين في العراق يميل، بلا ريب، إلى إعاقة تعليم الجماهير الكردية في ذلك البلد. لذلك، تؤدي الازدواجية في مهمة تطوير لهجتين منفصلتين إلى أداتين واحدة أدبية وأخرى علمية إلى تضييع الكثير من الوقت والجهد.

كان لا بد أن يؤدي استخدام اللهجة البهدينانية في الإذاعة الكردية من بغداد إلى عواقب خارج العراق. خصوصاً وأن الكرد الترك شمالي الحدود العراقية والكرد السوريين في محافظة الجزيرة نحو الغرب يتكلمون لهجات قريبة للغاية من اللهجة البهدينانية في شمال العراق. ويعني ذلك أنه يمكن وصول إذاعة بغداد الكردية إلى كرد منطقتي بوتان وهكّاري في تركيا وكرد محافظة الجزيرة في سوريا، إلّا أنه لا يمكن الوصول إلى كرد إيران إلّا من خلال لهجة السليمانية.

موقف الكرد من نظام عبد الكريم قاسم

تحمس الكرد نحو النظام الجديد في العراق وبدوا موالين له، وفاقت الحقوق والامتيازات التي بدأوا بالتمتع بها توقعاتهم. ولهذا السبب بدأوا بإخلاص حقيقي الإشارة إلى جمهورية العراق بوصفها «جمهورية العرب والكرد.» كان الشعور أن النظام الجديد في العراق هو نظامهم بحيث إن كاتباً وبخ عبد الحميد السراج، الرجل السوري القوي الذي اشتهر بأنه من أصل كردي، كما شرع الكرد في أنحاء كردستان كافة على نحو متزايد التعبير عن دعمهم وتمسكهم بالنظام الجديد في العراق علاوة على عبد الكريم قاسم، الذي أشير إليه بأنه «زعيم العرب والكرد.»

من المثير للاهتمام ملاحظة أن محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم أدت إلى إجراءات تعاطف واحتجاج ليس فقط في كل أنحاء كردستان العراقية،[1] بل كذلك من كرد الدول المجاورة. ووردت إحدى هذه الرسائل المحالة من خلال «المناضل المشهور مصطفى بارزاني» من «المناضلين الكرد في كردستان الملحقة بإيران.»[2]

استحوذت عبارة «كردستان الملحقة بإيران» على الاهتمام، وبدأ الشيوعيون علاوة على الصحف الكردية العراقية في تداولها كثيراً. ليس واضحاً ما تضمنته هذه العبارة وما أنذرت به. وهل كان ذلك «كليشة» تتمتع بالرواج الموقت أم أن العراق يحضر لتولي أداء دور المطالب بالأراضي الكردية المجاورة؟ كانت هذه الإشارة التحريرية إلى كردستان الفارسية محيرة نوعاً ما.

---

(1) كان بين الرسائل المستلمة رسالة من الشيخ أحمد بارزاني (التقدم، 9 تشرين الأول/ أكتوبر، عام 1959)، ورسالة أخرى من الشيخ لطيف، ابن الشيخ محمود (خابات: النضال، 4 تشرين الثاني/ نوفمبر، عام 1959). كتبت كلتا الرسالتين باستعمال مصطلحات شيوعية قوية.

(2) م ن.

الخاتمة

ساد شعور عام بالقومية بين الكرد لفترة طويلة. وعلى الرغم من أن الكرد من أصل مختلط، فإنهم يشكلون قومية أثبتت حيويتها طوال العصور. لقد تحملوا هجمات شعوب أكثر عدداً وأكثر تطوراً مثل العرب والترك والفرس، وعلى الرغم من روابط مؤكدة مع العرب فقد أفلحوا في المحافظة على هويتهم المنفصلة، وأظهروا حيويتهم بالتوسع في الأقاليم الكردية علاوة على تكريد الشعوب المجاورة.

ونظراً لعدم وجود لهجة أو لغة واحدة تجمع الكرد كافة فإن الناطقين بلهجات ولغات مختلفة يعتبرون أنفسهم كرداً ويتصرّفون على هذا الأساس. وعلى الرغم من حقيقة أن هناك بين الكرد من هم شيعة اثنا عشرية وعلويون (قزلباش) وأهلي حق وكاكائية وإيزدية فإن أكثريتهم سنة من المذهب الشافعي.

يمكن تقسيم الكرد لغوياً إلى مجموعتين رئيستين. تضم المجموعة الأكبر الكرد الذين يتكلمون الكُرمانجية أو أياً من اللهجات ذات الصلة بها والذين هم، مع استثناءات قليلة (لا سيما الإيزديون) سنة شافعيون. تمثل هذه المجموعة الكرد بتميّز. وتتألف المجموعة الثانية من المجموعات التي تتكلم لهجة الديملي، ويوجد بينهم كرد دَرْسِيم، وهم يتكلمون لهجة الزازا ويتبعون عقيدة شيعية متطرفة، والجيوب التي يقطنها الناطقون الگورانية في العراق وإيران، مثل عقيدة أهلي حق، وسكان منطقة جبال هَوْرامان، الذين هم

سنة. وعلى الرغم من حقيقة أن المجموعة الأخيرة تختلف لغوياً ودينياً عن المجموعة الناطقة بالكُرمانجية فإنهم يؤمنون أنهم كرد ولا يعارض جيرانهم الكُرمانجيون هذا الاعتقاد.

وعلى الرغم من تكوين الكرد المتنافر، الذي تؤكده في بعض الحالات تقاليد قبلية مختلفة، فإنهم يعتقدون أنهم من أصل مشترك. وقد ادعى بعض العلماء الأوروبيين أن أصل الكرد يعود إلى الميديين، وهو ادعاء وجد قبولاً واسعاً بين الكتاب الكرد. وعلى الرغم من عدم اتفاق هذا الاعتقاد بالضرورة مع الحقائق (مع وجوب بيان الصعوبة الشديدة في البرهنة على أي من الرأيين)، فإن الفكرة التي يحملها أعضاء المجموعة هي المهمة. وفي هذا الصدد، تقدم بعض النزعات القومية العالية التطور نظيراً موازياً جيداً. ولم تعوق حقيقة وجود عناصر عرقية غير جرمانية بين البروسيين هؤلاء عن تولي دور قيادي في تأسيس الدولة القومية الألمانية.

ومن المثير للاهتمام ملاحظة أن مختلف الأسر الكردية قد تظاهرت أنها من أصل عربي، وتباهت بسلاسل نسبها العربية، وهي حقيقة لا ريب أنها بسبب السمعة الدينية التي تضفى على الأصل العربي بين الشعوب الإسلامية. إلّا أنه حتى من ادعوا ذلك بين الكرد لم يعتبروا أنفسهم سوى كرد. والشيخ محمود، الذي أقر بعض علماء الأنساب أنه من نسل النبي العربي محمد، وقد شكا في التماس موجه إلى الأمم المتحدة من وضعه تحت سيطرة حكومة عربية.

من بين العناصر المختلفة التي تدخل في تكوين القومية الكردية يتبيّن أن العنصر الأكثر أهمية هو التنظيم الاجتماعي والاقتصادي المشترك. فعلى الرغم من أن التوترات العرقية قد أسهمت في تكوين الشعب الكردي، وعلى الرغم من وجود درجات متباينة من الفروق في اللغة واللهجة بين المجموعات

المختلفة، هناك نوع معين من التنظيم الاجتماعي والاقتصادي يضم ما وصف بأنه «ثقافة جبلية» يشكل جامعاً مشتركاً بينهم جميعاً. هذه الثقافة الجبلية الفريدة نتاج قوى بيئية وجغرافية وتاريخية اجتمعت لتشكل الهيئة العامة للحياة والمؤسسات الكردية. وعموماً، أينما توجد هذه الثقافة الجبلية علاوة على الكُرمانجية أو الديملية أو، وفاقاً لبعض المختصين، الفروع اللُّورية لمجموعة اللغات الإيرانية، يعد الناس كرداً وتعد الأرض كردستان. يبدو هذان العنصران إذن المكونين الرئيسين للقومية الكردية.

يبدو أن الكرد واعون لهويتهم القومية المفصلة قبل سنوات كثيرة من تحول القومية الكردية إلى واقع. وقد أظهروا شعورهم بالتضامن والقرابة كلما أصبحوا على اتصال بغير الكرد أو كلما أصبحت جماعات مختلفة منهم على اتصال الواحدة بالأخرى. وتوجد بعض المظاهر الغريبة للميول القومية الكردية الموجودة بين بعض الطوائف الكردية المتنافرة التي ضعفت سيطرة الإسلام عليها. ويعتبر الإيزديون، الذين يتبعون عقيدة تبدو متصلة بالماضي الكردي البعيد، أنفسهم مرتبطين بقوة بالفكرة القومية الكردية؛ إنهم يبتهلون إلى الله في إحدى صلواتهم: «ارفع عرش كردستان عالياً في السماوات.» ومن الجدير بالملاحظة أن أتباع الإيزدية يعتقدون أن الله يتكلم اللغة الكردية، وتحدد طائفة أخرى هي طائفة أهلي حق، مشهد يوم القيامة في سهل شهرزور في كردستان الجنوبية.

تؤكد المناورات التي أدت إلى اختيار صلاح الدين الأيوبي لمنصب الوزير أن الكرد كانوا على وعي بنزعتهم القومية منذ القرن الثاني عشر. هذه الفكرة لم تكن غريبة عن ملّا إدريس، المستشار الكردي للسلطان سليم، الذي وطد في ذروة القوة التركية روابط الشراكة الكردية - التركية على نحو ضَمِنَ حفظ الحكم الذاتي الكردي.

وقد ألهم محمد پاشا في راوندوز كذلك بفكرة القومية الكردية عندما سعى إلى التفاهم مع إبراهيم پاشا في مصر بهدف الاستحواذ على الأقاليم الكردية في الإمبراطورية العثمانية، وحث الدافع ذاته أمير بدرخان عندما أعلن استقلاله ووسع هيمنته على الاتحاد الكردي الذي شكله. وكان الدافع القومي حتماً وراء حركة الشيخ عبيد الله؛ ولا ريب أن المشاعر القومية الكردية هي التي دفعت الشيخ عندما ذكر في رسالة موجهة إلى ممثلي الحكومة البريطانية، «نحن الكرد شعب منفصل.»

نما الوعي القومي الكردي، أثناء القرن التاسع عشر، على نحو سريع مع كل ثورة كردية جديدة. وعلى الرغم من أنها بدت أحياناً على نحو خادع مثل نزعات قومية أخرى، لم يصل الوعي القومي الكردي فعلياً إلى هذه المرحلة حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر، بخاصة بعد حركة الشيخ عبيد الله التي سرعت علاوة على التطورات والأحداث ضمن الدولة العثمانية وخارجها، ظهور النزعات القومية المتطرفة ونموها بين الكرد. وهكذا اكتسبت المشاعر القومية الكردية قوة دفع جديدة وأصبحت قوة سياسية ذات أهمية بالغة في شؤون الشرق الأوسط.

كان انتشار النزعة القومية المتطرفة بين الكرد حصيلة مشاركة المثقفين الفعالة في الأنشطة القومية على نحو كبير كردّ فعل ضد النزعات القومية الأرمنية والتركية والعربية والفارسية. ومنح ظهور صحافة قومية كردية وتأسيس أندية وجمعيات كردية دفعاً قوياً للأنشطة الثقافية والسياسية الكردية. وعلى الرغم من أن هذه الأنشطة كانت عشوائية وغير منسقة تنسيقاً جيداً في البداية فقد وضعت الأسس لتطور القومية الكردية إلى حركة جماهيرية في المستقبل.

تمثل الحرب العالمية الأولى وآثارها مرحلة مهمة في نمو النزعة الكردية

حيث تأثر مدى الشعور القومي بين الكرد تأثراً عميقاً بتأثير تلك التطورات المهمة مثل الإطاحة بالنظام القيصري ونشوب الثورة الروسية، واندحار الإمبراطوريات العثمانية والروسية والنمساوية-المجرية وتفككها، وسقوط سلالة آل عثمان وإلغاء الخلافة، علاوة على الأفكار الثورية التي حركتها هذه الأحداث، ونشر مبادئ ويلسُن بشأن حق تقرير المصير القومي.

بدا العرب في الحجاز وسوريا وأماكن أخرى في طريقهم نحو تحقيق طموحاتهم القومية. وبدا أن الأرمن على وشك الحصول على دولة خاصة بهم. وهذه المكاسب للرعايا العثمانيين السابقين بالإضافة إلى فراغ السلطة في كردستان الكردية والفارسية والعراقية بعد الحرب، عززت التوقعات القومية الكردية، لكن طموحات الكرد، التي لقيت الاعتراف إن لم يكن التنفيذ في معاهدة سيڤر، تلقّت ضربة شديدة بعد ثلاثة أعوام في مؤتمر لوزان.

ازداد قلق الكرد كثيراً، ولم يعد في الإمكان إدارته بسبب التأثير المتصاعد للحضارة الغربية في السنوات التي أعقبت الحرب، وهو تطور شعروا أنه يهدد بتقويض أسلوب حياتهم. وهكذا صممت الجماهير الكردية، بتشجيع من قادتها، على مقاومة هذا النفوذ. ونظراً لأن التمردات الكردية المختلفة في تركيا والعراق وإيران هي تعبيرات عنيفة عن الشعور القومي الكردي فقد نشبت دفاعاً عن طريقة الحياة الكردية. وزاد كذلك أثار توسيع السلطة الخارجية للحكومة المركزية إلى الأراضي الكردية، علاوة على العمليات الاقتصادية والتكنولوجية الجديدة وغير المألوفة للحضارة الحديثة، المقاومة الكردية، وزاد النزعة القومية الكردية حدّة.

أدت النزعة العدائية للقوميات التركية والفارسية والعربية الناشئة إلى مظالم ومخاوف جديدة لأنها، علاوة على جرح الكبرياء القومي الكردي،

هددت الهوية القومية الكردية بالفناء. وقد علق البروفسور وليم تومسن عام 1952 في حديثه عن محاولة تركيا نزع حرية الكرد وصهرهم قائلاً:

إلّا أن إيران لا تحقق النجاح ذاته في جهودها لنزع حرية الكرد وتنازل العراق لهم عن قدر من تقرير المصير. ومن الواضح تماماً أن زعماء تركيا وإيران قد نسوا، أو ربما لم يعتبروا في حالتهم درس تقسيم بولندا، الذي أثار أول مرة مسألة القومية، ولم يفكروا في أساس وجودهم وتبريره.[1]

أثناء الفترة ما بين الحربين العالميتين، قام الكرد بسلسلة من التمردات الخطيرة والدموية في تركيا والعراق وإيران. وعلى الرغم من حسن تنظيم بعض تلك التمردات وامتلاكها أهدافاً سياسية محددة جيداً فإنّ تمردات أخرى لم تكن سوى احتجاجات متسمة بالعنف ضد بعض الظلم الحقيقي أو المتخيل. ومهما كان السبب، بدا أن كل تمرد جديد ليس أكثر من ملء كأس المرارة الكردية. إلّا أن الكرد لم يبذلوا أي محاولة للقيام بعمل منسق. وبينما تحدث معظم الزعماء الكرد عن القومية الكردية فقد واصلوا الانشغال بمسائل ذات اهتمام محلي أو إقليمي. لكن مما لا شك فيه أنه كان لهذه الخصوصية تأثير مناهض لتأسيس منظمة كردية شاملة وجعل تنسيق الجهود الكردية أمراً مستحيلاً.

استمرت التمردات الكردية، على الرغم من حقيقة أنه كان واضحاً للكرد أنهم غير قادرين على دحر خصومهم من دون مساعدة. كانت فرصتهم الوحيدة في النجاح هي الحصول على المساعدة الخارجية، وكانت بريطانيا العظمى وفرنسا الدولتان الوحيدتان اللتان كان يمكن تلقي تلك المساعدة منهما. لم تتحقق تلك المساعدة، إلّا أن الدولتين أفلحتا في الاحتفاظ بصداقة الكرد

(1) وليم تومسُن، «النزعة القومية والإسلام» في القومية في الشرق الأوسط، 58 (بالإنكليزية، مرجع 257).

وثقتهم. وشرع الكرد المسؤولون في أواخر عقد الثلاثينيات في الاستسلام لفكرة أنه لا يمكن تحقيق المطامح القومية الكردية إلّا بنشوب صراع عالمي. ولا شك أن الكثيرين من الكرد شعروا أن نشوب الحرب العالمية الثانية سيمنحهم الفرصة التي كانوا ينتظرونها.

دفعت إعلانات الحلفاء في زمن الحرب وفحوى دعاياتهم آمال الكرد وقادتهم إلى توقع بحث مطالبهم القومية وربما تحقيقها على نحو جزئي. وفي الوقت ذاته، سعوا وحصلوا على تأكيدات بالصداقة والدعم السوڤياتيين. لكن سير الأحداث السريع بدأ في الكشف عن تدهور سريع في العلاقات الكردية بالغرب، من ناحية، وارتباط أوثق بالاتحاد السوڤياتي، من ناحية أخرى. لكن تناقض موقف هذا الأخير نحو الكرد تناقض تناقضاً شديداً في مناسبتين مع موقف الغرب. فقد وقف البريطانيون في وقت التمرد البارزاني في أعوام 1943-1945 إلى جانب الحكومة العراقية ضد المتمردين الكرد، ولدى قيام جمهورية مهاباد وسقوطها دعمت بريطانيا والولايات المتحدة الحكومة الإيرانية. وفي المناسبتين كلتيهما تبنى الاتحاد السوڤياتي موقفاً ودّياً نحو الكرد ومتعاطفاً معهم. وفي حالة مهاباد كانت هناك شكوك في أنه ساعد القوميين الكرد وشجعهم.

وأدى منح الاتحاد السوڤياتي حق اللجوء إلى ملّا مصطفى وأتباعه بعد انهيار جمهورية مهاباد، والدعم والتشجيع السوڤياتي المكشوف من قبله للمطامح القومية الكردية، الذي أعلن للكرد من خلال حملة صحفية وإذاعية مستمرة، علاوة على أنشطة الأحزاب المحلية، إلى اجتذاب الكرد على نحو أوثق إلى الاتحاد السوڤياتي.

لا يوجد شك في أن المسألة الكردية تثير الكثير من الجدال، وهي من أكثر المشكلات الخطيرة التي تواجه الشرق الأوسط حالياً. وقد شغلت،

بخاصة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، على نحو متزايد اهتمام الحكومات المعنية علاوة على دارسي قضايا وشؤون الشرق الأوسط. وكونه يعتبرها مشكلة جوهرية فإن العلامة البريطاني مالكولم بُرّ (Malcolm Burr) يرى أنها مشكلة تكيف لشعب ذي ثقافة جبلية مع العالم الحديث. وفي وقت سار النظام الاجتماعي والاقتصادي الكردي القديم نحو الانهيار، كان لا بد من إيجاد طريقة لاستقرار الكرد واستيعابهم في الاقتصاد الحديث. وفاقاً لبُرّ، تمثل التمردات الكردية وقفة رجال شجعان وبدائيين ضد هجوم قوى دخيلة وغير مألوفة.[1]

من جهته اعتبر مورغان فيليبس پرايس (Morgan Phillips Price)، الصحفي البريطاني والعضو البرلماني عن حزب العمال في منتصف عقد الأربعينيات، أنّ المشكلة الكردية هي على نحو رئيسي مشكلة اجتماعية واقتصادية اعتقد أنها جزء من المشكلة العادية للشرق الأوسط. وفاقاً له، «كان الناس الذين تعاملوا مع المشكلة بنجاح... هم الروس، الذين لم يتعاملوا معها بوصفها مشكلة عسكرية تخللتها حملات عقابية بل مشكلة اقتصادية متعلقة بفقر القبائل.» وفي رأيه أنه على الرغم من أن معاقبة قطاع الطريق كانت ضرورية أحياناً إلّا أنها عديمة الفائدة كسياسة ونهج.[2]

كما أن هـ. م. بيرتن (H. M. Burton)، الضابط السياسي السابق في العراق، اعتقد في منتصف عقد الأربعينيات أن التجريد من أسلوب الحياة القبلية بين الكرد كان خاطئاً، وكان ضرورياً إيجاد خطة سلمية لاستقرارهم.

---

(1) بُرّ، 289-92، م س رقم 36.

(2) م. ف. پرايس، «عن الانتفاضة الكردية في فارس،» رسالة إلى المحرر، التايمز (لندن)، 24 نيسان/ أبريل، عام 1946 (بالإنكليزية، مرجع 207).

وأكد بيرتن أن المفتاح إلى الاستقرار تمثل في تطوير الاتصالات ونشر التعليم.[1]

وفاقاً للعقيد و. غ. إلفنستُن، يمكن لاتحاد شرق أوسطي مؤلف من الدول التي يسكن فيها الكرد المساهمة في حل المشكلة الكردية. ودعا إلى اتحاد جمركي وتوحيد إصدار الجوازات لإزالة القيود الحدودية على انتقال الكرد بين دولة وأخرى، وتمكينهم من المشاركة في المنافع الاقتصادية الناتجة. وعبر إلفنستُن عن شكوك جدية بشأن جدوى دولة قومية كردية، واعتبر أن الحواجز الجغرافية تجعل الدولة الكردية غير سليمة اقتصادياً.[2]

أكد كل هؤلاء الكتاب الجوانب الاجتماعية والاقتصادية للمسألة الكردية. لكن على الرغم من أهمية هذه العوامل يجب عدم نسيان أن النزعة القومية، التي تكمن في جوهر المسألة الكردية، ذات طبيعة سياسية ونفسية. ويجب أن يأخذ أي حل مناسب للمشكلة الكردية العوامل السياسية والنفسية في الاعتبار.

لقد حث بيير روندو، أحد المتخصصين الأكثر اطلاعاً على الشؤون الكردية، الغرب مراراً، بخاصة الولايات المتحدة، على اتخاذ زمام القيادة في فعل شيء للكرد. ومضى إلى حد القول إن الدول الغربية عموماً وبخاصة بريطانيا قد أخضعت سياساتها الكردية إلى سياساتها العربية.[3]

أدت ثورة عام 1958 في العراق، التي نقلت الكرد والشيوعيين إلى المقدمة في ذلك البلد، إلى نشوء مسألة مهمة: هل سيستخدم العراق كقاعدة

(1) هـ. م. بِرتُن، «الكرد،» مجلة الجمعية الآسيوية المركزية الملكية 31، القسم 1، كانون الثاني/ يناير (1944، 64-73 (بالإنكليزية، مرجع 307).

(2) إلفنستُن، «الكرد والمسألة الكردية،» 47-49، م س رقم 72.

(3) روندو، «الأمة الكردية،» 55-59 (بالإنكليزية، مرجع 223).

لحركة قومية كردية نشيطة؟ وإذا كان الأمر كذلك، هل كانت الشيوعية ستعطي مسحة إلى الحركة الكردية؛ لقد اعتمد الكثير على موقف الغرب علاوة على موقف تركيا وإيران.

تبرر المواد التي استخدمت في هذه الدراسة، كذلك الاستنتاجات، أن الكرد يشكلون قومية واضحة، وأن لديهم وعياً قوياً بالقومية الكردية، وأن لحركتم القومية جذوراً عميقة في القناعات والمطامح، وأن حركتهم نابعة من نزعتهم القومية. ويميل العامل التقسيمي للولاءات القبلية إلى لعب دور التقليل على نحو مستمر بسبب تأثير الحضارة الحديثة، التي تتولى تغيير المشكلات الثقافية في الشرق الأوسط برمته.

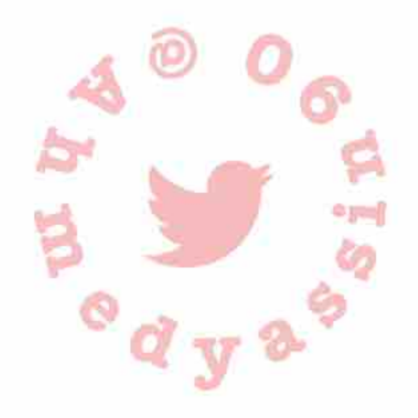
يتشاطر الكرد مع أقليات أخرى تحت السيطرة الأجنبية المطامح ذاتها لنيل الحرية وتقرير مستقبلهم السياسي. وسيكون رد فعل الترك والإيرانيين والعرب نحو المطامح الكردية مهماً إلّا أن نجاح الكرد أو فشلهم في تحقيق أهدافهم سيعتمد عموماً على الوضع الدولي في جزئهم من العالم.

وكما في مناطق أخرى، سيكون العامل الحاسم هو سياسات الدول المهيمنة على العالم، التي إما أن تشجع الطموحات القومية الكردية وإما تقف بمعزل عنها. ولن يستطيع أحد التنبؤ بما ستكون عليه هذه السياسات في المستقبل.

حاولت هذه الدراسة الربط بين المشكلة الكردية وبين السياسات السابقة، ليس للدول التي يقطن فيها الكرد فحسب، بل كذلك سياسات الدول العظمى بهدف إظهار أنه لا يمكن لدولة رئيسة معنية بالشرق الأوسط تجاهل المشكلة الكردية أو تجنب صوغ سياسة كردية كجزء من سياستها الشرق أوسطية الكلية.

الملحق

المراجع


@Ahmedyassin90

الملحق

معاهدة سيڤر، القسم 3: كردستان

المادة 62

تتخذ هيئة مقرها في إسطنبول مؤلفة من ثلاثة أعضاء تعينهم حكومات كل من بريطانيا وفرنسا وإيطاليا التحضير، أثناء الأشهر الستة الأولى التي تعقب تنفيذ هذه الاتفاقية، لوضع خطة لمنح حكم محلي للمناطق التي تسكنها أغلبية من الكرد والتي تقع إلى شرق نهر الفرات وإلى جنوب الحدود الأرمينية التي ستحدد فيما بعد، وإلى شمال الحدود بين تركيا وسوريا وبلاد ما بين النهرين، وعلى النحو المحدد في المادة 27 من القسم الثاني (2 و3)، وفي حالة عدم توافر إجماع في الآراء بصدد أي قضية، يعود أعضاء الهيئة المذكورة كل إلى حكومته. يجب أن توفر الخطة ضمانة كاملة لحماية الآشوريين والكلدان والجماعات العرقية أو الدينية الأخرى في المنطقة. ولهذا الغرض ستزور المنطقة هيئة مؤلفة من ممثلي بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وفارس والكرد لكي تتولى تحديد أي تعديل، فإذا وجد، يجب إدخاله على الحدود التركية أينما تلتقي مع الحدود الفارسية وذلك على النحو الموضح في هذه المعاهدة.

المادة 63

توافق الحكومة العثمانية من الآن على قبول وتنفيذ القرارات التي تتخذها الهيئتان المقرر تشكيلهما في المادة 62 أعلاه خلال ثلاثة أشهر من تاريخ إخطارها بتنفيذ تلك القرارات.

المادة 64

إذا طلب السكان الكرد في المناطق المحددة في المادة 62 في غضون سنة واحدة من تاريخ تنفيذ هذه المعاهدة من مجلس عصبة الأمم، وأعربت أغلبية سكان تلك المناطق عن رغبتها في الاستقلال عن تركيا، وإذا ارتأى المجلس أن هؤلاء السكان مؤهلون للاستقلال وأوصى بمنحهم إياه، توافق تركيا على قبول هذه التوصية، وتتنازل عن كل حقوقها وامتيازاتها في تلك المنطقة.

وستكون تفاصيل هذا التنازل موضوعاً لاتفاقية خاصة تعقد بين تركيا والدول الحليفة الكبرى.

وإذا تم التنازل، لن تعترض الدول الحليفة إذا سعى الكرد الذين يقطنون في ذلك الجزء من كردستان الذي يقع حالياً ضمن ولاية الموصل لأن يصبحوا مواطنين في الدولة الكردية المستقلة حديثاً.

بيان من المفوض السامي، 6 أيار | مايو، 1921

نشر المستشارون في مناطق الموصل وكركوك والسليمانية البيان التالي الصادر عن المفوض السامي في 6 أيار/ مايو، 1921:

«يبحث المفوض السامي، بدقة، الترتيبات الإدارية الواجب اتخاذها لمستقبل المناطق الكردية في العراق. وقد عرض عليه وجود هواجس من أن

المصالح الكردية قد تعاني إذا ما تمّ إخضاعها إلى الحكومة الوطنية المؤسسة في بغداد، وأنه لهذا السبب، هناك بعض المطالبة بنظام الحكم الذاتي.

«في الوقت ذاته، يفهم أن زعماء الرأي الكردي يدركون تماماً الصلات الاقتصادية والصناعية التي تربط مناطقهم مع العراق، والصعوبات التي قد ينطوي عليها الانفصال. وفي هذه الظروف يرغب سعادته، إن أمكن، الحصول على مؤشر على الرغبات الحقيقية للمجموعات الكردية؛ وإذا كانت تفضل البقاء تحت سلطة الحكومة العراقية فإنه مستعد لتوصية مجلس الدولة بتبني حل وفق الأسس التالية:

'أولاً - فيما يتعلق بالمناطق الكردية التابعة للموصل التي تقع ضمن مجال الانتداب البريطاني، يجب تشكيل وحدة إدارية أصغر من لواء تضم زاخو وعقرة ودهوك وعمادية ومقرها في دهوك وتدار هذه الوحدة من قبل مساعد متصرف بريطاني. ويجب أن يكون من يشغلون منصب «قائمقام» في الوقت الحاضر ضباطاً بريطانيين، ويحل محلهم كرد أو عرب يتكلمون الكردية مقبولون للكرد حالما يتوافر كرد أو عرب يتكلمون الكردية. وتتبع هذه الوحدة الإداريـة الأصغر من لواء، عموماً، في كل القضايا المالية والقضائية الحكومة الوطنية في بغداد، وترسل، هذه الوحدة، طبعاً ممثلين إلى المجلس التأسيسي، إلّا أنه لأغراض الإدارة العامة يخاطب القائمقامون مساعد المتصرف بينما يصدر سعادة المفوض السامي التعيينات الإدارية بالتشاور مع السلطات المحلية.

'ثانياً- سيسعى المفوض السامي إلى ترتيب ربط الموظفين البريطانيين مع إدارة أربيل علاوة على كويسنجق وراوندوز ويضمن الأخذ في الاعتبار رغبات الناس في تعيين الموظفين الحكوميين. ويجب وضع التفاصيل حالما يسمح الوضع.

'ثالثاً- تعامل السليمانية بوصفها متصرفية يديرها متصرف يعينه المفوض السامي ويلحق به مستشار بريطاني. ولحين تعيين المتصرف يتولى ضابط سياسي بريطاني العمل بوصفه متصرفاً.

'يمنح المتصرف والمجلس الصلاحيات، بما فيها حق الالتماس من المفوض السامي، كما يقرره هذا الأخير، بعد التشاور مع المتصرف في المجلس، من ناحية، ومجلس الدولة، من ناحية أخرى.

'يجب أن يكون القائمقامون بريطانيين على أن يستبدلوا بكرد حالما يتوافر أشخاص مناسبون.'»

المراجع باللغات الأجنبية

Publications in Western Languages:

1- Adeney, W. F. «Publican:» In *A Dictionary of the Bible,* 8th ed., edited by James Hastings, 4: 172-73. New York: Scribner's Sons, 1906.

2- Ainsworth, William. «Notes Taken on a Journey from Constantinople to Mosul, in 1839-1840.» *Journal of the Royal Geographical Society* 10 (1841): 498-529.

3- ——. *Travels and Researches in Asia Minor, Mesopotamia, Chaldea, and Armenia.* Vol.1. London: John W. Parker, 1842.

4- Allen, W. E. D., and Paul Muratoff. *Caucasian Battlefields: A History of the Wars on the Turco-Caucasian Border, 1828-1921.* Cambridge: Cambridge Univ. Press, 1953.

5- Amedroz, H. F. «The Marwanid Dynasty at Mayyafariqin in the 10th and 11th Centuries.» *Journal of the Royal Asiatic Society* (Jan. 1903): 123-54.

6- A. N. O. «Nationalism in Iraq.» *The World Today* 5, no. 1 (Jan. 1949): 5-18.

7- Arakelian, H. «Les Kurdes en Perse.», In *Verhandlungen des XIII Internationalen Orientalisten Kongresses—Hamburg, September 1902,* 148-50. Leiden: E. J. Brill, 1904.

8- Armstrong, H. C. *Grey Wolf, Mustafa Kemal: An Intimate Study of a Dictator.* London: A. Barker, 1932.

9- Arnold, T. W. «Khalifa.» In *E. J. Brill's First Encyclopaedia of Islam,* 1st ed., 4:881-85. Leiden: E. J. Brill, 1913-36.

10- «Ashshar.» In *Concordance et indices de la tradition Musulmane,* edited by A. J. Wensinck, 4:172-73. 1933. Reprint. Leiden: E. J. Brill, 1938.

11- Atamian, Sarkis. *The Armenian Community: The Historical Development of a Social and Ideological Conflict.* New York: Philosophical Library, 1955.

12- Averianov. *Kurdi v Voinakh Russi.* Tiflis: n.p., 1900. (Not available in the United States.)

13- «Axis Propagandists in Turkey—Incitement of Kurds.» *Times* (London), Apr. 29, 1942.

14- «The Background of Russo-Turkish Relations.» *The World Today* 2, no. 2 (Feb. 1946): 57-59.

15- Badger, George Percy. *The Nestorians and Their Rituals, with the Narrative of a Mission to Mesopotamia and Coordistan in* 1842–1844, *and of a Late Visit to Those Countries in 1850. 2* vols. London: J. Masters, 1852.

16- Balfour, Patrick (Lord Kinross). *Within the Taurus: A Journey in Asiatic Turkey.* London: John Murray, 1954.

17- Banse, Ewald. *Auf den Spuren der Bagdadbahn* (On the Trail of the Baghdad Railway). Weimar: A. Duncker, 1913.

18- Bar Hebraeus. *The Chronography of Gregory 'Abu al-Faruj, the Son of Aaron, the Hebrew Physician,Commonly Known as Bar Hebraeus.* Vol. 1. Translated from Syriac by Ernest A. Wallis Budge. London: Oxford Univ. Press, H. Milford, 1932.

19- Barth, Fredrik. *Principles of Social Organization in Southern Kurdistan.* Universitets Etnografiske Museum Bulletin no. 7. Oslo: BrØdrene JØrgensen, 1953.

20- Barton, Sir William. *India's North-West Frontier.* London: J. Murray, 1939.

21- Bedir Khan, Kamuran. «The Kurdish Problem.» *Journal of the Royal Central Asian Society* 36, parts 3 and 4 (July-Oct. 1949): 237-48.

22- Bedir Khan, Sureya. *The Case of Kurdistan Against Turkey.* Philadelphia: Kurdish Independence League, 1927.

23- Bell, Gertrude Lowthian. *Amurath to Amurath.* 2d ed. London: Macmillan, 1924.

24- Binder, Henry. *Au Kurdistan en Mésopotamie et en Perse, mission scientifique du Ministère de l'Instruction Publique.* Paris: Maison Quantin, 1887.

25- Birge, John Kingsley. *The Bektashi Order of Dervishes.* London: Luzac, 1937.

26- Bjorkman, W. «Maks.» In *E. J. Brill's First Encyclopaedia of Islam.* 1st ed., 5:176-77. Leiden: E. J. Brill, 1913-36.

27- Bois, Thomas. *L'âme des Kurdes à la lumière de leur folklore.* Beirut: n. p., 1946.

28- ——. «Coup d'œil sur la littérature Kurde.» *Revue al-Mashriq* (Beirut) 49 (Mar.-Apr. 1955): 201-39.

29- Brant, J. «Notes of a Journey Through a Part of Kurdistan, in the Summer of 1838.» *Journal of the Royal Geographical Society* 10 (1841): 341-434.

30- Brown; John P. *The Darvishes: Or, Oriental Spiritualism.* London: H. Milford, 1927.

31- Browne, Edward Granville. *A Literary History of Persia.* New York: Charles Scribner's Sons, 1902.

32- ——. *The Persian Revolution of 1905-1909.* Cambridge: Cambridge Univ. Press, 1910.

33- ——. *A Year Amongst the Persians: Impressions as to the Life, Character, & Thought of the People of Persia.* 3rd ed. London: A. and C. Black, 1950.

34- Bruce, Richard Isaac. *The Forward Policy and Its Results; or, Thirty-five Years' Work Amongst the Tribes on Our North-Western Frontier of India.* London: Longmans, Green, 1900.

35- Buhl, Frants. «Miskin.» In *E. J. Brill's First Encyclopaedia of Islam,* 1st ed., 5:520. Leiden: J. Brill, 1913-36.

36- Burr, Malcolm. «A Note on the Kurds.» *Journal of the Royal Central Asian Society* 33, parts 3 and 4 (July-Oct. 1946): 289-92.

37- Burton, H. M. «The Kurds.» *Journal of the Royal Central Asian Society* 31, part 1 (Jan. 1944): 64-73.

38- Cahen, Claude. «Ayyubids.» In *Encyclopaedia of Islam, New Edition,* 1:796-807. Leiden: E. J. Brill, 1954-2003.

39- Chirguh, Bletch. *La question Kurde: Ses origines et ses causes.* Cairo: Paul Barhey, 1930.

40- Clair, Maurice. «An Interview with the Emir Badir Khan.» *al-Sha'b,* Dec. 17, 1951.

41- Clayton, E. «The Mountains of Kurdistan.» *Alpine Journal* 22, no. 97 (Aug. 1887): 293-300.

42- Coan, Frederick G. *Yesterdays in Persia and Kurdistan.* Claremont, Calif.: Saunders Studio Press, 1939.

43- Cressey, George Babcock. *Asia's Lands and Peoples: A Geography of One-Third the Earth and TwoThirds Its People.* New York: McGraw-Hill, 1951.

44- Cuinet, Vital. *La Turqie d'Asie, géographie administrative, statistique, descriptive et raisonnée de chaque province de l'Asie-Mineure.* Vol. 2. Paris: E. Leroux, 1891.

45- Curzon, George N. *Persia and the Persian Question.* Vol. 1. London: Longmans, Green, 1892.

46- Davies, C. Collin. «The North-West Frontier, 1843-1918.» In *The Cambridge History of the British Empire,* vol. 5: *The Indian Empire,* 1858-1918, 448-75. New York: J. Macmillan, 1929.

47- ——. *The Problem of the North-West Frontier, 1890--1908, With a Survey of Policy Since 1849.* Cambridge: Cambridge Univ. Press, 1932.

48- Dawes, Rufus R., compo *A* History *of the Establishment of Diplomatic Relations with Persia.* Marietta, Ohio: E. R. Alderman and Sons, 1887.

49- Demorgny, Gustave. *La question persane et La guerre, la rivalité anglo-russe en Perse.* Paris: 1. Tenin, 1916.

50- Dickson, Bertram. «Journeys in Kurdistan.» *Geographical Journal* 35, no. 4 (Apr. 1910): 357-78.

51- Dirr, A. «Gulistan.» In *E. J. Brill's First Encyclopaedia of Islam,* 1st ed., 3: 182. Leiden: E. J. Brill, 1913-36.

52- Djemal (Ahmad) Pasha. *Memories of a Turkish Statesman,* 1913-1919. London: Hutchinson, 1922.

53- Douglas, William O. *Strange Lands and Friendly People.* New York: Harper and Bros., 1951.

54- Driver, G. R. «The Kurdish Question.» *Persia Magazine* (London) 1, no. 3 (Sept. 1921): 107-17.

55- ——. «The Name Kurd and Its Philological Connexions.» *Journal of the Royal Asiatic Society* 10 (July 1923): 393-403.

56- ——. «Studies in Kurdish History.» *Bulletin of the School of Oriental Studies* 2, no. 3 (1922): 491-511.

57- ——. compo *Kurdistan and the Kurds.* London: Royal Anthropological Institute, 1919.

58- Edmonds, C. J. «A Bibliography of Southern Kurdish, 1920-1936.» *Journal of the Royal Central Asian Society* 24 (July 1937): 487-97.

59- ——. «A Bibliography of Southern Kurdish, 1937-1944.» *Journal of the Royal Central Asian Society* 32 (Apr. 1945): 185-91.

60- ——. «A Kurdish Newspaper: 'Rozh-i Kurdistan.'» *Journal of the Central Asian Society* 12, part 1 (Jan. 1925): 83-90.

61- ——. «The Kurds and the Revolution in Iraq.» *Middle East Journal* 13, no. 1 (winter 1959): 1-10.

62- ——. «The Kurds of Iraq.» *Middle East Journal* 11, no. 1 (winter 1957): 52-62.

63- ——. *Kurds, Turks, and Arabs: Politics, Travel, and Research in North-Eastern Iraq, 1919-1925.* London: Oxford Univ. Press, 1957.

64- ——. «Middle East Focus on the Kurds.» *Daily Telegraph* (London), July 22, 1958.

65- ——. «The Place Names of the Avroman Parchments.» *Bulletin of the School of Oriental and African Studies* 14, no. 3 (1952): 478-82.

66- ——. «Soane at Halabja: An Echo.» *Journal of the Royal Central Asian Society* 23 (Oct. 1936): 622-25.

67- Elliot, Sir Henry, and Gertrude Elliot. *Some Revolutions and Other Diplomatic Experiences.* London: J. Murray, 1922.

68- Ellis, William T. *The Yankee Cadi: Being an Account of the Services Performed in Persia by William A. Shedd during and before the Great War.* Privately reprinted from *The Century* (Feb. 1919).

69- [Elphinston, W. G.] «The Azizan or the Princes of Bohtan.» *Journal of the Royal Central Asian Society* 36, parts 3-4 (July-Oct. 1949): 249-51.

70- Elphinston, W. G. «In Memoriam: The Emir Jaladet Aali Bedr Khan.» *Journal of the Royal Central Asian Society* 39, part 1 (Jan. 1952): 91-94.

71- ——. «The Kurdish Question.» *International Affairs* (London) 22, no. 1 (Jan. 1946): 91-103.

72- ——. «Kurds and the Kurdish Question.» *Journal of the Royal Central Asian Society* 35, part 1(Jan.1948): 38-51.

73- Elwell-Sutton, L. P. «Political Parties in Iran.» *Middle East Journal* 3, no. I (Jan. 1949): 45-62.

74- «The Emblem of the Republic of Iraq.» *New Iraq* (Baghdad), no. 1 (Nov. 1959): 4-5.

75- Epstein, Eliahu. «Al-Jazireh.» *Journal of the Royal Central Asian Society* 27, part 1 (Jan. 1940): 68-82.

76- « Euphrates.» In *Encyclopaedia Britannica,* 11th ed. (1910-11), 94-98.

77- «An Explanation from the Society of the Kurdish Students in Europe,» *Khabat,* no. 83 (Oct. 1959): n.p.

78- Feltoe, C. 1.«Publican.» In *A Dictionary of Christ and the Gospels,* edited by James Hastings, 2:455. New York: Charles Scribner's Sons, 1917.

79- Ferro, Maurice. «La Republique Autonome Kurde d'Azerbaidjan.» *Le Monde,* May 8, 1946.

80- Fesch, Paul. *Constantinople aux derniers jours d''Abdul-Hamid.* Paris: M. Rivière, 1907.

81- Fischer, Louis. *The Soviets in World Affairs: A History of the Relations Between the Soviet Union and the Rest of the World.* 2 vols. New York: Vintage Books, 1960.

82- Fisher, William Bayne. *The Middle East: A Physical, Social, and Regional Geography.* London: Methuen, 1950.

83- Fraser, James Baillie. *Travels in Koordistan, Mesopotamia, & c. Including an Account of Parts of Those Countries Hitherto Unvisited by Europeans: With Sketches of the Character and Manners of the Koordish and Arab Tribes.* Vol. 2. London: Richard Bentley, 1840.

84- ——. *A Winter's Journey (Tatar) from Constantinople to Teheran, with Travels Through Various Parts of Persia & c.* Vol. 1. London: R. Bentley, 1838.

85- Frodin, John. «La morphologie de la Turquie sud-est.» *Geografiska Annaler (Stockholm) 19* (1937): 1-28.

86- Fyzee, As'ad 'Ali Asgar. *Outlines of Muhammadan Law.* Calcutta: Oxford Univ. Press, 1949.

87- Gentizon, P. «L'insurrection Kurde.» *Revue de Paris* 32, no. 20 (Oct. IS, 1925): 834-56.

88- Ghilan, G. «Les Kurdes persans et l'invasion Ottomane.» *Revue du Monde Musulman* 5, no. 5 (May 1908): 1-22.

89- Gibb, H. A. R. «The Armies of Saladin.» *Cahiers d'Histoire Egyptienne* (Cairo) 3 (May 1951): 304-20.

90- ——. *Modern Trends in Islam.* Chicago: Univ. of Chicago Press, 1947.

91- Grant, Ashahel. *The Nestorians: Or, The Lost Tribes: Containing Evidence of Their Identity; An Account of Their Manners, Customs, and Ceremonies; Together with Sketches of Travel in Central Assyria, Armenia, Media, and Mesopotamia; and Illustrations of Scripture Prophecy.* London: J. Murray, 1841.

92- Greene, F. V. *The Russian Army and Its Campaigns in Turkey in* 1877-1878. New York: D. Appleton, 1879.

93- H. A. «L'hospitalité Kurde.» *Hawar* 1 (Aug. 8, 1932): 7-8.

94- Haldane, Sir James Aylmer Lowthrop. *The Insurrection in Mesopotamia 1920.* Edinburgh: William Blackwood and Sons, 1922.

95- Hamilton, A. M. *Road Through Kurdistan: The Narrative of an Engineer in Iraq.* London: Faber and Faber, 1937.

96- *Handbook of Mesopotamia.* 4 vols. Prepared for Great Britain

National Intelligence Division. London: Naval Staff, Intelligence Department, 1917-18.

97- Harmatta, Janos. «Studies in the Languages of the Iranian Tribes in South Russia.» *Acta Orientalia* (Budapest) 1 (1951): 261-314.

98- Harris, Walter B. «A Journey in Persian Kurdistan.» *Geographical Journal* 6, no. 5 (Nov. 1895): 453-57.

99- Hartmann, R. «Djazirat B. Omar.» In *E. J. Brill's First Encyclopaedia of Islam,* 1st ed., 2: 1030-31. Leiden: E. J. Brill, 1913-36.

100- ——. «Al-Furat.» In *E. J. Brill's First Encyclopaedia of Islam,* 1st ed., 3:118-20. Leiden: E. J. Brill, 1913-36.

101- Hay, Major W. R. *Two Years in Kurdistan: Experiences of a Political Officer,* 1918-1920. London: Sidgwick and Jackson, 1921.

102- Hertslet, Edward. *The Map of Europe by Treaty: Showing the Various Political and Territorial Changes Which Have Taken Place Since the General Peace of* 1814.4 vols. London: Butterworths, 1875-91.

103- Hourani, A. *H. Minorities in the Arab World.* London: Oxford Univ. Press, 1946.

104- ——. *Syria and Lebanon: A Political Essay.* London: Oxford Univ. Press, 1946.

105- Huart, C. «Ali b. Abi Talib.» In *E. J. Brill's First Encyclopaedia of Islam,* 1st ed., 1:283-85. Leiden: E. J. Brill, 1913-36.

106- Huart, C., and L. Lockhart. «Agha Muhammad Shah.» In *Encyclopaedia of Islam, New Edition,* 1:246-47. Leiden: E. J. Brill, 1954-2003.

107- Huntington, E. «The Valley of the Upper Euphrates River and Its

People.» *Bulletin of the American Geographical Society* 34, no. 4 (1902): 301-10.

108- Hurewitz, Jacob C. *Diplomacy in the Near and Middle East: A Documentary Record,* 1944-1956. Vol. 2. Princeton, N.J.: Van Nostrand, 1956.

109- Ivanov, W. «Notes on the Ethnology of Khurasan.» *Geographical Journal* 67 (1926): 143-58.

110- ——, ed. *The Truth- Worshippers of Kurdistan: Ahl-i Haqq Texts.* Isma'ili Society Series A, no. 7. Leiden: E. J. Brill, 1953.

111- Jaba, Alexandre. *Dictionnaire Kurdo-Français.* St. Petersburg: Commissionaire de l'Académie Impériale des Sciences, 1879.

112- ——. *Recueil de notices et récits Kourdes servant à la connaissance de la langue.* St. Petersburg: Eggers, 1860.

113- Kazemzadeh, Firuz. *The Struggle for Transcaucasia.* New York: Philosophical Library, 1951.

114- al-Kazi, Mirza Muhammad Djewad. «Studien aus dem Rechtsleben in Kurdistan.» *Zeitschrift für Vergleichende Rechtiswissenschaft* (Stuttgart) 22, part 3 (1909): 321-47.

115- Kirk, George. *The Middle East in the War: Survey of International Affairs* 1939-1946. London: Oxford Univ. Press, 1952.

116- Kohn, Hans. *Nationalism and Imperialism in the Hither East.* Translated by M. H. Green. London: George Routledge and Sons, 1932.

117- Kolarz, Walter. *Russia and Her Colonies.* London: George Philip and Son, 1952.

118- Kral, August Ritter von. *Kamal Ataturk's Land.* Translated by Kenneth Benton. Vienna: Wilhelm Braumuller, 1938.

119- Kramers, J. H. «Sarliyah.» In *E. J. Brill's First Encyclopaedia of Islam,* 1st ed., 7: 174. Leiden: E. J. Brill, 1913-36.

120- ——. «Selim I.» In *E. J. Brill's First Encyclopaedia of Islam,* 1st ed., 7:214-17. Leiden: E. J. Brill, 1913-36.

121- KrÜger, Karl. *Kemalist Turkey and the Middle East.* London: G. Allen and Unwin, 1932.

122- Kurdish League. *Memorandum on the Situation of the Kurds and Their Claims.* Paris: Imprimerie Louis Jean-Gap, 1949.

123- ——. *Memorandum sur la situation des Kurdes et leurs revendications.* Paris: Imprimerie Louis Jean-Gap, 1948.

124- ——. «Kurdistan.» In *The Encyclopaedia of Missions: Descriptive, Historical, Biographical, Statistical,* 2d ed., edited by Edwin Bliss, Henry Dwight, and H. Allen Tupper, 530-32. New York: Funk and Wagnalls, 1910.

125- «Kurdy.» In *Bol'shaia Sovetskaia Entsiklopedia,* 2d ed. Moscow, 1953.

126- Labarre, Weston. «The Cultural Basis of Emotions and Gestures.» *Journal of Personality* 16, no.1 (Sept. 1947): 49-63.

127- Lambton, Ann K. S. *Landlord and Peasant in Persia: A Study of Land Tenure and Land Revenue Administration.* London: Oxford Univ. Press, 1953.

128- Lane-Poole, Stanley. *Saladin.* New York: G. P. Putnam's Sons, 1901.

129- Laqueur, Walter Z. *Communism and Nationalism in the Middle East.* 2d ed. New York: Frederick A. Praeger, 1957.

130- Laurie, Thomas. *Dr. Grant and the Mountain Nestorians.* 3rd ed. Boston: Gould and Lincoln, 1853.

131- Layard, Sir Austen Henry. *Discoveries in the Ruins of Nineveh and Babylon: With Travels in Armenia, Kurdistan, and the Desert.* 2 vols. New York: Harper and Bros., 1853.

132- ——. *Nineveh and Its Remains.* Vol. 1. New York: G. P. Putnam, 1849.

133- Leach, E. R. *Social and Economic Organisation of the Rowanduz Kurds.* London School of Economics and Political Science Monographs on Social Anthropology no. 3. London: Percy Lund, Humphries, 1940.

134- Lees, G. M. «The Middle East.» In *World Geography of Petroleum,* edited by Wallace Everett Pratt, 159-202. Princeton, N.J.: Princeton Univ. Press for the American Geographical Society, 1950.

135- ——. «Two Years in South Kurdistan.» *Journal of the Royal Central Asian Society* 15, part 3 (1928): 253-77.

136- Lenczowski, George. «The Communist Movement in Iran.» *Middle East Journal* 1 (1947): 29-45.

137- Lescot, Roger. *Textes Kurdes.* Vol. 2: *Mame Alan.* Paris: Geunther, 1940.

138- Lobanov-Rostovsky, Andrei. *Russia and Asia.* New York: Macmillan, 1933.

139- Lockhart, Laurence. *Nadir Shah: A Critical Study Based Mainly on Contemporary Sources.* London: Luzac, 1938.

140- Longrigg, Stephen H. *Four Centuries of Modern Iraq.* London: Oxford Univ. Press, 1925.

141- ——. *Iraq, 1900 to 1950: Political, Social, and Economic History.* London: Oxford Univ. Press for the Royal Institute of International Affairs, 1953.

142- Lugard, Frederick John Dealtry. *The Dual Mandate in British Tropical Africa.* London: William Blackwood and Sons, 1923.

143- Macdonald, D. B. «Derwish.» In *E. J. Brill's First Encyclopaedia of Islam,* 1st ed., 2:949-51. Leiden: E. J. Brill, 1913-36.

144- ——. «Dhikr.» In *E. J. Brill's First Encyclopaedia of Islam, 1st* ed., 2:958. Leiden: E. J. Brill, 1913-36.

145- ——. «Fatwa.» In E. *J. Brill's First Encyclopaedia of Islam,* 1st ed., 3:92-93. Leiden: E. J. Brill, 1913-36.

146- ——. «Karama.» In *E. J. Brill's First Encyclopaedia of Islam,* 1st ed., 4:744. Leiden: E. J. Brill, 1913-36.

147- ——. «Mahdi.» In *E. J. Brill's First Encyclopaedia of Islam,* 1st ed., 5:111-15. Leiden: E. J. Brill, 1913-36.

148- Mandelstam, André. *Le sort de l'Empire Ottoman.* Paris: Librairie Payot et Cie, 1917.

149- Margoliouth, D. S. «Mahdi.» In *Encyclopaedia of Religion and Ethics,* edited by James Hastings, 8:336-40. New York: Charles Scribner's Sons, 1917-30.

150- Marriott, J. A. R. *The Eastern Question: An Historical Study in European Diplomacy.* Oxford: Oxford Univ. Press, 1924.

151- ——. *The European Commonwealth.* Oxford: Oxford Univ. Press, 1918.

152- Mason, Kenneth. «Central Kurdistan.» *Geographical Journal* 54, no. 6 (1919): 329-47.

153- Massignon, Louis. «Tarika.» In *E. J. Brill's First Encyclopaedia of Islam,* 1st ed., 8:667-72. Leiden: E. J. Brill, 1913-36.

154- ——. «Tasawwuf.» In *E. J. Brill's First Encyclopaedia of Islam, 1st* ed., 8:681-85. Leiden: E. J. Brill, 1913-36.

155- Maunsell, F. R. «Central Kurdistan.» *Geographical Journal* 18, no. 2 (Aug. 1901): 121-43.

156- ——. «Kurdistan.» *Geographical Journal* 3, no. 2 (Feb. 1894): 81-92.

157- McCoan, James Carlile. *Our New Protectorate: Turkey in Asia.* London: Chapman and Hall, 1879.

158- Medlicott, William Newton. *The Congress of Berlin and After.* London: Methuen, 1938.

159- Meier, F. «Der Name der Yazidis.» In *WestostlicheAbhandlungen RudolfTschudi,* edited by F. Meier, 244-57. Weisbaden: Harrassowitz, 1954.

160 Menzel, T. «Yezidi.» In *f. Brill's First Encyclopaedia of Islam,* 1st ed., 8:1163-70. Leiden: E. J. Brill, 1913-36.

161- *The Middle East: A Political and Economic Survey.* 2d ed. London: Oxford Univ. Press for the Royal Institute of International Affairs, 1954.

162- Miller, William. *The Ottoman Empire and Its Successors, 1801-1927.* Cambridge: Cambridge Univ. Press, 1934.

163- Millingen, Frederick. *Wild Life among the Koords.* London: Hurst and Blackett, 1870.

164- Minorsky, V. «Ahl-i Hakk.» In *Encyclopaedia of Islam, New Edition,* 1:260-63. Leiden: E. J. Brill,1954-2003.

165- ——. «Ak Koyunlu.» In *Encyclopaedia of Islam, New Edition,* 1:311-12. Leiden: E. J. Brill, 1954-2003.

166- ——. «Annazids.» In *Encyclopaedia of Islam, New Edition,* 1:512-13. Leiden: E. J. Brill, 1954-2003.

167- ——. «The Guran.» *Bulletin of the School of Oriental and African Studies* 11, no. 1 (1943):75-103.

168- ——. «Kurdistan.» In *E. J. Brill's First Encyclopaedia of Islam,* 1st ed., 4:1130-32. Leiden: E. J. Brill,1913-36.

169- ——. «Kurds.» In *E. J. Brill's First Encyclopaedia of Islam,* 1st ed., 4: 1132-55. Leiden: E. J. Brill, 1913-36.

170- ——. «The Mosul Question.» *Bulletin of the Reference Service on International Affairs of the American Library in Paris,* nos. 9-10 (Apr. 15, 1926): 8-45.

171- ——. «Les origines des Kurdes.» In *Actes du XXe Congrès International des Orientalistes, Bruxelles, 5-10 Septembre* 1938, 143-52. Louvain: Bureaux du Musson, 1940.

172- ——. «Le plus ancien texte Kurde.» *Bulletin Mensuel du Centre d'Etudes Kurdes,* no. 10 (1950): 8-10.

173- ——. «Sawdj Bulak.» In *E. J. Brill's First Encyclopaedia of Islam,* 1st ed., 7: 186-92. Leiden: E. J. Brill, 1913-36.

174- ——. *Studies in Caucasian History.* Cambridge Oriental Series no. 6. London: Taylor's Foreign Press, 1953.

175- ——. «Turkman-Cai.» In E.]. *Brill's First Encyclopaedia of Islam,* 1st ed., 8:896. Leiden: E. J. Brill,1913-36.

176- Mittwoch, E. «Dhu 'il-Fakar.» In E. *J. Brill's First Encyclopaedia of Islam,* 1st ed., 2:959. Leiden: E. J. Brill,1913-36 .

177- Moberly, Frederick James. *The Campaign in Mesopotamia.* Vol. 4. London: H.M. Stationery Office, 1927.

178- Molyneux-Seel, L. «A Journey in Dersim.» *Geographical Journal* 44, no. 1 (July 1914): 49-68.

179- Monteith, William. *Kars and Erzeroum with the Campaigns of Prince Paskiewitch in* 1828 *and* 1829. London: Longman, Brown, Green, and Longmans, 1856.

180- Mumford, Phillip. «Kurds, Assyrians, and Iraq.» *Journal of the Royal Central Asian Society* 20, part1 (Jan. 1933): 110-19.

181- Newin, C. «Le nombre des repas chez les Kurdes.» *Hawar* 1, no. 13 (Dec. 14,1932): 8-10.

182- Nikitine, Basile. «Les Afsars d'Urumiyeh.» *Journal Asiatique* 34 (Jan.-Mar. 1929): 67-123.

183- ——. «Badrkhani.» In *Encyclopaedia of Islam, New Edition,* 1:871. Leiden: E. J. Brill, 1954-2003.

184- ——. «La féodalite Kurde.» *Revue du Monde Musulman* 60 (1925): 1-26.

185- ——. «Kurdes.» In *Dictionnaire Diplomatique,* 1:1201. Paris: Académie Diplomatique Internationale, 1933.

186- ——. «Les Kurdes et Ie Christianisme.» *Revue de l'Histoire des Religions* 85, no. 3 (May-June 1922): 147-56.

187- ——. *Les Kurdes: Etude sociologique et historique.* Paris: Imprimerie Nationale Librairie C. Klincksieck, 1956.

188- ——. «Les Kurdes racontes par eux-memes.» *L'Asie* Française (1925): 148-57.

189- ——. «Kurdish Stories from My Collection.» *Bulletin of the School of Oriental Studies* 4, part 1 (1926): 121-38.

190- ——. Letter to the editor. *Manchester Guardian,* Sept. 21, 1950.

191- ——. «La poesie lyrique Kurde.» *L'Ethnographie* (Paris), no. 45 (1947-50): 39-53.

192- ——. «Probleme Kurde.» *Politique Etrangère* 11, no. 3 (July 1946): 251-62.

193- ——. «Quelques observations sur les Kurdes.» *Mercure de France* 145, no. 543 (Feb. 1921): 662-74.

194- ——. Rawandiz Ruiyndiz.» In *E.*]. *Brill's First Encyclopaedia of Islam,* 1st ed., 6:912-14. Leiden: E. J. Brill, 1913-36.

195- ——. «Shamdinan.» In *E. J. Brill's First Encyclopaedia of Islam,* 1st ed., 7:303-6. Leiden: E. J. Brill,1913-36 .

196- ——. «Un sujet de fable: Variantes Kurdes et Persanes.» *Revue d'Ethnographie et des Traditions Populaires* 3, no. 10 (1922): 129-40.

197- ——. «Superstitions des Chaldeens du Plateau d'Ourmiah.» *Revue d'Ethnographie et des Traditions Populaires* 4, no. 14 (1923): 149-81.

198- ——.«Le système routier du Kurdistan.» *La Géographie* 63, nos. 5-6 (May-June 1935): 363-85.

199- ——. «La vie domestique Kurde.» *Revue d'Ethnographie et des Traditions Populaires* 3, no. 12 (1922): 334-44.

200- Nikitine, Basile, and E. B. Soane. «The Story of Suto and Tato.» *Bulletin of the School of Oriental Studies* 3, part 1 (1923): 69-106.

201- Noel, Major E. W. C. «The Character of the Kurds as Illustrated by Their Proverbs and Popular Sayings.» *Bulletin of the School of Oriental Studies* 1, part 4 (1921): 79-90.

202- Oswald, Felix. *A Treatise on the Geology of Armenia.* London: Felix Oswald, 1906.

203- Panikkar, K. M. *Indian States.* Oxford Pamphlets on Indian Affairs no. 4. Mysore City, India: Oxford Univ. Press, 1942.

204- Pares, Bernard. *A History of Russia.* 4th ed. rev. New York: Alfred A. Knopf, 1946.

205- Pedersen, J. «Kasam.» In *E. J. Brill's First Encyclopaedia of Islam,* 1st ed., 4:783-85. Leiden: E. J. Brill, 1913-36.

206- Perkins, Justin. «Journal of a Tour from Oroomiah to Mosul Through the Koordish Mountains, and a Visit to the Ruins of Nineveh.» *Journal of the American Oriental Society* 2 (1851): 69-119.

207- Price, M. Phillips. «On Kurdistan Rising in Persia.» letter to the editor. *Times* (London), Apr. 24, 1946.

208- ——. «Russia and the Kurds.» *Manchester Guardian Weekly* 63, no. 11 (Sept. 14, 1950).

209- ——. «Through Iraqi Kurdistan.» *Manchester Guardian Weekly* 63, no. 19 (Nov. 9, 1950).

210- Rajkowski, Witold. «Another Da!lger Spot-Kurdistan.» *World Review* (June 1946): 29-31.

211- ——. «A Visit to Southern Kurdistan.» *Geographical Journal* 107, nos. 3-4 (1946): 128-34.

212- Ram, Hittu. *Sandeman in Baluchistan.* Calcutta: Government Printing Office, 1916.

213- Rambout, Lucien. *Les Kurdes et Ie droit: Des textes, des faits.* Paris: Editions du Cerf, 1947.

214- Ramsaur, Ernest Edmondson, Jr. *The Young Turks: Prelude to the Revolution of 1908.* Princeton Oriental Studies, Social Science no. 2. Princeton, N.J.: Princeton Univ. Press, 1957.

215- Rawlinson, H. C. «Notes on a Journey from Tabriz, Through Persian Kurdistan, to the Ruins of Takhti-Soleiman.» *Journal of the Royal Geographical Society* 10 (1841): 1-158.

216- Rich, Claudius James. *Narrative of a Residence in Koordistan.* 2 vols. London: James Duncan, 1836.

217- Ritter, Helmut Werner. *"Picatrix" das Ziel des Weisen von Pseudo-Magriti.* London: Warburg Institute, 1962.

218- Romanette, Irmine. *Le Kurdistan et la question Kurde.* Paris: Librairie Marceau, 1935.

219- Rondot, Pierre. «L'adoption des caracteres Latins et Ie mouvement culturel chez les Kurdes de l'UR.S.S.» *Revue des Etudes Islamiques,* no. 1 (1935): 87-96.

220- ——. «L'alphabet Kurde en caracteres Latins d'Arméenie Soviétique.» *Revue des Etudes Islamiques,* no. 3 (1933): 411-17.

221- ——. «L'Emire Djeladet Aali Bederkhan, animateur de la renaissance Kurde.» In *Zikra al-Amir Djeladet Beder Khan* 1893-1951 (In Memory of Emir Jaladet Bedir Khan, 1893-1951), edited by M. Chalita and Y. Malik. Beirut: n.p., 1952.

222- ——. «Kurdes et communisme dans Ie Proche-Orient." *La Vie Intellectuel* (Paris) 26 (Jan. 1959): 109-11.

223- ——. «La nation Kurde en face des mouvements Arabes.» *Orient* 2, no. 7 (1958): 55-69.

224- ——. «Où en est la question Kurde?» *L'Afrique et l'Asie* 2, no. 2 (1949): 51-55.

225- ——. «La question Kurde dans l'Orient contemporain.» *Bulletin Mensuel du Centre d'Etudes Kurdes* no. 12 (1950): 1-15.

226- ——. «Les revendications nationales Kurdes (1943-1949).» *Cahiers de l'Orient Contemporain* 18-19 (1949): 65-66.

227- ——. «Les tribus Montagnardes de l'Asie Antérieure: Quelques aspects sociaux des populations Kurdes et Assyriennes.» *Bulletin d'Etudes Orientales l'Institut Français de Damas 6* (1936): 1-49.

228- Roosevelt, Archie. «The Kurdish Republic of Mahabad.» *Middle East Journal* 1, no. 3 (July 1947): 247-69.

229- Ross, E. Denison. «Shaddad.» In *E. J. Brill's First Encyclopaedia of Islam,* 1st ed., 7:246. Leiden: E. J. Brill, 1913-36.

230- Safrastian, Arshak. *Kurds and Kurdistan.* London: Harvill Press, 1948.

231- Sarezhin, K. «Iraq Today: Geographical Sketch.» *New Times,* no. 6 (Mar. 15, 1946): 22-26.

232- Sazonov, Sergiei Dmitrievich. *The Fateful Years.* London: Jonathan Cape, 1928.

233- Schacht, J. «Nikah.» In *E. J. Brill's First Encyclopaedia of Islam,* 1st ed., 6:912-14. Leiden: E. J. Brill, 1913-36.

234- ——. «Talak.» In *E. J. Brill's First Encyclopaedia of Islam,* 1st ed., 8:636-40. Leiden: E. J. Brill, 1913-36.

235- Scher, Addai. «Episodes de l›histoire du Kurdistan.» *Journal Asiatique* 15 (Jan.-Feb. 1910): 119-39.

236-Seligman, Brenda «Studies in Semitic Kinship. II. Cousin Marriage.» *Bulletin of the School of Oriental Studies* 3 (1923-25): 263-79.

237- Shedd, Mary Lewis. *The Measure of a Man: The Life of William Ambrose Shedd, Missionary to Persia.* New York: George H. Doran, 1922.

238- Shiel, J. «Notes on a Journey from Tabriz Through Kurdistan via Van, Bitlis, Se'ert, and Erbil, to Sulaimaniyah, in July and August,

1836.» *Journal of the Royal Geographical Society* 8 (1838): 54-101.

239- Soane, E. B. «Evacuation of Kurdistan: An Ill-Fated Expedition.» *Journal of Central Asian Society* 10, part 1 (1923): 73-75.

240- ——. «The Southern Kurd.» *Journal of the Central Asian Society* 9, part 1 (1922): 44-45.

241- ——. *To Mesopotamia and Kurdistan in Disguise. With Historical Notices of the Kurdish Tribes and the Chaldeans of Kurdistan.* 2d ed. London: John Murray, 1926.

242- Sobernheim, Morton. «Saladin.» In *E. J. Brill's First Encyclopaedia of Islam,* 1st ed., 7:84-89. Leiden: E. J. Brill, 1913-36.

243- Speer, Robert E. *«The Hakim Sahib,» the Foreign Doctor: A Biography of Joseph Plumb Cochran, M.D. of Persia.* New York: Fleming H. Revell, 1911.

244- Speiser, Ephraim Avigdor. *Mesopotamian Origins: The Basic Population of the Near East.* London: H. Milford, 1930.

245- ——. «Southern Kurdistan in the Annals of Ashurnasirpal and Today.» *Annual of the American School of Oriental Research* (Jerusalem) 8 (1926-27): 1-33.

246- Spies, O. «Mahr.» In *E. J. Brill's First Encyclopaedia of Islam,* 1st ed., 5:137-38. Leiden: E. J. Brill, 1913-36.

247- Stack, Edward. *Six Months in Persia.* New York: G. P. Putnam and Sons, 1882.

248- Stamp, L. Dudley. *Asia: A Regional and Economic History.* London: Methuen, 1959.

249- Stepanov, V. «A Visit to the Kurds.» *New Times,* no. 24 (June 8, 1949): 23-28, and no. 25 (June 15, 1949): 23-26.

250- Streck, M. «Bohtan.» In *E. J. Brill's First Encyclopaedia of Islam,* 1st ed., 2:739-40. Leiden: E. J. Brill, 1913-36.

251- Süssheim, K. «'Abd Allah Djewdet [Jawdatl.» In *E. J. Brill's Encyclopaedia of Islam,* vol. 9: *Supplement,* 55-60. Leiden and London: E. J. Brill and Luzac, 1935.

252- Sykes, Mark. *The Caliphs' Last Heritage: A Short History of the Turkish Empire.* London: Macmillan, 1915.

253- ——. *Dar-u al-Islam.* London: Bickers and Son, 1904.

254- Sykes, Sir Percy. *A History of Persia.* 2 vols. London: Macmillan, 1915.

255- Taylor, J. G. «Travels in Kurdistan, with Notices of the Sources of the Eastern and Western Tigris and Ancient Ruins in the Neighborhood.» *Journal of the Royal Geographical Society 35* (1865): 21-55.

256- Temperley, H. W. V. *A History of the Peace Conference of Paris.* VoL 6. London: Henry Frowde and Hodder and Stoughton, 1924.

257- Thomson, William. «Nationalism and Islam.» In *Nationalism in the Middle East,* 51-60. Washington, D.C.: Middle East Institute, 1952.

258- Thornton, Thomas Henry. *Colonel Sir Robert Sandeman: His Life and Work on Our Indian Frontier.* London: J. Murray, 1895.

259- Thurnwald, R. "Blood Vengeance Feud." In *Encyclopaedia of the Social Sciences,* 2:598-99. New York: Macmillian, 1930-35.

260- Toynbee, Arnold J. *Survey of International Affairs,* 1925. Vol. 1: *The Islamic World Since the Peace Settlement.* London: Oxford Univ. Press, 1927.

261- Toynbee, Arnold J., and Kenneth P. Kirkwood. *Turkey.* New York: Charles Scribner's Sons, 1927.

262- *The Treaties of Peace,* 1919-1923. Vol. 2. New York: Carnegie Endowment for International Peace, 1924.

263- Turlington, Edgar. «The Settlement of Lausanne.» *American Journal of International Law* 18, no. 4 (Oct. 1924): 696-706.

264- «Unrest in Kurdistan.» *Times* (London), Apr. II, 1946.

265- Ushakoff, Aleksandr Kleonakovich. *Geschichte der Feldzuge in der Asiatischen Turkei Wahrend der Jahre* 1828 *und* 1829. Vols. 1 and 2. Leipzig: n.p., 1838.

266- Villari, Luigi. *Fire and Sword in the Caucasus.* London: T. F. Unwin, 1906.

267- Waugh, A. Telford. *Turkey: Yesterday, Today, and Tomorrow.* London: Chapman and Hall, 1930.

268- Weber, Max. *Essays in Economic Sociology.* Edited by Richard Swedeberg. Princeton, N. J.: Princeton Univ. Press, 1999.

269- ——*The Theory of Social and Economic Organization.* 2d ed. New York: Oxford Univ. Press, 1950.

270- Wensinck, A. J. «Khitan.» In *E. J. Brill's First Encyclopaedia of Islam,* 1st ed., 4:956-60. Leiden: E. J. Brill,1913-36 .

271- Westermann, William Linn. «Kurdish Independence and Russian Expansion.» *Foreign Affairs* 24,

no.4 (July 1946): 674-88.

272- Wiedemann, M. «Ibrahim Pasha's Gluck und Ende.» *Asien* no. 3 (1909): 34-37.

273- Wigram, W. A., and Sir Edgar T. A. Wigram. *The Cradle of Mankind: Life in Eastern Kurdistan.* 2d ed. London: A. and C. Black, 1922.

274- Wilson, Sir Arnold T. «E. B. Soane-A Memoir.» In *To Mesopotamia and Kurdistan in Disguise,* by E. B. Soane, ix-xvii. London: John Murray, 1926.

275- ——. *Loyalties: Mesopotamia.* Vol. 2: *1917-20.* Oxford: Oxford Univ. Press, 1936.

276- Wilson, C. W., and H. C. Rawlinson. «Kurdistan.» In *Encyclopaedia Britannica,* 11th ed. (1910-11), 5:949-51.

277- Wilson, S. G. *Persian Life and Customs.* New York: Fleming H. Revell, 1900.

278- Wilson, W. C. F. «Northern Iraq and Its Peoples.» *Journal of the Royal Central Asian Society* 24, part 2 (Apr. 1937): 287-99.

279- Wratislaw, Albert Charles. *A Consul in the East.* London: Blackwood, 1924.

280- Wright, Dr. Austin H., and Edward Breath. [Report on their visit to Bedir Khan (as representatives of the American Mission in Persia).] *Missionary Herald* 42, no. 11 (Nov. 1846): 381-82.

281- Yalman, Ahmad Emin. *Turkey in the World War.* New Haven, Conn.: Yale Univ. Press, 1930.

282- Zeidner, Robert. «Kurdish Nationalism and the New Iraqi Government.» *Middle Eastern Affairs*10 , no. 1 (Jan. 1959): 24-31.

283- Zettersteen, K. V. «Marwanids.» In *E. f. Brill's First Encyclopaedia of Islam,* 1st ed., 5:309-10. Leiden: E. J. Brill, 1913-36.

المراجع باللغات الشرق أوسطية (العربية، الكردية، الفارسية، والتركية)

Publications in Middle Eastern Languages (Arabic, Kurdish, Persian, and Turkish)

284- Ardalan, Isma'il. *Asrar-e Barzan* (The Secrets of Barzan). Teheran: Mazahiri Press, 1946.

- أردلان، اسماعيل. أسراري بارزان. طهران: مطبعة مظهري، 1946.

285- 'Azzam, 'Abd al-Rahman. «al-Wihda al-Arabiya» (The Pan-Arab Movement). *al-Hilal* (Cairo) 1, part 4 (Sept.-Oct. 1943): n.p.

- عزّام، عبد الرحمن. «الوحدة العربية». الهلال (القاهرة) 1، الجزء 4 (أيلول/ سبتمبر/ تشرين الأول/ أكتوبر): لا ناشر.

286- al-'Azzawi, 'Abbas. *'Asha'ir al- 'Iraq* (The Tribes of Iraq), vol. 1, and *al-Kurdiya* (The Kurdish Tribes), vol. 2. Baghdad: al-Ma'arif Press, 1947.

- العزاوي، عباس. عشائر العراق، مجلد ، والكردية، مجلد 2. بغداد: مطبعة المعارف، 1947.

287- al-Baghdadi, 'Abd al-Qahir ibn Tahir. *Mukhtasar Kitab al-Farq bayna al-Firaq* (The Abridged Book of Differences among the Sects). Edited by A. S. Hakim. Cairo: Matba'at al-Hilal, 1924.

- البغدادي، عبد القاهر بن طاهر. مختصر كتاب الفرق بين الِفرق، تحقيق ع. س. حكيم. القاهرة: مطبعة الهلال، 1924.

288- al-Baghdadi, Sayyid Muhammad ibn al-Sayyid Ahmad al-Husayni al-Munshi'. *Rihlat al-Munshi' al-Baghdadi* (The Journey of the al-Munshi' al-Baghdadi). Translated from Persian into Arabic by 'Abbas al-'Azzawi. Baghdad: at -Tijara wa al-Tiba'a Press, 1948.

- البغدادي، سيّد محمد بن السيد أحمد الحسيني المنشئ. رحلة المنشئ البغدادي. نقله من الفارسية إلى العربية عبّاس العزّاوي. بغداد: مطبعة التجارة والطباعة. 1948.

289- Bayur, Yusuf Hikmet. *Turk Inkîlabi Tarihi, Türk Tarikh Kurumu Yaymlarmdan* (The History of the Turkish Revolution). Vol. 8. Istanbul: Ma'arif Mataba'asi Press for the Turkish Historical Association, 1940.

290- al-Bidlisi, Ameer Sharaf Khan. *Sharafnama: Fi Tarikh al-Duwal wa al-Imarat al-Kurdiya* (History of the Kurdish Governments and Princedoms). Translated from Persian into Arabic with commentary by Muhammad Jamil Bendi Rozhbeyani. Baghdad: al-Naja Press, 1953.

- البدليسي، أمير شرف خان. شرفنامه: في تاريخ الدول والإمارات الكردية. نقله من الفارسية إلى العربية وعلّق عليه محمد جميل بندي روچبياني. بغداد: مطبعة النجا، 1953.

291- al-Brifkani, Muhammad. *Haqa'iq Tarikhiya 'an al-Qadiya al-Barzaniya* (Historical Truths Regarding the Barzani Problem). Baghdad: Matba'at Sharikat al-Tiba'a wa al-Nashr al-'Ahliya Press, 1953.

- البريفكاني، محمد. حقائق تاريخية عن القضية البارزانية. بغداد: مطبعة شركة الطباعة والنشر الأهلية، 1953.

292- Chirguh, Bletch. *al-Qadiya al-Kurdiya: Madi al-Kurd wa Hadirihim* (The Kurdish Problem: The Past and the Present of the Kurds). Hoybun Publication no. 5. Cairo: al-Sa'ada Press, 1930.

- شيركوه، بله ج. القضية الكردية: ماضي الكرد وحاضرهم. منشورات خويْبون رقم 5. القاهرة: مطبعة السعادة، 1930.

293- Damaluji, Siddiq. *Imarat Bahdinan al-Kurdiya Aw Imarat al-'Imadiya* (The Kurdish Princedom of Bahdinan or the Princedoms of 'Amadiya). Mosul, Iraq: al-Ittihad al-Jadida Press, 1952.

- الدملوجي، صديق. إمارة بهدينان الكردية، أو إمارة العمادية. الموصل، العراق: مطبعة الاتحاد الجديدة، 1952.

294- ——. *al-Yazidiya* (The Yazidis). Mosul, Iraq: al-I ttihad Press, 1948.

- الدملوجي، صديق. الإيزدية. الموصل، العراق: مطبعة الاتحاد الجديدة، 1948.

295- Dânişmend, isma'il Hami. *izahlt Osmanlt Tarihi Kronolojisi* (An Explanation of the Chronology of Ottoman History). Vol. 9. Istanbul: Türkiye Baslmevi, 1955.

296- Dersimi, Nuri. *Kürdistan Tarihinde Dersim* (Dersim in the History of Kurdistan). Aleppo: Ani Matbaasi,1952.

297- al-Ghulami, 'Abd al-Mun'im. *Baqaya al-Firaq al-Batiniya fi Liwa al-Mawsul* (Remnants of Batini Sects in Mosul Province). Mosul, Iraq: al-Ittihad Press, 1950.

- الغلامي، عبد المؤمن. بقايا الفرق الباطنية في لواء الموصل. الموصل، العراق: مطبعة الاتحاد الجديدة، 1950.

298- Gövsa, ibrahim Alaettin. *Türk* Meşhurlari *Ansiklopedisi* (Encyclopedia of Famous Turks). Istanbul: Yedigun Nesriya, n.d.

299- al-Gurani, 'Ali Sido. *Min 'Amman ila al-'Amadiya* (From 'Amman to 'Amadiya). Cairo: al-Sa'ada Press, 1939.

- الگوراني ن علي سيدو. من عمان إلى العمادية. القاهرة: مطبعة السعادة، 1939.

300- Hartmann, R. «Dide, Dida.» In *Islam Ansiklopedisi,* 3:582-85. Istanbul: Milli Egitin Basimevi, 1945.

301- al-Hasani, 'Abd al-Razzaq. *Tarikh al-Wazarat al-'Iraqiya* (The History of Iraqi Cabinets). Vol. 6. Sidon, Lebanon: al-'Irfan Press, 1950.

- الحسني عبد الرزاق. تاريخ الوزارات العراقية. المجلد 6. صيدا، لبنان: مطبعة العرفان، 1950.

302- Jiyawuk, Ma'ruf. *Ma'sat Barzan al-Mazluma* (The Tragedy of Barzan the Oppressed). Baghdad: al-'Arabiya Press, 1954.

- جياووك، معروف. مأساة بارزان المظلومة. بغداد: المطبعة العربية، 1954.

303- Khaznidar, Ma'ruf. «Malhamat Mem u Zin» (The Epic of Mem u Zin). *Al-Risala al-Jadida* (Cairo) 1 (1971): n.p.

- خزندار، معروف. «ملحمة مَمْ وزين». مجلة الرسالة الجديدة (القاهرة) 1 (1971): لا ناشر.

304- Malik, Yusuf. *Kurdistan Aw Bilad al-Akrad* (Kurdistan, or the Country of the Kurds). Beirut: Sadir Press, 1945.

- مالك، يوسف. كردستان أو بلاد الأكراد. بيروت: مطبعة صادر، 1945.

305- Mokri, Mohammad. *'Ashayar-e Kord.* Vol. 1: *Il-e Sanjabi Tarikhcheh Joghrafiya, Tireha.* (Kurdish Tribes; voL 1: The Sinjabi Tribe: Short History, Geography, Branches). Tehran: Danish Bookstore,n.d.

306- al-Nawawi, Muhyi al-Din 'Abu Zakariya Yahya al-Hizami. *Minhaj Al-Talibin: Manuel de Jurisprudence Musulmane selon le rite de Chafi'i* (Methodology for the Seekers of Knowldege: A Manual of Muslim Jurisprudence According to the Rule of al-Shafi'i). Vol. 2. Arabic text and French translation by Lodewijk Willem Van Den Berg. Batavia: Imp. du Gouvernement, 1883.

- النووي، محيي الدين ابو زكريا يحيى الحزامي. منهاج الطالبين، المجلد 2.

307- Nuri, Ihsan. *Tarikh-e Rishe Nezhadi-ye Kord* (History of the Racial Origin of the Kurd). Tehran: Sepehr Press, 1955.

308- Pesyan, Najafqoli. *Marg Bud Bazgasht Ham Bud* (There Was Both Death and Return). 2 vols. 2d ed. Tehran: Sherkate Sahami-ye Press, 1948-49.

309- Razzuq, Munir. *Mu'amarat 'Abd al-Nasir* (The Conspiracies of 'Abd al-Nasir). Baghdad: Dar al-Bilad lil-Sihafa wa-al-Nashr, 1959.

- رزوق، منير. مؤامرة عبد الناصر. بغداد: دار البلاد للصحافة والنشر، 1959.

310- al-Sa'igh, Sulayman. *Tarikh al-Mawsil* (The History of Mosul). Cairo: al-Salafiya Press, 1923.

- الصائغ، سليمان. تاريخ الموصل. القاهرة: المطبعة السلفية، 1923.

311- Sajjadi, 'Ala al-Din. *Mejûty Edebi Kurdi* (History of Kurdish Literature). Baghdad: al-Ma'arif Press, 1952.

312- Shirzad, Muhammad. *Nidal al-Akrad* (The Struggle of the Kurds). Cairo: n.p., 1946.

- شيرزاد، محمد. نضال الأكراد. القاهرة: لا ناشر، 1946.

313- «Sud'ba Plemeni Tawanrudi.» In *Mezhdunarodnaia Zhizn* 4 (Apr. 1956): 122-23.

314- Zaki, Muhammad Amin. *Khulasat Tarikh al-Kurd wa Kurdistan Min Aqdam al-'Usur Hatta al-'An* (The Summary of the History of the Kurds and Kurdistan from the Most Ancient Times up to the Present). Translated from Kurdish into Arabic by Muhammad 'Ali 'Awni. Cairo: al-Sa'ada Press, 1939.

- زكي، محمد أمين. خلاصة تاريخ الكرد وكردستان من أقدم العصور حتى الآن. نقله من الكردية إلى العربية محمد علي عوني. القاهرة: مطبعة السعادة. 1939.

315- ——. *Tarikh al-Duwal wa al-'Imarat al-Kurdiya fi al-'Ahd al-Islami* (The History of Kurdish States and Principalities during the Muslim Period). Translated from Kurdish into Arabic byMuhammad 'Ali 'Awni. Cairo: al-Sa'ada Press, 1945.

- زكي، محمد أمين. تاريخ الدول والإمارات الكردية في العهد الإسلامي. نقله من الكردية إلى العربية محمد علي عوني. القاهرة: مطبعة السعادة. 1945.

316- ——. *Tarikh al-Sulaymaniya wa-Anha'iha* (The History of Sulaymaniya and Its Outlying Districts). Translated from Kurdish into Arabic by al-Mulla Tameel Ahmad al-Rozhbeyani. Baghdad: al-Nashirwa al-Tiba'a, 1951.

- زكي، محمد أمين. تاريخ السليمانية وأنحائها. نقله من الكردية إلى العربية ملّا تاميل أحمد الروچبياني. بغداد: النشر والطباعة. 1951.

وثائق حكومية Government Documents

317- Bell, Gertrude Lowthian (Great Britain, Office of the Civil Commissioner, Iraq). *Review of the Civil Administration of Mesopotamia, 1914-1920.* London: H.M. Stationery Office, 1920.

318- E. J. R. (Great Britain, Office of the Civil Commissioner, Iraq). *Précis of Affairs in Southern Kurdistan during the Great War.*

Baghdad: Government Press, 1919.

319- Great Britain. *Correspondence Respecting the Kurdish Invasion of Persia. Turkey No.5* (1881). C.2851 . London: H.M. Stationery Office, 1881.

320- Great Britain. Colonial Office. *Report by H.B.M.'s Government to the Council of the League of Nations on the Administration of Iraq for the Year* 1925. London: H.M. Stationery Office, 1926.

321- ——. *Report by H.B.M.'s Government to the Council of the League of Nations on the Administration of Iraq for the Year* 1926. London: H.M. Stationery Office, 1927.

322- ——. *Report by H.B.M.'s Government to the Council of the League of Nations on the Administration of Iraq for the Year* 1927. London: H.M. Stationery Office, 1928.

323- ——. *Report by H.B.M.'s Government to the Council of the League of Nations on the Administration of Iraq for the Year* 1928. London: H.M. Stationery Office, 1929.

324- ——. *Report by H.B.M.'s Government to the Council of the League of Nations on the Administration of Iraq for the Year* 1929. London: H.M. Stationery Office, 1930.

325- ——. *Report on Iraq Administration, October, 1920 to March,* 1922. London: H.M. Stationery Office, 1923.

326- ——. *Report on Iraq Administration, April,* 1922 *to March,* 1923. London: H.M. Stationery Office, 1924.

327- ——. *Report on Iraq Administration, April,* 1923 *to December,* 1924. London: H.M. Stationery Office, 1925.

328- ——. *Report to the Council of the League of Nations on the Administration of Iraq for the Year* 1928. London: H.M. Stationery Office, 1929.

329- ——. *Report to the Council of the League of Nations on the Administration of Iraq for the Year* 1929. London: H.M. Stationery Office, 1930.

330- ——. *Special Report by His Majesty's Government in the United Kingdom of Great Britain and Northern Ireland to the Council of the League of Nations on the Progress of Iraq during the Period 1920-1931*. London: H.M. Stationery Office, 1931.

331- Great Britain. Foreign Office. *Correspondence Respecting the Condition of the Populations in Asia Minor and Syria. Turkey No.4 (1880)*. C. 2537. London: H.M. Stationery Office, 1880.

332- ——. *Correspondence Respecting the Condition of the Populations in Asia Minor and Syria. Turkey No. 10* (1879). C. 2432. London: H.M. Stationery Office, 1879.

333- ——. *Franco-British Convention of December* 23, *1920, on Certain Points Connected with the Mandates for Syria and the Lebanon, Palestine and Mesopotamia. Presented by the Secretary of State for Foreign Affairs to Parliament*. Cmd. 1195. Misc. No.4 (1921). London: H.M. Stationery Office, 1921.

334- ——. *League of Nations: Decision Relating to the Turco-lrak Frontier Adopted by the Council of the League of Nations, Geneva, December* 16, 1925. *Presented by the Secretary of State for Foreign Affairs to Parliament*. Cmd. 2562. Mise. No. 17 (1925). London: H.M. Stationery Office, 1925.

335- ——. *Letter from His Majesty's Government to the Secretary-General of the League of Nations and Proceedings of the Council of the League Regarding the Determination of the Turco-lrak Frontier and the Application to Irak of Article* 22 *of the Covenant of the League. Presented by the Secretary of State for Foreign Affairs to Parliament*. Cmd. 2624. Misc. No.3 (1926). London: H.M. Stationery Office, 1926.

336- ——. *Report to the Council of the League of Nations by General F. Laidoner on the Situation in the Location of the Provisional Line of the Frontier Between Turkey and lrak Fixed at Brussels on*

October 29,1924. Cmd. 2557. Misc. No. 15 (1925). London: H.M. Stationery Office, 1925.

337- ——. Historical Section. *Turkey in Asia.* London: H.M. Stationery Office, 1920.

338- Great Britain. Parliament. *Papers by Command: Lausanne Conference* (1923). Cmd. 1814. London: H.M. Stationery Office, [1924].

339- ——. *Papers by Command: Treaty of Peace with Turkey and Other Instruments Signed at Lausanne on* 24 *July* 1923. Cmd. 1929. London: H.M. Stationery Office, [1924].

340- Hay, Major W. R., and P. O. Arbil. (Great Britain, Office of the Civil Commissioner, Iraq). *Note on Rowanduz.* Baghdad: Government Press, 1920.

341- Iraq. *Reports of Administration for* 1918 *of Divisions and Districts of the Occupied Territories in Mesopotamia:* 1. *Khaniqin District.* Madras: Vasanta Press, 1919.

342- Iraq (British Administration), Office of the Civil Commissioner. *Administration Report of the Kirkuk Division for the Year.1918.* Baghdad: Government Press, 1919.

343- ——. *Administration Report of the Kirkuk Division for the Year 1920.* Baghdad: Government Press, 1921.

344- ——. *Administration Report of the Mosul Division for the Year 1920.* Baghdad: Government Press, 1921.

345- ——. *Administration Report of the Mosul Division for the Year* 1921. Baghdad: Government Press, 1922.

346- ——. *Administration Report of the Sulaimaniyah Division for the Year* 1919. Baghdad: Government Press, 1920.

347- ——. *Administration Report of the Sulaimaniyah Division for the Year 1920.* Baghdad: Government Press, 1922.

348- Iraq. Civil Commissioner. *Civil Administration Mesopotamia: Administration Report* (1919), *Part I, «Mosul.»* Baghdad: Government Press, 1920.

349- League of Nations. Council. *Question of the Frontier Between Turkey and Iraq: Report Submitted to the Council of the* ~eague *of Nations by the Commission Instituted by the Council Resolution of September 30th,* 1924. C. 400. M. 147 (1925), vii. Lausanne: League of Nations, 1925.

350- Noel, E. M. *Diary of Major* E. M. *Noel, G.I.E., D.S.O., on Special Duty in Kurdistan, from June 14th to September 21st,* 1919. Basra, Iraq: Government Press, 1920.

351- Noel, Major E. W. C. (Great Britain, Office of the Civil Commissioner, Iraq), *Note on the Kurdish Situation.* Baghdad: Government Press, 1919.

352- Republic of Iraq. Higher Committee for Communication. *Thawrat* 14 *Tammuz fi 'Amiha al-Awwal* (The July 14th Revolution in Its First Year). Baghdad: Dar al-Akhbar Press, 1959.

353- Republic of Iraq. Ministry of Defense. *Mahkamat al-Sha'b: al-Jalsat al-Sirriya* (The People's Court: The Secret Sessions). Baghdad: Government Press, 1959.

354- Russia. Ministry of Foreign Affairs. *Sbornik diplomaticheskikh dokumentov: Reformy v Armenii: 26 Noiabria* 1912 *g-l* 0 *Maia* 1914 *g.* Petrograd: Government Press, 1915.

355- Soane, Major E. B. (Great Britain, Office of the Civil Commissioner). *Notes on the Tribes of Southern Kurdistan.* Baghdad: Government Press, 1918.

356- ——. *Report on the Sulaimania District of Kurdistan. With Some Notice of the Frontier Tribes of Turkey and Persia, and History of the Frontier Question of the Two Countries.* Calcutta: Superintendent of Government Printing, 1918.

357- United Nations. *Demographic Yearbook,* 1952. New York: United Nations, Department of Economic Affairs, 1952.

المحتويات

مقدمة 9

تمهيد 21

شكر وامتنان 27

الفصل الأول: الخلفية الجغرافية والتاريخية والثقافية 31

الفصل الثاني: التنظيم الاجتماعي للكرد 87

الفصل الثالث: القضاء على ما يشبه الحكم الذاتي في كردستان...... 149

الفصل الرابع : شيخ عبيد الله نهري 195

الفصل الخامس: تأثير ثورة تركيا الفتاة في القومية الكردية........... 253

الفصل السادس: سياسة روسيا الكردية.......................... 283

الفصل السابع: الكرد والحرب العالمية الأولى 307

الفصل الثامن: وضع الكرد في تركيا وبلاد فارس وسوريا

بعد الحرب العالمية الأولى.................................... 325

الفصل التاسع: الاضطرابات في إقليمي الموصل وأربيل من

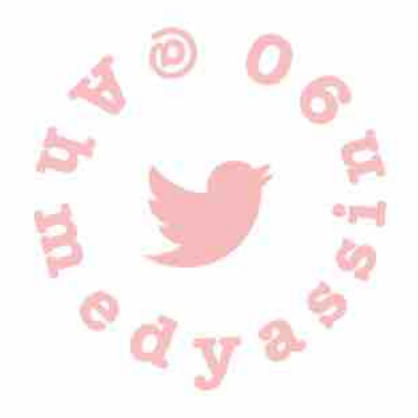
أقاليم كردستان العراقية بعد الحرب العالمية الأولى 355

الفصل العاشر: الشيخ محمود وصعود الاتحاد الكردي الجنوبي

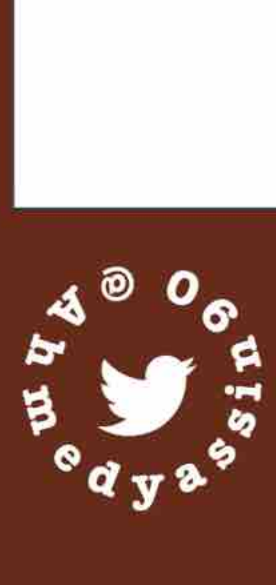
ي كردستان وسقوطه بعد الحرب العالمية الأولى.............. 385

الفصل الحادي عشر: التمرد الثاني للشيخ محمود.................. 443

الفصل الثاني عشر: الثورات الكردية في تركيا 481
الفصل الثالث عشر: ثورة البارزاني في عامي 1931- 1932 519
الفصل الرابع عشر: ثورة ملّا مصطفى بارزاني في 1943-1945،
ونمو المنظمات السياسية الكردية 541
الفصل الخامس عشر: جمهورية مهاباد الكردية 571
الفصل السادس عشر: الكرد والمسألة الكردية بعد سقوط مهاباد 619
الخاتمة 667
الملحق 677
المراجع 677



@Ahmedyassin90



تصوير

أحمد ياسين

تويتر

@Ahmedyassin90